جـامعة عمار ثليـجي بالأغـواط



دراســــات

مجلّة دولية محكّمة

العدد:61
ديسمبر 2017

ISSN 1112-4652

مجلة دراسات العدد :61 - ديسمبر 2017

مجلّة "دراسات"

مجلّة دولية علمية محكّمة متعدّدة التخصّصات

تصدر عن جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الهيئة الاستشارية

قواعد النشر

1- تنشر المجلّة البحوث العلمية للأساتذة الباحثين في مختلف التخصّصات.

2- تقدّم البحوث على قرص مكتوب بنظام word أو عن طريق البريد الإلكتروني:

bourguiba_d@yahoo.fr

3- يرفق البحث بملخّص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخّص ثانٍ باللغة الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخّص للسيرة الذاتية للباحث (نموذج معتمد لدى المجلة).

4- أن لا يكون البحث منشورًا من قبل، أو مقدّمًا للنشر في جهة أخرى، ويقدّم الباحث تعهّدًا مكتوبًا بذلك (نموذج معتمد لدى المجلة).

5- أن لا يكون البحث فصلاً من رسالة جامعية.

6- أن لا تقلّ صفحات البحث عن 15 صفحة (أي في حدود 4000 كلمة)، وأن لا تزيد عن 30 صفحة.

7- **البحوث التي تخلّ بأيّ ضابط من الضوابط لا تؤخذ بعين الاعتبار.**

8- تخضع البحوث والمقالات لرأي محكّمين من مختلف الجامعات.

9- ترتيب البحوث لا يخضع لأهمّية البحث ولا لمكانة الباحث.

10- البحوث التي تقدّم للمجلّة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلّة بإبداء أسباب عدم النشر.

- **قواعد التوثيق: تتبع إحدى الطريقتين:** 1-عندما يشار إلى المراجع في المتن، يذكر الاسم الأخير للمؤلّف وسنة النشر بين قوسين، مثل (القوصي،1985)، وعند الاقتباس يوضع النص المقتبس بين قوسين صغيرين " " وتذكر أرقام الصفحات المقتبس منها مثل: (القوصي، 1985: 43)

2- عندما يشار إلى المراجع في الهامش، يشار إليها بأرقام متسلسلة، -استعمال التهميش الآلي- وتكون في أسفل الصفحة نفسها، وتذكر المعلومات حسب المتعارف عليه منهجيًا.

3- في كلتا الطريقتين، تجمع المراجع في نهاية البحث وترتّب ترتيبًا ألفبائيًا حسب الاسم الأخير للمؤلف، وتكون كالآتي:

- اسم المؤلّف (سنة النشر) عنوان المؤلَّف، (رقم الطبعة)، اسم البلد، اسم الناشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلّة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها, ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلّة أو الجامعة.

فهرس المحتويات

مجالات العقل ومقوّمات الاجتهاد عند ابن حزم وابن رشد وأبي يعقوب الوارجلاني
د. المبروك الشّيباني المنصوري، د. سليمان الشعيلي، د. سعيد الصوافي، د. عبد الله الهنائي
قسم العلوم الإسلامية بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس...1
دافعية الإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا في ضوء متغيرات النوع والتحصيل الأكاديمي والتخصص العلمي.
د. نزيم صرداوي- أ. ربيحة عمور ...جامعة تيزي وزو....14
مستوى الطموح في ظل نظام . ل م د ـدراسة ميدانيةعل عينة من الطلبة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط
أ. عياط الامين - أ.د.عبد الفتاح أبي مولود...جامعة الأغواط-جامعة ورقلة....27
ظاهرة الاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة دراسة ميدانية على عينة من طلبة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط
أ- صالح الدين إبراهيمي - د. أحمد بن سعد ..جامعة الأغواط...45
إشكالية استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي: تخصص الإذاعة والتلفزيون بجامعة الجزائر3 نموذجا د.كريم بلقاسي...جامعة الجزائر3..61
دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عملية تسيير الموارد البشرية
د. يحياوي نعيمة –أ.عنصر أحلام.... جامعة باتنة1..73
أخلاقيات والتزامات الأستاذ الجامعي في ظل التحديات الراهنة
د.عيـــواج عـــذراء...جامعة قسنطينة...85
دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في دعم التعليم الإلكتروني لدى الطلبة الجامعين .دراسة استكشافية بجامعة باتنة1
د.ربيعي فايزة ....جامعة باتنة...97
التغذية الصحية لدى مرضى السكري-دراسة ميدانية على عينة من مرضى السكري
د. عيادي نادية - أ. مراد كشيشب...جامعة الشاذلي بن جديد الطارف....109
- مساهمة الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي بالدول المصدرة للمحروقات:تحليل وقياس حالة الاقتصاد الجزائري للفترة (2000-2015) –
أ. سليم العمراوي-أ.د. يحي سعيدي.....جامعة المسيلة..119
واقع تطبيق الإدارة الاستراتيجية في المؤسسة الجزائرية دراسة حالة ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته
أ. بلعيد سمية -أ.د. بن زيان إيمان ....- جامعة باتنة1 ...143
- السر المصرفي وإجراءات مكافحة الفساد المالي
د.بن عشي حسين...جامعة باتنة 01...157

أثر استغلال رأس المال الفكري على دعم القدرات الإبداعية في المصارف–دراسة حالة المصارف العاملة بمدينة قسنطينة –
د.مهوب سماح ...جامعة قسنطينة -2-...170
التسويق بالعلاقات لتغيير التسيير بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية-دراسة ميدانية بالصندوق الوطني للتوفير والاحتياط – CNEP banque
أ.طيار ليلى ...جامعة عنابة -..187
الإعلام السياحي ودوره في تنمية السياحة بالجزائر- جريدة السياحي الجزائرية نموذجا-
أ. إيمان عبادي -أ. حياة ابراهيمي....جامعة الجزائر3...196
الذاكرة التنظيمية كمؤشر دال عن التعلم التنظيمي دراسة ميدانية بمؤسسة" أرسيلور ميتال"
أ.زيدي إلهام... جامعة عنابة-..208
أحكام المسؤولية المدنية للطبيب المختص باستخدام التقنيات الطبية المنظمة للإنجاب -وفق التشريع الطبي الجزائري –
أ.شايفة بديعة - د برايك الطاهر ...جامعة الأغواط...218
استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية
عثمان آل عبد العزيز بوشكيوة...جامعة سكيكدة...229
دور الإدارة المحلية في المنازعة والتحصيل الجبائي
د.نواصرية الزهراء....جامعة عنابة ...240
ضمان المحترف لعيوب المبيع
أ.إيمان بوشارب...جامعة عنابة...251
البلاغة العربية بين منهج التّدريس، وطرق التّيسير
أ.صليحة بلخيري...جامعة الجزائر1...266
شعرية التناص في رواية "خرفان المولى" للروائي "ياسمينة خضرا"
أ. سماحي رفيقة...جامعة بشار....279
الثورة التحريرية من منظور نقاد الشعر في الجزائر
أ. بوساحة سهيلة...جامعة -برج بوعريريج-...290
بنية "ثورات الخصوصية" في براديغم العولمة: انهيارات النمذجة وتأسيسات "التنوعية"
د. فرقاني فتيحة .... جامعة جيجل..303
التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي دراسة ميدانية مقارنة في التعليم المتوسط
د. خلفان رشيد –أ.مباركي محند أورابح ...جامعة تيزي وزو...310

مجالات العقل ومقوّمات الاجتهاد عند ابن حزم وابن رشد وأبي يعقوب الوارجلاني

د. المبروك الشّيباني المنصوري، د. سليمان الشعيلي، د. سعيد الصوافي، د. عبد الله الهنائي
قسم العلوم الإسلامية بكلية التربية بجامعة السلطان قابوس

الملخص:يحتلّ العقل مكانة متميّزة في الفكر الإسلامي في بلاد المغرب على اختلاف مذاهبه ومشاربه. وعلى النّظر العقليّ المستند على تأصيل شرعيّ متين تأسّس تفكير المغاربة وتأصيلهم لمقولة الاجتهاد ومقوّماته باعتباره فعلا باحثا عن سُبل الحقّ الثّاوية في الشّرع. ويحلّل هذا البحث بمنهجيّة مقارنيّة أفكار ثلاثة من الرّوّاد المغاربة في هذا المجال وهم ابن حزم الظّاهري وابن رشد المالكيّ وأبي يعقوب الوارجلاني الإباضي. ويسعى البحث إلى استكناه أسس التّفاعل والتّكامل بين هؤلاء المفكّرين الثلاثة الّذين قد يوهم النّظر الجزئيّ المبتور إلى أعمالهم وأفكارهم استحالة الجمع بينهم. ولكنّ التّحليل المقارنيّ المتقصّي قد بيّن أنّهم قد أسّسوا أفكارهم على نفس المنطلقات وبنوا آراءهم على ذات الأسس فتشابهت عندهم العبارة والإشارة.

الكلمات المفتاحيّة: العقل، الاجتهاد، التجديد، المنطق، الأصول

Abstract : Reason occupies a distinct position in the Islamic thought in the Maghreb, with all its different aspects and implications. Maghribi intellectuals established a distinguished theory of reson and founded the category of Ijtihaad on mental consideration and solid legal basis. This research comparatively tackles the thought of three Maghribi pioneer thinkers in this field, namely Ibn Hazm al-Dhahiri, Ibn Rushd al-Maliki and Abu Ya'qub al-Warglani the Ibadi. The research seeks to capture the foundations of interaction and integration between these three thinkers and tries to demonstrate that they have established their ideas on the same premises and built their views on the same basis and they have similar terminologies and theoretical framework.

Key words: Reason, Ijtihaad, Tajdeed, Mantiq, Usul

1- مجالات العقل ومقوّمات الاجتهاد عند ابن حزم

لنفهم المنزع العقليّ في الفكر المغربيّ في أصول الفقه وأصول الدّين كليهما لا بدّ من العودة إلى ابن حزم وتبيين السّبيل الّتي سلكها لأنّه سيكون لها تأثير مباشر في كلّ الّذين جاؤوا بعده بدءا بأبي بكر بن العربي صاحب "أحكام القرآن" ووصولا إلى الشاطبي في "الموافقات" وابن خلدون في "المقدّمة".

ولعلّ أوّل ما يشدّ الانتباه هو انفتاح كتاب ابن حزم "الإحكام في أصول الأحكام" بمقدّمة بحث فيها "حجج العقول" وحدّ فيها جميع مصطلحاته. وهذا تمشّ منهجي منطقي في فاتحة كتاب تأسيسي[1] وجملة هذه المصطلحات هي: "الحدّ" و"الرّسم" و"العلم" و"الاعتقاد" و"البرهان" و"الدّليل" و"الحجّة" و"الدّلالة" و"الإقناع" و"التّقليد" و"الإلهام" و"الإبانة" و"التّبيين" و"الحقّ" و"الأصل" و"الفرع"[2]. وعلى جملة هذه المصطلحات سينبني كلّ فكر ابن حزم في ترتيباته وتفريعاته، وسيتبعه ابن رشد في ذلك.

وقسّم ابن حزم القوى الإنسانيّة إلى "جاهلة" و"شهوانيّة" و"تمييزيّة" و"عاقلة". وبما أنّ القوتين الأولى والثّانية بعيدتان عمّا كان بصدد تأصيله فقد ارتكز بحثه أساسا على القوّتين الثّالثة والرّابعة. وسعيا منه إلى تأصيل المنهج المنطقي العقليّ بصفته داعما للفكر الشّرعي ذهب إلى أنّ "قوّة التّمييز" عنده، وعند من يسميّهم "الأوائل"، هي المنطق. وأهميّة هذه القوّة اعتباريّة إذ "جعلها الله السّبيل إلى فهم خطابه وإلى معرفة الأشياء على ما هي عليه وإلى إمكان التفهّم الذي به ترتقي درجة الفهم وتتخلّص من ظلمة الجهل. فبها تكون معرفة الحقّ من الباطل"[3].

---

[1] P. Heath, Knowledge, in; M. R. Menocal, R. P. Scheindlin, M. Sells (Ed), the literature of al- Andalus, Cambridge University Press, 2000, 96- 124.

[2] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط. 2، 1983، 1، 35- 51.

[3] نفسه، 1، 4.

في هذا التّعريف عنصران مركزيّان. أمّا الأوّل فهو أنّ القوّة التّمييزيّة، أو قوّة المنطق، بما هي سبيل إلى "معرفة الأشياء (=الموجودات عند ابن رشد) على ما هي عليه"، ليست سوى وجه آخر من وجوه العلم. وقد عرّف ابن حزم العلم بأنّه "تيقّن الشّيء على ما هو عليه إمّا عن برهان ضروري موصل إلى تيقّنه كذلك إمّا أوّل بالحسّ أو ببديهة العقل وإمّا حادث عن أوّل"[1].
أمّا العنصر الثّاني فهو تمييزه النّظري بين "الفهم" و"التفهّم"[2] عبر مصطلح الارتقاء. وصيغة الفعلين دالة من جهة أنّ الفهم هو الفعل البسيط الذي قد يتاح لأي كان. أمّا التفهّم الذي يقتضي التدرّج للوصول إلى مراتب الحق فهو من صفة العلماء. وتمييز ابن حزم بين المصطلحات ذات الجذر الاشتقاقي الواحد، كما فعل عند تمييزه بين "الإبانة" و"التّبيين"، دليل على عمق تفكّر ابن حزم في كلّ مصطلحاته من جهة كيفيّة استعمالها، ومن جهة دلالاتها.
ولكنّ الطّريف هو إلحاق ابن حزم القوّة الرّابعة بالثّالثة. فقوّة العقل ليست سوى تابع للقوّة التّمييزيّة. فهي "تعين النّفس المميّزة على نصر العدل وعلى إيثار ما دلّت عليه صحّة الفهم وعلى اعتقاد ذلك علما"[3]. وإذا رمنا تبسيط هذه المصطلحات الحزميّة قلنا: إنّ من ميّز بين الحقّ والباطل واختار الحقّ، نصر العقلُ والشّرعُ اختيارَه. ولم يُورد ابن حزم هذا التّأصيل المعمّق عفوا. بل هو نتيجة اختيار واع ودقيق لازمه كلّما فكّر وأنتج، إذ صرّح بأنّه قد أثبت هذه القاعدة العقليّة في ثلاثة من كتبه الأمّهات: "التّقريب لحدّ المنطق" و"الفصل" و"الإحكام".
عمادُ كتاب "التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العاميّة والأمثلة الفقهية"، باعتباره كتابا في المنطق، البحثُ في كيفيّة الاستدلال وإثبات أنواع البراهين التي بها يتميّز الحقّ من الباطل في كلّ مطلوب. وعماد كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنّحل" استثمار ما كان قد أصّله في كتاب التّقريب لتحديد صواب ما اختلف فيه النّاس من الملل والنّحل. وعماد كتاب "الإحكام في أصول الأحكام"، خاتمة هذا المشروع المتكامل، التّشريع للاجتهاد[4].
وختم ابن حزم مشروعه بكتاب الإحكام وختم كتاب الإحكام بـ"باب الكلام في الاجتهاد ما هو، وبيانه ومن هو معذور باجتهاده ومن ليس معذورا به ومن يقطع على أنّه أخطأ عند الله تعالى فيما أدّاه إليه اجتهاده ومن لا يقطع أنّه مخطئ عند الله ﷻ وإن خالفناه". وعاد فيه إلى إبطال التّقليد، بعد أن كان أبطل القول بالتّقليد والقول بالخبر والقول بالإلهام والقول بالإمام المعصوم والقول بالتّأويل الباطن، في مبتدإ الكتاب[5]. فالدّين عند ابن حزم، كما عند كثير من المغاربة "ظاهر لا باطن فيه وجهر لا سرّ تحته... وكلّ من ادّعى أنّ لله ديانة سرّا وباطنا فهي دعاوى ومخارق... ولا كان عنده ﷺ سرّ ولا رمز ولا باطن غير ما دعا النّاس كلّهم إليه... ومن قال هذا فهو كافر"[6].
ورغم أنّ التّشريع للاجتهاد هو خاتمة مشروع ابن حزم فقد أصّله تأصيلا معمّقا في كلّ مفاصل كتابه. وأهمّ ما ركزّ عليه هو "حجّة العقول" باعتبارها الموصل إلى اليقين العقلي والقلبي كليهما: أي "السّعادة" التي يسعى إليها المؤمن حسب اصطلاح ابن رشد. ومن هنا "فقد صحّ أنّ المرجوع إليه حجج العقول وموجباتها وصحّ أنّ العقل إنّما هو مميّز بين صفات الأشياء الموجودات وموقف للمستدلّ به على حقائق كيفيّات الأمور الكائنات وتمييز المحال منها"[7].

---

[1] نفسه، 1، 36.
[2] نفسه، 1، 35- 51.
[3] نفسه، 1، 4- 5.
[4] نفسه، 1، 8.
[5] نفسه، 1، 13 وما بعدها.
[6] نفسه، 2، 274- 275.
[7] نفسه، 1، 28. وعن علاقة الفلسفة بالسعادة في الفكر الرشدي انظر Oliver Leaman, Ibn Rushd on Happiness and Philosophy, Studia Islamica, No. 52. 1980, 167- 181.

فالعقل عند ابن حزم ينظر في الشّرع ولكنّه لا يشرّع: أي إنّه لا يحرّم أو يحلّل. وهو بهذا يؤسّس لحدّ بيّن في عمل الفقهاء والمفتين. وهذا الحدّ ينسجم مع ما كان قد أصّله في مقالاته الكلاميّة من عدم إمكانيّة إطلاق أسماء على الله لم ينصّ الشّرع عليها مثلا. فمن "ادّعى أنّ العقل يحلّل ويحرّم أو أنّ العقل يوجِد عللا... أو أن يكون للعقل رتبة في تحريم شيء أو تحليله أو تحسينه أو تقبيحه... فهو بمنزلة من أبطل موجب العقل جملة"[1]. ولكنّ العقل والشّرع لا يتعارضان كما لا تتعارض القوّة التّمييزيّة والقوّة العقليّة لأنّ العقليّة هي السّبيل لنصرة التّمييزيّة، وهو وجه آخر من قوله إنّ الشّريعة لم تحسّن إلا ما حسّنت العقول ولا تقبّح إلا ما قبّحت"[2]. وهنا يتّضح دور العقل في هذه النّظريّة: إنّ العقل لا يوجب على الله حكما لأنّه خالقه وليس من طبيعة المخلوق حدّ الخالق. فهو "مفهم عن الله تعالى مراده ومميّز للأشياء التّي قد رتبها الباري تعالى على ما هي عليه فقط"[3]. وأبو الوليد الباجي وابن رشد يوافقان ابن حزم في هذه القضيّة موافقة كليّة، وإن كانت عبارة ابن رشد في فصل المقال أوضح وأدقّ على ما سيتبيّن لاحقا.

وبعد حدّ القوى الإنسانيّة وحدّ قوى العقل يصير ابن حزم إلى حصر طرق العلم في سلسلة مقاليّة مترابطة يؤدّي السّابق منها إلى اللّاحق ويتولّد عنه تولّدا منطقيّا. وطرق العلم عند ابن حزم اثنان لا مزيد عليهما: أحدهما ما أوجبته بديهة العقل وأوائل الحسّ والثّاني مقدّمات راجعة إلى بديهة العقل وأوائل الحسّ[4]. وتلازم بديهة العقل وأوائل الحسّ وتجنّب غوائص العقل وغوامض الحسّ مقالة عمرانيّة هدفها التّيسير على المسلم حين نظره في الكون أو في الشّرع، وفيها ردّ على من أوجب الاستدلال من الأشاعرة. وابن حزم وابن رشد من أكبر معارضي الفكر الأشعري في بلاد المغرب. وقد صرّح ابن حزم بأنّه حصر طرق العلم في هذين الفرعين واعتمد عليهما في كلّ كتبه. وهنا تتمّ الدّيباجة الحزميّة ليشرع بعد ذلك في تأصيل الأصول وتفريع الفروع والقرآن منطلقه.

هذا هو أسّ المشروع الحزمي في العقيدة والشّريعة كلتيهما. وهو مشروع عقلي مترابط ينطلق فيه من العقل أوّلا فيثبت "بالدّليل القطعي" وجود الله ووحدانيّته ونبوّة محمّد عليه السلام وصدق رسالته. حتّى إذا تمّ له ذلك يكون قد أثبت صدق القرآن والسنّة فيعتمد عليهما وحدهما ويأخذ بظاهر نصوصهما جاعلا من اللّغة إطاره المرجعي في فهم مضمونهما ولا يبيح صرف كلمة من المعنى اللغوي الظّاهر المعروف إلى معنى آخر إلا إذا أوجب ذلك نصّ أو إجماع أو بديهة حسّ أو عقل[5]. وهذا موطن أوّل من مواطن تأثير ابن حزم في ابن رشد.

ولكنّ ابن حزم قد تجاوز هذا الإطار الشّرعي ليؤسّس لمستوى جديد في النّظر قوامه المنطق. فمن لم يعرف المنطق "لم يجز له أن يفتي بين اثنين لجهله بحدود الكلام وبناء بعضه على بعض وتقديم المقدّمات وإنتاج النّتائج التي يقوم بها البرهان وتصدق أبدا أو يميّزها من المقدّمات التي تصدق مرّة وتكذب مرّة أخرى"[6].

وهذه أولى الدّعوات إلى الاعتماد على المنطق في التّفكير الإسلامي العقدي والأصولي والفقهي. وسنرى أنّ هذه الدّعوة قد لقيت صدى واسعا عند ثلاثة من الأصوليّين الكبار في القرن السّادس وهم الغزالي وأبو يعقوب الوارجلاني وابن رشد، وإن بكيفيّات مختلفة. وكتاب ابن حزم دال من عنوانه فهو "التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العاميّة والأمثلة الفقهيّة". ويمثّل هذا الكتاب أولى الدّعوات إلى تبيئة المنطق في الثّقافة العربيّة بتبسيط العبارة واستعمال الأمثلة الفقهيّة المأخوذة من الحياة

[1] ن ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1، 28.
[2] نفسه، 1، 57.
[3] نفسه، 1، 69.
[4] نفسه، 1، 65.
[5] الجابري، تكوين العقل العربيّ، الدّار البيضاء، المركز الثّقافي العربي، ط. 3، 1987، 309.
[6] ابن حزم، التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تح. إحسان عباس، بيروت، مكتبة الحياة، د. ت.، 10.

العامّة[1]. وهو عمل واصله أبو حامد الغزالي عبر التّمثيل لقواعد المنطق بأمثلة من الفقه والكلام[2]. فصدّر المستصفى بمقدّمة في المنطق قال عنها إنّها "مقدّمة العلوم كلّها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا".

وقد حلّت هذه المقدّمة المنطقيّة مكان المقدّمة الكلاميّة التي كان الأصوليّون يعتمدون عليها. وسعى الغزالي إلى جعل المنطق هو الذي يؤسّس لأصول الفقه وليس علم الكلام. فصدّر المستصفى بهذه المقدّمة ليتمكّن من لا يعرف المنطق من الاطّلاع على الكيفيّة التي يجب أن تُسبر بها الأدلّة وتُختبر. وذهب الجابري إلى أنّ المدى الذي بلغه ابن حزم في الدّعوة إلى تبيئة المنطق أبعد ممّا ذهب إليه الغزالي فابن حزم لا يقتصر على الدّعوة إلى الاعتماد على المنطق الأرسطي في العقليّات وحدها بل إنّه يدعو إلى الاعتماد عليه في الفقهيّات أيضا[3]. وهذا موطن تأثير ثان لابن حزم في ابن رشد.

أما موطن التّأثير الحزميّ الثالث في ابن رشد فهو دعوته إلى الأخذ بعلم عصره: طبيعيّات أرسطو، واتّخذه أساسا لتشييد رؤيته الجديدة[4]. والدّعوة إلى اعتماد النّظر الفلسفي في الموجودات، باعتبار الفلسفة خطابا عقليّا كونيا يهدف إلى نفس ما تهدف إليه الشّريعة: الفضيلة وحُسن السّياسة، من أهمّ ما يميّز مشروع ابن حزم. ف"الفلسفة على الحقيقة إنّما معناها وثمرتها والغرض المقصود نَحْوُهُ بتعلّمها ليس شيئا آخر غير إصلاح النّفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السّيرة المؤدّية إلى سلامتها في المعاد وحسن السّياسة للمنزل والرّعيّة. وهذا نفسه لا غيره هو الغرض من الشّريعة". ثمّ يتساءل ابن حزم: أليست الفلسفة بإجماع من الفلاسفة مبيّنة للفضائل من الرّذائل موقفة على البراهين المفرّقة بين الحقّ والباطل"[5]. وسيبلغ ابن رشد بهذه الدّعوة مداها في "تهافت التّهافت" وفي "فصل المقال فيما بين الحكمة والشّريعة من اتّصال" على ما سيتبيّن لاحقا.

ونقطة الالتقاء الرابعة بين ابن حزم وابن رشد هي موقفهما من التّقليد والمقلّدين. فرغم التّأصيلات المعمّقة لهذه الأسس الفكريّة عند ابن حزم فإنّها لا تمثّل سوى تمهيد لخاتمة هذا المشروع التّجديدي أي تأصيل مقالة الاجتهاد في الفكر الإسلامي. والتّأسيس للاجتهاد يقتضي نقض التّقليد. والبيّن أنّ ابن حزم لم يفصل بين التّقليد والاتّباع، لا مفهوميّا، وإنّما في صلتهما بالاجتهاد باعتبار كليهما نقيضا له وإن اختلف حدّ كلّ واحد منهما[6]. ومثلما ختم ابن حزم كتابه بإبطال التّقليد والتشريع للاجتهاد، كتب ابن رشد في آخر أيّامه كتاب "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" ليعلن أنّ السّبيل الوحيد لتجدّد الفكر الإسلامي وتطوّره هو فتح باب الاجتهاد.

وكان ابن حزم قد صدّر المحلّى بإبطال التّقليد إبطالا كليّا بل إنّه حرّمه تحريما شاملا لكلّ البشر على اختلاف أصنافهم[7]. والغايةُ من إبطال التّقليد والاتّباع تأسيسيّةٌ. إنّها دعوة إلى التّشريع للاجتهاد وفق قواعد وقوانين تؤدّي الغرض الذّي يرمي إليه ابن حزم وسيتبعه فيه ابن رشد. وقد انطلق في التّشريع للاجتهاد من تفكيك دلالات المصطلح ثمّ حدّه حدّا تأسيسيّا. والسّبب في ذلك، حسب رأيه، الجهل بأسّ المصطلح وقوامه ومبتغاه عند المتكلّمين فكيف بالفقهاء!

---

[1] ذكر طه عبد الرّحمان أنّ هذا الكتاب لا يزال يحتاج إلى من يقوم بتحليل وجوه التّحويل المضمونيّة التي أحدثها صاحبه في المحتوى المنطقي ويقوم باستنباط الآليّات الصّوريّة التي استخدمها في هذا التّحويل. ومن شأن ذلك أن يبيّن كيف يمكن تجديد الفكر المنقول تجديدا لغويّا متى كان المراد الخروج عن التّقليد الأعمى والدّخول في إنشاء لغة فكريّة على مقتضى التّبليغ العربيّ. طه عبد الرّحمان، تجديد المنهج في تقويم التّراث، بيروت- الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط. 2، د. ت.، 331- 332.

[2] محمّد عابد الجابري، بنية العقل العربيّ، 437.

[3] نفسه، 522.

[4] عبد المجيد التّركي، مناظرات في أصول الشّريعة بين ابن حزم والباجي، تع. عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1986، 324، 415، 435.

[5] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تح. محمّد إبراهيم نصير وعبد الرّحمان عميرة، بيروت، دار الجيل، 1985، 1، 171.

[6] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام،6، 60.

[7] ابن حزم، المحلّى، تح. لجنة إحياء التراث العربي، بيروت، دار الآفاق الجديدة، د. ت، 1، 66. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 1، 99- 100.

ارتكز تعريف الاجتهاد على مصطلحين أساسيّين اختزلا بنيته وقوامه وهما "الجهد" و"الإدراك" فقال إنّ "حقيقة بناء لفظة الاجتهاد أنّه افتعال من الجهد وحقيقة معناها أنّه استنفاذ الجهد في طلب الشّيء المرغوب إدراكه حيث يرجى وجوده فيه أو حيث يوقن بوجوده فيه"، في حين اقتصر أبو الوليد الباجي في تعريفه على أنّه "بذل الوسع في بلوغ الغرض"[1]. وفي استعمال ابن حزم لمصطلح الإدراك وعي عميق بجملة الإشكاليّات التي تحيط بالمصطلح. وفيه أيضا مماثلة للشّريعة بالطّبيعة. فالسّبيل إلى وجود الشّيء في الكون هو إدراكه. وما يقع خارج حدود الإدراك معدوم إلى أن يتمّ إدراكه. والشّيء موجود في الطّبيعة كما أنّ الحكم في النّازلة موجود في الشّريعة. فإذا أدركنا الأوّل صار موجودا فسمّيناه. وإذا أدركنا الثّاني صار معروفا فحكمنا به. وهكذا فكما أنّه لا شيء خارج الكون فكذلك لا حكم خارج الشّريعة، وطاقة الإدراك هي كشف هذا بذاك. هذا هو بُعْد نظريّة ابن حزم وعمقها الكوسمولوجي والأنطولوجي معا. من يراها بعين غير منفتحة على مختلف آفاق علوم عصره لا يبصر منها سوى خارجها ليقول إنّ فيها تكبيلا للفكر الاجتهاديّ وحصرا لأحكام النّوازل.

ولكنّ من يقرأ ابن حزم من خلال مجمل فكره يدرك أنّه خرج من الدّين إلى الكون. وماثل الأول بالثاني. فكما أنّ الله قد خلق كلّ شيء منذ أمد وأتمّ خلقه وما على الإنسان إلا اكتشافه فإنّه قد أودع في الشّريعة كلّ حكم ولم يبق للإنسان، بما ركّب فيه من طاقات، والعقل أوّلها، إلا أن يكتشفه أيضا. ومعرفة أسرار الكون غير متاحة لكلّ البشر وكذلك أحكام الشّرع. فمثلما أنّ في الكون خوافيَ فكذلك في الشّرع ما لم يكلّفنا معرفته. وما يدعم مقاربة الفكر الاجتهادي الحزمي هذه المقاربة هو استعماله لعدد من المصطلحات الطّبيعيّة. وقد اعتبر القرآن والسّنّة "معادن" العلم الشّرعي، مثلما أنّ المعادن مادّة العلم الطّبيعيّ.

والمجتهدون حسب تصوّر ابن حزم صنفان: مصيب ومخطئ لأنّ الحقّ لا يكون في قولين مختلفين في حكم واحد في وقت واحد في وجه واحد. والمسبار للقطع بإصابة المصيب وخطأ المخطئ هو ما سمّاه "البراهين الضّروريّة القاطعة"[2]، وهو مصطلح عقليّ مركّب. وقد أوجبت هذه البراهين اعتبار قسم ثالث تقصر عنه هذه البراهين فلا تميّز إصابته من عدمها. وهذا الصّنف متوقَّف فيه إلى أن يتيسّر من الدّلائل والبراهين ما يجوّز إرجاعه إلى أحد القسمين المركزيّين، لأنّ الحقّ لا يضادّ الحقّ، عند ابن حزم، تماما كما هو عند ابن رشد، بل يوافقه ويشهد له.

2- مجالات العقل ومقوّمات الاجتهاد عند ابن رشد

استثمر ابن رشد جملة هذه الأصول الحزميّة ووظّفها في تشييد نظرة تكامليّة بين العقل والنّقل لا في أصول الفقه فقط، بل في أصول الدّين وأصول العقل أيضا. وأثّر رشد بذلك في كلّ الفكر الإنسانيّ، وعلى فكره ستنبني نهضة أوروبا في كثير من أبعادها، وإن كانت قد أخذت من ابن رشد علقه وتركت نقله. والمشكلة في كثير من الأبحاث العربيّة اليوم أنّها تنظر إلى المفكّرين المسلمين القدامى وكأنّهم جزر منعزلة لا صلة فكرية بينهم وهذا ما يحدّ من اكتشاف ثراء فكرهم ومن إمكانيّة توظيفه والبناء عليه. والحقيقة أنّه لا يمكن صياغة أي بحث يعالج مجالات العقل والنّقل عند المسلمين القدامى دونما تحليل آراء ابن حزم والغزالي وابن رشد على الأقل ودونما تبيّن الصّلات المعرفيّة بين أصول الفقه وأصول الدّين وأصول العقل وإدراك الوشائج التّفاعليّة بينها. ويتأكّد ذلك بالنّظر في أهمّ ما يميّز التّفكير الأصولي الرّشدي.

وإذا ما أردنا أن نحلّل الفكر الرّشدي لنستجلي مجالات العقل فيه ومقوّمات الاجتهاد عنده يمكن أن نستند إلى كثير من الرّؤى الّتي اعتبرت الفكر الرّشدي في مجمله يقدّم إجابات لأسئلة فكريّة كبرى لا زالت مطروحة على العقل الإنسانيّ منذ عصره. وقد لخّصها الأستاذ عبد الرزاق قسوم في جملة من النّقاط، تتّصل منها ببحثنا نقطتان اثنتان:

1-ما الضّروريّ من المعرفة العلميّة لبلوغ العقل الإنسانيّ أعلى مستوى من النّضج والكمال؟

---

[1] الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح. عبد المجيد التركي، باريس، ميزوناف إي لاروز، 1978، 13.

[2] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 8، 136.

2-إلى أيّ حدّ نستطيع الاعتماد على عناصر التّراث بمختلف مكوّناته الفقهيّة والكلاميّة والفلسفيّة وحتّى السّياسيّة لصياغة فكر إسلاميّ متكامل يقوم على البرهنة والإقناع في تناسق وتناغم كاملين بين العقل والنّقل؟[1]

فما الأسس الفكريّة لابن رشد؟ وما مجالات العقل عنده؟ وكيف شرّع لمقولة الاجتهاد في الفكر المغربيّ؟

يعتبر ما نحا إليه ابن رشد في كتابه "الضّروريّ في أصول الفقه" تكميلا للمشروع الحزميّ في كتابه "الإحكام في أصول الأحكام" من جهة، وتلخيصا مباشرا لكتاب الغزالي "المستصفى في أصول الفقه" من جهة أخرى[2]. ورغم أنّ ابن رشد مالكيّ فإنّ الكتاب الأصوليّ لأبي الوليد الباجي المالكي "إحكام الفصول في أحكام الأصول" لم يلق عنده اهتماما كبيرا لاختلاف المنهج الّذي سلكه أبو الوليد الباجي عن المنهج الّذي سلكه أبو الوليد بن رشد، وإن كان الباجي قد نحا منحى جدليّا عقليّا في كتابه "المنهاج في ترتيب الحجاج" فإنّه لم يرْقَ إلى عمق الفكر الّذي اتّسم به ابن حزم رغم أنّهما عاشا في نفس الفترة التاريخيّة بالضبط وهي أواسط القرن الهجريّ الرابع.

قد يكون من أهمّ ما يميّز التفكير الأصوليّ عند ابن رشد هو سعيه إلى تأكيد وجوب العودة إلى الأصول: "المعادن" حسب العبارة الحزميّة، بعيدا عن الرّأي والتّأويل المفضيين إلى الفرقة والاختلاف. وقد أجمل الفقيه أبو بكر الحافظ بن الجدّ هذا التّوجّه قائلا "لمّا دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب (558- 580/ 1163- 1184) أوّل دَخْلَة دَخَلْتُها عليه وجدت بين يديه كتاب ابن يونس (في الفقه المالكيّ) فقال لي: يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعّبة التي أُحْدِثَتْ في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحقّ؟ وأيّها يجب أن يأخذ بها المقلّدُ؟ فافتتحت أبيّن له ما أشكل عليه من ذلك فقال لي وقطع كلامي: يا أبا بكر ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان على يمينه، أو السّيف"[3].

وأصل الفكر الرّشدي كامن في كتابين اثنين منشورين حديثا هما "الضّروري في النّحو" و"الضروري في أصول الفقه"[4]، وهما من أوّل ما ألف ابن رشد حوالى منتصف القرن الهجريّ السّادس، وأغلب ما جاء بعدهما مثل "الكشف عن مناهج الأدلّة" و"بداية المجتهد"، يستبطن ذلك البعد[5].

ف"الضّروري في أصول الفقه" اختصار المستصفى على نحو طريف بما أنّه ليس اختصارا بالمعنى الحرفي للكلمة، بل هو اشتغال على فكر الغزالي المبثوث في المستصفى ومجادلة له وتعميق لكثير من المحاور والإشكاليّات التي يطرحها الكتاب. وهدفه هو إبراز طريقة جديدة في التّعامل مع أصول الفقه هي "طريقة الفلاسفة" في مقابل "طريقة المتكلّمين" و"طريقة الفقهاء" المعهودتين[6]. والمقارنة بين النصّ الرّشدي ومتن الغزالي تبيّن أنّ نصّ ابن رشد ليس مجرّد تلخيص للمستصفى، بما أنّ ابن رشد قد خالف الغزالي في جملة من المحاور أهمّها صلة المنطق بأصول الفقه.

ويقترب ما سطّره الغزالي ممّا صبا إليه ابن حزم في قضيّة تبيئة المنطق في الثّقافة العربيّة أوّلا ووصله بأصول الفقه ثانيا. إلا أنّ ابن حزم قد خصّص لذلك كتابا مستقلّا هو كتاب التّقريب واعتمد على بعض نتائجه في كتابه الإحكام في أصول الأحكام

---

[1] عبد الرّزاق قسوم، "المنهج العقلي عند ابن رشد حلقة وصل في حوار الحضارات"، 216- 217، ضمن مقداد عرفة منسية (نا.)، ابن رشد فيلسوف الشرق والغرب"، تونس، المجمع الثقافي، 1999، 213- 245.

[2] محمّد عابد الجابري، بنية العقل العربيّ، دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ط 2، 1987، 514.

[3] المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح. محمّد زينهم محمّد عزب، القاهرة، دار الفرجاني، 1994، 1، 81.

[4] وقد ذكر المرّاكشي أنّ له كتابا آخر عنوانه "الضّروري في المنطق" ممّا يؤكّد أنّ ابن رشد امتهن تأصيل الضّروري من العلوم في العصر الموحّدي. المرّاكشي، الذّيل والتّكملة، السّفر السّادس، فهرس الكتب.

[5] عبد المجيد الصغيّر، الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام: قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشّريعة، بيروت، المؤسسة الجامعية، ط. 1، 1994، 348.

[6] ابن رشد، الضّروري في أصول الفقه، تح. جمال الدين العلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، 1994، 8.

تصريحا أو تلميحا، على ما بيّننا سابقا. أمّا أبو حامد فقد صدّر كتابه بمقدّمة منطقيّة استعاض بها عن المقدّمات الكلاميّة المعهودة. وخالفه ابن رشد في هذا التوجّه الجديد المتمثّل في إدخال المنطق في أصول الفقه، دون أن يقلّل من أهميّة المنطق، قائلا إنّ أبا حامد "قد قدّم قبل ذلك مقدّمة منطقيّة زعم أنّه أدّاه إلى القول في ذلك نظر المتكلّمين في هذه الصّناعة في أمور منطقيّة... ونحن فلنترك كلّ شيء إلى موضعه فإنّ من رام أن يتعلّم أشياء أكثر من واحد في وقت واحد لم يمكنه أن يتعلّم ولا واحدا منها"[1].

وهذا توجّه تبسيطي هامّ قوامه عدم الخلط بين العلوم إذ أنّها تختلف مادّة ومنهجا. فللمنطق موضعه ولأصول الفقه موضعها. و"ليس ينبغي أن نفحص عن كلّ شيء ولا عن أشياء كثيرة في موضع واحد بل ينبغي أن يفرد بالقول كلّ واحد منها في الموضع اللائق به والذي يحمل على هذا حبّ التّكثير بما ليس يفيد شيئا"[2]. والبيّن أنّ ما قام به ابن رشد راجع إلى سببين اثنين: أمّا أوّلهما فمبنيّ على مصادرة قوامها أنّ التفكير المنطقي ليس متيسّرا لكلّ البشر من حيث ضوابطه ومناهجه، ومن ثمّ فاعتماده قاعدة للبحث الأصوليّ قد يؤدّي إلى التّشويش أو الاضطراب.

أمّا ثاني الأسباب فهو أنّ ما قام به ابن رشد مضمّن في عمل الغزالي في حدّ ذاته. فالغزالي لم يذهب إلى أنّ هذه المقدّمة المنطقيّة لصيقة بأصول الفقه على الإطلاق بل إنّها قابلة للحذف. وربّما هذا هو ما دفع ابن رشد إلى سلوك هذه السّبيل. يقول الغزالي "وليست هذه المقدّمة من جملة علم الأصول ولا من مقدّماته الخاصّة بل هي مقدّمة العلوم كلّها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا. فمن شاء أن لا يكتب هذه المقدّمة فليبدأ بالكتاب من القطب الأوّل فإنّ ذلك هو أوّل أصول الفقه"[3].

فيصير "الضّروري في أصول الفقه" اختصارا تبسيطيّا للمستصفى، لا على نحو ما عهدنا في الشّروح والاختصارات العربيّة القديمة والحديثة، بل هو قراءة ثقافيّة لنموذج من النّماذج الأصوليّة الفقهيّة التي أُنتجت في بيئة مختلفة عن البيئة المغربيّة، فاكتفت من هذا العلم بالضّروري فيها؛ أي ذاك الذي ينسجم مع عمرانها وحاجاتها وحذفت منه كلّ ما لا صلة وثيقة له بأسس هذا العمران. وقد حرص فيه ابن رشد على خلق انسجام وتوافق بين بنية الفكر الإسلامي، عقيدة وشريعة، وعلم الأصول. وهذا ما يجعل مركز عمل ابن رشد هو العنوان الأصلي لا العنوان الفرعي أي: "الضّروري في أصول الفقه" لا "مختصر المستصفى"، ويجعل التّفكير العقليّ الرّشديّ تفكيرا متأنّيا يسعى إلى إيفاء العلوم حقّها ووضعها مواضعها السّليمة والمفيدة، بدل المداخلة بينها مداخلة قد لا تفضي إلّا إلى التّشويش الفكري والاضطراب العقليّ.

وعلينا أن ندرك أنّ هذا المختصر يفتح بابا فريدا في التّراث العربي في التّعامل مع المتون الأصول كان بإمكانه أن يثمر نتائج تجديديّة كثيرة تعوّض ما أنتجه الشّرّاح والمحشّون في القرون اللاحقة. وهنا تصير القضيّة المركزيّة في جدوى ما قام به ابن رشد أوّلا وفي قيمته المعرفيّة والمنهجيّة ثانيا ثم في الآفاق التي يفتتحها في التّعامل مع المتون الأصول التي يعتبر القارئ نفسه، وابن رشد مثالنا هنا، ممتلكا لها امتلاكا كليّا يعيد فهمها وترتيب مفاصلها وإنتاجها وفق همومه الفكريّة ومشاغل عصره ومقاصده ورؤاه ومنطلقاته المعرفيّة والفكريّة .

ولعلّ ابن رشد كان يهدف، من خلال تبسيط أصول الفقه والاقتصار على الضّروري منها، إلى التّمهيد لـ"بداية المجتهد": كتابا، وتوجّها فكريا، وإلى تبيئة الاجتهاد والتّجديد في الفكر الإسلاميّ[4].

لنضف إلى ذلك أنّ ابن رشد لم يسع إلى تخليص أصول الفقه من المقدّمة المنطقيّة فقط، بل من كلّ ما لم يكن له بهذا العلم وثيق اتّصال، ولذلك كثيرا ما يردّد "والقول في هذه المسألة ليس من هذا العلم الذي نحن في سبيله". وقد استعملها

[1] نفسه، 37- 38. وليد خوري، "مدخل إلى مناقشة مختصر المستصفى لابن رشد"، 130.

[2] ابن رشد، الضّروري في أصول الفقه، 52.

[3] الغزالي، المستصفى من علم الأصول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. 2، 1983، 10.

[4] Maribel Fierro, The Legal Policies of the Almohad Caliphs and Ibn Rushd's Bidayat Al-Mujtahid, Journal of Islamic Studies, 1999, 10 (3): 226-248.

كلّما تطلّب السّياق النّظر في بعض المطالب الكلاميّة والفروع الفقهيّة والقضايا اللّغويّة والمسائل النّحويّة. ومثلما "اطّرح التّداخل الخارجي بين المعارف فكذلك اطّرح التّداخل الدّاخلي بينها مستندا إلى ثلاث حجج: تربويّة وعلميّة وإجرائيّة"[1].

وبهذا فقد سعى ابن رشد إلى تجريد هذا العلم من الهوامش المعرفيّة التي علقت به وإلى تقرير تباين العلوم فيما بينها بتباين موضوعاتها[2]. فقسّم المنظومة الأصوليّة إلى أربعة أجزاء: الأوّل يتضمّن النّظر في الأحكام والثّاني في أصول الأحكام والثّالث في الأدلّة المستعملة في استنباط حكم حكم عن أصل أصل وكيفيّة استعمالها. وكانت جملة هذه الأقسام تمهيدا للقسم الرّابع الذي أصّل فيه مقالة الاجتهاد وتضمّن النّظر في شروط المجتهد وهو الفقيه[3].

قسّم أبو حامد العلوم إلى عقليّة ودينيّة، والدّينيّة إلى كليّة وجزئيّة. وكان علم الكلام هو العلم الكلّي أمّا بقيّة العلوم، بما فيها أصول الفقه، فهي علوم جزئيّة. أمّا ابن رشد فذهب إلى تقسيم ثلاثيّ: علوم نظريّة وهي علوم الاعتقاد، وعلوم عمليّة، وعلوم آليّة. وأصول الفقه علم آلي منطقيّ. وأضاف قائلا "وهذه فلنسمّها مسبارا وقانونا. فإنّ نسبتها إلى الذّهن كنسبة البركار والمسطرة إلى الحسّ في ما لا يؤمن أن يغالط فيه"[4]. وهي علوم يُحتاج إليها لحوط الذّهن وليس الاعتماد عليها من البدع في الدّين لسببين اثنين يتفرّع ثانيهما عن الأوّل:

- الأوّل هو الاختلاف الزّماني بين القرن السّادس وأهل الصّدر الأوّل. فأهل الصّدر الأوّل لم يكونوا محتاجين إلى هذه الصّناعة كما لم يكن الأعراب محتاجين إلى صناعة النّحو والعروض مع تأكّد استعمالهم لها. وهذا الدليل يماثل دليله في الدّفاع عن القياس الفلسفي في فصل المقال. فعدم الاعتماد عليه في الصّدر الأوّل ليس دليلا على عدم مشروعيّته لأنّ العقول آنذاك لم تكن محتاجة لقوانين الاستنباط.

- والثّاني هو الاختلاف المكاني والزماني. فيجب مراعاة أحكام الزّمان والمكان وشروط العمران الأساسيّة، دون التّنصّل من السّلطة المرجعيّة للثّقافة التي نزل الوحيّ بلسانها ولهذا فكثير "من المعاني الكليّة الموضوعة في هذه الصّناعة إنّما صُحّحت بالاستقراء من فتواهم مسألة مسألة"[5].

وكما ختم ابن حزم مشروعه الأصولي بباب خصّصه للاجتهاد وشروطه وأحكامه كذلك فعل ابن رشد متأثّرا بتأصيلات ابن حزم وتفريعاته ومراميه جميعا. ومثلما مال ابن حزم إلى التّيسير على المجتهد من جهة عدم اشتراطه ما يعسّر الفعل الاجتهادي كذلك فعل ابن رشد وإن اختلفا في بعض القواعد مثل اعتبار ابن حزم أن المعادن الشّرعيّة اثنان فقط: القرآن والسّنّة في حين أضاف ابن رشد الإجماع. ومن ثمّ فالأصول الواجب معرفتها ثلاثة فقط: القرآن والسنّة والإجماع[6]. وليس على المجتهد سوى معرفة آيات الأحكام وهي نحو خمسمائة آية فقط وما اتّصل بها من علوم القرآن خاصّة علم النّاسخ والمنسوخ. وليس عليه من معرفة الأحاديث سوى تلك التي تتضمّن الأحكام. وليس عليه أن يبحث في أسانيدها وإنّما يكفيه النّظر في ما صحّ عنده من المتون كالبخاري ومسلم. وليس على المجتهد أن يكون عارفا بالكلام وفنونه، مخالفا الأصوليّين في ذلك. وليس عليه معرفة تفاريع الفقه لأنّه هو الذي يولّدها، بل إنّه لا حاجة له فيها أصلا، مخالفا الفقهاء في ذلك[7].

ولهذا انقسم النّاس إلى صنفين اثنين عند ابن رشد: مجتهد عالم ومقلّد عاميّ. والطّريف عنده أنّه ألحق الفقهاء بالصّنف الثّاني وجعل بعضهم وسطا بين العوامّ والمجتهدين. ومرتبتهم لا تربو عن مرتبة العوامّ المقلّدين. وما يميّزهم عن العوام هو

---

[1] وليد خوري، "مدخل إلى مناقشة مختصر المستصفى لابن رشد"، 128- 129.
[2] نفسه، 132.
[3] نفسه، 130.
[4] ابن رشد، الضّروري في أصول الفقه، 35.
[5] نفسه، 36.
[6] نفسه، 138.
[7] نفسه، 138- 139.

أنّهم يحفظون آراء المجتهدين وينقلونها إلى العوامّ. ولكنّهم لا يقصرون دورهم على مجرّد النّقل بل يتعدّون بأن يقيسوا ما لم يحفظوا له حكما عمّا حفظوا "فيجعلون أصلا ما ليس بأصل ويصيّرون أقاويل المجتهدين أصولا لاجتهادهم وكفى بهذا ضلالا وبدعة"[1].

وهنا يصير ابن رشد إلى قانون حكم نظرته إلى إشكاليّة الاجتهاد انطلاقا من شروط المجتهد وأصناف النّاس: فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا واحد من ثلاثة: إمّا أن نجعل أقاويل من سلف من المجتهدين فيما أفتوا فيه أصولا يستنبط عنها. وإمّا أن يتعطّل كثير من الأحكام. وكلا الوجهين ممتنع فلم يبق إلا الوجه الثّالث وهو ألا يخلو زمان من مجتهد"[2]. فهل ينطبق ذلك على ابن رشد؟

3- مجالات العقل ومقوّمات الاجتهاد عند ابن رشد

زار أبو يعقوب قرطبة وقضّى فيها ستّ سنوات متعلّما. وقد أثّر فيه الفكر الأندلسي تأثيرا كبيرا وخاصّة فكر ابن حزم وابن رشد. ولمّا عاد إلى وارجلان عمل على تطوير كثير من مفاصل المشروعين السّابقين انطلاقا من رؤية إباضيّة.

انطلق ابن حزم في تأصيله للأصول وتشريعه للاجتهاد من نقد أسس القول بالإلهام والقول بالعلم الباطن والقول بالتّقليد كما بيّنّا سالفا. ومن ذات التّأصيل انطلق أبو يعقوب. ورغم أنّ أبا يعقوب قد باشر تأصيل الأصول من نفس النّقطة التي ابتدأ منها ابن حزم فإنّ كيفيّة تلك المباشرة تبدو مختلفة باعتبار أنّ مفهومي الظّاهر والباطن هما مناط الخلاف. فقد "ذهب السّنّيون وداود بن علي إلى تغليب الظّاهر على الباطن على اختلافات بينهم[3] وقال الباطنيّة والقرامطة بالباطن وقال الأشاعرة بالوقف"[4]. وللمفهومين صلات وثيقة بقضايا الفهم والتّأويل التي كانت تشغل بال الأصوليّين المغاربة في تلك الفترة باعتبارها مستند التّفكير والإنتاج. ويبدو واضحا هنا أنّ أبا يعقوب يحلّل فهم الفهم ويدقّق نظرته إليه ليدرك كيفيّة التّعامل مع النّصّ لاستخراج الأصل الرّاجع إليه الحكم من جهة وليدرك طرائق تصريف النّصّ بشكل لا يتعارض مع "بدائه الحسّ ومقدّمات العقل" التي كان ابن حزم قد دقّقها تدقيقا منطقيّا صارما ثمّ ليدرك اختلافات المسلمين في التّعامل مع النّصّ انطلاقا من هذا الزّوج: الظّاهر والباطن. ولا ننسى أنّ كتابه في أصول الفقه كما هو في الاختلاف أيضا.

ولئن ذكر أبو يعقوب أغلب مقالات الإسلاميّين فإنّه ركّز تركيزا كليّا على الشّيعة لأنّه اعتبر أنّ الفكر الشّيعي الباطني هو الوحيد الجدير بالرّدّ عليه في تلك الفترة. فإن اتّجه ابن حزم إلى نقض الأصل أي إبطال الإلهام وإبطال القول بالإمام المعصوم وإبطال التّعليم وإبطال التّقليد، فإنّ أبا يعقوب صار إلى محاولة استكناه مفهوم الباطن في الرّؤية الشّيعيّة. فالمنطلق واحد ولكنّ المنهج مختلف؛ إذ ذهب ابن حزم إلى نقض الأصل بينما ذهب أبو يعقوب إلى أسّ التصوّر جملة. فاستعرض مقالة الشّيعة في أنّ الله خاطب ذوي الألباب بالأمور الباطنيّة وخاطب العامّة بالأمور الظّاهرة. وشرح الارتقاء من مرتبة التّكلّيف إلى مرتبة التّخفيف بالتّبحّر في معرفة الباطن. وبيّن الوجه الباطن للعبادات كما يصوّرها الإسماعيليّون[5].

ووافق أبو يعقوب الوارجلاني ابن حزم وابن رشد في جعل العلوم الشّرعيّة علوما برهانيّة طريق تقريرها العقل والمنطق أساسا. ولكنّ الطّريف هو اعتباره علم العقل والحواسّ علمين ضروريين. أمّا علم الشّرع وما يشبهه فهو من العلوم

---

[1] نفسه، 144- 145.

[2] نفسه، 145- 146.

[3] ذهب الوارجلاني إلى أن دليل الخطاب يقتضي نفي الحكم عمّا عدا الصّفة المتعلّق بها ثبوته. وقد قال بدليل الخطاب الشّافعي وكثير من الأشعريّة وأصحاب مالك وأهل الظّاهر. أبو يعقوب الوارجلاني، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، تح. عمرو خليفة النّامي. نصّ مرقون: مكتبة الأستاذ فرحات الجعبيري 179.

[4] نفسه، 133- 134.

[5] نفسه، 134- 141.

الاختياريّة[1]. يقول أبو يعقوب "ومحال أن يبرهن مبرهن على حقّ أو باطل بوجوه البرهانات لمن لا يعرف البرهان ولا يقرّ به. فإذا ما عرف وجوه البراهين وأقرّ بها أمكنك الكلام معه. فإن لم يف بالشّرطين جميعا كان الكلام معه لغوا ولا بدّ من معرفة الحقّ وإقراره به"[2] "لأنّ الحقّ لا يضادّ الحقّ بل يوافقه ويشهد له"[3] و"لأنّ اختلاف النّاس في الحقّ لا يوجب اختلاف الحقّ في نفسه. وإنّما تختلف الطّرق الموصلة إليه والقياسات المركّبة عليه والحقّ في نفسه واحد"[4].

وأصل هذا التّفكير الوارجلاني والرّشدي حزميٌّ. وليست عبارة موافقة الحقّ للحقّ رشديّة كما قد يُظنّ بل هي حزميّة أعاد ابن رشد صياغتها فقط. إذ يقول ابن حزم "إنّ من رام إبطال حجّة العقل بحجّة العقل فقد رام ما لا يجده أبدا وحجّة العقل لا تبطل حجّة العقل أصلا بل توجبها وتصحّحها... وهكذا كلّ شيء صحيح فإنّه لا يوجد شيء صحيح يعارضه أبدا، هذا يعلم ضرورة. ولو كان ذلك لكان الحقّ يبطل الحقّ وهذا محال في البنية"[5]. والسّابق أصل اللّاحق أبدا. ولا طريق للحقّ سوى البرهان.

ثمّ قسّم أبو يعقوب العلوم البرهانيّة إلى ثلاثة أقسام: عقليّة ولغويّة وشرعيّة[6]. وهذا التّفصيل فرع ممّا كان قد أصّله في اعتباره علميْ العقل والحواسّ علمين ضروريّين وعلم الشّرع علما اختياريّا. ولكلّ علم منها قوانينه فللعقلي قوانينه وللغوي قوانينه وللشّرعي قوانينه. ولكلّ منها حدّ ومطلع. "وعلى هذه العلوم الثّلاثة ينبني البرهان ومنها يتركّب. فمن لم يحسنها ويتعرّف على طرقها استعجمت عليه براهين الدّنيا فضلا عن برهان واحد منها"[7]. وهكذا فإنّ البرهان الصّحيح في العقليات ينبني على الحدّ والقياس والطّرد والانعكاس.

وقد بنى أبو يعقوب نظريّته على مفهوم الاقتضاء الذي كان أبو العباس أحمد بن بكر صاحب كتاب "مسائل التّوحيد" قد أصّله. فذهب إلى نسق منطقي مترابط اعتبر فيه أنّ "الحكمة الإلهيّة قد اقتضت وجود الخلق واقتضى وجود الخلق وجود العقل واقتضى وجود العقل وجود التّكليف واقتضى وجود التّكليف وجود الجزاء"[8]. والاقتضاء يُدرك من ثلاثة أصول: الكتاب والسنّة والرّأي. وأساس الثّلاثة قسمان مركزيّان. "فأصول اللّسان اللّغة والنّحو وأصول الجنان المنطق والفقه"[9]. وهي تشكّل مجتمعة أربعة مفاصل متكاملة "إذ باللغة يكون البيان وبالنّحو يكون التّبيان وبالمنطق تظهر حجج البرهان وبأصول الفقه تظهر معاني القرآن. فنسبة صناعة المنطق إلى العقل في المعقولات كنسبة صناعة النّحو إلى اللّسان في المقولات"[10]. وهو ذات المعنى الذي كان قد أوضحه في الدّليل والبرهان[11] مستقيا هذا التّصوّر من ابن حزم أيضا. فسمّى المنطق "الميزان

[1] أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، تح. سالم بن حمد الحارثي. عمان: وزارة التّراث القومي والثّقافة، ط. 2، 1997، 3، 218. انظر أيضا تفسيره لحديث خلق العقل وقوله "ومن العقل تفرّعت علوم المنطق آلة المتكلّمين. وعلوم المنطق برهانيّة وعلوم البرهان حقيقيّة. وعلوم العقل هي التي نبهت وقطعت أن لا إله إلا الله". أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 3، 241- 242.

[2] نفسه، 3، 4- 5.

[3] ابن رشد، فصل المقال، 15.

[4] ابن السيّد البطليوسي، الإنصاف في التّنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، تح. محمّد رضوان الدّاية. دمشق: دار الفكر، ط. 2، 1983 27.

[5] ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، 7، 196.

[6] أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 3، 5.

[7] نفسه، 3، 5.

[8] أبو يعقوب الوارجلاني، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، 1.

[9] نفسه، 1- 2.

[10] نفسه، 2.

[11] أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 3، 15.

ويقابله "الميزان الشّرعي". وركّبه من ثلاث مقدّمات ونتيجة انطلاقا من مستند قرآني هو محاجّة إبراهيم[1] واعتبره دليلا عقليّا وميّزه عن الدّليل الوضعي باعتبار الأوّل ضروريّا والثّاني اختياريّا مجازيّا[2].

وبما أنّ أصليْ اللّسان كانا قد استقاما وكذلك المنطق في اتّساق مبانيه وصحّة معانيه فقد ركّز أبو يعقوب تركيزا مباشرا على أصول الفقه لأنّها "غير مضبوطة بكثرة الاختلاف في فصولها وقلّة الاتّفاق على أصولها وكثرة التّنازع في محصولها لأنّها بُنِيت على أمارة وإشارة، وبراهينها مقصورة على تلويحات وتنبيهات ولم تكن براهينها عقليّات مطّردات منعكسات بحججها غير مقطوع بها ولا متّفق عليها فلذلك أردنا أن نشير إلى الطّريقة الوسطى منها"[3].

ويستجلي مشروعُ الوارجلاني في عمقه أحوالَ العمران وتغيّرات الزّمان ويشرّع للاجتهاد تشريعا طريفا قوامه عدم شمول النّصّ لكلّ النّوازل. وهو موقف يختلف اختلافا جذريّا عن الفهم المبني على شمول النّصّ كلّ النّوازل[4] ويختلف عن التصوّر الإسماعيلي الذي يوجب الرّدّ إلى الإمام.

وقد حكمت هذا المشروع الاجتهادي قاعدة مركزيّة تقريريّة جاء فيها "واعلم أن اجتهاد الرّأي سائغ لهذه الأمّة وله أمكنة أوّلها: في جميع النّوازل التي لم تنزل على العباد ممّا ليس لهم عهد من كتاب الله ﷻ ولا سنّة رسول الله ﷺ. فيسوغ لهم الاجتهاد بين مخطئ ومصيب. والكلّ محمول عنهم... وكلامهم على قدر عقولهم وآرائهم ليس عليهم فيه نظر كالقول في العرش والحملة والسّماوات"[5]. ووافق أبو يعقوب ابن حزم وابن رشد في تقسيمهما للمجتهدين إلى مخطئ ومصيب. ومضى بالتّحليل خطوة جديدة انتقد فيها أحد منظّري الإباضيّة الكبار في القرن الخامس وهو أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزّاتي صاحب "التّحف المخزونة". فقد ذهب المزّاتي إلى القول إنّ "الدّين يجوز فيه الرّأي للعلماء ما لم يجدوه في الكتاب ولا في السنّة ولم يكن في آثار من كان قبلهم من العلماء"[6]. بينما ذهب أبو يعقوب الوارجلاني إلى أنّ المزّاتي قد قصر الاجتهاد والرّأي على النّوازل والحوادث لا غير وهي فنّ واحد من فنون النّوازل لأنّ وجوها كثيرة تحتمل الرّأي والاختلاف والاجتهاد ليست من النّوازل في شيء من الفروع والأصول بل هي إلى الأصول أقرب ومنها تفسير القرآن[7].

وعمّق نظريّته الاجتهاديّة في الجزء الثّاني من العدل والإنصاف مبيّنا رأيه في حال الأمّة ممّن لم يبلغ عقله ولا علمه مرتبة الأئمّة المتقدّمين. فأوضح أنّ طرق النّظر أربع: الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ولا خامس إلا التّقليد... وبما أنّ التّقليد يكون حقّا كما يكون باطلا. والتّقليد الحقّ هو تقليد المعصوم فقط. ودون أن يعود إلى نظريّة الشّيعة ذكر أن لا معصوم إلا المهدي وعيسى بن مريم عليهما السّلام، فلم يبق لمن قصُرت مرتبته عن حال المجتهدين إلاّ التّقييد. "والتّقييد في الأوجه الأربعة الكتاب والسنّة ورأي المسلمين والعقل"[8]؛ أي إنّه عاد إلى الاجتهاد من حيث أوهم المتلقّي أنّه وصل به إلى التّقليد. فالتّقييد عنده ليس سوى الكتاب والسّنّة والرّأي والعقل لأنّ التّقليد غير مأمون الخطأ وليس صاحبه على بصيرة من أمره[9].

---

[1] أبو يعقوب الوارجلاني، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، 27- 28.

[2] نفسه، 34.

[3] أبو يعقوب الوارجلاني، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، 2.

[4] يذهب ابن أبي زيد القيرواني مثلا إلى أنّه "ليس لأحد أن يحدث قولا أو تأويلا لم يسبقه به سلف وإنّه إذا ثبت عن صاحب قول لا يحفظ عن غيره من الصّحابة خلاف له ولا وفاق أنّه لا يسع خلافه. وقال ذلك معنا الشّافعي وأهل العراق. فكلّ قول نقوله وتأويل من مجمل نتأوّله فعن سلف سابق قلنا أو من أصل من الأصول المذكورة استنبطنا". M. Muranyi, Beiträge zur geshichte des hadit und Rechtsgelehrsamkeit der Mālikiyya in Nordafrika bis zum 5. Jh. D.h. Berlin: Wiesbaden,1997, 244.

[5] أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 1، 49.

[6] المزّاتي، التّحف المخزونة في إجماع الأصول الشّرعيّة ومعانيها، تح. محمود الأندلوسي. نصّ مرقون: مكتبة الأستاذ فرحات الجعبيري. 157- 158.

[7] أبو يعقوب الوارجلاني، العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، 278.

[8] أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 2، 23- 24.

[9] نفسه، 2، 25.

وأنكر أبو يعقوب ما صار إليه المسلمون من تشتّت ووهن فكريّين مستعيدا مضمون عبارة ابن رشد قائلا "اعلم أن الغالب على هذه الأمّة حين افترقت وتوزّعتها الأئمّة... التّقليد. فاستبصرت كلّ فرقة في مذهبها وعلى أنّهم يقضون على أئمّتهم أنّهم غير معصومين من الخطأ والزّلل فأصيبت الاثنتان والسّبعون فرقة التي ذكرها رسول الله ﷺ من جهة التّقليد لغير مأمونين من الخطأ والزّلل وتركوا البحث فيما جاءهم عن أئمّتهم عادة الله تعالى في الذين خلوا من قبلهم: تقليد الآباء والأمّهات والسّلف الصّالح والطّالح. وحصر الأسباب الملجئة إلى التّقليد في علل أهمّها أن تنقص عقول النّاس عن مبلغ عقول أئمّتهم وأن تختلف بهم الأهوية والأغذية والبلدان والأزمان فيفرطوا أو يفرّطوا[1].

ثمّ بيّن أنّ عمر بن الخطاب قد عمد إلى عشرة أحكام نطق بها القرآن ومضت بها السّنّة فتتبّعها حكما حكما وثلمها ثلما وغيّر الأحكام المتقدّمة إلى غيرها ورضي المسلمون وأذعنوا[2]. وبعد أن يتتبّع هذه الأحكام واحدا واحدا يستنتج قائلا "فإذا ساغ هذا كلّه لعمر بن الخطاب ﷺ وقد صادم فيها القرآن والسنّة فلِمَ لا يسوغ لأهل آخر الزّمان من المسلمين مع الضّرّ وكثير من محظورات الشّريعة اتّباعا لسنّة عمر وغيره ولاسيما في الشّدائد... وهذا السّحت الذي عمّ البلاد وشمل العباد والملوك الجورة الذين عكسوا الشّريعة وقلبوها ظهرا لبطن (وهذه عبارة الغزالي في أبي حنيفة في كتاب المنخول حرفيّا)"[3]. ويؤكّد هذا المعنى في موضع آخر مقارنا الفكر بأعمار البشر وتطوّر الأجناس والتّاريخ ممّا يبرز أنّ هذه المسألة صارت شاغلا كبيرا له. فجعل الرّأي حاكما على القرآن والسنّة قائلا "ثمّ بعث الله محمّدا ﷺ بشريعة إبراهيم عليه السلام فكان مبناها على الكتاب والسنّة والرّأي. والأصل الكتاب وفرعه السنّة والسنّة أصل وفرعها الرّأي والرّأي حاكم على السنّة والسنّة حاكمة على الكتاب كحالنا مع آبائنا وأبنائنا. فنحن حاكمون على آبائنا وأبناؤنا حاكمون علينا. بل الرّأي يقضي على السنّة والكتاب جميعا"[4]. ولكنّه صار صار إلى أنّ لذلك شروطا مقصودة لا يعلمها إلا أهل البصائر في الدّين.

وبهذا القانون الطّبيعيّ الذي يؤكّد سنّة التّطوّر في كلّ شيء يؤصّل أبو يعقوب مقالة الاجتهاد تأصيلا طريفا. عُمق هذا التّأصيل نظرة جديدة تُرْسِخ هذه المقولة في الفكر المغربيّ إرساخا غير خاضع للتّمذهب بأي حال من الأحوال. بل عماده ما كان ابن حزم وابن رشد قد توصّلا إليه وإن اختلفت المنطلقات العامّة التي بنى عليها كلّ واحد عمله وأسّس نظرته إلى الشّرع وطرق النّظر فيه وتأويله تأويلا يراعي مقولات العمران وشروط انتظامه دون أن يخلّ بقوام الشّرع في أصوله وفصوله.

لقد تضافرت هذه المشاريع المغربيّة الثّلاثة التي نصّت على قيمة العقل باعتباره أسّ الاجتهاد وجعلتها مركزا لها لتؤسّس لفكر مغربيّ متميّز ومتكامل في كلّ مذاهبه. وبيّن تحليل هذه المتون الأصول أنّ أغلب المفكّرين المغاربة قد أكّدوا أهميّة هذه المقالة باعتبارها عماد استمرار الدّين حيّا فاعلا في الوجدان وفي التّاريخ؛ ولذلك فقد سعوا إلى تبسيطها وتدقيق شروطها واختزال مقوّماتها العامّة. وأوّل تلك المقوّمات تجاوز كلّ تراث الفتاوى السّابق، وثاني المقوّمات حصر الأصول في القرآن والسّنّة فقط، وثالث المقوّمات عدم اشتراط معرفة المجتهد لكلّ القرآن وكلّ الحديث. وكلّ ذلك تشريع لإرساخ هذه المقالة في الفكر الإسلاميّ على نحو طريف يفنّد كثيرا من المزاعم الاستشراقيّة التي تتحدّث عن "سدّ باب الاجتهاد" منذ أواسط القرن الخامس الهجريّ معتبرة هذا التّوجّه الأصولي السّبب الأوّل في تحنيط الفكر الإسلاميّ وعدم قابليّته للتّجدّد والتّطوّر وفق شروط العمران وأسس انتظامه. وقد بيّن التّحليل أن باب الاجتهاد مفتوح أبدا وولوجه عماد لتطوير الفكر الإسلامي مواكبةً للتّحوّلات الفكريّة والثّقافيّة التي يحدثها اختلاف الأنساق التّاريخيّة أو الجغرافيّة أو الاجتماعيّة عبر الزّمن وضمان لاستمرار الإسلام مؤثّرا في الوجدان وفي التّاريخ.

---

[1] نفسه، 2، 99- 100.

[2] نفسه، 3، 131.

[3] أبو يعقوب الوارجلاني، الدّليل والبرهان، 3، 132.

[4] نفسه، 3، 301 وما بعدها. وانظر المواطن التي حدّدها للاجتهاد في العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف، 392- 393.

دافعية الإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا في ضوء متغيرات النوع والتحصيل الأكاديمي والتخصص العلمي.

د. نزيم صرداوي- أ. ربيحة عمور
جامعة تيزي وزو

الملخص: هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن الفروق في **دافعية الإنجاز** لدى تلاميذ البكالوريا في ضوء متغيرات النوع، التحصيل الأكاديمي، والتخصص العلمي، وتكونت عينة الدراسة من (200) تلميذا وتلميذة.
وأسفرت نتائجها عن عدم وجود فروق دالة إحصائيا في درجات **دافعية الإنجاز** تعزى لمتغير الجنس، كما أظهرت وجود فروق دالة إحصائيا في مستوى الدافعية للإنجاز تعزى لمتغير التحصيل الأكاديمي ولصالح المتفوقين، كما لم تظهر فروق دالة إحصائيا تعزى لمتغير التخصص العلمي.

الكلمات المفتاحية: دافعية الإنجاز ، تلاميذ البكالوريا.

Abstract: This study aimed to investigate the differences in achievement motivation among students of baccalaureate, as well as the statically significant differences in the level of achievement motivation according to gender, academic achievement, and specialty. A scale of achievement motivation was built by researchers for the purposes of the study, and applied on (200) students.
Result showed that there were no statically significant differences between mean scores of males and females on the achievement motivation, and There were statistically significant differences in achievement motivation between the overachievers and underachievers for favor overachievers students, and result revealed that there were no significant differences due to the specialty.

مقدمة: تلقت الدافعية للإنجاز النصيب الأكبر من البحث عن باقي الدوافع، باعتبارها حالة متميزة من الدافعية العامة، وهي مجموعة من الطموحات والرغبات التي تحفز الفرد للعمل والمثابرة. فهي من أهم العوامل التي تسعى لتحفيز الفرد للتحصيل ومواجهة الصعاب وإتقان المهام والأعمال. ولقد أثبتت ذلك العديد من البحوث في علم النفس وبحوث الشخصية، ويتولد الدافع الإنجاز لدى الفرد ويحثه على التنافس في المواقف التي تتضمن مستويات عالية من الامتياز والتفوق، ويساعده على مواجهة الصعاب والسيطرة على التحديات الصعبة، وبالتالي يصبح هذا الأداء عبارة عن الرغبة التي تحث الفرد على النجاح. ويشير "ماكليلاند" وزملاؤه بأن الدافع للإنجاز استعداد ثابت نسبيا في الشخصية يحدد مدى سعي الفرد ومثابرته في سبيل تحقيق وبلوغ نجاح يترتب عليه نوع من الإرضاء. وذلك في المواقف التي تتضمن تقييم الأداء في ضوء مستوى محدد من الامتياز. كما عرفوا النشاط المنجز بأنه النشاط الذي يقوم به الفرد ويتوقع أن يتم بصورة ممتازة، وأنه محصلة الصراع بين هدفين متعارضين عند الفرد هما الميل نحو تحقيق النجاح، والميل إلى تحاشي الفشل، واستعملت فورنر(Forner,1986) مصطلح دافع النجاح (Motivation à la réussite) لتشير إلى دافع للإنجاز والذي يعني: " استعداد أو ميل عام يحث الأفراد على بناء و تحقيق مشاريع وأنهم يمنحون أنفسهم أهدافاً رغبة في الوصول إلى تحقيقها" (Forner,1986,p 33).

ويشكل دافع الإنجاز عنصرا أساسيا في العملية التعليمية التعلمية لاسيما أنه يعمل على زيادة الفعالية والمساهمة في تحقيق الأهداف المرجوة منها لدى المتعلمين، حيث يرى بعض الباحثين أن من الأسباب الرئيسية في وجود فروق فردية في التحصيل الدراسي بين التلاميذ يعود إلى تباين مستوى دافع الإنجاز لديهم، إذ تجعل الفرد يتصف بسمات تميزه عن الآخرين، حيث يختلف الطلاب في دوافعهم فبعض التلاميذ يتسمون بالرغبة والمثابرة للسير نحو الإنتاجية والكفاية الذاتية. ما يسهل عليهم التأقلم مع البيئة المدرسية وتحقيق التميز، بينما يبدو على البعض الآخر عدم الاهتمام بالدراسة، وقد يرجع فشل هؤلاء لانخفاض دافعية الإنجاز، وهذا ما دفع بالعديد من علماء النفس والتربويين إلى ضرورة التأكيد على أن يكون هدفا تعليميا بحد ذاته، حتى يتسنى تحقيق التعلم المرغوب لدى المتعلمين. وبذلك بات هناك اتجاها متزايداً للبحث في هذا المجال، لأن الارتباط بين تحصيل المتعلم الدراسي ودافعيته للإنجاز واضح وبين.

1- إشكالية الدراسة: جاءت الدراسة الحالية محاولة للوقوف على طبيعة الفروق في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي في ضوء متغيرات الجنس، والتحصيل الأكاديمي، والتخصص العلمي. ومن هذا المنطلق تصبح الدراسة الحالية ضرورة بحثية لها مبرراتها. وهدفت للإجابة عن التساؤلات التالية:

-هل توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير الجنس؟

- هل توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير التحصيل الأكاديمي (متفوقين ومتأخرين دراسيا)؟

-هل توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير التخصص؟.

2- فرضيات الدراسة: تتناول الدراسة الفرضيات التالية:

- توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير الجنس.

- توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير التحصيل الأكاديمي (متفوقين، متأخرين دراسيا).

- توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ تعزى لمتغير التخصص.

3- أهداف الدراسة: - تسعى الدراسة للكشف عن جانب من جوانب شخصية تلميذ التعليم الثانوي بالجزائر وهو الدافعية للإنجاز، وهدفت للكشف عن الفروق في مستوى الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا في ضوء متغيرات النوع، التحصيل الأكاديمي، والتخصص العلمي.

4- أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة كونها تتناول أهم عامل من بين العوامل غير معرفية وهي الدافعية للإنجاز التي تساعد التلاميذ على النجاح والتفوق الدراسي، إضافة إلى أن الدراسات التي تناولت موضوع الدافعية للإنجاز وعلاقته ببعض المتغيرات مثل النوع والتخصص، وخاصة المستوى التحصيلي-على حد علم الباحثان- قليلة نسبيا، وبصفة خاصة بالمجتمع الجزائري، وتقديم معلومات حديثة عنه يعد إضافة جديدة للمكتبة الجزائرية.

5- مفاهيم الدراسة الإجرائية: تعرف الدافعية للإنجاز بأنها: " حالة داخلية تدفع بسلوك المتعلم إلى الانتباه للموقف التعلمي، والإقبال عليه بنشاط موجه والاستمرار فيه، لتحقيق رغبة ذلك المتعلم للنجاح في عمله". وتعرف في الدراسة الحالية بالدرجة الكلية التي يحصل عليها التلميذ على مقياس الدافعية للإنجاز الذي أعده "عبد الرزاق صالح الغامدي" (2009)، وإن التلاميذ الذين يحصلون على درجات عالية في هذا المقياس يتميزون بدافعية مرتفعة للإنجاز، بينما الذين يحصلون على درجات منخفضة يتميزون بدافع منخفض للإنجاز.

- **تلاميذ البكالوريا:** هم التلاميذ المسجلون في قوائم السنة الثالثة ثانوي من الذكور والإناث من الشعب العلمية والأدبية والمقبلين على امتحان شهادة البكالوريا للسنة الدراسية 2014-2015 بالثانويات المختارة. وتولى لهم الإجابة على مقياس الدافعية للإنجاز.

6- إجراءات الدراسة الميدانية:

6-1- منهج الدراسة: تم الاعتماد على المنهج الوصفي المقارن وذلك لمناسبته لتساؤلات وأهداف الدراسة الحالية التي تهدف للكشف على الفروق في درجات الدافعية للإنجاز بين تلاميذ السنة الثالثة في ضوء متغيرات النوع والتحصيل الأكاديمي، والتخصص العلمي.

6-2- مجتمع وعينة الدراسة: تألف مجتمع الدراسة من جميع المتفوقين دراسياً والمتأخرين من الجنسين من تلاميذ السنة الثالثة ثانوي المقيدين في الثانويات التابعة لمديرية التربية لولاية تيزي وزو للعام الدراسي 2015/2014. تكونت عينة الدراسة من (200) تلميذاً وتلميذةً بواقع (93) متفوقاً ومتفوقةً دراسياً و(107) متأخراً ومتأخرة دراسياً الموزعين على (5) ثانويات،

وقد تم اختيارها بطريقة عشوائية بسيطة من مجموع الثانويات التابعة لمديرية التربية لولاية تيزي وزو، وبعده تم اختيار أفراد عينة الدراسة الأساسية من هذه الثانويات الخمس بالطريقة العشوائية الطبقية النسبية.

-خصائص عينة الدراسة:

- الجنس:

جدول رقم (1): توزيع أفراد عينة الدراسة وفق الجنس

البيانات / الجنس	متفوّقون دراسياً		متأخرون دراسياً	
	العدد	%	العدد	%
ذكور	41	44.09	46	43.00
إناث	52	55.91	61	57.00
المجموع	93	100.00	107	100.00

يتبين من جدول رقم (1) أن نسبة المتفوّقات دراسياً هي أعلى من نسبة المتفوّقين الذكور، حيث بلغت على التوالي 55.91 % و44.09 %.كما يتبين أيضاً أن نسبة المتأخرات دراسياً أعلى من نسبة المتأخرين الذكور حيث بلغت على التوالي 57 % و43 %.

نلاحظ مما سبق أن عدد الإناث في هذه الثانويات مرتفع بالمقارنة بعدد الذكور، وأن ارتفاع وتزايد عددهن في هذه المؤسسات التعليمية على مستوى الولاية قد يرجع إما إلى عامل ديمغرافي وإما إلى عامل ثقافي وهو اهتمام الإناث بالدراسة أكثر من الذكور.

- التخصص:

جدول رقم (2): توزيع أفراد عينة الدراسة وفق التخصص

البيانات / التخصص	متفوّقون دراسياً		متأخرون دراسياً		العينة الكلية	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%
أدبي	35	37.64	42	39.25	77	38.50
علمي	58	62.36	65	60.75	123	61.50
المجموع	93	100.00	107	100.00	200	100.00

يتبين من الجدول رقم (2) أن المتفوقين يتواجدون بنسبة مرتفعة في تخصص علمي بنسبة 62.36% مقارنة بتخصص أدبي بنسبة 37.64%

كما يتبين أيضاً أن نسبة المتأخرين يتواجدون بنسبة مرتفعة في تخصص علمي بنسبة 60.75% مقارنة بتخصص أدبي بنسبة 39.25 %.

7- أدوات الدراسة:

- **مقياس الدافعية للإنجاز:** استخدمنا في هذه الدراسة مقياس دافعية الإنجاز الذي أعده "عبد الرزاق صالح الغامدي" (2009) والمكوَن من 80 عبارة نصفها موجب ونصفها سالب يتم الإجابة عليها حسب مقياس ليكرت الثلاثي: تنطبق، تنطبق بدرجة متوسطة، لا تنطبق، وتصحح كالتالي: تنطبق=3، تنطبق بدرجة متوسطة =2

لا تنطبق=1. وتتوزع عبارات المقياس على عشرة أبعاد هي: السعي نحو التفوق، التخطيط للمستقبل، المثابرة والنضال، أداء الأعمال بسرعة وإتقان، الشعور بالمسؤولية، الثقة بالنفس وامتلاك القدرة، المكافآت المادية والمعنوية، المنافسة، الاستقلال، التغلب على العوائق والصعوبات.

- **الخصائص السيكومترية للمقياس:** لتكييف المقياس على البيئة الجزائرية قمنا بالتحقق من صدقه بطريقتين هما:

أ-الصدق الظاهري:

لحساب الصدق الظاهري تم عرض المقياس على عشرة أساتذة محكمين في القياس النفسي وعلم النفس المدرسي وعلوم التربية من جامعات مولود معمري بتيزي وزو وأبو القاسم سعد الله الجزائر2، ومحمد بوضياف بالمسيلة بهدف التحقق من ملاءمة المقياس لتحقيق أغراض الدراسة، حيث طلبنا منهم الحكم على مدى ملاءمة عبارات المقياس لعينة الدراسة، من حيث الحكم على كل عبارة من عبارات المقياس لتمثيل البعد الذي أعدت من أجله، ومن حيث ملاءمة الصياغة اللغوية لعبارات المقياس. ولحساب صدق المحكمين لمقياس الدافعية للإنجاز، اعتمدنا على معادلة كوبر(Cooper) والمتمثلة في:

$$\text{معادلة كوبر} = \frac{\text{عدد مرات الإتفاق}}{\text{عدد مرات الإتفاق} + \text{عدد مرات عدم الإتفاق}} \times 100$$

وبناء على ذلك جاءت النتائج على النحو التالي:

- نسبة الاتفاق على عبارة ذات رقم 42 هي: 8÷(8+2) ×100=80%.
- نسبة الاتفاق على عبارات ذات أرقام: 7، 36، 37، 46، 56، 59، 63 هي:9 ÷(9+1)×100=90 %.
-نسبة الاتفاق على باقي العبارات الأخرى هي: 10÷(10+0) ×100=100%.

وفي ضوء هذه النتائج تم الإبقاء على عبارات المقياس التي حصلت على اتفاق نسبة 80% فأكثر من آراء الأساتذة المحكمين.

ب-صدق الاتساق الداخلي: للتأكد من صدق الاتساق الداخلي للمقياس ومدى تماسك عباراته بالدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه قام الباحثان بما يلي:

أ-حساب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات المقياس والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه لعينة الدراسة الاستطلاعية كما هو مبيّن في الجدول رقم (3).

جدول رقم (3-أ) قيم معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات مقياس دافعية الإنجاز والدرجة الكلية للبعد (الأبعاد 1-5) لعينة الدراسة الاستطلاعية(ن=60)

البعد الأول		البعد الثاني		البعد الثالث		البعد الرابع		البعد الخامس	
السعي نحو التفوّق		التخطيط للمستقبل		المثابرة والنضال		أداء الأعمال بسرعة وإتقان		الشعور بالمسؤولية	
رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	0.556**	6	0.365**	2	0.386*	7	0.270**	3	0.495**
10	0.291*	16	0.420**	11	0.336**	17	0.530**	12	0.534*
19	0.819**	26	0.602**	20	0.655*	21	0.299*	32	0.722**
28	0.542**	29	0.650**	30	0.577**	27	0.522	44	0.741**
39	0.534**	40	0.567**	41	0.656**	31	0.477**	52	0.769**
45	0.819**	56	0.609**	51	0.540*	46	0.712**	72	0.590**
60	0.663**	65	0.679**	61	0.564**	57	0.775**	-	-
70	0.817**	74	0.529**	71	0.750**	62	0.660**	-	-
-	-	-	-	-	-	66	0.471*	-	-
-	-	-	-	-	-	75	0.766**	-	-

*** دال عند 0,01 ----------- ** دال عند 0,05**

جدول رقم (3-ب) قيم معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات مقياس دافعية الإنجاز والدرجة الكلية للبعد (الأبعاد 6-10) لعينة الدراسة الاستطلاعية(ن=60)

البعد السادس		البعد السابع		البعد الثامن		البعد التاسع		البعد العاشر	
الثقة بالنفس وامتلاك القدرة		المكافآت المادية والمعنوية		المنافسة		الاستقلال		التغلب على العوائق والصعوبات	
رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
8	*0.330	4	*0.308	9	*0.478	5	**0.570	15	**0.401
18	**0.812	13	*0.303	24	**0.349	14	**0.501	25	*0.730
36	**0.471	22	*0.284	34	*0.498	23	**0.555	33	**0.610
47	**0.636	37	**0.354	42	**0.445	38	**0.400	35	**0.567
58	**0.784	48	**0.583	49	**0.612	50	**0.472	43	**0.581
76	**0.815	53	**0.589	59	*0.588	54	**0.628	55	**0.513
-	-	63	**0.384	68	**0.581	69	**0.710	64	**0.672
-	-	79	**0.679	77	**0.477	80	**0.456	67	**0.374
-	-	-	-	-	-	-	-	73	**0.618
-	-	-	-	-	-	-	-	78	**0.366

*** دال عند 0,01 ------------ ** دال عند 0,05**

يتضح من الجدولين السابقين أن قيم معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات مقياس دافعية الإنجاز والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه والتي تراوحت بين 0.270 لارتباط العبارة رقم (7) مع بعد أداء الأعمال بسرعة وإتقان و0.819 لارتباط العبارة رقم (45) مع بعد السعي نحو التفوّق.

وجاءت بعض هذه القيم دالة عند مستوى 0.05 وبعضها الآخر دالة عند مستوى 0.01.

ماعدا العبارة 27. وهذه النتيجة تشير إلى إمكانية استخدام المقياس في الدراسة الحالية باطمئنان.

ب-حساب معاملات الارتباط بين مجموع درجات كل بعد من الأبعاد الرئيسية والدرجة الكلية للمقياس لعينة الدراسة الاستطلاعية كما هو مبيّن في الجدول رقم (4).

جدول رقم (4) قيم معاملات الارتباط بين درجة كل بعد والدرجة الكلية لمقياس دافعية الإنجاز لعينة الدراسة الاستطلاعية (ن=60)

رقم البعد	الأبعـــــــــــــاد	معامل الارتباط
1	السعي نحو التفوّق	**0.54
2	التخطيط للمستقبل	**0.72
3	المثابرة والنضال	**0.69
4	أداء الأعمال بسرعة وإتقان	**0.74
5	الشعور بالمسؤولية	**0.71
6	الثقة بالنفس وامتلاك القدرة	**0.49
7	المكافآت المادية والمعنوية	**0.57
8	المنافسة	**0.81
9	الاستقلال	**0.73
10	التغلب على العوائق والصعوبات	**0.87

**** دالة عند 0.01**

يتبين من جدول رقم (4) أن قيم معاملات الارتباط بين مجموع درجات كل بعد من الأبعاد الرئيسية الخمسة لمقياس

دافعية الإنجاز والدرجة الكلية للمقياس تراوحت بين 0.49 للبعد السادس و0.87 للبعد العاشر. وجاءت قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى 0.01. وهذه النتيجة تشير إلى إمكانية استخدام المقياس في الدراسة الحالية باطمئنان.

ج-حساب معاملات الارتباط بين كل عبارة والمجموع الكلي لعبارات المقياس لعينة الدراسة الاستطلاعية كما هو مبيّن في الجدول رقم (5)

جدول رقم (5) قيم معامل الارتباط بين كل عبارة والمجموع الكلي
لعبارات مقياس دافعية الإنجاز لعينة الدراسة الاستطلاعية(ن=60)

رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط	رقم العبارة	معامل الارتباط
1	**0.369	21	0.142	41	**0.347	61	**0.345
2	*0.560	22	*0.334	42	**0.458	62	**0.405
3	**0.493	23	**0.501	43	**0.511	63	0.177
4	**0.444	24	*0.275	44	**0.409	64	*0.516
5	**0.518	25	*0.555	45	**0.388	65	**0.466
6	**0.277	26	**0.431	46	*0.519	66	**0.304
7	**0.350	27	*0.376	47	**0.338	67	*0.432
8	*0.438	28	**0.327	48	**0.519	68	*0.434
9	**0.519	29	**0.499	49	**0.342	69	**0.576
10	**0.289	30	**0.288	50	**0.275	70	**0.281
11	**0.553	31	**0.333	51	**0.324	71	*0.354
12	**0.334	32	*0.486	52	**0.560	72	**0.496
13	**0.439	33	**0.497	53	*0.633	73	**0.644
14	**0.394	34	**0.429	54	*0.353	74	**0.509
15	**0.417	35	**0.428	55	**0.386	75	*0.681
16	**0.335	36	**0.277	56	**0.281	76	**0.317
17	**0.300	37	**0.287	57	**0.637	77	*0.414
18	**0.280	38	0.199	58	**0.369	78	**0.393
19	**0.381	39	**0.466	59	*0.403	79	**0.612
20	**0.296	40	*0.355	60	**0.290	80	*0.336

*** دال عند 0,01 ------------ ** دال عند 0,05**

يتبين من جدول رقم (5) أن قيم معاملات الارتباط بين كل عبارة والمجموع الكلي لعبارات مقياس الدافعية للإنجاز تراوحت بين 0.275 للعبارة رقم (24) و0.681 للعبارة رقم (75). وجاءت قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً عند مستوى 0.05 و0.01. ما عدا العبارات التالية (21- 38- 63) ما يؤكد على قوة الصدق الداخلي لعبارات المقياس وبدرجته الكلية. وهذه النتيجة تشير إلى إمكانية استخدام المقياس في الدراسة الحالية باطمئنان.

- **ثبات المقياس:**للتحقق من ثبات مقياس دافعية الإنجاز تم الاعتماد على طريقتين:

أ-معامل ثبات ألفا-كرونباخ كمؤشر على ثبات التجانس الداخلي للمقياس.

ب-طريقة التجزئة النصفية كمؤشر على ثبات الاستقرار. والجدول التالي يوضح قيم معاملات الثبات لأفراد عينة الدراسة الاستطلاعية (ن=60).

جدول رقم(6) قيم معاملات ثبات بطريقتي ألفا-كرونباخ والتجزئة النصفية
لمقياس دافعية الإنجاز لعينة الدراسة الاستطلاعية (ن=60)

عدد عبارات المقياس			الثبات بطريقة ألفا كرونباخ	الثبات بطريقة التجزئة النصفية				
الكلي	للجزء الأول	للجزء الثاني		ارتباط الجزأين	سبيرمان-براون	جوتمان	ألفا للجزء الأول	ألفا للجزء الثاني
80	40	40	0.920	0.775	0.900	0.890	0.772	0.759

يتبين من جدول رقم (6) أن قيمة معامل الثبات لأفراد عينة الدراسة الاستطلاعية بطريقة ألفا-كرونباخ بلغت 0.887 وبطريقة التجزئة النصفية بلغت قيمة ثبات الجزء الأول 0.772 وبلغت قيمة ثبات الجزء الثاني 0.759، وللجزأين 0.785. وبلغت قيمة ثبات سبيرمان-براون 0.900 وبطريقة جوتمان بلغت0.8902. وهذه القيم تدل على ثبات جيّد لمقياس دافعية الإنجاز مما يجعل الطالبة مطمئنة لاستخدامه في الدراسة الحالية.

8- إجراءات التطبيق: بعد التأكد من سلامة وصلاحية الأداة والمتمثلة في مقياس دافعية الإنجاز وتحديد المؤسسات التعليمية لإجراء الدراسة الأساسية تم اتباع مجموعة من الخطوات الإجرائية عند تنفيذ الدراسة في كل مؤسسة تعليمية من المؤسسات التي شملتها الدراسة وهي:

-لقاء أفراد عينة الدراسة في كل مؤسسة تعليمية من المؤسسات الخمس لتطبيق الأداة.

-تم إجراء الدراسة الأساسية خلال الفترة الممتدة من جانفي إلى أفريل من عام 2015.

وقد أشرفنا على تطبيق وتنفيذ أداة الدراسة وبحضور مساعدين تربويين حرصاً منا على جدية التلاميذ أثناء الإجابة، وقد أبدى المفحوصون خلالها الكثير من التجاوب والانضباط.

-تم تطبيق أداة الدراسة بصورة جماعية خلال فترة المداومة وفي وقت فراغ التلاميذ الموجود بين الحصص الدراسية.

-تم توزيع الأداة على التلاميذ مرفقة بورقة البيانات الشخصية، وبعده عرضتُ عنوان الدراسة والغرض منها، وطبيعة مثل هذه الأداة المطبقة، ثم قرأنا تعليمات التطبيق وشرحنا كيفية الإجابة عليها.

وتوضيح الكيفية التي تم فيها تطبيق الأداة كانت على النحو التالي:

- طريقة تطبيق مقياس دافعية الإنجاز:

بعد توزيع نسخ من مقياس دافعية الإنجاز قرأنا التعليمة وشرحنا كيفية الإجابة وقدمنا الأداة على أساس وأنه لا توجد إجابات صحيحة وإجابات خاطئة، وإنما ما يشعر به الفرد في حينه هو الصحيح. ويتضمن المقياس في الجهة اليمنى عبارات وأرقامها مسلسلة من 1 إلى 80 ومقابل كل رقم ثلاث خانات لوضع علامة (×) داخل الخانة لأي احتمال من الاحتمالات الثلاثة هي: تنطبق، تنطبق بدرجة متوسطة، لا تنطبق.

9-الأساليب الإحصائية: تم إدخال البيانات إلى الحاسوب، وتحليلها حسب الطرق الإحصائية المناسبة للدراسة الحالية على النحو التالي:

- المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات أفراد العينة على بنود أداة الدراسة، لغرض القيام بمقارنات أولية بين التلاميذ في درجات الدافعية للإنجاز.

- اختبار(ت) للمقارنة بين متوسطات إجابات عينة الدراسة والفروق بين تلاميذ البكالوريا في الدافعية للإنجاز.

-استخدام معامل ارتباط بيرسون لإيجاد صدق الاتساق الداخلي للمقياس.

- استخدام معامل ارتباط سبيرمان براون للتجزئة النصفية، ومعامل ألفا كرومباخ لحساب ثبات أدوات الدراسة. ولتحقيق ذلك تم استخدام الرزنامة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (08) SPSS.

10- عرض نتائج الدراسة:

10-1- عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الأولى:

والتي تنص على أنه: " توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير الجنس". وللإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار (ت)، ويشير الجدول رقم إلى هذه النتائج:

الجدول (7) نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق الإحصائية لاستجابة أفراد العينة في الدافعية للإنجاز تبعاً لمتغير الجنس.

البيانات العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة	القرار
ذكور	87	180.563	37.901	-1.480	0.140	غير دالة إحصائياً
إناث	113	188.177	34.577			

يتضح من الجدول رقم (7) عدم وجود فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير الجنس، حيث كانت قيمة (ت) 1.480- وهي قيمة غير دالة إحصائيا، وبالتالي يمكن القول بعدم تحقق الفرضية الأولى.

10-2- عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثانية: والتي تنص على أنه: " توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير التحصيل الأكاديمي (متفوقين، متأخرين دراسيا) " وللإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار (ت)، ويشير الجدول رقم إلى هذه النتائج:

الجدول (8) نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق الإحصائية لاستجابة أفراد العينة في الدافعية للإنجاز تبعاً لمتغير التحصيل الأكاديمي.

البيانات العينة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة	القرار
متفوقين دراسيا	93	190.677	34.324	2.138	0.034	دالة إحصائياً
متأخرين دراسيا	107	179.813	37.117			

يتبين من الجدول رقم (8) وجود فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير المستوى التحصيلي، حيث كانت قيمة (ت) 2.138 وهي قيمة دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05، وقد كانت هذه الفروق لصالح المتفوقين دراسيا حيث كان المتوسط الحسابي للمتفوقين 190.677 بينما كان المتوسط الحسابي للمتأخرين 179.813. ما يشير إلى تحقق الفرضية الثانية.

10-3- عرض النتائج المتعلقة بالفرضية الثالثة:

والتي تنص على أنه: " توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز لدى تلاميذ البكالوريا تعزى لمتغير التخصص" وللإجابة على هذه الفرضية تم استخدام اختبار (ت)، ويشير الجدول رقم إلى هذه النتائج:

الجدول (9) نتائج اختبار (ت) لدلالة الفروق الإحصائية لاستجابة أفراد العينة في الدافعية للإنجاز تبعاً لمتغير التخصص.

البيانات التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	مستوى الدلالة	القرار
أدبي	77	186.948	33.949	-0.644	0.521	غير دالة إحصائياً
علمي	123	183.561	37.565			

يتضح من الجدول رقم (9) عدم وجود فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير التخصص العلمي، حيث كانت قيمة 0.644- وهي قيمة غير دالة إحصائيا، ما يشير إلى عدم تحقق الفرضية الثالثة.

تفسير ومناقشة نتائج الدراسة:

بعد القيام بعرض نتائج الدراسة، لجأ الباحثان إلى تفسير ومناقشة تلك الفرضيات وذلك في ضوء آراء ودراسات سابقة، ويتضح ذلك في الآتي:

- بالنسبة للفرضية الأولى التي مفادها أنه توجد فروق دالة إحصائيا في درجات دافعية الإنجاز تبعا لمتغير النوع، فيتضح من الجدول رقم (7) أن الفروق غير دالة إحصائيا بين الجنسين في درجات الدافعية للإنجاز، ويمكن تفسير ذلك بالعزو إلى أن الطرفين من نفس المستوى وتقريبا نفس السن، وأنهم مخضعين لنفس العوامل لذا لا توجد فروق بينهم في مستوى الدافعية للإنجاز. وتدعم نتيجة هذا الفرض بعض الدراسات والتي كشفت عن عدم وجود فروق بين الجنسين في درجات الدافعية للإنجاز منها دراسة فولكرسون وفون وبراون (Fulkerson, Fun et Brown 1983) التي بينت أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في توقعات النجاح. ودراسة مصطف تركي (1988) التي كشفت نتائجها عن عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث في الدافع للإنجاز، وأرجع الباحث ذلك إلى أن الأسرة العربية اليوم تحث وتشجع الإناث تماما مثل الذكور على النجاح والتفوق في الدراسة والعمل، وأن هذا هو المجال المقبول اجتماعيا والذي يسمح للمرأة العربية بالتفوق والامتياز فيه. ولذلك أصبحت الإناث ترغبن في الإنجاز والتفوق فيه تماما مثل الذكور، ضف لذلك دراسة سيد محمد الطواب (1990) التي فسرت عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث في الدافع للإنجاز في ضوء طبيعة المجتمعات التي أجريت فيها مثل هذه الدراسات والفترة الزمنية التي أجريت فيها. واستشهد (Horner) على ذلك بقوله بأن الدراسات المبكرة مثل دراسة مارتينا هورنر التي أجريت في الستينيات -تختلف عن الدراسات التي تمت في فترة الثمانينيات والتسعينيات، من حيث الظروف التاريخية والعوامل الاجتماعية والثقافية والنفسية المميزة لكل فترة من هذه الفترات. لعل هذا يتفق مع التفسير الذي قدمه رشاد علي عبد العزيز موسى وصلاح أبو ناهية سنة (1988) حيث أرجع الباحثان عدم وجود فروق جوهرية بين الجنسين في الدافع للإنجاز، إلى أن الفرص التعليمية والمهنية أصبحت الآن متاحة لكل من الجنسين، وتضاءلت النظرة الوالدية التي تميز بين الذكر والأنثى. فكلاهما أصبح يلقي نفس المعاملة الوالدية والرعاية والاهتمام في غرس مفاهيم الاستقلال والاعتماد على النفس والإنجاز. وربما يرجع إصرار الأنثى على التفوق والنجاح والتحمل والمثابرة إلى ميكانزمات دفاعية عما لاقته من غبن المجتمع في مكانتها الاجتماعية. لذا فهي تحاول أن تتفوق في المجالات الحياتية المختلفة (صرداوي، 2011، ص 323).

- أما بالنسبة للفرضية الثانية التي مفادها أنه توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير التحصيل الأكاديمي، فتبين من الجدول رقم (8) أن الفروق دالة إحصائيا بين التلاميذ المتفوقين والمتأخرين دراسيا في درجات الدافعية للإنجاز ولصالح المتفوقين ، ويمكن تفسير ذلك بالعزو لاختلاف الطلاب في دوافعهم حسب المستوى التحصيلي، ويختلف الطلاب في دوافعهم حسب مستوى التفوق، فالمتفوقون يمتلكون قدرات عقلية عالية تساعدهم على تفهم بيئتهم ويمتلكون إمكانيات غير عادية للسير نحو الإنتاجية والكفاية الذاتية. مما يسهل على المتفوقين التأقلم مع البيئة المدرسية وتحقيق التميز، في حين أن الطلاب المتأخرين دراسيا قد يكون تأقلمهم واستفادتهم أقل مما يحققه الطلبة المتفوقين. وقد ذكر George(1967) كثير من الخصائص للمتفوقين منها الذكاء المرتفع وسهولة التعلم والاسترجاع، دقة الملاحظة والإنجاز فوق المتوسط والاستقلالية ومرونة عالية من التفكير(الحارثي 2010، ص 5).وفي هذا السياق نجد العديد من الدراسات أيدت الرأي القائل بوجود فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ المتفوقين والمتأخرين دراسيا في درجات الدافعية للإنجاز، فعلى مستوى الدراسات العالمية لفحص العلاقة بين دافعية الإنجاز والتحصيل الدراسي، فقد كشفت البعض منها عن وجود ارتباط بين دافع الإنجاز وأداء الطلاب المتفوقين في المدارس الثانوية وبين انخفاض دافع الإنجاز والتأخر الدراسي كدراسة "هلنجر" و"ستيفتر" (Uhlinger & Stephans , 1960). كما حاولت دراسات أخرى الربط بين المعدل التراكمي لدرجات طلبة الجامعة ودافع الإنجاز كدراسة "ماكليلاند" (Mcclelland, 1976)، ودراسة "ويس" وآخرون (Weiss & al, 1959).

كما كشفت نتائج الدراسة التي قام بها "أوشيا" (Oshea, 1968) عن وجود فروق دالة لصالح المتفوقين في الحاجة للإنجاز، ودراسة "حداد نسيمة" التي بينت أن المتعلمين الذين يتميزون بدافع إنجاز عال تحصيلهم الدراسي أحسن من أقرانهم العاديين والمتأخرين (صرداوي، 2009، ص ص 374- 375).

كما تشير دراسة "أنتوسل" (Entwisle) التي تتبع فيها نتائج الطلبة لعدد من السنوات الدراسية لتحديد العوامل التي ترتبط بالنجاح الأكاديمي بالجامعة –إلى أن الطلبة ذوي التحصيل الأكاديمي العالي بالمقارنة إلى ذوي التحصيل المنخفض كانوا أفضل تحصيلا في المدرسة الثانوية وأعلى قدرة عقلية وأكثر دافعا للإنجاز وأشد مثابرة وإجتهادا، وأفضل في عاداتهم الدراسية وطريقة تعلمهم وكانوا أكثر استقرارا عاطفيا، وأكثر ميلا إلى المحافظة ممن كانوا أقل تحصيلا (صرداوي، 2009، ص 369).

ودراسة "وينر" (Weiner, 1970) بعنوان السمات الشخصية وردود الأفعال الوجدانية تجاه الامتحانات لدى الطلاب الممتازين والراسبين في الجامعة التي بينت نتائجها أن المستوى المنخفض من التحصيل يتميز أفراده بأنهم أكثر قلقا وأقل تحصيلا، وأقل دافعية للإنجاز، وأكثر مخافة تجاه امتحان نهاية السنة الدراسية. في حين المستوى المرتفع من التحصيل تميز أفراده بأنهم أقل قلقا، وأعلى تحصيلا، وأعلى دافعية للإنجاز، وأكثر قدرة على تحقيق النجاح بفضل قدراتهم و جهودهم الذاتية (سخسوخ، 2007، ص23).

كما وجدت "كيوكلا" (Kukla, 1972) أن الطلاب ذوي الحاجة المنخفضة للإنجاز يعزون فشلهم إلى إنخفاض قدراتهم وهو عامل ثابت ليس من المحتمل أن يتغير بسرعة وليس من المستغرب عندئذ استسلامهم، بينما يميل الطلاب ذوو الحاجة المرتفعة للإنجاز إلى إدراك فشلهم في ضوء نقص الجهد المبذول من جانبهم وهو عامل يمكن تعديله، وهم لذلك يستمرون في إصرارهم بالرغم من فشلهم المتكرر، فهم يعتقدون أنهم سوف ينجحون إذا ما بذلوا جهدا حقيقيا (الصافي، 2000، ص 86).

وكذا دراسة "بركال" (Perkal, 1979) التي توصلت نتائجها إلى التركيز عن أهمية الدافع للإنجاز في رفع وزيادة مستوى التحصيل الدراسي وإحراز النجاح والتفوق في الدراسة (صرداوي، 2009، ص ص 367).

كما أوضحت دراسة" فاروق عبد الفتاح موسى" (1986) أن دافع الإنجاز يزداد عند التلاميذ بزيادة مستوى تحصيلهم الدراسي، ودراسة "فورنر" (Forner, 1987) التي توصلت إلى وجود علاقة إرتباط موجبة ودالة بين الدافعية للنجاح والنتائج الدراسية لتلاميذ التعليم الثانوي، ودراسة "فتحي مصطفى الزيات" (1988) التي وجدت أن نتائج التلاميذ الدراسية العالية ترتبط بمستوى دافعهم للإنجاز، ودراسة "جابر عبد الحميد جابر" (1989) التي توصلت إلى أن الطلاب المتفوقين دراسيا يحصلون نتائج دراسية مرتفعة بالمقارنة إلى المتوسطين والمتأخرين في التحصيل الدراسي (صرداوي، 2009، ص ص 367- 368).

ودراسة سيتا شيتري (Sita Chitri) التي توصلت نتائجها إلى وجود علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين الدافعية للإنجاز والتحصيل الدراسي لدى المراهقين (Chitri, 2014, p8)

ودراسة "الزيات" (1988) التي أظهرت نتائجها وجود فروق في أبعاد الدافعية للإنجاز لصالح ذوي الإفراط التحصيلي (ما عدا الأبعاد: الخوف من الفشل– القلق– المنافسة)، ودراسة "عبد السلام" (1988) التي هدفت لمعرفة الفروق في القدرات العقلية ومفهوم الذات والدافعية للإنجاز بين المتفوقين تحصيليا وغير المتفوقين من المرحلة الإبتدائية والمتوسطة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن المتفوقون تحصيليا أكثر ذكاءا من غير المتفوقين. وكذلك أن المتفوقون تحصيليا لديهم مفهوم أفضل عن ذواتهم مقارنة بغير المتفوقين. والمتفوقون تحصيليا لديهم دوافع للإنجاز أعلى من غير المتفوقين (الغامدي، 2009، ص 171). ودراسة "جيهان العمران" (2006) التي هدفت إلى البحث في الفروق في أبعاد الذكاء الوجداني تبعاً لاختلاف مستوى التحصيل الأكاديمي والنوع والمرحلة الدراسية. واتضح وجود أثر دال لمستوى التحصيل في بعد الذكاء الوجداني العام، والذكاء الشخصي، والذكاء العام، وإدارة الانفعالات لصالح الطلبة المتفوقين والأعلى في مستوى التحصيل الأكاديمي (الفرا والنواجحة،

2012، ص 71).ودراسة "العلوان" و"العطيات" (2010) التي هدفت إلى معرفة العلاقة بين دافعية الإنجاز والتحصيل الأكاديمي لدى طلاب الصف العاشر في مدينة معان بالأردن، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة إرتباطية بين الدافعية الداخلية والتحصيل الأكاديمي. كما أسفرت عن وجود فروق بين الطلبة مرتفعي التحصيل والطلبة متدني التحصيل لصالح الطلبة ذوي الدافعية المرتفعة ولم تظهر النتائج إمكانية التنبؤ بتحصيل الطلبة من خلال معرفة دافعيتهم (الصبحية، 2013، ص 47). وقام "محمد رمضان" بدراسة علاقة الدافعية للإنجاز بمستوى التحصيل الدراسي لدى عينة من الطلبة بالمرحلة الثانوية بدولة الإمارات العربية. وكشفت نتائج هذه الدراسة عن وجود فروق جوهرية في الدافعية للإنجاز لصالح ذوي مستوى التحصيل المرتفع. فالطلاب مرتفعو التحصيل كانوا أكثر دافعية للإنجاز. (خليفة، 2000، ص ص 52-53).

وقارن "جابر عبد الحميد" بين التلاميذ المتفوقين والمتوسطين والمتأخرين دراسيا بالمرحلتين الإعدادية والثانوية بدولة قطر في الدافعية والاتجاهات المدرسية وبعض سمات الشخصية. وتبين أن الطلاب المتفوقين دراسيا قد حصلوا على درجات أعلى من كل من المتوسطين والمتأخرين في التحصيل الدراسي. وذلك من كل التفكير الأصيل والحيوية، فالطلاب المتفوقون دراسيا يحبون العمل بدرجة أكبر، ولديهم قدرة على الإنجاز، ويحبون حل المشكلات الصعبة، ولديهم حب استطلاع عقلي، ويستمتعون بالمناقشات التي تثير تفكيرهم ويحبون التفكير في الأفكار الجديدة بدرجة أكبر من الطلاب المتوسطين والمتأخرين في التحصيل الدراسي، وكذا "مرزوق عبد المجيد" التي هدفت الكشف عن الفروق بين الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا في كل من الدافعية للإنجاز وأساليب التعلم، حيث أوضحت نتائجها وجود فروق جوهرية بين الطلاب المتفوقين والمتأخرين دراسيا في الدافعية للإنجاز لصالح الطلاب المتفوقين (خليفة، 2000، ص ص 53- 54).

حيث تعد الدافعية للإنجاز أحد العوامل الهامة المسؤولة عن التفوق الدراسي إلى جانب العديد من العوامل الأخرى.

-أما فيما يخص الفرضية الثالثة التي مفادها أنه توجد فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تبعا لمتغير التخصص العلمي، فقد تبين من الجدول (9) أن الفروق غير دالة إحصائيا، ويرجع ذلك أن الدافعية للإنجاز لا تتعلق بشكل أساسي بنوع التخصص الذي يدرسه الطالب بل بالخبرة التي يمر بها، ولما كانت الخبرات والمواقف والظروف التي يمر بها الطلبة هي نفسها في كلا التخصصين الأدبي والعلمي، تلاشت معها الفروق بينهم في مستوى الدافعية للإنجاز. فتشابه ظروف المرحلة الثانوية لأفراد العينة سواء كان تخصصهم أدبيا أو علميا كالظروف الدراسية والمشكلات اليومية داخل الثانوية وخارجها، أدى إلى تشابه ردود أفعالهم وكذا مستوى دافعيتهم للإنجاز. وتتفق بعض الدراسات مع نتيجة الفرض مثل دراسة (Babelan2010, Bruce 2006) والتي أظهرت عدم وجود فروق في دافعية الإنجاز تعزى لمتغير التخصص لدى الطلبة الذين يدرسون في نظام التعليم عن بعد، كما تختلف مع دراسة المساعيد حيث أن هناك فروقا بين المتوسطات تعزى لمتغير التخصص (كمور، 2012، ص 348).

ودراسة أبو ناشي التي هدفت للبحث عن العلاقة بين الذكاء الانفعالي ودافعية الإنجاز لدى الطلبة الجامعيين، والتي أشارت نتائجها على وجود فروق في مستوى الذكاء الانفعالي والدافعية للإنجاز تعزى لمتغير التخصص (كمور، 2012، ص 331).

خلاصة:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن الفروق في درجات الدافعية للإنجاز في ضوء متغيرات النوع والتحصيل الأكاديمي والتخصص العلمي لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي. ولتحقيق أهداف الدراسة واختبار فرضياته والإجابة عن تساؤلاته، استخدمت الباحثة مقياس الدافعية للإنجاز لعبد الرزاق صالح الغمدي (2009) على عينة قوامها 200 تلميذ وتلميذة ، حيث أسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز تعزى لمتغيري الجنس والتخصص العلمي، كما أشارت الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائيا في درجات الدافعية للإنجاز بين التلاميذ المتفوقين والمتأخرين دراسيا ولصالح المتفوقين. وقد تم تفسير ومناقشة النتائج في آراء ودراسات سابقة مرتبطة بموضوع البحث.

- مقترحات الدراسة:

التشجيع على إجراء المزيد من الدراسات المستقبلية في مجال دافعية الإنجاز لدى فئتي المتفوقين والمتأخرين دراسيا، بحيث تتناول متغيرات جديدة مثل متغيرات مستوى الدخل، والطبقة الاجتماعية، والفقر والحرمان، وكذا إجراء دراسات حول العلاقة بين أبعاد دافعية الإنجاز والتحصيل الدراسي في مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي وعدم الاقتصار على التعليم الثانوي والجامعي، وأنه من الضروري إعداد برامج لتنمية الدافعية للإنجاز لطلاب التعليم الثانوي بنفس درجة الاهتمام بالنمو المعرفي لهم، مما يسهم في تحقيق أهداف النمو الشامل لجوانب الشخصية.

قائمة المراجع:

1. الحارثي، محمد بن علي بن منادي القرني (2010). **الفروق في دافعية الإنجاز والتفكير الإبتكاري لدى عينة من الطلبة المتفوقين والمتأخرين دراسيا بالصف الثالث المتوسط بإدارة التربية والتعليم بمحافظة القنفذة**. رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية.

2. خليفة، عبد اللطيف محمد (2000). **الدافعية للإنجاز**. القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.

3. سخسوخ، حسان (2007). **أثر مستوى القلق العام على دافع الإنجاز لدى الطلاب المتفوقين عقليا بمرحلة التعليم الثانوي.** رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة باتنة.

4. الصبحية، حنان خلفان بن زايد (2013). **الذكاء الروحي و علاقته بدافعية الإنجاز الأكاديمي لدى طلاب و طالبات معهد العلوم الشرعية بسلطنة عمان**. رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة نزوى.

5. الصافي، عبد الله بن طه. (2000) عزو النجاح والفشل الدراسي وعلاقته بدافعية الإنجاز – دراسة على عينة من طلاب الجامعة المتفوقين والمتأخرين دراسيا بمدينة أبها-. **مجلة جامعة ام القرى للعلوم التربوية والإجتماعية والإنسانية**، العدد 2، 106 -80.

6. صرداوي، نزيم (2009). **المحددات غير الذهنية للتفوق الدراسي**. **دراسة مقارنة بين المتفوقين والمتأخرين دراسياً من تلاميذ السنة الثالثة ثانوي**. رسالة دكتوراه غير منشورة في علم التربية، جامعة الجزائر.

7. صرداوي، نزيم (2011). دافع الإنجاز وتقدير الذات وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى تلاميذ التعليم الثانوي. **مجلة دراسات نفسية وتربوية**، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 6، 230-264.

8. الغامدي، غرم الله بن عبد الرزاق بن صالح (2009). **التفكير العقلاني والتفكير غير العقلاني ومفهوم الذات ودافعية الإنجاز.** أطروحة الدكتوراه في علم النفس، جامعة أم القرى.

9. الفرا، إسماعيل صالح والنواجحة، زهير عبد الحميد. (2012). الذكاء الوجداني و علاقته بجودة الحياة والتحصيل الأكاديمي لدى الدارسين بجامعة القدس المفتوحة. **مجلة جامعة الأزهر بغزة**، العدد2، 58- 90.

10. كمور، ميماس ذاكر. (2012). الدافعية للإنجاز وعلاقتها بمستوى الذكاء الإتفعالي لدى طلبة الجامعة العربية المفتوحة. **مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث و الدراسات التربوية و النفسية**، العدد 2، 321- 354.

11. Chetri. S (2014). Achievement motivation of adolescents and its relationship with academic achievement. International journal of humanities and social science invention, vol3, p p 08-15.

12. Forner,Y (1986). Les déterminants non cognitifs des projets scolaires et professionnels des lycéens en classe Terminale. Thèse de doctorat de troisième cycle, université René Descartes.

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

مستوى الطموح في ظل نظام ـ ل م د ـ

دراسة ميدانيةعل عينة من الطلبة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط

أ. عياط الامين - أ.دعبد الفتاح أبي مولود

جامعة الأغواط-جامعة ورقلة

الملخص: هدفت الدراسة الحالية الى التعرف عن مستوى الطموح لدى عينة من الطلبة الجامعيين في ظل نظام ل م د من كلا التخصصين العلوم الاجتماعية و العلوم التكنولوجية، الذي تبنته الجزائر منذ2003 كنظام دراسة جديد، و أوضحت نتائج الدراسة إلى ان الطلبة يتمتعون بمستوى طموح مرتفع من كلا التخصصين الا انه عند المقارنة بينهما تم التوصل إلى ان طلبة العلوم الاجتماعية يتمتعون بمستوى طموح مرتفع مقارنة بزملائهم.

الكلمات المفتاحية: مستوى الطموح، نظام الدراسة ل م د (ليسانس، ماستر، دكتوراه)

Abstract : The study aimed to explore the ambition's level among a sample of university students in both social sciences and thechnology discipines adopted by algerian state as a new optional system from 2003.

the results show a high level of ambition in both social science and thechnology students and a higher level of ambition among social students in comparaison with their collegies

مقدمة: يعتبر مستوى الطموح من المواضيع الأساسية التي لها علاقة مباشرة بشخصية الإنسان، فهو يرتبط بنشاطات الإنسان اليومية في شتى مجالات الحياة، ويؤثر فيها بقدر كبير وأن لكل فرد طموح معين يأمل الوصول اليه من خلال تحقيق أهدافه المحددة مسبقا وطبعا يختلف طموح الفرد من شخص الى آخر تبعا للفروق الفردية، ويبقى لمستوى الطموح دور هام في حياة الأشخاص والجماعة على السواء إذ يعمل بمثابة حافز يدفعهم للقيام بسلوكيات معينة، فلكل منا طموح معين يضعه أمامه ويجتهد في تحقيقه وقد ينجح أو يفشل في ذلك. فنرى أن مستوى الطموح يقوى حسب رغبة الفرد ومدى إمكانياته المتاحة للوصول إلى ما يطمح إليه خاصة طلبة الجامعة الذين يحلمون آمال و أفكار مستقبلية طموحة عند دخولهم للجامعة، مما يجعل نظرتهم للمستقبل تؤثر على مستوى طموحهم ومن هنا كانت هذه الدراسة التي تسلط الضوء على مستوى الطموح في ظل الإصلاحات الجديدة للمنظومة الجامعية و تبني نظام **(ل ـ م ـ د)**

إشكالية الدراسة: يعتبر الطموح من المتغيرات وثيقة الصلة بالنظرة التفاؤلية المرتبطة بالمستقبل حيث يعد من صفات الفرد السوية التي تورث نظرة أكثر إيجابية نحو الغد والعمل للوصول للأفضل. وذلك لتكوين فكرة عن نفسه و احترامه لها و تقديره لذاته و لمكانته و رغبته في الظفر بالاحترام من المجتمع، فهو عبارة عن مشروع يتبلور منذ المراحل الأولى في المسار الدراسي و يتطور بتطور هذه المراحل، اذ لا تكاد تمر مرحلة من حياة الإنسان الا و يكون قد رسم فيها العديد من الأهداف سواء كانت قريبة او بعيدة المدى إذ عليه ان يبني على أساسها طموحاته و آماله التي بدونها لا يمكن له التقدم في مختلف جوانب حياته لما لها من أهمية في كونها الطريق والسبيل الذي يتبعه لتحقيقها.

و من بين المراحل التي يتبعها الإنسان خاصة في مشواره الدراسي نجد المرحلة الجامعية التي يكون فيها الفرد اكثر نضج عن ذي قبل حيث يرسم أهداف شبه نهائية اعتمادا على مساره و تخصصه الدراسي، إذ يعد التعليم العالي هو الرصيد الاستراتيجي لحركة التنمية في المجتمع،وهو إذ يشهد تحولات كبيرة على مختلف المستويات، نتيجة ظهور عوامل عديدة منها، تزايد ملحوظ في عدد الطلبة المسجلين وعدد الأساتذة و الاحتياجات المتجددة لسوق العمل، وكذلك عدد الجامعات والتخصصات، بالإضافة إلى زيادة النفقات في التعليم العالي ؛ فضلا عن ظهور تطورات وتغيرات كبيرة مثل: ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصالات، والثورة المعرفية الهائلة في مختلف مناحي الحياة، الأمر الذي برزت فيه الحاجة إلى زيادة الاهتمام بالتعليم العالي من حيث الكم والنوع.

ومن بين اهم التغييرات التي طرأت على التعليم الجامعي ظهور نظام (ل . م د) و ذلك لتكييفها مع أطر العولمة والنمو الاقتصادي حتى وصلت إلى سنة **2003** باعتبارها بداية الإصلاحات الأخيرة، بتطبيق نظام الـ ل.م.د كونه أحد التوجهات العالمية الجديدة في مجال التعليم الجامعي، هذا النظام الذي اعتمدته الجامعة الجزائرية وأخذت في تطبيقه وتعميمه تدريجيا على المستوى الوطني. ومن هذا المنطلق وعطفا على ماسبق تأتي هذه الدراسة لمحاولة الإجابة على التساؤلات التالية:

ـ ما مستوى طموح طلبة الجامعة في ظل نظام ل.م.د؟

ـ هل توجد فروق بين طلبة العلوم الاجتماعية و العلوم التكنولوجية في مستوى الطموح في ظل نظام ل م د ؟

فرضيات الدراسة:

ـ يتمتع طلبة الجامعة بمستوى منخفض من مستوى الطموح.

ـ توجد فروق بين طلبة العلوم الاجتماعية و العلوم التكنولوجية في مستوى الطموح في ظل نظام ل م د.

أهمية الدراسة:

-تسليط الضوء على مستوى الطموح في ظل نظام ل م د.

-لفت انتباه القائمين على المنظومة التربوية عامة و الجامعية خاصة الى اهمية تكوين الطالب وفق طموحاته و قدراته.

-تمثل نتائج هذه الدراسة مساهمة في معلومات جديدة بالإضافة الى الدراسات السابقة التي لا تزال خصبة من اجل إجراء دراسات جديدة.

أهداف الدراسة:

-التعرف على مستوى الطموح للطلبة الجامعيين في ظل تطبيق نظام ل م د خاصة بما يتميز به عن سابقه.

-الكشف عن الفروق بين التخصصين العلوم الاجتماعية و العلوم التكنولوجية.

- الدراسات السابقة:

دراسة شلالي لخضر 2017 هدفت إلى معرفة العلاقة بين التوجيه نحو ميادين ل.م.د وكل من التوافق الدراسي ومستوى الطموح لدى طلبة السنة الأولى جامعي، وكذا كشف الفروق في التوافق الدراسي ومستوى الطموح تبعا لبعض المتغيرات: الجنس، التخصص، درجة الرضا عن التخصص. وتوصل الى النتائج التالية:

أن *أغلب الطلبة في السنة أولى جامعي يتمتعون بمستوى مرتفع من مستوى الطموح.*

توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الطموح تبعا للتخصص (علمي/أدبي) لصالح العلميين.

دراسة دلال يوسفي (2013) والتي كان الهدف منها توضيح طبيعة العلاقة بين القلق الاجتماعي ومستوى الطموح وكذا مستوى كل منهما ودلالة الفروق بين الجنسين والتخصصين (علمي ـ أدبي).

مستوى طموح عال بمتوسط حسابي قدره (**59.56**).

ـ عدم وجود فروق دالة بين التخصصين (علمي ـ أدبي) في مستوى الطموح. **(دلال يوسفي،2013، ص و)**

دراسة **"هدى عبد الرحمان أحمد (2010)** بعنوان" تقدير الذات وعلاقته بمستوى الطموح لدى عينة من طالبات كلية المعلمات بجدة" وجود فروق دالة إحصائيا بين تلاميذ تخصص علوم الطبيعة والحياة وتلاميذ تخصص الآداب و العلوم الإنسانية في مستوى الطموح لصالح تلاميذ تخصص علوم الطبيعة والحياة.**(بوفاتح محمد، 2005، ص د).**

دراسة محمد بوفاتح (2005) بعنوان" الضغط النفسي وعلاقته بمستوى الطموح الدراسي لدى تلاميذ السنة الثالثة ثانوي"،

توجد فروق دالة إحصائيا بين درجات طالبات القسم العلمي والقسم الأدبي في مستوى الطموح وجاءت هذه الفروق لصالح القسم العلمي.

دراسة **توفيق محمد توفيق شبير** (2005) هدفت الدراسة إلى معرفة مستوى الطموح وعلاقته بكل من مستوى الذكاء والمستوى الاقتصادي الاجتماعي لدى طلبة الجامعة.

ومن بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة: يوجد مستوى مرتفع للطموح لدى طلبة الجامعة الإسلامية بغزة، لا توجد فروق في مستوى الطموح سواء حسب الجنس أو التخصص (أدبي ـ علمي) أو المستوى الدراسي. (محمد توفيق شبير،2005، ص 204).

ودراسة حمادي (1993 من اجل كشف الفروق في مستوى الطموح بين أفراد عينة البحث وفقا لاختلاف الجنس، والسنة الدراسية، والتخصص، والسن والمستوى الاجتماعي والاقتصادي.) حيث وجدت فروقا ذات دلالة إحصائية بين العلميين والأدبيين في مستوى الطموح ولصالح العلميين.

دراسة باندي وآخرون 1987 (bandey et al) والتي هدفت إلى معرفة مستوى الطموح لدى طلاب العلوم والآداب وعلاقته بالإنبساطية والعصابية، تكونت عينة الدراسة من (**100**) طالبا وطالبة ؛ وقد أظهرت النتائج وجود فروق دالة في مستوى الطموح تعزى لنوع الكلية ولصالح طلاب كلية العلوم، كما بينت النتائج عدم وجود فروق في مستوى الطموح وفقا لمتغير الجنس، بالإضافة إلى أن مستوى الطموح لدى الطلاب كان مرتفعا. (**شلالي لخضر،2017،ص25)**

تحديد المصطلحات:

مستوى الطموح: عرف في معجم **لسان العرب** لـ "إبن منظور" قال:

ـ طمح بصره، يطمح طمحا: رفعه، رجل طماح: يعيد الطرف.

ـ فرس طماح الطرف: طامح البصر، وطموحه مرتفعة.

ـ هو الارتفاع، فيقال بحر طموح الموج أي مرتفع الموج. **(إبن منظور. 1975، ص534)**

اصطلاحا: سنقتصر في التعريف الاصطلاحي على التعريفين التاليين:

تعريف **"هوب" (Hoppe) 1930** :حيث عرفه "بأنه أهداف الشخص أو غاياته أو ما ينتظر منه القيام به في مهنة معينة."

تعريف **"كاميليا عبد الفتاح" 1961**: بأنه سمة ثابتة نسبيا تفرق بين الأفراد في الوصول إلى مستوى معين يتفق والتكوين النفسي للفرد وإطاره المرجعي،ويتحدد حسب خبرات النجاح والفشل التي مر بها. **(عبد الفتاح كاميليا، 1975، ص 03)**

طبيعة مستوى الطموح:هناك ثلاث اعتبارات أساسية يمكن تصور طبيعة مستوى الطموح في ضوئها و هي:

ـ الطموح باعتباره استعدادا نفسيا: والمقصود بالاستعداد النفسي بالنسبة للطموح،أن بعض الناس عندهم الميل إلى تقدير وتحديد أهدافهم في الحياة تقديرا يتسم إما بالطموح الزائد أو الطموح المنخفض، هذا الاعتبار في تحديد طبيعة الطموح يدفعنا إلى مناقشة فكرة الوراثة أو فكرة الاكتساب، غير أن هذه النقطة لم تعد موضوعا للمناقشة،لأن لكل فرد تكوينه البيولوجي الخاص،وهو في الوقت نفسه لا يعيش منعزلا عن التفاعلات الاجتماعية في البيئة التي يعيش فيها،ومن ثم يمكن القول بأن الطموح لدى كل فرد يتأثر بالعوامل التكوينية وعوامل التدريب والتنشئة المختلفة.**(كاميليا عبد الفتاح، 1984، ص 12)**

ـ الطموح باعتباره وصفا لإطار تقدير وتقويم المواقف: ويتكون هذا الإطار من عاملين أساسين:

الأول: التجارب الشخصية من نجاح وفشل التي يمر بها الفرد والتي تعمل على تكوين أساسين يحكم به على مختلف المواقف والأهداف.

الثاني: أثر الظروف والقيم والتقاليد والعادات واتجاهات الجماعة في تكوين الطموح،ومن ثم ينظر الفرد إلى المواقف والأهداف ويقدرها ويقيمها من خلال الإطار الحضاري العام والتجربة الشخصية الخاصة. **(بوفاتح محمد،2013،ص 258)**

ـ الطموح باعتباره سمة: لم يعثر في الدراسات الأجنبية وخاصة دراسات **"كاتل وجيلفورد"** ما يشير إلى أن الطموح في أبعاده المختلفة يعتبر سمة فردية تتسم بها شخصية الفرد وتطبع سلوكه في اغلب مواقف حياته..**(كاميليا عبد الفتاح،1984،ص 13)**

يمكن القول إنه سمة على أساس أنه استعداد عام أو صفة ثابتة نسبيا تتأثر بما لدى الفرد من استعدادات موروثة أو مكتسبة، وكذلك تتأثر بالمواقف المختلفة في المجال السلوكي، أي إننا لا نتوقع أن يكون مستوى الطموح سمة عامة ثابتة ثباتا مطلقا في كل المواقف بل نسبيا واعتبارا للموقف وعناصره. **(شعبان علي عبد ربه، 2010، ص 62)**

فمستوى الطموح نسبي لدى الأفراد من حيث الأهداف التي يطمحون إليها ويسعون لتحقيقها تبعا لقدراتهم واستعداداتهم الواقعية،وكما يقيمون جوانب شخصياتهم والحدود التي يرون أنهم يستطيعون الوصول إليها في تحدي العقبات والضغوطات، على أن نشترط هنا الثقة بالنفس كعامل جوهري لزيادة مستوى الطموح

مستويات مستوى الطموح:يميز الباحثون بين ثلاث مستويات للطموح هي:

1 ـ المستوى الأول:الطموح الذي يعادل الإمكانيات

في هذا المستوى يأتي مستوى الطموح بعد عملية الإدراك والتقييم التي يقدر بها الفرد إمكانياته واستعداداته، ويقف على حقيقة مستواه وقدراته،ثم يطمح مع ما يتناسب ويعادل قيمة هذه الإمكانيات، أي أن بناء مستوى الطموح يسير وفق إمكانيات الفرد، ويطلق عليه الطموح الواقعي أو السوي، مثال ذلك التلميذ النجيب والمتفوق خلال سنة دراسية كاملة ويعزز ذلك بنجاحه في امتحان البكالوريا التجريبي، ومنه تكون له القدرة على تقدير إمكانياته تقديرا حقيقيا، ومن ثم يطمح في الاحتراز على شهادة البكالوريا، عكس التلميذ الذي لم يقدر مستواه الحقيقي، والمتعثر في كل امتحانات السنة الدراسية،والعاجز عن الحصول على نتائج جيدة في امتحان البكالوريا التجريبي، ومع ذلك لا يقدر حقيقة إمكانياته، ويطمح في البكالوريا، فهذا طموح غير سوي.

2 ـ المستوى الثاني: الطموح الذي يقل عن الإمكانيات:

ففي هذا المستوى يملك التلميذ إمكانيات عالية وكبيرة،لكنه لا يستطيع بناء مستوى من الطموح يعادلها ويتناسب معها،أي أن مستوى طموحه اقل من مستوى إمكانياته ومثال ذلك التلميذ المتفوق في مناسبات مدرسية عديدة،لكنه لا يطمح في المشاركة في المسابقات الخارجية التي تجري بين مختلف المدارس، ويعبر هذا عن ضعف ثقته في نفسه،وفي نتائجه يطلق على هذا النوع من الطموح،الطموح غير السوي.

3 ـ المستوى الثالث: الطموح الذي يزيد عن الإمكانيات هذا المستوى عكس المستوى السابق، فمستوى طموح الفرد أعلى من إمكانياته، أي هناك تناقض بين الطموح والإمكانيات، ومثال ذلك التلميذ الراسب في جميع الامتحانات ويطمح في النجاح في البكالوريا، وهذا ما يعرف بالطموح غير الواقعي أو غير السوي.**(أحمد سهير كامل،1999، ص 191 ـ 192)**

النظريات المفسرة لمستوى الطموح:

7 ـ 1 ـ نظرية المجال (Lewin) 1944: يعتبر أن لكل فرد مجاله المميز فيه عن غيره وأن فهم سلوك الفرد والتنبؤ به يعتمد على المجال أو الوسط الذي يوجد فيه، وتتوقف نوعية سلوك الفرد على العلاقة التفاعلية مع مكونات مجاله وهو في إطار هذا المجال يتخطى العقبات التي تقابله أثناء محاولته تحقيق أهدافه ورغباته. **(مدحت أحمد فتح الله علي البربري،2010، ص 82)**

نظرية أدلر Adler:أوضح "أدلر" أن سلوك الإنسان تحركه الدوافع الاجتماعية وهو يرتبط بالآخرين وينشغل بنشاطات اجتماعية تعاونية وتتلخص وجهة نظره في المفاهيم التالية:

أ ـ الأهداف النهائية الوهمية: وهي التي تستطيع تفسير سلوك الإنسان النهائي، وهي حافز حقيقي يحث الإنسان على بذل الجهد، والشخص السوي هو القادر على مواجهة الحقيقة ويسير بموضوعية نحو تحقيق أهدافه معتبرا لإمكانياته وقدراته.

ب ـ الكفاح في سبيل التفوق: وكفاح الإنسان من أجل التفوق والكمال فطري، غير أن الشخص السوي هو الذي يكافح من أجل أهداف اجتماعية، أما الشخص اللاسوي فيكافح من أجل أهداف أنانية.

ج ـ الذات الخلاقة: وهي ذات الفرد الأصلية والمبدعة والتي تدفعه إلى خلق شيئا جديدا بل وتخلق شخصية فريدة .

ـ نظرية إسكالونا (Escalona):

وهي ما تعرف بنظرية **القيمة الذاتية للهدف،** وترى أنه على أساس قيمة الشيء الذاتية يتقرر الاختيار، بالإضافة إلى احتمالية النجاح والفشل المتوقعة، والفرد يضع توقعاته في حدود قدراته، وتقوم النظرية على ثلاث حقائق هي:

أ ـ هناك ميل لدى الأفراد للبحث عن مستوى طموح مرتفع نسبيا.

ب ـ هناك ميل لجعل مستوى الطموح يصل ارتفاعه إلى حدود معينة.

ج ـ الميل لوضع مستوى طموح بعيد جدا عن المنطقة الصعبة جدا والسهلة جدا. **(كاميليا عبد الفتاح، 1990، ص 47).**

ـ نظرية محددات الذات (SDT):

قام أصحاب هذه النظرية بإجراء العديد من الدراسات خلال السنوات الأخيرة، لبيان مستوى فائدة شكل الطموح للصحة النفسية والرفاهية، حيث أظهرت دراسة "**كاسر و "ريان"** (1993) **Kasser & Ryan** أن الأشخاص الذين يهتمون بشكل كبير بالنجاح المادي كعامل أساسي لنمو الشخصية والانتماء والإنتاجية يعانون من ضعف في الصحة النفسية، بينما أظهرت **(Kasser & Ryan 1996)** أنه يمكن تقسيم الطموح إلى قسمين (داخلي وخارجي) وذلك من خلال اختبار سبعة أهداف للحياة (الثروة ـ الشهرة الاجتماعية ـ نمو الشخصية ـ الانتماء ـ الإنتاجية ـ الصحة الجسدية)، كما أن هذه الأهداف ترتبط بالصحة النفسية لكونها تعمل على تلبية الحاجات النفسية الأساسية كالاستقلال والكفاءة، والانتماء، لأن الحاجة إلى الاستقلال تشير إلى الإحساس بالاختيار والإرادة في تنظيم السلوك، بينما الحاجة إلى الكفاءة لها علاقة بالشعور بالتفاعل الفعال مع البيئة.**(علاء سمير موسى القطناني، 2011، ص 50).**

العوامل المحددة لمستوى الطموح:

أ- العوامل الشخصية:

خبرات النجاح والفشل: يحتاج كل فرد إلى تحقيق الشعور بالنجاح، والوصول إلى النجاح يولد في النفس شعورا ايجابيا، يدفعها إلى العمل وتحقيق المزيد من النجاحات أي أن النجاح يولد النجاح... أما الفشل فانه يترك أثرا سيئا في النفس خاصة إذا فشل فشلا ذريعا يؤدي إلى الشعور باليأس فأول خطوة يخطوها الطفل بالنجاح وتحقيق الذات يضاعف شعور الطفل بالنجاح عندما نشجعه ونظهر له سرورنا من محاولاته وتصرفاته... وهذا الشعور هو أساس طموح الفرد. **(نبيلة عباس الشوربجي،2003، 82)**

مفهوم الفرد عن نفسه: ان مفهوم الفرد عن نفسه هو المجموعة الخاصة من الأفكار والاتجاهات التي تتكون لدينا حول وعيينا بأنفسنا في أي لحظة من الزمن، أو هو ذلك البناء المعرفي المنظم الذي ينشا من خبرتنا بأنفسنا، ومن الوعي بأنفسنا تنمو أفكارنا أو مفاهيمنا عن نوع الشخص الذي نجده في أنفسنا. **(عبد الرحمان سليمان،1998،ص6)**

في ضوء تصور الفرد لنفسه يضع مستوى طموحه، وفكرته عن نفسه هي المسئولة عن رفع أو خفض مستوى طموحه، فالإنسان الواثق من نفسه، ومن إمكاناته ولديه وعي حقيقي بها يختار لنفسه من الأعمال ويضع لنفسه من الأهداف ما يتفق وتلك الإمكانات.**(مرزق عبد المجيد عواد،2012،ص41)**

الثواب والعقاب: يعتبر الثواب والتعزيز دافعا للطالب إلى رفع مستوى طموحه، حيث أن شعوره بحلاوة النجاح يجعله يضع هدفا أبعد في كل مرة، وهذا يعني أن الفرد يقوم بإنجاز عمل ما يصل به إلى تحقيق هدفه، وهذا النجاح يجلب له التعزيز سواء كان معنوي أو مادي وبالتالي يرفع مستوى طموحه. **(عبد ربه علي شعبان، 2010، ص 64)**

القدرات العقلية:

الذكاء: يرتبط الذكاء بتحديد الفرد لمستوى طموحه ويتوقف مستوى الطموح على قدرة الفرد العقلية، فكلما كان الفرد أكثر قدرة كان في استطاعته القيام بتحقيق أهداف أبعد أو أكثر صعوبة، والذكاء يمد الفرد بالقدرة على الاستبصار، ووسائل تدبير الفرص، وحل المشاكل والتغلب على العوائق واستخلاص النتائج، والقدرة على التوقع.

وقد يؤثر الذكاء بشكل غير مباشر، ذلك أن الفرد ضعيف الذكاء ينظر إليه الناس على أنه عاجز عن المشاركة والعمل الإيجابي، ومن ثم قد يخفض من مستوى طموحه، وهنا تظهر لدى هؤلاء الأفراد سمات الاتكالية والانسحاب ويعجزون عن تحديد الأهداف بصورة واقعية، والعكس تكون التوقعات بالنسبة للأذكياء حيث تقوى لديهم الاتجاهات الإيجابية والمشاركة الفعالة وتزداد ثقتهم بأنفسهم ويحققون النجاح فيرفعون من مستوى طموحهم. **(سليم محمد سليم الشايب، 1999، ص161)**.

درجة الأداء (الإنجاز): يعني هذا أن الفرد إذا حقق إنجازا يعادل أو يفوق مستوى طموحه، فإنه يرتفع هذا المستوى، أما إذا وصل إلى إنجاز أقل من مستوى طموحه فإنه سيؤدي إلى انخفاض مستوى الطموح لديه، فتحقيق الفرد لمستوى أداء يقل عن مستوى طموحه يثير لديه الإحساس بالفشل، ويحرك بالتالي استيائه وتحقيقه لمستوى أداء يزيد عن مستوى طموحه أو يعادله يثير لديه الإحساس بالنجاح. **(محمد بوفاتح، 2013، ص ص 278 ـ 288)**

ب- العوامل الاجتماعية:

الأطر المرجعية للفرد: يقصد بالإطار المرجعي الوالدين والأخوات والإخوة والرفاق وزملاء المدرسة والجيران وتشترك تلك الأطر المرجعية في وضع المعيار الأخلاقي والقومي للأفعال، وللأقران والجماعة المرجعية للفرد تأثير في كثير من النواحي سواء على مستوى الوجدان، أو السلوك أو القيم، أو الاتجاهات، ومن هذه النواحي مستوى الطموح، وقد أشارت العديد من الدراسات إلى أثر الوالدين والأقارب والأصدقاء والمعلمين و أوضحت أن دور هؤلاء يعد دوراً مركزاً في قرارات الطالب فيما يتعلق بمستقبله التعليمي والمهني ومستوى طموحه المستقبلي. **(عبد ربه شعبان، 2010، ص67)**

وأشارت بحوث علم النفس الاجتماعي إلى أن طموح الفرد يتأثر تأثرا مباشرا بالجماعة التي ينتمي إليها فالفرد ينمو في إطار اجتماعي يشمل الأسرة والمدرسة والأصدقاء.

التنشئة الاجتماعية: تلعب الأسرة دوراً كبير في تشكيل شخصية الطفل فهي أول مؤسسة اجتماعية تتلقف الطفل ومن خلالها يتشرب الطفل العادات، والتقاليد، والقيم، واللغة، وطريقة التفكير وهي التي تدفعه دائما للتطلع إلى الأفضل لان هذا يرفع من مستوى طموحه وتؤثر عملية التنشئة الاجتماعية منذ بداية حياته على مستوى طموحه، فنجد أن الأسرة تنمي مستوى طموح الفرد عن طريق دفع أبنائها إلى الجد والاجتهاد.

استقرار الأسرة: "فالشخص الذي ولد وتربى في نفس البيت، ومع نفس الأصدقاء، وفي نفس المدينة، وفي بيئة مستقرة نسبيا من المحتمل أن يكون مستوى طموحه عاليا". **(عبد الرحمان سيد سليمان، 1997، ص 574).**

طموح الوالدين وتوقعاتهما: تعد الأسرة هي ركيزة حياة معظم الأطفال وتظل هي مدار الوجود طوال فترة الطفولة،وقد يتعرض بعض الآباء في حياتهم للفشل الشديد في تحقيق بعض أهداف هامة بالنسبة لهم ومن ثم يعوضون عنها بتحقيقها في أبناءهم فيدفعونهم وفقا لذلك ويؤمنون لهم من الوسائل المختلفة ما يوصلهم إليها. **(كاميليا عبد الفتاح،1984، ص22)**

ج- العوامل الاقتصادية: يعتبر المستوى الاقتصادي من العوامل المهمة التي تساهم في تنويع الإثارة وفي اختلافها فهو المحرك لمشاريع الإنسان تنتظم به حياتنا، تتأثر نشاطاتنا وخاصة النشاطات المدرسية.**(جليل وديع شكور، 1991، ص 74)**

د- البيئة المدرسية: إن الدور الذي تقوم به المؤسسات التربوية النظامية لا يقل أهمية عن الدور الذي تؤديه الأسرة، فأسلوب التربية الذي تتبعه المدرسة له بالغ الأثر في مستويات طموح التلاميذ.

ولنجاح المدرسة في خلق شخصيات متوافقة لابد من الموازنة بين ما تعطيه كمقررات وواجبات وتحصيل وبين ما يطيق التلميذ تقبله وتمثله آراءه، أي الموازنة بين المقررات والقدرات وبين مستوى التحصيل الدراسي ومستوى الطموح، لأن عدم توازن الهدف المنشود مع الوسيلة المؤدية إليه تعجيزا للدارس وتثبيطا لهمته ويؤديان به إلى الفشل. **(الدسوقي كمال، 1984، ص 345)**

بعض سمات الشخص الطموح: إن للشخصية الطموحة سمات تتميز بها عن غيرها من السمات من بينها ما يلي:

01- يميل إلى الكفاح.

02- نظرته إلى الحياة فيها تفاؤل.

03- لديه القدرة على تحمل المسؤولية.

04- يعتمد على نفسه في إنجاز مهامه.

05- مثابر في الأعمال التي يقوم بها.

06- يميل إلى التفوق.

07- يسير وفق خطة معينة.

08- يحدد أهدافه بشكل دقيق.

قياس مستوى الطموح: شهد موضوع قياس مستوى الطموح تطورا ملحوظا منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وذلك من خلال العديد من المحاولات التي قام بها الباحثون لتحديد الأساليب المناسبة لقياس هذا المجال، ومن أهمها:

التجارب المعملية: فكانت أول التجارب المنجزة من طرف **هوب (Hoppe)** حيث استخدم هذه الطريقة لقياس الأهداف القريبة والتي يكون النجاح فيها ممكن التحقق بأقصر وقت.

وقد وضع في تجاربه أسلوبين هما:

أ) الأسلوب المباشر: يطلب من مفحوصيه القيام بأداء معين، حسب نظام خاص، ويتحدد مستوى الطموح لدى الفرد في ضوء الأداء التالي الذي يتوقعه.

ب) الأسلوب غير المباشر: من خلال ملاحظة الباحث لما يبديه المفحوص من حركات تلقائية وتعليقات تحدد مدى إحساسه بالنجاح أو الفشل وكيفية مواصلة المفحوص للعمل الذي يقوم به. **(صلاح أحمد مرحاب، 1989، ص 88)**

ـ **طريقة المواقف الفعلية في الحياة:** وفيها يطلب من المفحوصين تذكر أحداثا وقعت لهم في حياتهم تتراوح بين الإحباط الشديد وبين الإحباط العادي، أو الحالة العادية، وبعد ذلك يطلب من المفحوصين تقدير أثر الحدث على مستوى طموحهم في ضوء الدرجات التالية:

ـ رفعه لدرجة كبيرة.

ـ متوسطة.

ـ خفضه لدرجة بسيطة.

ـ **الاستبيانات:** يتعذر عل على الكثير من الباحثين إجراء التجارب المعملية أو تطبيق مواقف الحياة على مفحوصيهم، هذا ما دفع إلى التفكير في طرق قياس أخرى تسهل عملية تحديد مستوى الطموح وقياسه بدقة وموضوعية أكثر، ولهذا تم الاعتماد على الاستبيان كأداة للقياس، فظهرت الاستبيانات في المجال المهني والتعليمي،

ـ **دراسات الأمال:** تعتمد دراسات الآمال لتحديد مستوى الطموح لدى الأفراد انطلاقا من سؤال محدد كالتالي: ما هي الأماني والآمال التي تريد أن تصل إليها في المستقبل وتكافح من أجل الوصول إليها ؟

وفي هذا الصدد ذكر علماء مثل **"كوب" (1954) Cobb** و **"ويلر" (1963) Wheele** أن هذا النوع من الدراسات يعطي مؤشرا هاما للأهداف البعيدة والقريبة التي يطمح لها الشخص، وتكون هذه الأهداف مختلفة من مرحلة إلى أخرى من عمر الفرد، ففي مرحلة الطفولة تكون مبنية على الإنجاز الشخصي والقبول الاجتماعي، أما في مرحلة المراهقة فترتكز على المكانة والمنزلة الاجتماعية والشهرة. **(أولغا قندلفت، 2002، ص 74).**

نظام ل م د L M D في الجامعة الجزائرية: تعتبر الجامعة الجزائرية من أقدم الجامعات في الوطن العربي، والتي هدفت إلى تكوين أبناء الشعب على اختلاف أطيافه بما يخدم كافة القطاعات الحيوية واللازمة لتحقيق التنمية الشاملة، ومن باب الاهتمام الذي توليه الدولة عموما والوزارة الوصية خصوصا، عكفت على القيام بعدة إصلاحات في منظومة التكوين

الجامعي، وذلك من أجل مواكبة التغيرات والتطورات الحاصلة على المستوى العالمي وفي كل الأصعدة العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذا تكييفها مع أطر العولمة والنمو الاقتصادي حتى وصلت إلى سنة **2003** باعتبارها بداية الإصلاحات الأخيرة، بتطبيق نظام الـ ل.م.د كونه أحد التوجهات العالمية الجديدة في مجال التعليم الجامعي، هذا النظام الذي اعتمدته الجامعة الجزائرية وأخذت في تطبيقه وتعميمه تدريجيا على المستوى الوطني.

ـ إصلاحات سنة 2002 ونظام LMD: تحت ضغط التغييرات الدولية والتطورات العلمية والتكنولوجية التي يمر بها العالم حاليا، والذي تسببت في انقلاب موازين القوى بين المجتمعات وأحدثت تغيرات في المفاهيم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتغيرات سريعة في المهن ووسائل وأساليب العمل والإنتاج، دون تمكين أي مجتمع من العيش في عزلة عن العالم المحيط به، وبما أن منظومة التعليم العالي ليست بمنأى عن هذه التطورات المتسارعة في كل دول العالم وفي شتى المجالات، تجد نفسها داخل عجلة التغيير الذي لا مناص منه حتى تواكب وتتكيف مع هذه التطورات العالمية من جهة، والمساهمة في أداء مهامها الفعلية وعلى رأسها تطور الأمة، فهي "مطالبة اليوم أكثر من أي وقت مضى بالالتزام الواعي بحاجات المجتمع الأساسية، وهذا يتطلب بالضرورة صياغة نوعية العلوم التي تدرسها كما يتطلب تنسيقا بين التكوين الجامعي وسوق العمل، ومن هنا يتبين لنا أهمية ربط الجامعة بالقطاع المستخدم". **(لحسن بو عبد الله، 1998، ص 184)**

وعليه حددت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي إستراتيجية عشرية لتطوير القطاع للفترة **2004-2013**، وتتضمن هذه الإستراتيجية في أحد محاورها الأساسية، إعداد وتطبيق إصلاح شامل وعميق للتعليم العالي، تتمثل المرحلة الأولى لهذا الإصلاح في وضع هيكلة جديدة للتعليم ذات ثلاث أطوار تكوينية: ليسانس . ماستر . دكتوراه، أي هيكلة تستجيب للمعايير الدولية، وتكون مصحوبة بتحيين وتأهيل مختلف البرامج التعليمية، وباعتماد تنظيم جديد للتسيير البيداغوجي. **(وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2007، ص07)**

ـ أهداف إصلاحات 2002:

ـ تزويد القطاع الاقتصادي بما يحتاج إليه من إطارات قادرة كما وكيفا على تلبية متطلبات التنمية في البلاد.

ـ ربط التعليم الجامعي بالحقائق الوطنية وجعله يعالج مشكلات الحياة المختلفة، وتوجيهه نحو الفروع التي يحتاجها الاقتصاد الوطني. **(محمد مقداد، 1995، ص 225)**

ـ تحسين نوعية التكوين بما يسمح من جهة من التوافق مع الأنماط العالمية والاستجابة للاحتياجات الوطنية من جهة ثانية.

ـ استمرار الطابع العمومي للجامعة لضمان استمرار ديمقراطية التعليم وذلك برصد الموارد اللازمة ومنح الاستقلالية الكافية لرفع مستوى الأداء في المؤسسات الجامعية.

ـ رفع قدرة الاستيعاب بما يتناسب مع تزايد الطلب على التعليم العالي.

ـ توجيه الجامعة تدريجيا نحو استقلالية حقيقية ومسؤولة. **(ليلى بن عيسى، 2006، ص 100)**

ويتمثل جوهر الإصلاحات في نقطتين:

أ- إعادة تنظيم المنظمة الجامعية: ويتعلق الأمر بقانون 98 . 253، الذي أسس نظام الكليات خلفا لنظام المعاهد، وتعتبر المرحلة الحالية كمرحلة تجسيد هذا التنظيم من حيث تطبيق نظام الكليات بما تحتويه من استقلالية في تسيير شؤونها عبر إنشاء هيئات الكلية كمجلس إدارة الكلية والمجلس العلمي لها.

ب- أما الشق الثاني فيرتبط بالتحول تدريجيا في مجال التكوين إلى نظام LMD.

ـ نشأة نظام ل.م.د (LMD):قبل الولوج إلى نظام الـ ل.م.د الذي تبنته الوزارة الوصية منذ سنة 2002 كهيكلة جديدة للتعليم العالي، رأينا عرض بعض جوانبه التاريخية . رغم قلة المراجع في هذا المجال . ولو بصورة مختصرة.

هذا النظام الذي أخذ عدة تسميات منها: **LMD** (ليسانس . ماستر . دكتوراه)، **BAMAD**، **8/5/3**، وهي تسميات لأطوار التعليم العالي سواء المطبقة في أوربا أو في الدول الأنجلوساكسونية، والذي تطور ضمن عدة محطات "من ندوة السربون إلى

ندوة براغ، مرورا بلقاء بولون وسلمانك، مع تكليف **"كلود ألاغر""** (**Claude Allégre**) كوصي على هذا المشروع ليخلفه **"لوك فيري"** (**Luc Ferry**) بعد ذلك. (**Élisabeth Doutre, 2005 , p 219**)

في الواقع إن هذا الاقتراح **(اقتراح بولون)** المتميز بتطور ملحوظ قد تم تبنيه تاريخيا بعد الحرب العالمية الأولى سنة **1949** من طرف مجلس أوروبا، الذي كان يهدف إلى إنشاء معايير مشتركة لكل الأعضاء. **(عبد الكريم حرز الله، وكمال بداري، 2008، ص 19)**

ليتواصل بعد سنة **1949** تبلور فكرة هذا الاقتراح في خضم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والصناعية داخل القارة الأوروبية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ولكنه هذه المرة في صورة اقتصادية تسمى "الاتحاد الأوروبي" بداية من سنة **1957** ووصولا إلى سنة **2013**،

ودائما في تطور تاريخي لهذا النظام نجد أنه خلال السبعينات من القرن الماضي طرحت فكرة المعايير الثقافية والموضوعية الأوروبية لاسيما عند مناقشة فكرة تناغم وانسجام التعليم العالي في أوروبا، والتي عبر عنها الفيلسوف والمفكر الأوروبي **"ميشال فوكو" (Michel Foucault)** من خلال بعض العبارات الفلسفية **"منظور التعليم العالي"**، **"الإنجيل العالمي"**، **"المنظور العالمي". (Sarah croché , 2010 , p 350)**

هذه الأفكار الفلسفية حول التعليم العالي في أوروبا، تم الأخذ بها كأسس نظرية لامتداد هذا النموذج الأوروبي لكي يصبح ذا بعد عالمي.

لنصل إلى نهاية الثمانينات حيث نجد أن الحكومات الأوروبية سخرت كل الوسائل من أجل تكوين الموارد البشرية الضرورية ولسد احتياجات سوق العمل من اليد العاملة، وذلك من خلال إطلاق برنامج **"إيراسموس" (Erasmus)** سنة **1987**، "هذا البرنامج الذي ظلت اللجنة الأوروبية تسيطر عليه حتى سنة **1990** وترى فيه أنه يعمل على زيادة عدد الطلبة وحركيتهم، كما أنه ينتج شهادات تحمل سمة التعاون بين بلدان أوروبا بالإضافة إلى المشروع الضمني لهذا البرنامج هو "تكوين النخبة الذين يحمون المشروع السياسي والاقتصادي للاتحاد..."" **(Sarah Croché, 2010, P79-80)**

ومع بداية التسعينات استفاقت الدول الأوروبية على وقع تهديد حقيقي مفاده "أنه ولأول مرة، عدد الطلبة الأوروبيين في أمريكا يفوق عدد الطلبة الأمريكيين في أوروبا"، وعليه طالبت السلطات السياسية الأوروبية من مثقفيها تفسير سبب تدني جاذبية الجامعات الأوروبية لطلبة العالم وتقديم اقتراحاتهم لتصحيح ذلك.**(Sarah Croché, 2010, P107)**

حيث أنه وبناء على ما ورد من التحليلات والتفسيرات لهذه الوضعية الحرجة ومن خلال الأفكار والملاحظات المقدمة تم وضع الأرضية التمهيدية لاقتراح **"سربون" (Sorbonne)** كمحطة أولى لتليها بعد ذلك عدة محطات هامة في بلورة مشروع نظام ل.م.د

- **ندوة السربون** (25 ماي **1998**): وخلاله تم الإمضاء والمصادقة عليه من طرف وزراء التعليم العالي لكل من فرنسا، إيطاليا، ألمانيا، وبريطانيا، البيان نادى بحركة جماعية وموحدة من أجل الوصول لحركية الجامعيين ومعادلة الشهادات بتطبيق نظام الطورين:

- طور الليسانس
- طور بعد الليسانس، الذي يبدأ بالماستر ثم ينتهي بالدكتوراه**(عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، 2008، ص20)**

ويبقى رفع عدد الطلبة الأجانب واستقطابهم هو هدف سياسي بالدرجة الأولى.**(Jean_Emile charlier et al , 2009 , p 42)**

- **ندوة بولون** (**19** جوان **1999**): انعقدت ندوة بولون **(Bologne)** في **19** جوان **1999**، حيث تم تقديم عرض مفصل للأهداف الموجودة من ندوة السربون، شارك في هذه الندوة وزراء التربية بالإضافة إلى اللجنة الأوروبية والاتحادات الجامعية، وقعت خلاله **29** دولة أوروبية على بيان مشترك يحتوي على **06** مبادئ هي:

1- نظام للرتب الأكاديمية سهل القراءة والمقارنة وإنشاء ملحق للشهادة.

2- نظام مجزء إلى طورين: الطور الأول (قبل التدرج) لاحتياجات سوق العمل ومدته 03 سنوات، والطور الثاني (تدرج) متخصص ومتمم للطور الأول.

3- نظام تجميع وتحويل الأرصدة مستنبط من نظام ECTS (نظام تحويل الأرصدة الأوروبية) والذي تم استعماله في إطار برنامج ERASMUS.

4- الحركية البشرية (الطلبة، الأساتذة، والباحثين).

5- ميكانيزم التقييم الدائم الذي يضمن نوعية التكوين المتاح.

6- البعد الأوروبي للتعليم العالي. **(عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، 2008، ص21)**

وقد سخرت الدول الأوروبية مجموعات عمل لتقييم هذا النظام دوريا، وذلك من خلال عقد ندوات وملتقيات مثل:

ـ قمة ليزبون (Lisbonne) 2000: والتي جاءت لتثمين نجاح اقتراح بولون وإعطائه شرعية أكثر. **(Jean Emile Charlier et al, P27)** ثم تلتها **ندوة براغ** (سنة **2000**).

ـ لقاء سلامنك (Salamanque) بتاريخ **30** مارس **2001**: والذي جمع أكثر من **300** مؤسسة جامعية أوروبية من أجل التذكير بالأهداف الرئيسية للتناغم والانسجام بين أنظمة التعليم العالي الأوروبية، والذي أختتم بالتأكيد على النقاط التالية:

- استقلالية ومسؤولية الجامعات الأوروبية
- جعل التعليم العالي مسؤولية عمومية
- البحث شرط أساسي في التعليم العالي
- تنظيم التنوع في الشهادات والتخصصات وأنظمة التقويم ومعايير الجودة.**(Danniel Franck Idiata , 2006 , pp 196 - 198)**

كما قد كان هذا اللقاء في **"سلامنك"** كتمهيد لندوة براغ بعد شهرين من ذلك.

ـ ندوة براغ (ماي **2001**): انعقدت ندوة براغ في **19** ماي **2001**، والذي جمع كل وزراء التربية للدول الأوروبية، حيث أقر ما يلي:

- ✓ ضرورة اعتماد نظام الطورين وملائمة الشهادات من حيث المقروئية والمقارنة
- ✓ تنظيم التنوع في التخصصات والمقاييس بمحتوياتها
- ✓ تنمية الحركية وتعزيز برنامج التبادل
- ✓ تعميم نظام الأرصدة ECTS
- ✓ تقوية الجاذبية الأوروبية في ميدان التعليم العالي
- ✓ دعم فكرة التربية والتكوين مدى الحياة. **(عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، 2008، ص 21-22)**

ـ ندوة غراز (**GRAZ**): فبتاريخ **29-31** ماي **2003** دعت الرابطة الأوروبية للجامعات لهذه الندوة من أجل عقد الاتفاق الثاني بين المؤسسات الجامعية الأوروبية لتأكيد دور هذه الأخيرة للمساهمة في تفعيل الإصلاحات على المستوى الأوروبي. **(Daniel Franck Idiata, 2006, P47)** لتأتي بعد ذلك ندوة برلين بعد **05** أشهر من الندوة السابقة

ـ ندوة برلين (Berlin): والتي انعقدت في **18- 19** سبتمبر **2003**، إذ قرر خلالها المشاركون بتعجيل تطبيق باقي مراحل المشروع، وهذا بتحديد الأهداف على المدى القصير، وعليه ابتداء من سنة **2005** يطلب من جميع البلدان الممضية على المشروع القيام بما يلي:

- تبني نظام الطورين
- التسليم المجاني والأوتوماتيكي لكل خريجي الجامعة لملحق الشهادة باللغة الأكثر انتشارا.
- المبادرة في وضع ضمان النوعية.

وفي هذه الندوة قرر المشاركون عقد جلسة عمل في **"بارغن"** في ماي **2005**.

ـ ندوة بارغن (Bargen): انعقدت ندوة **"بارغن"** في النرويج من **19** إلى **20** ماي **2005**، لتقييم نصف مسلك الإصلاح وتحديد الأهداف المرجوة إلى غاية سنة **2010**، حوصلة تقييم المرحلة أكدت على ما يلي:

أ ـ تسجيل صعوبات في المعادلة بين نظم بعض الشهادات.

ب ـ وضع نظام لضمان النوعية لدى مختلف الدول، مبني على معايير موحدة.

ج ـ الاعتراف بالشهادات وبفترات الدراسة في غالبية الدول المنضمة للمشروع.

د ـ الاجتماع يوصي الدول غير منضمة في التعجيل بالالتحاق بالمشروع. **(عبد الكريم حرز الله وكمال بداري، 2008، ص ص 22 ـ 23)**لنختتم أهم المحطات التي مر بها نظام ل.م.د بقمة لندن سنة **2010**

ـ قمة لندن (2010) (London): هذه القمة التي تعتبر كشهادة نجاح تثمّن ما تم تحقيقه من اقتراح بولون، كما وصف بأنه اجتماع لتقيم الأهداف المسطرة منذ **1999**، وبما أن الأهداف الأساسية لاقتراح بولون تحققت، تقرر في هذه القمة اعتماد إستراتيجية جديدة وهي تدويل المشروع وجعله نظام تكوين عالمي. **(Jean_Emile Charlier et al, 2009, P50)**

أما بالنسبة للجزائر فقد قامت بتبني مشروع بولون خلال الموسم الجامعي **2003-2004** كبداية، "وذلك من خلال انضمامها إلى مشروع **(Temps Meda)** الممول من طرف اللجنة الأوروبية في إطار التعاون بين الجامعات الأوروبية ونظيراتها في شمال أفريقيا والشرق الأوسط"، كما نجد مشروع **(TempusTacis)** للشراكة بين الجامعات الأوروبية وجامعات دول آسيا الوسطى، وكذا مشروع **(Alcue)** الخاص بجامعات أمريكا الجنوبية، بالإضافة إلى مشروع **(UMAP)** الخاص بدول آسيا والمحيط الهادي، ومشروع **(AUNP)** الخاص بدول جنوب شرق آسيا. **(Jean_Emile Charlier, 2009, P57-59)**

من خلال ما سبق يتضح لنا أن أغلب دول العالم وعبر كل القارات، اتجهت نحو تطبيق مشروع بولون متأثرة بالنجاح الذي حققه هذا النظام في ميدان التعليم العالي، وهو ذات الأمر الذي دفع الجزائر إلى الاتجاه نحو تطبيق الهيكلة الجديدة في تعليمها العالي، بصورة قطعية، وتحت مظلة الشراكة الأورومتوسطية من أجل خلق فضاء أورومتوسطي للتعليم العالي.

3 ـ تعريف نظام الـ ل.م.د:

لعل أول تعريف تام وكامل ظهر على الساحة العلمية العالمية، هو ما جاء في ندوة السربون **(Sorbonne)** والذي عرف خلالها بأنه: فضاء أوروبي مفتوح على التعليم العالي، يمنح الكثير من الإمكانات الإيجابية التي يحترمها الجميع، يشجع الحركية والتعاون الوثيق، لع اعتراف دولي وقوة جذب واستقطاب بفضل مقروئيته الداخلية والخارجية، وهو نظام يعتمد على طورين أساسين (قبل ليسانس . بعد ليسانس) له أن يكون معترف به يسهل المقارنة والمعادلة على المستوى الدولي، وهو نظام أصلي ومرن من خلال استخدامه للأرصدة والدراسة وفق النظام السنوي، هذا ما يتيح للطلبة تثمين أرصدتهم المكتسبة خلال ما اختاروه من دراسة (أولية ـ مستمرة) في مختلف الجامعات الأوروبية للحصول على شهاداتهم بما تسمح لهم ظروفهم واستعداداتهم، حيث يسمح للطلبة من دخول الجامعة في أي وقت طيلة حياتهم المهنية، ورغم اختلاف البيئات التي يأتون منها.**(Ministre d'éducation nationale, de la recherche et de la technologie , 1998 , p 01)**

ويعرف **"دانيال فرانك إدياتا" (2006) Daniel Franck Idiata** على أنه: "هيكلة جديدة للتعليم العالي يهدف إلى إنشاء فضاء أوروبي للتعليم العالي **(EEES)** يسهل حركية الطلبة في أوروبا، ويضمن التعرف المتبادل للشهادات الأوروبية، ويمنح الترابط بين مختلف الأنظمة العالمية، وفي نفس الوقت يزيد من التعاون بين الجامعات، وهذه الهيكلة تستند إلى ثلاث **(03)** درجات: ليسانس (طور أول) ماستر (طور ثاني) دكتوراه (طور ثالث)". **(Daniel Franck Idiata, 2006, P28)**

كما تعرفه **"شفيقة بولكور" (2007)** بأنه: "هيكلة جديدة للدراسة الجامعية، تعتمد ثلاث (03) مستويات في التكوين (ليسانس . ماستر . دكتوراه)، إذ تشير ليسانس إلى ثلاث سنوات من التكوين بعد البكالوريا، وتشير الماستر إلى سنتين إضافيتين بعد الليسانس، وتشير الدكتوراه إلى ثلاث سنوات إضافية بعد الماستر". **(Boulkour Cahfika, 2007, P122)**

4 ـ أسباب اختيار الجزائر لنظام ل.م.د: الأسباب التي أدت بالجزائر إلى اعتماد نظام (ل.م.د) إلى الأسباب التالية:

- وجود اختلال هيكلي تراكم عبر السنين جعل الجامعة الجزائرية بعيدة عن الواقع على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والثقافية.
- عدم قدرة التكوين العالي على الاستجابة بنجاعة إلى التحديات التي فرضها التطور غير المسبوق للتكنولوجيا وظاهرة عولمة الاقتصاد والاتصال.

وأخذا في الاعتبار ما يلي:

- العلاقات الدولية التي فرضت وجود قواسم مشتركة اقتصادية وثقافية بين الأمم.

ـ التجارب الناجعة التي أثبتت نجاعة اعتماد إصلاحات عميقة في منظومة التكوين تستلهم من نجاحات الآخرين. **(سعدان شبايكي، 2011، ص ص 09 ـ 10)**

5 ـ هيكلة نظام (ل.م.د): يستند نظام (ل.م.د) في هيكلته على ثلاث مراحل تكوينية تتوج كل مرحلة بشهادة جامعية

- ليسانس (مرحلة أولى): ويقصد بها شهادة البكالوريا + 3 وتتوج بشهادة ليسانس.
- الماستر (مرحلة ثانية): ويقصد بها شهادة البكالوريا + 5 و تتوج بشهادة الماستر.
- الدكتوراه (مرحلة ثالثة): ويقصد بها شهادة البكالوريا + 8 وتتوج بشهادة الدكتوراه.

6 ـ المبادئ الأساسية لنظام الـ ل.م.د وأهدافه:

قد نجد من بين أهم المبادئ التي أسس عليها نظام الـ ل.م.د ما يلي:

- أنه يعتمد في هيكلته على **03** درجات:
- أ ـ ليسانس.
- ب ـ ماستر.
- ج ـ دكتوراه.
- تتنوع فترات الدراسة فيه من خلال السداسيات.
- ينتظم التكوين في نظام ل.م.د على المسالك ووحدات التعليم.
- يعتمد على تطبيق نظام الأرصدة المكتسبة والقابلة للتحويل.
- يعتمد على هيكلة المحتويات من خلال ميادين عامة تنقسم إلى تخصصات وهذه التخصصات تنقسم بدورها إلى مسالك.

الأهداف الرئيسية لنظام الـ ل.م.د على المستوى الوطني:

- إرساء مصداقية أكثر للجامعة الجزائرية على الصعيد الدولي.
- تحقيق تناغم النظام الوطني للتعليم العالي مع أنظمة التعليم العالي في العالم
- إعادة ضبط أشكال مشاركة الجامعة الجزائرية في حل المشاكل المرتبطة بالنمو الاقتصادي والتطور الاجتماعي الوطني. **(وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2007، ص 12-13)**
- تحسين نوعية التكوين الجامعي من خلال اقتراح تخصصات متنوعة تستجيب للمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية وتسهيل عملية الاندماج المهني للمتخرجين.
- ضمان قراءة موحدة وواضحة للشهادات والمؤهلات بالنسبة للطلبة والأولياء والمختصين وأرباب العمل على المستوى الوطني والعالمي.
- خلق مسارات مرنة تسمح للطالب بتغيير مساره الشخصي أثناء التكوين.

- تسهيل حركية الطلبة على المستوى الوطني والعالمي، بالإضافة إلى تسهيل عملية توجيههم ومساعدتهم على العمل الفردي لتحقيق أهدافهم، وذلك من خلال نظام المرافقة البيداغوجية ونظام الأرصدة ونظام تحويل الأرصدة المكتسبة.
- تسهيل معادلة الشهادات.
- خلق جيل جديد من الخريجين القادرين على التكيف مع عالم متغير.
- جعل الجامعات الجزائرية جامعات تنافسية فيما بينها وعلى المستوى العالمي.
- توجيه الجامعة الجزائرية نحو استقلالية حقيقية ومسؤولة والعمل على ترقية مهمة الجامعة لتكون أكثر تجديدا وابتكارا في سياسة البحث العلمي.
- عقد اتفاقيات شراكة وتعاون مع كل الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين في سبيل المساهمة في حل مشكلات الواقع الاقتصادي والاجتماعي وتحقيق أهداف التنمية الوطنية.

أهم العقبات التي تواجه تطبيق نظام الـ ل.م.د في الجزائر:

حين تبنت الجزائر نظام ل.م.د كمشروع جديد لإصلاح التعليم العالي حيث عكفت على تطبيقه تدريجيا، لكن ورغم ما يمتاز به هذا النظام من مرونة، إلا أنه واجه العديد من الصعوبات والعقبات حين تفعيله، لاسيما ما تعلق بخصوصيات المحيط الاقتصادي والاجتماعي للجزائر/ بالإضافة إلى خصوصيات مؤسسات التعليم العالي (البشرية والمادية)،

حيث أن هذا النظام لم يحض بالإجماع التام من كل الأطراف، بما فيها الوزارة التي تقف على أن النظام لم يحقق كل الأهداف التي جاء من أجلها من جهة، وفسح المجال لخوض إصلاحات تصحيحية وتكميلية من جهة أخرى. **(بروش زين الدين و يوسف بركان، 2012، ص 812)**

هذا ما تِؤكده دراسة **"فتيحة كركوش" (2012)** والتي هدفت إلى تبيان اتجاهات أساتذة جامعة سعد دحلب بالبليدة نحو تطبيق نظام ل.م.د إذ توصلت نتائجها إلى معظم الأساتذة لديهم مخاوف ولم يبدو دافعية كبيرة اتجاه هذا النظام الجديد، بسبب عدم تكوينهم ومعرفتهم الجيدة بكيفية تطبيقه، وكذا لقلة توفير الآليات المختلفة من تجهيزات بيداغوجية وعلمية وبشرية وهيكلية وإعلامية لإنجاح هذا المشروع. **(فتيحة كركوش، 2012، ص 119)**

بالإضافة إلى ما توصل إليه **"أحمد بوسكرة"** (2012) من خلال دراسة تقويمية مرحلية لتطبيق إصلاح التعليم العالي في الجزائر، والتي توصلت إلى ما يلي:

أ ـ محور بناء عروض التكوين:

- عدم الالتزام بالمعايير الوطنية في تأهيل عروض التكوين بداية من الجامعة مرورا بالندوات الجهوية والوطنية.
- انعدام أرضية مشتركة وطنية لميادين التكوين
- عروض التكوين المعتمدة حاليا على المستوى الوطني لا تسهل عملية الحراك والمعابر للطلبة مما يؤثر على مقروئية الشهادات.

ب ـ محور الوسائل التعليمية والوسائط التكنولوجية:

- الوسائل البيداغوجية المتوفرة حاليا لا تلبي متطلبات إجراء الأعمال التطبيقية خصوصا ما تعلق بمقاييس العلوم البيولوجية.
- الفضاءات المتوفرة حاليا تفتقر إلى الوسائط التعليمية والتكنولوجية التي تسمح بنشر وتبادل المعارف والتواصل بين الأساتذة والطلبة.

ج ـ محور تقييم مختلف أشكال التدريس:

- طرق التقييم الحالية غير مكيفة مع أهداف وغايات الإصلاح.

- صعوبة إجراء المراقبة المستمرة بسبب الاكتظاظ في الأفواج.

هـ ـ محور عملية الاتصال مع المحيط الاجتماعي:

- هناك بوادر من الجامعة في فتح قنوات الاتصال مع مختلف الشركاء الاجتماعيين والاقتصاديين، وفي المقابل عدم تجاوب هؤلاء الشركاء مع مخرجات التكوين والتعليم العالي.

(أحمد بوسكرة، 2012، ص 337)

و يمكن أن نلخص أهم العقبات التي واجهت تجربة نظام (ل.م.د) في الجزائر وإن كانت كثيرة فيما يلي:

- نقض المرافق البيداغوجية، المخابر، قاعات المطالعة، المكتبات المتخصصة.
- قلة التأطير مع انعدام شبه كلي لدور الأستاذ الوصي مما يجعل هذا النظام غير قادر على تحقيق الطموحات المرجوة منه، وخاصة التكوين النوعي.
- انعدام العقود مع الشريك الاقتصادي والاجتماعي، وغياب البحوث والخرجات العلمية ذات المستوى العالي والتربصات الميدانية التي تؤهل الطالب لتقليد المناصب الموافقة فعلا للشهادة التي سوف يتحصل عليها.
- قلة المؤسسات الاقتصادية في الجزائر قلل من فرص إيجاد مناصب شغل بالنسبة لخريجي هذا النظام، خاصة أن غالبية الشهادات يحملها المتخرجون لا تعكس فعلا مستواهم العلمي والمهني.
- انعدام الاهتمام والجدية لدى الطلبة جعلهم يسيئون استخدام خدمات الإعلام الآلي والانترنيت، فاعتمدوا على النسخ المباشر للمعلومات دون فهمها أو تحليلها.
- أن التكوين وفقا لهذا النظام تنتج عنه شهادات مهنية متخصصة على أساس المحيط الاقتصادي والاجتماعي الذي تتواجد به الجامعة، مما يخلق نوعا من عدم تكافؤ الشهادات على المستوى الوطني.
- يواجه هذا النظام صعوبات كبيرة في التطبيق لأنه لا يتعلق بالجامعة لوحدها بل يتعداه إلى الشريك الاقتصادي الذي يخوض بدوره تجربة جديدة تتمثل في الخصخصة(المؤسسات الصغيرة والمتوسطة) وفتح المجال للاستثمار الأجنبي.
- تفرض عملية تطبيق هذا النظام تحديات كبيرة عجزت الأسرة الجامعية من رؤساء الجامعات والأساتذة على استيعابها خاصة في كمية ونوعية الإمكانيات المادية والبشرية التي يتطلبها.
- بالإضافة إلى غياب ثقافة الجودة في التعليم العالي، إذ أن المتتبع لمسار التعليم العالي في الجزائر يدرك أن عنصر الجودة لم يكن هدفا معلنا في سياسة الجامعة، وبالتالي لم يكن مؤشر قياس نجاعة وفعالية المؤسسة الجامعية: فكل المؤشرات الدالة على كفاءة المؤسسة موجهة نحو الكم أي عدد الطلبة (مجرد تسيير للتدفق الطلابي).(**بروش زين الدين و يوسف بركان.2012،ص813).**

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:يرتكز كل بحث علمي على منهج يتبعه الباحث من أجل الوصول إلى نتائج علمية دقيقة، ونظرا لطبيعة موضوعنا تم استخدام المنهج الوصفي الذي يهتم بوصف للظاهرة المراد دراستها عن طريق جمع البيانات في صورة نوعية أو كمية رقمية ووصف الطرق المستخدمة، كما يساعد في تنظيم هذه البيانات ووصف النتائج وتفسيرها في عبارات واضحة ومحددة للوصول إلى حقائق دقيقة عن الوضع القائم من أجل تحسينه.

عينة الدراسة:اقتصرت عينة الدراسة على طلبة السنة الأولى جامعي الذين تم اختيارهم بطريقة عشوائية تبعا للتخصصات التي يدرسون بها، ويرجع سبب الاختيار داخل هذا الطبقة لصعوبة إجراء حصر شامل وضمانا للتسهيلات الميدانية أثناء التطبيق الميداني وقد قسمت الى المتغيرات الوسيطية التالية:التخصص علوم اجتماعية و علوم التكنولوجية وهي كالتالي:

جدول رقم(1) يمثل تقسيم افراد العينة حسب التخصص:

التخصص	العدد	النسبة
علوم اجتماعية	50	%52.08
علوم تكنولوجية	46	%47.92
المجموع	96	%100

مكان الدراسة: تم اجراء الدراسة بجامعة عمار ثليجي بالأغواط بالموسم الدراسي 2017/2016.

أداة الدراسة: استبيان مستوى الطموح: لكاميليا عبد الفتاح و هو يتكون من79 بن تتم الإجابة عليهم بنعم1 و لا 0 مع وجود أسئلة سلبية تمنح لا 1 و نعم 0 و تم التحقق من الخصائص السيكومترية للمقياس عند تطبيقه لأول مرة في بيئته الأصلية من طرف مصممة المقياس الباحثة "كاميليا عبد الفتاح"، وتحققت من صدق المقياس من خلال الصدق العاملي وتميز بمعامل صدق جيد بلغ (0.56)، وتحققت كذلك من ثباته فتمتع بثبات مرتفع بلغ (0.80)، وتم كذلك التحقق من صدق وثبات المقياس في دراسات عربية من بينها دراسة "صلاح أحمد مرحاب" في المغرب، ودراسة "رشاد صالح دمنهوري"، دراسة "نظيمة أحمد سرحان"، ودراسة "الجوهرة عبد الله الذواد"، كما تحقق صدقه في البيئة الجزائرية من خلال دراسة "بودالي حميدة" و دراسة "ركزة سميرة" و كذا دراسة شلالي لخضر 2017 في البيئة المحلية حيث وجد فروق بين الطرف العلوي و الطرف السفلي و كذا بلغت قيمة الفا كرونباخ 0.83.

وتمت زيادة تأكيد الخصائص السيكومترية في هذه الدراسة حيث بلغت قيمة ثبات الفاكرونباخ 0.79 وصدقه حيث وجدت فروق بين المجموعتين العلوية و السفلية و عليه فالاستبيان له القدرة على التمييز بين أطرافه.

المعالجة الإحصائية: تمت المعالجة الإحصائية ببرنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعيةspss وقد تم استخدام المتوسط الحسابي و الفرضي و اختبار ت لدلالة الفروق بين العينات.

نص الفرضية: يتمتع طلبة الجامعة بمستوى منخفض من مستوى الطموح.

لحساب هذه الفرضية تم مقارنة بين المتوسط الفرضي للمقياس والمتوسط الحسابي لدرجات عينة الدراسة في مستوى الطموح، ولتأكيد الفروق تم حساب "ت" لعينة واحدة، فجاءت النتائج على النحو الآتي:

جدول رقم (02) يوضح نتائج الفرضية التي تنص على انه: يتمتع طلبة الجامعة بمستوى مرتفع من الطموح في ظل نظام ل م د.

عدد الأفراد	المتوسط الفرضي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	درجة الحرية df	الدلالة الإحصائية	مستوى الدلالة الإحصائية
96	39	48.45	10.32	10.38	95	0.000	دال عند 0.05

يتبين من الجدول أعلاه أن المتوسط الحسابي لدرجات عينة الدراسة البالغ عددهم (96) بلغ (48.45)، وانحراف معياري قدره (10.32) ووسط فرضي بلغ (39)، وعند مقارنة الوسط الفرضي للمقياس مع المتوسط الحسابي لدرجات عينة الدراسة في مستوى الطموح ظهر المتوسط الحسابي أعلى من الوسط الفرضي ؛ وعند اختبار دلالة الفروق وجد بأنه دال إحصائيا عند مستوى (0.05) وبدرجة حرية (95) إذ كانت قيمة "ت" (10.38)، وهذا يعني أن الفرق بين المتوسط الحسابي والوسط الفرضي ذو دلالة إحصائية، ومن هذه النتائج يتضح لنا أن فرضية البحث تحققت و بالتالي طلبة السنة أولى جامعي يتمتعون بمستوى مرتفع في مستوى الطموح.

ربما يرجع ارتفاع مستوى الطموح إلى توفر بعض المبادئ التي قالت بها نظرية المجال في تفسيرها لتحقيق مستوى عال من الطموح، والمتمثل في عدة عوامل من بينها عامل النضج فكلما كان الفرد أكثر نضجا أصبح من السهل عليه وضع أهدافه بدقة وفقا لإمكانياته مما يؤدي إلى ارتفاع مستوى الطموح لديه، بالإضافة إلى القدرة على التفكير في الغايات والوسائل على

السواء فيوفق في الموازنة بين ما لديه من وسائل وما وضعه لنفسه من طموح فلا يقع في الفشل ويبقى مستوى طموحه مرتفعا.

ومجمل القول أن الطموح يمنح الفرد القدرة على التفاؤل ليصبح قادرا على تحقيق أهدافه وتسيير شؤون حياته بصورة ذاتية، والذي من خلاله يشعر بالتكيف مع بيئته وشروطها، كما أن شعور الفرد بالنجاح والرضا عن الذات بعد تحقيقه لأهدافه التي سطرها لحياته له أن يرفع من مستوى طموحه، أما الفشل فإنه يؤدي بصاحبه إلى الشعور بالدونية والإحباط ومنه لا يقدر على التقدم فيتجه نحو خفض مستوى الطموح لديه.

و ربما كان لعدد السنوات التي يقضيها الطالب في الجامعة خاصة في ظل نظام ل م د قليل اذ بعد مرور ثلاث سنوات في اللسانس يتحصل على شهادة لتسمح له بالمشاركة في مسابقات التوظيف او إكمال الدراسة في مرحلة الماستر مما يسمح له المشاركة في مسابقة الدخول للدكتوراه و ما تفتحه من مجالات واسعة فيما بعد.

هذا وتتفق نتيجة الدراسة الحالية مع دراسة دلال يوسفي (2013) ودراسة علي فايز الأسود (2009) وكذا دراسة توفيق محمد توفيق شبير (2005) ودراسة باندي وآخرون 1987 (Bandey et al) والتي كشفت أن مستوى الطموح لدى الطلبة كان مرتفعا.

جدول رقم (03) يوضح نتائج الفرضية التي تنص توجد فروق بين طلبة العلوم الاجتماعية و العلوم التكنولوجية في مستوى الطموح في ظل نظام ل م د.

المتغير / المقياس	التخصص	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية df	قيمة "ت"	قيمة (P)	مستوى الدلالة
مستوى الطموح	العلوم الاجتماعية	50	52.6	7.29	94	4.31	0.000	دال عند 0.05
	العلوم التكنولوجية	46	46.75	8.33				

يتبين من الجدول أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التخصص العلمي والتخصص الأدبي في مستوى الطموح حيث أن مستوى المعنوية لقيمة (P) (0.000) لاختبار "ت" أصغر من مستوى الدلالة الإحصائية (0.05) المقبولة في العلوم النفسية والاجتماعية، وهي قيمة دالة إحصائيا، مما يشير إلى وجود فروق بين التخصصين، وهذا ما تؤكده الفروق بين متوسط العلميين المقدر بـ (52.6) و متوسط الأدبيين الذي بلغ (46.75)، ومنه فالفرق بين المتوسطين له دلالة إحصائية ويعتبر كمؤشر لتأثير عامل التخصص في مستوى الطموح، وهذه النتائج تجيب على الفرضية وتؤكد وجود فروق بين طلبة العلوم الاجتماعية و طلبة العلوم التكنولوجية في متغير مستوى الطموح ولصالح طلبة العلوم الاجتماعية.

يتضح من الجدول رقم (2) أن طلبة العلوم الاجتماعية يتمتعون بمستوى طموح مرتفع مقارنة بطلبة العلوم التكنولوجية وبهذا تحققت فرضية البحث بالرغم من ان كلا العينتين لديها مستوى طموح مرتفع.

و يمكن تفسير هذه النتيجة بأن طلاب العلوم الاجتماعية يرون ان هذه التخصصات هي الأكثر طلبا في السوق العمل بحيث ممكن بشهادة اللسانس ان يجد وظيفة قارة في الإدارات العمومية و التربية و التعليم التي تعتبر اكبر مستقطب لهذه التخصصات بحيث انها تفتح المجال أمامهم واسعا للتوظيف بالإضافة الى سهولة المقاييس نوعا ما مما يجعلها غير متعبة له ولا تكلفه الكثير من الجهد، عكس التخصصات التكنولوجية التي بالرغم انها تؤدي الى المهنة المرموقة والآفاق المتعددة والمفتوحة لكن بشيء بسيط في امل التوظيف اذ ان التوظيف ليس دائما متاحا بالقدر التي عليه العلوم الاجتماعية الا في المؤسسات الاقتصادية و الشركات الصناعية التي توظف قدر محدود من العمال.

وتتعارض نتائج الفرضية الحالية مع نتائج دراسة هدى عبد الرحمان أحمد (2010) ودراسة محمد بوفاتح (2005) ودراسة باندي وآخرون (1987) ودراسة حمادي (1993) حيث وجدت فروقا ذات دلالة إحصائية بين العلميين والأدبيين في مستوى الطموح ولصالح العلميين.

اقتراحات:

- إجراء دراسات أخرى في ظل نظام ل م د
- العمل على وضع معايير دقيقة تراعي أقطاب العملية التعليمية و توفير الوسائل الضرورية لذلك
- محاولة ربط الجامعة بالواقع المعيش وسوق العمل مما يزيد من رفع الطموح لدى الطالب
- الاهتمام بالنوعية و الكمية معا.
- وضع معايير للتقويم في ظل نظام ل م د

قائمة المراجع:

1- أولغا قندلفت (2002) التعليم المهني وعلاقته بمستوى الطموح وتنمية القدرات المهنية،رسالة ماجستير غير منشورة في علم النفس،كلية التربية، جامعة دمشق، سوريا.

2- بن عيسى ليلى (2006) أهمية التسيير العمومي الجديد في قطاع التعليم العالي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية و التسيير قسم علوم التسيير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

2- بوفاتح محمد (2013) الضغوط النفسية وعلاقتها بدافعية الإنجاز ومستوى الطموح لدى الأساتذة الجامعيين،أطروحة دكتوراه في علم النفس غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر2، الجزائر.

3- بوسكرة أحمد (2012) دراسة تقويمية مرحلية لتطبيق إصلاح التعليم العالي في الجزائر مجلة العلوم الإنسانية، العدد 38 جامعة قسنطينة1، الجزائر، ص329-339

4- جليل وديع شكور (1991) الأهل وأثرهم في تحديد مستوى طموح الأطفال، مجلة الثقافة، المجلد 02، العدد 06، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

5- دلال يوسفي (2013) القلق الاجتماعي وعلاقته بمستوى الطموح لدى تلاميذ السنة الثانية ثانوي، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

6- زين الدين بروش وبركان يوسف (2012) مشروع تطبيق نظام ضمان الجودة في التعليم العالي في الجزائر- الواقع والآفاق- المؤتمر العربي الثاني الدولي لضمان جودة التعليم العالي، الجامعة الخليجية، البحرين، 4 ـ 5 أفريل

7- سهير أحمد كامل (1999) التوجيه والإرشاد النفسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر.

8- سليم محمد سليم الشايب (1999) نوع التعليم والفروق بين الجنسين في مستوى الطموح في سيناء، مجلة علم النفس، العدد 50، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص 158

9- شبايكي سعدان (2011) الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنظام التعليم العالي (ل.م.د)، مجلة البحوث والدراسات العلمية، العدد 5، جامعة المدية ص ص 09 ـ 18.

10- صلاح أحمد مرحاب (1989) سيكولوجية التوافق النفسي ومستوى الطموح، الطبعة الأولى، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

11- عبد ربه شعبان (2010) الخجل وعلاقته بتقدير الذات ومستوى الطموح لدى المعاقين بصريا، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

12- عبد المجيد عواد مرزق(2012) الأمن النفسي وعلاقته بمستوى الطموح والتحصيل الدراسي لدى طلبة الثانوية العامة(دراسة مقارنة بين أبناء الشهداء واقرأنهم العاديين)،في محافظة غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر،غزة.

13- علاء سمير موسى القطاني (2011) الحاجات النفسية ومفهوم الذّات وعلاقتهما بمستوى الطّموح لدى طلبة جامعة الأزهر بغزّة في ضوء نظرية محدّدات الذات، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين.

14- عبد الكريم حرز الله وكمال بداري (2008) نظام ل م د ـ ليسانس، ماستر، دكتوراه ـ ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر

15- عبد الرحمان سليمان(1998) سيكولوجية ذوي الاحتياجات الخاصة، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر.

16- غالب بن محمد علي المشيخي (2009) قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح لدى طلاب جامعة الطائف، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، قسم علم النفس، جامعة أم القرى، السعودية.

17- كاميليا عبد الفتاح (1990) مستوى الطموح والشخصية،ط3،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

18- كاميليا عبد الفتاح (1984) مستوى الطموح والشخصية، ط2، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

19- كركوش فتيحة (2012)اتجاهات الأساتذة نحو نظام ل.م.د- دراسة ميدانية بجامعة البليدة- مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة ورقلة، العدد 08، ص119-131.

20- كمال الدسوقي (1985) علم النفس ودراسة التوافق، ط 3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

21- مقداد محمد (1995) استجابة البرامج الجامعية لمطالب التنمية الوطنية، كتاب الرواسي: قراءات في المناهج التربوية، ط1، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة الجزائر.

22- مدحت أحمد فتح الله علي البربري(2010) دور الأستاذ الجامعي في رعاية طلابه الباحثين لتحقيق الانتماء للجامعة ومستوى الطموح، ط 1، دار الوفاء.

23- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (2007) ملف إصلاح التعليم العالي لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر.

24- نبيلة عباس الشوربجي (2003) المشكلات النفسية للأطفال (أسبابها-علاجها)، دار النهضة العربية، ط1، القاهرة، مصر

1. **Boulkour chafika** (2007) L'orientation a l'entrée a l'université et son impact sur la vie de l'étudiant de première année, thèse de doctorat non publié, département de psychologie et des sciences de l'éducation université Mentouri Constantine, P115-116. Élisabeth Doutre (2005) Développer la formation continue dans le cadre du LMD: un travail sur les représentations, O.S.P reveu (inetop) N° 34/2, France, pp 217-248.

2. **Danniel Franck Idiata** (2006) L'afrique dans le système LMD (Licence –Master – Doctorat): La réforme de toutes les révolution, le cas de Gabon – L'harmattan, Paris,France.

3. Jean_Emile charlier, Sarah croché, Abdou Karim Ndoye, (2009) Les universités africaines Francophones Face au LMD, Bruylant Academia, Belgique

4Sarah croché (2010) le pilotage du processus de bologne, Brulant – Avademia, Belgique.

ظاهرة الاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة

دراسة ميدانية على عينة من طلبة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الأغواط

أ- صالح الدين إبراهيمي - د. أحمد بن سعد
جامعة عمار ثليجي الأغواط

ملخص: تهدف الدراسة إلى الكشف عن مدى انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي لدى طلاب الجامعة بالضبط طلبة كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الأغواط، وأثر كل من متغير الجنس والحالة العائلية والإقامة والمستوى الأكاديمي الجامعي وتعود أهمية هذا الدراسة إلى جدة البحث من حيث تناوله لفئة هامة في المجتمع، وإمكانية الاستفادة من نتائج الدراسة في بعض الجوانب التي ينبغي مراعاتها عند التعرض لمشكلات الشباب الجامعي. وقد تكونت عينة الدراسة من 99 طالبا وطالبة من جامعة الأغواط كلية العلوم الاجتماعية من مستويات عمرية مختلفة تم اختيارهم بطريقة عشوائية. وقد طرح في الدراسة إطار نظري تناول الاغتراب النفسي من حيث تعريفه وعرض مجموعة من الدراسات السابقة العربية منها والأجنبية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم تطبيق مقياس الاغتراب النفسي لمحمد عباس يوسف (2004) الذي يتكون من ثلاثة أبعاد، ولتحليل نتائج الدراسة أجريت المعالجات الإحصائية اللازمة بإشراف خبير إحصائي، وقد كشفت النتائج عن ما يلي: - بينت النتائج بناء على الدرجات الموجودة في سلم تصحيح مقياس الاغتراب النفسي أن معظم الطلاب أفراد العينة يعانون من اغتراب نفسي واضح ومرتفع، كما كشفت عن عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير الجنس والحالة العائلية والمستوى الأكاديمي الجامعي، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير الإقامة.

الكلمات المفتاحية: الاغتراب النفسي، طلبة كلية العلوم الاجتماعية.

Abstract: The study aims to reveal the extent of the phenomenon of psychological alienation in the university students exactly the students of the Faculty of Social Sciences at the University of Laghouat, and the impact of gender variable, family status, residence and university academic level. The importance of this study is to Jeddah research in terms of dealing with an important group in society, And the possibility of benefiting from the results of the study in some aspects that should be taken into account when exposed to the problems of university youth ,The study sample consisted of 99 students from Laghouat University, Faculty of Social Sciences from different age levels randomly selected. In this study, a theoretical framework was introduced to deal with psychological alienation in terms of definition and presentation of a range of previous Arab and foreign studies. In order to achieve the objectives of the study, a measure of the psychological alienation of Muhammad Abbas Yousef (2004), which consists of three dimensions, Statistically, the results revealed the following:

The results showed that most of the students in the sample suffer from clear and high mental estrangement, and also revealed that there were no statistically significant differences in the sense of psychological alienation among the students of the Faculty of Social Sciences due to gender, family status and university academic level. , And the existence of differences of statistical significance for the sense of alienation of psychological students of the Faculty of Social Sciences attributed to the variable residence.

مقدمة: يشكو إنسان هذا العصر بما فيهم الشباب من المشكلات التي قد تظهر في صور من التوتر والقلق والضغط والتمرد والاغتراب والصراعات الداخلية، وقد ترجع إلى أننا نعيش اليوم في عالم مشحون بالتوترات، ويموج بالخلافات والصراعات إلى الحد الذي يمكن معه القول: إن انتماءنا الحقيقي لم يعد له وجود إلا في إطار محدود ومحصور من خبراتنا الحياتية ويتسم الفرد في مجتمع نام بشعوره انه يعيش في عالم لا يستجيب لرغباته واحتياجاته، كما انه غير قادر على التنبؤ بالمستقبل، فضلا عن تغير المعايير التي تنظم سلوكه بسرعة متزايدة، كما يتسم أيضا برفضه للقيم الخاصة بحضارته

وبالانعزال عن الآخرين وعن ذات (خليفة، 2003). حيث تعتبر ظاهرة الاغتراب النفسي من الظواهر الاجتماعية والنفسية الشائعة في كثير من المجتمعات بغض النظر عن الإيديولوجيات والتقدم المادي والتكنولوجي، كما أنها أزمة معاناة الإنسان المعاصر وان تعددت مصادرها وأسبابها، وإذا كانت دراسة الاغتراب النفسي بمسالة مهمة بالنسبة لعامة الناس فتزداد أهميتها للشباب خاصة من هم يدرسون في الجامعة ، وذلك لأنهم يعدون في جميع أنحاء العالم محور اهتمام الجميع، نظرا للدور الذي يمكن للشباب القيام به في زيادة الإنتاج والإسهام في بناء الدول والمجتمعات، لأنهم هم مصدر الطاقة المادية والمعنوية الحقيقية لأي أمة، حيث ازداد اهتمام الباحثين خلال النصف الثاني من القرن العشرين بدراسة الاغتراب كظاهرة انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وربما يرجع ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من دلالات قد تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر ومعاناته وصراعاته الناتجة عن تلك الفجوة الكبيرة بين تقدم مادي يسير بمعدل هائل السرعة وتقدم قيمي ومعنوي يسير بمعدل بطيء الأمر الذي أدى بالإنسان إلى النظر إلى هذه الحياة وكأنها غريبة عنه، أو بمعنى آخر هو الشعور بعدم الانتماء إليها (عبد الله، 2008: 05). ويبدو أن إنسان اليوم قد أصبح يحيا حياة صعبة ابتعدت به تدريجيا عن العلاقات الإنسانية التي تربطه بالآخرين وبنفسه، ليس هذا فحسب بل إن الظروف الصعبة الضاغطة التي يتسم بها مجتمعنا ساهمت في بروز ظاهرة الاغتراب، وأصبحت المادة غاية للإنسان بدلا أن تكون وسيلة، فهو يضحي بكل شيء من أجل الحصول عليها، وبفعل ذلك غدى الإنسان غريبا عن نفسه وعن الآخرين الذين قد يضحي بهم من اجل المادة، ومن ثمة أصبح الاغتراب النفسي كما لو كان نوعا من الوباء الاجتماعي الذي يهدد المجتمعات الحديثة . (أبو زيد، 1979: 74).

وشبابنا الجامعي اليوم كغيره من الشباب في بقية المجتمعات يمر بظروف أبسط ما يمكن أن توصف بأنها الظروف التي تصاحب مراحل الانتقال وما يكتنفها من عدم الاستقرار والقلق والتوتر، هو ما يجعل الشباب دائما في موقف الإحباط والانسحاب، ، فالاغتراب موجود مادامت هناك فجوات وضغوطات وأزمات.

الإشكالية: إن مشكلة الاغتراب النفسي إنسانية وعامة، فهي حالة يعيشها الإنسان نتيجة الظروف التي مر بها، وقد مر العالم العربي الإسلامي بظروف وتطورات سريعة أثرت في كثير من مناحي الحياة في تلك المجتمعات، والعكس في جوانبها بآثار سلبية على الصحة النفسية لعديد من أفرادها، فهي من المشكلات الرئيسية التي تؤرق الكثير من الأفراد في المجتمع الجامعي من طلبة وطالبات نظرا لاختلاف القيم والعادات السائدة للطالب في المجتمع الذي يدرس فيه ويقيم فيه وتعقد الحياة المعيشية، حيث أثرت في عدد من المفاهيم الموجودة لديهم. فانتشار حالة الاغتراب بشكل عام لدى الطلبة قد يرجع لعدة أسباب، منها نوع التعليم الذي يؤثر بشكل سلبي على قيمهم واتجاهاتهم وتحديد اختياراتهم وقراراتهم، فساعدت هذه الأسباب على ظهور العديد من الأمراض النفسية وسوء التكيف ومظاهر الاغتراب، وهذا ما أشارت إليه نتائج دراسات لكل عطية (1989) في مصر والكندي (1998) في الكويت، فاطمة العيش ومسعودة بو مرزوق (2015) في الجزائر. معاناة الطلبة بشكل عام من الاغتراب والإصابة بالأمراض النفسية على رأسها الاكتئاب والقلق. من هنا تتضح مشكلة الدراسة وهي دراسة الاغتراب النفسي لدى طلاب وطالبات الجامعة في جامعة الأغواط، حيث يغادرون منازلهم إلى مقاعد الدراسة، وقد يواجهون مشكلات عديدة من ضغوط نفسية وعدم التوافق الأكاديمي والاجتماعي والنفسي وعدم القدرة على القيام بالوظائف الأكاديمية، وشعورهم بالعزلة الاجتماعية وفقدان الهدف، واللامعنى، واللامعيارية (القاهري، 2008: 17)وقد لاحظ الباحثان من خلال عملهما وتواصلهما مع الطلبة الذين يدرسون بالجامعة، وجود ملامح الاغتراب بينهم، التي ربما تكون راجعة عن وجود مشكلات عديدة أخرى يعانون منها ساهمت في ذلك، ويستدل على ذلك من خلال الشكاوى المتكررة، التي تنطوي على الإحساس بعدم الاستقرار والقلق، وقلة الوقت وكثرة الوظائف الأكاديمية (الأعمال) من طرف الأساتذة، فضلا عن النظر بتشاؤم إلى المستقبل وبعبارات مستقبل مجهول، والتي أظهرتها عبارات الضيق والتبرم المصبوغة بنبرة القلق والشكوى التي تحمل طابع اليأس والإحباط، فضلا عن الشعور بالعجز عن تحقيق بعض الأهداف والرغبة في الثورة والتمرد على ما هو سائد وموجود. وهذا ما أكدته نتائج الدراسة الاستطلاعية التي قام بها الباحثان على 30 طالب لمعرفة مدى انتشار ظاهرة

الاغتراب لدى هؤلاء الطلاب، فتبين أن هناك شعور بعدم الرضا عن الواقع المعاش والخوف من المستقبل وفقدان الهدف في الحياة عند بعضهم.

وانطلاقا من ذلك فإن الباحثان يريان أن ظاهرة الاغتراب هي ظاهرة متعددة الأبعاد تزداد حدتها ومجال انتشارها كلما توافرت العوامل والأسباب المهيأة لها، ويرى الباحثان أن مشاكل الطلاب المتعلقة بضيق الوقت، والضغوط النفسية، وبُعدهم عن أهلهم والعيش بمفردهم خارج وطنهم وتحمل عبأ الدراسة، فضلا عما يواجهونه داخل الجامعات من مشكلات إدارية ونفسية ودراسية ومالية وغيرها تؤدي إلي نوع من سوء التكيف والتوافق ومن ثم العديد من المشكلات منها الشعور بالاغتراب.

وبناء على ما تقدم يمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

-هل يشعر الطلبة بجامعة الأغواط بالاغتراب النفسي وما نسبته ؟

-هل يختلف الشعور بالاغتراب النفسي لدى هؤلاء الطلبة باختلاف (الجنس، الحالة العائلية، المستوى الأكاديمي الجامعي، الإقامة)؟

فرضيات الدراسة:

1- يوجد اغتراب نفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية.

2- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية، تعزى لمتغير الجنس (ذكر/أنثى)

3- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية، تعزى لمتغير الحالة العائلية (متزوج/غير متزوج).

4- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية، تعزى لمتغير المستوى الأكاديمي الجامعي(ليسانس، ماستر، دكتوراه).

5- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية، تعزى لمتغير الإقامة.

أهداف الدراسة: وتتلخص أهداف الدراسة في المحاور التالية:

1- التعرف على مظاهر الاغتراب النفسي وأبعاده ونسبة وجوده لدى الطلبة الجامعيين.

2- الكشف عن العلاقة بين أبعاد الاغتراب النفسي لدى الطلبة الجامعيين.

3- التعرف على مدى انتشار ظاهرة الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين وبعض المتغيرات الديمغرافية (الجنس، الحالة العائلية، المستوى الأكاديمي الجامعي، الإقامة)

4- محاولة التقليل ما أمكن من حدة الاغتراب النفسي لدى الطلبة الجامعين، ليرتفع الإحساس بالحياة وبناء أهداف مستقبلية مع تنشيط الدفاعات الإيمانية عنده.

5- تهدف الدراسة إلى اقتراح بعض الآراء والتوصيات من شانها التخفيف من آثار الاغتراب النفسي من اجل المحافظة على المجتمع.

أهمية الدراسة: وتتجلى أهمية الدراسة الحالية فيما يلي:

1- تناولنا شريحة مهمة من المجتمع يعول عليها في تقدمه ونمائه، ولاسيما عندما تتعرض لضغوط مختلفة الذي نشأت فيه مجرى حياتنا ونموها، والجدير بالذكر أن الطلاب الجامعين أغلبهم، يعانون من مشكلات تربوية واجتماعية واقتصادية ونفسية حيث أن معظمهم يقطنون في أماكن بعيدة عن الجامعة حيث يحتاجون إلى العديد من الدراسات والى المزيد من الاهتمام والرعاية والمتابعة.

2- يمكن أن يساعد هذا البحث في تحديد المظاهر السلوكية للاغتراب وقياسها من خلال أدواته، ومن ثمّ الاستفادة من نتائجه في الإرشاد سواء أكان ذلك في المجال الوقائي أم المجال العلاجي.

3- من الممكن أن تضيف الدراسة من خلال نتائجها بعض الجوانب التي ينبغي مراعاتها عند التعرض لمشكلات الشباب الجامعي عامة، باختلاف مستواهم الجامعي والحالة العائلية والجنس والإقامة.

4- قد تساعد هذه الدراسة الباحثين على إجراء دراسات أخرى مشابهة ذات علاقة بالموضوع، وعلى مستويات تعليمية أدنى أو أعلى من أفراد عينة الدراسة.

5- قد يستفيد من هذه الدراسة التربيون العاملون في الجامعات بالوقوف على حجم الضغوط وآثارها على شعور الفرد بالاغتراب.

حدود الدراسة: تقتصر الدراسة على الحدود التالية:

1) الحدود البشرية والمكانية: اقتصرت الدراسة على الطلبة الجامعيين من كلية العلوم الاجتماعية الذين يدرسون في جامعة الأغواط باختلاف متغيرات الجنس والحالة العائلية والإقامة ومستواهم الأكاديمي الجامعي.

2) الحدود الزمنية: تم إجراء الدراسة الميدانية خلال السداسي الأول من السنة الدراسية 2017-2018.

3) الحدود الموضوعية:

عينة عشوائية من كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الأغواط.

- مقياس الاغتراب النفسي للمرحلة الجامعية.

مصطلحات الدراسة: شملت الدراسة مصطلح أساسي هو " الاغتراب النفسي " سنورد تعاريفه اللغوية والمصطلحية والإجرائية على النحو الآتي:

الاغتراب النفسي في اللغة: -

تداولت كلمة الاغتراب في اللغة العربية ضمن عدة سياقات متنوعة، فقد جاء في مختار الصحاح للشيخ الإمام "محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي 1992 ما يلي: غرب-الغربة الاغتراب تقول(تغرب واغترب)بمعنى فهو(غريب)و(غرب) والجمع(الغرباء)، والغرباء أيضا الأباعد، واغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه و(التغريب) النفي عن البلد و(أغرب) جاء بشيء غريب، أو صار غريبا (يونسي كريمة، 2012: 24).

والاغتراب في اللغة أيضا: معناه الابتعاد عن الوطن، ومعنى غرب: ذهب ومنها الغربة أي الابتعاد عن الوطن، وتوحي كلمة الغروب والاغتراب بالضعف والتلاشي فهي عكس النمو الذي منه الانتماء فيقال غربت شمس العمر إذا كانت المرحلة هي الشيخوخة، كما نلاحظ ارتباط الاغتراب أيضا بفقدان السند وبالتالي الضعف: لأن الغريب ضعيف لا سندله من قرابة ينتمي إليها أو ملجأ يحتمي به. (منصور حسن عبد الرزاق 1989).

والاغتراب لغة أيضا يعني: الغربة، النزوح عن الوطن، يقال: "غربت" الشمس تغرب غروبا: بعدت وتوارت في مغيبها، و(غرب) الشخص بالضم(غرابة) بعد عن وطنه، فهو(غريب) وجمعه (غرباء). (أحمد الفيومي بن أحمد بن علي المقري، بدون سنة: 96)وإذا كلمة الغريب تطلق على الذين ينحرفون في سلوكهم وتفكيرهم عما هو مألوف وشائع، ويمكن أن تستخدم أحيانا على سبيل الاستهجان مثلما نقول عن الإنسان الذي ينحرف في سلوكه النفسي الاجتماعي انه "غريب الأطوار" للتعبير عن شذوذه ومرضه. (رأفت عبد الباسط، 2015).

يتضح مما سبق أن مفهوم الاغتراب كفكرة أو كلمة، قد وردت في اللغة العربية منذ القدم وقد استخدمت في عدة معان، وترددت الكلمة كثيرا في الأدب العربي، وهو ما يؤكد أن العرب قد تداولوا معنى "الاغتراب" قبل اتصالهم بالحضارة العربية.

الإغتراب في اللغة الأجنبية (اللاتينية) :

إن المقابل للكلمة العربية (اغتراب أو غربة) هو الكلمة الانجليزية (Alienation)والكلمة الفرنسية (Alienation)والألمانية (Enffremdung)ولقد اشتقت كل من الكلمتين الانجليزية والفرنسية من أصلهما اللاتيني (Alien-ation) وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني (Alienare) والذي يعني نقل ملكة شيء ما إلى شيء أخر أو بمعنى الانتزاع أو الإزالة، وهذا الفعل مستمد بدوره من كلمة أخرى هي (Alienus)أي الانتماء إلى شخص أخر أو التعلق به، وهذه الكلمة الأخيرة مستمدة في النهاية من اللفظ (Alius)والذي يدل على الأخر سواء كاسم أو كصفة. (رأفت عبد الباسط، 2015: 62).

و اصطلاحا: أجمع عدد من الباحثين على أن الاستخدام الأكثر شيوعا لاصطلاح الاغتراب في الآداب الاجتماعية الحديثة ، يتركز في انفصال جانب أو جانب آخر من جوانب الحياة الاجتماعية ، ومكونات الثقافة السائدة فيها فقد رأى نتلر Nettler أن الشخص المغارب يشعر بأنه يعيش بمفرده . (Nettler ,1957 ,p87) كما أنه يشعر بالغربة عن أصدقائه وكذلك عن المجتمع وعن الثقافة التي يعيشها ما يدفعه إلى اتخاذ موقف غير ودي منها. (ريتشارد شاخت، 1995: 87).

حيث يعتبر المحلل النفسي إيرك فروم (erich fromm 1962) أول من قدم الاغتراب في إطار نفسي إنساني، ويصف فروم الاغتراب بأنه: هو ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن الوجود الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكمة فيه فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته(نقلا عن نغمات عبد الخالق السيد ، 1992: 174).

وشدد "دور كهايم" Kheim على أن الاغتراب هو تفكك القيم والمعايير الاجتماعية والثقافية للشخص، وفقدان السلوك الإنساني وظبطه. (حليم بركات، 2006: 43).

لقد عرف ولمان (wolman) الاغتراب في قاموس العلوم السلوكية بأنه: تدمير وانهيار العلاقات الوثيقة وتحطيم مشاعر الانتماء للجماعة الكبيرة، كما في تعميق الفجوة بين الأجيال أو زيادة الهوا الفاصلة بين الجماعات الاجتماعية بعضها بعض.
. (Wolman B. B ,1975,p27)

أما مفهوم الاغتراب وفق تفسير الدكتور" محمد الخولي"، فانه يعني العزلة، والانسلاخ وشعور المرء بالابتعاد عن حضارته، وثقافته الأولى، بسبب التصاقه بحضارة وثقافة جديدتين. (الموسوي، 2017: 72)

ويعرفه "هاينز"(heinz 1996) الاغتراب النفسي أو الاغتراب الذهني، هو الاغتراب عن الاختيارات العملية في الحياة اليومية، يبدأ من الفشل في تكوين الهوية ويرتبط بدلالة خبرات التعلم لدى الشباب، وترتبط هذه الخبرات بخيارات المستقبل والاختبارات الاجتماعية، وكذلك ترتبط بنمو الميول(يوسف حملة وصالح مصطفى ، 2009: 101).

أما التعريف الإجرائي لمفهوم الاغتراب النفسي (Aliénation mental): تعني إجرائياً هو ما يعانيه الطالب من مظاهر مثل: فقدان المعنى، وفقدان الهدف، والتناقض القيمي، ومن خلال ما تدل عليه الدرجة الكلية التي يحصل عليها الطالب في مقياس الاغتراب النفسي الذي أعده الباحث لهذا الغرض.

وتعرف أبعاده إجرائيا كما يلي:

فقدان المعنى: تعني إجرائياً الدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس بعد فقدان المعنى الذي أعده الباحث لهذا الغرض.

فقدان الهدف: تعني إجرائياً الدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس بعد فقدان الهدف الذي أعده الباحث لهذا الغرض.

التناقض القيمي: تعني إجرائياً الدرجة التي يحصل عليها الطالب على مقياس بعد التناقض القيمي الذي أعده الباحث لهذا الغرض.

أما طلبة كلية العلوم الاجتماعية : فيقصد بهم عينة الطلاب والطالبات الملتحقين بجامعة الأغواط "عمار ثليجي" من كلية العلوم الاجتماعية ، باختلاف متغير الجنس والحالة العائلية والإقامة ومستوياتهم الأكاديمية الجامعية.

الدراسات السابقة:

-1- الدراسات العربية:

- دراسة "حنان فوزي أبو العلا " عام 2002: بعنوان: الاغتراب النفسي والتوجه الديني لدى عينة من طلاب جامعة المنيا، حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الإغتراب النفسي والتوجه الديني لدى عينة البحث والتعرف على الفروق بين الجنسين على مقياس الإغتراب والتوجه الديني ودراسة الدلالات الإكلينيكية التي تتضمنها الاستجابات الإسقاطية للحالتين الطرفيتين (الأعلى إغترابا والأقل إغترابا)، واستخدم الباحث أدوات الدراسة التالية:

أ- مقياس الاغتراب النفسي (إعداد عادل عز الدين الأشول وآخرون، 1985.

ب- مقياس التوجه الديني(إعداد صابر حجازي عبد المولى، 1990).

ج-استمارة جمع بيانات دراسة الحالة (إعداد صباح مخيمر، 1978).

د- اختيار الموضوع (التات tat)(أعده للبيئة المصرية محمد عثمان أنور حمدي، 1967).

وأسفرت نتائج الدراسة على وجود علاقة إرتباطية سالبة دالة إحصائيا بين درجات الطلاب على مقياس الإغتراب النفسي ودرجاتهم على مقياس التوجه الديني.

- دراسة "صالح بن إبراهيم الصنيع "عام 2002: بعنوان: الاغتراب لدى طلاب الجامعة دراسة مقارنة بين الطلاب السعوديين والعمانيين. وهدفت الدراسة إلى إعداد مقياس للإغتراب يكون مناسبا للبيئة العربية الإسلامية وتعريف مدى وجود الاغتراب لدى مجموعتين من طلاب الجامعة الخليجيين (السعوديين وعمانيين) وعلاقته ببعض المتغيرات الشخصية، وتكونت عينة الدراسة من 201 من الطلاب منهم 122 طالبا سعوديا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية و79 طالبا من جامعة السلطان قابوس، واستخدم الباحث مقياس للإغتراب حيث أعده الباحث من أكثر الأبعاد استخداما ألا وهي (اللامعيارية، الشعور بالعجز، العزلة الاجتماعية، فقدان المعنى)وأضاف إليها بعدا خامسا هو ضعف التدين، وبينت نتائج الدراسة أن متوسط درجات الطلاب السعوديين (أعلى من مستوى درجات مجموعة الطلاب العمانيين وأن متوسط درجات الطلاب العزاب أعلى من متوسط الطلاب المتزوجين ولم توجد فروق تعزى لعمر الطلاب.

- دراسة "عبد اللطيف محمد خليفة 2002: بعنوان الإغتراب وعلاقته بالمفارقة القيمية لدى عينة من طلاب الجامعة، حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الاغتراب والمفارقة لدى عينة من طلاب الجامعة الكويتيين، وتكونت عينة الدراسة من 448 طالبا وطالبة (241 طالبا و207 طالبة). واستخدم الباحث مقياس للإغتراب ومقياس المفارقة القيمية. وقد تم اختبار صلاحيتهما السيكومترية، وكشفت النتائج عن عدم وجود فروق بين الذكور والإناث في متغيرات الاغتراب إلا في العجز، وكانت الإناث أكثر عجزا من الذكور، في حين كانت الفروق دالة على المفارقة القيمية لصالح الإناث، كما بينت وجود ارتباطات دالة بين متغيرات الاغتراب والمفارقة القيمية لدى كل من الذكور والإناث.

-دراسة "وفاء موسى " عام 2002: بعنوان: الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسية: حيث هدفت الدراسة إلى عن الكشف عن وجود ظاهرة الاغتراب لدى طلبة جامعة دمشق وعلاقة مستوى الشعور بكل من الجنس والعمر والسنة الدراسية والاختصاص. وتكونت عينة الدراسة من 568 طالبا وطالبة من جامعة دمشق. حيث استخدمت الباحثة مقياس الاغتراب ومقياس الحاجات النفسية من إعداد الباحثة. و بينت نتائج الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الشعور بالإغتراب تعزى لكل من متغير الجنس والسنة الدراسية، في حين دلت على وجود فروق دالة إحصائيا وفقا لمتغيري العمر والاختصاص، حيث بينت أن طلاب الكليات العلمية أقل اغترابا من طلاب الكليات النظرية.

- دراسة مخلوف وبنات 2006 بعنوان: ظاهرة الاغتراب لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة وعاقتها ببعض المتغيرات)، حيث هدفت الدراسة إلى تعرف درجة شيوع ظاهرة الاغتراب لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة وعلاقتها ببعض المتغيرات،

وتكونت عينة الدراسة من (2025) طالبا وطالبة من طلبة الجامعة المسجلين في لعام الدراسي 2004-2005، واستخدم الباحث مقياس الاغتراب كأداة للدراسة، وتوصلت الدراسة إلى النتائج الآتية: شيوع ظاهرة الاغتراب لدى طلبة الجامعة بدرجة متوسطة، وقد كان أكثر أبعاد الاغتراب وانتشارا بين الطلبة الشعور بفقدان القيم الاجتماعية، وبينت أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة شيوع ظاهرة الاغتراب لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة تعزى لمتغير الجنس، ولمتغير الحالة الاجتماعية، ولمتغير المستوى الدراسي، ولمتغير البرنامج الأكاديمي، ولمتغير العلاقة بقوة العمل) كما أشارت أيضا لعدم وجود علاقة بين درجة التدين ودرجة شيوع ظاهرة الاغتراب لدى الطلبة وكذلك عدم وجود علاقة بين درجة شيوع الاغتراب وبين المعدل التراكمي.

- دراسة كتلو 2007 بعنوان(الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي الفلسطيني وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية)، حيث هدفت الدراسة إلى معرفة درجة الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي، ولمعرفة الفروق في الاغتراب تعزى للجنس، والعمر، والجامعة، وبلغت عينة الدراسة من 401 طالبا وطالبة من الجامعات الفلسطينية التالية: جامعة الخليل وجامعة بوليتكنيك فلسطين، وجامعة بيت لحم، واستخدم الباحث أدوات لدراسة مقياس الاغتراب النفسي من إعداد الباحث وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية: أن الشباب الفلسطيني يعانون الاغتراب بدرجة متوسطة، وكان أكثر أبعاد الاغتراب انتشارا، كما أشارت أيضا لوجود فروق في الاغتراب تعزى لمتغير العمر لصالح الشباب من فئة العمر 19 فما دون، كما ودلت على وجود فروق في ظاهرة الاغتراب تعزى لمتغير الجنس، فقد اتضح أن الذكور أكثر شعورا بالاغتراب من الإناث، وأخيرا أشارت لوجود فروق في درجة الاغتراب تعزى لمتغير الجامعة على جميع أبعاد الاغتراب ماعدا الاغتراب عن الذات.

-دراسة الصنعاني 2009 بعنوان: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية)، حيث هدفت الدراسة إلى قياس كل من الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا، وبلغت عينة الدراسة (126) طالبا، واستخدم الباحث الأدوات التالية مقياس الاغتراب النفسي، إعداد شادي أبو السعود، ومقياس أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء المعاقون سمعيا صورتي (الأب والأم) من إعداد الباحث وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية: لا يعاني المعاقون سمعيا من الشعور بالاغتراب النفسي، ووجود فروق دالة إحصائيا في الاغتراب النفسي بين الطلبة المعاقين سمعيا وفقا لمتغير المحتفظة، حيث تبين أن المعاقين سمعيا في محافظة الحديدة أكثر شعورا بالاغتراب النفسي من أقرانهم في بقية المحافظات، بينما لم تظهر هذه الفروق في متغيرات(العمر عند فقدان السمع، النوع، نوع الإعاقة السمعية) وتبين أيضا عدم وجود تفاعل في الاغتراب النفسي وفقا للمتغيرات سابقة الذكر.

02- الدراسات الأجنبية:

- دراسة namitha 1984 بعنوان (المتغيرات النفسية الاجتماعية للاغتراب بين المراهقين)، هدفت إلى إجراء دراسة تحليلية لمتغيرات(مفهوم الذات، المكانة الاجتماعية، الاستحسان الاجتماعي، الفروق الجنسية) وطبقت هذه الدراسة على عينة قوامها(47) مراهقا بلغ مجموع الذكور32والاناث 15 والعمر الزمني لأفراد العينة(16)عاما واستخدم الباحث الأدوات الآتية: مقياس SES للشهرة، مقياس مفهوم الذات، ومقياس الاغتراب. ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أظهرت الدراسة أن ثمة عوامل نفسية اجتماعية ترتبط باغتراب المراهق من قبيل الاتجاهات الوالدية غير السوية، توافق المراهق مع البيئة، المشاعر والخبرات السيئة. وأن الإناث أقل درجة في مشاعر الاغتراب من الذكور. و وجود علاقة سالبة بين الاستحسان الاجتماعي والاغتراب وذلك لعينة الدراسة ككل.

-دراسة سيكستون Sexton. M عام 1983:

بعنوان: Lineation dogmatism and related personality characteristics العلاقة بين الاغتراب والدوجماطبقية وبعض متغيرات الشخصية. حيث هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الإغتراب وبعض متغيرات الشخصية مثل: القلق والعدوان

وتقدير الذات. كما بلغت عينة الدراسة 92 طالبا وطالبة من كلية الطب البشري السنة الأولى في الولايات المتحدة. واستخدم الباحث أدوات الدراسة التالية:

1- مقياس روكيتش rockitch للدوجماطبقية 1967.

2- مقياس كينستون kinston 1965. للإغتراب وضم 10 أبعاد.

3- مقياس أومينبوس omnibusللشخصية.

4- اختبار كاليفورنيا للشخصية.

وبينت نتائج الدراسة أن الطلبة يعانون من الاغتراب النفسي بشكل عام، وأن هناك علاقة موجبة بيم جملة أعراض بالإغتراب والدوجماطبقية.

- دراسة "شوهو وآخرون "Shoho&others عام 1996:

بعنوان: The rural school environment effect on a dolesent alienationأثر البيئة المدرسية الريفية في اغتراب المراهقين. حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على اغتراب المراهقين في نطاق المدارس الريفية، وكذلك معرفة آثار البيئة المدرسية في اغتراب المراهقين. و تكونت العينة من الطلاب المراهقين في ثلاث مدارس إعدادية ريفية بجنوب وسط ولاية تكساس الأمريكية. ودلت النتائج عن وجود فروق دالة بين الذكور والإناث في أبعاد اللامعيارية والعجز (كبعدين من أبعاد الاغتراب النفسي) لصالح الذكور.

-دراسة "جليلاند Gilliland عام 1997:

بعنوان: Alienation , religious freedom of the rise violent religious cults in the Japan & U. S. A

الاغتراب والحرية الدينية والعنف الديني في اليابان وأمريكا. حيث هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة بين الاغتراب والحرية الدينية وانتشار العنف الديني في أمريكا واليابان على عينة من الشباب الأمريكي والشباب الياباني. وتكونت عينة الدراسة من 798شاباًمنهم 367 أمريكيا، و413 يابانيا. و بينت النتائج أن هناك علاقة دالة موجبة بين الاغتراب والعنف الديني.

- دراسة "لاين دورتي" Lane and Daugherty" عام 1999:

بعنوان: Correlates of social alienation among college students

علاقة الاغتراب الاجتماعي بأوساط الطلبة الجامعيين. حيث هدفت الدراسة إلى معرفة علاقة الاغتراب الاجتماعي بأوساط الطلبة الجامعيين في المرحلة الحالية لدى عينتين من الطلبة (الأمريكيين الأصل والأمريكيين من أصل يوناني) وذلك حسب متغير الجنس، وتكونت عينة الدراسة من 78 طالبا وطالبة في قسم علم النفس من جامعات الولايات المتحدة الأمريكية. حيث استخدم الباحث أدوات الدراسة التالية:

1- مقياس الاغتراب الاجتماعي.

2- مسح اجتماعي لمعرفة المستوى (الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي، الأكاديمي).

ودلت النتائج على أن تأثير التفاعل الاجتماعي في مسألة الاغتراب الاجتماعي ليس له مغزى بالنسبة لمتغير الجنس، وأن الاغتراب كان أقل لدى الأمريكيين ذوي الأصل اليوناني.

- دراسة "ماهوني وكويك" Mahoney and quick عام 2001:

بعنوان: Personality correlate of alienation a University sample

علاقة الشخصية بالإغتراب في الجامعة كنموذج: حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن وجود مشاعر الاغتراب لدى طلبة الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وبيان أثر متغير الجنس والدور الذي تؤديه الجامعة في رفع مشاعر الاغتراب لدى طلبتها أو خفضها. كما بلغت عينة الدراسة 136 طالبة و85 طالبا من الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية. واستخدم الباحث في دراسته مقياس كولد Gould للاغتراب والذي يضم 44 سؤالا.

وأسفرت نتائج الدراسة على أن 77 طالبا لديهم درجة عالية من الشعور بالاغتراب بصرف النظر عن الجنس، وأنه لا توجد فروق ذات دلالة بين الجنسين فيما يتعلق بالشعور بالاغتراب، وكانت النتيجة أن طلبة الجامعة الذين لديهم درجة عالية من الاغتراب يمكنهم التعايش مع هذه الظاهرة بدعم من المناخ الجامعي، أي تساعد الأجواء في الجامعة على تخفيف درجة الشعور بالاغتراب.

تعليق عام على الدراسات السابقة: من حيث مواضيع الدراسات السابقة هناك اختلاف من حيث المواضيع المتناولة في الدراسات المذكورة سابقا، حيث هدف بعضها إلى معرفة العلاقة بين الاغتراب ومتغيرات أخرى كالمعاملة الوالدية والتوجه الديني، والشخصية، وتحقيق الحاجات، والعنف. حيث يوجد اتفاق بين بعضها والدراسة الحالية في تناول متغيرات الجنس والحالة العائلية والإقامة والمستوى الدراسي، وكانت أغلبها عينات من المراهقين والشباب الجامعي لكلا الجنسين، ولم تتفق الدراسات المذكورة سابقا من حيث الأدوات المستخدمة، إذ تضمنت مقاييس مختلفة في الاغتراب لباحثين مختلفين، كذلك لم يكن هناك إ تفاق بينها وبين الدراسة الحالية من حيث المقياس الاغتراب، أما من حيث النتائج كانت مختلفة في الدراسات السابقة المذكورة سابقا، فمنها ما توصلت إلى وجود فروق بالنسبة للشعور بالاغتراب حسب متغيرات الجنس والمستوى الدراسي والحالة العائلية والإقامة، ومنها ما توصلت إلى عدم وجود فروق بالنسبة للشعور بالاغتراب حسب متغيرات الجنس والمستوى الدراسي والحالة العائلية والإقامة.

إجراءات الدراسة الميدانية:

المنهج المستخدم في الدراسة: اقتضت طبيعة الدراسة في هذا البحث الاعتماد على منهج البحث الوصفي التحليلي لكشف مظاهر الاغتراب الموجودة لدى الطلبة الجامعيين ووصفها وتحليلها، لأن هذا المنهج في البحث يعرف بأنه منهج يقوم على وصف ما هو كائن وتفسيره، وهو يهتم بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الظواهر. (جابر وآخرون 1989، ص 134).

مجتمع الدراسة: يتألف مجتمع البحث من طلبة جامعة الأغواط "عمار ثليجي" من كلية العلوم الاجتماعية ، باختلاف متغير الجنس والحالة العائلية والإقامة ومستوياتهم الأكاديمية الجامعية.

عينة الدراسة : سحبت عينة البحث بطريقة عشوائية طبقية حيث نظم مجتمع البحث في طبقات متجانسة وأخذت نسبة ممثلة في ضوء متغيرات البحث. حيث وزع المقياس على عينة مؤلفة من 99 طالب وطالبة الذين يدرسون في جامعة الأغواط، كلية العلوم الاجتماعية، كما هو موضح في الجداول الآتية:

الجدول رقم (01) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس .

الجدول رقم (02) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية.

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة N
متزوج	49	5 .49	102,16	5,565	99
غير متزوج	50	5 .50	102,26	6,285	

الجدول رقم (03) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى الأكاديمي الجامعي.

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة N
ليسانس	29	29,3	102,41	7,443	99

ماستر	30	30,3	102,57	6,118	
دكتوراه	40	40,4	101,80	4,456	

الجدول رقم (04) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الإقامة.

المتغيرات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	العينة N
مقيم	61	61,6	103,26	6,314	99
غير مقيم	38	38,4	100,53	4,808	

أداة الدراسة :قام الباحث بتطبيق مقياس للاغتراب النفسي من إعداد(محمد عباس يوسف 2004) بعد اطلاعه واعتماده على دراسة العديد من المقاييس الأجنبية، مثل مقياس دين din 1961، ومقياس الهدف من الحياة الذي أعده كرومبو crambo 1968والمقاييس العربية مثل مقياس احمد خيري حافظ، ومقياس إبراهيم عيد، هذا فضلا عن التأثر بنظرية فرانكل frankel حول المعنى والعلاج بالمعنى. حيث بلغت عبارات المقياس 75 عبارة، وهذه العبارات تمثل الأبعاد الثلاثة للاغتراب النفسي (فقدان القيمة، فقدان الهدف، التناقض القيمي)بواقع 25 عبارة لقياس كل بعد (لعفيفي إيمان، 2013: ص185).

طريقة التصحيح :

فيما يخص تصحيح المقياس أُعطي لكل إجابة درجة معينة، فالعبارات ايجابية الصيغة تعطى درجاتها على النحو الآتي :
درجتان لكل عبارة يجيب عنها الطالب ب: (موافق)، ودرجة لكل عبارة يجيب عنها الطالب (محايد)، وتُعطى درجة الصفر لكل عبارة يجيب عنها الطالب ب: (غير موافق)، وبالعكس في حالة العبارات السالبة .

وتشير هذه الدرجات إلى انه كلما ارتفعت الدرجة الخام بالنسبة لكامل الأبعاد (كل عبارات المقياس من: 0 إلى150 درجة) دل ذلك على شعور الطالب المتزايد بالاغتراب النفسي. أما الأبعاد الفرعية للمقياس فقد حسبت بحيث تقع الدرجة الكلية لكل بعد بين 0 و50 درجة .

الخصائص السيكومترية للمقياس :

-1- صدق المقياس :

- صدق التكوين الفرضي :

قام الباحثان بحساب صدق التكوين الفرضي باستخدام معاملات الارتباط بين الدرجات الأربع التي تتشتمل الأبعاد الثلاثة للاغتراب (فقدان المعنى، فقدان الهدف، التناقض القيمي) والدرجة الكلية وكانت جميع المعاملات دالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 01٬0 كما هو موضح في الجدول الأتي :

جدول رقم (05) يوضح صدق التكوين الفرضي لمقياس الاغتراب النفسي .

البعد	1-فقدان المعنى	2- فقدان الهدف	3- التناقض القيمي	الدرجة الكلية
1- فقدان المعنى	1	82 .0	92 .0	85 .0
2- فقدان الهدف	0. 90	1	81 .0	98 .0
3- التناقض القيمي	0. 89	0. 81	1	87 .0

الصدق الذاتي-:

اطمأن الباحثان إلى صدق المقياس عن طريق حساب معامل صدقه الذاتي، وذلك بتجذير قيمة معامل ثبات المقياس، والتي قدرت ب: 0. 92 ليكون بذلك معامل صدقه الذاتي 0. 95 مما يؤكد لنا انه مقياس صادق وصالح لقياس ظاهرة الاغتراب النفسي .

-2- ثبات المقياس: هو مدى إعطاء المقياس الدرجات نفسها للأفراد أنفسهم عند إعادة تطبيقه عليهم. (طه، 1993: 265)

1- وللتأكد من ثبات المقياس قام الباحث بتطبيق الاختبار وإعادة الاختبار (t. test-retest) حيث وزع المقياس على عينة مؤلفة من 35 طالبا وطالبة، ثم أعيد توزيعها بعد ثلاثة أسابيع من التطبيق الأول، بلغ حجم هذه العينة (35) طالبا وطالبة من طلبة كلية العلوم الاجتماعية. وبحساب معامل الارتباط "لبيرسون" بين درجات الطلاب في التطبيقين الأول والثاني تبين معامل الارتباط هو (0. 865) وهو ارتباط عالي يدل على تمتع المقياس بدرجة عالية من الثبات.

2- قام الباحث بتقدير معامل الثبات للمقياس ككل، ومعامل ثبات كل بعد من أبعاده بطريقة ألفا كرومباخ كونها أكثر المعادلات استخداما في مثل هذه الحالة. وطبق المقياس على عينة قوامها 35 طالب من العينة وطالبة من كلية العلوم الاجتماعية، باختلاف مستواهم الأكاديمي الجامعي، والذين استبعدوا من العينة الأساسية للدراسة. حيث بلغت قيمة كمعامل الثبات لألفا كرومباخ للمقياس ككل ولكل بعد من أبعاده كما يوضحه الجدول الآتي:

جدول(06) رقم يوضح: قيم معامل الثبات للمقياس ككل ولكل بعد من أبعاده.

الأبعاد	معامل الثبات
1- فقدان المعنى	0. 98
2- فقدان الهدف	0. 95
3- التناقض القيمي	0. 93
الدرجة الكلية	0. 92

يتبين من خلال الجدول أن معاملات الثبات لألفا كرومباخ هي معاملات ثبات مرتفعة تدل قيمها على وجود مستوى جيد من الثبات، وتفي بمتطلبات تطبيق المقياس على أفراد العينة، وقد تساوت الدرجة الكلية لثبات المقياس في الدراسة الحالية، مع الدرجة الكلية لثباته في دراسة صاحب المقياس (محمد عباس يوسف، 2004) .

المعالجة الإحصائية: تم استخدام الحاسب الآلي للمعالجة الإحصائية (SPSS) وبإشراف متخصص بالإحصاء وتضمنت المعالجة الأساليب التالية:

- التكرارات والنسب المئوية لوصف خصائص أفراد عينة الدراسة.
-المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لبيان استجابة أفراد عينة الدراسة على المقياس .
- استخدام اختبار One Sample T test للتحقق من الفرضيات المتعلقة بدراسة متغير الجنس والحالة العائلية والإقامة.
- استخدام اختبار تحليل التباين الأحادي One Way Anova للتحقق من الفرضية المتعلقة بدراسة متغير المستوى الأكاديمي الجامعي.

عرض نتائج الدراسة:

أولا: فيما يتعلق بالفرضية الأولى: يوجد اغتراب نفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية .

فقد بينت النتائج بناء على الدرجات الموجودة في سلم تصحيح مقياس الاغتراب النفسي أن معظم الطلاب أفراد العينة يعانون من اغتراب نفسي واضح ومرتفع، حيث بلغ عدد الطلاب الذين تجاوزت درجاتهم 145 درجة على المقياس الكلي للاغتراب 50 طالبا وطالبة، أي بنسبة 70. 86 % وهذه النسبة تعادل 2. 43 % بالنسبة لمن قلت درجتهم عن 145 درجة، والذين يعانون من الاغتراب النفسي بدرجة متوسطة وقليلة، ونسبة 70. 86 % تشير إلى ارتفاع الشعور بالاغتراب النفسي

على المقياس العام، أما لمعرفة نسبة انتشار الاغتراب النفسي بحسب مظاهره وأبعاده فقد تم حساب عدد أفراد العينة الذين حصلوا على درجات المقياس الفرعي لكل بعد -32 درجة فأكثر- وتم حساب النسبة المئوية كما هو موضح في الجدول رقم (07).

جدول رقم (07) يوضح النسبة المئوية لمظاهر الاغتراب النفسي وأبعاده .

الأبعاد	فقدان الهدف	فقدان المعنى	فقدان القيمة	المجموع%
النسبة المئوية%	01 .65	90 .68	23 .72	71 .68

ويظهر الجدول السابق انتشار مظاهر الاغتراب النفسي بنسبة مرتفعة بين طلاب وطالبات كلية العلوم الاجتماعية، حيث بلغت نسبة الطلاب على مقياس الاغتراب النفسي بعد فقدان القيمة 72. 23 %وهي اكبر نسبة بالمقارنة مع الأبعاد الأخرى، أما بعد فقدان المعنى بلغت نسبة الطلاب فيه 68. 90 %، وبعد فقدان الهدف بلغت نسبة الطلاب فيه 65. 01 % على التوالي، وبالتالي أن الطلاب يعانون من اغتراب نفسي بمعدل مرتفع وهذا راجع لعدة أسباب مختلفة منها أنهم يغتربون عن أهلهم في الدراسة ، وتأتي هذه النتيجة متفقة مع اغلب الدراسات السابقة من بينها دراسة (موسى، 2002) ودراسة أبو العلاء، 2002) ودراسة (بشرى علي، 2008).

ثانيا: فيما يتعلق بالفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير الجنس .

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخدم اختبار. t. test، لحساب الفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الجنس عند مستوى الدلالة 0. 05 والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (08) يبين اختبار t. test للفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الجنس.

متغير الجنس	حجم العينة N 99	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة اختبار t. test	درجة الحرية ddl	مستوى الدلالة لاختبار t. test	القرار
ذكور	47	101,68	5,924	0. 849-	97	0. 398	غير دالة
أنثى	52	102,69	5,913				

يبين الجدول رقم (08) أن الباحثان قاما بحساب اختبار t. test لعينتين مستقلتين متجانستين، ولوحظ في الجدول أن قيمته قدرت ب: 0. 849-، عند درجة حرية ddl=97، وبمستوى دلالة 0. 398، وكما هو ملاحظ أن مستوى الدلالة لاختبار t. test قدرت ب: 0. 398 فهي اكبر من مستوى الدلالة 0. 05 = sig مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات كل من الذكور والإناث على متغير الاغتراب النفسي، وبناءا على هذه النتيجة نقبل فرضية العدم الأولى، وهذا يعني أن انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي متشابهة بين الجنسين.

ثالثا: فيما يتعلق بالفرضية الثالثة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير الحالة العائلية .

وللتحقق من صحة هذه الفرضية أُستخدم اختبار. t. test، لحساب الفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الحالة العائلية عند مستوى الدلالة (0. 05) والجدول الآتي يوضح ذلك:

جدول رقم (09) يبين اختبار t. test للفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الحالة العائلية.

متغير الجنس	حجم العينة N 99	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار t. test	درجة الحرية ddl	مستوى الدلالة لاختبار t. test	القرار
متزوج	49	16 .102	565 .5	081 .0-	97	936 .0 Sig	غير دالة
غير متزوج	50	26 .102	285 .6				

يبين الجدول رقم (09)الباحثان قاما بحساب اختبار t. test لعينتين مستقلتين متجانستين والتي قدرت قيمته كما هو موضح في الجدول ب: 0. 081- عند درجة حرية ddl=97 وبمستوى دلالة 0. 936، وبما أن مستوى دلالة اختبار t. test والتي قدرت ب: 0. 936 اكبر من مستوى الدلالة sig: 0,05 هذا يعني انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات كل من المتزوجين وغير المتزوجين على متغير الاغتراب النفسي، وبناءا على هذه النتيجة نقبل فرضية العدم الثالثة، وهذا يعني أن انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي متشابهة بين المتزوجين وغير المتزوجين .

رابعاً: فيما يتعلق بالفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير المستوى الأكاديمي الجامعي .

للتحقق من صحة هذه الفرضية استخدم تحليل التباين الأحادي anova one way لحساب الفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب المستوى الأكاديمي الجامعي عند مستوى الدلالة (0. 05). والجدول الأتي يوضح ذلك:

جدول رقم (10) يبين اختبار تحليل التباين الأحادي anova one way لمتغير الاغتراب النفسي حسب المستوى الأكاديمي الجامعي عند مستوى الدلالة 0. 05

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسطات المربعات	قيمة f المحسوبة	مستوى الدلالة	القرار
بين المجموعات	11. 744	2	5. 872			
داخل المجموعات	3410. 801	96	35. 529	0. 165	0. 84 sig	غير دال
المجموع	3422. 545	98	41. 401			

يبين الجدول رقم (10) أن مستوى الدلالة 0. 848 اكبر من مستوى الدلالة (0. 05) مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات (ليسانس- ماستر- دكتوراه)، وبناءا على هذه النتيجة نقبل فرضية العدم الخامسة.

ولتحديد الفروق في المستوى الأكاديمي الجامعي قاما الباحثان باستخدام اختبار t. test لحساب الفروق بين المتوسطات والجدول رقم (11) يوضح ذلك:

جدول رقم (11)one way descriptive

المستوى الأكاديمي الجامعي	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	القيمة العليا	القيمة الدنيا
ليسانس	29	102,41	7,443	119	89
ماستر	30	102,57	6,118	115	91
دكتوراه	40	101,80	4,456	110	94
المجموع	99	102,21	5,910	119	89

فيما يخص الفروق بين المتوسطات الدرجات للمستوى (ليسانس - ماستر) فقد بلغ مستوى الدلالة 0. 653 وهي اكبر من مستوى الدلالة 0. 05 ومن ثم الفرق بين المستويين غير دال إحصائيا ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات المتوسطين، وفيما يخص الفروق بين متوسطات الدرجات لمستوى (ماستر - دكتوراه) فقد بلغت قيمة مستوى الدلالة 0. 752 وهي اكبر من مستوى الدلالة 0. 05 مما يدل أيضا على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المستويين (ماستر- دكتوراه). أما فيما يخص الفروق بين متوسطات درجات لمستوى (ليسانس- دكتوراه) فقد بلغت قيمة مستوى الدلالة 0. 085 وهي اكبر من مستوى الدلالة 0. 05 مما يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المستويين.

خامسا: فيما يتعلق بالفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب النفسي لدى طلبة كلية العلوم الاجتماعية تعزى لمتغير الإقامة. وللتحقق من صحة هذه الفرضية أُستخدم اختبار. t. test، لحساب الفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الإقامة عند مستوى الدلالة 0. 05 والجدول الآتي يوضح ذلك :

جدول رقم (12) يبين اختبار t. test للفروق بين متوسطات الدرجات لمتغير الاغتراب النفسي حسب الإقامة.

متغير الجنس	حجم العينةN 99	المتوسط	الانحراف المعياري	اختبار t. test	درجة الحريةddl	مستوى الدلالة لاختبار t. test	القرار
مقيم	61	26 .103	314 .6	288 .2	97	024 .0 Sig	دالة
غير مقيم	38	53 .100	808 .4				

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن قيمة اختبار t. test قدرت ب: 2. 288، عند درجة حرية ddl=97، وبمستوى دلالة 0. 024 ، وكما هو ملاحظ أن مستوى الدلالة لاختبار t. test قدرت ب: 0. 024 فهي أصغر من مستوى الدلالة 0. 05 مما يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات كل من المقيمين وغير المقيمين على متغير الاغتراب النفسي، وبناءا على هذه النتيجة نقبل الفرضية ، وهذا يعني أن انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي غير متشابهة بين المقيمين وغير المقيمين.

الاستنتاج :

1- يوجد اغتراب نفسي لدى الطلبة الجامعيين.

2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، تعزى لمتغير الجنس (ذكر/أنثى)

3- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، تعزى لمتغير الحالة العائلية (متزوج/غير متزوج)

4- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، تعزى لمتغير المستوى الأكاديمي الجامعي(ليسانس، ماستر، دكتوراه).

5- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بالنسبة للشعور بالاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، تعزى لمتغير الإقامة.

خاتمة: مما سبق عرضه، يتضح ظاهرة الاغتراب النفسي بدأت في التوسع لتخرج عن نطاق الحالات الفردية لتصبح إحدى السمات المميزة للعصر الحالي مع اختلاف المجتمعات، أي أن الشعور بالاغتراب النفسي هو شعور قديم منذ قدم الإنسان إلا انه مع تقدم الحياة العصرية تحول من حيز الفردية إلى شعور جمعي يتسم به المجتمع وخاصة الشباب الجامعي ، فمظاهر العنف والتمرد والتغيرات السريعة المتلاحقة التي تموج بها المجتمعات المعاصرة أدت إلى اهتزاز علاقات الإنسان التي كانت ترتبط بذاته أو بالله مما أدى إلى انتشار ظاهرة الاغتراب النفسي، وهذا ما أكدته الدراسة الحالية ، ولهذا السبب يستوجب علينا دراسة هذه الظاهرة بجانب أكبر من الاهتمام، وتوفير كل الوسائل العلاجية والوقائية للحد منها.

مقترحات البحث :

-1- التعرف عل أهداف الشباب ورغباتهم وميولهم في كل مستوى دراسي وتوجيهها التوجيه الصحيح بما يحقق التوافق النفسي لهم، كما يحقق المرونة في استجاباتهم الانفعالية خصوصا لما يحتمل أن يواجههم من مشكلات وأزمات في حياتهم وخاصة الذين يدرسون بعيدا عن أهلهم ومجتمعهم.

-2- تناول موضوع الاغتراب النفسي في إطار دراسة حالة لضبط بروفيل هذه الظاهرة لدى مختلف الأفراد، وبالتالي الاستقرار على أبعاد موحدة تكون الظاهرة، والكشف عن مسبباتها والقضاء عليها .

-3- تصميم برنامج إرشادي علاجي وقائي لخفض من درجة الاغتراب النفسي لدى فئة الشباب الجامعي .

-4- تكاثف الجهود بين مؤسسات الدولة والجامعات لتوفير الرعاية الصحية والنفسية وعلاج الحالات التي تحتاج إلى علاج فوري دون تأخر في توجيههم وعلاجهم .

- 5- ضرورة متابعة الطلاب بإجراء برامج واختبارات علمية حديثة سنويا لمعرفة مستوى شعور طلاب الجامعات بالاغتراب النفسي وتقديم الحلول المناسبة للتخفيف من آثارها.

- 6- الاهتمام بالمحاضرات والندوات وعقد اللقاءات الدينية، على أن تشمل على المواضيع التي تبصرهم وتور لهم طريق المستقبل، بهدف تحقيق الصحة النفسية للطلاب مما يقلل الشعور بالاغتراب النفسي عندهم .

قائمة المراجع:

* المراجع العربية:

01- أحمد الفيومي بن أحمد بن علي المقري، (بدون سنة): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مصر، مطبعة مصطفى في الباب الحلبي وأولاده.

02- أبو العلا، حنان فوزي (2002): دراسة الاغتراب النفسي والتوجه الديني لدى عينة من طلاب الجامعة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة المنيا.

03- الصنعاني، عبده (2009)، العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعياً في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة تعز، اليمن.

04- الشيخ خليل، جواد (2002)، الاغتراب وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعات الفلسطينية بمحافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.

05-الصنيع، صالح بن إبراهيم (2002): الاغتراب لدى طلاب الجامعة، دراسة مقارنة بين الطلاب السعوديين والعمانيين، مكتب العربي لدول الخليج، مجلة رسالة الخليج العربي، ع (82)، السنة (22)، ص ص 13-55.

06- أحمد أبو زيد، الاغتراب، عالم الفكر، مجلد 10، عدد1، 3-12، 1979، ص74.

07-بشرى، علي (2008): مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، ع1.

08- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية، متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

09- خليفة، عبد اللطيف محمد (2003): دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة.

10- خليفة، عبد الطيف محمد (2002): الاغتراب وعلاقته بالمقارنة القيمية لدى عينة من طلاب الجامعة، دراسات عربية في علم النفس، دار غريب، المجلد الأول، ع1.

ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، ط2، دار شرقيات، القاهرة، 1995- . 11

12- رأفت عبد الباسط محمد (2015): الاغتراب النفسي وعلاقته بالإبداع لدى طلاب الجامعة، ط1، المكتب العربي للمعارف للنشر والتوزيع، القاهرة.

13- زهران سناء (2003) فاعلية برنامج إرشاد الصحة النفسية لتصحيح معتقدات الاغتراب لدى طلاب الجامعة، مجلة الإرشاد النفسي ، العدد 17، ص103.

14- طه، فرح عبد القادر (1993): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح.

15- عليان، عمران (2003)، الاغتراب والعنف دراسة ميدانية على عينة من طلبة المدارس بمحافظة غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة.

16- عفيفي، محمد (2003)، العلاقة بين الاغتراب النفسي والإبداع لدى بعض الفئات الإكلينيكية، مجلة الإرشاد النفسي، العدد 17، ص283.

18- عبد الله عبد الله، الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا.

19-كتلو، كامل (2007) الاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي الفلسطيني وعلاقته ببعض المتغيرات الديموغرافية، المؤتمر الإقليمي لعلم النفس، ص425.

20- لعفيفي، إيمان، (2013): علاقة الضغط النفسي بالاغتراب النفسي لدى خريجي الجامعة العاملين بعقود ما قبل التشغيل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة سطيف.

21- مخلوف، شادية وبنات، بسام (2006)، ظاهرة الاغتراب لدى طلبة جامعة القدس المفتوحة وعلاقتها ببعض المتغيرات، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد 06، ص45.

22- منصور حسن عبد الرزاق (1989): الانتماء والاغتراب: دراسة تحليلية، دار حرش للنشر والتوزيع، خميس نشيط.

23- محمد مجي الموسوي، (2017): تلفزيون الواقع وظاهرة الاغتراب الثقافي عند الشباب الجامعي، ط1، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربية المتحدة .

24- نغمات عبد الخالق السيد، (1992): الاغتراب وعلاقته بالعصابية والدافعية للانجاز لدى طلاب الجامعة، العدد 8، المجلد الأول.

25-وفاء موسى (2002): الاغتراب لدى طلبة دمشق وعلاقته بمدى تحقيق حاجاتهم النفسية، رسالة ماجيستير، كلية التربية، جامعة دمشق.

26- يونسي كريمة، (2012): الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكيف الأكاديمي لدى طلاب الجامعة: دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة مولود معمري بتيزي وزو، مذكرة ماجستير، جامعة تيزي وزو بالجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية.

27- يوسف حملة ، صالح مصطفى (2009): بحوث معاصرة في علم النفس، المملكة الأردنية الهاشمية للنشر والتوزيع، عمان.

* المراجع الأجنبية:

1- Gilliland& M. S. (1997): Alienation ,religious freedom &the rise violent religious cults in the U. S. A & Japan. Dissertation Abstract intentional ,
VOL. (36) NO (3) , p734.

2- Gordan ,F. L (1999): Astudy of non-cogntive variab perception of minority students three 2year colleges, Dissertation Abstract international ,VOL (60), NO (5), p3283-A.

3-Mahoney, John and Quick, Ben (2001): Personality correlates of alienation in a University sample ,Psychological reports ,VOL 87(3,PT2)pp. 1094-1100.

4- Namitha ,M. (1984): social psychological correlates of aliena on among adolescent ,psychological studies journal ,vol(29) ,pp147-151

5- Netler. G ,Ameasure of Alination ,Amirican Sociological Review ,vol. 22 N84,1957.

6-Shoho,A. & Others(1996): The rural school environment effect on adolescent alienation ,Paper presented of the annual meeting of the American educational research association ,New York ,April 8-12-1996.

7-Wolman ,B. B (1975): Dictionary of Behavioural science ,(ED). London ,The Macmillon Press. Ltd.

إشكالية استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي:
تخصص الإذاعة والتلفزيون بجامعة الجزائر3 نموذجا

د.كريم بلقاسي
جامعة الجزائر3

الملخص: تبحث هذه الدراسة عن المكانة التي تحتلها الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي بصفة عامة وبكلية علوم الإعلام والاتصال لجامعة الجزائر3 بوجه خاص، أين يعد تخصص دراسات إذاعة وتلفزيون تحديدا هو التخصص الوحيد الذي يستخدم أساتذته بصفة دائمة الوسائل السمعية البصرية كوسائل تعليمية للتدريس، فما واقع استخدام هذه الوسائل السمعية البصرية في هذا الاختصاص العلمي؟ سيتم الإجابة عن هذا السؤال المحوري من خلال أولا تحديد ماهية الوسائل السمعية البصرية ووظائفها البيداغوجية، إضافة إلى التعريف على الكيفية التي تستخدم بها هذه الوسائل لدعم العملية التعليمية وإثراء الموقف التعليمي، وأهداف هذا الاستعمال. ومن ثم تبيان أهمية الوسيلة السمعية البصرية كأداة تعليمية في تخصص العلمي الإذاعة والتلفزيون بكلية الإعلام والاتصال لجامعة الجزائر3.

الكلمات المفتاحية: الوسائل السمعية البصرية؛ التدريس الجامعي؛ الوسيلة التعليمية؛ العملية التعليمية.

Abstract : This study focuses on the place of audio- visual means in university teaching in general and especially in faculty of information and communication sciences (university algers3), Where always the teachers of television and radio studies specialty use the audio visual means as educative tools in teaching. So what is the reality of using the audio visual means in teaching radio and television specialty? We are going to answer this fundamental question by determining the definition of the audio visual educative tool and its pedagogical function study tries to identify the meaning of educative process and audio visual means and their pedagogic functions, moreover this study tries to determine the way of using this tools to sustain the educative process and improve the educative position and the objectives of their using. At the end we will clarify the importance of audio visual means as educative tool in radio and television specialty in faculty of information and communication study (University Algers3)

تمهيد: يعرف التعليم العالي والبحث العلمي في العديد من دول العالم عملية تحول فرضتها معطيات العصر الراهن، فلقد شهد التعليم الجامعي على المستوى العلمي نموا كميا ونوعيا، ويعود هذا أساسا إلى الارتباط الوثيق القائم بينه وبين النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي اللذين هما طموح كل مجتمع بشري. فقوة الأمم تقاس في مختلف النظريات بمعايير مستوى التعليم وقدرة شعب هذه الأمة على الابتكار والاختراع، فأمة بشعب متخلف لا يتعلم ولا يبحث ولا يطور لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تكتسب مكانة بين الأمم.

وتعتبر الجامعة أهم صرح للتعلم والبحث والتطوير وإنتاج القدرات العلمية للأمة، فهي منارة الفكر والعلم، فزيادة على كونها تعلمنا كيفية القيام بأعمال ما، فهي كذلك تمكننا من معرفة بعض الأمور وفق تعبير" برتراند راسل" إنها وعاء يتوسع ويتنوع باستمرار وفق مسارات العلوم المتجددة، فليس هناك حد للعلوم ولتناميها إلا حد الخيال البشري.

ومما لاشك فيه أن التعليم العالي مرتبط ارتباطا وثيقا بالتغير الاجتماعي الحاصل على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية ويتأثر بالسلب أو الإيجاب وفق المعطيات والمنتجات الجديدة في عالم الأفكار، ومن ثمة كان لزاما على الفاعلين في السياسات التعليمية تبني استراتيجيات تتماشى ومستجدات العصر بتبنيها لمعايير جودة تسمح لها بوضع نظام تعليمي يوازن بين الإمكانيات المادية والبشرية والآمال المعقودة عليها والمتمثلة في توفير أكبر قدر من الإطارات والكفاءات المناسبة لسوق العمل ولعل هذه الانقلابات على مستوى الأنظمة التعليمية جعل الجامعات العربية تعيش الحيرة بين التحديات التي فرضت عليها وبين مقوماتها وهذا ما فرض عليها القيام بتغيرات جوهرية في فلسفتها وأهدافها ونظمها وإمكاناتها لتساير وتواكب التطورات الحاصلة على مستوى الجامعات الغربية. (حسن، السمرة،1977، 27). وقد اهتمت الجزائر بقطاع التعليم العالي،

سواء من حيث الكم أو النوع منذ استقلالها وهذا من خلال الإصلاحات التي عرفها قطاع التعليم العالي والبحث العلمي حيث عرفت توسعا كبيرا في عدد الجامعات وزيادة المقاعد البيداغوجية من حيث الكم أما من حيث النوع فلا تزال تقوم بمحاولات لكسبها ومجالات التغيرات والتطورات العالمية من خلال تبنيها لنظام ل.م.د، واستحداث تخصصات جديدة وتبني التكنولوجيا في التعليم كالتقنيات السمعية البصرية.

حيث أثبتت التجارب في العديد من الدول الغربية مدى فعالية ونجاعة توظيف الوسائل السمعية البصرية في طرق التعليم من حيث تيسير عملية الفهم والاستيعاب ودرجة المتابعة واهتمام الدارسين، ففي 1937 بدأت جامعة السربون بفرنسا نشر دروس التعليم العالي عبر محطة إذاعية للطلبة كما عملت عدة مراكز على بث دروس عبر وسائل الإعلام السمعية البصرية لفائدة الطلبة الجامعيين والأساتذة. (Jacquinot G,1985,p34)

والجزائر منذ الاستقلال عرفت تجربة محتشمة في مجال توظيف الوسائل السمعية البصرية في طرق وبرامج التدريس الجامعي، حيث اقتصرت هذه التجربة على مجالات محدودة كما هو الشأن في المجال الطبي والتكنولوجي، في حين أهملت بعض الفروع الأخرى كالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

إلا أنه بعد زمن أدركت هذه الفروع أهمية مجال استعمال تقنيات السمعي البصري في التدريس الجامعي خاصة في بعض التخصصات العلمية كاللغات، علم الآثار وعلوم التربية وبصفة خاصة علوم الإعلام والاتصال، أين يستلزم نوع التكوين في المجال السمعي البصري استخدام الوسائل السمعية البصرية في تدريس بعض الوحدات التطبيقية، **فما هو واقع استخدام الوسائل السمعية البصرية كأداة بيداغوجية تعليمية في تدعيم المناهج الدراسية لطلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون بكلية علوم الإعلام والاتصال؟**

تبحث هذه الدراسة عن المكانة التي تحتلها الوسائل السمعية البصرية في تدريس طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون، باعتبار أن كلية الإعلام والاتصال هي إحدى كليات جامعة الجزائر3، أين تمتد الدراسة بهذه الكلية ثلاث سنوات (نظام ل.م.د) سنتين جذع مشترك وسنة تخصص، يتلقى الطالب خلالها دروسا نظرية وأخرى تطبيقية، وفيما يخص تخصصات هذه الكلية فهي على التوالي: دراسات الإذاعة والتلفزيون، اتصال تنظيمي، صحافة مكتوبة، دراسات الجمهور. ويعد تخصص دراسات الإذاعة وتلفزيون هو التخصص الذي يستخدم أساتذته بصفة دائمة الوسائل السمعية البصرية كأدوات تعليمية للتدريس، **فما هو رأي الهيئة التعليمية في استخدام هذه الوسائل في هذا الاختصاص العلمي؟**

وبهذا تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على درجة استخدام الوسائل السمعية البصرية في التدريس بكلية علوم الإعلام والاتصال، ودور هذه الوسائل في دعم المناهج الدراسية ورفع مستوى التعليم والتكوين لدى الطلبة، كما تسعى الدراسة إلى معرفة آراء أساتذة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون فيما يخص واقع هذا الاستخدام والعراقيل التي يعرفها.

ولتحقيق الفهم الملائم للدراسة، **ينبغي ضبط التحديد الإجرائي** للمتغيرات التي يقوم عليها موضوع البحث والمتعلق أساسا بالاستخدام والوسيلة السمعية البصرية. **فالاستخدام** نقصد به في سياق دراستنا استعمال وسيلة سمعية بصرية بشكل منتظم من قبل الأستاذ والطالب للاستفادة منها لغاية تعليمية محددة، لكن يشترط في ذلك التحكم المعرفي بهذه الوسيلة. في حين نقصد **بالوسيلة السمعية البصرية** جميع الأدوات التي تساعد على التعلم وفق ما نرجوه من أهداف، وتتضمن الأدوات والطرق التي تستخدم حواس الإنسان كلها أو بعضها وتصنف إلى وسائل سمعية كالميكروفون، آلة التسجيل الصوتي... ووسائل بصرية كجهاز الكاميرا والتلفزيون، ووسائل سمعية بصرية كجهاز المانيتوسكوب والفيديو والفيلم التعليمي مثلا. والتي يقتضي التكوين في تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون استخدامها في بعض الوحدات التعليمية مع الطلبة كوحدة الإنتاج السمعي البصري، ووحدة الإخراج التلفزيوني وغيرها في السنة الثالثة ليسانس وفي مرحلة الماستر.

إذن نقصد بالوسائل السمعية البصرية في سياق هذه الدراسة الطرق والوسائل التي تعتمد على حاستي السمع والبصر في استقبال المادة التعليمية، لتكوين طلبة تخصص الإذاعة والتلفزيون في طور الليسانس والماستر وتتضمن كل من جهاز

التلفزيون، الكاميرا، آلة التسجيل الصوتي، الميكرفون، جهاز الفيديو وغيرها في قاعة الدرس التي تسمى الأستوديو أو قاعة العرض، أين يتلقى الطالب مختلف الوحدات التعليمية ذات نظام الأعمال التطبيقية **Les TP** كتلقين كيفية إعداد روبرتاج مصور، قراءة نشرة الأخبار، إعداد جريدة ناطقة مصورة، الإخراج الصحفي، تقنيات الفيلم الوثائقي وغيرها. حيث تتطلب تقلين هده المهارات والمعارف استخدام التقنيات والوسائل السمعية البصرية والتعود على استعمالها في الميدان وهو ما يطلبه سوق العمل الإعلامي للقطاع السمعي البصري.

إن الوصول إلى النتائج النهائية للبحث والإجابة عن إشكاليته يتطلب منا إتباع منهج معين، والذي يمثل الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة قصد اكتشافه للحقيقة.

لذلك فاختيار منهج البحث يخضع لنوع الدراسة من جهة ولأهدافها من جهة أخرى، والاختيار الدقيق للمنهج هو الذي يعطي مصداقية وموضوعية للنتائج المتوصل إليها، وبما أن بحثنا يهتم بدراسة استخدام الوسيلة التعليمية السمعية البصرية في التكوين الجامعي بكلية علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر3 وعلاقته بمتطلبات تكوين الطلبة بالتخصص العلمي لدراسات الإذاعة والتلفزيون، ومن خلال الكشف عن طبيعة هذا التكوين ومختلف مناهجه التي تهدف إلى تكوين فعلي للطالب بتنمية قدراته وترقية معارفه في مجال الإعلام السمعي البصري، فإن الظاهرة التي نحن بصدد دراستها **تأخذ بالمنهج المسحي** ويعرف على أنه منهج التحقيق العلمي ويتم استخدامه من خلال بحت الطريقة العلمية التي تمكّن الباحث من التعرف على الظاهرة المدروسة من حيث العوامل المكونة لها والعلاقات السائدة داخلها، كما هي في الحيز الواقعي وضمن ظروفها الطبيعية غير المصطنعة، من خلال جمع المعلومات والبيانات المحققة لذلك. (بن مرسلي أحمد، 2005، ص 286.)

ولتحقيق أهداف البحث أشارتMadeleine Gravitez إلى أهمية اختيار أدوات القياس المناسبة، لهذا استخدمنا الأدوات البحثية التي تمكننا من الوصول إلى أكبر قدر ممكن من البيانات والمعلومات التي تحقق الوصول إلى أهداف الدراسة، (Madeleine Gravitez, 1996,p678) وتتمثل **في المقابلة العلمية المقننة**، حيث توجه أسئلة محددة مسبقا من قبل الباحث لغرض الاستطلاع. (رجاء وحيد دويدري،2000، 326) وتكونت من 12 سؤالا مفتوحا إلى جانب محور الأسئلة الشخصية لفهم أهمية استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي لدى طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون بطوري الليسانس والماستر واقع هذا الاستخدام في كلية علوم الإعلام والاتصال بجامعة الجزائر3. حيث تهدف أسئلة المقابلة إلى التعرف على درجة وكيفية استخدام الوسائل السمعية البصرية في مختلف المواد الدراسية التي تستدعي ذلك والمشاكل التي تعترض استعمالها على أكمل وجه.

ونظرا لمحدودية مجتمع البحث المتمثل في الفريق البيداغوجي لأساتذة التكوين في تخصص إذاعة وتلفزيون والذي لا يتجاوز عددهم 10 أساتذة تم الاعتماد على المعاينة الاحتمالية لضمان تمثيلية مجتمع البحث وإمكانية تعميم نتائج الدراسة الاستطلاعية التي تقتضي عينة صغيرة الحجم على عكس ما تتطلبه الدراسات المسحية ولهذا الغرض تم اختار 50% من مجتمع البحث، وبالتالي طبيعة مجتمع البحث تفرض علينا اعتماد عينة عشوائية بسيطة التي تندرج ضمن العينات الاحتمالية تقدر بـ 5 أستاذة من تخصص الإذاعة والتلفزيون، وتم انتقاءها بطريقة القرعة التي تستلزم اختيار أول مفردة عشوائيا.

إن أي دراسة علمية تستدعي تحديد ثلاثة أبعاد مهمة تقتضيها طبيعة الموضوع ومختلف جوانبه ويتعلق الأمر **بحدود الدراسة: فالحدود المكانية** تتعلق أساسا بمجال الدراسة الميدانية في بعدها المكاني والمتمثل في كلية علوم الإعلام والاتصال، وبالتحديد استطلاع آراء أساتذة الكلية من تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون، أما **الحدود الزمنية** فينطلق المجال الزمني للدراسة من ديسمبر 2016 إلى غاية أكتوبر 2017. **في حين أن الحدود العلمية والبشرية** للدراسة يتمثل في الأساتذة المكلفين بتدريس طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون مرحلة الليسانس والماستر إلى جانب رئيس التخصص الأستاذ الدكتور نورالدين تواتي الذين أجريت معهم مقابلات علمية بهدف معرفة تصوراتهم لأهمية الوسائل السمعية البصرية كوسيلة

تعليمية، وبالتالي فنطاق الدراسة يستدعى دراسة الحلقة الأولى في العملية التعليمية الاتصالية وهو المرسل والذي اصطلح عليه في الدراسات الحديثة بالوسيط، أو المكون والموجه والمؤطر، بينما يصبح المرسل هو الآلة (الوسيلة التعليمية السمعية البصرية) مرسل المعرفة.

I. **مفهوم الوسائل السمعية البصرية:** وتعني هذه التسمية التأكيد على استخدام أكثر من حاسة من حواس الإنسان في العملية التعليمية كالبصر والسمع أي مرافقة الكلمة المنطوقة لعملية المشاهدة للأشياء، وقد زاد في تأكيد هذا الأسلوب ظهور السينما التي تعتمد تقديم المعارف بواسطة الصور المتحركة وما يرافقها من مؤثرات صوتية.

وسواء أكانت الوسائل سمعية وبصرية فيجب أن تشكل جزءا أساسيا لا يتجزأ من المادة التعليمية ومن عملية التعليم نفسها. ومن هنا كانت تسمية الوسائل التعليمية أشمل حيث أنها تعتمد على جميع حواس الإنسان وأساليب العمل واستخدام كل الإمكانيات المتوفرة في بيئة المتعلم.

وتتمثل هذه الوسائل في المواد المبرمجة، والأفلام، والإذاعة، والإعلام الآلي، وكل الوسائل التي تساهم في تطوير القدرات العقلية والحسية والإدراكية للمتعلم وخاصة الأنترنت التي أصبح لها دورا هاما في مجال البحث العلمي فمن خلال المكتبات الإلكترونية يتاح لجميع الطلاب والمدرسين الوصول إلى المعلومات في أي وقت وفي أي مكان، وبالتالي يتجاوزون النمط التقليدي من التعليم حيث يمكن أن يتحقق التفاعل الحي بينهما عن طريق المقابلة الشخصية وجها لوجه أو عن طريق الوسائط الإلكترونية. (ماتيرو، موانجي،120،2002).

يعتبر هذا النوع من التعليم الإلكتروني من أهم التطبيقات لتكنولوجيا الإتصالات في مجال التعليم العالي
حاليا، ويختلف هذا النمط من التعليم عن النمط التقليدي.

بعد تحديد مفهوم الوسائل السمعية البصرية، نحاول فيما يلي إبراز خصائص هذه الوسائل التعليمية السمعية البصرية: (علي، راشد، 13،2007)

1. حمل معلومات لا يمكن لغيرها أن تحملها: فخامة الصوت نفسه مثلا لا يمكن أن تحمل على الورق، بل فقط يمكن وصف الصوت... أما الصوت نفسه فلا يمكن حمله إلا على تلك المواد.

2. تثبيت المعلومات في ذهن المتعلم المتلقي لفترات أطول مما يحدث في حالة المواد المطبوعة: ذك أن المعلومات التي نحصلها من المواد السمعية البصرية تبقى عالقة في أذهانها لفترات طويلة بصورة حية، وقد يرجع ذلك إلى أننا نتلقى هذه المعلومات عن طريق اشتراك أكثر من حاسة أو عن طريق ما يعرف بالوجدان، ولقد أجريت في هذا الصدد تجارب عديدة للبرهنة على تلك الحقيق.

3. تقليل المجهود الذهني اللازم للفهم والاستيعاب ذلك أن المعلومات التي يتلقاها المتعلم عن طريق المواد السمعية البصرية تصل إلى الذهن بسرعة ومباشرة، فهو قد يستوعب العملية الجراحية عن طريق فيلم تسجيلي بأسرع مما لو قرأ عن هذه العملية في مجلد مطبوع.

4. التأثير العميق في المتلقي: لأن المتعلم يتلقى معلومات المواد السمعية البصرية عن طريق الوجدان والحواس ولذا فإن تأثيرها فيه تكون أعظم وأعمق.

II. **مفهوم الوسيلة التعليمية:** هي كل أداة يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم وتوضيح معاني كلمات الدرس، أو شرح أفكاره أو تدريب التلاميذ على المهارات أو تعويدهم على العادات أو تنمية الاتجاهات أو غرس القيم، دون أن يعتمد المعلم أساسا على الألفاظ والرموز والأرقام.

وعلى هذا الأساس فال وسيلة التعليمية ليست شيئا إضافيا يساعد المعلم على الشرح والتوضيح، بل هي جزء لا يتجزأ من عملية التعليم التي يجب أن تشرك جميع الحواس لتكون ناجحة وملائمة ومساعدة على الفهم والإدراك، وبالتالي تثبيت المعلومات في الذاكرة واستحضارها وقت الحاجة. (محمد سلامية، عبد الحفيظ،253،1998)

ويمكن تقسيم الوسيلة التعليمية إلى الأنواع التالية: (السعود خالد،65،2009)

أولا: وسائل تعليمية سمعية بصرية:

1. وسائل سمعية: كالراديو التعليمي، المسجلات الصوتية، مختبرات اللغة.

2. وسائل بصرية: جهاز عرض الأفلام الثابتة، جهاز عرض الشفافيات، جهاز عرض الشرائح والصور المعتمة.

3. وسائل سمعية بصرية: جهاز عرض الأفلام التعليمية المتحركة، التلفزيون التعليمي، جهاز الفيديو. وتعرف الوسيلة السمعية البصرية على أنها نظام رمزي ومورد سميوطيقي يتضمن كل أشكال اللغة من صوت، صورة، نص، موسيقى، حركات..إلخ. تساهم في بناء المعنى وإنتاج المعرفة والتصورات، وبذلك تثير لدى المتعلم البنيات المعرفية من نظام عقلي، عاطفي، وروحي. (RIVENC,1972,21)

4. وسائل إلكترونية: الكمبيوتر التعليمي.

ثانيا: المواد التعليمية: مواد مطبوعة أو مرسومة (الكتب-الصور التعليمية-الرسومات والخرائط-اللوحات التعليمية-المجسمات-الشفافيات-البطاقات-الرموز).

ثالثا: الدور الذي تلعبه الوسائل التعليمية في تحسين عملية التعليم والتعلم:

1. إثراء التعليم: أوضحت الدراسات والأبحاث (منذ حركة التعليم السمعي البصري) ومروراً بالعقود التالية أن الوسائل التعليمية تلعب دوراً جوهرياً في إثراء التعليم من خلال إضافة أبعاد ومؤثرات خاصة وبرامج متميزة. إن هذا الدور للوسائل التعليمية يعيد التأكيد على نتائج الأبحاث حول أهمية الوسائل التعليمية في توسيع خبرات المتعلم وتيسير بناء المفاهيم وتخطي الحدود الجغرافية والطبيعية ولا ريب أن هذا الدور تضاعف حالياً بسبب التطورات التقنية المتلاحقة التي جعلت من البيئة المحيطة بالمؤسسة التعليمية تشكل تحدياً لأساليب التعليم لما تزخر به هذه البيئة من وسائل اتصال متنوعة تعرض الرسائل بأساليب مثيرة ومشرقة وجذابة. (عبد الحكيم، غزاوي،52،2007)

2. اقتصادية التعليم: ويقصد بذلك جعل عملية التعليم اقتصادية بدرجة أكبر من خلال زيادة نسبة التعلم إلى تكلفته. فالهدف الرئيس للوسائل التعليمية تحقيق أهداف تعلم قابلة للقياس بمستوى فعال من حيث التكلفة في الوقت والجهد والمصادر.

3. تساعد الوسائل التعليمية على استثارة اهتمام المتعلم وإشباع حاجته للتعلم، حيث يأخذ المتعلم من خلال استخدام الوسائل التعليمية المختلفة بعض الخبرات التي تثير اهتمامه وتحقيق أهدافه. وكلما كانت الخبرات التعليمية التي يمر بها المتعلم أقرب إلى الواقعية أصبح لها معنى ملموساً وثيق الصلة بالأهداف التي يسعى المتعلم إلى تحقيقها والرغبات التي يتوق إلى إشباعها.

4. تساعد على زيادة خبرة التلميذ مما يجعله أكثر استعداداً للتعلم، هذا الاستعداد الذي إذا وصل إليه التلميذ يكون تعلمه في أفضل صورة، ومثال على ذلك مشاهدة فيلم سينمائي حول بعض الموضوعات الدراسية تهيؤ الخبرات اللازمة للتلميذ وتجعله أكثر استعداداً للتعلم.

5. تساعد الوسائل التعليمية على اشتراك جميع حواس المتعلم، فإنّ اشتراك جميع الحواس في عمليات التعليم يؤدي إلى ترسيخ وتعميق هذا التعلّم والوسائل التعليمية تساعد على اشتراك جميع حواس المتعلّم، وهي بذلك تساعد على إيجاد علاقات راسخة وطيدة بين ما تعلمه الطالب، ويترتب على ذلك بقاء أثر التعلم.

6. تساعد الوسائل التعليمية على تحاشي الوقوع في اللفظية، والمقصود باللفظية استعمال المدّرس ألفاظاً ليست لها عند المتعلم الدلالة التي لها عند المدّرس ولا يحاول توضيح هذه الألفاظ المجردة بوسائل مادية محسوسة تساعد على تكوين صور مرئية لها في ذهن المتعلم، ولكن إذا تنوعت هذه الوسائل فإن اللفظ يكتسب أبعاداً من المعنى تقترب به من الحقيقة الأمر الذي يساعد على زيادة التقارب والتطابق بين معاني الألفاظ في ذهن كل من المدّرس والمتعلم.

7. يؤدي تنوع الوسائل التعليمية إلى تكوين مفاهيم سليمة، فالوثيقة السمعية البصرية تمكن المتعلم من استيعاب اللغة دون مشكلة بنيتها أو معجمها، بالإضافة إلى عناصرها اللغوية والشبة لغوية (خاصة الحركات، الإيماءات، والإيقاع الصوتي التعبيري والانفعالي) المرافقة والمدعمة للاتصال الشفهي. (Sadini,2014-2015,18).

8. تساعد في زيادة مشاركة المتعلم الايجابية في اكتساب الخبرة، تنمي الوسائل التعليمية قدرة المتعلم على التأمل ودقة الملاحظة وإتباع التفكير العلمي للوصول إلى حل المشكلات. وهذا الأسلوب يؤدي بالضرورة إلى تحسين نوعية التعلم ورفع الأداء عند الطلبة. (عبد العظيم، الطبيب،2009، 7،10)

9. تساعد في تنويع أساليب التعزيز التي تؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة (نظرية سكنر).

10. تساعد على تنوع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين. (عبد الحكيم، غزاوي، 59)

III. أهمية استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم:

تستعمل الوسائل السمعية البصرية كأداة بيداغوجية من جهة، وكتقنية للفكر والذكاء من جهة ثانية كونها تعمل على تحسين مستوى الدارس، وتدربه على الاستفادة من محتوى رسائلها، وتجعل منه مستقبلا نشيطا وحيويا للمعارف التي تقدمها، كما تمنح هذه الوسائل أدوات وطرق جديدة للمدرس في إدراك المفاهيم التي يجب أن يتحكم فيها.

فاستعمال السمعي البصري يوطد العلاقة القائمة بين الأستاذ والطالب، لأن الدروس المقدمة بالطريقة الكلاسيكية دروس جافة وجامدة وتعزل الطالب عن العالم الخارجي الذي يحيط به، وتجعل من المعلومات المقدمة ثقيلة ومملة وصعبة الفهم والاستيعاب. ولتفادي هذه الأخطاء البيداغوجية لجأ المدرسون إلى استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم بعد تأكدهم من الفائدة التي يجنيها الطلبة من المعارف والمعلومات التي تقدمها هذه الوسائل.

وسنوضح فيما يلي أهمية استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم: (Daniel Zimmerman,1980,122,124).

1. **استعمال السمعي البصري يوطد العلاقة القائمة بين الأستاذ والطالب** لأن الدروس المقدمة بالطريقة الكلاسيكية دروس جافة وجامدة وتعزل الطالب عن العالم الخارجي الذي يحيط به وتجعل من المعلومات المقدمة ثقيلة ومملة وصعبة الفهم والاستيعاب، ولتفادي هذه الأخطاء البيداغوجية لجأ المدرسون إلى استعمال الوسائل السمعية البصرية في التعليم بعد تأكدهم من الفائدة التي يجنيها الطالب من المعارف والمعلومات التي تقدمها هذه الوسائل.

إن السمعي البصري هو وسيلة للتعبير وعلى الطالب أن يحسن طريق التعامل مع الوثائق السمعية البصرية التي تقدمها، وهنا تتجلى وظيفة أخرى للأستاذ الذي يشكل همزة وصل بين الوسيلة والطالب لأنه يلعب دور الوسيط الذي يوضح ويفسر محتوى الرسالة البصرية ويفتح المجال واسعا أمام الطالب للتفكير والنقد والاستفادة بطبيعة الحال.

2. **استعمال السمعي البصري يخلق نشاط ومشاركة المتعلم:** فالسمعي البصري كأداة بيداغوجية هو وسيلة مميزة بالمقارنة مع الوسائل الأخرى ذلك لكونها تساعد على الملاحظة الدقيقة للواقع، وللفهم والاستيعاب الجيد للظواهر الطبيعية والحوادث الاجتماعية والاقتصادية والثقافية تساعد الطالب على أن يكون مستقبلا نشطا وحيويا للمعارف والمعلومات التي تقدمها هذه الوسيلة، قادرا على فهم ونقد محتوى رسائلها والاستفادة من حقل الاتصال الواسع المتاح له بحيث يصبح غير متساهل في تلقي هذه الرسائل (الوثائق السمعية البصرية).

ويمكن القول أن الوسائل السمعية البصرية تزود الطالب بالمعارف والمعلومات الوافرة، وتدفعه إلى النشاط أكثر والمشاركة في إبداء رأيه وطرح استفساراته حتى يفهم ويستوعب ويستفيد مما يقدم له من مادة معرفية، وإذا عمدنا إلى القول أن الوسيلة السمعية البصرية تعوض المدرس، فإنها تعوض مدرس المؤسسة التعليمية الكلاسيكية الذي يقدم معلومات جافة بأسلوب نظري بعيد عن تقنيات التدريس الحديثة.

3. **الوسائل السمعية البصرية أدوات دعم وتحفيز:** تركز عملية التدريس على عنصر أساسي هو المتعلم، وإذا كان التدريس هو تقديم معلومات ومعارف للطلبة في إطار استراتيجية بيداغوجية دقيقة قصد بلوغ الهدف وهو التعليم. وإذا كان التأثير

على الطلبة وجعلهم هم يؤثرون أيضا، بمعنى خلق حركة داخل قاعة الدرس، وجعل هذه العملية متبادلة بين المدرس والطالب وذلك بالتعرف على مستوى الطلبة وتحديد الهدف البيداغوجي واختيار أنجع الوسائل التعليمية، مع ضرورة جعل الوسائل السمعية البصرية في متناول الطلبة الذين يدربهم على تشغيلها وعلى حسن استغلال المادة التعليمية المقدمة لتقريب الواقع من الطالب.

وإذا كانت الوسائل السمعية البصرية هي وسائل دعم وتحفيز، فإن لها دورين أساسيين: الأول معلوماتي بمعنى أنها تخدم الطالب من خلال معلومات ومعارف كثيرة، والثاني: تكويني بمعنى أنها تكون المعلم عن طريق ما تقدمه من مهارات وخبرات بصفة عامة.

ويحاول المدرس أن يخلق تقاربا بين دور الوسيلة المعلوماتي والتكويني وبين الفترات التي يختارها لاستعمالها كوسيلة للتحفيز والدعم.

4. استعمال السمعي البصري يدعم المادة المدرسة وبيداغوجيا التدريس: يتجلى تدعيم الوسائل السمعية البصرية لبيداغوجيا التدريس، والمادة المدرسة من خلال نوع المساعدة والخدمة التي تقدمها هذه الوسائل والتي نوردها فيما يلي:

- تدريب الطلبة على كيفية التعامل مع الصورة السمعية البصرية بطريقة تختلف عن كيفية التعامل مع الدروس النظرية، لأن السمعي البصري يجعل الطالب أكثر حيوية ونشاطا بحيث لا يتقبل الصورة التي يقدمها الشريط ببساطة وأنما يلجأ إلى تحليلها وفهمها ونقدها أيضا.

- يعمل استعمال السمعي البصري على خلق بيداغوجيا جديدة للتدريس والتي تسمح للطلبة بتبني نظرة جديدة تجاه هذه التقنيات التي تعد وسائل تعبيرية متنوعة.

- تخدم الوسائل السمعية البصرية المادة المدرسة من حيث كم المعلومات الهائل الذي تقدمه للطلبة لإثراء مواضيع دروسهم وأبحاثهم، ونوعية المعلومات ومدى خدمتها للمواضيع المدرسة.

- يساعد استخدام الوسائل السمعية البصرية الطالب على إيجاد طريقة عمل جديدة، وهذا ما عبر عنه رولان موسيRoland Mousset بقوله: "إن المدرس عند استخدامه الوسيلة السمعية البصرية يهدف إلى اكتساب طرق عمل جديدة أكثر مما يهدف إلى تدعيم المادة المدرسة بالمعلومات الكثيرة عن طريق الصورة والصوت.".

- إن الصورة التي تقدمها الوسيلة السمعية البصرية للمادة المدرسة تفتح أمام الطالب مجالا واسعا للتفكير والوصول إلى أمثلة أدق وأعمق موجودة في الواقع إضافة إلى بعض المواقف التي غابت عنه، لأن السمعي البصري هو وسيلة للتعرف على محتويات أخرى لا تقدمها الوسائل التقليدية.

- إن المادة التي تستعمل فيها الوسائل السمعية البصرية كأداة بيداغوجية تعمل على خلق حس نقدي لدى الطالب، بحيث لا يقبل كل ما يقدم له من معلومات، ولكن يلجأ إلى تجليتها ونقدها.

5. ارتباط استعمال الوسيلة السمعية البصرية بالمدة الزمنية التي تستغرقها الحصة التعليمية: حيث أن كم المعلومات المتحصل عليه في مدة زمنية قصيرة خلال الحصة السمعية البصرية أكثر من كم المعلومات المتحصل عليه في حصة نظرية طويلة لأن السمعي البصري يتميز بالسرعة في العرض والوفرة في المعلومات المقدمة بحيث يقتصد في الوقت ذلك لأن المتعلم يرى بعينه ويفهم في لحظة من الوقت ما قد يستغرق الساعات الطويلة في البحث والقراءة.

إن الاستخدام الأمثل للوسائل السمعية البصرية يكسب الطالب وقتا طويلا، بحيث يخصص الوقت المتبقي من الحصة السمعية البصرية للنقاش وتحليل المعطيات التي تقدمها الوثيقة، وقد يخصص الأستاذ الوقت المتبقي للطلبة في إشراكهم في تحضير الحصص بمعنى أن المدرس يجعل طلبته يشاركون في النشاطات البيداغوجية التي كان يقوم بها بمفرده.

نستنتج مما سبق أن للوسائل السمعية البصرية أثر كبير في مساعدة الطالب والمدرس لتحقيق الهدف التعليمي شريطة أن يختار المدرس بعناية الوسيلة السمعية البصرية وأن يحسن استخدامها نظرا للخدمة التي تقدمها هذه الوسائل كونها تمد

الطالب الأساس المادي للتفكير وتجعل تعلمه باقي الأثر، كما تقدم خبرات واقعية تدعوه إلى النشاط الذاتي، وتسهم في إثراء رصيده المعرفي.

Iv. استخدامات الوسائل السمعية البصرية بجامعة الجزائر كلية علوم الإعلام والاتصال:

إن كلية علوم الإعلام والاتصال هي أحد كليات جامعة الجزائر3، تعتمد على نظام ل.م.د في التدريس بعد نهاية النظام الكلاسيكي تدريجيا. تمتد الدراسة بهذه الكلية على مدى ثلاث سنوات سنتين جذع مشترك أي التعليم القاعدي وسنة واحدة تخصص، يتلقى الطالب خلالها دروسا نظرية وأخرى تطبيقية، وفيما يخص تخصصات هذا القسم فهي على التوالي: دراسات الإذاعة والتلفزيون، الاتصال المؤسساتي (التنظيمي)، الصحافة المكتوبا والميلتميديا، دراسات الجمهور.

ويعد تخصص الإذاعة والتلفزيون هو التخصص الذي يستخدم أساتذته الوسائل السمعية البصرية كأدوات تعليمية للتدريس، وحسب الدكتور "كمال راشدي" أستاذ بالكلية ذاتها فإن بداية التفكير في استخدام هذه الوسائل كان سنة 1987 وهي السنة التي أعيد فيها النظر في البرامج المدرسة حيث نصبت لجنة خاصة للتفكير في وضع مواد جديدة للتخصص السمعي البصري - آنذاك والذي عوض حاليا مع نظام ل.م.د بتخصص الإذاعة والتلفزيون- تتطلب استعمال الوسائل السمعية البصرية كأدوات تعليمية، (راشدي، 2016) وقد كان على رأس هذه اللجنة السيد "شاوش رمضان" مدير معهد علوم الإعلام والاتصال سابقا والذي وضع قائمة شملت طلبات المعهد من بينها التجهيزات السمعية البصرية، ولم يكن المعهد آنذاك يتوفر على أجهزة من هذا النوع ما عدا جهاز تلفزيون وكاميرا فقط. وقد قدمت اليونسكو قيمة مالية للمعهد قدرت بـ 60.000 دولار. وقامت أيضا هذه الهيئة بشراء أجهزة سمعية بصرية قدمتها في شكل هبة للمعهد، وقد تم اقتناؤها من اليابان لعدم توفرها في السوق الجزائرية، كما تحصل المعهد على تأشيرة الإعفاء من دفع الضرائب الجمركية، ومن بين الأجهزة التي استفاد منها المعهد هي: جهاز تلفزيون، جهاز فيديو عيار (VHS.VRIATIC.HB/SP) وكذلك خلية تركيب وكاميرا. (Ministre de l'enseignement supérieur,2000).

وبعد الحصول على هذه الأجهزة، تم الاتصال بمختصين في مجال السمعي البصري لإقامة أستوديو كامل ومهيأ، وفعلا قام كل من المخرج "يوسف بوشوشي" والمخرج "بشير بلحاج" بتقدير القيمة المالية لذلك، كما قدم أساتذة المعهد آنذاك بعض الاقتراحات لإثراء هذا المشروع (إنجاز أستوديو) غير أن المخرج "بشير بلحاج" ألح على الوظيفة التكوينية للأستوديو.

واتفق أساتذة السمعي البصري آنذاك على وضع خطة لبرنامج تكويني للطلبة وتمكن هؤلاء من تطبيق هذا البرنامج، حيث تم توظيف تقني مكلف بالمونتاج (التركيب)، بدأ فعلا التكوين التقني في مجال السمعي البصري على مستوى المعهد سابقا ويخص التدريب على تشغيل الأجهزة كالكاميرا، طاولة التركيب، جهاز التسجيل « Nagha »، كما تم برمجة حصتين تكوينيتين للطلبة بحضور المخرج السيد "يوسف بوشوشي" والأستاذ "بوباكير" يخرج خلالها الطالب إلى الميدان بصحبة مصور cameraman لإجراء بعض الروبورتاجات حتي يتدرب على العمل الصحفي الميداني.

وفي سنة 1996 بدأ أساتذة المعهد سابقا بتوظيف الكاميرا في التدريس، وحيث تم شراء جهاز فيديو Magnetoscope، وجهاز تلفزيون. وبداية من سنة 1999 تم تسيير أستوديو كلية الإعلام والاتصال من طرف رئيس دائرة السمعي البصري، ويشتغل به أربعة موظفين، يهتم الموظف الأول بالأجهزة السمعية وفي حين يهتم الثاني بالأجهزة السمعية البصرية كالكاميرا والتلفزة والفيديو وكذا التصوير، أما الموظف الثالث فيهتم بمراقبة عملية بث الأفلام، بينما يشتغل الرابع بإعارة الكتب وأشرطة الكاسيت. ويتوفر الأستوديو على الأجهزة التالية: ميكروفون، جهاز تسجيل، جهاز تركيب ومزج، كاميرا، وتوظف هذه الأجهزة في تدريس مواد السمعي البصري كإنتاج جريدة مصورة، الفيلم الوثائقي، إعداد حصص إذاعية وتلفزية وغيرها من المقاييس المدرسة. (بوروابن، 2002،255)

ويعتبر استخدام الوسائل السمعية البصرية في الحصص الدراسية أمرا ضروريا لدى طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون بكلية علوم الإعلام والاتصال، وهذا يرجع إلى طبيعة التكوين في المجال السمعي البصري، إذ أن أغلب الأساتذة

المستجوبين يجدون استخدامها أمرا حتميا ما يجعلهم يواظبون على ذلك مرة على الأقل في كل أسبوع، ويتطلب العرض السمعي البصري ساعة ونصف أو أكثر لتحقيق الموقف التعليمي بواسطة جهاز الفيديو لتوفره ولسهولة تشغيله. حيث يفرض تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون الاهتمام بمحتوى الوثيقة السمعية البصرية إلى جانب ضرورة الاهتمام بطريقة استخدام الوسيلة لتحقيق الأهداف البيداغوجية ويعود هذا لطبيعة لغتها المشكلة من الصوت والصورة، اعتبارا لأن الوثيقة السمعية البصرية تعد الوسيلة البيداغوجية الوحيدة في التعليم فهي مصدر للمعلومات ووسيلة مكملة للدروس النظرية، إلى جانب تقوية الاتصال بالطلبة وهذا لطبيعة مواد التخصص. لكن من جانب آخر ورغم الأهمية القصوى لتوفير التجهيزات السمعية البصرية للطلبة في مختلف الحصص الدراسية، فإن الواقع يبين عكس ذلك تماما.

فحاليا، تعرف كلية علوم الإعلام والاتصال أزمة عتاد، من حيث التجهيزات السمعية البصرية التي تكاد أن تكون منعدمة، فحسب الدكتورة نصيرة تامي هناك أستوديو واحد على شكل قاعة للتدريس يحتوي على جهاز تلفزيون وكاميرا معطلة وبالتالي يضطر الأستاذ إلى تكليف الطلبة بإنجاز أعمالهم السمعية البصرية بإمكانياتهم المادية الخاصة خارج الكلية. فجميع المعدات التي كانت موجودة من قبل أصابها التلف ولم تعوض بتجهيزات جديدة. (تامي،2016)

كما أن الأجهزة السمعية البصرية المتوفرة في كلية علوم الأعلام والاتصال غير فعالة، ويرجع ذلك لعدم صيانتها ولعدم تواجد تقنين مختصين يقومون بهذه المهمة، وهو ما يجعل أغلب الأساتذة يصادفون مشاكل أثناء استخدامهم للوسائل السمعية البصرية، منها ما هي مادية، ومنها ما هي إدارية، ومنها ما هي بيداغوجية (عدم تجهيز قاعات العرض، نقص الأجهزة، سوء برمجة الحصص السمعية البصرية). (كريمة عباد، 2017)

وفي نفس السياق تؤكد الدكتورة ظريفة بورواين أن الإمكانيات المادية والبشرية في الكلية لا تتجاوز 10%، إذ لا يوجد حقا إمكانيات مادية تساعد على العمل في الأعمال التطبيقية بشكل ملائم مع الطلبة، فالوسائل المتاحة قديمة جدا وقليلة، إلى جانب يوجد عدم وجدود فضاءات مؤهلة للعمل نظرا غياب تجهيز قاعات التدريس، مع تسجيل غياب كامل للعمال التقنيين رغم أهمية وجودهم لتسهيل تشغيل الآلات وصيانتها، كما تعرف الكلية نقص كبير في توفير دورات تكوينية لإعادة تدريب وتأهيل الأساتذة المختصين.

رغم أنه يجب توفر تجهيزات سمعية بصرية لتدريس بعض المواد والوحدات التي تستدعي ذلك كمقاييس التنشيط السمعي البصري، الإخراج الإذاعي والتلفزيوني، الجريدة المصورة والفيلم الوثائقي التي تعتمد على الصورة الحية والممارسة الجماعية أثناء سير الحصة التعليمية. (عامر،2016)

وبهذا نجد أن كلية علوم الإعلام والاتصال تعاني من نقص كبير في الجانبين البشري والمادي، حيث أنه إلى جانب نقص الأساتذة المختصين في المجال السمعي البصري، نجد انعدام التجهيزات السمعية البصرية وهذا يعود أساسا لعدم تبني برنامج مخطط للمواد الدراسية في السمعي البصري أي غياب التخطيط الاستراتيجي الذي يستدعي إعادة هندسة مناهج التعليم الجامعي لتخصص الإعلام والاتصال.

إلا أن مشكلة محدودية التجهيزات السمعية البصرية في الكلية لم تقف عائقا أمام الإرادة القوية للطلبة الذين يسعون دائما وبدأب لاستخدام عرض أعمالهم الشخصية السمعية البصرية كالروبرتاجات التي أنجزوها عبر أجهزة العرض الحي، لأنه يتسم بخاصية التنشيط والحركة واللون والصوت، التي يقوم عليها الإنتاج السمعي البصري كمحتوى إعلامي، وهو ما جعلهم يستعملون إمكانياتهم الخاصة أو ينتظرون الأجهزة الضئيلة الخاصة بالكلية. (بورواين، 2017)

إن قضية التكوين في السمعي البصري ليست قضية تدريب عملي مكثف ولاهي مسالة نقص في الكفاءات المتخصصة أو غياب أجهزة متطورة، كما يراها الكثير من الخبراء والباحثين في الإعلام والاتصال، ولو كانت هذه العوامل تشكل بالفعل العلة العليا لضعف التكوين لوجد المشكل طريقه إلى الحل في حدود زمنية وجيزة فليس من الصعب توفير الحد الأدنى من التجهيزات الضرورية والمهارات الفنية.

حيث أنه رغم النقائص المادية للكلية التي أصبحت غير مؤهلة لتدريس السمعي البصري وهذا بناء على انعدام أستوديو رقمي يعوض الأستوديو القديم الذي لم يعد يفي بالغرض، إضافة إلى غياب قاعات العرض كاملة مجهزة بأحدث التقنيات الخاصة بالدروس القائمة على السمعي البصري. ومن جهة أخرى يعد غياب عنصري الاستعداد لدى كل من الأستاذ/ الطالب،(*) والملائمة سببا أساسيا في إثارة الملل لدى الطلبة وجعلهم ينصرفون عن البرنامج التعليمي وبالتالي ضعف التكوين السمعي البصري بكلية علوم الإعلام والاتصال. (تواتي، 2017)

إن المشكلة مطروحة في بعدها العلمي النظري ،فظهور التلفزيون في البلدان العربية لم تحتضنه ولم ترافقه الأدبيات التي تعنى بتحليل الخطاب المرئي كالتي لمع في إنتاجها "رولان بارت" و"كريستيان ماتز" و"أمبرتو ايكو"، ولم يتكون له رصيد من المعرفة يؤسس لبناء المعنى السمعي والمرئي على غرار ما حدث في أوربا.في حين احتضن الخطاب السياسي لسلطة ظهور التلفزيون في البلدان العربية وضل يرافقه إلى يومنا هذا على الرغم من تبدل المشهد الإعلامي بحلول الفضائيات والتلفزيون الرقمي.

كذلك هذا الواقع لم يكن مهيأ لصناعة حاضر المجتمع ومستقبله، ولذلك لا نجده مهيأ لاستيعاب ما يجري في أقسام اللغة من تكوين في المسائل اللسانية وما يتفرع منها من تخصصات تهتم بالخطاب والدلالة بل كان غارقا برمته في المسالة التقنية التي تلوح للكثير من المكونين صلب صناعة الرسالة الإعلامية، واليوم نراه لا يستوعب بالقدر المطلوب ما يجري في مجال الملتيميديا من أعمال رائدة في صناعات المضمون.

وفي نفس السياق الذي يدعوا إلى وجوب الاهتمام بثقافة السمعي البصري من طرف السلطات الوصية من خلال الخطاب الرسمي كأولوية مؤكدة، تقترح هيئة تدريس تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون بكلية علوم الإعلام والاتصال فكرة إنشاء مركز سمعي بصري داخل الكلية وذلك نظرا للخدمة التي بإمكانه تقديمها للأستاذ والتي تساعد على نجاح الحصص التعليمية السمعية البصرية باعتباره مصدر للوثائق والأجهزة السمعية البصرية، لكون الكلية تعاني نقصا كبيرا فيما يخص الوثيقة السمعية البصرية والتي هي أساس الدروس التطبيقية ومادتها العلمية.

فموضوع التكوين في هذا المجال السمعي البصري يتطلب نظرة أهل الاختصاص لإعادة هيكلته انطلاقا من التفكير في إحداث التزاوج بين الرمز والأداة لكي تكون الوسيلة هي الرسالة على حد عبارة مارشال ماكلوهان ومن سبقه في الإشارة لهذا المعنى كالجاحظ وابن خلدون ،وتكون الرسالة هي الوسيلة انسجاما مع الجغرافيا الجديدة للحق الإعلامي.

نتائج الدراسة: خلصت الدراسة النظرية والميدانية لواقع استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي لدى طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون، وإثر استبيان آراء عينة من أساتذة الهيئة التدريسية بكلية علوم الإعلام والاتصال/جامعة الجزائر3 إلى النتائج التالية:

1. إن استخدام الوسائل السمعية البصرية في التدريس بكلية علوم الإعلام والاتصال هو بشكل منتظم ومستمر رغم قلة الإمكانيات المتاحة بالكلية، والتي أكد أساتذتها ضرورة هذا الاستعمال خدمة للمواد المدرسة ولحاجة الطالب العلمية وهو ما يفرضه طبيعة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون.

2. إن درجة استخدام الوسائل السمعية البصرية مع الطلبة في الحصص الدراسية مرتفع، حيث وصل معدل الاستخدام إلى أكثر من مرة في الأسبوع مع استغراق العرض السمعي البصري ساعتين تقريبا.

3. بينت الدراسة أن توظيف الوسائل السمعية البصرية مع طلبة تخصص دراسات الإذاعة والتلفزيون يدعم المناهج الدراسية ويكملها لتزويد الطالب بالمعلومات والمعارف وخلق نشاط وهو ما يستوجبه الموقف التعليمي والأهداف البيداغوجية نظرا للغة السمعية البصرية التي تستدعي الصوت والصورة.

(*) يقوم عنصر الاستعداد كشرط أساسي من شروط التعلم على توفر أنماط الاستجابات والقدرات اللازمة للقيام بأي نشاط يتطلبه الموقف التعليمي ويرتبط بالقدرات والخبرات السابقة للمعلم والمتعلم.

4. يتفق أساتذة كلية علوم الإعلام والاتصال أن الوسيلة السمعية البصرية أداة تدعم وتحسن المستوى التعليمي للطالب نظرا لكمية ونوعية المعلومات والمعارف التي تقدمها للمادة المدرسة، كما تمنح للطالب فرصة اكتشاف خفايا الإعلام السمعي البصري.

5. أثبتت الدراسة أن نجاح الحصة السمعية البصرية التعليمية مرهون بتبني إستراتيجية بيداغوجية للأستاذ، ومدى استعداد الطلبة وإقبالهم على التعلم، مع ضرورة توفير الإمكانيات المادية لذلك، من حيث تجهيز قاعات العرض السمعي البصري بأحدث الوسائل الرقمية إضافة إلى الاهتمام بإعادة تكوين الأستاذ وتجديد معارفه لتدارك النقص الذي يعاني منه مجال استخدام الوسائل السمعية البصرية في التدريس.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة لموضوع استخدام الوسائل السمعية البصرية في التعليم الجامعي ،أردنا أن نسلط الضوء على التكوين المتخصص في هذا المجال ومدى ملائمته لمتطلبات التعليم العالي من جهة ومن جهة أخرى معرفة مسار التكوين الحالي وتقييمه بجامعة الجزائر3 كلية علوم الإعلام والاتصال، فالنتائج المتوصل إليها ليست نهائية أو قطعية وإنما يمكن اعتبارها نتائج أولية يمكن الانطلاق منها لمعالجة هذا الموضوع.

صحيح أن الجامعة ليست مصنعا لإنتاج عمال بمواصفات السوق، باعتبار أن مهمتها الأساسية التكوين الأكاديمي بنشر المعرفة وخدمة المجتمع من خلال الأفكار والاختراعات التي تيسر للناس سبل عيشهم وحياتهم لكن في ظل التطورات السريعة التي يشهدها العالم والتغيير السريع في الأسس والمفاهيم، حتى داخل المجتمع نفسه وظهور مؤسسات غير تقليدية أصبحت تنافس الجامعة في إعداد وتأهيل الأطر البشرية التي يحتاجها السوق من أجل التنمية، يحتم الضرورة إلى إعادة النظر وبشكل جدي في دور الجامعة باعتبارها عضو أساسي في المجتمع وكما يقول أنصار النظرية التطورية أن العضو الذي لا يتطور ولا يواكب التغييرات المحيطة به فإنه سوف يزول ويضمحل بمرور الوقت والزمن، وأعتقد أنه الوضع ذاته تعيشه جامعاتنا الوطنية، فأصبحت تعاني من التهميش والتشكيك في مخرجاتها مما انعكس سلبا على وضعية التكوين والتدريب على مستوى التعليم العالي.

وبالنظر إلى الإشكالية المطروحة وبعد الدراسة الميدانية واستطلاع آراء مجتمع البحث من أساتذة تخصص السمعي البصري-الإذاعة والتلفزيون- بجامعة الجزائر3 التي استخلصنا منها نتيجة تتمحور حول ضعف إستراتيجية التكوين المتخصص في هذا المجال مما جعلنا نتوصل إلى إلزامية إعادة النظر في برامج ومحتويات التكوين المتخصص وتكييفها مع المستجدات والتطورات في هذا المجال من جهة ومن جهة أخرى محاولة مد الجسور مع سوق العمل الإعلامي في التكوين لضمان مخرجات فعالة ونوعية.

قائمة المراجع:

- السعود محمد خالد: تكنولوجيا وسائل التعليم وفعاليته، مكتبة المجتمع العربي، الأردن، 2009.
- السمرة حسن، المحلاوي عبد الفتاح: التربية وعلم النفس، ط1، مكتبة الحكومة الكويتية، الكويت، 1977
- الطبيب مصطفى عبد العظيم: انعكاسات تقنية المعلومات على العملية التعليمية من وجهة نظر أساتذة الجامعات، المؤتمر العربي حول التعليم العالي وسوق العمل، جامعة جرش ، الأردن،2009 .
- ورواين ضريفة: إستخدام الوسائل السمعية البصرية في العملية التعليمية، دراسة وصفية تحليلية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2002/2001.
- بن مرسلي أحمد: مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005.
- دويدري رجاء وحيد: البحث العلمي، أساسياته النظرية وممارساته العملية، دار الفكر المعاصر، سوريا، ط1، 2000.
- راشد علي: الجامعة والتدريس الجامعي، دار مكتبة الهلال، لبنان، 2007.

- سلامة محمد عبد الحافظ: وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، دار الفكر، عمان، 1998.
- غزاوي عبد الحكيم: دور الوسائل والتقنيات التربوية الحديثة في تجويد العملية التعليمية، جامعة الجنان صيدا، لبنان، 2007.
- ماتيرو بربارا ، موانجي انا: الأساليب الإبداعية في التدريس الجامعي، تر حسين عبد الله عمارة، دار الشروق، الأردن، 2002.
- مقابلة مع الدكتور كمال راشدي، أستاذة بكلية الإعلام والاتصال، بمقر قسم الإعلام، جامعة الجزائر3، بن عكنون، يوم 2016/10/15 على الساعة 11 صباحا.
- مقابلة مع الدكتورة تامي نصيرة ، أستاذة بكلية الإعلام والاتصال، بمقر قسم الإعلام، جامعة الجزائر3، بن عكنون، يوم 2016/10/18 على الساعة 10 صباحا.
- مقابلة مع الدكتورة عامر دليلة ، أستاذة محاضرة بكلية الإعلام والاتصال، بمقر قسم الإعلام، جامعة الجزائر3، بن عكنون، يوم 2016/9/19 على الساعة 12 زوالا.
- مقابلة مع البروفيسور تواتي نورالدين، رئيس تخصص تكوين الماستر دراسات الإذاعة والتلفزيون، بمقر قسم الإعلام، جامعة الجزائر3، بن عكنون، يوم 2017/10/22 على الساعة 10 صباحا.
- مقابلة مع الدكتورة بوروابن ظريفة، أستاذة بكلية علوم الإعلام والاتصال، بمقر مكتبة المدرسة الوطنية للصحافة، بن عكنون، جامعة الجزائر3، يوم 2017/10/24 على الساعة 13 زوالا.
- مقابلة مع الدكتورة كريمة عباد، أستاذة بكلية الإعلام والاتصال وصحفية بالتلفزيون الجزائري، بمقر كلية الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، يوم 2017/10/24 على الساعة 9:30 صباحا.
- Ministre de l’enseignement supérieur : séminaire national sur l’audiovisuel, octobre 2000.
- Daniel Zimmerman :Questions réponses sur l’audiovisuel à l’école, ed ESF, paris,1980.
- Gravitez Madeleine: Méthodes des Sciences Sociales, Edition Dalloz, Paris, 1996.
- RIVENC.P :vers une définition du terme « structuro-global », Revue de Phonétique appliquée, 1972.
- SADINI FATIHA : L'enseignement de l'oral en FLE : Réalité d'enseignement et perspectives pédagogiques Cas des étudiants de la 1 LMD Département de français de l'université de M'Sila, Mémoire de fin d’études pour l’obtention du diplôme de master, université Mohamed Boudiaf, M’sila, 2014/2015.
- Jacquinot G., L’école devant les écrans, collections Sciences de l’Education, ESF, Paris, 1985, p34.

دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عملية تسيير الموارد البشرية

د. يحياوي نعيمة –أ.عنصر أحلام

جامعة باتنة1

الملخص: تهدف الدراسة إلى تبيان الدور الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات والاتصال في عملية تسيير الموارد البشرية كونها عملية جد ضرورية لابد من تبنيها داخل المؤسسات الجزائرية سواء كانت إدارية أو ربحية. كما تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على عملية تسيير الموارد البشرية التي تعتبر الأساس الذي تسعى المؤسسات والدول إلى الاهتمام به لتحقيق أهدافها المرجوة.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، إدارة الموارد البشرية.

Abstract

The study aims to show the role played by ICTs in the process of human resource management as a very necessary process that must be adopted within the Algerian institutions, whether administrative or profitable.

The study aims also to the process of human resources management which is considered the basis that institutions and States seek to pay attention to achieve their desired goals.
Keywords: Information and Communication Technology, Human Resources Management.

مقدمة: في ظل الاقتصاد المعتمد على المعرفة أصبحت المؤسسات في العالم تهدف إلى استقطاب كل ماهو جديد في جانب التكنولوجيا لضمان بقائها واستمرارها، وهذه التكنولوجيا تحتاج موردا بشريا ليقوم بتسييرها وتفعيل نتائجها على أرض الواقع.

ومن أجل فعالية أداء المورد البشري تم تبني تكنولوجيا المعلومات والاتصال من خلال إدخال هذه العملية في جميع عمليات إدارة الموارد البشرية لضمان نجاح المؤسسات، بقائها، واستمراريتها.

مشكلة البحث: تسعى مختلف المؤسسات لبلوغ الريادة في مجالها الإنتاجي أو الخدمي من خلال إدخال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في أداء مهامها ونشاطاتها، ومن أجل ذلك لابد لها من الفهم الصحيح لهذه التكنولوجيا ومعرفة أهميتها بالنسبة للموارد البشرية والمؤسسات والدول، ومن هنا نطرح **الإشكالية** التالية:

ماهو دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إدارة الموارد البشرية؟

من هذا التساؤل الرئيسي نطرح **التساؤلات** التالية:

ماهو تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات؟

ماهو تعريف تسيير الموارد البشرية؟

الهدف من هذا البحث:

-تقديم تعاريف مبسطة لمفهومي تكنولوجيا المعلومات والاتصال وتسيير الموارد البشري.

-تبيان أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تسيير الموارد البشرية.

خطة البحث: لقد قسم هذا البحث إلى ثلاث أجزاء رئيسية، يتمثل الجزء الأول في تكنولوجيا المعلومات والاتصال، أما الثاني فيتمثل في تسيير الموارد البشرية، في حين يتمثل الجزء الثالث فيتمثل في دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تسيير الموارد البشري.

أولا: تكنولوجيا المعلومات والاتصال:

1.تعريف التكنولوجيا:

من أكثر التعاريف شيوعاً أن التكنولوجيا هي معرفة الوسيلة في حين أن العلم هو معرفة العلة وتعددت المفاهيم والتعاريف للتكنولوجيا وتركزت حول وجهة النظر التقنية والاقتصادية ، فمن الناحية التقنية نجد أن مفهوم التكنولوجيا هو عبارة

عن التطبيق العلمي للاكتشافات والاختراعات العلمية المختلفة التي يتم التوصل إليها من خلال البحث العلمي ، ومن الوجهة الاقتصادية فإن مفهوم التكنولوجيا هو عبارة عن تطوير العملية الإنتاجية والأساليب المستخدمة فيها بما يحقق خفض تكاليف الإنتاج أو تطوير الأسلوب.[1]

أهمية التكنولوجيا في اقتصاد المعرفة: من أبرز المظاهر الناتجة عن تطور التكنولوجيا ازدهار الاقتصاد المعرفي من خلال انتشار الصناعة وتوسع المدن على حساب الأرياف وامتلاك الأفراد للسلع التقنية الحديثة كدليل للتميز في المجتمع وتسهيل الحياة العملية والعلمية، ومن بين فوائد التكنولوجيا في الاقتصاد المعرفي نذكر:

-توسع نظام السوق: نتيجة للنمو المتزايد الوفير في الإنتاج الكبير، وتنوع السلع، مما أدى إلى ابتكار أساليب جديدة واتخاذ السوق اتجاها أوتوماتيكيا جديدا لإرضاء جمهور المستهلكين وترويج السلع بشتى وسائل النقل والاتصال والإشهار أصبحت بعض السلع ضرورية، مما أدى إلى تغيير اتجاهات سلوك الإنفاق والاستهلاك، وتحديد نوعية وكمية الطلب.[2]

-انتشار مفاهيم عالمية جديدة كالسيبار نطيقا cyberneticsوهي علم التحكم الآلي في الأحداث وإمكانية التنبؤ لها وهي في الحقيقة أساس نظري اللأتمتة Aoutomation أو السوسيو سيبر نطيقا: وهو علم التحكم في السلوك الإنساني، ويعتبر Wien Norbertأب السيبر نطيقا الذي حاول نقلها إلى دراسة الإنسان ويقول: "إذا أمكننا التحكم في سلوك آلة " صنعناها، يمكن أن تتحكم في سلوك إنسان ما".[3]

2. **تعريف المعلومات:** تعرف المعلومات على أنها مستخرج البيانات التي تتم معالجتها تتميز بكونها ملائمة للغرض الذي أعدت من أجله إضافة إلى وضوحها وسهولة فهما بالإضافة للوضوح والدقة والقبول أي أن تكون بالشكل الذي يمكن المستفيد منها من فهمها.[4]

وتعتبر صناعات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات هي في حد ذاتها صناعات معرفية بمعنى أنها توظف المعرفة والبحوث المكثفة، والتصاميم، وعمليات الإنتاج. ففي معظم الاقتصاديات المتقدمة، تمثل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والمعرفة حصة متنامية من المدخلات والمخرجات الاقتصادية، ونتيجة لذلك؛ فإن المحددات التقليدية" للمكان "أو" للموقع "من وجهة النظر الصناعية (إمكانية الحصول على المواد الخام، وشبكات النقل والتكلفة المنخفضة، ومجموعة كبيرة من اليد العاملة) أصبحت أقل أهمية، بدلا من ذلك، وعلى نحو متزايد أصبح خيار المكانية يحكمه إمكانية الوصول إلى مهارات معينة، وإلى التكنولوجيا، وإلى المعرفة، فضلا عن توفر مواهب زيادة المشاريع ورأس المال الاستثماري.[5]

3.تعريف الاتصال: إن الاتصال في اللغة عبارة عن كلمة مشتقة من المصدر"وصل" الذي يعني أساسا الصلة وبلوغ الغاية[6]، أما في الجانب العملي فهي فكلمة الاتصال « communication »مشتقة في الأصل اللاتيني من كلمة « communes »والتي تعني عام أو مشترك وبالتالي فهي تعتبر قاعدة عامة مشتركة،[7] وبالتاليفإن الاتصال هو عملية إيصال المعلومات بغاية فهمها، بهدف

---

[1]:http://www.annabaa.org/nba44/taknolngi.htm

[2]: د. كرانزبرج مالفين ووليام، داڤنبوث، ترجمة محمد عبد المجيد نصار: التكنولوجيا والثقافة - مقالات ومقتطفات مختارة، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر، مصر، 1975 ، ص 34-47.

[3]: د. خير الله عصار: مدخل السبرنيطيقا الإجتماعية – محاولة التحكم في السلوك الإجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، 53-59.

[4]: د. ثابت عبد الرحان إدريس، نظم المعلومات الإدارية في المنظمات المعاصرة، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2005، ص 80.

[5]: تعزيز قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لمواجهة تحديات اقتصاد المعرفة،اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الأمم المتحدة،نيويورك 2011،ص،ص.12 -13

[6]: د. فضيل دليو، الاتصال (مفاهيمه، نظرياته، ووسائله)، الطبعة الأولى، دار الفجر، القاهرة، 2013، ص 15.

[7]: د. بشير العلاق، نظريات الاتصال _مدخل متكامل_ دار اليازوري العلمية، عمان، 2010، ص 13.

إيجاد التغيير المطلوب في سلوك الآخرين وبالتالي فهي عملية تتكون من مرسل واحد على الأقل ومستقبل واحد على الأقل، بالإضافة إلى التغذية العكسية المتمثلة في الأثر الناتج عن تلك المعرفة، [1]

4.تعريف تكنولوجيا المعلومات والاتصال: يعود أصل تكنولوجيا المعلومات إل بداية ظهور أجهزة الكمبيوتر في الستينات وذلك انطلاقة من المعالجة الإلكترونية للمعلومات عن طريق الحواسيب، ويعرف المجلس الاستشاري للبحث والتطوير التطبيقي تكنولوجيا المعلومات على أنها " الجوانب الفنية والعلمية والهندسية والأساليب الإدارية المستخدمة في معالجة المعلومات وتطبيقها مع الحواسيب وتفاعلها مع الإنسان، بالإضافة إلى الآلات والقضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المرتبطة بها.

لقد أصبحت البرمجيات من أهم الأسس التي تقوم عليها التكنولوجيا فهي تمثل مجموعة من الأوامر والمعلومات المعدة من طرف الإنسان والتي توجه الحاسوب للقيام بمهمة ما وذلك بواسطة طريقة معينة وفق تعليمات دقيقة واتباع خطوات متسلسلة للحصول على نتائج مطلوبة بشكل معين.[2]

وقد ظهرت البرمجيات سنة 1950 ففي البداية لم تكن معالجة البيانات بالسرعة الحالية بل كانت تأخذ وقتا في المعالجة، ثم تطورت بتطور نظم إدارة قواعد البيانات، وبلغ هذا التطور أوجه سنة 1990 حيث ظهرت النظم الخبيرة ونظم الذكاء الاصطناعي التي تعالج المشاكل المحاسبية.[3]

وتقوم البرمجيات على توفر قاعدة البيانات التي تعرف على أنها عبارة عن تجميع للبيانات بهدف خدمة العديد من التطبيقات في وقت واحد من خلال تخزين البيانات وإدارتها ومن ثم فهي تظهر في مكان أو موقع واحد.[4]

ثانيا. تسيير الموارد البشرية:

1.تعريف تسيير الموارد البشرية: تتمثل إدارة الموارد البشرية في ذلك النظام أو القانون الذي يحدد طرق تنظيم ومعاملة الأفراد،[5] حيث تتمثل في تخطيط ومراقبة وتوجيه النواحي المتعلقة بالحصول على الأفراد وتنميتهم وتعويضهم والمحافظة عليهم بهدف تحقيق أهداف المؤسسات.

2. وظائف إدارة الموارد البشرية

نتطرق بصورة وجيزة إلى ذكر الوظائف الخاصة بالاستثمار في رأس المال البشري بما أنها أصبحت تعتبر التسمية الحديثة لتسيير الموارد البشرية، حيث تتمثل هذه الوظائف في:[6]

_ تحليل العمل، أي التعرف على المهام والأنشطة التي تتضمنها كل وظيفة، وإعداد توصيف للوظيفة، وتحديد المسؤوليات والمهام الملقاة على عاتق شاغلها؛

_ تخطيط القوى العاملة أي تحديد الاحتياجات من الموارد البشرية؛

_ الاستقطاب، الاختيار، والتعيين؛

_ إعداد الأجور بشكل عادل؛

_ منح الحوافز للأداء المتميز؛

---

[1]: د. صلاح الشنواني، التنظيم والادارة في قطاع الأعمال، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1997، ص 258.

[2]: د. سليمان مصطفى الدلاهمة ، ساسيات نظم المعلومات المحاسبية وتكنولوجيا المعلومات ، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، 2008، عمان، ص 356.

[3]: د. عامر إبراهيم قنديلجي، إيمان فاضل السمرائي، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها، الطبعة الأولى، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 146-147.

[4]: د. ثابت عبد الرحمان إدريس، نظم المعلومات الادارية في المنظمات المعاصرة، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2005، ص 437.

[5]، [2]: د. صلاح عبد الباقي، :إدارة الموارد البشرية :من الناحية العلمية والعملية، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2000،ص 21، 22.

[6]: د. احمد الخطيب، د. خالد زيغان، إدارة المعرفة ونظم المعلومات،الطبعة الأولى، جدار للكتابيب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن ص:19.

_ تقديم المزايا والخدمات للعاملين والتي تشمل الخدمات الصحية والاجتماعية والرياضية وغيرها؛
_ تقييم الأداء؛
_ تنظيم المسار الوظيفي الخاص بالترقية والنقل الوظيفي.

أ_ تحليل الوظائف: يلعب رأس المال البشري أهم دور في المنظمة من خلال شغله للوظائف المختلفة، والقيام بأداء المهام المتعددة، ولا تستطيع أي منظمة أن تستثمر مواردها بشكل أفضل إن لم يكن هناك وضوح في الوظائف التي يؤديها الأفراد، وهذا ما يستوجب تحليلها من خلال تحديد المسؤوليات والمهام لأصحاب الوظائف ومهاراتهم وقدراتهم، وهذا ما يفرض علينا جمع المعلومات الخاصة بالمهام والنشاطات والعمليات الخاصة بكل وظيفة، والسمات والخصائص الواجب توفرها في شاغلها.[1] حيث يتم جمع المعلومات حول كل من الوظيفة من مهام وانشطة وكذلك معلومات حول شاغل الوظيفة من مهارات وقدرات. ومن خلال جمع المعلومات فإننا نحاول الإجابة عن الأسئلة التالية:[2]

1_ ماذا يفعل العامل أي ماهي الأنشطة التي يقوم بها الفرد في الوظيفة؟
2_ كيف يقوم بتأدية تلك الأعمال أي ماهي الوسائل والأدوات المتوفرة التي يستخدمها لتأدية تلك الأعمال المطلوب انجازها؟
3_ ماهو الهدف من العمل أي النتيجة المتوقعة من العمل؟
4_ ماذا يتطلب العمل من معارف وقدرات؟

ونقوم بجمع مختلف المعلومات من اجل القيام بالوصف الوظيفي وتحديد المواصفات الوظيفية الواجب توفرها في الوظيفة وفي شاغلها.

الوصف الوظيفي: يتضمن كافة الأنشطة والمهام الخاصة بالوظيفة، والعمليات التي تتضمنها، والأدوات المستخدمة، وظروف العمل.

المواصفات الوظيفية: تتمثل في تحديد المهارات والقدرات والخبرات الواجب توفرها في شاغل الوظيفة.

وهناك أهمية كبيرة لتحليل الوظائف، لأنه يساعد على تحديد الاحتياجات من الموارد البشرية، واختيار وتعيين الموظفين وتدريبهم، ووضع الأجور والمكافآت، وتقييم الأداء، أي انه ضروري لجمع المعلومات لتسيير مختلف الوظائف الأخرى الخاصة بالموارد البشرية، لان تحليل الوظائف يعتبر القاعدة لقيام مختلف وظائف إدارة الموارد البشرية، حيث تقوم وظائف إدارة الموارد البشرية المختلفة على المعلومات التي نستقيها من خلال تحليل الوظائف.

ب_ التخطيط للموارد البشرية:

يقصد بالتخطيط للموارد البشرية تحديد والتنبؤ للحاجة من الموارد البشرية، وعرض هذه الموارد خلال فترة مستقبلية، من خلال المقارنة بين الحاجة للموارد البشرية والعرض المتوفر منها لضمان حصول المنضمة على ما تحتاجه من عمالة كما ونوعا.[3]

وتتوقف سلامة تخطيط القوى العاملة على:[4]

_ سلامة البيانات والمعلومات الخاصة بعدد الموظفين الحاليين والذين نحتاجهم في المستقبل؛
_ خبرة القائمين بعملية التخطيط للموارد البشرية؛
_ الدقة في تحديد التخصصات المطلوبة بالكم والنوع.

---

[1]: د. عبد الباري إبراهيم درة، د. زهير الصباغ، إدارة الموارد البشرية في القرن الواحد والعشرين: منحى نظمي، الطبعة الأولى، دار وائل للنشر، الأردن، 2008 ، ص:139.

[2]: Dominique Lamante , Bernard Turgeon , De la supervision à la gestion des ressource humaines, (Chanelierea l'ère d'une GRH en transition , Canada ,2009), p :91.

[3]: د. سهيلة محمد عباس، إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي، (الطبعة الثانية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2006)، ص: 56.

[4]: د. محمد الصيرفي، إدارة الموارد البشرية، (دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، 2007)، ص: 20.

وهناك عدة خطوات لتخطيط الاحتياجات من الموارد البشرية تتمثل في:[1]

1_ تحليل البيئة:

من خلال تحليل البيئة الداخلية للمؤسسة والخارجية لها أي ماهو متوفر لديها من عمالة وماهو متوفر من عمالة في المحيط ، وكذلك النقص الخاص بالعمالة سواء على مستوى المؤسسة أو محيطها، أي هل هي نادرة أم لا؛

حيث نقوم بمقارنة ماهو متوفر لدى المؤسسة من الموارد البشرية بما ينقصها من عمال، وهل هناك سهولة أو صعوبة في إيجاد اليد العاملة ذات المؤهلات اللازمة.

2_ تحديد الإحتياجات من الموارد البشرية:

أي تحديد عدد ونوع الأفراد اللازمين لكل وظيفة من الوظائف داخل المؤسسة بالكمية والنوعية المطلوبة؛

3_ تحديد عرض الموارد البشرية:

أي تحديد عدد العمال الحاليين وخصائصهم وصفاتهم من حيث المهارات والقدرات المتوفرة لديهم خاصة إذا كانت الوظيفة معقدة ولها مهام وأنشطة كثيرة فإننا نحتاج إلى توفير العاملين ذوي الكفاءات المطلوبة، حيث أن توظيف العاملين ليس بالعملية السهلة في محيط يتسم بالتغير السريع، حيث أظهرت الدراسات أن الوظيفة كلما كانت معقدة كلما صعب تحديد الكفاءات المطلوبة. [2]

4_ إعداد خطة عمل: عندما نحدد الحاجة للموارد البشرية فإننا قد نجد فائضا أو عجزا فيها، أي أننا قد نجد المنشاة تمتلك موارد بشرية أكثر مما نحتاج وهذا يولد في المؤسسة تكلفة زائدة، أو أننا قد نجد أن المؤسسة ليس لديها القدر الكافي من الموارد البشرية، ففي حالة الفائض تقوم المؤسسة بعدة إجراءات منها:[3]

_ التوقف عن التوظيف؛

_ التشجيع على التقاعد المبكر؛

_ تسريح العمال؛

_ إجراء عقود قصيرة مع الموظفين.

وفي حالة العجز تقوم المؤسسة بعدة إجراءات منها:[4]

_ إجراء تعيينات جديدة؛

_ إعطاء مهام إضافية للموظفين الحاليين؛

_ ترقية الموظفين إلى مهام أعلى؛

_ النقل الوظيفي؛

_ الساعات الإضافية؛

_ إطالة سن التقاعد.

أما في حالة العجز فتقوم المؤسسة بتوظيف العمال من خلال الاستقطاب، الاختيار، والتعيين.

ج-**الأجور:** للقيام بوضع الأجور يجب تحديد قيمة كل وظيفة مقارنة مع الوظائف الأخرى في المؤسسة، حيث توجد علاقة طردية بين قيمة الوظيفة وأهميتها وبين الأجر المخصص لها والذي يدفع على أساسها، من أجل تحديد الأجور العادلة

---

[1]: د. خضير كاظم حمود، د. ياسين كاسب الخرشة، إدارة الموارد البشرية، (الطبعة الثانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009)، ص: 42.

[2] : Alain Mitrani, Des compétences et des hommes,(Les édition d'organisation, Paris, 1992), P : 42.

[3]: د. سهيلة محمد عباس، إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي، مرجع سابق، ص: 64.

[4]: د. سهيلة محمد عباس، نفس المرجع السابق، ص:64.

للأفراد.ويعرف الأجر على انه ما يستحقه العامل لدى صاحب العمل في مقابل تنفيذ ما يكلفه به من أعمال وفقا للاتفاق الذي تم بينهما، وفي إطار ما تفرضه التشريعات المنظمة للعلاقة بين العامل، وصاحب العمل.

إن الأجر يتكون من جزأين الجزء الثابت قد يكون شهريا، أسبوعيا أو يوميا، والجزء المتحرك يكون حسب مردودية الفرد، ويرتبط الفرد بتطور القدرة المالية للمؤسسة أو للدولة.[1]

العوامل المؤثرة على الأجر: هناك العديد من العوامل التي لها اثر كبير على الأجور، ويمكن ذكر بعضها فيما يلي:

1_ الأجور والرواتب السائدة: حيث يجب أن تتماشى الأجور السائدة في المؤسسة مع الأجور في غيرها من المؤسسات، لأن المؤسسة لو دفعت أقل من الأجر السائد في السوق فهناك احتمال كبير لترك العمال لها والذهاب إلى المؤسسات التي تدفع أجورا أعلى.

2_ قدرة المؤسسة: إن مستوى الأجور مرتبط بدرجة كبيرة على إمكانات المؤسسة وقدرتها المالية، فكلما زادت إمكانياتها وأرباحها كلما كان لديها القدرة على دفع أجور أعلى.

3_ القوانين العمالية: تتأثر الأجور بنوع التشريعات العمالية والتي تتضمن من بين قوانينها عدد ساعات العمل، والحد الأدنى للأجور الذي لا يجب أن تنزل المؤسسة عنه.[2]

4_ متطلبات العمل: ونقصد بها درجة سهولة وصعوبة وأهمية الوظيفة، فكلما كانت درجة صعوبتها وأهميتها كبيرة كلما زاد اجر شاغلها.

5_ الإنتاجية: يزيد اجر العمال بزيادة إنتاجيتهم لان ذلك يؤدي إلى زيادة أرباح المؤسسة.

6_ تكاليف المعيشة: إذا كانت أسعار مختلف السلع الضرورية التي يحتاجها الفرد مرتفعة فهذا يستوجب زيادة الأجور لتتماشى مع المستوى العام للأسعار، ولتحسين القدرة الشرائية للأفراد.

د- **الاتصال والتحفيز:**إن الاتصال والتحفيز من الوسائل المهمة التي تساهم في تحقيق أهداف المنظمة من خلال التفاهم الذي يحصل بين الأفراد جراء نقل المعلومات من شخص إلى آخر وكذا تحفيز العمال.

أولا. الاتصال: وتكون عملة الاتصال في أي مجال من مجالات الحياة سواء كان فرديا من خلال تفكير الفرد او اسريا داخل أفراد الأسرة الواحدة أو اجتماعيا بين الفرد وأصدقائه أو بين الفرد وزملائه في العمل، أو مع رؤسائه ومرؤوسيه. ويعرف الاتصال على انه نقل الآراء والمفاهيم والأفكار وتلقي ردود الفعل جراء المعلومات التي تم نقلها للطرف الثاني بغرض التوصل إلى أهداف محددة تسهم في تحقيق أهداف المنظمة. [3]

ويمكن القول من هذا التعريف أن الاتصال هو تبادل للمعلومات، وهو حوار أو نقاش أو تفاهم أو تفاوض لنقل المعلومات والأفكار والاقتراحات من طرف إلى طرف آخر من خلال عدة أدوات كاللغة، الكتابة، الهاتف، الحركات، الجرائد، التلفاز، المذياع... . [4]

ه- **التحفيز:** يعرف الحافز بأنه شعور خارجي لدى الفرد يولد فيه الرغبة في القيام بنشاط او سلوك معين يسعى من ورائه إلى تحقيق أهداف محددة. [5]

2_2. أنواع التحفيز: هناك نوعين من الحوافز مادية ومعنوية

[1]: د. علي السلمي، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000 ، ص:331.

[2]: د. صلاح عبد الباقي، إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص: 365.

[3]: د. زيد منير عبوي، إدارة الموارد البشرية، (الطبعة الأولى، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007)، ص: 81.

[4]: د. محفوظ أحمد جودة، إدارة الجودة الشاملة: مفاهيم وتطبيقات، الطبعة الرابعة، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2009 ، ص: 142.

[5]: د. محمد فالح صالح، إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص: 113.

2_2_1. الحوافز المادية:تتضمن زيادة اجر العامل أو إعطائه نسبة من الأرباح أو غيرها من الحوافز التي قد تكون في شكل مادي، وهذه الحوافز قد تكون فردية أو جماعية:

أ_ الحوافز الفردية:تتمثل في علاوات تمنح للعاملين بصورة انفرادية مستقلة مثل إعطاء حافز مادي لعامل ينتج أكثر من الكمية التي حددتها الإدارة له.

ب_ الحوافز الجماعية: يتمثل الحافز الجماعي في منح المكافآت الجماعية للعاملين وفق أسس معينة كزيادة الإنتاج أو زيادة الأرباح، أو زيادة المبيعات أو تخفيض التكاليف.[1]

2_2_2. الحوافز المعنوية: إن الحوافز المعنوية لها نوعين، حوافز معنوية إيجابية، وحوافز معنوية سلبية:

أ_ الحوافز المعنوية الإيجابية: لا يجب على المؤسسة إغفال هذا النوع من الحوافز إذا أرادت تحقيق غايتها المتمثلة في تحقيق أهدافها من نجاح واستمرارية وزيادة أرباحها، ومن الحوافز الإيجابية إشعار العامل بإنسانيته، وبالتالي إشراكه في العمل بأفكاره وليس بقواه البدنية فقط، وكذلك إتاحة فرصة النقد البناء للممارسات الإدارية الخاطئة في جو من التعاون والتفاهم بين الإدارة والعاملين.

ب_ الحوافز المعنوية السلبية: تتمثل في لفت نظر العامل حول الأخطاء التي قام بارتكابها خاصة إذا كانت هذه الأخطاء من جراء تهاونه أو عدم مبالاته، ولكن يجب مراعاة وضع ضوابط للمسؤولين وعدم منحهم المسؤولية الكاملة لاستعمال هذا النوع من الحوافز المادية لأتفه الأسباب.

و-تقييم الأداء: يعرف الأداء على انه القدرة على إنجاز المهام[2] ، أما التقييم بصفة عامة فهو مقارنة الأداء الفعلة للفرد مع الأداء المتوقع منه، كما انه يساعد العاملين على تعريفهم بنواحي القصور في أدائهم فيعطي لهم الفرصة لتجنبها في المستقبل، ولعملية التقييم عدة مراحل تتمثل في:[3]

1_ تحديد المسؤولية عن تقييم الأداء:

عادة ما تكون هذه المسؤولية من اختصاص الرئيس المباشر الذي يقوم بتقييم أداء مرؤوسيه، والذي يرفع بدوره هذه النتائج إلى إدارة الموارد البشرية؛

2_ تحديد التوقيت المناسب للتقييم: من الأفضل أن يكون التقييم كل ستة أشهر على الأقل، لأن التقييم إذا كان بعد سنة فسيكون هناك تأخر في تقييم الأداء وبالتالي عدم القيام بالإجراءات التصحيحية اللازمة، وهذا ما يؤثر على مختلف العمليات؛

3_ تحديد طريقة التقييم: هناك عدة طرق في تقييم الأداء من بينها:[4]

الطرق التقليدية: إن الطرق التقليدية كثيرة ونذكر منها:

أ_ طريقة الترتيب:حيث يتم ترتيب العمال من الأفضل إلى الأسوأ بناء على مجموعة من السمات والخصائص كالتعاون، والالتزام؛

ب_ طريقة المقارنة الثنائية:تتم في هذه الطريقة مقارنة كل عامل مع باقي العمال في المؤسسة؛

الطرق الحديثة:نظرا لعدم كفاية الطرق التقليدية فقد ظهرت العديد من الطرق الحديثة نذكر منها:

أ_ طريقة الوقائع الحرجة:

حيث يقوم الرئيس المباشر بتسجيل الأمور الجوهرية والمهمة التي يقوم بها العامل سواء كانت ايجابية أو سلبية؛

[1]: د. نادرأحمد أبو شيخة، إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص: 158.

[2]: د. راوية محمد حسن، مدخل استراتيجي لتخطيط وتنمية الموارد البشرية، الدار الجامعية، مصر، ص: 215.

[3]: د. احمد الخطيب، د. خالد زيغان، إدارة المعرفة ونظم المعلومات، مرجع سابق، ص: 158.

[4]: د. صلاح عبد الباقي، إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص: 304.

ب_ طريقة الإدارة بالأهداف:

هي أحدث الطرق في تقييم أداء الموارد البشرية، حيث يقوم الرئيس بالاجتماع مع المرؤوس لوضع الأهداف، وتسطير النتائج المرغوب الوصول إليها من خلال أداء المرؤوس والمدة التي يجب تحقيق هذه النتائج خلالها.[1]

ثالثا. دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تسيير الموارد البشرية:

1. فوائد تكنولوجيا المعلومات والاتصال:

لقد تطورت تكنولوجيا المعلومات والاتصال اليوم فقد أصبح كل شيء يتم من خلال الأنترنت عن طريق الدخول للمعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي والتجارة الإلكترونية والاتصالات الهاتفية والتواصل عبر الساتل، ففي عالم يقوم ويرتكز على المعرفة أصبحت أنظمة الاتصال والبنية التحتية للأنترنت لها أثر كبير على النمو والتطور الاقتصادي حيث تمثل تكنولوجيا المعلومات والاتصال وسيلة مهمة في إنشاء الوظائف وتطوير الصناعة، فيترتب عن تطبيق تكنولوجيا المعلومات والاتصال النتائج التالية:[2]

-تحسين الأداء: من خلال إيجاد التوافق بين استراتيجية المنظمة وقدرة الفرد على استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

-زيادة قيمة المؤسسة: فالمؤسسة التي تتبنى تكنولوجيا المعلومات والاتصال تكون لها قيمة ومكانة بين المنافسين.

-فعالية اتخاذ القرارات: توفر تكنولوجيا المعلومات والاتصال المعلومات الكافية التي تسمح للمسيرين والمدراء باتخاذ القرارات المطلوبة في الأوقات المناسبة.

-تطوير طريقة العمل: تعمل تكنولوجيا المعلومات والاتصال على توفير النظام والانضباط داخل العمل وفق نظم واضحة وطرق عمل محددة.

-إعادة هندسة الحاسوب: تسمح تكنولوجيا المعلومات والاتصال بتجديد وتحديث البرمجيات وقواعد البيانات الموجودة في الحواسيب .

-تطوير المؤسسة: تدعم تكنولوجيا المعلومات والاتصال نجاح المؤسسات ذات المجالات الإدارية والتنظيمية المعقدة.

-تنمية السلوك الإيجابي للأفراد: تؤثر تكنولوجيا المعلومات والاتصال إيجابيا على سلوك الأفراد داخل المنظمة، وذلك من خلال الاتصال داخل وخارج المؤسسة إضافة إلى تسهيل إدارة الوقت بكفاءة عالية.

بالإضافة لذلك تتمثل أمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في النقاط التالية:[3]

1_ الإسهام في اتخاذ القرار من خلال نقل المعلومات الصحيحة؛

2_ المساهمة في الرقابة والمتابعة والسيطرة على مختلف العمليات؛

3_ تعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال الأساس لتحقيق نظام تعاوني كفء بين الإدارة والعمال من جهة، وبين العمال فيما بينهم من جهة أخرى؛

4_ تعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضرورية جدا بين الأفراد لأنها تساهم في تغيير السلوك الفردي والجماعي للعاملين بالمنظمة؛

5_ تعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال من بين العوامل الهامة المؤثرة في اتجاهات وميولات العاملين.

[1]: د. جمال الدين محمد مرسي، الإدارة الاستراتيجية للموارد البشرية: مدخل لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمة القرن الحادي والعشرين، (الدار الجامعية، الإسكندرية، 2003) ، ص: 436.

[2]: د. عبد الحميد عبد الفتاح مغربي، المهارات السلوكية لتنمية الموارد البشرية، المكتبة العصرية، القاهرة، 2007، ص 234-235.

[3]: ⁽: د. زيد منير عبوين إدارة الموارد البشرية، مرجع سابق، ص: 82.

_تساعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال على تحليل الوظائف من خلال جمع المعلومات حول مختلف الأنشطة ومن مختلف الإدارات والأقسام لمعرفة مختلف المهام والمسؤوليات الواجب تعبئتها بمختلف الكفاءات والقدرات والمهارات المتوفرة من خلال استقطاب وتوظيف العمال.

_ يتم من خلال تكنولوجيا المعلومات والاتصال القيام بمختلف عمليات تقييم الأداء من خلال نقل المعلومات لإدارة الموارد البشرية للقيام بمختلف الإجراءات اللازمة.

_ تساهم في الفهم الصحيح لمختلف الاحتياجات التدريبية.

وبالتالي فان تكنولوجيا المعلومات والاتصال مهمة جدا في مختلف الوظائف الخاصة بإدارة الموارد البشرية، حيث أن وجودها يؤدي إلى استمرارية المؤسسات وغيابها يؤدي إلى تدهورها وخاصة في ظل اقتصاد المعرفة حيث أن نقل المعلومات والمعارف لا يتم إلا بتبني التكنولوجيا بين الأفراد في المنظمة.

2. **دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في إدارة الموارد البشرية:** إن تفعيل تكنولوجيا المعلومات والاتصال يمكن أن يحل الكثير من المشاكل كالانتهاء من الإجراءات البيروقراطية وتهيئة المجتمع لمرحلة متقدمة من التعاملات الإلكترونية التي تتميز بالجودة وسرعة الأداء والإنجاز دونما استهلاك للوقت والورق والحد من الإجراءات الروتينية التي تمتاز بها الإدارة التقليدية، وبما ان الإدارة الإلكترونية تهدف الى ثلاث أهداف أساسية أولها والأكثر وضوحا هو تحسين الفاعلية ما يؤدي الى توفير الأموال والثاني يتمثل في تقليل الأخطاء وإعطاء قيمة مضافة للأنشطة الخاصة بالتوظيف وتصميم برامج التدريب والهدف الأكثر أهمية يتمثل في جعل وظيفة الموارد البشرية عملية استراتيجية من خلال تكنولوجيا الإعلام والاتصال وعدم الاقتصار على التفكير في الأجل القصير والبعد الضيق وإنما النظر الى المستقبل الذي تضمنه تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

3. **دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحقيق التنمية المستدامة من خلال الفرد:** تتميز تكنولوجيا المعلومات والاتصال بالعديد من المميزات التي تساعدها في تحقيق التنمية المستدامة من خلال المورد البشري كمايلي:[1]

تساهم في تنمية قدرة الدولة على الاستفادة من الخبرات التي تحققت في الدول الأخرى.

تساعد في ترشيد ما تبذله الدولة في البحث والتطوير في ضوء ما هو متاح من معلومات.

تضمن معرفة قاعدية عريضة لحل المشكلات.

توفر بدائل وأساليب لحل المشكلات التقنية والفنية واختبارات تحد من المشكلات في المستقبل.

توفر مستوى فعالية وكفاءة الأنشطة الفنية في قطاع الإنتاج والخدمات.

تؤدي إلى ضمان القرارات السليمة في جميع القطاعات وعلى مختلف المستويات.

تدعم التنمية الديموقراطية والاجتماعية ليصبح الأفراد بتكنولوجيا المعلومات والاتصال قادرين على اتخاذ القرارات التي تشكل منهج حياتهم وتمكنهم من المشاركة في تنمية مجتمعاتهم.

تؤدي دورا حاسما في التنمية والتغيير الثقافي كما أن نظم المعلومات والاتصالات وسيلة لتسجيل وحفظ الثقافات المحلية وتوفيرها للمجتمع.

تسهل عمليتي البحث والتعليم فقد أصبحت الركيزة الأساسية للعملية البحثية والتعليمية.

تساهم في نمو الاقتصاد ككل فاقتصاد أي دولة لا يرتقي إلا بالاعتماد على المعلومات وتقنياتها،

4. **دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحسين الاتصال داخل المؤسسة:** تلعب التكنولوجيا دورا كبيرا في تطوير المؤسسة فهي تساهم في تحسين أدائها وتؤثر بشكل إيجابي على تنافسيتها وبما أن التكنولوجيا في تغير دائم مستمر وسريع

[1]: د. جعفر حسن جاسم، مقدمة في الاقتصاد الرقمي، الطبعة الأولى، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، 2010، ص56-65.

فعلى المنظمات الحرص على مواكبة التكنولوجيات الجديدة باستمرار ومن فوائد تطبيق التكنولوجيا داخل المؤسسة نذكر النقاط التالي:[1]

_ تؤدي التكنولوجيا إلى تقليل تكاليف العمل.

_ تؤدي التكنولوجيا إلى زيادة المبيعات.

_ تساهم في تسريع أوقات تسليم المنتجات من خلال تقليل أوقات العمل والتأخيرات في العمل.

_ تحسين الظروف البيئية إذ تساهم في القضاء على الضوضاء فضلا عن تقليل نسب التلوث البيئي بشكل كبير

_ يساهم الإبداع التكنولوجي في التحول من الإنتاج العشوائي إلى الإنتاج وفقا لطلبات الزبائن والتي تتطلب الاعتماد على نظم إنتاج ذات مرونة علية تساعد في تقديم منتجات متميزة.

_ تساعد على الاختراع والإبداع والتجديد في السلع والخدمات والوسائل والعمليات لإشباع الحاجات والرغبات المتزايدة.

_ تساعد على تحقيق الميزة التنافسية وكذا المحافظة على البقاء والاستمرارية.

إن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تتكون من مكونات وادية متمثلة في مختلف التجهيزات ومكونات برمجية بالإضافة إلى المخدمات التي تكون عن طريقها فالتعريف التقني لتكنولوجيا المعلومات والاتصال يعرفها على أنها مجموعة من الوسائل المادية والتطبيقات البرمجية المطلوبة لتشغيل المنظمة بكل أقسامها ومرافقها، أما التعريف الفني للبنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال فيقصد مجمل الخدمات واليد العاملة والقدرات التطبيقية التي تقدم بواسطة الأجهزة والبرمجيات إلى المنظمة، والتي هي ممولة من قبل الإدارة.[2] أما دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال فيتمثل في النقاط التالية:

إن استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المنظمات المعاصرة خلق تحديات كبيرة تمثلت في مجالات عدة خاصة من الناحية التنظيمية حيث تحدد العلاقات مابينهما من خلال المرتكزات الخاصة بالمركزية واللامركزية أو الجمع بينهما، التقليص في حجم الوظائف والمستويات الإدارية، والتحول في شكل الهيكل التنظيمي من الهرمي إلى الشبكي كما يلي:[3]

1_ **المركزية أو اللامركزية أو الجمع بينهما:** لقد قدم كل من Leavit &Whisler عام 1958 تنبؤاتهما حول تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصال على البناء التنظيمي للمنظمات حيث أشار الكاتبان بان وفرة المعلومات يسمحون للإدارة بأن تكون مركزية في قراراتها من خلال نظام معلومات مركزي يرتبط بجميع أجزاء المنظمة بشبكة اتصال تتيح نقل وتبادل المعلومات ولكن هناك من يرى العكس أي أن استخدام الحاسوب سوف يؤدي إلى التوجه نحو اللامركزية لأن الادارة المركزية لا تستطيع التحكم في الكمية الكبيرة من المعلومات وازدياد عدد القرارات المطلوب اتخاذها، وقد أدى تطور تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى تبني اتجاه الجمع بين المركزية واللامركزية في البناء التنظيمي للمؤسسة بالشكل الذي يمكنها من اتخاذ قراراتها بكفاءة وفعالية.

2_ **تقليص حجم الوظائف والمستويات الإدارية:** تؤدي تكنولوجيا المعلومات والاتصال إلى تخفيض حجم الوظائف كونها تعمل على زيادة التوافق بين الكفاءات والوظائف المنوطة بها فلم تعد هناك حاجة لوظائف زائدة نظرا للمهام المتعدد التي تقوم بها تكنولوجيا المعلومات والاتصال فزيادة القدرة على الحصول على المعلومات بالسهولة والسرعة والدقة اللازمة إلى تقليص دور بعض المستويات كالإدارة الوسطى فأصبح التعامل بشكل شبه مباشر مع العمال ما يزيد من القدرة على الاستجابة لاحتياجات الزبائن.

---

[1]: د. غسان قاسم داوود اللامي، إدارة التكنولوجيا، مفاهيم ومداخل تقنيات تطبيقات عملية، الطبعة الأولى، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمارن، 2007، ص 41-44.

[2]: د. عامر إبراهيم قندلجي، د. علاء الدين عبد القادر الجنابي، نظم المعلومات الإدارية وتكنولوجيا المعلومات، الطبعة الخامسة، دار المسيرة، عمان، 2009، ص 429.

[3]: د. نجم عبد الله الحميدي وآخرون، نظم المعلومات الادارية مدخل معاصر، الطبعة الثانية، دار وائل للنشر، عمان، 2009، ص 187- 291.

3_ **التحول في شكل الهيكل التنظيمي:** إن التأثير الإجمالي على الهيكل التنظيمي، يؤدي إلى ظهور زيادة في الخيارات الهيكلية والبنيوية للمنظمة،[1] وذلك من خلال تطبيق شبكات الاتصال التي تقوم بتزويد المنظمة بالمعلومات وربطها داخليا وخارجيا حيث أن الهيكل الشبكي للمعلومات يعمل على إلغاء الحدود بين كل من المنظمة والموردين والعملاء والمنافسين من خلال نقل وتبادل المعلومات ومن هنا قامت المنظمات بتبني الهيكل الشبكي في هيكلها التنظيمي لسهولة تبادل المعلومات مع العمال وكل من له علاقة بالمؤسسة.

الخاتمة:

لم يعد بمقدور أي مؤسسة في الوقت الحالي أن تنمو وتزدهر بدون تبنيها لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في تسيير مواردها البشرية من خلال شقين أساسيين جانب التكنولوجيا التي تتضمن الحواسيب واللوحات الإلكترونية والهواتف الذكية، وجانب الاتصال الذي يتضمن الشبكات الداخلية والخارجية والشبكة العالمية (الأنترانت، والإكسترانت، والأنترنت) بالإضافة إلى البرمجيات التي تعد من أساسيات تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

ويعني استغلال تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الموارد البشرية تطبيق الإدارة الإلكترونية في إدارتها حيث تعتبر الإدارة الإلكترونية اتجاها جديدا في الإدارة المعاصرة، إذ تسعى مختلف الدول في العالم لاستثمار كل التقنيات الحديثة لنظم المعلومات والاتصالات المستحدثة في تطوير أعمال المنظمات وتستعمل شبكة الأنترنت في إنجاز كل أعمالها الإدارية من تخطيط، تنظيم، توجيه، ورقابة بهدف تسيير مختلف وظائف المنظمة من استثمار، تمويل، إنتاج، تسويق وموارد بشرية وغير ذلك من الوظائف بفكر علمي جديد يتسم بالجودة العالية والسرعة الفائقة في مختلف العمليات كالتوظيف والأجور والرقابة والتدريب خاصة بالنسبة للدول المتطورة التي قامت برقمنة الحكومات بعد أن قامت برقمنة الإدارات من خلال الإدارة الإلكترونية.

المراجع:

المراجع العربية:

-احمد الخطيب` خالد زيغان(2009)، إدارة المعرفة ونظم المعلومات، الطبعة الأولى،الأردن، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع .
-بشير العلاق(2010)، نظريات الاتصال _مدخل متكامل_ عمان، دار اليازوري العلمية-تعزيز قطاع --اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسي(2011)ا،تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لمواجهة تحديات اقتصاد المعرفة، الأمم المتحدة، نيويورك
-ثابت عبد الرحمان إدريس(2005)، نظم المعلومات الإدارية في المنظمات المعاصرة ، الإسكندرية، الدار الجامعية.
-جعفر حسن جاسم(2010)، مقدمة في الاقتصاد الرقمي، الطبعة الأولى، عمان، دار البداية ناشرون وموزعون.
-جمال الدين محمد مرسي(2003)، الإدارة الاستراتيجية للموارد البشرية: مدخل لتحقيق الميزة التنافسية لمنظمة القرن الحادي والعشرين، الإسكندرية، الدار الجامعية.
-خضير كاظم حمود، د. ياسين كاسب الخرشة (2009)، إدارة الموارد البشرية، الطبعة الثانية،عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
-خير الله عصار(2002) مدخل السبرنيطيقا الاجتماعية – محاولة التحكم في السلوك الاجتماعي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية
-راوية محمد حسن(2002)، مدخل استراتيجي لتخطيط وتنمية الموارد البشرية، مصر، الدار الجامعية.
-رغد حسن الصرن(2002)، إدارة المكاتب الحديثة، الطبعة الأولى، دمشق، دار الرضا للنشر.
-زيد منير عبوي(2007)، إدارة الموارد البشرية، الطبعة الأولى، الأردن، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
-سليمان مصطفى الدلاهمة(2008) ، ساسيات نظم المعلومات المحاسبية وتكنولوجيا المعلومات ، الطبعة الأولى، عمان، الوراق للنشر والتوزيع.
-سهيلة محمد عباس(2006)، إدارة الموارد البشرية: مدخل استراتيجي، الطبعة الثانية، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.
-صلاح الشنواني(1997)، التنظيم والادارة في قطاع الأعمال، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
-صلاح عبد الباقي(2000) إدارة الموارد البشرية :من الناحية العلمية والعملية، الإسكندرية، الدار الجامعية.

[1]: د. رغد حسن الصرن، إدارة المكاتب الحديثة، الطبعة الأولى، دار الرضا للنشر، دمشق، 2002، ص 89.

-عامر إبراهيم قندلجي(2009)، علاء الدين عبد القادر الجنابي، نظم المعلومات الإدارية وتكنولوجيا المعلومات، الطبعة الخامسة،عمان، دار المسيرة.
-عامر إبراهيم قنديلجي(2002)، إيمان فاضل السمرائي، تكنولوجيا المعلومات وتطبيقها، الطبعة الأولى،عمان، الوراق للنشر والتوزيع.
-عبد الباري إبراهيم درة، زهير الصباغ(2008)، إدارة الموارد البشرية في القرن الواحد والعشرين: منحى نظمي، الطبعة الأولى،الأردن، دار وائل للنشر.
-عبد الحميد عبد الفتاح مغربي(2007)، المهارات السلوكية لتنمية الموارد البشرية، القاهرة، المكتبة العصرية.
-علي السلمي(2000)، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية،القاهرة، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة.
-غسان قاسم دوود اللامي، إدارة التكنولوجيا(2007)، مفاهيم ومداخل تقنيات تطبيقات عملية، الطبعة الأولى، عمان، دار المناهج للنشر والتوزيع.
-فضيل دليو، الاتصال (مفاهيمه، نظرياته، ووسائله)(2013)، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفجر.
-كرانزبرج مالفين ووليام، داڤنبوث، ترجمة محمد عبد المجيد نصار(1975): التكنولوجيا والثقافة - مقالات ومقتطفات مختارة، مصر، مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر.
-محفوظ أحمد جودة(2009)، إدارة الجودة الشاملة: مفاهيم وتطبيقات، الطبعة الرابعة، الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع.
-محمد الصيرفي(2007)، إدارة الموارد البشرية،الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
-نجم عبد الله الحميدي وآخرون(2009)، نظم المعلومات الادارية مدخل معاصر، الطبعة الثانية، عمان، دار وائل للنشر.

المراجع الأجنبية:

- Alain Mitrani, (1992) ,Des compétences et des hommes, Paris, Les édition d'organisation. -Dominique Lamante , Bernard Turgeon(2009), De la supervision à la gestion des ressource humaines, Canada, Chanelierea l'ère d'une GRH en transition .

المواقع الإلكترونية:

http://www.annabaa.org/nba44/taknolngi.htm

أخلاقيات والتزامات الأستاذ الجامعي في ظل التحديات الراهنة

د.عيــــواج عـــذراء
جامعة قسنطينة

الملخص: يعتبر الأستاذ الجامعي المحور والعمود الفقري في المؤسسات الجامعية وحجر الأساس في العملية التكوينية، يعول عليه في تفعيلها تفعيلا جيدا حتى تصبح الجامعة المنارة التي يهتدي بها المجتمع في تقدمه وتطوره، وحتى يتحقق ذلك لابد أن يتقيد الأستاذ بجملة من الالتزامات القانونية بالدرجة الأولى، ويتصف بمجموعة من الأخلاق التي تعد ضرورة من ضروريات أداء الرسالة الجامعية، خاصة وأن كل ما يفعله الأستاذ له دلالة خلقية.

وعليه يحاول هذا المقال تسليط الضوء على هذا الموضوع، وذلك من خلال تقديم قراءة مستفيضة من شأنها الإجابة على مختلف التساؤلات المرتبطة بالحاجة الضرورية للضوابط والأخلاق في الوسط المهني الجامعي.

الكلمات المفتاحية: الأستاذ الجامعي، الالتزامات، الأخلاق المهنية.

Abstract: The University Professor is the axis and the Spinal column in University Establishments and the fundamental rock in the formation process, it depends on him to activate it well until it becomes the university lighthouse that guides the community in its progress and development, and to achieve this; the professor must be restricted with a bunch of legal Commitments in the first place, and Characterized by a group of ethics which is one of the necessities of the university thesis performance, especially everything the professor does have an ethical implications.

So, we try in this article to highlight this topic, through providing an extensive reading which will answer on different questions related to the necessary need for the restrictions and ethics in the university professional environment

keywords: the University Professor, Commitments, the professional ethics.

مقدمة: الأستاذ الجامعي أحد ركائز الرسالة الجامعية في المجتمع، وأحد دعائمها الرئيسية التي تحدد مدى كفاءة هذا التعليم ومستواه وفعالية من خلال ما يقوم به عضو هيئة التدريس من أدوار وأعباء أو ما يؤديه من مهمات ومسؤوليات ترتبط ارتباطا وثيقا برسالة ورؤية الجامعة.

هذا وقد أكدت الدراسات أن النجاح العملي للأستاذ الجامعي لا يقترن فقط بمؤهلاته العلمية والمهنية فحسب، بل حتى بمؤهلاته الأخلاقية والتي تنعكس على مستوى أدائه الوظيفي، فتؤثر بالتالي على نواتج العملية التعليمية لذا فالالتزام بالواجبات وبأخلاقيات المهنة الجامعية أحد المداخل الرئيسية في تقييم الأساتذة في العديد من الجامعات المتقدمة.

وعليه نحاول في هذا المقال الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما المقصود بأخلاقيات المهنة الجامعية؟
- ما حاجة الحديث عن التزامات وأخلاقيات الأستاذ الجامعي؟
- ما هي مجالات أخلاقيات مهنة الأستاذ الجامعي؟ وما هي المعوقات التي تواجهها، والآليات التي تساعد على ترسيخها؟
- ماهي التحديات التي تواجه الأستاذ الجامعي؟
- ماهي حقوق وواجبات الأستاذ في ضوء القانون الأساسي الخاص بالأستاذ الباحث؟
- وفي الأخير كيف يمكن قراءة ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية الجزائري؟

1- الإطار المفاهيمي: تعتبر خطوة تحديد المفاهيم شرطا أساسيا في مراحل البحث لأنها تسمح بتحديد الدقيق للمقصود من المفاهيم، وتتمثل أهم المصطلحات الواجب تحديدها في هذا المقال في:

أ- **تعريف الأستاذ الجامعي**: هناك شبه إجماع كامل على تعريف الأستاذ الجامعي" بأنه ذلك الشخص الذي يشترك مع طلابه في تحقيق النمو الذاتي، الذي يصل إلى أعماق الشخصية، ويمتد إلى أسلوب الحياة، ويشترط في هذا الشخص الذي يشغل هذا المنصب في الجامعة أن تكون لديه مؤهلات تربوية وعلمية من بينها شهادات الدراسات العليا والدراسات المعمقة،

وشهادات الماجستير والدكتوراه التي تخوله القيام بمهام التدريس والإشراف والتأطير والبحث العلمي[1]". يظهر أن هذا التعريف يركز على المؤهلات التي يتوجب على الأستاذ أن يمتلكها، ليحظى بالتعيين في الجامعة.

وهناك تعريف آخر يرى أن الأستاذ "هو مفكر يريد بالتدريس والبحث لتحقيق ذاته وإعطائها معنى، وذلك من خلال البحث عن حقيقة معقدة في ذاتها متعددة في جوانبها وأشكالها"[2]، فمهنة الأستاذ هي إيمان ورسالة، والباحث لا يمكن أن يكون باحثا إلا بإيمانه بالعلم والمعرفة.

ب- تعريف الأخلاق: جمع مفرده خلق وهو صفة محمودة أو مذمومة مستقرة في النفس ذات آثار في السلوك.

ويمكن تعريف الأخلاق بأنها: مجموعة القواعد والمبادئ المجردة توصف بالحسن أو بالقبح يخضع لها الإنسان في تصرفاته ويحتكم إليها في تقييم سلوكه.

ب- مفهوم أخلاقيات المهنية الجامعية: "هي مجموعة من معايير السلوك الرسمية وغير الرسمية التي يستخدمها الأساتذة الجامعيون كمرجع يرشد سلوكهم أثناء أدائهم لوظائفهم، وتستخدمها الإدارة والمجتمع للحكم على التزام الأساتذة الباحثين."[3]ويقتضي ذلك وجود دستور أو ميثاق أخلاقي مهني يلتزم به أعضاؤه بتطبيقه في سلوكهم اليومي، فالأخلاق المهنية للأستاذ الجامعي هي معايير تعد أساسا لسلوك الأساتذة المهنة المستحب، حيث يفترض أن يتعهدوا الالتزام بها.

كما يُقصد بأخلاقيات المهنة الجامعية مجموعة القيم والنظم والمبادئ المُحقِقة للمعايير الإيجابية في أداء الأعمال الوظيفية وفي أساليب التعامل داخل البيئة الجامعية، ويُمكن اعتبارها أيضا "جملة المبادئ والمعايير والقيم والأعراف والتقاليد التي يتفق ويتعارف عليها أفراد الأسرة الجامعية، فتصير بذلك قانون أخلاقيّ يعتبرونه أساسا لتعاملهم وتنظيم أمورهم وسلوكهم في إطار المهنة، ويُعبِّرون عن استيائهم واستنكارهم لأيّ خروج عن هذه الأخلاق بأشكال مختلفة تتراوح بين عدم الرضا والانتقاد، والتعبير عليها لفظا أو كتابة أو إيماءً أو مقاطعةً"[4].

2- خصائص الأستاذ الجامعي: "الأستاذ الجامعي الكفء له سمات شخصية فريدة، وكفاءات تدريسية ومهنية مميزة، وله اهتمامات اجتماعية وثقافية واضحة"[5].

- السمات الشخصية: من بين خصائص الأستاذ الجامعي من هذه الناحية مايأتي:

- أن يتميز الأستاذ بالموضوعية والعدل، خاصة عند القيام بعملية التقويم، وذلك بمراعاة الدقة والموضوعية.
- أن يتمتع بحيوية بدنية كافية تؤهله للقيام بوظائفه المختلفة.
- أن يكون واثقا من نفسه، وجديرا بالثقة وذا ضمير حي.
- أن يحتفظ بتحكم انفعالي مناسب، حيث لا يدع فرصة للغضب أن يتملكه.
- أن يتمتع بلباقة في الحديث، ولياقة وحسن المظهر.
- أن يتمتع بالأمانة الفكرية، حيث يقوم بالبحث عن الحقائق دون أي تعصب فكري.
- أن يكون دقيقا في مواعيده، منضبطا في الحضور للمحاضرات والاجتماعات المختلفة.

ب- الكفاءة المهنية: ترتبط شهرة أية كلية أو جامعة ما بشكل واسع بالكفاءة المهنية للأساتذة ومزاياهم، كما يراها عن قرب أولئك الموجودون فيها أو الذين يأتون من خارجها[6]، وتترجم هذه الكفاءة في الصفات الآتية:

- أن يكون لديه تخطيط عالي الكفاءة لمحاضراته.

---

[1]- علي غربي ، سليمة حفيظي: **الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 02، 2012، ص17.

[2]- منذر الشاوي: **كتابات جامعية**، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990، ص49.

[3]- ماجد بن ناصر بن خلفان المحروقي: **أخلاقيات المهنة مفهومها وأهميتها**، وزارة التربية والتعليم ، سلطنة عمان، ديسمبر 2009 (نسخة إلكترونية).

[4]- ماجد بن ناصر بن خلفان المحروقي: **أخلاقيات المهنة مفهومها وأهميتها**، وزارة التربية والتعليم ، سلطنة عمان، ديسمبر 2009 (نسخة إلكترونية).

[5]- علي راشد: **الجامعة والتعليم الجامعي**، ط1، دار الشروق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2007، ص15-16.

[6]- جيمس ي غروسيا، جودي تمللر: **الوصول إلى جامعة منتجة**، ترجمة عصام صبري، مكتبة العبيكان، 2007، ص08.

- أن يكون متمكنا في مجال تخصصه، من خلال كثرة الاطلاع؛ فعضو هيئة التدريس هو النواة التي يمكن توصيل المعلومة من خلالها إلى الطالب، وإذا لم يكن متمكنا من المادة العلمية التي يعرضها لطلابه، فإنه لن يساعدهم على التفكير الإبداعي القائم على الحوار والمناقشة[1].

- أن يكون لديه مهارة التحدث بلغة صحيحة، مع مهارة صياغة وطرح الأسئلة.

- ينمي علاقته بطلابه، ويجعلها علاقات دافئة تتميز بالود والاحترام.

- يُظْهِرُ مستوى عاليا من الأخلاق متسقة مع أخلاقيات المربين.

- يُسْهِمُ في تقدم قسمه وجامعته بالعمل الفعال، وبتقديم المقترحات لحل المشاكل التي تقابل العمل الجامعي.

- أن يتمتع بقدر كاف من الثقافة العامة في شتى المجالات، من خلال المداومة على المطالعة.

- يحترم النظام الجامعي وتعليماته، كما يعمل على تطوير مستواه الأكاديمي والفني والمهني بالبحث والاطلاع والابتكار.

ج- **الكفاءة الاجتماعية والثقافية**: من الأفضل أن يكون الأستاذ الجامعي:

- على علم بما يدور حوله من قضايا ومشاكل، مع ضرورة المساهمة في إعطاء حلول ومقترحات لحلها.

- المساهمة بفعالية في الأنشطة العلمية، والثقافية المنعقدة على مستوى الجامعة .

- مشاركة الطلبة في الأنشطة الاجتماعية، سواءٌ داخل الجامعة أو خارجها.

- المساهمة بفعالية في الأنشطة الاجتماعية للمجتمع المحلي، سواءٌ في المناسبات الوطنية أو الدينية.

3- وظائف الأستاذ الجامعي: " يعتبر الأستاذ الجامعي عنصرا أساسيا في العملية التعليمية، فهو مفتاح نجاحها أو فشلها، ذلك أن موقعه في العملية التعليمية يجعل منه فاعلا تربويا بامتياز، فهو وسيلة تحقيق كل النوايا والأهداف المسطرة، وبيده تحقيق التجديد والابتكار"[2]. يتجسد هذا التصور من خلال الوظائف الملقاة على كاهل الأستاذ الجامعي، والتي من بينها:

- **التدريس**: يعتبر التدريس نشاطا يمارسه الأستاذ بهدف تحقيق عملية التعليم، ويتم عن طريق نقل المعارف والخبرات، وتنمية المهارات واكتساب القيم، واكتشاف المواهب، والاطلاع على كل جديد يدعمها، لكن هذه المهمة لن تكون ذات جدوى إذا لم يحظ الأستاذ بالكيفيات والطرائق المثلى التي يستطيع بها إيصال تلك المعارف إلى أذهان الطلاب، حيث يتسنى لهم الاستفادة من معارفه وخبراته والقدرة على توظيفها.

- **البحث العلمي**: الأستاذ الجامعي الحقيقي، هو الذي لا يمتلك تصورا بأن وظيفته الرئيسة هي التدريس في أسوار الجامعة فقط، بل الأهم من ذلك هو البحث العلمي الذي يفتح له الباب على مصراعيه لملاحقة التطورات الحاصلة في مجال تخصصه، ومتابعة مستجدات عصر الثورة التكنولوجية.

- **الإشراف والتوجيه**: "عملية الإشراف على البحوث ومشاريع التخرج عملية، متعددة الجوانب ومتشابكة العناصر. فهي عملية تعليمية؛ لأنها تقدم للطالب حقائق ومفاهيم ومعلومات جديدة، وهي عملية تنسيقية؛ لأنها تتم في إطار منسق يجمع الأستاذ الجامعي بطلابه، وهي عملية استشارية؛ لأنها تقدم اقتراحات واستشارات وبدائل للطلبة الباحثين، وهي أيضا عملية فنية أخلاقية وإنسانية في أن واحد، تحتاج إلى أستاذ مقتدر، وطالب يتوافر على قدرات ومهارات تتيح له عملية إنجاز بحثه أو مشروعه العلمي"[3].

- **وظيفة خدمة المجتمع**: وظيفة الأستاذ الجامعي اليوم لا تقتصر على التدريس والبحث العلمي فقط، بل تتعداها كذلك إلى خدمة المجتمع والتي يمكن تعريفها بأنها نشاط تعليمي غير رسمي موجه إلى غير طلاب الجامعة، ويمكن من خلاله نشر المعرفة

---

[1]- بلال خلف السكارنة: **دور الجامعات في ثقافة الحوار والتسامح**،على الموقع www.arabthought.org، تاريخ الزيارة 2017/03/14، الساعة 20:45.

[2]- أحمد أوزاي: **المناهج الفعالة ودور المدرس في تحقيق التميز والإبداع في التعليم العالي**، وقائع المؤتمر 1020 للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، تونس،2007، ص 71.

[3]- علي غربي، سليمة حفيظي: مرجع سابق، ص24-25.

ونتائج البحوث والاستفادة منها خارج جدران الجامعة، بغية إحداث تغيرات إيجابية في البيئة المحيطة بها، ممثلة في وحدتها الاجتماعية والإنتاجية المختلفة"[1].

وتعد خدمة المجتمع من أبرز وظائف الأستاذ الجامعي في الوقت الحالي بما توفره من مناخ يتيح ممارسة الديمقراطية والمشاركة الفعالة في الرأي والعمل، كما تنمي القدرة على المشاركة والإسهام في بناء المجتمع. وفي هذا الإطار يمكن للأستاذ الجامعي القيام بدور القائد الواعي الذي يعرف القيم والمثل والأفكار التي تحكم سلوك المجتمع، إضافة إلى معرفة قضايا المجتمع والمتغيرات والتحديات التي يمر بها.

4- الحاجة إلى الحديث عن أخلاقيات الأستاذ الجامعي:

الجامعة مؤسسة معنية بتكوين الموارد البشرية وتحقيق التنمية الشاملة، ولا سبيل لذلك إلا بتوفر بيئتها الداخلية على ضوابط والتزامات قانونية وأخلاقية تخص كافة عناصرها*، خاصة على مستوى الأستاذ الجامعي باعتباره الحجر الأساس في العملية التكوينية وأهم مدخلاتها، وهو صاحب رسالة يستشعر دائما عظمتها ويؤمن بأهميتها، ويؤدي حقها بانضباط مهني وأخلاقي عالي.

وإذا كانت الأخلاق المهنية ضرورية لكل فرد يعمل في أي مهنة، فإنها أوجب ما تكون لدى من يعمل في مهنة التعليم، كيف لا وهم ورثة الأنبياء، وكيف لا وهذه المهنة تعد من أخطر المهن من حيث وقع مخرجاتها على صلاح أو فساد المجتمع.

*- عناصر الجامعة هي: الأستاذ، الطالب الجامعي، الإدارة الجامعية، المباني والخدمات.

إضافة إلى ما سبق تظهر أهمية الالتزام الأخلاقي لمهنة الأستاذ الجامعي في كونه قدوة لطلابه؛ ونقصد بذلك أن سلوك الأستاذ سيكون النموذج والمرجعية التي يعتمد عليها الطلاب في معرفة صحة وخطأ سلوكياتهم، وبالتالي فإن الأستاذ الجامعي مطالب بتحمل مسؤولية مجتمعية في هذا الجانب، حيث أنه لا يمكن ممارسة عمل الأستاذ دون الاستناد إلى معايير خلقية؛ بل أكثر من ذلك أن كل ما يفعله الأستاذ ويقوم به له دلالة خلقية سواء شاء أو لم يشأ مثلا: لو دخن السيجارة أو لم يدخن، لو ارتدى ملابس متحررة أو محافظة، لو احترم مواعيد المحاضرة أو لم يحترمها، لو سمح بالمناقشة أولم يسمح، لو نفذ وعوده أولم ينفذ، لو سمح بالاعتراض على رأيه أو لم يسمح.

كما تظهر قيمة الأخلاق لدى الأستاذ الجامعي كونه المسؤول المباشر عن النمو الأخلاقي للطلبة خاصة على مستوى الجامعة، فإضافة إلى مسؤولية تدريس وتكوين الطلبة فهو مسؤول عن نموهم الخلقي من خلال احترام استقلالهم واحترام منطقهم في ضوء العلاقة القائمة بين الطرفين.

كذلك تظهر أهمية الأخلاق المهنية بالنسبة للأستاذ الجامعي، في أثارها المباشرة التي تنعكس داخل الحرم الجامعي وخارجه، ويمكن أن نذكر منها على النحو الآتي[2]:

- الخلق القويم يجعل سلوك الإنسان متصفاً بالثبات والتماسك ونفسيته موصوفة بالتجانس والتوافق.
- الخلق القويم يحدث في الإنسان التحقق بمتطلبات الالتزام والضبط الاجتماعي وحسن التعامل مع الآخرين واحترامهم وأداء حقوقهم.
- الخلق القويم يوجد الإرادة القوية والعزيمة الماضية مع الإختيار السلوكي الحسن الذي تبناه واقتنع به.
- الخلق القويم يوجد الالتزام والاحترام تجاه الذات بما يدفعها للأداء الفعال والإتجاه بانتظام واستمرار نحو الأفضل.
- تجسيد الأخلاق المهنية في الوسط الجامعي يساعد على تجنب الكثير من الأزمات سواء بين الطلبة والأساتذة، أو بين الأساتذة والإدارة.
- انتشار الرضا الوظيفي بين الأساتذة كنتيجة عدالة التعامل والمعاملات.

---

[1]- طارق عبد الرؤوف عامر: **الجامعة وخدمة المجتمع**، توجهات عالمية معاصرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص57.

[2]- سالم مبارك العويثاني: أخلاقيات وآداب المهنة في الجامعات ، اليمن، جامعة حضرموت، 2016 ، ص12.

- تسمح الأخلاق المهنية بتحسين الأداء الوظيفي للأستاذ وزيادة إنتاجيته، حيث أن هذه الأخلاق كفيلة بأن تصبح مرجعيته في العمل.

- إن التوثيق لأخلاقيات الأستاذ الجامعي عبر ميثاق أخلاقي يكون بمثابة دليل يسترفد به الجميع، ليس فقط في تصرفاتهم وإنما أيضا عندما يثور الخلاف والجدل حول السلوك الواجب إتباعه في هذه الحالة.

- الالتزام بالأخلاق المهنية يسمح بصنع فروق ذات دلال بين أداء وعطاء وكفاءة الأساتذة.

- الالتزام بالأخلاق المهنية يرسخ فكرة أن تكون هذه الوظيفة هي رسالة قبل أن تكون وظيفة وتكليف قبل أن تكون تشريف.

- الأخلاق المهنية بمثابة العمود الفقري لكل مجال ومهنة.

5- مصادر الأخلاق المهنية: عامة تستمد المعايير الأخلاقية من ثلاث مصادر هي:[1]

– **التشريع الرباني (الدين الإسلامي):** نظَّمَت النصوص القرآنية والنبوية العديد من المبادئ التي شكلت مرتكزا للأخلاق عامة، والتي تصلح للتطبيق في كل مكان وزمان، وقد نظمت هذه النصوص علاقات العمل وقواعد المعاملات، وجعل كل وظيفةٍ مباحة يعمل فيها العامل المسلم بنيةٍ صالحة حرثاً للآخرة، مع التركيز من جانب أخر على العديد من القيم السماوية مثل الأمانة، الصدق، الإتقان، إعطاء الوقت أهمية ...إلخ.

– **الشرائع والقوانين الوضعية:** تتناغم النصوص الشرعية مع النصوص القانونية الجزائريّة في تحسين الحسن وتقبيح القبيح من الأخلاق والقيم، وتؤكد النصوص القانونيّة المسيّرة والمنظمة للتدريس الجامعي على التمسك بالتقاليد الأصيلة والقيم النبيلة والعمل على بثها في البيئة الجامعيّة، ويُمكن اعتبار النصوص القوانين أشكال روحها الأخلاق.

– **الثقافة الاجتماعية:** الأستاذ الجامعي يحمل سمات الواقع الذي نشأ فيه وتتأثر شخصيته بالثقافة السائدة، حتى بعد حصوله على الشهادات والمؤهلات، فهو نتاج للبنية الثقافية والاجتماعية التي يتفاعل فيها وينمو في ظلها ولا يستطيع التجرد منها. وعليه فما تحمله ثقافة مجتمعه من عادات وتقاليد وتصورات تصبح في الكثير من الأحيان هي مرجعية الاستحسان، والاستقباح، وفق قاعدة " المعروف عرفا كالمشروط شرطا".

6- مجالات أخلاقيات مهنة الأستاذ الجامعي:يمكن تصنيف مجالات أخلاقيات مهنة الأستاذ الجامعي إلى المجالات الآتية:[2]

أ- أخلاقيات المهنة في مجال التدريس: ضروري أن يراعي الأستاذ الجامعي عند التدريس النقاط الآتية:

- التأكد من إتقان المادة التي يناط به تدريسها أو يؤهل نفسه فيها قبل أن يقبل تدريسها.
- التحضير الجيد لمادته مع الإحاطة الوافية بمستحدثاتها ليكون متمكناً من المادة.
- الالتزام بمعايير الجودة الرسمية أو غير الرسمية في تحديد المستوى العلمي للمادة التي يقوم بتدريسها.
- الالتزام بخلق الفرص لأن يحقق طلابه أعلى مستوى من الإنجاز.
- أن يعلن لطلابه إطار المقرر، وأهدافه ومحتوياته، وأساليب تقييمه، ومراجعه، ويقبل مناقشة الطلاب في هذا.
- أن يلتزم باستخدام وقت التدريس استخداماً جيداً، وبما يحقق مصلحة الطلاب والجامعة والمجتمع.
- أن ينمي في الطالب قدرات التفكير المنطقي ، ويتقبل توصله إلى نتائج مستقلة.
- أن يحترم قدرة الطالب على التفكير، وأن يشجعه على التفكير المستقل، ويحترم رأيه المبني على أسانيد محددة.
- أن يسمح بالمناقشة والاعتراض، وفق أصول الحوار البناء، وتبعاً لآداب الحديث، مما يهئ فرصاً أفضل للتعلّم .
- أن يتقن مهارة التدريس، ويستخدم الطرق والوسائل التي تساعده في إتقان التدريس وجعله مشوقاً وممتعاً ومفيداً في الوقت نفسه.

[1]- مصطفى مغزاوي: مرجع سابق.

[2]- سالم مبارك العوبثاني: مرجع سابق، ص 13.

- أن يؤدي عمله في الجامعة بأمانة و إخلاص، وأن يكون حريصاً على النمو المعرفي والخلقي لطلابه.
- أن يتابع أداء طلابه إلى أقصى مدى ممكن، وأن يتيح نتائج المتابعة لطلابه ولذوي الشأن؛ للتصرف بناء عليها.
- أن يكون نموذجاً للقيم الديمقراطية في حرية الفكر وحرية الرأي وحرية التعبير، وأن يسعى لتنمية هذه القيم في طلابه.
- أن يوجه طلابه إلى مصادر المعرفة، وأوعية المعلومات ومراجع الدراسة.
- أن يمتنع عن إعطاء الدروس الخصوصية تحت أي مسمى.
- الحرص على تطوير الذات في شتى المجالات العلمية حتى ينعكس ذلك على أداء الوظيفة التدريسية.
- تجنب المعاملة الفوقية مع الطلبة المتمدرسين، أو النظرة الدونية.
- من الضروري مراعاة الفروق الفردية بين طلبته، فمنهم الذكي جدا، ومنهم المتوسط، ومنهم قليل الذكاء.
- يجب أن يراعي الأستاذ الجامعي الاحتياجات التدريسية لطلبته حسب المنهاج المقدم، فلا يقفز إلى محور دون التأكد من استيعابهم للمحور المقدم.
- عدم التمييز بين طلبته تحت أي اسم أو غطاء (الجنس، الانتماء الديني، السياسي...إلخ).
- ضرورة التحكم في الانفعالات لمواجهة أخطاء الطلبة سواء المعرفية أو السلوكية.
- السماح للطلبة بطرح الانشغالات العلمية سواء وقت الحصة أو خارجها.

ب- أخلاقيات المهنة في تقييم الطلبة والإعداد للامتحانات:

- التقييم المستمر للطلبة، مع ضرورة إبلاغهم بالإجابة والنتائج حتى يتسنى لهم الاستفادة منها في المسار التكويني سواء تصحيحا أو تدعيما.
- عدم إعادة الامتحان لدفعات متعددة.
- العدل وحسن تصميم الامتحانات، حتى يكونا مناسبا لتقييم وكشف مستويات الطلبة المختلفة.
- من الضروري أن تكون أسئلة الامتحانات في إطار ما أعطي للطلبة.
- السهر على السير الحسن للامتحانات وذلك بتجنب التأخير أو الغياب إلا للظروف الطارئة.
- الحرص على منع كل أشكال الغش بين الطلبة.
- عدم التواطؤ مع الطلبة الغشاشين بالسكوت عن حالاتهم.
- مراعاة الموضوعية التامة أثناء التصحيح بغض النظر عن أسماء الطلبة.
- الإعلان عن نتائج الامتحانات في أوقاتها المحددة، مع تجنب تغييرها إلا في حالة ثبوت الخطأ عند التصحيح.
- السماح بمراجعة النتائج حال تقديم تظلمات.

ج- أخلاقيات المهنة في المجالس البيداغوجية والتأديبية:

- إذا كان الأستاذ عضوا في لجنة بيداغوجية لابد أن يكون موضوعيا، حيث يعطي تقريرا عن مادته بشكل صادق ووافي دون أي تزييف أو تحريف. وأما إذا كان مترئسا للجنة فيجب أن يدير الحوار بشكل حضاري وموضوعي، مع الحرص على الوقوف على كل كبيرة وصغيرة تخص شؤون المستوى الذي يتابعه، مع ضرورة السماح للطلبة بالتمثيل وطرح الانشغالات شرط عدم تجاوز الآداب مع أساتذتهم.
- لا يجب على الأستاذ العضو في المجلس التأديبي أن يصور المجلس على أنه محكمة يقاضى فيها الطالب بأشكال بعيدة كل البعد الآداب والأخلاق، حيث يجب احترام إنسانية وكرامة الطالب الذي يمتثل أمام هذه المجالس، مهما كانت مخالفته، ومهما كانت العقوبة التي ستسلط في حقه.

د- أخلاقيات المهنة في البحث والتأليف العلمي:

هناك جملة من المسؤوليات والالتزامات تقع على عاتق الأستاذ الجامعي في هذا المجال نذكر منها:

- اختيار البحوث التي تقدم خدمة لمجتمعه والإنسانية جمعاء.

- مراعاة أخلاقيات البحث العلمي وتجنب السرقة العلمية في الأعمال العلمية.

- مراعاة الأمانة والصدق في جمع البيانات العلمية.

- إلتزام الموضوعية قدر المستطاع عبر مختلف مراحل البحث العلمي بدءًا من صياغة إشكالية الموضوع وصولا إلى صياغة النتائج.

- عند تأليف الأستاذ الكتب يجب عليه تجنب وضع عنوان لكتاب جديد بمضمون كتاب له آخر سبق نشره.

- الأمانة العلمية في التهميش والاقتباس والمراجع.

- المحافظة على سرية البيانات الميدانية المحصلة من المبحوثين أو من المصادر المتعامل معها.

- تجنب ظاهرة تكليف الطلبة (خاصة طلبة الدكتوراه) بأعمال وأبحاث ثم ينسبها الأستاذ لنفسه.

-يجب توضيح أدوار الباحثين المشتركين في العمال العلمية الجماعية، والابتعاد عن وضع الأسماء للمجاملة أو للمعاونة.

هـ- أخلاقيات المهنة في الإشراف على الرسائل العلمية ومناقشتها:

- الالتزام بالدقة والأمانة عند توجيه الطلبة عند اختيار المواضيع.

- الإشراف على المواضيع المتمكن منها، بحيث يعطي الأستاذ المشرف قيمة مضافة للعمل، وتجنب ظاهرة الإشراف على المواضيع التي لا يفقه فيها شيئا.

- تأدية دور المشرف بكل ما تتطلبه هذه العملية من جهد ووقت، حيث يتم مراعاة حسن توجيه الطالب بتصحيح انزلاقاته وأخطائه.

- تنمية روح البحث العلمي لدى طلبة الإشراف، وكذا الأمانة والمسؤولية، والشجاعة الأدبية والمبادرة العلمية.

- التحلي بالموضوعية عند مناقشة الأعمال العلمية، وتجنب أسلوب المواجهة واستعراض المعارف وتتفيه أعمال ومجهودات الآخرين، خاصة لمجرد عدم الاتفاق مع الأساتذة المشرفين عليهم.

- القراءة الجيدة للأعمال التي سيتم مناقشتها، حتى يتم إعطاء ملاحظات في الصميم.

- ضرورة احترام الطلبة المشرف عليهم أو الذين ستتم مناقشة أعمالهم.

- في حالة إعطاء تصحيحات او تعديلات لأعمال الطلبة يجب أن تعطى وفق مبررات علمية محضة.

7- معوقات الالتزام بأخلاقيات المهنة الجامعية:

على ضوء ما تقدم في العنصر السابق يظهر أن المسؤولية الملقاة على عاتق الأستاذ الجامعي في المجال الأخلاقي كبيرة وجسيمة في نفس الوقت، حيث توجد صعوبة في الإلمام بجميع الصفات السابقة لكون هذا الأستاذ كائنا إنسانيا يتأثر ببيئته وخبرته. مما يصعب من إمكانية الإتيان بكل الأخلاقيات التي ذكرت سابقا. لكن الأكيد أن هناك الأستاذ الناضج والواعي الذي تتشكل أخلاقه حسب جل أو بعض الأخلاقيات سابقة الذكر، والتي من المؤكد أن الحرص على الإتيان بها جميعا يعترضه جملة من الصعاب والمقومات نذكر منها[1]:

- ضعف الحسّ الدينيّ والوطنيّ.

- وجود خلافات وصراعات بين الأساتذة، وفقدان روح التعاون والتفاهم بينهم داخل المؤسسة الجامعية الواحدة.

- عدم تطبيق العقوبات، " فمن أمِنَ العقوبة أساء الأدب " .

- إعطاء المجتمع قيمة عالية للنجاح المادي، والتركيز على الربح هدفا وحيدا للأعمال، ولو على حساب الأخلاق.

[1]- مصطفى مغزاوي: مرجع سابق، ص7

- غياب ثقافة أخلاقيات المهنة الجامعيّة، الأمر الذي يدفع العاملين في البيئة الجامعيّة إلى استغلال الفراغات القانونية وتبرير الانحرافات والتصرفات غير الأخلاقية.
- عدم فعالية مجالس أخلاقيات المهنة في الكثير من الجامعات.
- جهل الكثير من الأساتذة بالأخلاقيات السابقة.
- الأستاذ ابن بيئته بامتياز، فلما تظهر اختلالات أخلاقية في المجتمع عامة فالوسط الجامعي ليس بمنأى عن ذلك.
- تشكّل اعتقاد عامّي خاطئ مفاده أن الحصول على الشهادة العليا (الدكتوراه) يمثل قمة المعرفة، أو نهاية المطاف في سلّم التعلّم والبحث، دون إدراك لحقيقة أن المعرفة نامية متحركة متجدّدة، ناهيك عن مبدأ التربية المستمرة. فإذا كان الأصل في الأستاذ الجامعي النمو المضطرد في مهنته التدريسية، بحيث يصبح وضعه بعد عام أفضل منه في العام المنصرم؛ فإن هذا أمر لا يأتي بناءً على مجد شهادة (الدكتوراه)، أو حتى الأستاذية[1].

8- آليات ترسيخ ثقافة الأخلاقيات المهنية لدى الأستاذ المهني:

قصد ترسيخ ثقافة أخلاق المهنة بالنسبة للأستاذ الجامعي نقدم مجموعة من التصورات الآتية:
- دمج محور أخلاقيات المهنة في البرامج التكوينية التي تعطى لفائدة الأساتذة الجامعيين الجدد.
- تنمية الوازع الديني والوطني في نفسية الأستاذ الجامعي، حتى يصبح يستحضر رقابة الله عز وجل في عمله، والذي يصبح ينظر إليه كأحد الأدوات التنفيذية المساهمة في تحقيق التنمية الوطنية وازدهار الوطن.
- في حال ثبوت الإخلال بأحد مواد ميثاق أخلاقيات المهنة يجب تسليط العقوبة المناسبة على المخالفين، حتى يكونوا عبرة للآخرين.
- تصميم رسائل إعلامية إقناعية داخل الوسط الجامعي تذكر الأستاذ الجامعي بمبادئه وأخلاقه مثل الأمانة ، النزاهة، الانضباط، الإتقان، المشاركة، التقويم المستمر، النقد البناء...إلخ.
- إجراء مسابقة دورية تخص اختيار الأستاذ النموذج، يشارك فيها الأساتذة، الطلبة وحتى الإداريين، بحيث يتم وضع جملة من المعايير للتصويت تأخذ فيها الصفات الأخلاقية حصة السد.
- التقييم المستمر والمحاسبة العادلة للموظفين، من خلال نظام متكامل، تحدد فيه المسؤوليات بدقة، ولا يعبر تقييم أداء الموظفين فقط عن كمية العمل للموظف أو جودته، بل يعبّر أيضًا عن مدى الالتزام بأخلاقيات وقيم العمل، وكذا الالتزام بتطبيق المعايير الصادرة عن المؤسسة، وعدم الإخلال بالواجبات المهنية أو اللجوء إلى الخداع والتضليل، ومراعاة حقوق الزمالة، والالتزام بالصدق والشفافية في عرض المعلومات، والمحافظة على السرية، وتجنب استغلال المعلومات الخاصة بالمؤسسة من أجل نفع شخصي أو لمجاملة الآخرين.

وترجع أهمية التقييم المستمر للموظف في تدارك الخطأ بصورة أوفقَ وأسرعْ، أما إذا لم يحاسَبْ ولم يُقيَّم فستتراكم عليه الأخطاء دون أن يحس بها، ومن جهة ثانية فإن التقييم المستمر يُعين المسئول على معرفة مستويات موظفيه وكفاءتهم ومواطن إبداعهم.

- ترسيخ ثقافة الأخلاقية المهنية لدى هيئة التدريس في الجامعة، فبعض الممارسات الوظيفية غير الأخلاقية تنتج عن ضعف في فهم أخلاقيات الوظيفة، وعدم المعرفة بضوابط وقيم المهنة، والأكيد أنَّ أخلاقيات المهنة الجامعية يجهلها البعض ويتجاهلها البعض الآخر[2].
- توفير الأجواء المناسبة للعمل سواء من الناحية المادية أو من الناحية المعنوية.

[1]- أحمد محمد الدغشي: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، (نسخة إلكترونية).

[2]- مصطفى مغزاوي: مرجع سابق، ص7-8.

- الأخذ بعين الاعتبار معيار الالتزام بالأخلاق المهنية عن تعيين الأساتذة في المناصب النوعية، حتى يكونوا يحق قيمة مضافة في ذلك المنصب، ويشكلوا فرقا في الأداء الوظيفي.

- يجب التنصيص الصريح على الشروط والمؤهلات والمعايير المنضبطة التي تتيح الالتحاق بمهنة التدريس الجامعي، والجدية في تطبيق ذلك، بعيدا عن الاستثناء والمحدود الذي يتيح مجالا لإسقاط هيبة القانون بعد ذلك.

9- التحديات التي تواجه أستاذ القرن الواحد والعشرون:

من جملة التحديات التي تواجه الأستاذ الجامعي في العصر الراهن، والتي من شأنها التأثير على التزاماته وأخلاقه نذكر[1]:

* **التحدي الثقافي**: يشهد العصر الحالي صراعا ثقافيا يهدد سلوكيات وقيم المجتمعات في آن واحد، لذا فالأستاذ مطالب بمواجهة هذا التحدي حماية لذاته، وحماية لطلبته، كما أن الأمر يفرض عليه أن يصل إلى استيعاب الثقافة العالية ، حتى يستطيع تحقيق هدفين أساسيين مع طلابه هما:

- دعم الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري خصوصا والعربي والإسلامي عموما.

- شرح الخطط الوطنية، وتعزيز الأفكار والقيم الإيجابية السائدة في المجتمع.

* **التربية المستدامة**: ونقصد بها التربية الممتدة طوال الحياة، وفي مختلف الأوقات والأماكن؛ فالأستاذ الجامعي بحاجة إلى هذا النوع من التربية حتى يستطيع الوفاء باحتياجات والتزامات وأخلاقيات مهنته. وفي هذا التحدي يصبح الأستاذ مطالبًا بمراعاة ثلاثة جوانب لتحقيق هذه التربية:

- التعلم للمعرفة: والذي يتضمن كيفية البحث عن مصادر المعلومات وتعلم كيفية التعلم للإفادة من فرص التعلم مدى الحياة.

- التعلم للعمل: والذي يتضمن اكتساب المتعلم الكفايات التي تؤهله بشكل عام لمواجهة المواقف الحياتية المختلفة، وانتقاء مهارات العمل.

- التعلم للتعايش مع الآخرين: والذي يتضمن اكتساب المتعلم لمهارات فهم الذات والآخرين، وإدراك أوجه التكافل فيما بينهم، والاستعداد لحل النزاع، وإزالة الصراع، وتسوية الخلافات.

*** قيادة التغيير**: الأستاذ هو القائد الفعلي للتغيير الجوهري في المجتمع، هذا الأخير يفرض عليه إتباع نموذج واضح وأسلوب تفكير عقلاني منظم يساعده على استشراف آفاق المستقبل واستشعار نتائج عملية التغيير في العملية التعليمية، وبالتالي إدخال تغييرات مخطط لها لضمان نجاحها. إن مهنة الأستاذ المستقبلية أصبحت مزيجًا من مهام القائد، ومدير المشروع والناقد والموجه في آن واحد.

* **ثورة المعلومات**: لقد أحدثت ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات ونظمها تغييرات واسعة ومهمة جدًا، وبدأت القيم النسبية للمعرفة تبرز في مجتمع عالمي يتوجه نحو اقتصاد المعرفة، وبالتالي تزايدت أعباء الأستاذ الذي لم يعد مطلوبًا منه الاكتفاء بنقل المعرفة للمتعلم، بل أصبح لزاما عليه تنمية قدراته وقدرات المتصلين به للوصول إلى المعرفة من مصادرها المختلفة، والاستثمار الأمثل للمعلومات من خلال البحث عن الطرق الفعالة لتحقيق أقصى استفادة ممكنة منها.

* **تمهين التعليم**: ويتطلب ذلك توافر ثقافة واسعة وقدرات متميزة لدى الأستاذ الجامعي كالاستقلالية في اتخاذ القرار، والحرية في الاختيار، والمعرفة المتميزة، والاستخدام المتقدم للتكنولوجيا، والتحول إلى المصمم المحترف لبيئة التعليم وأدواتها.

* **إدارة التكنولوجيا**: لابد للأستاذ الجامعي من مسايرة التطورات التكنولوجية الحاصلة على الأقل في تخصصه خاصة وأنه لم يعد مطالبا باستخدام الوسائل التقنية فحسب، فالمطلوب أبعد من ذلك وهو أن يكون مصمما لبيئة التقنية وبرامجها بل والمطور لها في نفس الوقت.

---

[1]- أحمد عوضه الزهراني، يحي عبد الحميد إبراهيم : **معلم القرن الواحد والعشرين**،(نسخة إلكترونية).

وبطبيعة الحال الوفاء بمتطلبات كل هذه التحديات لابد وأن يكون في التزام الأستاذ الجامعي بالتزاماته القانونية والأخلاقية في نفس الوقت.

10- حقوق وواجبات الأستاذ الجامعي الجزائري في ظل القانون الأساسي الخاص بالأستاذ الجامعي الباحث:

حرر المشرع الجزائري بتاريخ 03 ماي 2008 القانون الأساسي الخاص بالأساتذة الباحثين، والمتضمن في الفصل الثاني لجملة من الحقوق والواجبات في العديد من مواده بدءا من المادة 03 إلى المادة 15[1] ، حيث نصت هذه المواد على مجموعة من الحقوق والواجبات نوردها كالآتي:

أ-الحقوق:

- يحق للأساتذة الباحثين الاستفادة من الشروط الضرورية لتأدية مهامهم وترقيتهم الجامعية.
- يمكن للأساتذة الذين يحضرون لرسالة الدكتوراه من الاستفادة من تكييف الحجم الساعي للتدريس.
- يمكن دعوة الأساتذة لممارسة نشاطات البحث العلمي في فرق أو مخابر البحث.
- يستفيد الأساتذة الباحثون المعينون في مناصب نوعية من مكافأة خدماتهم.
- يستفيد الأساتذة الباحثون من رخص الغياب دون فقدان الراتب للمشاركة في المؤتمرات والملتقيات.
- يمكن للأساتذة المحاضرين قسم أ الاستفادة مرة واحدة من عطلة علمية، شرط ممارستهم لهذا المنصب لخمس سنوات متتالية.
- يمكن للأساتذة المساعدين الاستفادة من الانتداب وفق شروط قانونية.

ب- الواجبات:

- يؤدي الأساتذة الباحثون من خلال التعليم والبحث مهمة الخدمة العمومية للتعليم العالي.
- يتعين على الأساتذة ضمان خدمة التدريس وفقا للحجم الساعي السنوي المرجعي.
- يمكن دعوة الأساتذة للممارسة الإشراف الذي يتطلب متابعة دائمة للطالب.
- يمكن دعوة الأساتذة الباحثين في إطار اتفاقيات لضمان دراسات وخبرة وضبط مناهج تتطلبها احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.
- يمكن دعوة الأساتذة لشغل مناصب عليا.
- لا يرخص للأساتذة الباحثين ممارسة نشاط ربحي آخر.

11- قراءة في ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية الجزائري:

شهر أفريل من عام 2010 أصدرت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية من تسع صفحات متضمنة مجموعة من الالتزامات الأخلاقيات، التي تخص كل الأسرة الجامعية. نصت ديباجة الميثاق على هدفه العام والمتمثل في الاتفاق على المسعى الأخلاقي والمنهجي المؤدي إلى إقرار سلوكيات وممارسات جامعية مثلى في مجالي آداب المهنة وأخلاقياتها، ومحاربة ما يلحقها من انحرافات.

يؤكد الميثاق المنبثق عن إجماع واسع للأسرة الجامعية على مبادئ عامة مستمرة من المقاييس العالمية، وعلى قيم خاصة بمجتمعاتنا، يشترط فيها أن تكون محركا لمسعى التعلم ومجسدة لميثاق أخلاقيات المهنة وآدابها.

وقد مثل أداة تعبئة وأداة مرجعية لتسطير المعالم الكبرى التي توجه الحياة الجامعية، كما يمثل أرضية تستلهم منها القوانين الضابطة للآداب والسلوك وأشكال التنظيم والممارسة لها.

تضمن هذا الميثاق جزئين رئيسين هما:

[1]- القانون الأساسي الخاص بالأستاذ الباحث رقم 08-130 المؤرخ في 2008/05/08، الجريدة الرسمية العدد 23.

أولا: المبادئ الأساسية لميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية: تمثلت هذه الآداب في:

- النزاهة والإخلاص.
- الحرية الأكاديمية.
- المسؤولية والكفاءة.
- الاحترام المتبادل.
- وجوب التقيد بالحقيقة العلمية.
- الموضوعية والفكر النقدي.
- الإنصاف.
- احترام الحرم الجامعي.

ثانيا: الحقوق والالتزامات: تضمن هذا الباب ثلاث عناصر هي:

- حقوق والتزامات الأستاذ الباحث في التعليم العالي.
- حقوق وواجبات الطالب في التعليم العالي.
- حقوق والتزامات الموظفين الإداريين والتقنيين في التعليم العالي.

ففي جانب حقوق الأساتذة تم التركيز على ضرورة توفير مجموعة من الشروط المادية والمعنوية له. حتى يستطيع العمل في أجواء متماشية مع الأهمية التي تكتسيها هذه الوظيفة، ومع ما يضطلع به الأستاذ في إطار تكوين النخبة والبحث العلمي وخدمة المجتمع.

أما عن الالتزامات فقد ركزت بنود الميثاق على ضرورة أن يكون الأستاذ الباحث مثلا للكفاءة وحسن الخلق والنزاهة والتسامح، وأن يقدم صورة مثالية للجامعة باحترامه لمبادئ وأخلاقيات المهنة الجامعية المذكورة سابقا.

وفي حالة ارتكاب الأستاذ لخطأ مهني ومثوله أمام الهيئات التأديبية المخولة، ويمكن لهذه الأخيرة وحسب درجة خطورة، الخطأ المرتكب، وفي ظل احترام الإجراءات التأديبية التي يقرها التنظيم المعمول به، أن تقترح عقوبات قد تصل إلى التجريد منصفة الأستاذ الباحث الجامعي.

ليختم هذا الميثاق بتذكير أعضاء الأسرة الجامعية بضرورة احترام هذا الميثاق نصا وروحا قصد ترقية الأخلاقيات والآداب الجامعية.

خاتمــة:

في نهاية هذا المقال نؤكد على أن موضوع أخلاقيات والتزامات الأستاذ الجامعي يبقى حديث ذو شجون، نظرا لأهمية من جهة، وتأثيراته من جهة أخرى على أعضاء الأسرة الجامعية ككل، بل الأمر يمتد حتى إلى التأثير على رسالة الجامعة ككل، وهذا نظرا لأن المعلمين عامة هم ورثة الأنبياء، وهم بحاجة ماسة إلى تلقي تكوينا في هذا الجانب مهما كانت تخصصاتهم ومهما كانت رتبهم العلمية. وعليه فمثل هذه المواضيع بحاجة دائمة إلى قراءات وتحليلات ومراجعة تكون مرتبطة بالمرجعية الخلقية من جهة، وبخصوصية المجتمع من جهة أخرى، وبذلك فقط يتسنى لنا إيجاد الأستاذ الجامعي الذي نريد.

قائمة المراجـــع:

- أحمد محمد الدغشي: أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي، (نسخة إلكترونية).
- أحمد أوزاي: **المناهج الفعالة ودور المدرس في تحقيق التميز والإبداع في التعليم العالي**، وقائع المؤتمر 1020 للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إدارة التربية، تونس،2007، ص 71.
- أحمد عوضه الزهراني، يحيي عبد الحميد إبراهيم : **معلم القرن الواحد والعشرين**،(نسخة إلكترونية).

- القانون الأساسي الخاص بالأستاذ الباحث رقم 08-130 المؤرخ في 2008/05/08، الجريدة الرسمية العدد 23.

- بلال خلف السكارنة: **دور الجامعات في ثقافة الحوار والتسامح**،على الموقع www.arabthought.org، تاريخ الزيارة 2017/03/14، الساعة 20:45.

- جيمس ي غروسيا، جودي تمللر: **الوصول إلى جامعة منتجة**، ترجمة عصام صبري، مكتبة العبيكان، 2007، ص08.

- سالم مبارك العويثاني: أخلاقيات وآداب المهنة في الجامعات ، اليمن، جامعة حضرموت، 2016 ، ص12.

- طارق عبد الرؤوف عامر: **الجامعة وخدمة المجتمع**، توجهات عالمية معاصرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012، ص57.

- علي راشد: **الجامعة والتعليم الجامعي**، ط1، دار الشروق، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2007، ص15-16.

- علي غربي ، سليمة حفيظي: **الممارسات الأكاديمية للأستاذ الجامعي**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 02، 2012، ص17.

- ماجد بن ناصر بن خلفان المحروقي: **أخلاقيات المهنة مفهومها وأهميتها**، وزارة التربية والتعليم ، سلطنة عمان، ديسمبر 2009 (نسخة إلكترونية).

- مصطفى مغزاوي: **أخلاقيات وظيفة الأستاذ الجامعي:** نحو تصحيح الفهم الديني والوطني للوظيفة، ورقة بحثية مقدمة في أشغال الملتقى الدولي العربي الأول حول قضايا التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي (إصلاحات محلية وتحديات دولية) يومي 10-11 أفريل 2017.

- منذر الشاوي: **كتابات جامعية**، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، 1990، ص49.

دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في دعم التعليم الالكتروني لدى الطلبة الجامعين
دراسة استكشافية بجامعة باتنة1

د.ربيعي فايزة

جامعة الحاج لخضر باتنة

الملخص: شهدت استخدامات الإنترنت مؤخرا وشبكات التواصل الاجتماعي كالفيسبوك، تويتر، قوقل +، وغيرها استعمالا متزايداً يصل أحيانا حد الإدمان. وتعد فئة الشباب وفقا للعديد من الدراسات من أكثر الفئات إقبالا على استخدام هذه المواقع خاصة موقع الفيسبوك. ولمعرفة دور الفايسبوك في دعم التعليم لدى الطلبة الجامعين، قمنا بدراسة استطلاعية على مجموعة من طلبة جامعة باتنة1 اعتمدنا فيها على المنهج الوصفي، واستخدمنا المقابلة لجمع البيانات، وقد بينت النتائج أن للفايسبوك دورا فعالا في تذليل عيوب التعليم التقليدي.

الكلمات المفتاحية: الفايسبوك، الطالب الجامعي.التعليم الإلكتروني.

Summary: Recently the internet and the social networks such as : facebook , twitter , google+ , instagram …etc has seen increasing use amounting to addiction , the youth category is one of the most popular categories using these sites especially the facebook site. And to know the role of Facebook in supporting students' education , we conducted a field study on a group of batnas university students adopted the descriptive approach.And We used the interview to collect data . The results showed that Facebook has an effective role in overcoming the disadvantages of traditional education

Key words : facebook , university student. E-learning

مقدمة : أحدثت الثورة التكنولوجية تأثيرات بالغة على كافة الميادين حيث أصبح الحديث عن أي تقدم أو تطور في ميدان ما لا يخلو من التطرق إلى دور تكنولوجيا المعلومات (الانترنت) عامة ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة، هذه الأخيرة التي تعتبر ردهة يتجول فيها المستخدم لإشباع مختلف حاجاته ورغباته، لما تتسم به من خصائص والتي من أهمها التفاعلية، المرونة، التشاركية والشمولية التي تعتبر دليلا على الاستخدام الواسع لشبكات التواصل الاجتماعية في كل ميادين الحياة.

و يمثل قطاع التعليم من بين هذه الميادين التي عرفت قدرا كافيا من التأثير والتغير بتكنولوجيا المعلومات حيث ظهر ما يسمى بالتعليم الإلكتروني، وهذا الأخير ليس ببعيد عن هذه التأثيرات خصوصا بعد الاستخدام المتزايد لمواقع التواصل الاجتماعي باعتبارها إحدى أهم السبل والطرق التي تمثل فرصة على الجامعة استغلالها لما يوفره من بيئة افتراضية مرنة يتواصل من خلالها أطراف العملية التعليمية، مع تقديم نماذج تعليمية قائمة على استراتيجيات تسمح لهم بالحصول على المعلومات والمعارف وتبادل الأفكار، بالإضافة إلى إعداد جيل من المعلمين والمتعلمين يملكون مهارات التعامل مع التكنولوجيات والمساعدة على نشرها في المجتمع وتوفير بيئة تعليمية تفاعلية وفتح مجال واسع للتعلم، بما فيه التعلم الذاتي ومراعاة الفروق الفردية تحقيقا للتعلم مدى الحياة.

ومن اجل الوقوف على أهمية شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في التعليم والتعلم، وما يمكن لها أن تقدمه من خدمات لأطراف العملية التعليمية ولضمان نتائج أفضل للطلبة تصبو هذه الدراسة إلى معرفة دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في دعم التعليم الالكتروني لدى الطلبة الجامعين وما هي انعكاسات ذلك على الفرد والمجتمع من وجهة نظر الطالب الجامعي؟.

إشكالية الدراسة: جاءت التكنولوجيات الحديثة بصفة عامة، وتقنيات الاتصالات والمعلومات خاصة لتمثل قفزة هائلة في سبل المعرفة، فالتطور الكبير الذي يشهده العصر الحاضر في مجالات العلم والتكنولوجيا وما رافقه من نمو متسارع للمعارف والحقائق العلمية في مختلف المجالات والأصعدة ترك تأثيرات واضحة في كل المجالات بما فيها مجال التربية والتعليم.

إن ظهور الشبكات، وارتباطها بالأنترنت والاستفادة من مصادر التعليم الإلكترونية المتاحة عليها خلق مستويات أعلى من الاعتماد على التكنولوجيات تقوم على تقديم الخدمة التعليمية بشكل كامل ومع هذا التوسع ظهرت العديد من المصطلحات التي تربط بين التعليم واستخدام شبكات الأنترنت مثل التعليم الإلكتروني E-Learning والتعليم الافتراضيvirtual ....

وأصبح استخدام الحاسوب في التعليم ضرورة لا يمكن الاستغناء عنه، وهذا ما زاد الاهتمام بالدعوة لدمج التكنولوجيا ومستحدثاتها في العملية التعليمية.

وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي من أهم تطبيقات الويب لما تقدمه من تدعيم في التواصل والتفاعل الاجتماعي، التعارف، الصداقة، المراسلة والمحادثة بين الأفراد، أضف إلى ذلك إمكانية تعليق المستخدم على المادة المكتوبة والمرئية وإضافة محتوى والتعديل والتغيير...، من هنا تتضح أهمية هذه التقنية، حيث سمحت بتكوين الجماعات وتخطي الحواجز والحدود وساعدت على اكتساب الخبرات...الخ

هذه المميزات دفعت بالفرد إلى التوجه إليها، حيث شهدت هذه المواقع زيادة في عدد المستخدمين، وعلى هذا الأساس توسعت هذه الشبكات لتدخل كافة الميادين بما في ذلك ميدان التعليم، هذا الأخير الذي يعتبر ميدانا خصبا ومركبا يحتاج إلى مهارات وقدرات خاصة تتلاءم والمستحدثات الجديدة.

وتعد فئة الشباب عامة والطلبة الجامعين خاصة وفقا للعديد من الدراسات من أكثر الفئات إقبالا على استخدام هذه المواقع خاصة موقع الفيسبوك يصل أحيانا حد الإدمان، ومن هنا جاءت هذه الدراسة الاستكشافية لتكشف لنا عن دور (الفايسبوك) كشبكة تواصل اجتماعية في دعم التعليم الإلكتروني لدى الطلبة الجامعين.هذه الشبكة التي أثرت على حياة الفرد والمجتمع وجعلت المستخدمين يستغنون عن شراء الكتب والطرق التقليدية في التعليم، وهذا من خلال طرح التساؤلات التالية:

- هل للفايسبوك دور في دعم التعليم الإلكتروني لدى الطالب الجامعي؟ وما هي انعكاسات ذلك على الفرد والمجتمع من وجهة نظره؟

الأسئلة الفرعية:

- هل تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي؟
- ما هي أكثر المواقع التي تستخدمها؟
- بأي تردد تستخدم هذه المواقع ؟
- ما هي الاستخدامات العلمية للفايسبوك لدى الطلبة الجامعين؟
- ما مدى استفادة أطراف العملية التعليمية من تطبيقات شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في تحقيق الأهداف التعليمية عن بعد؟

أهداف الدراسة:تهدف الدراسة الحالية للكشف عن:

✓ أكثر مواقع التواصل الاجتماعي استخداما من قبل الطالب الجامعي.

✓ التعرف على أهم الاستخدامات العلمية للفايسبوك من قبل الطالب الجامعي .

✓ التعرف على أي مدى يمكن استفادة أطراف العملية التعليمية من تطبيقات شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في تحقيق الأهداف التعليمية عن بعد؟

أهمية الدراسة: تعتبر التكنولوجيا الرقمية عامة والتطبيقات الاجتماعية على الشبكة خاصة من المستحدثات الجديدة في المجتمع، التي غيرت من أنماط اتصاله وتواصله، حيث تكتسب الدراسة الحالية أهميتها من كونها تأتي في وقت بدأ فيه الاتجاه لدى كثير من المؤسسات الأكاديمية نحو التركيز بشكل كبير على توظيف تقنيات المعلومات والاتصالات في العملية

التعليمية، لما تتيحه هذه التقنيات من مزايا تساعد على تفعيل التعليم وزيادة مستوى إنتاجيته وتحسين مخرجاته يجعل من إلقاء الضوء على احد شبكات التواصل الاجتماعية (الفيسبوك) كتقنية حديثة في العملية التعليمية أمرا هاما، هذه الأهمية تزيد في الجزائر، لان تجربة استخدامه لازالت في بداياتها ومحتشمة. ومن هنا يتوجب على الجامعة استغلال هذه التقنية لما تقدمه من خدمات للعملية التعليمية، من اجل ضمان نتائج أفضل.

التعريف الإجرائي لمصطلحات البحث:

تعريف الفايسبوك إجرائيا: هو شبكة تواصل اجتماعية، تساعد الأفراد على تبادل المعلومات والملفات والصور ومقاطع الفيديو إضافة إلى المحادثة والدردشة الفورية، وهو ما تم قياسه في هذه الدراسة بالمقابلة نصف الموجهة.

- **التعليم الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي في التراث النظري:**
- **التعليم الإلكتروني:**
- **تعريف زيتون**2005: للتعليم الإلكتروني هو" تقديم محتوى تعليمي (الكتروني) عبر الوسائط المعتمدة على الكمبيوتر وشبكاته إلى المتعلم بشكل يتيح له إمكانية التفاعل النشط مع هذا المحتوى ومع المعلم ومع أقرانه سواء أكان ذلك بصورة متزامنة أم غير متزامنة وكذا إمكانية إتمام هذا التعلم في الوقت والمكان وبالسرعة التي تناسب ظروفه وقدراته، فضلاً عن إمكانية إدارة هذا التعلم أيضاً من خلال تلك الوسائط."(زيتون24،2005)
- **تعريف بادرويل خان2005**: يرى أن التعليم الإلكتروني هو" شكل حديث لتوصيل التعلم والمصمم تصميما جيدا، والذي يتمركز حول الطالب ويتسم بالتفاعل ويتيح بيئة تعلم من أي مكان وفي أي وقت عن طريق استخدام مصادر التكنولوجيا الرقمية المتنوعة والتي تمتاز بالمرونة وبتوفير بيئة تعلم موزعة." (Bodrul.khan 2005: 3)

وعموما نستطيع القول أن التعلم الالكتروني هو أسلوب حديث من أساليب التعليم، توظف فيه آليات الاتصال الحديثة من حاسب، وشبكاته، ووسائطه المتعددة من صوت وصورة، ورسومات وآليات بحث، ومكتبات إلكترونية، وكذلك بوابات الإنترنت سواء أكان عن بعد أم في الفصل الدراسي.

أنواع التعليم الإلكتروني:

- **التعليم بواسطة الوسائط المتعددة:** وفي هذه الطريقة تستخدم وسائط مثل DVD، VCR،CD-ROM حيث يستطيع الطالب تناول مثل هذه الوسائط في أي وقت شاء وفي أي مكان (البيت، العمل،...).
- **التعليم بواسطة الشبكات المحلية:** Local Area Network وهذه الطريقة مخصصة للمعامل التعليمية بالجامعات والمعاهد الدراسية حيث يمكن من خلالها يستخدم مجموعة من الدارسين لمجموعة من المناهج عبر شبكة LAN وهي تمكن الإدارة والإشراف الكامل على العملية التعليمية ومتابعة مدى تقدم العملية التعليمية للدارسين.
- **التعليم عبر شبكة الانترنت** : Web BAsed Intruction و الذي تمكن أهميته في المرونة الكاملة لتوريد العملية التعليمية دون الارتباط بالوقت والمكان وهو ما يتيح اشتراك أكبر عدد من الدارسين دون الحاجة للارتباط بالمكان والزمان.

و بذلك يمكن أن نفرق بين نوعين أساسيين للتعليم الإلكتروني هما:

1. التعليم الإلكتروني بالبرمجيات.
2. التعليم الإلكتروني بالأنترنت.(ابراهيم الفار،2001ص42)

أدوات التعليم الإلكتروني: يمكن تصنيف أدوات التعليم الإلكتروني إلى نوعين، هما أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن، وأدوات التعليم الإلكتروني غير المتزامن، وفيما يلي حصر لكل منهم:

أ- **أدوات التعليم الإلكتروني المتزامن:**ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم الاتصال المباشر (In Real time) بالمستخدمين الآخرين على الشبكة.**(**غلوم منصور،2003**)**

ب- أدوات التعليم الالكتروني غير المتزامن:

ويقصد بها تلك الأدوات التي تسمح للمستخدم بالتواصل مع المستخدمين الآخرين بشكل غير مباشر.(الموسى،2002)

- **تعريف مواقع التواصل الاجتماعي:**

تعريف لنهارت ومادن **A.lenhart@M.Madden**:" هي مساحات افتراضية في شبكة الانترنت، يستطيع بواسطتها المُستخدمون إنشاء صفحات شخصية، واستخدام الأدوات المُتنوّعة للتّفاعُل، والتواصُل مع من يعرفونهم من ذوي الاهتمامات المُشتركة، وطرح الموضوعات والأفكار ومُناقشتها".(**A.lenhart@M.Madden.2007**)

نُلاحظ أنّ هذا التّعريف ركّز على الخاصية التّواصُلية والتّفاعُلية لمواقع التّواصل الاجتماعي في نموذج افتراضي.

تعريف ريشتر وكوتش"M.koch@A.richer هي التّطبيقات والمنابر Application and forms وسائل الإعلام عبر شبكة الانترنت والتي تهدف إلى تسهيل التّفاعُل والتّعاوُن وتبادُل المعلومات(M.koch@A.richer.2007.p92)"

أشار هذا التّعريف إلى أنّ مواقع التّواصل الاجتماعي هي قاعدة معلوماتية ووسيلة إعلامية.

تعريف"Evansهي مُشاركة اتّصالية عبر الانترنت، حيث يتمُّ تداوُل الصُّور، الفيديوهات، الأخبار المقالات، والمُدوّنات الصّوتية للجُمهور، عبر مواقع."(Evans.2005)

إنّ هذا التّعريف يقودُنا إلى فهم أوسع لمواقع التّواصل الاجتماعي، لأنّه ركّز على كيفية الاتّصال وأنواع تبادُل المعلومات، وهو الشّيء الذي يجعل هذا التّعريف واضحاً نوعاً ما عمّا سبقه من تعاريف.

تعريف حسين شفيق(2011):" هي مواقع على الانترنت يتواصل من خلالها ملايين البشر الذين تجمعُهُم اهتمامات أو تخصصات مُعيّنة، ويُتاح لأعضاء هذه الشّبكة مُشاركة الملفّات، الصّور وتبادُل مقاطع الفيديو، وإنشاء المُدوّنات، وإرسال الرّسائل، وإجراء المُحادثات الفورية. وسبب وصف هذه الشّبكات بالاجتماعية أنّها تُتيح التّواصل مع الأصدقاء وزُملاء الدّراسة، وتُقوّي الروابط بين أعضاء هذه الشّبكات في فضاء الانترنت".(حسين شفيق.2011)

هذا التّعريف جدّ دقيق، حدّد أولاً مصدر هذه المواقع (الانترنت)، وكذا السّمة الاتّصالية والخدمات المُتعدّدة لمواقع التّواصل الاجتماعي، والأهمّ أنّها مُتاحة لجميع البشر.

عُموماً، فإنّ أغلب التّعاريف السابقة ركّزت على مجموعة من النّقاط وهي: الاتصال والتّفاعُل، مُجتمعات افتراضية، تبادُل المعلومات.

وعليه يمكن تقديم تعريف إجرائياً لمواقع التّواصل الاجتماعي على أنّها: "مواقع على الانترنت يتواصل من خلالها مجموعة من الأفراد تجمعهم اهتمامات مشتركة، وتعمل على تسهيل التّفاعُل والتواصل وتبادُل المعلومات والملفّات، والصّور ومقاطع الفيديو في مجتمع افتراضي."

- **الخصائص التّعليمية لمواقع التواصل الاجتماعي:**

•تجمع بين الفردية والاجتماعية في التعلُّم، بحيث تُشكّل بيئة تعلُّم تعاوني وتكامُلي.

•تحويل العمليّة التّعليمية من التّعليم إلى التعلُّم.

•تمتاز الشّبكات الاجتماعية بالمُعالجة الذّاتية، وهو يُعتبر من أهمّ مناهج التعلُّم الذّاتي الذي يعتمد على البناء، الحوار، الإنتاج، التّعاون.

•مُتابعة الإعلانات الجديدة وإدارة المشاريع المُتعلّقة بالعملية التّعليمية.

•التّحفيز على الإبداع، إذ يُمكن لمجموعة من الطّلبة أن يُؤلّف أداة أو أكثر للتّعليم.

•تبادُل المعلومات والمُناقشة والتّعليق، ممّا يُساعد على تنشيط مهارات الطُّلاب عن طريق التعلُّم بالأنشطة.

•التّعامُل مع المعلومات على أنّها حقّ عام.

•التعليم قائم على المشاركة والتفاعل، والمتعلمون مساهمون في بناء المعرفة.(محمد جابر،2013: 201)

•اشتراك المُتعلّم في بناء المُحتوى التّعليمي.

إنّ الخصائص التّعليمية لمواقع التّواصُل الاجتماعي في التّعليم، والمتمثلة في المشاركة والمحادثة والانفتاح والتّرابُط (غادة العمودي،2012،ص17)بين الطلبة والأستاذ من شأنها أن تخلق بيئة اجتماعية تعليمية تحفيزية من أجل التعلُّم والاستكشاف.

- **تقنيات مواقع التّواصُل الاجتماعية في التّعليم الالكتروني:**

استخدام المجموعات المُغلقة Close Group :التي يوفّرها موقع الفايسبوك « Facebook »كأحد أهمّ الوسائل النّاجحة في تعزيز التّعليم، حيث يُمكن للمُعلّم أن يُنشئ مجموعة على الفايسبوك «Facebook » خاصّة فقط بطُلاّب الفصل أو المادّة التي يدرُسها، ويدعو زُملاء الدّراسة للانضمام إليها، فيُتيح عبرها الحوار والنّقاش حول مواضيع لها علاقة بالمادّة الدّراسية.

الصّوت والصّورة: هي أهمّ عُنصر من عناصر التعلُّم في عصرنا هذا، ولا يُمكن لأيّ مُحتوى علمي أن ينجح لتوضيح المعنى أكثر دون استخدامها، فيُمكن للأُستاذ أن يستغلّ ذلك بطالب من الطّلبة بإعداد مقاطع فيديو أو رُسوم توضيحية أو عُروض تقديمية لها علاقة بموضوع الدّرس، كما يُمكن إعداد دُروس للطّلبة وعرضها على موقع اليوتيوب «Youtube» للمُشاركة بين الزُّملاء أو حتّى العالم كُله.(فراس عودة،2014،ص412)

استخدام تويتر :« Twitter »يُعتبر التّويتر المكان الأفضل للحُصول على المعرفة، فبمُجرّد تواجُد الأستاذ على الموقع، ومُتابعة الطُلاّب لما سيُقدّمه، سيُمكّنهم ذلك من الحُصول على معارف من مُدرّسهم خارج أوقات الدّراسة. كما يمكن للمدرس أن يستخدمه لوضع الإعلانات لطلابه المتابعين لحسابه(رشيد التلواني،2015،ص18) وغيرها من التّطبيقات التي تدعمُ التّعليم الالكتروني.

تأسيس مُدوّنة :« Blog » خاصّة بالمتعلم، بحيث تسمحُ بالتّدوين بشكل مُستمر، وهو ما يُعزّز شخصيته، ويُنمّي مهارات الكتابة والإبداع لديه، ويُساعده في تحديد توجُّهه المهني في وقت مُبكّر. فالتّعليقات المُتبادلة بين الطّلبة عبر المُدوّنات تُحفّز على الحوار والتّبادُل المعرفي بينهم، وهُو ما يُساهم في نشر الأبحاث والواجبات.(عبد الكريم الشمري،2011،ص04)

استخدام لينكدإن في التّعليم : Linked-in يسمح بتسجيل البيانات الشّخصية، والمهنية، كالدّراسة الأبحاث العلمية، السّنوات العملية، والشّهادات. فهو يُقدّم نموذجاً احترافياً للأُستاذ والطّالب كما أنّه يُعتبر مكاناً لعرض الوظائف أو البحث عنها. (اوباري،2015)

- **مواقع التواصل الاجتماعي التّعليمية الالكترونية (مزايا وعيوب)**

مزاياها:

•تنشيط المهارات لدى المُتعلّمين وتوفير فُرص والتّحفيز للتّفكير والإبداع.

•تُعظّم الدّور الإيجابي للمُتعلّم في الحوار، وتجعلُه مُشاركاً فعّالاً مع الآخرين.

•تُعزّز الأساليب التربوية في بيئة تعاونية، كما تُتيح تبادُل الكُتب المعلومات المُتنوّعة.

•تُساعد المُتعلّم على المُذاكرة البنّاءة من خلال تقديم تدريبات مُتنوّعة ومُتكاملة.

•الاستفادة من استطلاعات الرأي ومُتابعة المُستجدّات في الميادين المُختلفة.

•مُشاركة التحدّي، حيث يُمكن للمدرس إشراك الطّلبة في تنفيذ مشاريع تتعلّق بالتّرويج لمُؤسّساتهم التّعليمية، بهدف قياس مواهبهم وإثراء قُدُراتهم.(حسن عبد الحافظ،2015)

عيوبها :بالرّغم من استخدام الشّبكات الاجتماعية كوسيلة تعليمية مُساندة للتّعليم، إلاّ أنّه قد يعتريها تأثيرات سلبية تُشكّل عائقا للمُمارسة التّعليمية التّعلُّمية لدى الطّالب، ونذكُر منها ما يلي:

إضاعة الوقت: فمواقع التّواصُل الاجتماعي مع خدماتها التّرفيهية الجذّابة قد تُنسي الوقت للطّالب في واجباته المدرسية، وهو ما أثبتته العديد من الدّراسات.

الإدمان على مواقع التّواصُل الاجتماعي: إنَّ الاستخدام المفرط لهذه المواقع يُؤدّي إلى إدمان الطّلبة عليها من ناحية الاستخدام السّلبي، واستهلاك الأفكار الهدّامة، والمخالفة للقيم والقانون، فحرية التعبير والتنفيس عن المكنون الداخلي هو الدافع الأساسي للشاب لقضاء ما يقارب 9-12 ساعة يوميا في استخدام الفيسبوك.(الردايدة،2015) وهو ما يجعلُ الطّالب يستبدل القراءة والتعلُّم بمواقع ترفيهية من موسيقى وأفلام... الخ.

قلّة استخدام مواقع التّواصُل الاجتماعي لغير التّرفيه من قبل مُجتمعاتنا العربية، وهو ما يُؤكّده يوسف المقدادي: "فللأسف إنّ استخدام التّواصُل الاجتماعي لغير أغراض التّرفيه كالتّعليم والبحث عن عمل والتّجارة الإلكترونية، في الوطن العربي، أقلُّ من المُجتمعات الغربية...، والسّبب أنّ المفهوم العام لدى المُشتركين العرب في هذه المواقع هو أنّها للتّواصُل مع الأهل والأقارب أو للتّرفيه. (غساف المقدادي،2012،ص73)

عرض المواد الإباحية: فهُناك من المواقع أو الرّوابط التي تدعو إلى الرّذيلة ونبذ الأخلاق والقيم والدّين (أيمن يسن،2012) والتي تستهوي المُستخدم وتدخله في متاهات تتنافى والمبادئ العامّة للمُجتمع.

دور الفايسبوك في تعزيز التعليم الالكتروني: لقد غيّر الفايسبوك قواعد الاتّصال في مُؤسّسات التّعليم العالي، وأصبح طُلاّب الجامعات يُشكّلون الكُتلة الديّمغرافية الأكثر استخداماً لمواقع التّواصُل الاجتماعي وخاصة الفايسبوك، وذلك نظراً للخصائص العديدة التي يتّسم بها، سواءً من الجانب التّواصُلي الاجتماعي، أو في المجال العلمي المعرفي.

ومما لا شك فيه أنّ الخصائص المذكورة سابقاً، دفعت المتعلمين إلى استخدام الشّبكة الاجتماعية "فايسبوك Facebook"، لتُساهم بشكل أو بأخر في الحقل المعرفي لدى المتعلم، وهو ما تُؤكّده الإحصائيات الأخيرة، حيث بلغ عدد مُستخدمي موقع الفايسبوك Facebook 1.3مليار مُستخدم، و680 مليون مُستخدم على الهاتف النقّال في سنة 2014). (Statistic brain: Facebook, op.citوهو الشّيء الذي يُؤكّد ضرورة استغلال موقع الفايسبوك في الدّور التّعليمي على النّحو التّالي:

- إنشاء الأُستاذ أو الطّالب مجموعة أو صفحة لمادّة أو لموضوع تعليمي، ودعوة الطُلاّب للمُشاركة فيه.
- نشر الصُّور ومقاطع الفيديو التّعليمية المُناسبة للمادّة وتبادُلها بين الطّلبة، والمُناقشة حولها. (عبد الكريم الشمري،2012)
- مُراجعة الكُتب والأبحاث بشكل تعاوني.
- استطلاع الرّأي على الفايسبوك، والتي يستخدمُها الأُستاذ كأداة تعليمية فعّالة لزيادة التّواصُل بين الطّلبة.
- تعلُّم اللُّغات الأجنبية، بحيث يُتيح الفايسبوك الحوار مع مُختلف الأشخاص عبر العالم.
- تصميم وعرض تطبيقات جديدة تخدُم المادّة التّعليمية، والاستفادة منها.
- خلق تعليم تشارُكي عبر الفايسبوك من خلال مُطالبة بنشر مواضيع للحوار والنّقاش.(تامر الملاح،2014)

إنّ هذه الخصائص والاستخدامات ليست إلاّ وصفاً للبيئة الإلكترونية واستغلالها كبيئة تعليمية، ورغم ما تُوفّره من مزايا، لا يستطيع التّعليم التّقليدي توفيرها. إلاّ أنّ أطراف العملية التّعليمية قد يُواجهون جُملة من العوائق منها:

- التأخُّر في ظُهور الرُّدود في بعض الأحيان، وكذلك انقطاع الشّبكة في أحيان أُخرى.
- الحُريّة المُطلقة، والتي تُؤدّي إلى الانزعاج من رسائل لأشخاص مجهولين.
- تلقّي الفيروسات والأكواد الخبيثة(محمد حلاوة 2011ص114)، والتي تُؤدّي إلى غلق الحساب أو سرقة المعلومات... الخ.

- **دور اليوتيوب في تعزيز التعليم الالكتروني:**

لقد أصبح اليوتيوب بمُميّزاته الجمّة، منفذاً إعلاميا للكثير من الطّلبة والأساتذة، باعتباره الوسيلة الإعلامية التي تُتيح لأيّ كان الظُّهور، وتمنحُ الفُرصة للوصول إلى الملايين، من خلال خدماتها التّعليمية ومُحتوياتها. (http://www.wikipedia.org/youtube) التي يُضفيها أو يستفيد منها المُتعلّمون عبر العالم ومن هذا الباب نذكُر بعض استخدامات اليوتيوب في التّعليم وهي:

- إمكانية تضمين فيديو يوتيوب في العُروض التّقديمية الخاصّة ببرنامج باوربوينت."Powerpoint"
- توفير بعض مزايا التّرجمة، حيث يُمكن ترجمة مقاطع الفيديو التي تحتوي على عناوين Captions إلى العديد من اللُّغات ومن بينها العربية.
- يُمكن تضمين الفيديو في كافة مواقع التّواصُل الاجتماعي التي تتّبع تقنية الويب، مثل الفايسبوك"Facebook"، المُنتديات التّعليمية، أنظمة إدارة التعلُّم LMS للاستفادة منها تعليمياً من خلال رابط"Embed" ، الذي يُوجد في كُلّ مقطع فيديو.
- تخصيص قنوات Channels وفق السّمات الخاصّة وحسب الحاجة.
- يسمح اليوتيوب في نقل المُحاضرات والمُؤتمرات.
- كُلّ مُتعلم يُنشئ له قناة يُعرض فيه ما أنتجه أو أعجبه من المقاطع المُتّصلة بالمادّة. (احمد شاهين،2011)

إنّ العدد الكبير لمُستخدمي اليوتيوب لسنة 2014، والذي بلغ حوالي 900 مليون زائر كُلّ شهر، و4.2 مليار مُشاهد يومياً، حسب إحصائيات موقع"StaticBrain" ، لا يدُلّ بالضّرورة على أنّ كُلّها استخدامات تعليمية، فهُناك بعض المخاوف من استخدام اليوتيوب في العملية التّعليمية، وذلك بسبب ملفّات فيديو على اليوتيوب، والتي قد تكون غير مُناسبة من النّاحية التّربوية أو الأخلاقية أو الدّينية.

وفي هذا الصّدد، بيّنت جريدة الأنباء الكويتية في استطلاع رأي قامت به في 30-09-2013 مع بعض المُختصّين حول أخطار مواقع التّواصُل الاجتماعي، أنّها تُؤثّر بأفكار وقيم غير أفكار المُجتمع وتعاليم الدّين.(عباس سبتي،2012) ولكنّ هذه السّلبيات لن تُؤثّر بشكل كبير إذا كان الاستخدام مُوجّهاً على نحو إيجابي، وبشكل عقلاني، مع المُتابعة والتأطير من طرف الأساتذة. باعتبار اليوتيوب أحد أهمّ وسائل الاتّصال والتّواصُل بالملفّات المُصوّرة بالفيديو بين فئات المُجتمع، فإنّ التّفكير في توظيف هذه الوسيلة في التّعليم أصبح مطلباً بحثياً حقيقياً.(خلف الله.2015).

الدراسة الميدانية:

- **منهج الدراسة:** الدراسة الحالية دراسة استكشافية الهدف منها التعرف على دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في دعم التعليم الالكتروني لدى الطلبة الجامعين ما دفعنا لاختيار المنهج الوصفي التحليلي للإجابة عن تساؤلاتها.
- **أدوات الدراسة:**اعتمدنا في هذه الدراسة على المقابلة نصف الموجهة وهذا لأنها حسب رأينا الأنسب لاستخلاص ما يتعلق بحيثيات الموضوع، كما أن هناك بعض التفاصيل التي لا يمكن الحصول عليها بالاستبيان، ما عزز اختيارنا للمقابلة.

وقد قسمنا شبكة المقابلة إلى ثلاث محاور أساسية، ضم كل واحد منها مجموعة من الأسئلة:

- المحور الأول دار حول استخدام الطالب الجامعي لمواقع التواصل الاجتماعي من عدمه،عدد مرات الاستخدام.
- المحور الثاني دار حول أهم الخدمات التعليمية التي يقدمها الفايسبوك وتساعد الطالب الجامعي في دراسته؟
- أما المحور الثالث فقد كان حول مدى استفادة أطراف العملية التعليمية من تطبيقات شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في تحقيق الأهداف التعليمية عن بعد.
- **عينة الدراسة:**

عينة المقابلة: أجريت المقابلة بجامعة الحاج لخضر -باتنة1 - مع 30 طالبا وطالبة، من كليات متعددة، اختيار العينة كان بطريقة عرضية من بين الطلبة الذين توفر لديهم الوقت، وكذا استخدامهم لمواقع التواصل الاجتماعي وقبلوا إجراء المقابلات، بعدها قمنا بتحليل النتائج وفقا لتساؤلات الدراسة.

- **عرض وتفسير النتائج:**
- **السؤال الأول: هل تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي؟**

هدفت الدراسة إلى معرفة دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) في تعزيز التعليم الالكتروني لدى الطلبة الجامعين بجامعة الحاج لخضر باتنة 1، وقامت الباحثة بطرح السؤال التالي " **هل تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي؟**

وقد دلت النتائج على أن مجموع أفراد العينة(24) فردا بينهم(20) فردا من أجاب ب"نعم" ونسبتهم(83.33%) وهم يشكلون غالبية العينة، بينما نجد أن عدد الطلبة الذين أجابوا ب "لا" عددهم(4) ونسبتهم(16.66%).و الجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم(01) يبين استخدام أفراد العينة لمواقع التواصل الاجتماعي من عدمه:

الإجابة	التكرار	النسبة%
الفئة المجيبة ب"نعم "	20	83.33
الفئة المجيبة ب "لا"	4	16.66
المجموع	24	100

عند إجابة المبحوثين عن السؤال "**هل تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي**؟ يتبين من الجدول أعلاه أن مجتمع المبحوثين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 83.33% بتكرار قدره 20طالبا، تليه نسبة 16.66% من الطلبة الذين لم يستخدموها بتكرار قدره 4 طلبة، مما يعني أن مجتمع المبحوثين غالبيتهم يملك موقعا الكترونيا من مواقع التواصل الاجتماعي.

وربما تعكس تلك النتائج مدى إدراك عينة الدراسة لأهمية مواقع التواصل الاجتماعي في الاتصال والتواصل بين الطلبة، وبالتالي تجاوز عملية التعليم والتعلم حدود وجدران الفصول التقليدية والانطلاق لبيئة غنية متعددة المصادر يكون لتقنيات التعليم التفاعلي عن بعد دور أساسي فيها.

توفير الشبكات يمثل حجر الزاوية في تطبيق التعليم الالكتروني عن بعد، فهو يسهل التواصل مع الطلبة كما سيؤدي لتوفير بيئة اتصال بين الجامعات سواء داخل أو خارج الوطن ويؤدي إلى تغذية هذا التعليم والاستفادة من التجارب العالمية.

السؤال الثاني: ما هي أكثر المواقع التي تستخدمها؟

عند إجابة المبحوثين عن السؤال "**هل تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي؟" فإذا كان الجواب ب"نعم". ما هي أكثر المواقع التي تستخدمها "** فكانت إجابات المبحوثين كما يلي:

جدول رقم(02) يبين أكثر المواقع التي تستخدمها أفراد العينة.

	التكرار	النسبة%
الفايسبوك facebook واليوتوب	12	60
تويتر	04	20
قوقل Google والسكايبSkype	03	15
e.mialو Mozilla	01	05
المجموع	20	100

عند إجابة المبحوثين عن السؤال" **ما هي أكثر المواقع التي تستخدمها"**يتبين من الجدول أعلاه أن مجتمع المبحوثين يستخدمون الفايسبوك واليوتوب بنسبة 60% بتكرار قدره 12طالب، تليه نسبة 20% من الطلبة الذين يستخدمون تويتر بتكرار قدره 04 طلبة، ثم نسبة 15% من الطلبة الذين يستخدمون قوقل gogle plusوالسكايبSkype بتكرار قدره 03 طلبة، وفي الأخير يأتي Mozilla وe.mial بنسبة 05% بتكرار قدره 01 طالب. مما يعني أن مجتمع المبحوثين غالبيتهم يملك فايسبوك. و هذا ما يتفق مع جل الإحصائيات والتي تقر بان استخدام الفايسبوك في تزايد مستمر، ويحتل المراتب الأولى، ربما هذا راجع إلى سهولة استخدامه مقارنة بمواقع التواصل الأخرى أو انه يحظى بشعبية كبيرة لامتيازاته التقنية،....الخ وهذا قد يقودنا إلى القول بان جل أفراد العينة يتواصلون عبر مواقع التواصل الاجتماعي سواء كان ذلك من اجل الدراسة والتعليم أو من اجل أغراض أخرى.

السؤال الثالث: بأي تردد تستخدم هذه المواقع؟

أما الإجابة على السؤال "**بأي تردد تستخدم هذه المواقع"** فكانت إجابات المبحوثين كما يلي:

جدول رقم(03) يبين عدد مرات استخدام أفراد العينة لشبكة التواصل الاجتماعي:

	التكرار	النسبة%
يوميا	07	35
مرة إلى مرتين في الأسبوع	12	60
مرة إلى مرتين في الشهر	0	0
أخرى اذكرها	1	05

عند إجابة المبحوثين عن السؤال " **بأي تردد تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي الخاص بك"** يتبين من الجدول أعلاه أن أغلبية المبحوثين يستخدمون مواقع التواصل الاجتماعي مرة إلى مرتين في الأسبوع وبنسبة 60% وبتكرار قدره 12طالبا، تليه نسبة 35% من الطلبة الذين يستخدمونها بتكرار قدره 07 طلاب، أما حالات أخرى فكانت بنسبة 5%، في حين لم نجد من أفراد العينة من يستخدم مواقع التواصل الاجتماعي مرة إلى مرتين في الشهر مما ينص على أهمية شبكة التواصل الاجتماعي بالنسبة لأفراد العينة في التواصل. وربما يعزى ذلك إلى الخدمات التي توفرها الشبكة. من ربط للعلاقات بين الطلبة والأهل أو الباحثين والمهتمين من خلال الاتصال بالأصدقاء والتشاور معا في المواضيع ذات الاهتمام المشترك، وأهمية الشبكة وسرعتها الفائقة في نقل المعلومات بين الطلبة بعضه بعض أو بين الطلبة والأساتذة.

- **السؤال الرابع :ما هي الاستخدامات العلمية للفايسبوك لدى الطالب الجامعي؟**

تناولنا في هذا السؤال الاستخدامات العلمية للفايسبوك لدى الطالب الجامعي من وجهة نظره
و قد جاءت إجابات أفراد العينة كما وردت بالترتيب كما يلي:

- أطلع من خلاله على البرنامج الدراسي وبرامج الامتحانات.
- يسمح لي بمتابعة الإعلانات الخاصة بالجامعة.
- يفيدني في إجراء بحوثي وأعمالي التطبيقية.
- التواصل مع الزملاء لسماع الجديد.
- التواصل مع الأساتذة لغرض الإشراف على مذكرات التخرج.
- يزيد من ثقافتي العامة.
- الحصول على أخبار التوظيف والمسابقات.
- يزيد من فرص تواصلي مع الأساتذة.
- استخدمه لتحميل كتب تفيدني.
- يتيح لي فرصة مواكبة التكنولوجيا الحديثة.
- يسمح لي بالدراسة في مجموعات.
- التعرف على وجهات نظر الآخرين.
- أتواصل من خلاله مع مختصين في مجال دراستي.
- تعلم اللغات.

أكد اغلب أفراد العينة على أن دمج مواقع التواصل الاجتماعي في التعليم الإلكتروني وعن بعد من شانه تذليل عيوب التعليم التقليدي، وتعكس هذه النتيجة مدى إدراك عينة الدراسة لأهمية ودور مواقع التواصل الاجتماعي عامة والفايسبوك خاصة في الحصول على كل ما يدعم التعليم ويعزز عملية البحث العلمي .وهذا ما أكدته دراسة نرمين خضر2009 التي أظهرت أن التفاعل الاجتماعي بين الأشخاص عبر موقع الفيسبوك يؤدي إلى تنمية المهارات الشخصية، والخبرات الحياتية، والتعامل مع الآخرين، ومواكبة ما يجرى، ودراسة محمد المنصور2012 التي أظهرت أنه لم يعد بإمكان متصفحي الإنترنت

الاستغناء عن مواقع التواصل الاجتماعي، لما توفره من أخبار وتغطية شاملة وعاجلة ومعلومات ومعارف مفيدة ومتنوعة، ومحادثة (دردشة) مع الأهل والأصدقاء وزملاء الدراسة والعمل وتبادل الملفات والصور ومقاطع الفيديو، إضافة إلى أنها مجالا مفتوحا لتبادل الآراء والتعليقات على الآراء والردود على تلك التعليقات، وخلق صداقات افتراضية جديدة واستراحة وثقافة وترفيه.

- **السؤال الخامس: ما مدى استفادة أطراف العملية التعليمية من تطبيقات شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في تحقيق الأهداف التعليمية عن بعد؟.**

من خلال النتائج المتوصل إليها في السؤال السابق يتبين مدى مساهمة شبكة التواصل الاجتماعي في تحقيق الأهداف التعليمية.بين المتعلم والأستاذ حيث يتم من خلال خدمات الفايسبوك التواصل لأغراض تعليمية وقد لمسناها في الإجابات التالية:

- "التواصل مع الأساتذة لغرض الإشراف على مذكرات التخرج"
- "يسمح لي بالدراسة في مجموعات"
- "أتواصل من خلاله مع مختصين في مجال دراستي."

الإجابات الواردة تكشف مدى استفادة أطراف العملية التعليمية من تطبيقات شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك في تحقيق الأهداف التعليمية عن بعد، ووعي كلا من الطالب والأستاذ إلى حد كبير بالدور الفعال الذي يلعبه الفايسبوك في التواصل بين أطراف العملية التعليمية مما يؤدي إلى توفير بيئة تعليمية تعلمية تفاعلية متعددة المصادر بطريقة متزامنة في الفصل الدراسي أو غير متزامنة عن بعد دون الالتزام بمكان محدد اعتماداً على التعلم الذاتي والتفاعل بين المتعلم والمعلم.

وقد تنبأ بيل جيتس Bill Gates بهذا في التسعينيات من القرن الماضي بقوله " إن طريق المعلومات السريع سوف يساعد على رفع المقاييس التعليمية لكل فرد في الأجيال القادمة، وسوف يتيح الطريق لظهور طرائق جديدة للتدريس ومجالاً أوسع بكثير للاختيار، وسوف يمثل التعلم باستخدام الحاسوب نقطة الانطلاق نحو التعلم المستمر من الحاسوب وسوف يقوم مدرسو المستقبل الجيدون بما هو أكثر من تعريف الطلاب بكيفية العثور على المعلومات عبر طريق المعلومات السريع، فسيظل مطلوباً منهم أن يدركوا متى يختبرون، ومتى يعلقون، أو ينبهون، أو يثيرون الاهتمام ".(Bill Gates.1998.p320-321)

هذا الذي تنبأ به بيل جيتس بات اليوم حقيقة واقعية لا تقبل التأويل في العديد من الأنظمة التعليمية، خاصة في مستويات التعليم الجامعي.

خاتمة:

إلقاء الضوء على موضوع دور شبكة التواصل الاجتماعي (الفايسبوك) كوسيط تعليمي في تعزيز التعليم الجامعي يعتبر ذو أهمية، فالتعليم عبر شبكة التواصل الاجتماعي الفايسبوك له دور كبير وفعال في ممارسة العملية التعليمية حيث غير في ديناميكية عملها، لما يقدمه من خدمات علمية يشارك فيها أطراف العملية التعليمية على التبادل والحوار العلمي، وتعتبر أدوات التواصل الاجتماعي أهم التحديات أمام المؤسسات التعليمية للارتقاء بمستوى أفضل للتعليم. فهذه التفاعلات الجديدة التي تخلقها مواقع التواصل الاجتماعي خاصة الفايسبوك واليوتيوب أصبحت مكملة وضرورة حتمية يمكن الاستفادة منها في التعليم .

دراستنا هذه استكشافية وتمت على عينة صغيرة إلا أنها كشفت أن التحول من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني عبر مواقع التواصل الاجتماعي وخاصة الفايسبوك فرضته الظروف، وله دور في تذليل عيوب التعليم التقليدي، وأن وسائل التربية والتعليم الحديثة التي تنادي بها بعض مواقع التواصل الاجتماعي منها الفايسبوك واليوتيوب لها أثار ايجابية على حياة الفرد والمجتمع، بحيث تعتبر مرجع أساسي تسهل وتعزز نمط الحياة الجديدة، ووسيلة للاطلاع المجاني وهذا ما جعل أكثر المستخدمين يستغنون عن شراء الكتب والطرق التقليدية في التعليم. وبالتالي لو استغل الأستاذ الجو الاجتماعي لهذه

المواقع لشد انتباه المتعلم إلى الفضاء التعليمي عبر الشبكة سيكون له دور في البحث عن بدائل تعليمية تتيح له فرصا أكثر للتعليم والتعلم. ومن ثم لابد من استغلال هذا الإقبال على مواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق مبدأ التعلم الذاتي ورفع الكفاءات ووفقا لاستراتيجيات محددة الأهداف خاصة في جامعاتنا التي لم تنتشر فيها بعد ثقافة استخدام التكنولوجيات الحديثة.

قائمة المراجع:

- الحسن اوباري،كيف توظفlinkedin في التعليم الاجتماعي،.2015/www.new-educ.com/linkedin-education-social-leaning
- رشيد التلواني، كيف تستفيد من تويتر في التعليم،13مارس2015.www.new-educ.com/twitter-en/
- احمد الردايدة، إدمان الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي.www.shababjo.nte
- حسن حسين زيتون(2005)رؤية جديدة في التعلم – التعلم الإلكتروني – المفهوم، القضايا،التطبيق، التقويم،د ط، الرياض، الدار الصولتية للتربية.
- عباس السبتي(2013)اثر مواقع التواصل الاجتماعي على طلبة المدارس والجامعات، سلبيات وحلول، مقترحات، منتدى المنشاري للدراسات والبحوث.
- حسنين شفيق (2011)الإعلام الجديد، ط1، القاهرة، دار الفكر والفن للطباعة والنشر والتوزيع
- محمد جابر خلف الله(2013) التعليم بشبكات التواصل الاجتماعي،ط1، الأردن دار النهضة للنشر والتوزيع.
- عبد الكريم الشمري، كيفية الاستفادة من الشبكات الاجتماعية في التعليم،2011،متاحblogspot.com
- أحمد شاهن(2011) موقع اليوبتوب واستخداماته التّعليمية، مُدوّنة إلكترونية، 2011، تاريخ الإتاحة: 2014/12/12 على السّاعة: 18:19، مُتاح علىhttp://www.id4arab.com/2011/12/blog-post.htm#.UHJAHDHUTC :
- إبراهيم وكيل الفار، سعاد شاهين(2001): المدرسة الالكترونية E-School (رؤى جديدة لجيل جديد) المؤتمر العلمي السنوي الثامن، الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم.
- غلوم منصور(2003)" التعليم الإلكتروني في مدارس وزارة التربية والتعليم بدولة الكويت ". ورقة عمل مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني خلال الفترة (212/19 صفر 1424 هـ) الموافق (21-2003/4/23م). مدارس الملك فيصل. الرياض.
- الموسى،عبد الله.(2002)" التعليم الالكتروني-مفهومه-خصائصه-فوائده-عوائقه". ورقة عمل مقدمة لندوة مدرسة المستقبل خلال الفترة (16-1423/8/17هـ) الموافق (22-2002/10/23م). كلية التربية، الرياض جامعة الملك سعود.
- غادة بنت عبد الله العمودي(2012)البرمجيات الاجتماعية في منظومة التعلم المعتمد على الويب،الشبكات الاجتماعية نموذجا، ورقة عمل مشارك في المؤتمر الدولي الأول للتعليم الالكتروني،و التعلم عن بعد
- فراس محمد عودة(2014)دور شبكات التواصل الاجتماعي في العملية التعليمية، مركز التعليم الالكتروني، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- الحسن عبد الحافظ، التعليم عبر شبكات التواصل الاجتماعي،مزايا ومآخذ،2012
- www.almrefhe.net
- محمد السيد حلاوة،رجاء علي عبد العاطف(2011) العلاقات الاجتماعية للشباب بين دردشة الانترنت والفيسبوك،دط،، مصر، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع.
- خالد غسان يوسف المقدادي (2013) ثورة الشبكات الاجتماعية،ماهية مواقع التواصل الاجتماعي وأبعادها ا،ط1، عمان، دار النقائس للنشر والتوزيع.
- Statistic brain: Facebook, Statistics op.cit
- تامر الملاح(2013) البرمجيات الاجتماعية والمجتمعات التعليمية عبر الويب، نشر في 25_12_ 2013، تاريخ الإتاحة: 08 سبتمبر 2014 على السّاعة: 12:13، مُتاح علىhttp://kenanaonline.com/users/tamer2011-com/posts/576441 :
- أيمن يسن(2012) التّعليم الإلكتروني والإعلام الجديد، ط1، القاهرة، مؤسّسة طيبة للنّشر والتّوزيع.
- Lenhart. Amanda, Madden Mary: Teens, Privacy and Online Social Networks, Unpublished report, the new internet and American life project, U.S.A, 2007 , Date of availability: 22 september 2014, on time:

17:00, available on:http://www.pewinternet.org/~/media/files/reports/2007/pip-Teens-Privacy-SNS-report-Final-pdf.pdf.

- Richter A; Koch.M: Social Software-Status quo and Zuknnft “TechnisherBericht, Fakultat Fur Informatik, Universitat der BundesWehrmùnchen, 2007, date of availability: 22 September 2014, on time: 22:18., available on:www.sciencedirect.com
- Bill Gates1998, Managing E.Learning: Desingn,Delivery,Implementation
www. Intech.unu. edu .African Universities , Case Studies From Kenya and Bill Gates
http://faculty.ksu.edu.sa/mansour/Publications/KSU.pdf10.05.11.15.32
http://faculty.ksu.edu.sa/mansour/Publications/KSU.pdf10/05/1115.32
- .Khan Bodrul, Managing E.Learning: Desingn,Delivery,Implementation
and Evaluation, Science Publishing, London,2005

التغذية الصحّية لدى مرضى السكري

دراسة ميدانية على عينة من مرضى السكري

د. عيادي نادية - أ. مراد كشيشب

قسم العلوم الاجتماعية

جامعة الشاذلي بن جديد الطارف

الملخص:تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى التزام مرض السكري بالتغذية الصحية، وتحديد الفروق الموجودة فيها باختلاف المتغيرات الديمغرافية. تكونت عينة الدراسة من 30 مريضا اختيروا بطريقة عرضية، طبق عليهم استبيان التغذية الصحية، وقد عولجت البيانات باستخدام برنامج SPSS 22.

توصلت الدراسة إلى أن مستوى الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري متوسط، وأنه توجد فروق دلالة إحصائيا باختلاف كل من السن، المستوى التعليمي ونوع مرض السكري في الالتزام بالتغذية الصحية عكس متغير الجنس.

الكلمات المفتاحية: التغذية، التغذية الصحية، مرض السكري

Abstract: The purpose of this study is to identifying the health nutrition prevalent among diabetics and to know if there are statistically significant differences in health nutrition attributed to gender, age, educational level, type diabetes. The simple consisted of 30 patients using health nutrition scale, the data try by SPSS(v22). The study found the mean of health nutrition was intermediate, and there are significant differences in health nutrition among diabetics due to age,educational level, type diabetes.

Keywords: nutrition, health nutrition, diabetics.

مقدمة:تعد الأمراض المزمنة من أكثر الأمراض التي تحتاج إلى تغيير نمط الحياة وممارسة العادات الصحية من أجل الحفاظ على الحياة، ولعل من أكثر الأمراض المزمنة انتشارا نجد مرض السكري الذي يتميز بارتفاع نسبة السكر في الدم وظهوره في البول، ولكي يتم التكفل بمرضى السكري لا بد أن يتعرف المريض على المرض الذي يعاني منه وبما يجب عليه تغييره في حياته اليومية، خاصة ما تعلق بالتغذية، النظافة، ممارسة التمارين الرياضية، تناول الأدوية...كل هذه النشاطات التي تمثل العادات الصحية الواجب عليه ممارستها، لأنها أساس نجاح علاجه ومهمة للحد من حدوث تعقيدات المرض، وفي هذه الورقة البحثية ارتأينا دراسة أحد هذه العادات الصحية التي يجب على مريض السكري أن يلتزم بها وذلك من خلال تسليط الضوء على التغذية الصحية.

الإشكالية: يمثل السكري مشكلة صحية رئيسية بسبب المضاعفات التي يمكن أن تنجم عنه، "فهو مرتبط بتصلب الشرايين وانسدادها، وبضعف البصر وفقدانه، كما أن 50% من مرضى السكري يعانون من الفشل الكلوي" (تايلور،2008: 622) وما إلى غير ذلك من المضاعفات الخطيرة التي تنجم عنه، لذا يعتبر تعديل أسلوب الحياة حجر الزاوية في علاج مرض السكري والوقاية منه. فالعلاج المثالي الآن يرتكز على المريض من خلال مراقبته لنسبة السكر في الدم، والالتزام بالحمية الغذائية وممارسة التمارين الرياضية.

والعلاج بالحمية الغذائية من أهم الخطوات العلاجية لمرض السكري وذلك من خلال إتباع خطة أكل صحية فعلى سبيل المثال بينت العديد من الدراسات أن استبدال الأحماض الدهنية المشبعة بأحماض دهنية غير مشبعة تؤدي إلى تحسين الغلوكوز وإلى تعزيز حساسية الأنسولين. لهذا توجب على مريض السكري أن يغير من عاداته الغذائية اليومية وأن يلتزم ببرنامج غذائي يصفه له الطبيب، ولكن دفع المرضى لتغيير نمط غذائهم يعتبر من الأمور الصعبة التي قد لا يستطيع البعض أن يلتزم بها. بناءا على هذا جاءت هذه الدراسة للإجابة على السؤال التالي: ما واقع التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية؟

فرضيات الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى التحقق من الفرضيات التالية:

- مستوى التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية متوسط.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الالتزام بالتغذية الصحية تعزى لمتغير الجنس.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الالتزام بالتغذية الصحية تعزى لمتغير السن.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الالتزام بالتغذية الصحية تعزى لمتغير المستوى التعليمي.
- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الالتزام بالتغذية الصحية تعزى لمتغير نوع مرض السكري.

مفاهيم الدراسة:

مفاهيم مرتبطة بالتغذية الصحية:

التغذية: هي "مجموع العمليات التي بواسطتها يحصل الكائن الحي على المواد اللازمة لحفظ حياته، وما يقوم به من نمو وتجديد للأنسجة المستهلكة، وكذلك توليد الطاقة التي تظهر في صورة حرارة أو عمل جسمي"(سلامة، 2001: 89). ويقصد بالتغذية كذلك "العلم الذي يهتم بدراسة الطعام والعناصر الغذائية والمواد الأخرى الداخلة في تركيبه وعلاقة ذلك بالصحة والمرض، وكذلك العمليات التي تتم أثناء تناول الكائن الحي لطعامه وهضمه وامتصاصه والاستفادة منه ثم إخراجه. كما أن للتغذية علاقة وثيقة بالحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى بالعوامل النفسية التي تؤثر في عملية تناول الطعام".(عبد القادر، 2004: 15)

التغذية الصحية النموذجية: "هي عبارة عن استخدام العناصر الغذائية المختلفة للحفاظ على الصحة العامة للفرد مع أعلى مستوى إنتاجي له.

الحالة الغذائية: هي عبارة عن علاقة الجسم باستهلاك والاستفادة من العام وهي نوعان: جيدة وسيئة، الجيدة بمعنى أن الجسم يحصل على الوجبات الغذائية المتزنة والمحتوية على كل العناصر الغذائية الأساسية والتي تغطي كل احتياجات الجسم من طاقة ونمو، وحفاظ على الصحة. أما الحلة الغذائية السيئة فالعكس أي أن الجسم لا يحصل على كل احتياجاته من العناصر الغذائية". (عصفر، 2010: 11)

مرض السكري: مرض السكري هو "أحد المجموعات الأربع الرئيسية للأمراض غير السارية، إلى جانب أمراض القلب والأوعية الدموية، والسرطان، و الأمراض التنفسية الحادة التي تتسبب في ما يزيد على 55% من جميع الوفيات، وتتشارك هذه الأمراض في جميع عوامل الخطر مثل تعاطي التبغ، النظام الغذائي غير الصحي، قلة النشاط البدني". (منظمة الصحة العالمية: 2013: 3)

تعرف منظمة الصحة العالمية السكري بأنه : مرض مزمن يحدث عندما يعجز البنكرياس عن إنتاج الأنسولين بكمية كافية، أو عندما يعجز الجسم عن الاستخدام الفعال للأنسولين، والأنسولين هو هرمون ينظّم مستوى السكر في الدم. ويُعد فرط سكر الدم أو ارتفاع مستوى السكر في الدم من الآثار الشائعة التي تحدث جرّاء عدم السيطرة على داء السكري، ويؤدي مع الوقت إلى حدوث أضرار وخيمة في العديد من أجهزة الجسم، ولاسيما الأعصاب والأوعية الدموية. (منظمة الصحة العالمية، 2016)

أنواع مرض السكري: هناك أنواع عديدة لمرض السكري أهمها:

1- السكري المعتمد على الأنسولين أو النوع I " DID":

يسمى أيضا : "السكر الشبابي النحيل، السكري (Acédocetoricues) يمثل 5/1 من المصابين، يتميز بنقص كبير وواضح في الأنسولين، حيث أن الغلوكوز لا يمكنه اختراق خلايا الجسم، لأن معظم خلايا الجسم تستخدم الأساسات المعقدة لإنتاج (ATP)" (Sandra et autres, 1999: p 579) ، ومعظم مرضاه من الأطفال والشباب، عادة ما يبدأ بين سن 11 و 13 سنة ويظهر بشكل طارئ وبأعراض شديدة.(مقبل: 31) ويعتمد هذا النوع في علاجه على: الأنسولين، الحمية الغذائية، الرياضة.

2- مرض السكري غير المعتمد على الأنسولين أو النوع II " DNID":

"وهو النوع الأكثر انتشارا ويشكل 90% من مرضى السكري ويسمى بالسكري غير المعتمد على الأنسولين، يحدث نتيجة عدم مقدرة الجسم على إفراز كمية كافية من هرمون الأنسولين أو وجود كمية كافية من الأنسولين ولكنها غير فعالة مما ينتج عنه ارتفاع السكر في الدم.

ويحتاج هذا النوع إلى: الحمية الغذائية، الرياضة، الأدوية".(المرجع الوطني للتثقيف مرضى السكري، 2011: 24)

أسس التغذية الصحية لمرضى السكري:

تتضمن الأسس الأولية للوقاية من السكري والسيطرة عليه ما يلي:

- تناول 5 إلى 6 وجبات صغيرة يوميا بدلا من تناول وجبتين أو ثلاث وجبات كبيرة.
- يجب أن تكون كمية السعرات المتناولة متناسبة مع الوزن المثالي للجسم، فإذا كان المصاب سمينا فيجب أن يتبع نظاما غذائيا خاصا لتخفيض الوزن.
- الإقلال من تناول الدهون بحيث لا تزيد على 30% من مجموع الطاقة الحرارية، ويجب أن يكون الغذاء قليل الكولسترول والهون المشبعة.
- تناول الأغذية الغنية بالبروتين باعتدال، بحيث لا تزيد عن 15 % من مجموع الطاقة التي يتناولها المريض.
- الإقلال من تناول الأغذية التي تحتوي على السكريات المصنعة، والاعتماد على السكريات ذات المنشأ الطبيعي.
- الإقلال من تناول الأغذية المملحة ومن استخدام الملح في الطعام، ويجب أن لا يزيد تناول الملح في اليوم 5 غرامات.
- تناول الأغذية الغنية بالألياف الطبيعية لأنها تساعد على تخفيض مستوى السكر في الدم.
- ممارسة التمارين الرياضية بانتظام.(مجموعة من المتخصصين، 2005)

الدراسة الميدانية:

منهج الدراسة: المنهج هو الطريقة التي يعتمدها الباحث في دراسته من أجل الوصول إلى الحقيقة ، ونظرا لكون الدراسة الحالية تسعى لمعرفة فيما إذا كانت التغذية الصحية تتأثر بكل من الجنس، المستوى التعليمي، السن، نوع المرض، فإن المنهج المناسب لهذه الدراسة هو المنهج الوصفي.

والهدف من المنهج الوصفي هو وصف الظاهرة والوقائع بدقة وموضوعية اعتمادا على البيانات التي تحلل تحليلا كميا موضوعيا.(عشوي، 2016)

حدود الدراسة: امتدت حدود الدراسة الزمنية على مدار سنة 2014-2015، أما فيما يخص الحدود المكانية فقد تم تطبيق أدوات الدراسة في كل من مدينة عين البيضاء، الطارف وذلك على عينة قدرت بـ 30 مريضا بالسكري من النوع الأول والثاني.

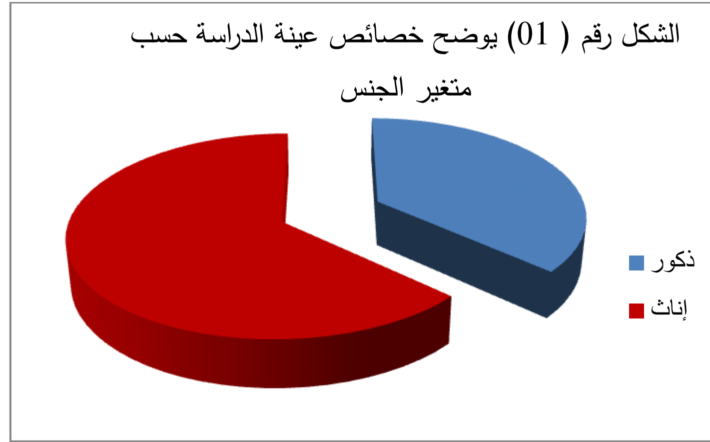
عينة الدراسة:اختيرت هذه العينة بطريقة عرضية وقد بلغ حجمها 30مريضا بالسكري من الجنسين، تراوح المدى العمري للعينة ككل بين 19 و 65 سنة.

أ- خصائص عينة الدراسة:

- خصائص عينة الدراسة حسب متغير الجنس:

الجنس	العدد	النسبة
ذكر	11	%36.67
انثى	19	%63.33
المجموع	30	%100

الجدول رقم (01) يوضح خصائص عينة الدراسة حسب متغير الجنس



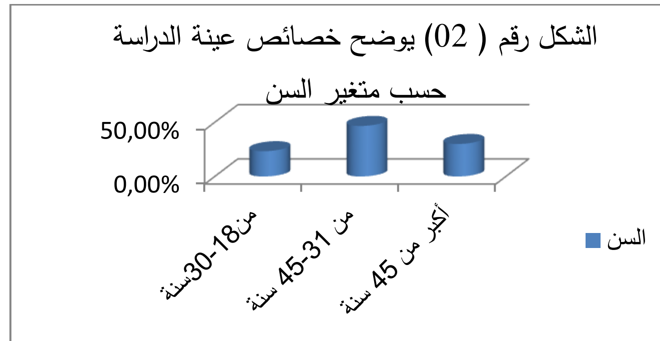
نشاهد من الجدول والشكل السابقين أن عدد المريضات المصابات بمرض السكري بلغ عددهم 19 مريضة بنسبة 63.33% وهي تمثل أكبر نسبة للعينة ككل حيث بلغ عدد المرضى الذكور 11 مريضا بنسبة 36.67%.

– **خصائص عينة الدراسة حسب متغير السن:**

	العدد	النسبة
من 18-30	7	%23.33
من 31-45	14	%46.67
أكثر من 45	9	%30.00
المجموع	30	%100

الجدول رقم (02) يوضح خصائص عينة الدراسة حسب متغير السن

نلاحظ من خلال الجدول رقم (2) أن 14 فردا من عينة الدراسة تراوحت أعمارهم بين 31 و45 سنة بنسبة 46.67% وهي تمثل أعلى نسبة للعينة ككل، وأن 9 أفراد من العينة بنسبة 30.00% أعمارهم فاقت 45 سنة، وأن 7 أفراد كانت أعمارهم تتراوح ما بين 18 و 30 سنة بنسبة 23.33% وهي الأقلّ عددا للعيّنة ككلّ، والشكل الموالي يوضّح لنا أكثر خصائص عينة الدراسة حسب متغير السن.

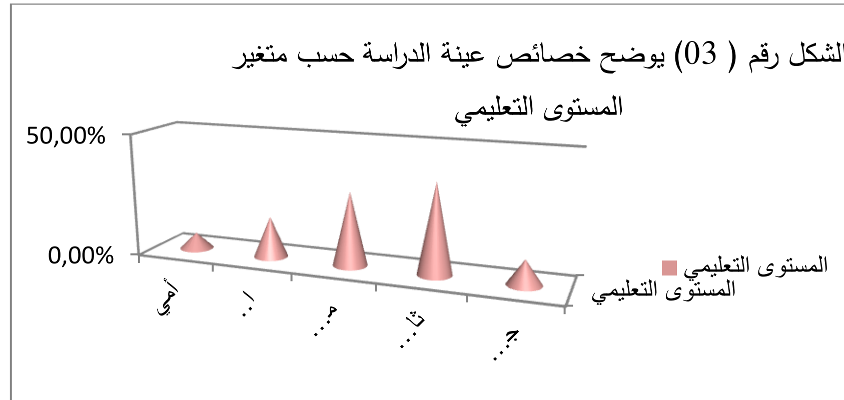


– **خصائص عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي:**

المستوى التعليمي	العدد	النسبة
أمي	2	%6.66
ابتدائي	5	%16.67
متوسط	9	%30.00
ثانوي	11	%36.66
جامعي	3	%10.00
المجموع	30	%100

الجدول رقم (03) يوضح خصائص عينة الدراسة حسب متغير المستوى التعليمي

يتضح من الجدول السابق أن أغلب أفراد عينة الدراسة من ذوي المستوى التعليمي الثانوي حيث بلغ عددهم 11 فردا بنسبة 36.66%، ثم تلها نسبة المستوى التعليمي المتوسط بـ 30.00%، بعدها الابتدائي بنسبة 16.67%، ثم الجامعي بنسبة قدرت بـ 10.00% وأخيرا الأميين بنسبة 6.66% وهي الأقل عددا بالنسبة للعينة ككل، والشكل في الأسفل يوضح لنا خصائص العينة حسب المستوى التعليمي.

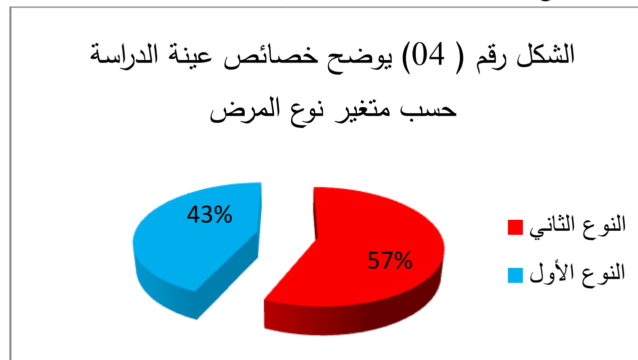


- **خصائص عينة الدراسة حسب متغير نوع المرض:**

نوع المرض	العدد	النسبة
النوع1	13	%43.33
النوع2	17	%56.67
المجموع	30	% 100

الجدول رقم (04) يوضح خصائص عينة الدراسة حسب متغير نوع المرض

يبين الجدول السابق أن عدد مرضى السكري النوع الثاني هم الأكثر عددا إذ بلغ عددهم 17 مريضا بنسبة قدرت بـ 56.67% أما النوع الأول من مرض السكري فقد بلغ عدد المصابين به 13 مريضا بنسبة 43.33%، والشكل الموالي يوضح لنا هذا أكثر.



أداة الدراسة:تم تصميم وبناء هذا المقياس بناء على التراث النظري للموضوع وبالاستعانة بمتطلبات العلاج الخاصة بمرضى السكري، حيث قمنا بتحديد أهم الخطوات العلاجية التي ترتكز أساسا على مجموعة من السلوكات التي لابد على مريض السكري القيام بها من أجل الحفاظ على صحته ومنع ظهور مضاعفات المرض، وهذه السلوكات تتعلق خاصة بالتغذية،

وبناء على هذا قمنا بتحديد مجموعة من العبارات التي تمثل هذا الجانب من المتطلبات الصحية لمريض السكري والتي بلغ عدد بنودها 12 بندا.

ويشمل المقياس على متغيرات ديموغرافية أهمها: السن، الجنس، المستوى التعليمي، نوع المرض.

وتكون الإجابة على عبارات المقياس بوضع علامة (*) أمام بدائل الإجابة المتمثلة في، نعم، أحيانا، لا، وقد كان مفتاح التصحيح كما يلي:

نعم ←—— 3نقاط

أحيانا ←—— 2نقطة

لا ←—— نقطة واحدة

وبناءا على ذلك يكون المريض ملتزم بالتغذية الصحية بدرجة مرتفعة إذا تحصل على 36 درجة وتغذية صحية متوسطة إذا تحصل على 24 نقطة.

الخصائص السيكومترية للمقياس:

-**الصدق**: تم حساب صدق مقياس التغذية الصحية بطريقة صدق الاتساق الداخلي .

صدق الاتساق الداخلي: تم حساب صدق الاتساق الداخلي من خلال حساب معامل ارتباط كل بند بالدرجة الكلية للاستبيان النتائج مبينة في الجدول التالي:

البنود	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
العبارة رقم 01	0.77	0.01
العبارة رقم 03	0.60	0.01
العبارة رقم 05	0.56	0.01
العبارة رقم 08	0.45	0.01
العبارة رقم 09	0.39	0.01
العبارة رقم 10	0.52	0.01
العبارة رقم 11	0.53	0.01
العبارة رقم 12	0.67	0.01
العبارة رقم 13	0.65	0.01
العبارة رقم 19	0.56	0.01
العبارة رقم 20	0.41	0.01
العبارة رقم 29	0.52	0.01

الجدول رقم (05) يوضح معاملات الارتباط بين البنود والدرجة الكلية للاستبيان.

يبين الجدول أعلاه أن كل معاملات الارتباط دالة عند مستوى دلالة 0.01 وقد تراوحت معاملات الارتباط بين 0.41 و 0.77، وهذا يدل على أنه يوجد نوع من الاتساق الداخلي بين كل بند والدرجة الكلية لبعد التغذية.

- **ثبات الاستبيان:** تم حساب ثبات الاستبيان عن طريق حساب معامل ألفا كرونباخ والذي قدر بـ 0.73.

الأساليب الإحصائية المستخدمة:

تحتاج كل دراسة إلى أساليب وتقنيات إحصائية معينة تتناسب مع طبيعة الموضوع وفرضيات البحث التي يسعى الباحث لتحقيقها، ولذلك فهي تختلف باختلاف البحث وفي هذه الدراسة استعنا بالحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS 22 ، وذلك من خلال حساب الأساليب الإحصائية التالية:

- التكرارات والنسب المئوية وذلك في تحديد خصائص العينة.
- المتوسط، والانحراف المعياري لتحديد متوسطات أفراد العينة على المقياس المستخدم في هذه الدراسة.
- اختبارت لتحديد ومعرفة وجود الفروق بين الجنسين ونوع المرض في استبيان التغذية الصحية
- معامل الارتباط لكارل بيرسون لحساب العلاقة بين درجات الأفراد على استبيان التغذية الصحية، كما استخدمناه في حساب صدق المقياس.
- تحليل التباين الأحادي Anova لتحديد الفروق بين متوسطات درجات أفراد العينة في استبيان التغذية الصحية تبعا لمتغيرات السن، المستوى التعليمي، مدة المرض.

نتائج الدراسة:

عرض نتائج الفرضية الأولى: تشير الفرضية الأولى إلى أن التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية متوسط:

لاختبار هذه الفرضية قمنا بحساب المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للتغذية الصحية لدى مرضى السكري والنتائج مبينة في الجدول التالي:

المتغير / القيم	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التغذية الصحة	24.80	4.53

الجدول رقم (06) يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري للتغذية الصحية لدى مرضى السكري

تبين الشواهد الإحصائية في الجدول رقم (06) أن المتوسط الحسابي لاستبيان التغذية الصحية قدر بـ 24.80 وبلغت قيمة الانحراف المعياري 4.53، وهذا يدل على أن مستوى التزام مريض السكري بالتغذية الصحية متوسط، ومنه نقبل الفرضية الأولى التي تقول بأن التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية متوسط. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن مرضى السكري غير واعين تماما بأهمية الالتزام بالتغذية الصحية، وأنه لابد من تغيير نمط الحياة بما يتوافق مع مرضهم لكي يتفادوا تعقيدات المرض.

عرض نتائج الفرضية الثانية: تشير هذه الفرضية أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير الجنس:

الجدول رقم (07) يوضح قيمة ت في الالتزام بالتغذية الجنسية حسب متغير الجنس

المتغيرات	القيم / الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T المحسوبة	مستوى الدلالة
التغذية الصحية	**ذكور**	**25.27**	**5.42**	**0.42**	**غير دال**
	إناث	**24.52**	**4.07**		

نلاحظ من خلال الإحصائيات الموجودة في الجدول رقم (07) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري. فقد بلغ المتوسط الحسابي لدى الذكور 25.27 بانحراف معياري 7.42 في استبيان التغذية الصحية، في حين بلغ المتوسط الحسابي لدى الإناث 24.52 والانحراف المعياري قدر بـ 4.07 وهي قيم متقاربة مما يشير إلى انعدام الفروق بين الجنسين في مستوى الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري بين الجنسين وهو ما تؤكده قيمة ت المحسوبة التي بلغت 0.42 وهي غير دالة إحصائيا، ومنه نؤكد تحقق الفرضية الثانية التي تشير إلى أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير الجنس.

وهو ما يتنافى مع ما توصل له (ابو ليلى والعموش، 2009) في دراسة قاما بها استهدفت الكشف عن مدى وعي و إدراك أفراد العينة في ظل تفاوت الخلفية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لهم والتي يترتب عليها اختلاف الممارسات والإجراءات السلوكية نحو الصحة والوقاية من الأمراض، وقد دلت النتائج أن الذكور أكثر ميلا والتزاما من الإناث من حيث الممارسات والإجراءات الصحية و الوقائية .

تعود هذه النتيجة إلى المرض في حد ذاته لأنه يمس الجنسين بنفس الدرجة تقريبا لذا فكلاهما يحرص على المحافظة على صحته بإتباع السلوكات الصحية لأنهما يعانيان من نفس الأعراض ومعرضان لنفس المضاعفات وكلاهما يعلم بأن هذا المرض يتم التحكم فيه من خلال إتباع النشاطات اليومية الصحية وبالابتعاد عن كل ما يؤدي إلى ارتفاع نسبة السكر في الدم خاصة من خلال الالتزام بالتغذية صحية.

فعامل تجانس وطبيعة المرض ودرجة الألم والعلاج الذي يخضع له المرضى المتقارب بينهم جعل الفروق في الالتزام بالتغذية الصحية منعدمة بين الجنسين، خاصة أن الفروق ترتبط بالفرد بغض النظر إن كان ذكرا أو أنثى فالفروق تعود إلى سمات الأفراد وقدراتهم وخصائصهم الشخصية وخلفياتهم الثقافية حول التحكم في المرض أكثر مما تعود إلى متغير الجنس.

عرض نتائج الفرضية الثالثة: تشير هذه الفرضية أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير السن:

الجدول رقم (08) يوضح قيمة تحليل التباين في الالتزام بالتغذية الجنسية حسب متغير السن

		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
التغذية الصحية	بين المجموعات	312.44	2	156.22	14.83	0.01
	داخل المجموعات	284.35	27	10.53		
	التباين الكلي	596.80	29			

نشاهد من خلال الجدول رقم (08) أن قيمة ف تساوي 14.83 وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01 وهذا يعني أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير السن، وبالتالي نرفض الفرضية الثالثة التي تنص على أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير السن.

وهو نفس ما توصل له دراسة (يوسف حسن ابو ليلى، 2009) على أن السلوك الصحي يتغير بتغير العمر، كما أكد جل لاكروز وجل لاكروز (Gil-Lacruz & Gil-Lacruz ,2010) في دراسة هدفت إلى فحص أثر مجموعة من المتغيرات النفس اجتماعية في السلوكات الصحية وفي استخدام لنظام الرعاية الصحية بإسبانيا، أن متغير العمر والمستوى الصحي هي من أفضل منبئات اتجاهات أفراد العينة نحو السلوك الصحي، كما أظهرت الدراسة أن المتغيرات الاجتماعية تلعب دورا هاما في تفسير متغيرات الأفراد واستشاراتهم في المجال الطبي.

عرض نتائج الفرضية الرابعة: تشير هذه الفرضية أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير المستوى التعليمي:

الجدول رقم (09) يوضح قيمة تحلي التباين في الالتزام بالتغذية الجنسية حسب متغير المستوى التعليمي

تؤكد لنا الشواهد الإحصائية المبينة في الجدول رقم (09) أن قيمة ف المحسوبة تساوي 12.76 وهي دالة إحصائيا عند

		مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	مستوى الدلالة
التغذية الصحية	بين المجموعات	400.60	4	100.15	12.76	0.01
	داخل المجموعات	196.19	25	7.84		
	التباين الكلي	596.80	29			

مستوى دلالة 0.01، ومنه نستنتج أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري بين مختلف المستويات التعليمية، وبالتالي نرفض الفرضية الرابعة التي تشير أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير المستوى التعليمي.

وهذا ما توصل إليه أيضا الحسين(1951) التي أظهرت التأثير الموجب للدراسة والتعليم على الأداء العقلي، كما أظهرت هذه الدراسة أن الأطفال الذين استمروا في الدراسة لأطول مدة قد أحرزوا أعظم النتائج في اختبارات قياس الذكاء وتميزوا بصحة جيدة.

كما أن دراسة الزبير والسويلم، دراسة Sclar , Chin& al, ودراسة Patsi, Saounatsou& al أفادت جميعها أن تعليم المصاب بمرض ارتفاع ضغط الدم وتزويده بالمعلومات الأساسية حول أهمية العلاج يحسن من التزامه بالعلاج.

وهذا ما يدل على أن المستوى التعليمي العالي له تأثير قوي لزيادة أو نقصان السلوكيات المحفوفة بالمخاطر إذ تشير الدراسات إلى أن تزويد الجماعات ذات الخطورة العالية بالمعلومات الكافية قد أثبتت فاعليتها في تغيير سلوك الأفراد خصوصا في

المجتمعات التي تفتقد إلى المعلومات، لأن الأفراد ذوي المستوى التعليمي الجامعي يكونون أكثر استيعابا للبرامج الصحية ويهتمون أكثر بالجانب الصحي عكس ذوي المستوى التعليمي المنخفض الذين يكونون شبه منغلقين في الأفكار إذ يصعب التعامل معهم بغرض تغيير فكرة خاطئة أو تثبيت أفكار صحيحة جديدة.

ويمكن القول أن وجود هذه الفروق راجع إلى أن المستوى التعليمي يلعب دورا كبيرا في التأثير على سلوك الفرد وتوجهه، فالفرد المتعلم يكون على وعي أكثر بوجوب تغيير عاداته المضرة بالصحة إذا تعرض للمرض. كما أكدت دراسة (أبو ليلي والعموش، 2009 بالإمارات العربية) أن الحالة التعليمية تتناسب طردا مع الحالة الصحية للمجتمع.

عرض نتائج الفرضية الخامسة: تشير هذه الفرضية أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير نوع المرض:

الجدول رقم (10) يوضح قيمة ت في الالتزام بالتغذية الجنسية حسب متغير نوع مرض السكري

المتغيرات	القيم نوع المرض	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة T المحسوبة	مستوى الدلالة
التغذية الصحية	**النوع الأول**	**21.19**	**2.19**	**5.41**	**0.01**
	النوع الثاني	**27.58**	**3.82**		

نلاحظ من خلال الإحصائيات الموجودة في الجدول رقم (10) أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين نوعي مرض السكري في الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري. فقد بلغ المتوسط الحسابي لدى مرضى النوع الأول 21.19 بانحراف معياري 2.19 في استبيان التغذية الصحية، في حين بلغ المتوسط الحسابي لدى مرضى النوع الثاني 27.58 والانحراف المعياري قدر بـ 3.82 ، في حين قيمة ت المحسوبة تساوي 5.41 وهي دالة إحصائيا عند مستوى دلالة 0.01، وبالتالي لم تتحقق الفرضية الخامسة التي تشير إلى أنه لا توجد فروق في التغذية الصحية لدى مرضى السكري حسب متغير نوع المرض.

ويمكن تفسير هذه النتيجة إلى أن الخطة العلاجية لمرض السكري تختلف باختلاف نوعه، فالنوع الأول المعتمد على الأنسولين يعتقد المريض أن بإمكانه التحكم في مرضه من خلال جرعات الأنسولين، وبالتالي قد لا يلتزم ببقية الخطوات العلاجية كالتغذية الصحية وممارسة الرياضة لأن في نظره الأنسولين كاف لوحده ليمنع ارتفاع مستوى السكر في الدم أما مرضى النوع الثاني أي مرض السكري غير المعتمد على الأنسولين فإن أصحاب هذا المرض لا بد أن يلتزموا بالحمية الغذائية لكي لا يتعقد المرض عندهم وينتقل إلى النوع الأول لأن أهم خطوة علاجية لدى مرضى السكري النوع الثاني هو الحمية الغذائية والالتزام بالغذاء الصحي.

الخاتمة:

نستخلص مما سبق أن التغذية الصحية أساس الوقاية من الإصابة بالأمراض المزمنة وخاصة مرض السكري، فهي من بين الخطوات الأساسية لعلاج مرض السكري نظرا لما لها من تأثير في الحد من مضاعفاته، لذا ركز الباحثون في علم التغذية وعلم نفس الصحة عليها وبحثوا في الآليات التي تجعل المريض يلتزم بها. وقد جاءت دراستنا للبحث في مستوى التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية وقد خلصت إلى أن مستوى الالتزام بالتغذية الصحية لدى مرضى السكري متوسط، وأنه توجد فروق دلالة إحصائيا باختلاف كل من السن، المستوى التعليمي ونوع مرض السكري في الالتزام بالتغذية الصحية عكس متغير الجنس. لذا يتوجب علينا إجراء المزيد من الدراسات للبحث عن العوامل التي تؤثر في مدى التزام مرضى السكري بالتغذية الصحية والعلاج بصفة عامة .

قائمة المراجع:

1- تايلور شيلي(2008) علم النفس الصحي،ت.وسام درويش بريك، فوزي شاكر داود، (ط1)، الأردن، دار الحامد.

2- سلامة بهاء الدين إبراهيم(2001) الصحة والتربية الصحية، القاهرة، دار الفكر العربي.
3- عبد القادر منى خليل (2004) التغذية العلاجية، (ط2)، القاهرة ،مجموعة النيل العربية.
4- عشوي مصطفى (2016) علم النفس المعاصر، الجزائر، دار الأمة.
5- عصفر مصطفى محمد حسين (2010) التغذية والغذاء في الصحة والعلاج.
6- مجموعة من المتخصصين في علم التغذية (2005) الغذاء والتغذية، (ط2)، لبنان، أكاديميا انترناشيونال.
7- المرجع الوطني لتثقيف مرضى داء السكري (2011) وزارة الصحة، الإصدار الأول، المملكة العربية السعودية.
8- مقبل مرفت عبد ربه عايش (2010) التوافق النفسي وعلاقته بقوة الأنا وبعض المتغيرات لدى مرضى السكري في قطاع غزة، الجامعة الإسلامي، غزة.
9- منظمة الصحة العالمية (2013) الوقاية من السكري حماية للمستقبل، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط،
10- منظمة الصحة العالمية (2016) داء السكري، http://www.who.int/mediacentre/factsheets12/10
11- Gerard Sandra, Reynolds Graboouhki Etantres (1999) Principes d'anatomie et de physiologie, Canada, CEC collegail et universitaire.

مساهمة الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي بالدول المصدرة للمحروقات
تحليل وقياس حالة الاقتصاد الجزائري للفترة (2000-2015) –

أ. سليم العمراوي-أ.د. يحيى سعيدي
جامعة المسيلة

ملخص:تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مساهمة الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات، مع تحليل وقياس حالة الاقتصاد الجزائري، وذلك من خلال استخدام معامل هيرفندال-هيرشمان في قياس التنويع الاقتصادي في الجزائر، كما تم استخدام أساليب القياس الاقتصادي الحديثة واختبارات التكامل المشترك للتقدير واختبار صحة العلاقة بين الإنفاق العام والتنويع الاقتصادي خلال الفترة (2000-2015).

توصلت الدراسة إلى وجود ضعف في مساهمة برامج الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي للدول المصدرة للمحروقات، وإلى أن العلاقة المقدرة في الاقتصاد الجزائري هي علاقة انحدار زائف.

الكلمات المفتاحية: التنويع الاقتصادي، الإنفاق العام، معامل هيرفندال-هيرشمان ، الدول المصدرة للمحروقات، التكامل المشترك.

Abstract: This study aims to analyze the contribution of public spending to achieve economic diversification in Oil-exporting countries, also the analyzing of Algerian economic situation by using the Herfindahl-Hirschman-Index, modern econometric methods, Joint integration tests, and testing the validity of the relationship between public spending and economic diversification during the period (2000-2015).

The results showed the weak contribution of public spending programs to achieve economic diversification for Oil-exporting countries, and the estimated relationship between Algerian public spending and economic diversification is spurious regression.

Key words: Economic Diversification - Public Spending - Herfindahl-Hirschman-Index - Oil-Exporting Countries - Joint Integration Tests.

تمهيد: يقوم قطاع المحروقات بدور محوري في نمو الاقتصاديات المصدرة للمحروقات، إذ تساهم عائدات التصدير بنسب عالية من إجمالي الصادرات وتصل إلى حدود 99% في بعض الدول، الأمر الذي يجعل أهم المتغيرات الاقتصادية فيها كرصيد ميزان المدفوعات ورصيد الميزانية العامة، ومعدلات النمو الاقتصادي تتأثر بعوائد صادرات المحروقات، والتي تتأثر هي الأخرى بعوامل خارجية تتعلق بأسعارها في الأسواق الدولية وفقا لظروف العرض والطلب. هذه الوضعية التي تتميز بعدم اليقين ومخاطر انخفاض الأسعار وأثرها على اقتصاديات تلك الدول حتمت عليها اتباع سياسات اقتصادية تهدف إلى تحقيق التنويع الاقتصادي والتخلص من الاعتماد الأساسي على قطاع المحروقات.

مشكلة الدراسة: تعتبر العلاقة بين السياسة المالية والنمو الاقتصادي من الموضوعات التي تحظى باهتمام واسع في الدراسات المالية والاقتصادية، وهذا لما تبرزه الأطر النظرية لأدواتها المتمثلة في الإنفاق العام، الإيرادات العامة والموازنة العامة من أثر على النمو الاقتصادي سواء في الأجل القصير أو الطويل. ونظرا لضعف القطاع الخاص من جهة، ولوفرة الموارد اللازمة لتطبيق السياسة المالية التوسعية عند ارتفاع أسعار المحروقات من جهة ثانية يلاحظ المتتبع لتطور برامج الإنفاق العام في غالبية الدول المصدرة للمحروقات توجه هذه البرامج إلى تحفيز النمو الاقتصادي والعمل على تنويع مصادره بعيدا عن الارتباط شبه الكامل بقطاع المحروقات.

شهدت الجزائر كغيرها من تلك الدول خلال الفترة (2000-2015) تبنى سياسة إنفاقية توسعية لتجسد برامج اقتصادية ضخمة، والتي تتمثل في برنامج الإنعاش الاقتصادي (2001-2004)، وبرنامج دعم النمو الاقتصادي (2005-2009)، والمخطط الخماسي للنمو (2010-2014)، وبداية تطبيق مخطط خماسي آخر ابتداء من سنة 2015م. والتي رصدت لها مبالغ مالية ضخمة فاقت 500 مليار دولار مخصصة للثلاث برامج الأولى وأكثر من 260 مليار دولار للبرنامج الخماسي الحالي إنجازه. ومن

هنا تظهر أهمية دراسة مساهمة الإنفاق العام في تحقيق التنويع للاقتصاديات المصدرة للمحروقات مع التركيز على قياس وتحليل حالة الاقتصاد الجزائري خلال الفترة (2000-2015).ومما سبق يمكن صياغة إشكالية الدراسة على النحو التالي:

ما مدى تأثير الإنفاق العام على التنويع الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة (2000-2015)؟

ومن أجل معالجة هذه الإشكالية تم طرح التساؤلات الفرعية التالية:

- ما شكل التنويع الاقتصادي المناسب لحالة اقتصاديات الدول المصدرة للمحروقات؟
- ما دور برنامج الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات؟
- ما طبيعة ارتباط التنويع الاقتصادي بتغيرات الإنفاق العام في الجزائر خلال الفترة (2000-2015)؟

فرضيات الدراسة: للإجابة على إشكالية الدراسة والوصول إلى الأهداف المرجوة توجب وضع الفرضيات التالية:

- حتمية التنويع الاقتصادي للدول المصدرة للمحروقات لا تتحقق بتنوع الصادرات فقط، بل بضرورة تحقيق التنويع الاقتصادي الشامل.
- دور الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات قائم على مدى مرونة الجهاز الإنتاجي وعلى توجيه الاستثمارات الصائب نحو الصناعات أو القطاعات القائدة للنمو التي تتميز بقدرة الدفع للأمام والخلف.
- عدم وجود علاقة طويلة الأجل لأثر الإنفاق العام على النمو الاقتصادي خلال الفترة (2000-2015).

خطة الدراسة: من أجل الإحاطة بالموضوع والوصول إلى النتائج تم تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور الخمسة التالية:

- المحور الأول: مدخل نظري تحليلي في مفهوم وحتمية تنويع اقتصاديات الدول المصدرة للمحروقات.
- المحور الثاني: علاقة الإنفاق العام بالنمو والتنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات.
- المحور الثالث: تحليل متغيرات الدراسة في الاقتصاد الجزائري.
- المحور الرابع: قياس أثر الإنفاق العام على تنوع الاقتصاد الجزائري.
- المحور الخامس: مناقشة وتحليل نتائج الدراسة القياسية.

المحور الأول: مدخل نظري تحليلي في مفهوم وحتمية تنويع اقتصاديات الدول المصدرة للمحروقات.

أولا: مفهوم وقياس التنويع الاقتصادي: لقد استحوذ مفهوم التنويع الاقتصادي على اهتمام صناع القرار بغرض تجنيب الاقتصاد صدمات تابعية الاعتماد على قطاع أو مورد اقتصادي واحد، وقد اختلفت الآراء حول مفهوم التنويع وأحسن المؤشرات لقياسه.

1. مفهوم التنويع الاقتصادي: للتنويع الاقتصادي تعاريف متعددة تختلف عن بعضها البعض باختلاف الرؤية التي ينظر من خلالها إلى هذه الظاهرة. فيربط البعض التنويع بالإنتاج ومصادر الدخل (تنوع الهيكل الإنتاجي)، فتنويع الإنتاج يقصد به: "تحويل الاقتصاد القومي من اقتصاد أولي إلى اقتصاد متنوع، ويكون للقطاعات الإنتاجية، وخاصة الصناعات الحديثة والخدمات الإنتاجية منه أوزانا نسبية متناسبة ومتوازنة"[1]. والبعض الآخر يربطه بهيكل الصادرات السلعية؛ حيث يرتبط التنويع بالسياسات الهادفة إلى تقليص الاعتماد على عدد محدود من السلع المصدرة التي يتقلب سعرها وحجمها، أو تخضع لانخفاض مزمن، بهدف التغلب على حالة عدم الاستقرار في التصدير وتفادي الأثر السلبي لمعدلات التبادل التجاري في المنتجات أو المواد الأولية"[2].

---

[1] نوري محمد عبيد الكصب، **التنوع الاقتصادي النرويجي في ظل تحديات الثروة النفطية (المرض الهولندي، ولعنة الموارد، وعدم اليقين)**، الطبعة الأولى، مصر، المكتب الجامعي الحديث، 2015، ص 22.

[2] Commission on Growth and Development, **Export Diversification and Economic Growth**, Working Paper No.21, USA, The World Bank, 2008, P.2.

وعموما يرتبط التنويع الاقتصادي بهيكل الاقتصاد القومي الذي يتكون بدوره من هياكل فرعية، هيكل القوى العاملة، هيكل التجارة (الصادرات والواردات)، وهيكل الإنتاج، وهذا يقودنا إلى تبني المعنى الواسع للتنويع الاقتصادي الذي يعني أنه: "على البلد أن ينتج للتصدير قائمة واسعة من السلع والخدمات"[1].

كما يتم التمييز بين نوعين مختلفين من التنويع حسب اتجاه كل منهما، فهناك التنويع الأفقي الذي يتوافق تحقيقه مع توليد منافع وفرص جديدة للسلع المنتجة في ذات القطاع المنتج، والتوزيع الرأسي الذي يستلزم إضافة مراحل إنتاجية إلى المدخلات المحلية أو المستوردة[2]. ويمكن الاستناد إلى المؤشرات والمقاييس الآتية لتقويم سياسات التنوع الاقتصادي وتقدمها:[3]

أ. معدل ودرجة التغير الهيكلي، كما تدل عليهما النسبة المئوية قطاع الموارد الطبيعية مقابل القطاعات الأخرى في الناتج المحلي الإجمالي، فضلا عن نمو و/أو تقليص إسهام هذه القطاعات مع الزمن، ومن المفيد أيضا قياس معدلات النمو الحقيقية للناتج المحلي الإجمالي حسب القطاع.

ب. درجة عدم استقرار الناتج المحلي الإجمالي، وعلاقتها بعدم استقرار سعر الموارد. ومن المفترض أن يحد التنويع أن يحد من عدم الاستقرار فيه هذا مع مرور الزمن.

ج. تطور إجمالي العمالة بمجملها حسب القطاع. ومن الواضح أن هذا المقياس ينبغي أن يعكس وأن يعزز تغيرات التكوين القطاعي للناتج المحلي الإجمالي.

د. نسبة الصادرات من غير الموارد الأولية إلى مجموع الصادرات، والعناصر المكونة للصادرات غير الموارد الأولية. وبصورة عامة يدل الارتفاع المضطرد للصادرات من غير الموارد الأولية على ازدياد التنويع الاقتصادي. على أن التغيرات القصيرة الأجل في هذا المقياس قد تكون مضللة، إذ يمكن أن تنجم عن تقلبات أسعار صادرات الموارد الأولية مثل النفط.

ه. مقاييس أخرى، مثل نسبة إيرادات الموارد الطبيعية إلى إجمالي الإيرادات، ونسبة مساهمة القطاع الخاص والعام إلى الناتج المحلي الإجمالي، وملكية الأصول بين القطاع الخاص والعام، ومقاييس الإنتاجية، ومقياس تنوع وجهة الصادرات.

2. **قياس درجة التنويع الاقتصادي:** لإجراء عمليات المقارنة فيما يخص مدى التنويع الاقتصادي سواء بين الدول المختلفة أو في نفس الدولة خلال فترات مختلفة، يمكن الاعتماد على مؤشرات تقيس مدى التنويع الاقتصادي وتعبر عن درجة التشابك للمتغيرات المدروسة (الناتج، الصادرات، الواردات، العمالة، ...إلخ). هناك مقاييس متعددة لحساب درجة التنويع الاقتصادي حسب المتغيرات المدروسة مثل مقياس هيرفندل- هيرشمان (Herfindahl-Hirschman)، ومقياس فلاديمير كوسوف (Vladimir- Kosov)، وأيضا مؤشر جيني. ويعتبر مقياس هيرفندال الأكثر استعمالا، حتى أن منظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) قامت باستخدام هذا المؤشر لمعرفة مدى التنوع في قطاع التصدير، ويمكن استعمال صيغته الموالية لقياس درجة التنويع لأي متغير:[4]

$$H.H=\frac{\sqrt{\sum_{i=1}^{n}(xi/x)^2}-\sqrt{1/N}}{1-\sqrt{1/N}}$$

[1] محمد سيدي شكوري، **وفرة الموارد الطبيعية والنمو الاقتصادي –دراسة حالة الاقتصاد الجزائري-**،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-، الجزائر، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية غير منشورة، 2012/2011، ص 63.

[2] ممدوح عوض الخطيب، **التنويع والنمو في الاقتصاد السعودي**، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر الأول حول لكليات إدارة الأعمال بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جامعة الملك سعود، السعودية، 16-17 فيفري 2014، ص 5.

[3] نوري محمد عبيد الكصب، مرجع سابق، ص 26.

[4] أحمد ضيف، **واقع التنويع الاقتصادي في الجزائر ودور القطاع الخاص في التنمية**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الوطني الثاني حول: التنمية البديلة لقطاع المحروقات في الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج-، الجزائر، 08/07 مارس 2016، ص 3.

حيث أن: H.H: مؤشر هيرفندال- هيرشمان: يأخذ القيمة (0) عندما يكون هناك تنوعا كاملا (كل النشاطات مساهمة في تنوع المتغير المدروس بنفس النسبة)، ويأخذ القيمة (1) عندما يكون مقدار التنوع صفرا، وهي الحالة التي تكون فيها المساهمة متمركزة في نشاط واحد فقط.

xi: قيمة المتغير في النشاط i.

x: قيمة المتغير في جميع النشاطات.

N: عدد الأنشطة المكونة للمتغير (عدد القطاعات التي يتكون منها التركيب الهيكلي المدروس).

ثانيا: حتمية التنويع في الاقتصاديات القائمة على صادرات المحروقات: يعتبر النفط المنتج الأول على الصعيد العالمي من حيث حجم الصادرات العالمية، وبلغت شحنات النفط الخام العالم 782,75 مليار دولار لسنة 2015م. وهذا الرقم يمثل انخفاضا بـ 50,3% في القيمة منذ سنة 2011م وانخفاض بـ 44,4% من سنة 2014م إلى سنة 2015م. وتحصل دول الشرق الأوسط على أعلى قيمة من صادرات النفط الخام خلال 2015م مع شحنات بقيمة 325 مليار دولار أمريكي أو 41,3% من صادرات النفط الخام العالمية. ويقارن هذا مع 18% لأوروبا، 9,9% لأمريكا الشمالية و 7,7% لأمريكا اللاتينية (باستثناء المكسيك) والمصدرين من البحر الكاريبي.[1] زيادة على تصدير النفط الخام تعمل العديد من الدول على تكرير إنتاجها وتصديره على شكل مشتقات بترولية كالبنزين والمازوت والكيروزين وغيرها من المنتجات، كما تدخل العديد من الدول المنتجة المصدرة للنفط الخام[2] مثل روسيا وكندا ونيجيريا والجزائر ودول أخرى ضمن قائمة مجموع الدول المنتجة والمصدرة للغاز.[3]

تعد أغلب الدول المنتجة والمصدرة للمحروقات ذات الاقتصاديات وحيدة الجانب (يمكن استثناء اندونيسيا وماليزيا حيث نجحتا في تنويع اقتصادياتها وكل من النرويج وكندا لأن اقتصادياتها كانت متنوعة قبل اكتشاف واستغلال النفط والغاز، وأيضا كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لكون إنتاجهما في بعض الأوقات لا يكفي حجم احتياجاتهما)، حيث تعتمد بشكل أساسي على موارد ريعية في تمويل ميزانية الدولة وتوفير مستلزماتها وتمويل التنمية، حالة كهذه جعلت تلك البلدان تدور في فلك التقلبات الحادة لأسعار النفط والغاز في الأسواق الدولية. وللخروج منها يعتبر تنويع الاقتصاد حتمية في ظل تعدد مخاطر الاعتماد على عائدات المحروقات، لذا تبرز لنا الأدبيات الاقتصادية المتعلقة بتنويع الاقتصاد حدود وقواعد وأهداف خاصة بحالة اقتصاديات صادرات المحروقات.

1. **حدود التنويع:** غالبا ما يتم حصر مفهوم التنويع فيما يلي[4]:

أ. يتم اعتباره كعلاج لتقليص أخطار التجارة الخارجية، ومن النادر اعتباره كأداة لرفع إيرادات الصادرات فالتفكير في التنويع ضمن إطار الموارد الناضبة يبقى مسألة مبدئية إلى يومنا هذا؛

ب. كثيرا ما يتم التركيز على نوع واحد من الأخطار الناجمة عن التقلبات في إيرادات الصادرات؛

---

[1] Daniel Workman, Crude Oil Exports by Country, **World's Top Exports,** (http://www.worldstopexports.com/worlds-top-oil-exports-country/), Reviewed on 11/2016.

[2] أهم عشرة دول منتجة ومصدرة للنفط الخام: المملكة العربية السعودية، روسيا، العراق، الإمارات العربية المتحدة، كندا، نيجيريا، الكويت، أنغولا، فنزويلا، كازخستان. للمزيد أنظر:

– TRADE MAP- International Trade Statistics, **Petroleum Oils and Oils Obtained From Bituminous Minerals Crude,** (http://www.trademap.org/tradestat/Country_SelProduct_TS.aspx) , Reviewed On 09/2016.

[3] أهم عشرة دول منتجة ومصدرة للغاز: قطر، روسيا، النرويج، أستراليا، ماليزيا، هولندا، الولايات المتحدة الأمريكية، أندونيسيا، الإمارات العربية المتحدة. للمزيد أنظر:

– TRADE MAP- International Trade Statistics, **Petroleum Gas and Other Gaseous Hydrocarbons**, (http://www.trademap.org/tradestat/Country_SelProduct_TS.aspx) , Reviewed On 11/2016.

[4] ناجي بن حسين، **التنمية المستدامة في الجزائر – حتمية الانتقال من الاقتصاد الريعي إلى تنويع الاقتصاد-**، الجزائر، مجلة الاقتصاد والمجتمع، العدد 5، جامعة عبد الحميد مهري -قسنطينة 2-، 2008، ص 25.

ج. يتم حصره في كثير من الأحيان في تنويع الصادرات وفي هذه الحالة فإنه لا يؤدي بالضرورة إلى زيادة الناتج الوطني الإجمالي ولا إلى زيادة الصادرات ولا أيضا إلى زيادة الإنتاج للسوق المحلي.

أما في حالة البلدان القائمة على اقتصاد صادرات المحروقات يجب أن يكون مفهوم التنويع شاملا، فتنويع الصادرات يصبح عاملا لتنويع هياكل الإنتاج وتحقيق التنمية الاقتصادية[1]؛ فلا يقتصر توسع الأنشطة الاقتصادية خارج قطاع المحروقات – حسب الأهداف التنموية التي يتم وضعها (لرفاهية أفراد المجتمع)- على توسيع الصادرات خارج المحروقات فحسب، بل يؤدي توسعها إلى حتمية زيادة وتكثيف إحلال الواردات فزيادة حجم المنتجات في باقي القطاعات الاقتصادية الوطنية يتطلب بدوره تحقيق بعض العوامل (الاستثمار في الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والبنية التحتية) لتحسين مستوى الإنتاجية.

2. **قواعد التنويع الأساسية:** إن التنويع كأي سياسة مطبقة يجب أن توفر له المستلزمات والشروط الموضوعية، فليس كافيا رفع شعار التنويع لتحقيقه، وإنما من أهم اشتراطاته توافر قواعد أساسية والتي يمكن اختصارها في قاعدتين أساسيتين:[2]

أ. **القاعدة الأولى:** تعتمد على الفوائض التي من خلالها يمكن تنويع الاقتصاد أو القطاع أو النشاط الاقتصادي. والسير في طريق التنويع الاقتصادي يتطلب اتفاق مجتمعي عام على كيفية التصرف بعوائد المحروقات وتحييد أثرها في تركيز التوجهات الريعية المتأصلة، وينطوي ذلك على ضرورة رسم سياسات واستراتيجيات وبرامج ذات بعد يخدم هدف التنويع الاقتصادي الشامل، تقوم على تطبيقها إدارة اقتصادية تحظى باتفاق عام من كافة فئات المجتمع.

ب. **القاعدة الثانية:** قاعدة الموارد، وتنصرف إلى مدى توفر الموارد المادية والبشرية والتقانية التي يمكنها تحقيق مستوى التنويع الفاعل والحقيقي، وزيادة أهمية الزراعة والصناعة التحويلية في القطاعات الإنتاجية والاقتصاد، وكذلك تطوير وتوسع الأنشطة الخدمة غير الحكومية؛ بحيث تخفيض الأهمية النسبية للاستخدام العام الذي ينظر إليه كوسيلة من وسائل الحصول على نصيب من ريع المحروقات.

3. **أهداف التنويع:** تكمن أهمية التنويع في تحقيق الأهداف التالية:[3]

أ. تطوير منتجات أخرى غير المحروقات، كعامل مولد للدخل، لمواجهة حالة توقف موارد المحروقات أو انخفاضها (موارد غير متجددة)؛

ب. الزيادة والحفاظ على القدرة التفاوضية للدولة في التجارة الخارجية؛

ج. زيادة أثر السحب على مستوى القطاعات الأخرى.

إن تحقق الأهداف السابقة يؤدي إلى تحقق جملة من الاعتبارات الاقتصادية؛ حيث تساعد على تقليل تقلبات النمو في الدول المصدرة للمحروقات، كما تساعد على إيجاد فرص العمل، خصوصا في ظل الارتفاع المتنامي لأعداد الوافدين إلى سوق العمل وعدم قدرة القطاع الحكومي وقطاع المحروقات على استيعاب حجم الطلب المحلي على العمل.

المحور الثاني: علاقة الإنفاق العام بالنمو والتنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات.

أولا: الإطار النظري لعلاقة الإنفاق العام بالنمو والتنويع الاقتصادي: يعرف الإنفاق العام على أنه:" قيمة السلع والخدمات المشتراة من قبل الدولة والمؤسسات الممثلة لها"[4]. ولأن حجم البرامج الإنفاقية المتزايد في الدول المصدرة

---

[1] المرجع نفسه، ص 26.

[2] عاطف لافي مرزوك، **التنويع الاقتصادي في بلدان الخليج العربي –مقاربة للقواعد والدلائل-**، العراق ،مجلة الاقتصاد الخليجي، العدد 24، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، 2013، ص 13.

[3] ناجي بن حسين، مرجع سابق، ص 26.

[4] Valentino Piana, **Public Expenditure**, Economics Web Institute, 2001, http://www.economicswebinstitute.org/glossary/pubexp.htm#significance ,Reviewed on 11/2016.

للمحروقات يهدف إلى تحقيق النمو وتنويع مصادره ما يتطلب التأكد من وجود إطار نظري لتخصيصها يضبط مدخلاتها ومخرجاتها ويحدد آثارها الاقتصادية. لذا يستعرض هذا الجزء المساهمات التحليلية الهامة للنظرية الكينزية فيما يتعلق بالدور الأساسي لحجم الطلب الكلي الفعال ومدى فعالية السياسة المالية وبالضبط فعالية الإنفاق العام في الدول النامية وخاصة تلك المصدرة للمحروقات منها. كما يستعرض أيضا أهم التحاليل المتعلقة بإستراتيجية النمو غير المتوازن التي تتناسب مع خصوصيات وطبيعة اقتصاديات تلك الدول وحتمية تنويعها خارج المحروقات.

1. **دور الإنفاق العام في النظرية الكينزية:** لقد أعاد كينز صياغة المعارف وبين أهمية التدخل الحكومي، بحيث تعمل سياسة الإنفاق العام في حفز الطلب الكلي وزيادة التشغيل والناتج. وقد قام الاقتصادي جون هيكس بإعادة صياغة الأفكار الكينزية واحتوائها في نموذج (IS-LM) سنة 1937م موضحا فيه آلية تأثير الإنفاق العام على النمو الاقتصادي، لكن هذا النموذج أعيب عليه افتراضه ثبوت المستوى العام للأسعار وهو ما يتنافى والواقع الاقتصادي، لذا تمت إعادة صياغته في نموذج جديد يسمح بتفسير تقلبات المستويات العامة للأسعار يعرف بنموذج العرض الكلي والطلب الكلي(AS-AD) [1]. ورغم أن تحليلات كينز لم ترق إلى وضع نموذج في مجال النمو الاقتصادي أين جاءت أفكاره في صورة سياسات وأدوات اقتصادية مرتكزة على آلية المضاعف، إلا أن تلك الأفكار اعتبرت ثورة فكرية رائدة في الفكر الاقتصادي ولا يزال العمل بها مستمر خاصة في أوقات الأزمات.

إن نجاح النظرية الكينزية في المجال التطبيقي لمدة طويلة يعود إلى انسجام سياستها مع طبيعة المشكلات التي نشئت عم أزمة الكساد الكبير وما ترافق معها من أوضاع اقتصادية، غير أنه رغم تمتع أغلب البلدان النامية بميل حدي للاستهلاك مرتفع بسبب تدني مستوى الإشباع والدخول، إلا أن آلية المضاعف لم تحقق زيادة مضاعفة في الدخل كما في الدول الصناعية، والسبب في ذلك يعود عدم توفر الشروط اللازمة التي تتوقف عليها فعالية المضاعف الكينزي والمتمثلة أساسا في "ضعف الطاقات الإنتاجية وعدم مرونتها"[2] مما يجعلها غير قادرة للاستجابة كرد فعل لأثر المضاعف؛ فتطبيق النموذج الكينزي من خلال التدخل والتوسع في سياسات التمويل بالعجز أقصى ما حققه هو تحفيز الطلب المحلي إلا أن هذا الطلب لم يجد سلعة محلية يمتصها بسبب ضعف القدرات الإنتاجية مما جعل هذه الدول النامية أمام خيارين هما:[3]

أ. إما اللجوء إلى الاستيراد من الخارج لسد الفجوة من العرض وهذا ينطبق على الدول ذات الموارد المالية العالية؛ كتلك الدول التي تعتمد على إنتاج وتصدير المواد الأولية مثل المحروقات؛

ب. وإما القبول بالضغوط التضخمية وتدهور القوة الشرائية والدخول الحقيقية للأفراد وفي أحيان كثيرة اللجوء إلى المديونية الخارجية، وهذا ما ينطبق على الدول ذات الموارد المالية المحدودة.

2. **دور الإنفاق العام في إطار إستراتيجية النمو غير المتوازن:** ساهم أ. هيرشمان (Albert Hirschman) في إبراز التحاليل المتعلقة بإستراتيجية النمو غير المتوازن التي تتناسب مع خصوصيات الدول النامية في مجال توجيه الاستثمارات. وتتلخص أهم تلك الأفكار وإمكانية استفادة منها في تحقيق تنويع الاقتصادي في:[4]

أ. **أفكار إستراتيجية النمو غير المتوازن:** تتلخص أفكار هذه الاستراتيجية في النقاط التالية:

– توجيه جزء معين من الاستثمارات كحد أدنى لقطاعات الإنتاج.

---

[1] محمد بوخاري، **الاقتصاد الكلي المعمق**، الجزء الأول، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014، ص 119.

[2] وليد عبد الحميد عايب، **الآثار الاقتصادية الكلية لسياسة الإنفاق الحكومي**، لبنان، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، ص 155.

[3] نوازد عبد الرحمان الهيتي، منجد عبد اللطيف الحنشالي: **المدخل الحديث في اقتصاديات المالية العامة**، الطبعة الأولى، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2006، ص 68.

[4] صالح صالحي، **تأثير البرامج الاستثمارية العامة على النمو الاقتصادي والاندماج القطاعي بين النظرية الكينزية واستراتيجية النمو غير المتوازن للفترة (2014/2001)**، الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 13، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة سطيف 1، 2013، ص-ص:8-10، بتصرف

– التركيز على عدد محدود من الصناعات القائدة:

✓ الصناعات التي لها آثار الدفع للأمام (استخدام مخرجاتها في إنشاء صناعات أخرى)؛

✓ الصناعات التي لها آثار دفع إلى الخلف (التي يؤدي استخدام مدخلاتها إلى تشجيع إنشاء الصناعات الأساسية مثل صناعة الحديد التي تؤدي إلى صناعة استخراجية الحديد).

– استهداف نمو غير متوازن يؤدي إلى سلسلة من الإختلالات التوازنية تكون محفزا للاستثمار وعاملا مساعدا على توفير الفرص المناسبة لاتخاذ قرارات الاستثمار.

ب. **حدود الاستفادة من استراتيجية النمو غير المتوازن:** رغم الأهمية التحليلية لهذه النظرية وإمكانية الاعتماد عليها في توجيه السياسات الإنفاقية بالدول المصدرة للمحروقات بغرض توجيه استثماراتها وتحقيق التنويع الاقتصادي بعيدا عن المحروقات إلا أنها تعرضت إلى العديد من الانتقادات منها:

– ارتكاز النظرية في تحليلها على واقع الدول الأوروبية سواء من حيث الاختلالات وبعض القطاعات القاعدة أو من حيث الإطار الذي تميز به النمو من حيث التلقائية ودور السوق، وبالتالي يصعب الوصول إلى نفس النتائج النسبة للدول الأخرى لاختلاف الظروف الزمنية والمكانية؛

– إن الوضعية الاختلالية التي تعيشها الاقتصاديات النامية تؤدي إلى المزيد من الاختلالات والاختناقات في حالة تطبيق إستراتيجية النمو غير المتوازن؛

– افتراضاتها غير الواقعية كوجود مرونة كافية في الجهاز الإنتاجي وتوفر درجة عالية من الميل للادخار الذي يتنافى مع الواقع الحالي للاقتصاديات النامية.

بالنظر للانتقادات الموجهة للتحليلات الكينزية واستراتيجية النمو غير المتوازن فإن نجاحها يتطلب تكييف لتلك النظريات مع واقع الاقتصاديات النامية وبالخصوص اقتصاديات المصدرة للمحروقات حتى تتم معالجة الطلب الكلي الكبير الذي ينجم عن تنفيذ برامج الإنفاق العام وربطها بخطط محددة ودقيقة تؤدي إلى توسيع الجهاز الإنتاجي الداخلي وتنويعه ليكون قادرا على تلبية الطلب المحلي المتزايد وتأمين مدخلات المشاريع المبرمجة.

ثانيا: برامج التنمية والتنويع الاقتصادي ودور الإنفاق العام في تمويلها (تجارب لبعض الدول): يعتمد نموذج النمو السائد في اقتصاديات صادرات المحروقات على مداخيل النفط التي يعاد توزيعها في الاقتصاد من خلال آلية الإنفاق العام. جزء من هذا الإنفاق استهلاكي متعلق بالأجور والرواتب في القطاع العام، وجزء آخر متعلق بإنفاق رأسمالي في مشاريع البنية التحتية وإنتاج السلع والخدمات العامة وبرامج التنمية الاقتصادية المختلفة. ومن بين أهم تلك الدول التي تعتمد على النفقات العامة في تمويل مخططات أو برامج التنمية والتنويع الاقتصادي هي الدول العربية المصدرة للمحروقات كالعراق والسعودية وقطر والجزائر إضافة إلى ليبيا ودول غير عربية أخرى كإيران وفنزويلا وغيرها، وهنا يمكن الإشارة لبعض البرامج في عدة دول نفطية عربية ولعل أهمها:

1. **برامج التنمية في العراق:** تكملة لأهداف الخطة الوطنية للفترة (2010-2014) تعتبر خطة التنمية الوطنية في العراق للفترة (2013-2017) مرحلة جديدة في مسيرة التخطيط التنموي وتعد الحلقة الأولى في منظومة مسار إستراتيجي للنهوض الاقتصادي والمجتمعي، يشكل فيه الدستور وبرنامج الحكومة التشغيلي والإستراتيجيات الوطنية للتنمية والأهداف التنموية للألفية إطارا مرجعيا سائدا. وتهدف هذه الخطة بعيدة المدى إلى بناء اقتصاد متنوع تقوده قطاعات الصناعة والطاقة والزراعة والسياحة كأقطاب تنموية بالاعتماد على الشراكة بين القطاع العام والخاص في ظل سياسات اقتصادية كلية متوازنة، ولتحقيق هذا الهدف للخطة بأبعادها الاجتماعية والبيئية يتطلب تأمين استثمارات بقيمة 417 ترليون دينار عراقي منها 329 ترليون دينار حجم الاستثمار الحكومي أي ما يعادل 282 مليار دولار، فيما تفترض الخطة أن يساهم القطاع

الخاص بما قيمته 88 ترليون دولار أي ما يعادل 21% من إجمالي الاستثمار المطلوب تنفيذها لتحقيق معدل نمو سنوي يعادل 13,31%[1].

2. **برامج التنمية في المملكة العربية السعودية:** تعتمد المملكة العربية السعودية منهج التخطيط للتنمية لرسم معالم مسيرتها التنموية وتحديد سياستها وبرامجها الاقتصادية والاجتماعية في إطار خطط خماسية شاملة. يمثل تنويع القاعدة الاقتصادية غير النفطية وتطويرها نحو زيادة إسهامات الأنشطة الإنتاجية والخدمات ذات القيمة المضافة العالية (القطاعات القائدة للنمو كالزراعة والصناعة والخدمات المالية)، وزيادة إسهاماتها في الصادرات تحديا رئيسيا فيها بدأ من الخطة الخماسية الرابعة (1985-1990)[2].

وقد شهدت المملكة العربية السعودية منذ سنة 1970م تسعة خطط خماسية، آخرها الخطة الخماسية التاسعة للفترة (2010-2014)، فيما تم حاليا إقرار والبدء في تنفيذ الخطة الخماسية العاشرة حيث الهدف الأساسي فيها تعميق التنوع الاقتصادي.وقد انطلقت المملكة في الخطة الخماسية العاشرة من واقع أن صادرات النفط تشكل 85% من إجمالي الصادرات المقدرة بـ: 277 مليار دولار أمريكي سنة 2014م، في حين بلغت قيمة الواردات الإجمالية 155 مليار دولار، كما انخفض الفائض التجاري بنسبة 23,7% مقارنة بسنة 2013م. ولتحقيق أهداف الخطة رصدت الحكومة ما يقدر بـ: 229,32 مليار دولار أمريكي كنفقات عامة مخصصة ضمن ميزانية سنة 2015م التوسعية لدعم النشاط الاقتصادي على الرغم من استمرار أسعار النفط المتدنية[3].

3. **برامج التنمية في الجزائر:** تعد التجربة الجزائرية من التجارب الهامة في مجال التخطيط حيث شهدت المرحلة الاشتراكية تنفيذ خمسة مخططات تنموية (1967-1989) وعلى اختلاف مع الفترة الحالية لأن تلك الخطط كانت تشمل القطاعات الإنتاجية وقطاع البنية الأساسية ورأس المال الاجتماعي، فإن البرامج العامة الجديدة الحالية خاصة بالاستثمارات غير الإنتاجية في مجال القاعدة الهيكلية والخدمات العامة.

وقد رصدت لآخر ثلاث برامج المتمثلة في برنامج دعم الإنعاش والبرنامجين الخماسيين مبالغ تتجاوز 350 مليار دولار تضاف لها المبالغ المخصصة للبرنامج التكميلي لفائدة ولايات الجنوب (377 مليار دينار) والبرنامج التكميلي لفائدة ولايات الهضاب (693 مليار دينار) والبرنامج التكميلي للقضاء على السكن غير الملائم (800 مليار دينار)، أي ما يعادل مجموع 25 مليار دولار للبرامج التكميلية، هذا إضافة إلى المبالغ المتبقية للبرنامجين والتي لا تقل عن 150 مليار دولار مما يرفع حجم الاستثمارات العامة إلى 500 مليار دولار خلال كامل الفترة (2001-2014)[4].

كما أنه في إطار مواصلة خطط التنمية الاقتصادية والعمل على تنويع الاقتصاد الجزائري لآفاق 2019م تم رصد مخطط خماسي آخر تصل قيمة مخصصاته الاستثمارية العامة إلى 262 مليار دولار، والذي يركز بشكل خاص على قطاعات الاقتصاد الأساسية كالصحة والتعليم والبنى التحتية والطاقة وإعادة توجيه الاستثمارات العمومية والخاصة نحو القطاعات الإنتاجية المتمثلة في الزراعة والصناعة، ما قد يساهم في تحقيق معدلات النمو الاقتصادي المستهدفة (7%) سنويا لآفاق سنة 2019م.[5]

المحور الثالث: تحليل متغيرات الدراسة في الاقتصاد الجزائري.

---

[1] وزارة التخطيط، **خطة التنمية الوطنية 2013-2017 (الخلاصة التنفيذية)**، العراق، مديرية المطبعة الجهاز المركزي للإحصاء، 2013، ص،ص: 3،11.

[2] عبد الله بن محمد الرزين، **التجربة السعودية الحديثة في مجال تنمية الاستثمار**، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8 ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005، ص3.

[3] بوابة جدة الاقتصادية، **السياسة المالية وميزان المدفوعات للملكة العربية السعودية**، المملكة العربية السعودية، غرفة جدة، 2015، ص 5.

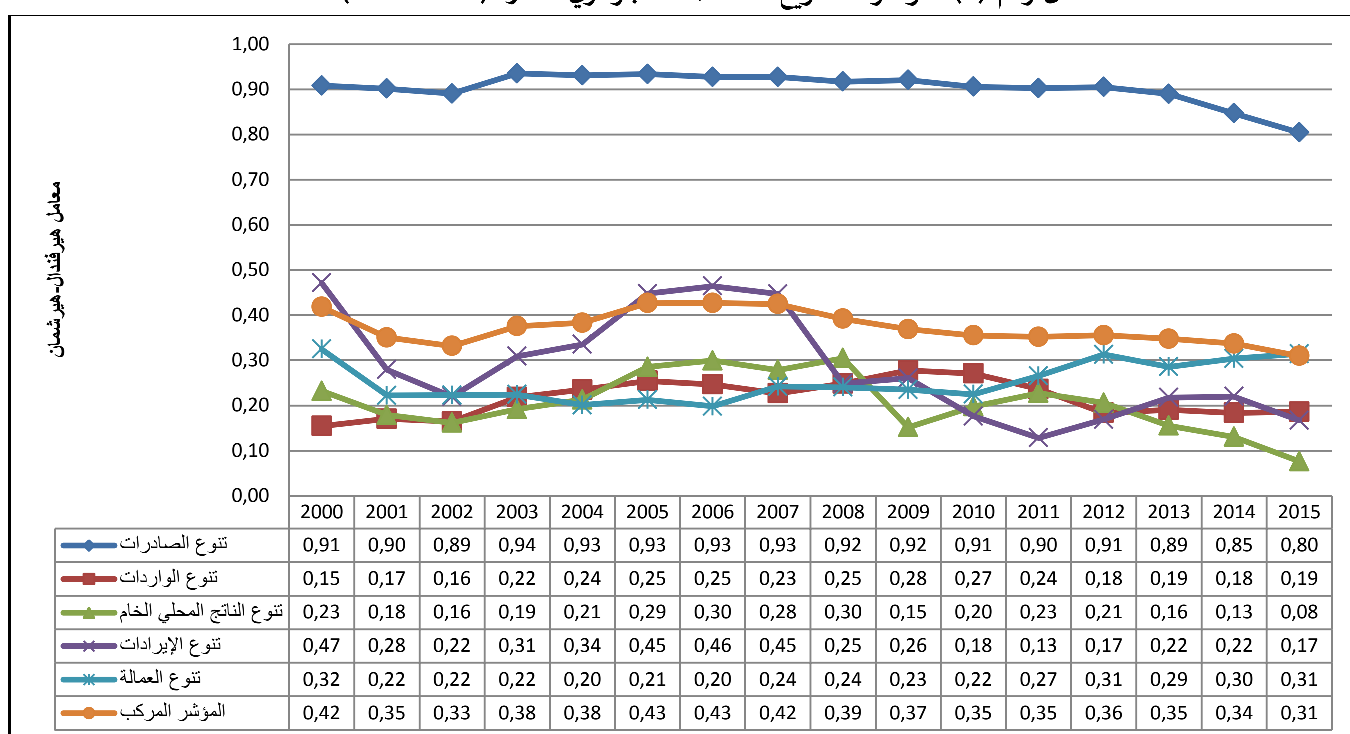
[4] صالح صالحي، مرجع سابق، ص 19.

[5] اللجنة الاقتصادية لأفريقيا، **الاقتصاد الأخضر في الجزائر –فرصة لتنويع الإنتاج الوطني وتحفيزه**، الأمم المتحدة، مكتب شمال أفريقيا، ص،ص: 2،1.

إن أول خطوة تسبق محاولة تقدير العلاقة بين المتغيرات الاقتصادية، تتمثل في تحديد المتغيرات التي يتضمنها انطلاقا من قاعدة النظرية الاقتصادية والمعلومات المتاحة عن المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة.

أولا: المتغير التابع: المتغيرات التابعة هي المتغيرات المراد تفسير سلوكها ومن خلال هذه الدراسة يكون المتغير التابع هو مؤشر تنوع الاقتصاد الجزائري، ولأن التنويع الاقتصادي بمفهومه الواسع لا يقتصر عل التنويع في مصادر الدخل، أو بنية الناتج المحلي الإجمالي، وإنما يتعداه إلى إحداث تنويع في بنية الصادرات وواردات الدولة والعمالة. تعتمد هذه الدراسة على اعتبار التنويع الاقتصادي ظاهرة متعددة الأبعاد وتقدير مؤشر إجمالي للتنويع الاقتصادي، يعتمد على أخذ المتوسط الحسابي لمعاملات هيرفندال-هيرشمان لخمسة متغيرات وهي: الناتج المحلي الخام، الصادرات، الواردات، الإيرادات الحكومية، العمالة. وللفترة الزمنية الممتدة من سنة 2000م إلى غاية 2015م كانت نتائج تقدير المعاملات الخمسة والمؤشر المركب في الجزائر وفقا للشكل الموالي:

الشكل رقم (1): مؤشرات تنويع الاقتصاد الجزائري للفترة (2000-2015).



	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
تنوع الصادرات	0,91	0,90	0,89	0,94	0,93	0,93	0,93	0,93	0,92	0,92	0,91	0,90	0,91	0,89	0,85	0,80
تنوع الواردات	0,15	0,17	0,16	0,22	0,24	0,25	0,25	0,23	0,25	0,28	0,27	0,24	0,18	0,19	0,18	0,19
تنوع الناتج المحلي الخام	0,23	0,18	0,16	0,19	0,21	0,29	0,30	0,28	0,30	0,15	0,20	0,23	0,21	0,16	0,13	0,08
تنوع الإيرادات	0,47	0,28	0,22	0,31	0,34	0,45	0,46	0,45	0,25	0,26	0,18	0,13	0,17	0,22	0,22	0,17
تنوع العمالة	0,32	0,22	0,22	0,22	0,20	0,21	0,20	0,24	0,24	0,23	0,22	0,27	0,31	0,29	0,30	0,31
المؤشر المركب	0,42	0,35	0,33	0,38	0,38	0,43	0,43	0,42	0,39	0,37	0,35	0,35	0,36	0,35	0,34	0,31

المصدر: من حساب وإعداد الباحثين بالاعتماد على إحصائيات الملاحق المرفقة (الملاحق 1،2،3،4،5).

يوضح الشكل السابق نتائج تقدير معامل هيرفندال للمتغيرات الخمس المستخدمة في بناء المؤشر المركب لتنوع الاقتصاد الجزائري، وقد لخصت بيانات الدراسة ونتائج التقدير إلى:

1. التنويع في النشاطات الإنتاجية (الناتج المحلي الخام): يعتمد تحليل تنويع الناتج المحلي الخام على توزيع هذا الناتج مقيما بالأسعار الجارية للدينار الجزائري ولثمانية قطاعات هي: الفلاحة، المحروقات، الأشغال العمومية البترولية، الصناعة خارج المحروقات، البناء والأشغال العمومية، النقل والاتصالات، التجارة، الخدمات، مضاف إليها قيمة الضرائب والرسوم الجمركية. وخلال الفترة (2000-2015)، تبرز نتائج تقدير معامل هيرفندال انخفاض درجة التنويع في النشاطات الإنتاجية منذ بداية سنة 2003م إلى غاية سنة 2008م، وهي الفترة المقابلة للطفرة النفطية الثالثة حيث ارتفعت قيمة المعامل من 0,19 إلى 0,30 لتعود إلى الانخفاض مباشرة مع سنة 2009م حيث قدر بـ 0,15، وهي السنة التي شهدت الأزمة المالية العالمية وانخفاض أسعار المحروقات، التي بدورها عادت إلى الارتفاع بسرعة وعاد معها ارتفاع معامل هيرفندال ليصل إلى 0,21. ومع الأزمة النفطية الأخيرة - حين انخفضت أسعار النفط إلى مستويات متدنية لم تشهدها خلال خمسة سنوات كاملة قبل سنة

2014م - انخفضت مساهمة قطاع المحروقات في الناتج المحلي الخام وانخفض معهما معامل التنويع إلى 0,08 سنة 2015م وهو أقل مستوى له في كامل الفترة. ما يبين أن تنوع القاعدة الإنتاجية يتأثر بحجم الناتج المسجل في قطاع المحروقات الذي يتأثر هو الآخر بأسعار النفط والغاز في الأسواق الدولية.

2. التنويع في الصادرات: يعتمد تحليل تنويع الصادرات على توزيع هذا الناتج مقيما بالأسعار الجارية للدولار الأمريكي لقطاعين اقتصاديين: صادرات قطاع المحروقات، والصادرات خارج المحروقات، وخلال الفترة (2000-2015)، تبرز نتائج تقدير معامل هيرفندال الانخفاض الشديد في درجة تنويع الصادرات لكامل الفترة، حيث تقترب قيمة معامل هيرفندال من الواحد الصحيح حيث تجاوزت قيمته 0,9 تقريبا في كل الفترة ما يبرز اعتماد الاقتصاد الجزائري شبه الكلي على صادرات المحروقات في تحقيق التوازن والاستقرار في الميزان التجاري.

3. **التنويع في الواردات:** للوصول إلى تقييم مدى تحقيق الاقتصاد الجزائري تنوعا في بنية الواردات، فقد تم الاعتماد على النسب المئوية لتوزيع الواردات حسب مجموعات السلع الرئيسية وهي: السلع الغذائية، الطاقة، المواد الأولية، المنتجات الخام، المنتجات نصف المصنعة، تجهيزات زراعية، تجهيزات صناعية، والسلع الاستهلاكية. ويلاحظ من خلال الشكل السابق وجود تنوع نسبي في بنية الواردات حيث تخفض عن معامل هيرفندال عن 0,2 في كامل الفترة ما عدا الفترة من سنة 2003م إلى سنة 2011م حيث تجاوزت قيمته 0,2 لتصل سنة 2009م إلى 0,28 كأعلى قيمة مسجلة خلال الفترة كاملة، حيث ترجع إلى التوسع في استيراد التجهيزات الصناعية التي فاقت 42% والمواد نصف المصنعة بنسبة تقريبا 26%. وهي التجهيزات والمنتجات اللازمة لتنفيذ برامج الاستثمارات العمومية المطبقة خلال الفترة (2001-2014).

4. **التنويع في الإيرادات العامة**: تقوم الإيرادات العامة بدور كبير في تنويع القاعدة الاقتصادية في كافة الدول المصدرة للمحروقات بصفة أساسية، حيث ترتبط الإيرادات العامة فيها مباشرة بإيرادات قطاع المحروقات، وبالتالي فإن التنويع الاقتصادي لابد من أن يتوافق مع ازدياد نسبة الإيرادات العامة العادية إلى مجموع الإيرادات العامة. لذلك اعتمد في تحليل تنويع الإيرادات العامة على توزيعها مقيمة الأسعار الجارية للدينار الجزائري وفق: إيرادات الجباية البترولية، إيرادات الجباية العادية، إيرادات غير جبائية. وخلال الفترة (2000-2015) تبرز نتائج تقدير معامل هيرفندال الانخفاض في درجة تنويع الإيرادات في سنة 2000م حيث قاربت قيمة المعامل 0,5، ثم سجلت انخفاضين متتاليين سنتي 2001م و2002م لتبلغ قيمة معامل تنويع الإيرادات 0,22 نتيجة لانخفاض قيمة الجباية البترولية لانخفاض صادرات المحروقات التي قدرت بـ 18,11 مليار دولار فقط، ومع عودة ارتفاع قيمة صادرات المحروقات بارتفاع الأسعار سنة 2003م ارتفعت مجددا قيمة معامل التنويع إلى ما كانت عليه سنة 2000م، ما يعني أن معظم الإيرادات العامة كانت مكونة من الجباية البترولية وذلك حتى سنة 2008م أين عاد مؤشر تنويع الإيرادات إلى الانخفاض المتتالي من سنة إلى أخرى حتى نهاية الفترة 2015م أين نزلت قيمة المعامل إلى 0,17.

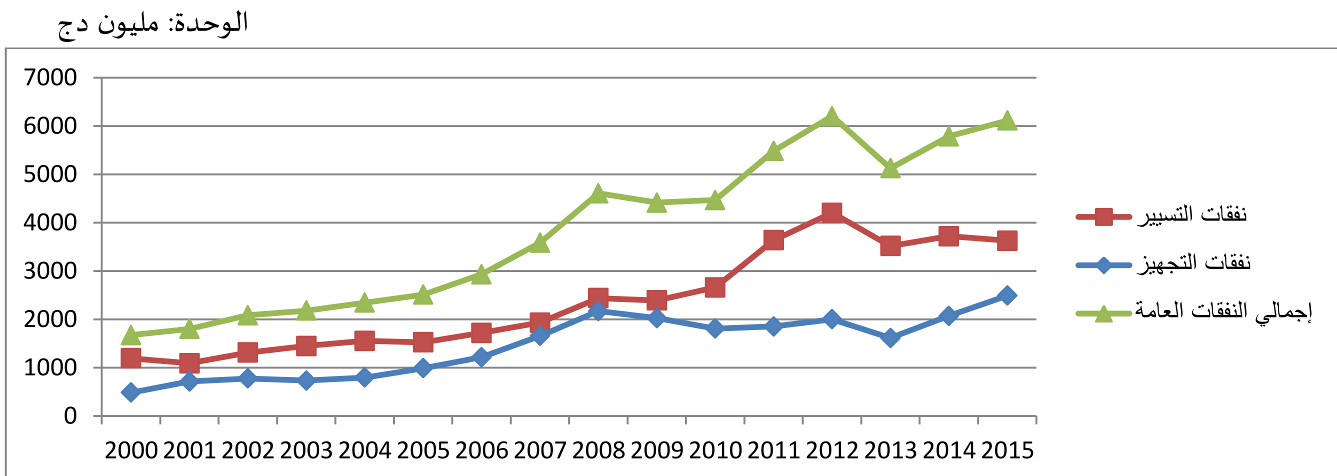
5. **التنويع في العمالة:** لتحليل تطور تنوع العمالة تم اعتماد توزيع مجموع العاملين في الاقتصاد الجزائري على القطاعات الإنتاجية الرئيسية التالية: الفلاحة، الصناعة، البناء والأشغال العمومية، التجارة والخدمات. ويلاحظ من خلال الشكل السابق انخفاض درجة التنوع نسبيا في العمالة لغلبة عمالة قطاع التجارة والخدمات على مجموع القوى العاملة وقد سجلت قيمة معامل هيرفندال لتنوع العمالة قيمة 0,32 سنة 2000م لتنخفض إلى 0,22 مع سنة 2001م نتيجة لتوجه العمالة أكثر نحو القطاع الزراعي مع بدأ تنفيذ مشاريع برنامج التنمية الفلاحية والتنمية الريفية سنة 2000م. واستمر ذلك الانخفاض ولكن بداية من سنة 2007م نتيجة لتحول اتجاه العمالة هذه المرة نحو النمو بنسبة أكبر في قطاع البناء والأشغال العمومية مع انطلاق العديد من المشاريع الضخمة لتنمية البنية التحتية كمشروع الطريق السيار شرق-غرب سنة 2006م. ومع سنة 2011م عاد الاتجاه إلى تطور العمالة نحو قطاع التجارة والخدمات وارتفعت قيمة معامل التنوع إلى أكثر من 0,3 ما يعني انخفاضا في تنوع توزيع العمالة على القطاعات الإنتاجية المختلفة.

6. **تنوع الاقتصاد الجزائري (المؤشر المركب لتنوع الاقتصاد الجزائري):** يظهر المؤشر المركب أن الاقتصاد الجزائري مازال بعيدا عن مستوى التنويع المستهدف؛ حيث أن قيمة معامل هيرفندال المتوسطة تراوحت لكامل الفترة بين 0,31 و 0,42 وهي بذلك بعيدة عن الاقتراب من قيمة الصفر التي تعني تنوعا اقتصاديا كاملا. والملاحظ أيضا وجود اتجاه واضح لانخفاض متتالي في قيمة المعامل ابتداء من سنة 2007م إلى غاية سنة 2015م، وهو نفس ما لوحظ من خلال الرسم البياني لتنوع الإيرادات ما يشير إلى التوجه لتنويع الاقتصاد من خلال توسيع وعاء الجباية العادية والعمل على زيادة مواردها حيث أن السنوات الأخيرة شهدت معدلات نمو ضخمة لها حتى فاقت في قيمتها الجباية البترولية. وهو ما يجب العمل عليه وتدعيمه مستقبلا بجملة من السياسات الاقتصادية الكلية المساعدة على تنوع باقي المتغيرات.

ثانيا: المتغير المستقل: المتغير المستقل هو المتغير الذي يعبر عن القيم المسببة في الظاهرة، ومن خلال هذه الدراسة يكون المتغير المستقل هو الإنفاق العام ممثلا بالإنفاق العام على التسيير والتجهيز. وللحصول على النفقات العامة بالأسعار الثابتة نقسم قيمها بالأسعار الجارية على الأسعار القياسية للسلع الاستهلاكية. وقد تطور الإنفاق العام في الجزائر كما هو مبين في الشكل الموالي:

الشكل رقم (2): تطور الإنفاق العام الإجمالي وأقسامه بالأسعار الثابتة لسنة 2010م في الجزائر خلال الفترة (2000-2015).

الوحدة: مليون دج



المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على إحصائيات جدول الملاحق رقم (6).

إن تتبع منحنى تطور النفقات العامة خلال فترة الدراسة يظهر تحقق ظاهرة تزايد النفقات العامة، وأول من لفت الانتباه إلى هذه الظاهرة هو الاقتصادي الألماني "فاجنر" وانتهى إلى وجود اتجاه عام نحو زيادة النشاط المالي للدولة مع التطور الاقتصادي الذي يحدث بها (قانون فاجنر)؛ حيث أن ما يميز حجم الإنفاق العام بالجزائر وجود اتجاه عام للتزايد من سنة لأخرى، ما عدا سنتي 2009م و 2013م وهي الفترات التي تراجعت فيها أسعار المحروقات. أما بالنسبة لأقسام الإنفاق العام فيلاحظ أنه تم التركيز عل نفقات التجهيز من سنة 2000م إلى غاية سنة 2008م حتى تساوت تقريبا مع نفقات التسيير، وهو الأمر المتوقع نتيجة لضخامة برامج التنمية الاقتصادية في تلك الفترة واحتياجات التجهيز المترتبة عنها. ومع بداية من نهاية سنة 2010م وخلال سنة 2011م عادت نفقات التسيير إلى الزيادة بشكل كبير وملحوظ لتبتعد عن قيم نفقات التجهيز.

المحور الرابع: قياس أثر الإنفاق العام على التنويع الاقتصادي في الجزائر.

بما أن نموذج الدراسة يحتوي على متغيرين اثنين فقط تم الاعتماد على مفاهيم نماذج التكامل المشترك لأنجل – جرانجر (Engel et Granger 1987) في بناء وتقدير العلاقة بين المتغيرين. فتحليل التكامل المتزامن يقوم بتحديد العلاقة الحقيقية

بين المتغيرات في المدى الطويل على عكس نماذج الإحصائية التقليدية، ومفهومه يقوم على أنه في المدى القصير قد تكون السلستين الزمنيتين X_t و Y_t غير مستقرتين لكنها تتكامل في المدى الطويل أي توجد علاقة ثابتة في المدى الطويل بينهما.

أولا: اختبار استقرارية السلستين HHM وDP: يهدف اختبار الاستقرارية إلى فحص خواص السلاسل الزمنية لكل من التنوع الاقتصادي HHM والإنفاق الاستثماري DP في الجزائر خلال الفترة (2000-2015)، والتأكد من سكونهما، وتحديد رتبة التكامل لكل متغير على حدا. ومن خلال ملاحظة الشكلين رقم 1 و رقم 2 يتراءى لنا أن السلسلتان غير مستقرتان في المستوى، ولتأكيد ذلك أو نفيه يتطلب الأمر استخدام اختبارات جذر الوحدة (Unit Root Tests)، ولتعدد أشكال هذه الاختبارات نعتمد على اختبار: فيليب بيرون (Phillips-Perron) وهذا لاختبار فرضية العدم القائلة بوجود جذر الوحدة (أي عدم استقرارية السلسة الزمنية).

الجدول رقم (1): اختبار استقرارية السلاسل الزمنية للمتغيرات المدروسة.

المتغيرات	الفرق	المعادلة	PP		
			القيمة المحسوبة	الاحتمال عند 5%	القيمة الحرجة
HHM	المستوى	الثابت والقاطع	-1,75	0,67	-3,75
		الثابت	-1,56	0,47	-3,08
		بدون ثابت وقاطع	-1,03	0,25	-1,96
	الفرق الأول	ثابت والقاطع	-3,95	0,038	-3,79
		الثابت	-3,37	0,031	-3,09
		بدون ثابت وقاطع	-3,49	0,0019	-1,96
DP	المستوى	الثابت والقاطع	-2,76	0,22	-3,75
		الثابت	-0,012	0,94	-3,08
		بدون ثابت وقاطع	3,07	0,99	-1,96
	الفرق الأول	ثابت والقاطع	-7,27	0,0003	-3,79
		الثابت	-7,78	0,00	-3,09
		بدون ثابت وقاطع	-3,25	0,0033	-1,96

المصدر: من إعداد الباحثين اعتمادا على مخرجات برنامج Eviews8.

يعتمد اختبار فيليب-بيرون PP على تقدير نفس نماذج ديكي فوللر المعروفة وفقا للمعادلات الثلاث التالية:[1]

$$\Delta y_t = \gamma y_{t-1} + \sum_{i=1}^{p} \beta_i \Delta y_{t-1} + u_t$$

$$\Delta y_t = \alpha_0 + \gamma y_{t-1} + \sum_{i=1}^{p} \beta_i \Delta y_{t-1} + u_t$$

$$\Delta y_t = \alpha_0 + a_2 t + \gamma y_{t-1} + \sum_{i=1}^{p} \beta_i \Delta y_{t-1} + u_t$$

الاختلاف بين الثلاث معادلات هو وجود القاطع والثابت. أما اختبار فيليب بيرون فيختلف عن اختبار ديكي فوللر في أنه يأخذ بعين الاعتبار الأخطاء ذات التباين غير المتجانس (Heteroscedastic Errors)، وذلك عن طريق عملية تصحيح لا معلمية لإحصاءات ديكي فوللر[1]، وفي حالة الاختلاف في نتائج الاختبارين من الأفضل الاعتماد على نتائج اختبار فيليب بيرون.

[1] Régis Bourbonnais, **Exercices Pédagogiques D'économétrie**, 2e Edition, France, Economica, 2012, P164

يبين الجدول السابق النتائج الاحصائية التي تم الحصول عليها من جراء تطبيق اختبار فيليب-بيرون عند المستوى وعند الفرق الأول بالنسبة لكلا السلسلتين (المؤشر المركب لتنويع الاقتصاد والإنفاق العام في الجزائر)، وذلك عند مستوى معنوية 5 %. ومن خلال نتائج الاختبار اتضح أن السلسلتين غير مستقرتين في المستوى وتحتويان على جذر وحدوي لذا نقبل فرضية العدم القائلة بوجود جذر وحدة، باعتبار أن القيم المحسوبة أقل تماما من القيم الحرجة، وما يعزز هذه النتيجة هو قيم الاحتمال الحرج الأكبر من 5%. ولذلك تم تطبيق نفس الاختبار على السابق عند الفروق من الدرجة الأولى للسلسلتين المعنيتين، حيث أشارت النتائج إلى أنهما مستقرتان وبذلك نرفض فرضية العدم القائلة بوجود جذر وحدة، باعتبار أن القيم المحسوبة أكبر تماما من القيم الحرجة، وأن قيم الاحتمال أقل من 5%، أي أن HHM و DP متكاملتان من الدرجة الأولى I(1). وذلك يعني أن هناك احتمالا بوجود تكامل مشترك بين الإنفاق العام والتنويع الاقتصادي في الجزائر وللتحقق من ذلك نستعمل كلا من طريقة أنجل-جرانجر وطريقة جوهانسن للتكامل المشترك.

ثانيا: اختبارات التكامل المشترك: يشير كل من أنجل وجرانجر إلى إمكانية توليد مزيج خطي يتصف بالسكون من السلاسل الزمنية غير الساكنة. وإذا أمكن توليد هذا المزيج الخطي الساكن، فإن السلاسل الزمنية غير الساكنة في هذه الحالة تعتبر متكاملة من نفس الرتبة، ويمكن استعمالها في حالتها الأصلية (في المستوى) وتقدير الانحدار في هذه الحالة لا يكون زائفا، وتوصف بالعلاقة التوازنية في المدى البعيد[2]. أما تكوين المزيج الخطي من نموذج الدراسة فهو كالآتي:

$$\varepsilon_t = HHM_t - \alpha - \beta . DPE_t$$

لذا يجب التحقق فيما إذا كان المزيج الخطي الناتج عن تقدير النموذج متكامل من الدرجة صفر I(0)، وبعبارة أخرى التأكد من أن سلسلة البواقي لنموذج الانحدار المقدر تكون مستقرة في المستوى.

تتطلب هذه الطريقة المرور بخطوتين؛ الأولى تقدير العلاقة المعنية بطريقة المربعات الصغرى العادية حيث نحصل على معادلة التكامل المشترك، ثم نحصل على بواقي الانحدار المقدرة التي تمثل المزيج الخطي المتولد من العلاقة التوازنية طويلة المدى. أما الخطوة الثانية فهي اختبار مدى سكون البواقي المتحصل عليها من الخطوة الأولى.

1. **نتائج تقدير معادلة التكامل المشترك:** يبين الجدول الموالي أن تطبيق طريقة المربعات الصغرى الاعتيادية وإجراء الانحدار بين التنويع الاقتصادي والإنفاق العام يعطي العلاقة المقدرة التالية:

الجدول رقم (2): تقدير العلاقة بين الإنفاق العام والتنويع الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة 2000-2015.

Dependent Variable: HHM
Method: Least Squares
Date: 11/29/16 Time: 14:01
Sample: 2000 2015
Included observations: 16

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
DP	-1.14E-05	5.19E-06	-2.201914	0.0449
C	0.415907	0.021508	19.33775	0.0000

R-squared	0.257232	Mean dependent var	0.372116
Adjusted R-squared	0.204177	S.D. dependent var	0.036717
S.E. of regression	0.032755	Akaike info criterion	-3.883051
	0.015021	Schwarz criterion	-3.786477
Log likelihood	33.06441	Hannan-Quinn criter.	-3.878105
F-statistic	4.848424	Durbin-Watson stat	0.751658
Prob(F-statistic)	0.044939		

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews 8.

[1] Ipid, P166.

[2] للمزيد أنظر: عبد اللطيف عبد الرزاق كنعان، أنسام خالد حسن الجبوري، **دراسة مقارنة في طرائق تقدير انحدار التكامل المشترك مع تطبيق علمي**، العراق، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد 33، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، 2012.

ويمكن كتابة العلاقة المقدرة في الجدول السابق على النحو التالي:

$$\widehat{HHM} = -1.14e-05 * \widehat{DP} + 0.415$$

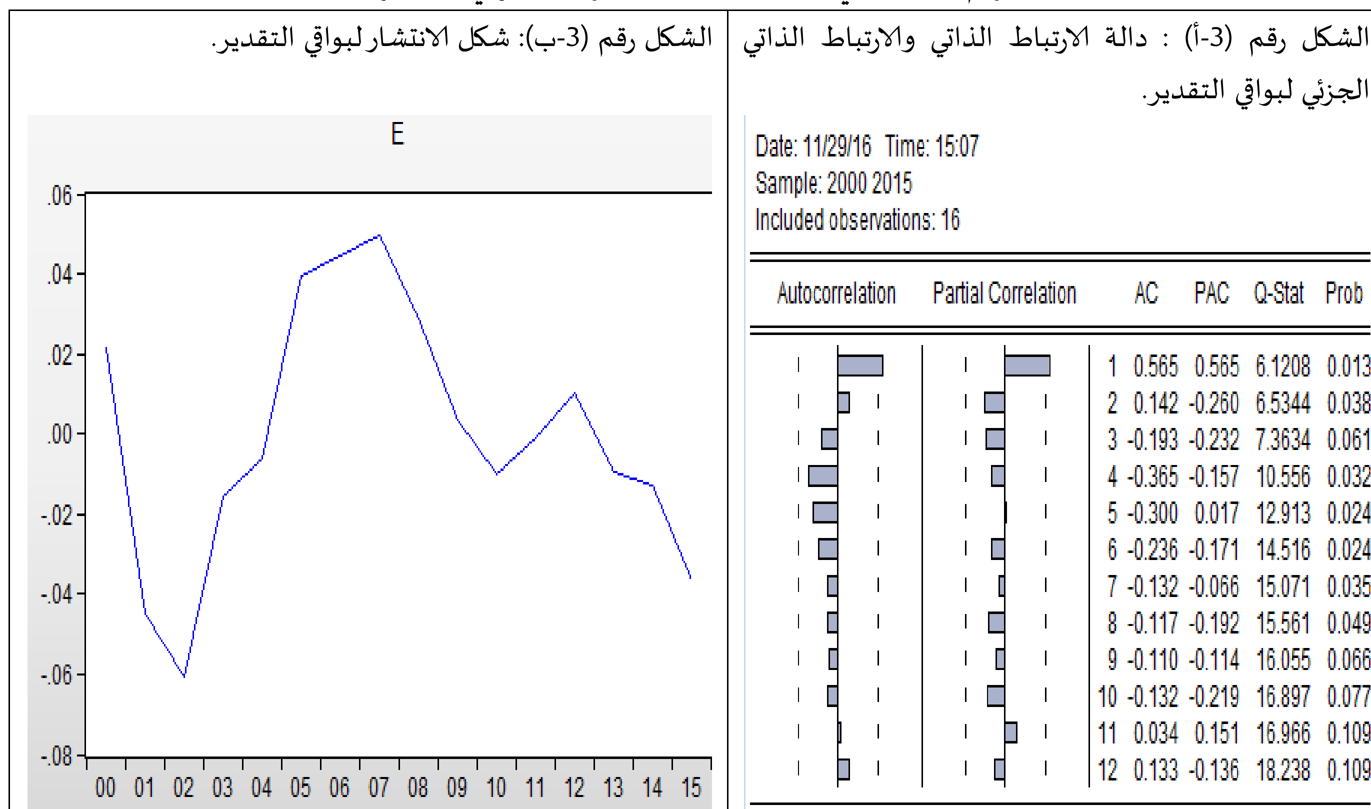
ويظهر من جدول السابق أن النموذج ككل معنوي إحصائيا من خلال معنوية إحصائية فيشر F (0,044) وأيضا من خلال معنوية المعنوية الإحصائية لـ t ستيودنت الخاصة بالمعلمتين المقدرين (الثابت ومعلمة متغير الإنفاق)، كما أن إشارة معلمة متغير الإنفاق سالبة وهي تتوافق مع التقديرات السابقة؛ حيث أنه من المفترض أن زيادة حجم الإنفاق العام ستؤدي إلى زيادة التنوع الاقتصادي؛ بمعنى آخر فإن زيادة حجم الإنفاق العام سيؤدي إلى التخفيض من قيمة المؤشر المركب للتنويع الاقتصادي في الجزائر. كما تظهر المعادلة أن حجم التأثير ضعيف فقيمة معامل التحديد هي 0,25، أما معامل الارتباط بين المتغيرين فهو في حدود 0,5 وهو ارتباط متوسط.

إن الأخذ بصحة العلاقة المقدرة السابقة لا يكون صحيحا إذا ما كنت البواقي المترتبة عنها غير ساكنة في المستوى. لذا يجب التأكد من استقرارية البواقي المقدرة للحكم على صحة العلاقة المقدرة السابقة أو على أنها مضللة ولا يمكن الركون إليها.

2. **دراسة استقرارية سلسلة بواقي التقدير:** للحكم على استقرارية سلسلة البواقي بعد تقديرها تم الاعتماد على فحص سلسلة البواقي، وكذلك بالاعتماد على معاملات الارتباط الذاتي للبواقي، وأيضا من خلال استخدام اختبار فيليب بيرون من أجل تعزيز النتائج المتوصل إليها.

أ. **نتائج فحص شكل الانتشار ومعاملات الارتباط الذاتي لبواقي التقدير:** لهذا الغرض قمنا برسم بياني لقيم بواقي التقدير، وكذلك تقدير دالة الارتباط الذاتي والجزئية لسلسلة البواقي، والتي ظهرت على الشكل التالي:

الشكل رقم (3) : شكلي الانتشار ومعاملات الارتباط لبواقي التقدير.



	AC	PAC	Q-Stat	Prob
1	0.565	0.565	6.1208	0.013
2	0.142	-0.260	6.5344	0.038
3	-0.193	-0.232	7.3634	0.061
4	-0.365	-0.157	10.556	0.032
5	-0.300	0.017	12.913	0.024
6	-0.236	-0.171	14.516	0.024
7	-0.132	-0.066	15.071	0.035
8	-0.117	-0.192	15.561	0.049
9	-0.110	-0.114	16.055	0.066
10	-0.132	-0.219	16.897	0.077
11	0.034	0.151	16.966	0.109
12	0.133	-0.136	18.238	0.109

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews 8.

يظهر الشكل الخاص بشكل الانتشار للبواقي المقدرة أن سلسلة البواقي معادلة انحدار التكامل المشترك غير مستقرة. ذلك أن السلسلة الزمنية تكون مستقرة إذا تذبذبت حول وسط حسابي ثابت، مع تباين ليس علاقة له بالزمن[1]. وهو أيضا ما يمكن استنتاجه من خلال فحص معاملات الارتباط الذاتي لبواقي التقدير، حيث تكون سلسلة البواقي مستقرة إذا "كانت معاملات دالة ارتباطها P_k معنويا لا تختلف عن الصفر من أجل $k > 0$"، حيث يتبن من دالة الارتباط الذاتي لسلسلة البواقي أنها لا تمثل سيرورة ذات تشويش أبيض، كما أن المعاملات المحسوبة من أجل الفجوة k كالتي تساوي: 1 و 2 و 5 معنويا تختلف عن الصفر، ولتدعيم ذلك نقوم باختبار فيليب بيرون لاختبار استقرارية البواقي.

ب. **اختبار فيليب بيرون لاستقرارية البواقي:** أكدت نتائج اختبار فيليب بيرون على بواقي التقدير، النتائج السابقة، حيث أن نتائج الاختبار موضحة في الجدول الموالي:

الجدول رقم (3): نتائج اختبار فيليب بيرون لاستقرارية بواقي التقدير.

المتغيرات	الفرق	المعادلة	PP		
			القيمة المحسوبة	الاحتمال عند 5%	القيمة الحرجة
E	المستوى	الثابت والقاطع	-1,80	0,65	-3,75
		الثابت	-1,87	0,33	-3,08
		بدون ثابت وقاطع	-1,94	0.052	-1,96

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على مخرجات برنامج Eviews 8

ومن خلال نتائج الاختبار اتضح مثلما هو متوقع أن سلسلة البواقي غير مستقرة في المستوى وتحتوي على جذر وحدوي لذا نقبل فرضية العدم القائلة بوجود جذر وحدة، باعتبار أن القيم المحسوبة أقل تماما من القيم الحرجة، وما يعزز هذه النتيجة هو قيم الاحتمال الحرج الأكبر من 5%. وهذا يعني أنه لا توجد علاقة توازنية طويلة الأجل بين التنويع الاقتصادي والنفقات العامة، طالما أن هذا الاختبار لم يتحقق لا يمكن المرور إلى نموذج تصحيح الخطأ الذي يهتم بالعلاقات التوازنية القصيرة الأجل. وبالتالي فبرامج الإنفاق العام في الجزائر على الرغم من استهدافها خلق اقتصاد وطني متنوع بعيدا عن الاعتماد شبه الكلي على ريع المحروقات، تأكد النتائج القياسية على أن آثارها ونتائجها المحققة في الواقع بعيدة عن ما هو مأمول.

المحور الخامس: مناقشة وتحليل نتائج الدراسة القياسية. تطرح مسألة ضخامة برامج التنمية وبرامج الإنفاق العام وعدم نجاحها في خلق اقتصاد وطني متنوع بعيدا عن قطاع المحروقات مسألة في غاية الأهمية حول الأسباب الحقيقية لعدم تحقيق كل تلك البرامج لواحد من أهم أهدافها، وكمحاولة لمعرفة تلك الأسباب يجب الرجوع إلى تحليل المتغير المفسر المتمثل في الإنفاق العام ومحاولة تحديد جملة المعوقات التي تحد من فعاليته في الاقتصاد الجزائري وهي المعوقات المرتبطة بمصادر تمويله وبحجمه وتوزيعه وضوابط صرفه وترشيده.

أولا: الاعتماد على إيرادات النفط في تمويل الإنفاق العام: تعتمد الجزائر بوضح سياسة الكل بترول في اقتصادها، حيث تتوقف كل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية وسياسات التنمية على عائدات النفط، فزيادة المداخيل من النفط تؤدي إلى زيادة الإنفاق بنوعيه الاستهلاكي والاستثماري، تلك الزيادة تأثر على جانب الطلب الكلي وبالضبط على جانب الواردات، ما يحتم التوجه نحو زيادة الإنتاج والصادرات بهدف زيادة المداخيل، وهكذا في حلقة مفرغة تؤدي إلى ما يمكن تسميته بالإدمان النفطي[2].

---

[1] Melard Guy, **Méthodes de Prévision a Court Terme**, Belgique, 1990, P282.

[2] أحمد سلامي، محمد شيخي، **اختبار العلاقة السببية والتكامل المشترك بين الادخار والاستثمار في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة (1970-2011)** ، الجزائر، مجلة الباحث، العدد 13، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة ، 2013، ص 131.

ثانيا: حجم الإنفاق العام في الاقتصاد الجزائري: يظهر الجدل القائم في أن الإنفاق العام في علاقته بالناتج المحلي الإجمالي، ليس كمية مهملة ولا كمية مفرطة، وعلى الصعيد العملي التطبيقي في تقدير الحجم الأمثل للإنفاق العام تشير أغلب الدراسات بهذا الصدد إلى أن الحجم الأمثل للقطاع العام المحفز للإنتاجية يتراوح بين 15-30%[1].

وقد قدر متوسط نسبة الإنفاق العام إلى الناتج المحلي الخام في الجزائر خلال الفترة (2000-2015) ما قيمته 40% (قيمة مرتفعة) تخصص ما بين نفقات التسيير ونفقات الاستثمار، هذه الأخيرة تساهم نظريا في توسيع القاعدة الإنتاجية للاقتصاد، ومن ثم في تنويع مصادر الدخل والصادرات. غير أنها تبقى مقيدة عمليا بضعف الطاقة الإنتاجية المحلية وضعف الطاقة الاستيعابية التي تعتمد على الموارد المكملة (مثل عرض العمالة الماهرة وحجم السوق المحلي) مما يضطر الحكومة إلى تقييد حجم الاستثمار العمومي والتوسع في الإنفاق الاستهلاكي[2].

ثالثا: توزيع الإنفاق العام على مختلف القطاعات الاقتصادية: شكلت نفقات التسيير ما نسبته 62% من إجمالي الإنفاق الحكومي كمتوسط للفترة (2000-2015) مقابل نسبة 38% للإنفاق الاستثماري. ويوزع نفقات التسيير على ستة أبواب رئيسية، حيث يأتي في المرتبة الأولى الرواتب والأجور والتحويلات الجارية بحصة تقارب 33% لكل منهما، يليها في ذلك خدمات الإدارة العامة بـ 13% ثم مدفوعات الدين العام بـ 10%، المعدات والأدوات بـ 6% ومنح المجاهدين بـ 5%[3]. ويتضح جليا من ذلك الأهمية النسبية لكل من الرواتب والأجور والتحويلات الجارية في الإنفاق العام على التسيير، وهذا يعني نظريا أن زيادة هذا النوع من النفقات سيؤدي إلى زيادة الطلب الكلي الذي يساهم في تحريك العجلة الاقتصادية وزيادة الناتج المحلي من خلال آلية المضاعف. أما عمليا في غياب مرونة الجهاز الإنتاجي في الجزائر "التي تمثل من أهم شروط عمل آلية المضاعف الكينزي نظريا" يتم الاعتماد على زيادة الواردات الأجنبية لتغطية الطلب المحلي المتزايد.

أما الإنفاق الحكومي الاستثماري فينقسم إلى عشرة أبواب رئيسية بلغت حصة البنية التحتية فيها 16% من إجمالي الإنفاق الاستثماري، يليها قطاع البناء والري والموارد المائية ب 14%، ثم قطاع الصناعة والطاقة بـ 13% ومثلها مخصص لقطاع التربية والتعليم[4]. أما بقية القطاعات كالزراعة والسياحة فقد كانت حصتها ضعيفة مقارنة ببقية القطاعات الأخرى، وهي القطاعات الواجب إعطائها مزيدا من الأهمية والدعم الحكومي كونها تمثل أهم مقومات النهوض بالاقتصاد الوطني خارج المحروقات. فمن جهة قطاع السياحة الذي أصبح يشكل حاليا جزءا هاما من الاقتصاد العالمي، إذ تحتل المرتبة الثالثة من الصادرات العالمية بنسبة 7% من إجمالي الصادرات العالمية، وقد وصل المبلغ الإجمالي لإيرادات هذا القطاع نحو 1,5 تريليون دولار خلال سنة 2015م حسب ما أفاد به تقرير الإحصائيات الصادر عن المنظمة العالمية للسياحة[5]. ومن جهة ثانية قطاع الزراعة أين تعاني الجزائر من ارتفاع فاتورة الموارد الغذائية التي قدرت بـ 9,32 مليار دولار سنة 2015م[6].

رابعا: ضوابط صرف النفقات وترشيدها: تبنى النظام المالي الجزائري نوعين من الرقابة على تنفيذ العمليات المالية: الرقابة الداخلية التي تمارسها السلطة التنفيذية على نفسها بواسطة الأجهزة المتخصصة التابعة لها وكذلك الرقابة الخارجية التي تمارس من طرف أجهزة خارجة عن السلطة التنفيذية ومستقلة عنها وهي مجلس المحاسبة والبرلمان بوصفه السلطة التشريعية التي ترخص الميزانية وتراقب تنفيذها. وإذا كان النوع الأول من الرقابة ذات فعالية بالنظر لطابعها التقني المستمر، إلا أن الرقابة الخارجية تبقى متواضعة لعدم توفر إرادة سياسية جدية لتفعيلها؛ حيث أنه منذ سنة 1978م لم تعرض

---

[1] James A. Kahn, **Can We Determine the Optimal Size of Government?**, USA, Development Policy Briefing Paper, The Cato Institute, No. 7, September 14, 2011, P1.

[2] أحمد سلامي، محمد شيخي، مرجع سابق، ص 131.

[3] وليد عبد الحميد عايب، مرجع سابق، ص 260.

[4] المرجع نفسه، ص 261.

[5] World Tourism Organization (UNWTO), **Tourism Highlights**, 2016 Edition, Spain, 05 December 2016, p 03.

[6] Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°33, Algérie, Mars 2016, p28.

الحكومة على البرلمان سوى مشاريع قوانين ضبط الميزانية بالنسبة للأربع سنوات الأول من حياة البرلمان: دورة 1978م، 1979م، 1980م، 1981م. وبعد توقف دام 27 سنة استأنفت عملية عرض مشروع تسوية الميزانية على البرلمان بدءا بدورة سنة 2008م التي تمت المصادقة على تسويتها سنة 2011م[1].

إن ضعف عملية الرقابة وبالخصوص الخارجية منها أدى ضعف الشفافية لتسييرها خاصة وأن الميزانية العامة للدولة لا تضم سوى العمليات المالية النهائية من موارد ونفقات. وقد شمل هذا الإقصاء حتى بعض العمليات التي تكتسي الطابع النهائي لتدرج في حسابات خاصة في الخزينة كالموارد المتعلقة بالرسوم شبه الجبائية والرسوم البيئية ورسوم السكن وحتى حاصل الجباية البترولية عندما يتعدى سعر البرميل السعر المرجعي[2].

إضافة إلى كل ما سبق فإن عدم إخضاع المشاريع الاستثمارية العامة إلى دراسات دقيقة للجدوى الاقتصادية أدى إلى التأخر في الإنجاز وترتب عن عملية إعادة التقييم تكاليف إضافية على عاتق الخزينة العمومية؛ فالبرنامج الخماسي (2010-2014) الذي رصد له 268 مليار دولار، خصص منه 130 مليار دولار لإنجاز ما تبقى من برنامج (2005-2009)[3].

وكل تلك النقائص المتعلقة بتسيير الميزانية العامة وصرف النفقات وترشيدها مع بروز الكثير من قضايا الفساد التي هزت حتى قطاع المحروقات "قضايا الفساد لشركة سوناطراك" أدت إلى تراجع تصنيف الجزائر في بعض المؤشرات الخاصة بالفساد المالي والإداري لمراتب متدنية (المرتبة 100 سنة 2014م في مؤشر مدركات الفساد المالي والإداري من أصل 175 دولة)[4]. وعلى هذا الأساس فوفرة الموارد المالية التي سهلت تمويل برنامج الإنفاق العام الاستثمارات العمومية تحولت إلى حالة هدر للموارد، في حين كان الواجب استغلالها في ظل الاحترام الصارم للمال العام كونها مثلت فرصة قد لا تتكرر مستقبلا لبناء قاعدة إنتاجية واقتصاد متنوع في ظل مع تراجع أسعار النفط ومخاطر النضوب المحتلمة. لذا تتمثل أولويات السياسة الإنفاقية في الجزائر في مكافحة هدر العام وترشيد إنفاقه، ومكافحة كل أشكال الرشوة والفساد.

خاتمة:

اهتمت هذه الدراسة بدور الإنفاق العام في تحقيق التنويع الاقتصادي في الدول المصدرة للمحروقات، وتركزت بتحليل وقياس هذه العلاقة في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة (2000-2015)؛ حيث تم التطرق للإطار النظري للتنويع الاقتصادي ومؤشرات قياسه بشكل موجز، وتقديم عرض عن حتمية التنويع الاقتصادي وشكله المطلوب في الدول المصدرة للمحروقات، ولتقدير أثر المتغير المفسر الممثل في الإنفاق العام على المتغير التابع التنويع الاقتصادي الممثل في مؤشر مركب من خمسة معاملات لمقياس هيرفندال في الاقتصاد الجزائري تم استخدام الأساليب القياسية، ومن خلال ذلك تم التوصل للنتائج التالية التي تؤكد الفرضيات المعتمدة:

– تركز الدول المصدرة للمحروقات على تنويع متغيرين اقتصاديين اثنين هما الصادرات والناتج المحلي الإجمالي ما يجعل من التنويع يرتبط ارتباطا مباشرا بتغيرات أسعار المحروقات؛ فعندما تنخفض أسعارها تزيد درجة التنويع الاقتصادي وعندما ترتفع أسعارها تنخفض درجة التنويع. لذا فالتنويع الاقتصادي في عينة هذه الدول يبقى مرتبطا بالتنويع الاقتصادي الشامل وبتنويع جملة من المتغيرات الاقتصادية الكلية الأخرى مثل: تنويع الواردات، تنويع العمالة، تنويع الاستثمار، تنويع الإيرادات.

---

[1] يلس شاوش بشير: **المالية العامة –المبائ العامة وتطبيقاتها في القانون الجزائري**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013، ص-ص: 331-335.

[2] المرجع نفسه، ص 338.

[3] بيان اجتماع مجلس الوزراء حول: **برنامج التنمية الخماسي 2010-2014**، الجزائر، 24 ماي 2010.

[4] Transparency International , **Corruption Perceptions Index 2014**, Full Table and Rankings, http://www.transparency.org/cpi2014/results/ ,Reviewed on 11/2016.

– إن السياسة المالية التوسعية المعتمدة في معظم الدول المصدرة للمحروقات منذ سنة 2003م بداية الطفرة النفطية الثالثة، وبرامج الإنفاق العام الضخمة التي صاحبتها لم تساعد في تحقيق هدف تحقيق التنويع الاقتصادي وأهم المشاكل التي تعيق ذلك هي: عدم مرونة الجهاز الإنتاجي في الدول المصدرة للمحروقات، وارتباط كل القطاعات الاقتصادية بقطاع المحروقات. وهو الارتباط الموروث منذ الطفرة النفطية الأولى أين عملت تلك الدول على ربط الاقتصاديات الوطنية بقطاع المحروقات من خلال التوجه إلى صناعة البتروكيماويات وإهمال القطاعات الإنتاجية الحقيقية القائدة للنمو خارج المحروقات.

– من خلال تحليل وقياس المتغيرات في الاقتصاد الجزائري الذي تميز هو الآخر ببرامج إنفاقية توسعية قاربت 800 مليار دولار تشمل ثلاث برامج السابقة والبرنامج الخماسي الجاري تنفيذه اتضح أن:

– التنويع الاقتصادي في الجزائري مازال بعيدا عن المستوى المطلوب كون أن مؤشر هيرفندال المحسوب مازال يبتعد كثيرا عن الصفر، يرتبط بمتغيرين رئيسيين وهما حجم الصادرات والإيرادات العامة وهما يرتبطان مباشرة بتغيرات أسعار المحروقات.

– أظهرت اختبارات الاستقرارية أن السلاسل الزمنية الخاصة بمتغيرات الدراسة في الجزائر غير مستقرة في المستوى، إلا أنها مستقرة عند الفروق الأولى، الأمر الذي يبين أنها متكاملة من الدرجة الأولى ما يسمح بتطبيق اختبارات التكامل المشترك.

– استخدام اختبار التكامل المشترك لأنجل جرانجر سمح بتقدير العلاقة طويلة الأجل بين المتغيرين، وهي العلاقة التي بينت أثرا ضعيفا لزيادة الإنفاق العام على زيادة درجة التنويع الاقتصادي في الجزائر. العلاقة كانت معنوية إحصائيا ومقبولة اقتصاديا، لكن اتضح أنها عبارة عن علاقة انحدار زائف كون المزيج الخطي الناتج عن تقدير العلاقة لم يكن مستقرا في المستوى.

– ساعد القيام بتحليل وتتبع تطور الإنفاق العام في الجزائر في فهم الأسباب التي أدت إلى فشل برامج الإنفاق العام في تحقيق هدف التنويع الاقتصادي؛ أين تبين أن تلك البرامج هي الأخرى ترتبط بتغيرات إيرادات المحروقات، كما أن حجمها الكبير يفوق القدرات الاستيعابية للاقتصاد الوطني أين يتم الاتجاه إلى الاستيراد لتغطية زيادة الطلب الكلي الناتج عن التوسع فيها. إضافة إلى ذلك فنسبة كبيرة منها عبارة عن نفقات ذات طابع استهلاكي اجتماعي. كما أن ضعف أساليب الرقابة وترشيد الإنفاق العام أدى إلى تفشي الفساد المالي والإداري.

الملحق رقم 01: توزيع إجمالي الناتج المحلي على قطاعات النشاط الرئيسية في الجزائر خلال الفترة 2000-2015.

الوحدة: مليار دج

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
الفلاحة	346,17	412,12	417,23	515,28	580,51	581,62	641,29	708,07	727,41	931,35	1015,26	1183,22	1421,69	1640,01	1771,50	1936,38
المحروقات	1616,31	1443,93	1477,03	1868,89	2319,82	3352,88	3882,23	4089,31	4997,55	3109,08	4180,36	5242,50	5536,38	4968,02	4657,81	3134,25
الأشغال العمومية البترولية	42,90	38,39	40,00	44,20	49,29	58,99	64,27	92,37	86,72	94,77	63,31	70,70	80,05	58,13	63,79	57,38
الصناعة خارج المحروقات	290,75	315,23	337,56	355,37	388,19	418,29	449,49	479,81	519,51	577,04	616,70	663,76	728,62	765,44	836,97	900,87
البناء والأشغال العمومية	292,05	320,51	369,94	401,01	458,67	505,42	610,07	732,72	869,99	1000,05	1194,11	1262,57	1411,16	1569,31	1730,20	1850,77
النقل والاتصالات	275,93	303,69	340,98	390,55	512,57	645,03	743,53	822,41	863,77	911,31	991,43	1074,15	1194,84	1462,80	1556,08	1660,76
التجارة	436,29	476,21	509,29	552,18	607,05	668,13	728,37	863,20	1003,20	1151,62	1279,48	1446,33	1649,97	1870,58	2070,08	2259,34
الخدمات	130,45	141,88	153,89	169,48	183,56	205,77	226,22	247,60	280,26	318,57	358,97	412,72	460,34	516,18	564,88	629,77
الرسم على القيمة المضافة وحقوق الجمارك	267,83	302,91	377,50	403,07	446,18	494,02	491,53	532,45	653,93	715,82	747,69	854,64	1077,51	1242,16	1238,41	1257,62
إجمالي الناتج المحلي الخام	3698,68	3754,87	4023,41	4700,04	5545,85	6930,15	7837,00	8567,95	10002,34	8809,62	10447,31	12210,58	13560,56	14092,64	14489,71	13687,14

المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).

الملحق رقم 02: توزيع العمالة على قطاعات النشاط الرئيسية في الجزائر خلال الفترة 2000-2015.

الوحدة: ألف عامل

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
الفلاحة	436,29	476,21	509,29	552,18	607,05	668,13	728,37	863,20	1252,00	1242,00	1136,00	1034,00	912,00	1141,00	899,00	917,00
الصناعة	130,45	141,88	153,89	169,48	183,56	205,77	226,22	247,60	1141,00	1194,00	1337,00	1367,00	1335,00	1407,00	1290,00	1377,00
بناء وأشغال عمومية	267,83	302,91	377,50	403,07	446,18	494,02	491,53	532,45	1575,00	1718,00	1886,00	1595,00	1663,00	1791,00	1826,00	1776,00
التجارة وخدمات تجارية	3698,68	3754,87	4023,41	4700,04	5545,85	6930,15	7837,00	8567,95	5178,00	5318,00	5377,00	5603,00	6260,00	6449,00	6224,00	6524,00
المجموع	4533,25	4675,87	5064,09	5824,77	6782,64	8298,07	9283,13	10211,20	9146,00	9472,00	9736,00	9599,00	10170,00	10788,00	10239,00	10594,00

المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).

الملحق رقم 03: تطور إيرادات الميزانية العامة في الجزائر خلال الفترة 2000-2015. **الوحدة:**

مليار دج

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
الجباية البترولية	1173,24	956,39	942,90	1284,98	1485,70	2267,84	2714,00	2711,85	1715,40	1927,00	1501,70	1529,40	1519,04	1615,90	1577,73	1722,94

الجباية العادية	349,50	398,24	482,90	524,93	580,41	640,47	720,88	766,75	965,29	1146,61	1297,94	1448,90	1908,58	2031,02	2091,46	2288,75
إيرادات غير جبائية	55,42	150,90	177,39	164,57	163,79	174,52	205,04	209,30	221,76	201,75	275,00	424,81	376,41	248,40	258,56	468,52
الايرادات الجبائية	1522,74	1354,63	1425,80	1809,90	2066,11	2908,31	3434,88	3478,60	2680,69	3073,61	2799,64	2978,30	3427,62	3646,92	3669,19	4011,69
المجموع	1578,16	1505,53	1603,19	1974,47	2229,90	3082,83	3639,93	3687,90	2902,45	3275,36	3074,64	3403,11	3804,03	3895,32	3927,75	3885,99

المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).

الملحق رقم 04: توزيع الواردات على أنواع السلع الرئيسية في الجزائر خلال الفترة 2000-2015.

الوحدة: %

السنة	2000	2001	2002	السنة	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
Produits alimentaires et boissons	24,19	22,23	21,37	Alimentation, boissons, tabac	19,79	19,74	17,62	17,71	17,93	19,75	14,92	14,97	20,85	17,91	17,27	18,87	18,06
Approvis. industriel .N.D.A	29,24	31,91	30,99	Energie et lubrifiants	0,84	0,92	1,04	1,14	1,17	1,50	1,40	2,36	2,46	9,83	8,72	4,88	4,56
Fuels et Lubrifiants (*)	1,37	1,34	1,14	Matières premières	4,77	3,92	3,15	3,37	4,07	3,15	2,80	3,22	3,54	3,46	3,14	3,23	2,92
Machines & autres biens d'équip.	23,75	25,30	25,85	Produits bruts	0,32	0,36	0,54	0,56	0,72	0,37	0,25	0,26	0,23	0,19	0,18	0,00	0,00
Matériel de transp. et accessoires	13,11	10,73	11,86	Demi-produits	21,11	19,96	20,08	23,00	25,71	25,37	25,87	24,95	22,62	21,10	20,38	21,84	22,29
Biens de consommation N.D.A	8,33	8,48	8,76	Equipements agricoles	0,95	0,91	0,78	0,45	0,53	0,44	0,59	0,84	0,82	0,65	0,92	1,13	1,12
Biens non désignés ailleurs	0,01	0,01	0,03	Equipements industriels	36,61	38,97	41,52	39,75	36,28	38,43	42,41	42,57	38,44	34,77	35,90	32,41	32,13
				Biens de consommation	15,60	15,23	15,26	14,03	13,58	11,00	11,76	10,82	11,05	12,09	13,49	17,64	18,92
TOTAL	100	100	100	TOTAL	100,	100	100,	100	100	100	100,	100	100	100,	100	100	100,00

المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).

الملحق رقم 05: توزيع الصادرات بين قطاع المحروقات وخارج قطاع المحروقات في الجزائر خلال الفترة 2000-2015.

الوحدة: مليار دولار أمريكي

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
صادرات المحروقات	21,06	18,53	18,11	23,99	31,55	45,59	53,61	59,61	77,19	44,41	56,14	71,66	70,57	63,66	58,36	33,08
صادرات أخرى	0,59	0,56	0,61	0,47	0,66	0,91	1,18	1,31	1,95	1,07	1,62	2,14	2,05	2,16	2,81	2,08
مجموع الصادرات	21,65	19,09	18,72	24,46	32,21	46,50	54,79	60,92	79,14	45,48	57,76	73,80	72,62	65,82	61,17	35,16

المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).

الملحق رقم 06:تطور إجمالي النفقات العامة بتقسيماتها والرقم القياسي لأسهار الاستهلاك في الجزائر خلال الفترة 2000-2015 .

الوحدة: مليار دج

السنة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015

إجمالي الإنفاق العام	1178,10	1321,00	1550,60	1690,20	1891,80	2052,00	2453,00	3108,50	4191,00	4246,30	4466,90	5731,40	7058,17	6024,13	6995,77	7746,21
نفقات التجهيز	339,20	522,40	575,00	567,40	640,70	806,90	1015,10	1434,60	1973,30	1946,30	1807,90	1934,20	2275,54	1892,60	2501,44	3154,29
نفقات التسيير	838,90	798,60	975,60	1122,80	1251,10	1245,10	1437,90	1673,90	2217,70	2300,00	2659,00	3797,20	4782,63	4131,54	4494,33	4591,93
الرقم القياسي لأسعار الاستهلاك	70,44	73,41	74,45	77,63	80,71	81,82	83,72	86,79	91,02	96,23	100,00	104,52	113,82	117,52	120,95	126,74
المصدر: تجميع الباحثين من مصادر متعددة (أنظر ملحق قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات).																

الملحق رقم 7: قائمة المراجع الخاصة بالإحصائيات.

رقم الملحق	قائمة المراجع المعتمدة
1	– الديوان الوطني للإحصائيات، **الحسابات الاقتصادية من 2000-2001**، نشرة رقم 609، سبتمبر 2011. – l'Office National des Statistiques**, Les Comptes Économiques de 2001 à 2015** , N°750, Algérie, Août 2016.
2	– الديوان الوطني للإحصائيات، **حوصلة إحصائية 1962-2011**، فصل رقم 2 (التشغيل). – l'Office National des Statistiques, **Activite Emploi & Chômage en Septembre 2015** , N°726, Algérie, Décembre 2015.
3	– الديوان الوطني للإحصائيات، **حوصلة إحصائية 1962-2011**، فصل رقم 12 (المالية العمومية). – Ministère des finances, **Solde global du Trésor**, http://www.mf.gov.dz/index.php, Révisé le 12/2016.
4	– l'Office National des Statistiques, **Export Import des principaux produits classification par grandes catégories économiques-1999 à 2006**, Algérie. – l'Office National des Statistiques, **Evolution des Echanges Extérieurs de Marchandises de 2004 a 2014** , coll.statis., n°194 : série E N° 84, Algérie , 2015. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°33, Algérie, Mars 2016.
5	– Banque d'Algérie : **Bulletin Statistique De La Banque D'Algérie, Statistiques De La Balance Des Paiements 1992-2011**, Algérie, Juin 2012. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°33, Algérie, Mars 2016. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°29, Algérie, Mars 2015. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°25, Algérie, Mars 2014. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°21, Algérie, Mars 2013. – Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°17, Algérie, Mars 2012.
6	– الديوان الوطني للإحصائيات، حوصلة إحصائية 1962-2011، فصل رقم 12 (المالية العمومية). – البنك الدولي، **مؤشرات التنمية العالمية -الأسعار القياسية للسلع الاستهلاكية**، الموقع الالكتروني: http://data.albankaldawli.org/indicator ، تاريخ الإطلاع، نوفمبر 2016. – Ministère des finances, **Solde global du Trésor**, http://www.mf.gov.dz/index.php, consulté le 12/2016.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1. أحمد سلامي، محمد شيخي، **اختبار العلاقة السببية والتكامل المشترك بين الادخار والاستثمار في الاقتصاد الجزائري خلال الفترة (1970-2011)** ، الجزائر، مجلة الباحث، العدد 13، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة ورقلة، 2013.
2. أحمد ضيف، **واقع التنويع الاقتصادي في الجزائر ودور القطاع الخاص في التنمية**، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات الملتقى الوطني الثاني حول: التنمية البديلة لقطاع المحروقات في الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد البشير الإبراهيمي – برج بوعريريج-، الجزائر، 07/08 مارس 2016.
3. البنك الدولي، **مؤشرات التنمية العالمية -الأسعار القياسية للسلع الاستهلاكية**، الموقع الالكتروني: http://data.albankaldawli.org/indicator ، تاريخ الإطلاع، نوفمبر 2016.
4. بوابة جدة الاقتصادية، **السياسة المالية وميزان المدفوعات للملكة العربية السعودية**، المملكة العربية السعودية، غرفة جدة، 2015.
5. بيان اجتماع مجلس الوزراء حول، **برنامج التنمية الخماسي 2010-2014**، الجزائر، 24 ماي 2010.
6. الديوان الوطني للإحصائيات، **الحسابات الاقتصادية من 2000-2001**، نشرة رقم 609، سبتمبر 2011.
7. الديوان الوطني للإحصائيات، **حوصلة إحصائية 1962-2011**، فصل رقم 12 (المالية العمومية).
8. الديوان الوطني للإحصائيات، **حوصلة إحصائية 1962-2011**، فصل رقم 2 (التشغيل).
9. صالح صالحي، **تأثير البرامج الاستثمارية العامة على النمو الاقتصادي والاندماج القطاعي بين النظرية الكينزية وإستراتيجية النمو غير المتوازن للفترة (2001/2014)**، الجزائر، مجلة العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، العدد 13، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة سطيف 1، 2013.

10. عاطف لافي مرزوك، **التنويع الاقتصادي في بلدان الخليج العربي –مقاربة للقواعد والدلائل-**. العراق ،مجلة الاقتصاد الخليجي، العدد 24، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، جامعة البصرة، 2013.

11. عبد اللطيف عبد الرزاق كنعان، أنسام خالد حسن الجبوري، **دراسة مقارنة في طرائق تقدير انحدار التكامل المشترك مع تطبيق علمي**، العراق، المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، العدد 33، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، 2012.

12. عبد الله بن محمد الرزين، **التجربة السعودية الحديثة في مجال تنمية الاستثمار**، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2005.

13. اللجنة الاقتصادية لإفريقيا، **الاقتصاد الأخضر في الجزائر –فرصة لتنويع الإنتاج الوطني وتحفيزه**، الأمم المتحدة، مكتب شمال أفريقيا.

14. محمد بوخاري، **الاقتصاد الكلي المعمق**، الجزء الأول، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 2014.

15. محمد سيدي شكوري، **وفرة الموارد الطبيعية والنمو الاقتصادي –دراسة حالة الاقتصاد الجزائري-**،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-، الجزائر، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية غير منشورة، 2012/2011.

16. ممدوح عوض الخطيب، **التنويع والنمو في الاقتصاد السعودي**، مداخلة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر الأول حول لكليات إدارة الأعمال بجامعات دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، جامعة الملك سعود، السعودية، 16-17 فيفري 2014.

17. ناجي بن حسين، **التنمية المستدامة في الجزائر – حتمية الانتقال من الاقتصاد الريعي إلى تنويع الاقتصاد-**، الجزائر، مجلة الاقتصاد والمجتمع، العدد 5، جامعة عبد الحميد مهري -قسنطينة 2-، 2008.

18. نوازد عبد الرحمان الهيتي، منجد عبد اللطيف الحنشالي: **المدخل الحديث في اقتصاديات المالية العامة**، الطبعة الأولى، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2006.

19. نوري محمد عبيد الكصب، **التنوع الاقتصادي النرويجي في ظل تحديات الثروة النفطية (المرض الهولندي، ولعنة الموارد، وعدم اليقين)**، الطبعة الأولى، مصر، المكتب الجامعي الحديث، 2015.

20. وزارة التخطيط، **خطة التنمية الوطنية 2013-2017 (الخلاصة التنفيذية)**، العراق، مديرية المطبعة الجهاز المركزي للإحصاء، 2013.

21. وليد عبد الحميد عايب، **الآثار الاقتصادية الكلية لسياسة الإنفاق الحكومي**، لبنان، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، 2010.

22. يلس شاوش بشير: **المالية العامة –المبادئ العامة وتطبيقاتها في القانون الجزائري**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2013.

باللغة الأجنبية:

23.Banque d’Algérie, **Bulletin Statistique De La Banque D’Algérie, Statistiques De La Balance Des Paiements 1992-2011**, Algérie , Juin 2012.

24. Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°17, Algérie, Mars 2012.

25.Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°21, Algérie, Mars 2013.

26.Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°25, Algérie, Mars 2014.

27.Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°29, Algérie, Mars 2015.

28.Banque d'Algérie, **Bulletin Statistique Trimestriel**, N°33, Algérie, Mars 2016.

29.Commission on Growth and Development, **Export Diversification and Economic Growth**, Working Paper No.21, USA, The World Bank, 2008.

30. Daniel Workman, Crude Oil Exports by Country, **World’s Top Exports,** (http://www.worldstopexports.com/worlds-top-oil-exports-country/), reviewed on 11/2016.

31.James A. Kahn, **Can We Determine the Optimal Size of Government?,** USA, Development Policy Briefing Paper, The Cato Institute, No. 7, September 14, 2011.

32. l’Office National des Statistiques **, Activite Emploi & Chômage en Septembre 2015** , N°726, Algérie, Décembre 2015.

33. l’Office National des Statistiques , **Export Import des principaux produits classification par grandes catégories économiques-1999 à 2006** , Algérie.

34.l’Office National des Statistiques **, Evolution des Echanges Extérieurs de Marchandises de 2004 a 2014** , coll.statis., n°194: série E N° 84, Algérie , 2015.

35.Melard Guy, **Méthodes de Prévision a Court Terme**, Belgique, 1990.

36. Ministère des finances, **Solde global du Trésor,** http://www.mf.gov.dz/index.php, Révisé le 12/2016**.**

37.Régis Bourbonnais, **Exercices Pédagogiques D'économétrie**, 2e Edition, France, Economica, 2012.

38.TRADE MAP- International Trade Statistics, **Petroleum Gas and Other Gaseous Hydrocarbons**, (http://www.trademap.org/tradestat/Country_SelProduct_TS.aspx), reviewed On 11/2016.
39.TRADE MAP- International Trade Statistics, **Petroleum Oils and Oils Obtained From Bituminous Minerals Crude,** (http://www.trademap.org/tradestat/Country_SelProduct_TS.aspx) , Reviewed On 09/2016.
40.Transparency International, **Corruption Perceptions Index 2014**, Full Table and Rankings, http://www.transparency.org/cpi2014/results/, reviewed on 11/2016.
41.Valentino Piana, **Public Expenditure**, Economics Web Institute, 2001, http://www.economicswebinstitute.org/glossary/pubexp.htm#significance, reviewed on 11/2016.
42.World Tourism Organization (UNWTO), **Tourism Highlights**, 2016 Edition, Spain, 05 December 2016, p 03.

واقع تطبيق الإدارة الاستراتيجية في المؤسسة الجزائرية
دراسة حالة ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته

أ. بلعيد سمية -أ.د. بن زيان إيمان
كلية العلوم الاقتصادية، التجارية وعلوم التسيير- جامعة باتنة1

الملخص:تعد الإدارة الاستراتيجية مطلب أساسي لتحقيق أهداف المؤسسة، إذ تعمل على ربطها مع محيطها مما يساعدها على اختيار الاستراتيجيات المناسبة للتعامل مع تغيرات المحيط وتعقيداته، وبذلك فهي تعتبر من بين أهم العوامل المهمة لنجاحها. وقد ارتبطت التطبيقات الأولى لها بالمؤسسات الكبيرة التي لديها إمكانيات تمكنها من اعتمادها في إداراتها.

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة واقع تطبيق الإدارة الاستراتيجية في ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته، ومن خلال التعرف على بيئة المؤسسة ومختلف التغيرات التي تحصل بها، إضافة إلى معرفة كيف تقوم المؤسسة بتحديد مختلف الاستراتيجيات المطبقة من طرفها . واعتمدت الدراسة في تحليل بيئة المؤسسة الداخلية والخارجية على استخدام نتائج المقابلة وتقرير التسيير والعمل على وضع نموذج التحليل SWOT وذلك من اجل جمع البيانات الأولية لاختبار الفرضيات وللحصول على النتائج .

الكلمات المفتاحية: الإدارة الاستراتيجية، التحليل الداخلي للمؤسسة، التحليل الخارجي للبيئة، ملبنة الأوراس .

Abstract:
The strategic management is a basic demand to achieve the company's goals, it works on linking it with its environment which help in selecting the suitable strategies to deal with the alterations and the complications of its environment, so that it can be considered as one of the crucial factors to succeed it. The first application of this strategy has been within the huge companies that has enough means enabling them to adopt them in its administration. This study aims at knowing the reality of the strategic within AURES Company, and through getting into the company's area; in addition to different alterations that happen at its level, as well as knowing how the company identify the various strategies it applies.

The study embraced the analysis of interior and exterior areas of the company via using the results of the interview and the management report; in addition to working on putting SWOT analysis sample to gather the basis data to test the hypothesis to obtain the results.

مقدمة: إن التطورات التكنولوجية والمتغيرات البيئية التي تتصف بسرعة التغير والتعقيد زادت من اهتمام الباحثين والدارسين بضرورة إعادة النظر والبحث في مجال الإدارة الاستراتيجية، فالمؤسسات حاليا تجد نفسها في بيئة تنافسية شديدة. وفي ظل هذه المتغيرات البيئية المتزايدة، تسعى جاهدة إلى إيجاد مكانة لها لكي تضمن بذلك بقائها ونموها واستمراريتها في النشاط وحتى التوسع والدخول إلى أسواق جديدة.

فأغلبية المؤسسات العظمى والناجحة هي التي تعترف بأهمية التخطيط الاستراتيجي ، إذ يساعد المؤسسة على تحديد كيفية وصولها إلى ما تسعى إليه وتحديد ما الذي سوف تقوم به لتنفيذ أهدافها وتحقيقها. ويتم هذا من خلال تفهمها لمتغيرات محيطها الخارجي وقوى المنافسة في مجال نشاطها، وتتعرف على جونب القوة والضعف في محيطها الداخلي. وبذلك تتمكن من بناء استراتيجيات فعالة بما يساهم في تحقيق أهدافها. ولتحقيق تكيف المؤسسة مع متغيرات محيطها يعد من الضروري لها الاعتماد على أسلوب الإدارة الاستراتيجية نظرا لما له من أهمية كأسلوب فعال لتحقيق هذا التكيف.

مشكلة الدراسة: ان الاندماج في حركية الاقتصاد العالمي فرض على الجزائر الدخول فيما يسمى بالتصحيح الهيكلي، وذلك من اجل تغيير طبيعة النظام الاقتصادي الذي كان سائدا والدخول إلى اقتصاد السوق وهو ما يعني تنامي حدة المنافسة وتزايد التهديدات المحيطة بالمؤسسات. والجزائر كغيرها من الدول النامية أصبحت تعتمد أكثر فأكثر على الأساليب الحديثة للتنمية الاقتصادية وتحسين قدرات مؤسساتها التنافسية، غير أن دعم الدولة للمؤسسات يبقى غير كاف ما لم

تتوفر هذه المؤسسات نفسها على رؤية استراتيجية في إدارتها أو بالأحرى ما لم تعتمد على نمط الإدارة الاستراتيجية. وتعد ملبنة الأوراس كواحدة من هذه المؤسسات ومنه: **ما هو واقع تطبيق الإدارة الاستراتيجية في ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته؟**

ومن اجل معالجة أكثر دقة يتعين طرح مجموعة من التساؤلات:

- هل تولي الملبنة محل الدراسة اهتماما بتطبيق الإدارة الاستراتيجية؟
- ما مدى قيام المؤسسة محل الدراسة بالتحليل الداخلي للمؤسسة؟
- ما مدى قيام المؤسسة محل الدراسة بالتحليل الخارجي للمحيط؟
- ماهي الاستراتيجيات التي تقوم المؤسسة محل الدراسة بتطبيقها؟

فرضيات الدراسة:من اجل الإجابة على المشكلة والتساؤلات السابقة تم الاعتماد على الفرضيات التالية:

- هناك شبه غياب للاهتمام بالإدارة الاستراتيجية في المؤسسة محل الدراسة.
- تمتلك المؤسسة محل الدراسة رسالة مستقبلية واضحة ومكتوبة.
- لا تهتم المؤسسة محل الدراسة بعملية تحليل بيئتها الداخلية والخارجية.
- تفتقد المؤسسة محل الدراسة الى التطبيق العملي للاستراتيجيات.
- **أهمية الدراسة:** إن أهمية الدراسة تتجلى من خلال أهمية الموضوع في حد ذاته اذ يعتبر موضوع الإدارة الاستراتيجية في المؤسسات مهما بالنسبة لها على أساس المعطيات الجديدة التي تفرض عليها تبني هذا المنهج العلمي، كما تتجلى أهميته في الوقوف على المراحل العلمية لتطبيق الإدارة الاستراتيجية وكذا محاولة معرفة مدى اهتمام ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته بهذا الأسلوب.

أهداف الدراسة:تتجلى أهداف هذه الدراسة في:

- إبراز المراحل العلمية لتطبيق الإدارة الاستراتيجية في المؤسسات.
- محاولة معرفة مدى الاهتمام بالإدارة الاستراتيجية في المؤسسة محل الدراسة.
- الوقوف على مدى تطبيق المنهج العلمي خلال مراحل الإدارة الاستراتيجية في المؤسسة محل الدراسة.
- معرفة الاحتمالات الاستراتيجية المتاحة أمام المؤسسة محل الدراسة.

المحور الأول: الإطار النظري للإدارة الاستراتيجية

أولا: مفهوم الإدارة الاستراتيجية: أورد الكتاب والباحثون تعاريف عديدة للإدارة الاستراتيجية حيث يعبر على أنها تتضمن مجموعة من القرارات والنشاطات الإدارية التي تحدد التوجه الطويل الأمد للمنظمة من خلال مراقبة وتقييم الفرص والتحديات الخارجية مقابل نقاط القوة والضعف التي تتسم لها تلك المنظمة[1].

وقد وضعت بأنها: " تعبير من التخطيط بعيد الأمد، اذ تتماثل عملياتها مع عملياته، فهي تنطوي على أربعة عناصر متداخلة مع بعضها هي: التحليل الاستراتيجي، وتكوين الاستراتيجية والاختيار الاستراتيجي، وتنفيذ الاستراتيجية"[2].

ثانيا: مراحل الإدارة الاستراتيجية :تمر الإدارة الاستراتيجية بثلاث مراحل:

[1] صالح عبد الرضا رشيد، إحسان دهش جلاب، الادارة الاستراتيجية مدخل تكاملي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، 2008، ص64.

[2] نعمة عباس خفير الخفاجي، الادارة الاستراتيجية المداخل والمفاهيم والعمليات، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، الاردن، 2010، ص38.

1- مرحلة صياغة الاستراتيجية: تعد صياغة الرؤية الاستراتيجية الخطوة الأولى في الإدارة الاستراتيجية، وتعرف الرؤية الاستراتيجية على أنها تقديم صورة للمستقبل المنشود في المؤسسة مما يسمح بوضع رسالة متسقة ومتوافقة مع أهداف هذه المؤسسة[1].

أما الرسالة فتعرف على أنها الأداة لتحديد هوية المؤسسة ومدى تفردها عن غيرها من المؤسسات المناظرة، وهي الأساس في بناء الغايات التي تسعى المؤسسة لتحقيقها والوصول اليها والقاعدة التي تنطلق منها الأهداف والسياسات والاستراتيجيات[2].

وترجع أهمية دقة ووضوح الرسالة والرؤية الاستراتيجية عندما تنجح إدارة المؤسسة من خلال الرسالة أو الرؤية الاستراتيجية في ترسيخ تصور ملموس حول الموقف السوقي الذي تنشده المؤسسة ونوعية المسارات التي يجب إتباعها، وان الرسالة والرؤية الاستراتيجية ستكون قادرة على توجيه عملية اتخاذ القرارات، وتحديد ملامح استراتيجيات المؤسسة. من ناحية أخرى، فان صياغة رسالة المؤسسة ورؤيتها الاستراتيجية تمثل معيارا يمكن الاستناد اليه في توليد وتقييم وغربلة البدائل الاستراتيجية وتصفيتها[3].

وترتكز صياغة الاستراتيجية على تحديد الأهداف الاستراتيجية وتعرف الأهداف على أنها تلك المستويات المستهدفة المحددة والقابلة للقياس من اجل تحقيق الغايات الاستراتيجية[4]. وتتمثل الخطوة الموالية لتحديد الأهداف في التحليل الاستراتيجي الذي يرتكز على مدخلين متكاملين وهما التحليل الداخلي للمؤسسة والتحليل الخارجي لمحيطها، وبناء على ذلك سوف نقوم بتوضيح مراحل تحليل البيئة الداخلية والخارجية من اجل الوصول إلى استراتيجية ملائمة.

إن كون البيئة الخارجية للمؤسسات شاملة ومعقدة، فقد طورت منهجيات مختلفة لعرضها وتبسيطها. ونجد أن من بين أهم منهجيات تلك التي أشارت الى وجود مستويين أساسيين لهذه البيئة، فالأولى تسمى بالبيئة الكلية او البيئة الخارجية العامة اما الثانية تتمثل في البيئة الخارجية الخاصة او البيئة التنافسية.

أ- البيئة الكلية: تشير البيئة الكلية الى مجموع قطاعات بيئية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية وكذا تكنولوجية والتي تعمل المؤسسة في إطارها تؤثر فيها وتتأثر بها، ومن اجل تشخيص هذه البيئة تستعمل عموما اداة تعرف باسم PESTEL حيث يهدف هذا التحليل الى تحديد وإيجاز التأثيرات البيئية على المؤسسات[5].

وفيما يلي تعريف مختصر لعناصر ومكونات تحليل نموذج[6] PESTEL:

- **العوامل السياسية (Facteurs Politiques)**: وتعني التأثيرات الحالية والمستقبلية الناجمة عن الظروف السياسية التي تؤثر على المؤسسات. وتؤثر هذه المتغيرات على الخيارات الاستراتيجية للمؤسسات بطرق وأساليب مختلفة تتمثل بسياسة الضرائب، التدخل الحكومي، ... الخ من المتغيرات السياسية.

- **العوامل الاقتصادية (Facteurs Economiques)**: وتعني التأثيرات المحلية والوطنية وتأثيرات الاقتصاد العالمي على عمليات المؤسسات. كما ينطوي تحت اطار هذه العوامل مجمل المؤشرات المتصلة بخطط التنمية الاقتصادية والمرتكزات المرتبطة بها متمثلة في الناتج القومي الإجمالي، معدل الدخل القومي، معدل التضخم والبطالة، ....الخ من العوامل المرتبطة بالجانب الاقتصادي.

---

[1] Jean –pierre Helfer, Michel Kalika, Jacques Orsoni, Management stratégie et organisation, Vuibert, 7éme édition, paris, 2008, p 29.

[2] د.مصطفى محمود ابوبكر، د. فهد بن عبد الله النعيم، الادارة الاستراتيجية وجودة التفكير والقرارات في المؤسسات المعاصرة، الدار الجامعية، الاسكندرية، 2008، ص 464.

[3] المرجع نفسه، ص 457-458.

[4] خالد محمد بني حمدان، الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي- منهج معاصر، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الاردن، 2009، ص 152.

[5] عيسى حيرش، الادارة الاستراتيجية، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان- الاردن، 2011، ص 46

[6] خالد محمد بني حمدان، مرجع سابق، ص 94-95.

- **العوامل الاجتماعية (Facteurs Sociaux)**: تؤثر التغييرات الحاصلة في المجتمع على المؤسسة، حيث تضم العديد من العوامل والتي ترتبط بالقيم الاجتماعية السائدة والأعراف والتقاليد والأطر الأخلاقية للمجتمع والأفراد، بالإضافة إلى ديموغرافية السكان والحركة الاستهلاكية.

- **العوامل التكنولوجية (Facteurs Technologiques):** تعتبر التكنولوجيا من العامل الرئيسي في ميدان المنافسة ويعطي للمؤسسة موقعا رياديا في تطوير وتحسين خدماتها ومنتجاتها باستمرار.

- **العوامل البيئية (Facteurs Ecologiques)**: وتعني قضايا البيئة المحلية والوطنية والعالمية المؤثرة على عمليات المؤسسة.

- **العوامل القانونية (Facteurs Légaux)**: تؤثر التشريعات الوطنية والعالمية على عمليات المؤسسة من ناحية القوانين الصادرة من قبل الدول مثل: قوانين العمل، قوانين المنافسة، قانون الصحة والسلامة.

- **البيئة الخارجية:** اما البيئة الخارجية الخاصة فعادة ما يحيط التحليل الاستراتيجي أربعة محاور: الطلب، العرض، المنافسة والشدة التنافسية في القطاع.فمن حيث الطلب فيمكن الاستعانة ببعض المحددات للإحاطة بالطلب الحالي والمستقبلي، ويحدد الجدول الموالي مميزات الطلب وتطوره.

جدول رقم 1: تحليل الطلب

مميزات الطلب	تطور الطلب
الكميات المباعة	معدل النمو الاجمالي
من يشتري	دورة الحياة
من يستهلك	التطور الاقتصادي
لاي حاجة	التطور التكنولوجي
باي ميزانية	التطور الديموغرافي
مرونة السعر	تطور أساليب الحياة
مدى وفاء الزبائن	تطور أساليب التوزيع
...	...

المصدر: Jean –Pierre Helfer, Michel Kalika, Jacques Orsoni, 2008, Management stratégie et organisation, Vuibert, 7ème édition, Paris, p 85.

و للإحاطة بتحليل العرض يتم الرد على مثل هذه الأسئلة:

جدول رقم 2: تحليل العرض

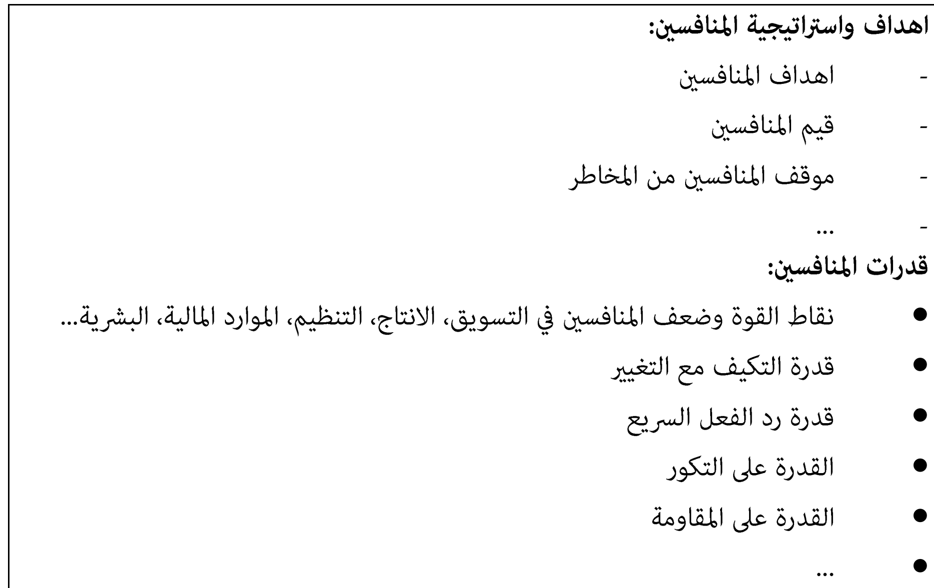
مميزات العرض	تطور العرض
المنتجات المعروضة	مصادر التمويل
اسعار المواد الاولية	التطور التكنولوجي
اسعار اليد العاملة	نماذج التوزيع
القيمة المضافة	...
...	

المصدر: Jean –Pierre Helfer, Michel Kalika, Jacques Orsoni, 2008, Management stratégie et organisation, Vuibert, 7ème édition, Paris, p 87.

اما الجدول الموالي فيوضح المعلومات المطلوبة لتحليل المنافسة:

جدول رقم 3: تحليل المنافسة

مميزات المنافسة


اهداف واستراتيجية المنافسين:

- اهداف المنافسين
- قيم المنافسين
- موقف المنافسين من المخاطر
- ...

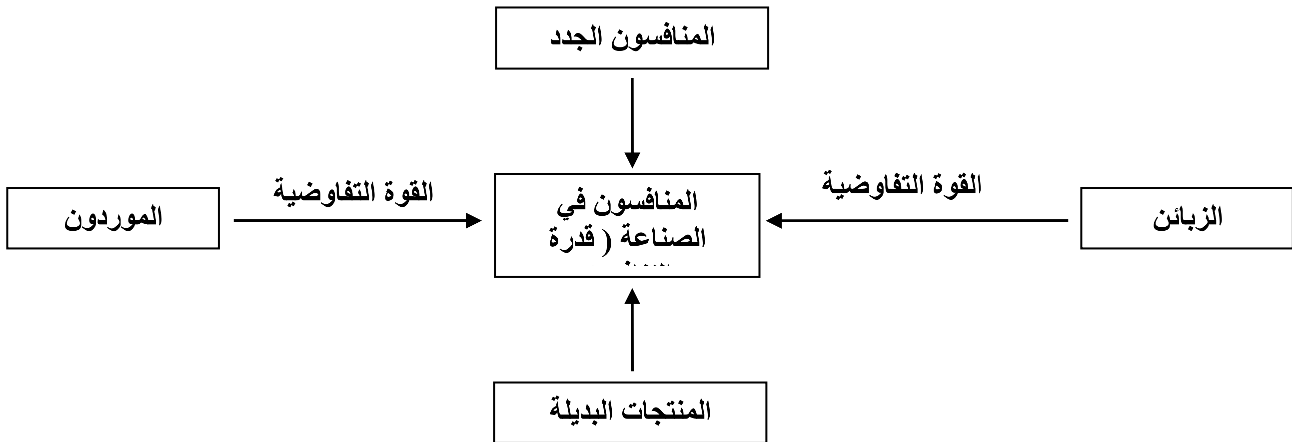
قدرات المنافسين:

- نقاط القوة وضعف المنافسين في التسويق، الانتاج، التنظيم، الموارد المالية، البشرية...
- قدرة التكيف مع التغيير
- قدرة رد الفعل السريع
- القدرة على التكور
- القدرة على المقاومة
- ...

المصدر: Jean –Pierre Helfer, Michel Kalika, Jacques Orsoni, 2008, Management stratégie et organisation, Vuibert, 7ème édition, Paris, 89.

اما بالنسبة لتحليل التنافسية فقد جسد PORTER القوى التنافسية بخمس قوى أساسية كما يعرضها الشكل:

شكل رقم 1: نموذج بورتر للقوى التنافسية



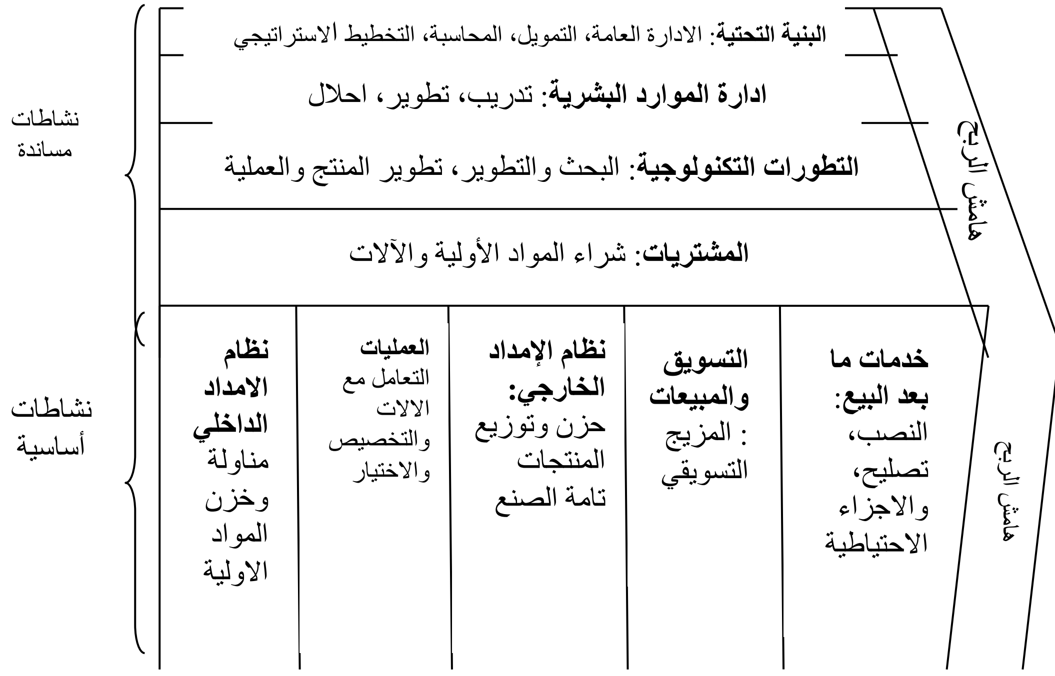
المصدر: حسن محمد احمد مختار، الإدارة الاستراتيجية المفاهيم والنماذج، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر، 2009، ص 89.

ب- **تحليل البيئة الداخلية**: بالإضافة الى تحليل البيئة الخارجية فانه لابد من تحليل البيئة الداخلية لمعرفة نقاط القوة والضعف لدى المؤسسة، ومن اهم مداخل البيئة الداخلية:

- **مدخل التحليل الوظيفي:** وهو من ابسط المداخل المستخدمة في تحليل البيئة الداخلية، حيث يتناول هذا التحليل القدرات والسمات المميزة للمؤسسة والتي يكون مصدرا محتملا للقوة او الضعف، ويكون ذلك بدراسة كل وظيفة على حدى وبالإضافة الى الوظائف يجب أيضا تحليل الهيكل التنظيمي وثقافة المؤسسة.
- **مدخل سلسلة القيمة لتحليل البيئة الداخلية للمؤسسة:** يعد تحليل سلسلة القيمة احد الادوات المهمة والمعتمدة في اجراء التحليل الداخلي. وتحليل القيمة هي طريقة منظمة للتمعن في النشاطات التي تؤديها المؤسسة وللكيفية التي تتفاعل بها هذه النشاطات مع بعضها البعض. يقسم تحليل سلسلة القيمة للمؤسسة الى سلسلة من النشاطات المترابطة

والتي تساهم في خلق جزء من القيمة الاجمالية التي يحصل عليها الزبون من المؤسسة وبتالي المساهمة في تحقيق الارباح. والشكل الموالي يوضح سلسلة القيمة للمؤسسة من وجهة نظر PORTER .

شكل رقم 2: سلسلة القيمة للمؤسسة من وجهة نظر PORTER



المصدر: صالح عبد الرضا رشيد، إحسان دهش جلاب، الإدارة الاستراتيجية مدخل تكاملي، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، 2008، ، ص 151.

- **مدخل تحليل نقاط القوة والضعف/ الفرص والتهديدات SWOT** : يعد تحليل SWOT من أهم الأدوات التي تعتمد عليها المؤسسة من اجل القيام بالتحليل الاستراتيجي، ويأتي هذا التحليل بعد التحليل الاستراتيجي للبيئة الخارجية والبيئة الداخلية للمؤسسة، فهذا التحليل يمكن المؤسسة من بناء كل تفكيرها الاستراتيجي، وتتكون كلمة SWOT من اربع كلمات: Strengths وتعني القوة وWeakness وتعني الضعف، Opportunities وتعني الفرص و Threats وهي التهديدات. وتتضح هذه الخلايا من الجدول التالي:

جدول رقم 4: مصفوفة SWOT

العوامل الداخلية	نقاط القوة (S)	نقاط الضعف (W)
الفرص الرئيسية (O)		
التهديدات الرئيسية (T)		

المصدر: بلال خلف السكارنة، التخطيط الاستراتيجي،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، الاردن، 2010، ص 223.

2- مرحلة تنفيذ الاستراتيجية :تناول العديد من الباحثين عملية التنفيذ الاستراتيجي من زوايا مختلفة بوصفها "عملية تستهدف ترجمة الخطة الاستراتيجية الى قرارات تشغيلية فعلية عبر نظام اداري قادر على خلق حالة التكامل بين موارد المنظمة، المالية والمادية والبشرية والمعلوماتية، وبين الهيكل التنظيمي المعتمد"[1].

[1] صالح عبد الرضا رشيد، مرجع سابق، ص 346.

3- مرحلة الرقابة الاستراتيجية: ويرى Pringl & others ان الرقابة الاستراتيجية هي " نظام للتعرف على مدى تنفيذ استراتيجيات المنظمة، أي مدى نجاحها في الوصول إلى أهدافها وغاياتها، وذلك من خلال مقارنة ما تم تنفيذه فعلا مع ما هو مخطط، وتعديل الاستراتيجية على أساس نتائج التنفيذ، وبذلك تتحسن قدرة المنظمة على انجاز أهدافها وغاياتها"[1] .

المحور الثاني: الدراسة الميدانية

أولا: تقديم منهجية البحث والمؤسسة محل الدراسة

1- حدود الدراسة:

- **الحدود الزمنية:** تم إجراء الدراسة الميدانية في الفترة الممتدة من 24 ماي إلى 22 جوان 2017.
- **الحدود المكانية:** جرت الدراسة في إحدى المؤسسات الصناعية التابعة للقطاع العام والتي تختص في إنتاج الحليب ومشتقاته وهي ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته بباتنة.

2- منهج الدراسة:بناء على طبيعة الموضوع تم الاعتماد على عدد من المناهج العلمية المكملة لبعضها البعض، حيث جاء المنهج الوصفي من خلال تعرضنا لأهم المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بالموضوع، قصد الوصول إلى الوصف الدقيق لعناصر موضوع البحث. استعنا في ذلك بالمراجع والوثائق المكتبية التي كان باستطاعتنا جمعها بكل من اللغة العربية والأجنبية. علاوة على ذلك تم استخدام المنهج التحليلي في الدراسة الميدانية لتحليل بيئة المؤسسة وتحليل نتائج المقابلة بقصد تحديد مختلف الاستراتيجيات المطبقة من طرف المؤسسة محل الدراسة.

ج- **دوافع اختيار المؤسسة: يعود اختيارنا لهذه المؤسسة لعدة عوامل أهمها:**

- عمر المؤسسة الذي اكتسبت من خلاله خبرة جيدة وما يقارب 26 سنة، مما يجعلنا امام فرضيات وجود تصور استراتيجي في المؤسسة.
- شهرة العلامة على المستوى الوطني.

د- **التعريف بملبنة الأوراس:** يعد الحليب من المنتجات الواسعة الاستهلاك على مدار السنة ولغرض تلبية الطلب المتزايد على هذا المنتج، قامت الدولة بإنشاء ديوان الحليب ومشتقاته له فروع منتشرة عبر الوطن ونتيجة لظهور مشاكل أعاقت التسيير الجيد للديوان لجميع فروعه تم إعادة هيكلته في سنة 1981 الى 3 دووابن مستقلة كل ديوان يشرف على الوحدات التابعة له وهذه الدوواين هي:

- الديوان الوطني للحليب ومشتقاته للوسط ORE LAC
- الديوان الوطني للحليب ومشتقاته للغربORO LAIT
- الديوان الوطني للحليب ومشتقاته للشرقORE LAIT

ولقد تأسس هذا الديوان الأخير في 1991 ويضم الوحدات التالية: عنابة، سطيف، قسنطينة، باتنة.

تقع ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته بالمنطقة الصناعية (كشيدة) بمدينة باتنة وتقدر المساحة الكلية لها ب 39326 م^2 ، ويقدر رأس مالها ب 448300000 دينار بالإضافة إلى أن القدرة الانتاجية السنوية لها هي 119165000 لتر حليب مقسمة كما يلي:

- 108000000 لتر حليب للاستهلاك اي 91% من المقدرة الكلية.
- 11009000 لتر ما يعادلها في مشتقات الحليب اي 9 % من المقدرة الكلية.

كما يقدر عدد العمال في 2016/12/31 ب 163 عامل.

ثانيا: مسار الإدارة الاستراتيجية في ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته:

[1] اياد عبد الفتاح النسور، ادارة التسويق، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، الاردن، 2015، ص 98.

تم جمع بيانات الدراسة باستخدام أداة المقابلة : عدة مقابلات نصف موجهة مع مدير الملبنة ونائبه وتم التحصل على معلومات استخدمت في تحليل بيئة المؤسسة وتحديد مختلف الاستراتيجيات وكيفية تطبيقها.

1. واقع تطبيق الإدارة الاستراتيجية في ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته

أ- **رسالة المؤسسة وأهدافها:** ان المؤسسة محل الدراسة لديها رسالة مكتوبة وموثقة، وتتمثل رسالتها في " تطوير، تحويل وتسويق الحليب ومشتقاته، وكذا تطوير الإنتاج الوطني للحليب، وتكثيف شبكة التجميع والمساهمة في تنظيم سوق الحليب". اما بالنسبة لهدفها العام فكان تحقيق الاستمرارية والنمو، والاستقلالية المالية، وتحقيق أعلى مردودية، والمحافظة على ريادتها في السوق حيث حسب ما أدلى به مسؤولي المؤسسة انه مقارنة بسنة 2015 فان الإنتاجية عرفت تحسن بنسبة 10%، كما انه من اجل إعادة الاعتبار لعملية جمع الحليب واستغلال الوسائل الجديدة، تسعى الملبنة إلى:

- تقوية الموارد البشرية وفق هيكل الأعمال.
- خلق نقاط بيع جديدة على مستوى مدينة باتنة عن طريق استأجار او شراء مما يسمح ببيع منتجات الحليب.
- انشاء مراكز للاستماع للزبائن (خلق مصلحة للمستهلكين).
- رفع مبيعات حليب البقر واللبن وقشدة طازجة والزبدة.
- زيادة الانشطة الترويجية.
- بداية اطلاق انتاج حليب البقر واللبن في علب.
- المحافظة على ريادة الملبنة في السوق.

ووفقا ما أدلى به مدير الملبنة فإنها تعمل على وضع تصور استراتيجي كل 5 سنوات وفي كل سنة تقوم بالتحديث كليا او جزئيا حسب تغيرات المحيط وكذا التأثيرات الداخلية للمؤسسة، ووضع الميزانية السنوية (تقدير) بالاعتماد على التنبؤ ويكون ذلك على مستوى المديرية العامة

ب- التشخيص الاستراتيجي للمؤسسة

- التشخيص الداخلي:

بالاعتماد على تقرير التسيير 2016 وحسب ما أدلى به مسؤولي الملبنة فان اهم نقاط القوة والضعف لدى الملبنة كما يلي:

خلال السنة المالية 2016 حققت الملبنة ربح صافي يقدر ب 38832000 دج وهذا بفضل المجهودات المبذولة في المجالات التالية:

- تحسين نوعية المنتوج.
- توزيع المنتجات المشتقة من الحليب وحليب البقرة بالوسائل الخاصة بالشركة.
- وفرة المنتجات بصفة دائمة في غرف التبريد
- تنوع المنتوج.
- تجديد وإصلاح وسائل الإنتاج.
- التحكم الجيد في التكاليف.
- تخفيض الخسائر.

من جهة أخرى استغلت الملبنة إمكانياتها بقدر 87 % فقد لوحظ:

- تنوع المنتوجات المصنعة في الملبنة.
- تحسن جد ملاحظ في انتاج مشتقات الحليب.

وفق معطيات مبيعات 2016 وتطورها بالمقارنة مع 2015 فقد لوحظ:

- تراجع مبيعات حليب الأكياس (LPC) ب 4% نظرا لنقص المادة الأولية.
- بيع كمية 18860041 لتر من حليب البقرة اي ما يعادل ب 105% من التوقعات.
- زيادة في مبيعات المواد التالية:

➢ لبن LFC ب 5%.

➢ القشدة (crème fraiche) ب 60%.

كما يلاحظ انه خلال هذه السنة المالية تم تسجيل خسارة في التوزيع تقدر ب 235510 لتر، تتمثل في تعويض الموزعين، هذه الخسارة تمثل 3‰ من إجمالي مبيعات حليب الأكياس (LPC).

كما لاحظنا من خلال تقرير التسيير ان جميع المنتجات المصنعة من طرف الملبنة تحقق هوامش ربحية ما يسمح للمؤسسة بالحفاظ على مردوديتها، كما لوحظ انه من خلال إيجابيات برنامج ANDI تتمتع الملبنة بامتيازات جبائية متعلقة بالاستغلال وذلك من خلال:

➢ ضريبة النشاط المهني (TAP(taxe d’activité professionnelle

➢ الضريبة على الأرباح IBS

➢ الإعفاء من TVA

➢ عدم الخضوع لحقوق الجمركة.

وحسب ما ادلى به سؤول المؤسسة فان الاستثمارات المحققة خلال السنوات الخمسة الأخيرة سمحت للملبنة ب:

- رفع قدرة الإنتاج والتخزين.
- تحسين الخدمة وجودة المادة الأولية.
- تحقيق الأهداف النوعية والكمية.
- تحقيق إنتاجية افضل.
- تلبية رغبات الزبائن.
- تغطية مناطق جديدة.
- تحصيل حصص هامة من السوق.
- تحقيق جو ملائم اجتماعي بين الموظفين والعمل وفق فرق العمل.

اما فيما يخص الاستثمارات الغير مستغلة فان الملبنة تملك وسائل إنتاج قديمة ومعطلة ذات تكنولوجيا قديمة، هذه الوسائل عرضت للبيع في المزاد لعدة مرات ولكن بدون نتيجة.

ولكن حسب تقرير التسيير فإننا لاحظنا ارتفاع صافي لرقم الأعمال الإجمالي وانه خلال ال5 سنوات الأخيرة سجلت الملبنة ارتفاع من سنة لأخرى وهذا راجع للأسباب التالية:

- رد الاعتبار لعمليات جمع الحليب.
- التحكم في المصاريف.
- تنوع المنتجات.
- تطوير وسائل الانتاج.
- شراء وسائل جديدة.

– ارتفاع مبيعات المنتجات ذوات قيمة إضافية عالية.

وانه خلال عمليات الثلاثي الاول 2017 حققت الملبنة:

- إنتاج إجمالي للحليب يقدر ب 25035112 لتر اي ما يقدر ب 102%.
- رقم أعمال مقدر ب 750927000 دج اي ما يعادل نسبة 103.%
- قيمة مضافة تقدر ب 169006000 دج اي ما يعادل نسبة 104%.
- نتيجة ايجابية تقدر ب 118121000 دج اي ما يعادل نسبة 128%.

من خلال دراسة هذه المعطيات نلاحظ ان وضعية الملبنة إيجابية، حيث انه وفق ما ادلى به مدير الملبنة فإنها الآن تمتلك منتوج ذو جودة، ذو سعر مقنن وحصة سوقية كبيرة وتكاليف اقل بالمقارنة مع المنافسين وعلاقات جيدة كما انها تعمل على تدريب العاملين ومشاركتهم بإبداء آرائهم لاتخاذ القرارات وتمتلك المؤسسة مؤهلات جامعية أصحاب حرف و تقني وتقني سامي.

مما سبق تستخلص الى اهم نقاط القوة والضعف لدى المؤسسة في الجدول الموالي:

جدول رقم5: التحليل الداخلي للملبنة

نقاط القوة	نقاط الضعف
- تحسين نوعية المنتوج - تحسن ملحوظ في إنتاج وتوزيع مشتقات الحليب وحليب البقرة بالوسائل الخاصة للشركة - وفرة المنتجات بصفة دائمة في غرف التبريد - تنوع المنتوجات المصنعة في الملبنة - تجديد وإصلاح وتطوير وسائل الإنتاج - التحكم الجيد في التكاليف - تخفيض الخسائر وتحسين الخدمة - استغلال إمكانيات الملبنة بنسبة 87% - بيع كمية حليب البقرة ما يعادل 105% من التوقعات. - زيادة في مبيعات لبن (LFC) ب 5%. - زيادة في مبيعات القشدة créme fraiche ب 60%. - جميع المنتجات المصنعة من طرف الملبنة تحقق هوامش ربحية ما يسمح بالحفاظ على مردوديتها. - تتمتع الملبنة بامتيازات جبائية متعلقة بالاستغلال من خلال TAP و IBS - الإعفاء من TVA وعدم الخضوع لحقوق الجمركة - ارتفاع في القدرة على الإنتاج والتخزين - تحقيق الأهداف النوعية والكمية. - تحقيق إنتاجية افضل حيث هناك تحسن بنسبة 10% - تلبية رغبات الزبائن - تغطية مناطق جديدة - تحصيل حصص هامة من السوق. - ارتفاع صافي رقم الأعمال الإجمالي.	- تراجع مبيعات حليب الأكياس (LPC) ب 4% نظرا لنقص المادة الأولية. - تسجيل خسارة في التوزيع تقدر ب 235510 لتر والتي تمثل 3‰ من إجمالي مبيعات حليب الأكياس LPC - استثمارات غير مستغلة - تمتلك الملبنة وسائل انتاج قديمة ومعطلة ذات تكنولوجيا قديمة عرضت للبيع ولكن بدون نتيجة. - العانات ضعيفة.

- تمتلك المؤسسة مؤهلات علمية - تقوم المؤسسة على تدريب العاملين - شراء وسائل جديدة - ارتفاع مبيعات المنتجات ذوات قيمة إضافية عالية. - انتاج إجمالي الحليب ثلاثي 2017 ب 102% - نتيجة ايجابية بنسبة 128% - من سنة 2011 الى 2017 قامت بتجديد الالات لتصل الى 100%	

المصدر: من إعداد الباحثتين

- **التشخيص الخارجي:**

يقوم على تحليل عناصر المحيط الأكثر تأثيرا على نشاط المؤسسة وفي حالة الملبنة يمكن ان تكون هذه العناصر كما يلي:
بالنسبة الى تهديدات الداخلين الجدد او المنافسين فان الملبنة تشهد تواجد عدة ملبنات اخرى تنشط في محيطها الجغرافي وهي موزعة كتالي على مستوى الولاية:

- شركة Timgad lait (تيمقاد): وتتمثل القدرة اليومية لها ي 40000 لتر.
- شركة Tahmamt lait (تاحمامت المعذر): وتتمثل القدرة الانتاجية لها في 50000 لتر في اليوم.
- شركة Youb lait (عين التوتة): اما هذه الاخيرة فتتمثل القدرة الانتاجية اليومية لها في 10000 لتر.

اما على مستوى الولايات المجاورة

- بسكرة:
  - ملبنة الصالحين: مع قدرة 30000 لتر في اليوم.
  - ملبنة الهقار: مع قدرة 30000 لتر في اليوم.
  - شركة اميرة: مع قدرة 60000 لتر في اليوم.
- خنشلة:
  - ملبنة دانونة: مع قدرة 100000 لتر في اليوم.
  - ملبنة الرميلة: مع قدرة 40000 لتر في اليوم.
  - ملبنة ماسينيسا: مع قدرة 20000 لتر في اليوم.
  - ملبنة تلوس: مع قدرة 20000 لتر في اليوم.

وعلى مستوى الولايات الاخرى:

- تبسة: ملبنة MILK بقدرة 100000 لتر يوميا.
- وادي سوف وورقلة: ملبنة الحضنة وتتمثل القدرة الإنتاجية لها ب 300000 لتر يوميا.

كما تقوم المؤسسة بتتبع المنافسين وجمع المعلومات من خلال مديرية التجارة، مديرية الضرائب لمعرفة رقم الأعمال، الجمارك، الديوان الوطني للإحصائيات، التلفزيون وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤسسة ليس لها القدرة على الإعلان أي أنها ضعيفة الإعلانات. وحسب ما أدلى به مسؤول المؤسسة فانه من أهم العوامل التي تؤثر على المؤسسة المواد الأولية الغير متواجدة محليا، وهنا نشير بدرجة كبيرة إلى تقلبات سعر الصرف مما يؤثر على سعر التكلفة وتجدر الإشارة إلى أن هذه المواد تتحكم فيها الدولة باعتبار أنها تقوم بتوفيرها إذن فلا مشكلة في تغير سعر الصرف, كما تؤثر التطورات التكنولوجية على وضعية المؤسسة بشكل مباشر وهذا نظرا للرغبات المتزايدة والمتجددة للمستهلكين، فعلى المؤسسة القيام بالتعديل (ويكون

هذا الأخير حسب ما أدلى به مسؤول المؤسسة إما كليا أو جزئيا على حسب التأثير) والتطوير المستمر تماشيا مع التغيرات التكنولوجية.كما أنه يوجد اتصال حتى لو غير مباشر مع المستهلك لمعرفة شكاويهم تطلعاتهم وتفضيلاتهم وانه يتم ذلك وفق صبر الآراء ومقابلات غير موجهة وهما أحسن مصدر للمعلومات حول القوة التفاوضية للزبائن ثم تقوم الملبنة بتحليلها (المعلومات)، كما لديها عقود مع الموزعين ما يجعلها تستفيد من مزايا التكاليف وهذا القيام بالتسويق المباشر وعقود مع مؤسسات عسكرية وغيرها.

والجدول الموالي يوضح أهم الفرص والتهديدات التي قد تواجه المؤسسة:

جدول رقم 6: التحليل الخارجي للملبنة

الفرص	التهديدات
- سمعة طيبة وشهرة واسعة على مستوى ولايات الشرق للبلاد. - مواقع متعامليها الذي يساعدها على توزيع منتجاتها. - التمكن من مواجهة منافسيها على المستوى المحلي. - استثمارات متنوعة (تنويع في محفظة الاستثمارات مما يقلل نسبة المخاطر)	شدة المنافسة

المصدر: من إعداد الباحثتين

3, الاستراتيجيات المطبقة من طرف ملبنة الأوراس:

من خلال المقابلات مع مسؤولي المؤسسة تم التوصل إلى:

- تقوم المؤسسة بتطبيق مجموعة من الاستراتيجيات تتمثل في:

- استراتيجية التمييز من خلال جودة منتجاتها (زبدة، كريمة طازجة، حليب) بحيث تسعى من خلال هذه المميزات على:

✓ تكوين صورة حسنة لدى زبائنها الحاليين والمحافظة عليهم، من خلال أساليب الترويج، مندوبين تجاريين، المشاركة في المعارض دولية ومحلية، منشورات اشهارية، المشاركة في الأيام الوطنية.

✓ جذب زبائن جدد.

✓ تطور نسبة مبيعاتها.

✓ زيادة حصتها السوقية.

✓ التميز عن منافسيها من خلال الخصائص الفريدة والمميزة وبالتالي تكوين صورة ذهنية جيدة لدى زبائنها.

✓ مواجهة المنافسة المحتملة.

- استراتيجية النمو وهي صورة في معظم استراتيجيات المؤسسة المتجسدة في زيادة المبيعات، الحصة السوقية، الأرباح أو حجم المؤسسة. فإن ملبنة الأوراس تطبق استراتيجية اختراق السوق من خلال زيادة مبيعات منتجاتها الحالية وذلك من خلال:

✓ تنشيط طلب العملاء الحاليين.

✓ إنشاء نقاط بيع على مستوى مركز الولاية.

✓ إنشاء ملبنات مصغرة بالولايات المجاورة.

✓ ولزيادة حليب البقر: وجود مزرعتين تابعتين للوحدة في ولاية باتنة (زانة البيضاء، الكوندورسي).

✓ الاستيلاء على زبائن المنافسين.

وبما أن وضعيتها جيدة في القطاع فإنها تسعى دوما إلى زيادة حصتها السوقية وذلك من خلال التركيز على نقاط قوتها تجاه نقاط ضعف المنافسين، من خلال الحصول المستمر على المواد الخام (كغبرة الحليب وغيرها) ذات الجودة العالية وتوفير آلات ذات تكنولوجيا متطورة (حيث قامت بشراء اجهزة جديدة من الخارج خاصة بالتنظيف الآلي للأجهزة (جانب وقائي)

وأخرى للجبن وآلات جديدة لصناعة الزبدة اتوماتيكيا (لانه الموجود نصف اتوماتيكي) وآلة أخرى لنزع رائحة حليب البقر وكذا شراء ورشة كاملة لصناعة المادة الأولية والى قشطة الحليب والى لصناعة الياغورت ومشروبات أخرى كالشاربات وغيرها) والاستفادة من أثار منحنى الخبرة وتكوين مواردها البشرية.

- استراتيجية تطوير المنتج: عند طرح الملبنة لمنتجاتها كالزبدة وكريمة طازجة والشاربات اتبعت استراتيجية تطوير المنتج حيث انه حسب ما أدلى به إطار المؤسسة أنهم يتبعون في بداية إطلاقهم للمنتج استراتيجية السعر المنخفض إلى غاية تعرف الزبائن على المنتج وعلى جودته.
- استراتيجية التكامل العمودي الأمامي: حيث تقوم الملبنة بالسيطرة على منافذ التوزيع، وذلك عن طريق عقود مع الموزعين.

الاستنتاجات والتوصيات:

من خلال الدراسة تم التعرف على مدى تطبيق الإدارة الاستراتيجية في ملبنة الأوراس للحليب ومشتقاته وترتكز النتائج على الدراسة الميدانية التي أجريت على الملبنة. وبعد التحليل للمعلومات الذي تم الحصول عليها من المقابلات والتقارير الخاصة بالمؤسسة، خلصت الدراسة إلى وجود تصور استراتيجي تعمل الملبنة على تبنيه، كما وقفت الدراسة على مجموعة من النتائج:

- هناك شبه غياب للاهتمام بالإدارة الاستراتيجية في المؤسسة محل الدراسة. وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الأولى، حيث ان الملبنة تهتم بالتسيير العملي بدرجة اكبر من الإدارة الاستراتيجية وذلك لكون هذه الأخيرة تعتمد على الدراسات المستقبلية التي تتصف بالندرة والصعوبة في الحصول على المعلومات الكافية والدقيقة مع العلم أن الملبنة تقوم بجمع معلومات حول الزبائن والمنافسين والمعلومات التكنولوجية وغيرها.
- تمتلك المؤسسة محل الدراسة رسالة مستقبلية واضحة ومكتوبة. وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الثانية. حيث ان ملبنة الأوراس تمتلك رسالة مكتوبة وواضحة تتصف بالتوثيق محددة مجال نشاطها ولكنها غير محددة السوق المستهدف، بالإضافة إلى أنها تمتلك خطة استراتيجية مكتوبة.
- لا تهتم المؤسسة محل الدراسة بعملية تحليل بيئتها الداخلية والخارجية. وهذا ما يؤكد صحة الفرضية الثالثة. حيث أن ملبنة الأوراس لا تقوم بتحليل بيئتها عند تطبيق مختلف الاستراتيجيات.
- تفتقد المؤسسة محل الدراسة الى التطبيق العملي للاستراتيجيات. وهذا ما ينفي صحة الفرضية الرابعة حيث انه تقوم الملبنة بتطبيق بعض الاستراتيجيات ولكنها تفتقد الى صياغة هذه الاستراتيجيات وفق الخطوات العلمية.

التوصيات:

بناء على نتائج الدراسة يمكن تقديم التوصيات والاقتراحات التالية:

- ضرورة الاهتمام بالاستراتيجيات وتطبيقها بكفاءة من طرف المؤسسة.
- زيادة الوعي لأهمية تحليل البيئة الداخلية والخارجية.
- المحافظة على النوعية الجيدة التي تتمتع بها المنتجات لمواجهة المنافسة المرتقبة.
-بناء قاعدة معلوماتية عن أسواقها يساعدها في رسم مختلف السياسات والاستراتيجيات المناسبة.
- الاستعداد لمواجهة المنافسة والتسلح لضمان البقاء والاستمرار مستقبلا.

قائمة المراجع:

1– اياد عبد الفتاح النسور(2015) إدارة التسويق، (ط2)، الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع.
2– بلال خلف السكارنة (2010) التخطيط الاستراتيجي، (ط1)، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
3– حسن محمد احمد مختار(2009) الإدارة الاستراتيجية المفاهيم والنماذج، (ط1)، مصر، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

4– خالد محمد بني حمدان (2009) الاستراتيجية والتخطيط الاستراتيجي منهج معاصر، (ط1)، الأردن، دار اليازوري للنشر والتوزيع.

5– صالح عبد الرضا رشيد، إحسان دهش جلاب(2008) الإدارة الاستراتيجية مدخل تكاملي، الأردن، دار المناهج للنشر والتوزيع.

6– عيسى حيرش (2011) الإدارة الاستراتيجية، (ط1) ، الأردن، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

7– مصطفى محمود ابوبكر، فهد بن عبد الله النعيم (2008) الإدارة الاستراتيجية وجودة التفكير والقرارات في المؤسسات المعاصرة، مصر، الدار الجامعية.

8– نعمة عباس خفير الخفاجي(2010) الإدارة الاستراتيجية المداخل والمفاهيم والعمليات، (ط2)، الأردن، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

9– Alain Desreumaux, Xavier Lecocq, vanessa Warnier, (2006), Stratégie, Paris , Pearson éducation.

10– Jean–Pierre Helfer, Michel Kalika, Jacques Orsoni, (2008), Management stratégie et organisation, (7ème édition), Paris, Vuibert.

السر المصرفي وإجراءات مكافحة الفساد المالي

د.بن عشي حسين
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة باتنة 01

ملخص: يستوجب نشاط المصارف ضرورة التزامها بكتمان معلومات الزبائن والعملاء، واكساب ذلك طابعا عاليا من السرية، وإذا كان للبنك حق الاطلاع على تلك المعلومات السرية الخاصة بزبائنه، فإن مختلف التشريعات أكدت على واجب البنوك في الحفاظ على تلك السرية، وعلاقة الارتباط بين الإيداع المصرفي من جهة وتسهيل المعاملات البنكية من جانب المصرف من جهة ثانية، إنما تتعزز بكتمان المصرف لأسرار عملائه المالية، حيث أن الكشف عن مثل هذه الأسرار ومخالفة أصول العمل المصرفي من شأنها إلحاق ضرر بالعميل وسمعته ومركزه المالي، غير أن هذا التحفظ لا يمنع من مناقشة الصرامة المقترنة بهذا السر، إذا كان ذلك مقترنا بأسباب تمليها ضرورات التحقيق في قضايا الفساد المالي.

على هذا الأساس فإن هذه الورقة البحثية تسلط الاهتمام على التزام البنك بالسر المصرفي، وعدم تعارض ذلك مع إجراءات مكافحة الفساد المالي.

الكلمات المفتاحية : السر المصرفي، إفشاء السر المصرفي.

Abstract: The activity of banks requires their commitment to confidentiality of customer and customer information And if the Bank has the right to access such confidential information of its customers.

The various legislation emphasized the duty of banks to maintain such secrecy and the relationship between the bank deposit on the one hand and facilitate banking transactions by the exchange on the other hand But is enhanced by the Bank's secrecy of the secrets of its financial agents.

The disclosure of such secrets and the violation of the assets of banking will harm the customer and his reputation and financial position

However, this reservation is not prevented by discussing the rigor associated with this secret, if this is coupled with reasons dictated by the imperatives of investigating cases of financial corruption.

On this basis, this paper focuses attention on the Bank's commitment to banking secrecy and does not conflict with measures to combat financial corruption.

مقدمة :تقوم المؤسسات المصرفية -بحكم وظيفتها- بأداء عمليات مصرفية مختلفة لصالح المتعاملين معها، خاصة والعالم يعيش عصرا تشكل فيه المصارف عماد مختلف النشاطات التجارية والاقتصادية ويقتضي ذلك الوضع ضرورة تجمع معلومات لدى المصارف عن الوضع المالي للمتعاملين معها.

ولأجل مناخ الثقة المتبادلة وتشجيع استمرارية التعامل، كان من الضروري دوما أن يستوجب نشاط المصارف ضرورة التزامها بكتمان هذه المعلومات لما لها من طابع عال من السرية، وإذا كان للبنك حق الاطلاع على تلك المعلومات السرية الخاصة بزبائنه فإن مختلف التشريعات أكدت على واجب البنوك في الحفاظ على تلك السرية، خاصة وأن الأمر يتعلق ببيانات عهد بها العميل إلى المصرف، مما يخوله بل يلزمه الاحتجاج بالسر في مواجهة المحاولات الرامية إلى كشفه، باعتبار أن المصرف مؤتمن عليه بحكم مهنته.

إن مبدأ الثقة كصلة ارتباط بين الإيداع المصرفي من جهة، وتسهيل المعاملات البنكية من جانب المصرف من جهة ثانية، إنما تتعزز بكتمان المصرف لأسرار عملائه المالية، لأن الكشف عن مثل هذه الأسرار ومخالفة أصول العمل المصرفي من شأنها إلحاق ضرر بالعميل وسمعته ومركزه المالي، فالعميل ما كان ليودع أمواله لدى البنك دون ان يفترض احترام البنك لسر المهنة المصرفية، وهذه السرية محورها الأساسي أحد أهم أشكال الحرية الشخصية للإنسان، بشأن سرية حياته الشخصية وخصوصا ذمته المالية وبالتالي يصير كل عمل يفضي إلى الكشف عن أسرار هذا العميل، بمثابة خرق وانتهاك

غير مبرر لمبدأ السرية، يستوجب معه تقرير مسؤولية البنك، إلا أن الواقع العملي أثبت أن هناك ضرورات تمليها جوانب الحفاظ على المال العام، والفصل في شرعية المعاملات المالية، التي قد تتصل بغسيل الأموال والتهرب الضريبي والفساد المالي، كلها عوامل تجعل هذه السرية نسبية وليست مطلقة، بل ترد عليها استثناءات وحدود تبرر الخروج عنها ؛

وعلى ضوء هذا الطرح تثار الإشكالية المحورية في هذه الورقة البحثية :

ما هي حدود التزام البنك بالمحافظة على أسرار عملائه المالية؟ وما هي المبررات القانونية التي تسمح بالخروج عن مبدأ الالتزام بالسرية من جانب البنك؟

المبحث الأول : الإطار المفاهيمي للسر المصرفي : تعود فكرة مراعاة السر المصرفي إلى بدايات التداول والائتمان النقدي في المصارف والبنوك بعد الثورة الصناعية في أوروبا، والتي جعلت أصحاب الثروات من كبار رجال الأعمال والصناعيين يعتمدون على المصارف في حفظ ثرواتهم وتنميتها، وتعد المملكة المتحدة أول دولة وضعت تشريعا للسرية المصرفية، حيث نظم قانون الإثبات بالدفاتر المصرفية الصادر سنة 1879م السرية المصرفية في بريطانيا، بحيث التزمت البنوك البريطانية بسرية حسابات العملاء وعدم الكشف عنها إلا بناء على استثناءات نص عليها القانون آنذاك، لكن الثابت تاريخيا أن سويسرا هي موطن السر المصرفي، إذ عرضت البنوك السويسرية فكرة السر مقابل عمولة على الطبقة الأرستقراطية الفرنسية اثناء فترة الثورة الفرنسية، وابتكرت الحسابات المستترة في نهاية القرن 19م لجذب الأموال من جميع انحاء العالم.[(1)]

المطلب الأول: ماهية السر المصرفي:لم يحدد المشرع الجزائري المقصود بالسر المصرفي، ولم يحدد نطاقه، كما لم يذكر المعطيات التي تعتبر سرا أو يشير إلى مقاييس يمكن من خلالها التعرف على المعلومات والبيانات المشمولة بالسرية المصرفية [(2)] ومن منطلق ان السرية المصرفية تقتضي التزام المصرف بالمحافظة على أسرار المتعاملين معه من العملاء يمكن تعريف السر المصرفي بأنه : " الموجب الملقى على المصرفي بان يحفظ السر الأكيد بجميع ما يتناهى إلى علمه عن شخص طبيعي أو معنوي تعامل أو يتعامل معه وذلك أثناء قيامه بعمله "[(3)]

إلا أن قانون العقوبات الجزائري في المادة 301 منه يعاقب جميع الأشخاص المؤتمنين بحكم الواقع أو المهنة أو الوظيفة الدائمة أو المؤقتة على أسرار أدلي بها إليهم وأفشوها في غير الحالات التي يوجب عليهم فيها القانون إفشاءها[4]، ونفس الحكم وارد ضمن المادة 216-13 من قانون العقوبات الفرنسي، إضافة إلى الاحتياطات الداخلية للبنوك لمنع تداول المعلومات وهي الممارسة التي توصف بصور الصين [5]

فسر المهنة في مجال العمل المصرفي هو التزام موظفي المصرف بالمحافظة على كل ما يطلعون عليه من معلومات وبيانات خاصة بالعميل وعدم الإفضاء بها إلى الغير، لأن المصرف مؤتمن عليها بحكم مهنته، بناءا على ذلك يفترض في السر المصرفي أمران:

([1])- علي محمد حسنين حماد، (2004)، الحلول العملية والشرعية لمشكلة السرية المصرفية ومواجهة غسيل الاموال، ورقة علمية مقدمة إلى ندوة السرية المصرفية في مواجهة تبيض الأموال التي يقيمها اتحاد المحامين الدولي في بيروت يومي 18-19 – 06- 2004، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ص: 04.

([2])- فضيلة ملهاق، (2013)، وقاية النظام البنكي الجزائري من تبيض الأموال، دار هومة، الجزائر،، ص: 152.

([3])- زينة غانم عبد الجبار الصفار، (2011)، الأسرار المصرفية: دراسة قانونية مقارنة، دار الكتب القانونية، مصر، ص: 38

([4])- أنظر المادة 301 من قانون العقوبات الجزائري، الصادر بالأمر 66-156 المؤرخ في 08 يونيو 1966 المعدل والمتمم

([5])- Jean-pierre MATOU , (2002) , Le secret bancaire dans l'ordre international , in Droit international privé : travaux du comité français de droit international privé,15é année,200-2002 , éd.Pedone , Paris , 2004 , p. 175

En ligne : http:// www.persee.fr/doc/tcfdi_1140-5082_2004_num_15_2000_1126 Consulté le 28/08/2017

أولا : أن تكون المعلومات المطلوبة للحفاظ على سريتها محددة : من منطلق ما أشرنا أنفا من أن المشرع الجزائري لم يحدد المعطيات والمقاييس التي على ضوئها يمكن التعرف على المعلومات والبيانات المشمولة بالسرية، فإنه يمكن اعتبار ما يندرج ضمن نطاق السرية المصرفية المعلومات والمعطيات التالية:

اسم الزبون، المعطيات الخاصة بالرصيد، وضعية الرصيد" دائن، مدين "، عدد وطبيعة المستندات المودعة، العمليات التي تطرأ على الرصيد، عمليات إيداع المبالغ المالية أو القيم المنقولة المعلومة المقدمة من الزبون المتعلقة بوضعيته الاقتصادية عند فتح الحساب أو عند الحصول على قرض، البيانات الخاصة بالميزانية ورقم الأعمال، قائمة الممونين، قيمة ونوع الأوراق التجارية المودعة للخصم والمخالصة، تأجير صندوق الودائع، الاوامر التي يصدرها الزبون المتعلقة بالتحويلات، عمليات الدفع، الضمانات العينية والشخصية المقدمة، أسماء الغير الذين تعامل معهم الزبون.(1)

ثانيا: أن يحافظ على السر شخص عهد إليه به : يمكن القول ان السر المصرفي ينصرف إلى كل أمر أو معلومة أو وقائع تصل إلى علم البنك عن عميله أثناء ممارسته لنشاطه، ويستوي في ذلك أن يكون العميل هو الذي أفضى بها إلى البنك أو تكون قد وصلت إلى علمه بحكم مهنته، كما يعد الالتزام بحفظه التزاما قانونيا بامتناع عن عمل مؤداه الامتناع عن إفشاء المعلومات البنكية (2). ضمن هذا الإطار، وعلى أساس غياب تعريف المشرع الجزائري للسر المهني العام والسر البنكي وإنما تم الاكتفاء بفرض الالتزام بحفظه بموجب المادة 117 من قانون النقد والقرض على البنوك والتي نصت على ما يلي :

" يخضع للسر المهني تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في قانون العقوبات :

- كل عضو في مجلس إدارة وكل محافظ حسابات، وكل شخص يشارك أو شارك بأي طريقة كانت في تسيير بنك أو مؤسسة مالية أو كان أحد مستخدميها.
- كل شخص يشارك أو شارك في رقابة البنوك والمؤسسات المالية.

تلزم بالسر مع مراعاة الأحكام الصريحة للقوانين جميع السلطات ما عدا:

- السلطة العمومية المخولة بتعيين القائمين بإدارة البنوك والمؤسسات المالية.
- السلطة القضائية التي تعمل في إطار إجراء جزائي.
-السلطة العمومية الملزمة بتبليغ المعلومات إلى المؤسسات الدولية المؤهلة لاسيما في إطار محاربة الرشوة وتبيض الأموال وتمويل الإرهاب.
- اللجنة المصرفية أو بنك الجزائر الذي يعمل لحساب هذه الأخيرة..."(3)

نسجل ملاحظة في هذا الشأن أن المشرع الجزائري لم يخص حماية السرية البنكية بقانون خاص كما فعلت بعض التشريعات المقارنة كالقانون السويسري، اللبناني، المصري، وإنما نص على هذا الالتزام بمقتضى القواعد التي تنظم السر المهني بصفة عامة، إضافة إلى بعض النصوص الخاصة بالسر البنكي المتواجدة في قوانين متفرقة. (4)

أما بالنسبة لموقف المشرع الفرنسي يمكن القول أنه لم يقم أيضا بتحديد النطاق الموضوعي لالتزام بالسر المصرفي أي لم يذكر تعداد للبيانات والمعلومات والعمليات التي تدخل في نطاق السرية بل اكتفى بوضع إطار عام للالتزام بالسر المصرفي الذي يقع على عاتق المصارف دون أن يرسم الحدود الدقيقة لهذا الالتزام بمعنى أنه لم يورد تعداد حصري للأعمال التي

---

(1)- فضيلة ملهاق، المرجع السابق، ص: 153.

(2)- الحاسي مريم،(2012-2011)، التزام البنك بالمحافظة على السر المهني، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر، تخصص مسؤولية المهنيين، كلية الحقوق، قسم العلوم القانونية، جامعة بلقايد تلمسان، ص: 15.

(3)- المادة 117 من الأمر رقم 04/10 المؤرخ 26 /2010//08 المتعلق بالنقد والقرض، جريدة رسمية عدد 50 المؤرخة في 2010/09/01 المعدل والمتمم للأمر رقم 11/03.

(4)- الحاسي مريم، المرجع السابق، ص: 34.

يباشرها المصرف ويكون ملتزما بالسرية المصرفية، واكتفى بإسباغ السرية المصرفية على المعلومات التي تتمتع بطابع الخصوصية مثل مقدار الرصيد ورقمه وحركته.[1]

المطلب الثاني : الطبيعة القانونية للسر المصرفي :

بحث الفقه والقضاء عن أساس التزام البنوك بالمحافظة على أسرار المهنة، بين منادي بالسرية المطلقة ومعارض لذلك وقائل بالسرية النسبية، وظهرت في هذا الصدد نظريتين أساسيتين، نحاول طرح مضمونهما على النحو التالي :

أولا : نظرية السر المصرفي المطلق :

مضمون هذه النظرية أن السر البنكي سرا مطلقا، وهو مؤسس فقط على المصلحة العامة ويتعلق بالنظام العام وغايته الوحيدة هي حماية الثقة، فالمهني عليه الحفاظ على السر في جميع الأحوال ولا يمكن للفرد تجريد المهني من التزامه، ولا يمكن أن ترجح المصلحة الخاصة في هذه الحالة[2]، وقد أورد أنصار هذه النظرية بعض الحجج لتأييد وجهة نظرهم في الطرح القائل بالسرية منها القول بأن هذا الالتزام المطلق بالسر المصرفي تبرره ضرورة حماية ثقة العميل في البنك، وعلى هذا الأساس لا يمكن لموظف البنك التحلل من هذا الالتزام تحت أي ظرف من الظروف، لأن القاعدة المفروضة هي الصمت المطلق والفم المغلق [3]، ومن بين التشريعات التي أخذت بهذه النظرية والتي يهدف نظامها إلى الكتمان المصرفي المشرع السويسري، الذي شدد من الالتزام بهذا السر وعاقب بصرامة على حالات إفشائه، حيث أخذت سويسرا بنظام فتح الحسابات السرية المرقمة التي لا يعرف اسم عميلها)[4]، اما من التشريعات العربية التي تبنت التزام السرية المطلقة نجد التشريع اللبناني والسوري وكذا المصري، إذ نصت المادة 03 من قانون سرية المصارف اللبناني لسنة 1956 والمادة 02 من قانون السرية المصرفية السورية رقم 29 لسنة 2001 على أنه : "يحق للمصارف أن تفتح لزبائنها حسابات ودائع مرقمة، لا يعرف أصحابها غير المدير القائم على إدارة المصرف أو وكيله."([5]

وهذا نفس الطرح تبناه المشرع المصري في المادة 02 من قانون سرية الحسابات الصادر سنة 1990إذ نصت على ما يلي : " للبنوك أن تفتح لعملائها حسابات حرة مرقمة بالنقد الأجنبي أو ربط ودائع منها أو قبول ودائع مرقمة بالنقد المذكور ولا يجوز ان يعرف أسماء هذه الحسابات والودائع غير المسؤولين بالبنك الذين يصدر بتحديدهم قرار من مجلس إدارته".[6]

لكن مسالة القول بإطلاقية السر المصرفي سرعان ما تم التراجع عنها إذ تعرضت هذه النظرية للنقد بحجة أن السر المصرفي غير مخصص للمصلحة العامة فقط بل للمصلحة الخاصة أيضا، كما أن رضا الزبون بالإفشاء كاف وحده لتحرير المهني من التزامه[7]، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى الأخذ بهذا الإطلاق من شأنه تهديد العديد من المصالح بحجة السرية، هاته الأخيرة التي أحيانا لا تستجيب لضرورات ومشاكل الواقع ولا تواكب التطور الحاصل في مجال التعاون الدولي الجنائي لبعض الجرائم والتصدي لجرائم تبيض الأموال[8]، مما دفع ببعض التشريعات التي تبنتها وعلى رأسها المشرع السويسري الى التراجع من الأخذ بإطلاق السر المصرفي ومرد ذلك أن انتشار هذه السرية المطلقة وخاصة مسألة الحسابات الرقمية أدى

([1])- نسيبة إبراهيم حمو، زينة غانم الصفار، (2007)، النطاق الموضوعي للالتزام بالسر، الرافدين للحقوق، مجلد 09، السنة الثانية عدد 31،، ص: 2-3.

([2])- بوساعة ليلى، (2010، 2011)، السرية في البنوك، مذكرة ماجيستر، كلية الحقوق، قسم العلوم القانونية، جامعة الجزائر 01، ص 143.

([3])- الحاسي، مريم المرجع السابق، ص: 44.

([4]) -نسيبة إبراهيم حمو، زينة غانم، المرجع السابق، ص: 38.

([5])- المرجع نفسه، ص: 34.

([6])-المادة 02 من قانون رقم 205 لسنة 1990 الملغى بموجب قانون البنك المركزي والجهاز المصرفي والنقد المرقم 88 لسنة 2003.

([7])- بوساعة ليلى، المرجع السابق، ص: 142.

([8])- الحاسي مريم، المرجع السابق، ص: 46.

إلى تغلغل أموال نتجت عن عمليات غير مشروعة تحققت عن تجارة المخدرات والأسلحة، وبعد سلسلة من الفضائح التي تورط فيها رجال الأعمال والسياسة قامت سويسرا بإلغاء هذا النوع من الحسابات المعروفة باسم الحساب (ب) B إذ اصبحت كل الاموال المودعة في المصارف السويسرية تعلن عن شخصية أصحابها أمام المصارف السويسرية، وجاء هذا القرار استجابة للجهود التي بذلتها الولايات المتحدة الامريكية لإقناع السلطات السويسرية بضرورة إلغاء هذا النظام للوصول إلى مكافحة تجارة المخدرات والجريمة المنظمة.[1]

ثانيا : نظرية السر المصرفي النسبي :

وفقا لهذه النظرية فإن كتمان السر المصرفي يهدف إلى حماية المصالح الخاصة وتدعيم الثقة والحق في الخصوصية بغرض تعزيز الثقة والائتمان بطريقة غير مباشرة، مما يستوجب التضحية بهذا الالتزام " السر المصرفي "، إذا وجدت مصلحة اجتماعية أو فردية أسمى من المصلحة التي تقرر لأجلها الكتمان، ويترتب على محدودية السر المصرفي أنه يحق للعميل الاطلاع على جميع المعلومات التي تخصه طالما ان الالتزام بحفظ السر المصرفي تقرر لمصلحته بالتالي يكون له الحق في الاطلاع على ما يهمه ولا يحتج في مواجهته بالسر المهني، كما له أن يأذن للبنك بإفشاء السر فخاصية نسبية السر المصرفي تتماشى ومقتضيات العدالة، على هذا الأساس اعتنقت البنوك مبدأ تقديم المعلومات في إطار الاستعلام البنكي تحقيقا لمصلحة العميل[2]،وهناك من الدول من أباحت في تشريعاتها التدخل شبه الكامل في أمور البنوك وعملياتها، فعلى سبيل المثال تتدخل الإدارة السويدية من الناحية العملية وبلا أدنى قيد في كل المعلومات المالية سواء كانت شخصية أم تجارية وهو نفس المنحى سارت عليه فرنسا إذ يتعين على البنوك أن تخطر خزانة الدولة بأرباح عملائها لأجل ضريبة الدخل كما يتوجب على البنوك الإسبانية ان تطلع الإدارة الضريبية باسم ورقم البطاقة الشخصية لجميع مودعي الاموال لديها ولكن لا يشمل هذا الالتزام المعلومات الخاصة بالحسابات ولا الارباح[3]، وتعد الولايات المتحدة الأمريكية وكذا بريطانيا وما صدر بهما من تشريعات بخصوص السرية المصرفية والخصوصية المالية نموذج لنسبية السرية المصرفية.

ثالثا: موقف المشرع الجزائري من نسبية وإطلاق السر المصرفي:

إن موقف المشرع الجزائري من هذه المسألة أنه لم يخصص قانونا قائما بذاته للسر المهني للبنوك بل نص على أحكام هذا السر بمقتضى القواعد العامة الواردة في قانون العقوبات، وبعض القواعد الخاصة الواردة في قانون النقد والقرض ومن استقراء أحكام المادة 117 من قانون النقد والقرض السالفة الذكر التي أقرت بمبدأ التزام البنوك بالمحافظة على أسرار المهنة والتي نصت على انه : " يخضع للسر المهني تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها في قانون العقوبات : كل عضو في مجلس إدارة وكل محافظ حسابات وكل شخص شارك او يشارك بأي طريقة كانت في تسيير بنك أو مؤسسة مالية أو كان أحد مستخدميها.

-كل شخص يشارك أو شارك في رقابة البنوك والمؤسسات المالية.

-تلتزم بالسر مع مراعاة الأحكام الصريحة للقوانين جميع السلطات ماعدا السلطات العمومية المخولة بتعيين القائمين بإدارة البنوك والمؤسسات المالية.

- السلطات القضائية التي تعمل في إطار جزائي.

-السلطات العمومية الملزمة بتبليغ المعلومات الى المؤسسات الدولية المؤهلة لاسيما في إطار محاربة الرشوة وتبيض الاموال وتمويل الإرهاب.

-اللجنة المركزية او بنك الجزائر الذي يعمل لحساب هذه الأخيرة ".

([1])- نسيبة إبراهيم حمو، زينة غانم، المرجع السابق، ص: 38.

([2])- السايحي مريم، المرجع السابق، ص: 49.

([3])-علي محمد حسنيين، المرجع السابق،ص : 18.

نستشف من مضمون هذه المادة أن المشرع الجزائري أكد على واجب كتمان السر المهني واعتبر أن إفشاءه جريمة معاقب عليها، إلا أنه نص على أن هذا الالتزام ينتفي في الحالات الاستثنائية المحددة قانونا، كما خول بعض الهيئات والسلطات حق الاطلاع على المعلومات البنكية المحمية أساسا تحت غطاء السرية ومنع الاحتجاج تجاهها بالسر المهني تحقيقا للمصلحة العامة.

المطلب الثالث: الاعتبارات التي يقوم عليها السر المصرفي:

تقوم فلسفة النظام القانوني للسرية المصرفية على أساس التزام المصرف بكتمان الوقائع والمعلومات التي تعهد إليه بمناسبة نشاطه، ويعد هذا التزام سلبي يخول المصرف الحق في الاحتجاج بالسرية في مواجهة المحاولات التي تستهدف كشف تلك المعلومات كلها او بعضها، إذ أن الإخلال بهذا الالتزام " السرية " يعرضه للمسؤولية الجزائية غير أن نطاق الالتزام بالسر المصرفي يختلف باختلاف السياسة التشريعية التي تتبعها الدول. (1)

ومن الاعتبارات التي تبرر التمسك بالسرية المصرفية ما يلي:

أولا: حماية الحرية الشخصية: ترتبط المحافظة على السر المصرفي بشكل اساسي بحق الإنسان في احترام حريته الشخصية وحماية حياته الخاصة، وقد جاءت هذه الحماية في المواثيق الدولية، وبما أن البنك هو المكان الذي يودع فيه الشخص العميل أمواله وأسراره المالية، فيتوجب عليه الحفاظ عليها وعدم إفشائها للغير(2)، وكل إخلال بهذا الالتزام يشكل انتهاكا لحرمة الحياة الخاصة والحرية الشخصية للأفراد وقد ينجم عن ذلك أضرار تلحق بمن أفشى سرهم، ويتجلى ذلك بصفة خاصة عندما يكون العميل من التجار لأن طبيعة أعمالهم تجعلهم حريصين على كتمان أمورهم المالية خشية مزاحمتهم من قبل منافسيهم (3)، الذين يلجؤون إلى منافسته بصورة غير مشروعة، فإذا قام البنك بإفشاء من هم زبائن هذا العميل، فقد يقوم منافسيه باجتذابهم مما يؤثر سلبا على وضعه المالي الذي قد يؤدي به إلى الإفلاس بالتالي من مصلحة العميل ان تبقى أعماله طي الكتمان لحين استقراره من جديد(4)، وتجاوز أزمته المالية برسائل عدة دون أن تهتز ثقته التجارية، كما قد يكون هذا الغير فردا من أفراد عائلة العميل، وقد يعلم بهبة أو دفعات مالية تدفع شهريا لأحد أفراد العائلة أو لشخص غير مرغوب فيه لأسباب معينة، فيؤدي ذلك إلى إثارة منازعات، لذلك فإن للعميل مصلحة عليا في تقييد المصرف بمبدأ السرية(5)، فقد جرم المشرع الجزائري هذا الفعل بموجب المادة 1/303و2 مكرر من قانون العقوبات حيث عاقب بالحبس من 06 أشهر إلى 03 سنوات وغرامة مالية من 50000دج إلى 300000 دج، كل من تعمد المساس بحرية الحياة الخاصة للأشخاص بأية تقنية كانت وذلك:

1- بالتقاط أو تسجيل أو نقل مكالمات أو أحاديث خاصة أو سرية بغير إذن صاحبها أو رضاه.

2- بالتقاط أو تسجيل أو نقل صورة لشخص في مكان خاص بغير إذن صاحبها أو رضاه، أي أنه حدد التقاط المكالمات الصوتية أو الصور بتسجيلها أو نقلها دون إذن صاحبها كما يعاقب على مجرد الشروع في ذلك[6]

([1])- دانا حمة عبد القادر، (2013)، السرية المصرفية في إطار تشريعات غسيل الأموال، دراسة تحليلية مقارنة، دار الكتب القانونية، مصر، ص: 26.

([2])- أسامة علي إبراهيم الجبوري، (2016)، دور البنك في مكافحة غسيل الأموال في ضوء التزامه بالسرية، دراسة مقارنة، مركز الدراسات العربية، مصر، ص: 25.

([3]) - دانا حمة عبد القادر، المرجع السابق، ص: 27.

([4]) - سنيقرة أمال، (2012-2013)، السر المصرفي، مذكرة لنيل شهادة ماستر قانون عام للأعمال، كلية الحقوق، جامعة ورقلة،ص: 32.

([5]) - زينة غانم عبد الجبار الصفار، المرجع السابق، ص: 75.

([6]) -أنظر المادة 303 مكرر من قانون العقوبات المضافة بموجب قانون رقم 06-23 المؤرخ في 20-12-2006.

فالسر المصرفي يعتبر أحد أسرار المهنة ومن ثم لم يضع له التشريع الجزائري نصا خاصا يحدد فيه الحالات التي يجوز الكشف فيها على سبيل الحصر بل اكتفى بالأحكام العامة المتعلقة بضرورة الحفاظ على الاسرار المهنية.[1]

ثانيا : حماية مصلحة المصرف في كتمان أعماله :إن مصلحة المصرف أن تبقى أعماله مكتومة لارتباطها بمصلحة العملاء الذين يودعون المصرف أسرارهم المالية، لذلك يتوجب على المصر ف أن يحافظ عليها بشكل لا يؤثر سلبا في ثقة العميل به أو تزعزع الطمأنينة التي ينشدها في علاقتهم معه، وبالتالي نفورهم وعدم تعاملهم معه وهذا بدوره يؤدي إلى خسارة تلحق به [(2)]، فالمصرف كما يقول جانب من الفقه تاجر سلعته النقود يستقطب ثقة الجمهور ويحول هذه الثقة إلى سلعة يقدمها لعملائه، كما يقدم إليهم النقود، فإذا لم يكن باستطاعته خلق جو من الثقة والاطمئنان بينه وبين جمهور المتعاملين معه، فلن يكون مستودعا لجذب أموال المودعين [(3)]، وعليه فإن مصلحة المصرف في حماية المصرفي تتركز في أنه إذا قصر أو أخل في حفظ هذا السر العائد لعملائه فسوف يعرضه الأمر للمطالبة بالتعويض عما ترتب عن ذلك من أضرار فضلا عما لحق سمعة المصرف ذاته إذا أثبت إخلاله بالتزامه، ونسوق المثال التالي : لو أن سيدة طلبت من مصرف تتعامل معه كشفا عن رصيدها لديه فبادر الموظف إلى الاستفسار من زميل له بصوت منخفض وأجاب عليه همسا، ومع ذلك استطاع أحد الأشخاص الحاضرين من سماع مقدار الرصيد المدين للسيدة وفي الوقت ذاته كان هذا الشخص قد منحها ائتمانا فأوقفه إثر سماعه عن رصيدها المدين، هنا في هذه الحالة تستطيع السيدة المطالبة بالتعويض عما لحقها من ضرر من جراء الإفشاء.

ثالثا: حماية المصلحة العامة:تعتبر المصلحة العامة من أهم الاعتبارات التي ترتكز عليها السرية المصرفية، فبتحقيق مصلحة الجماعة تتحقق مصلحة الفرد، فالائتمان المصرفي له أثر إيجابي على الاقتصاد الوطني مما يؤدي إلى إقبال الأفراد المتعاملين مع البنوك الوطنية سواء رعايا الدولة أو الأجانب بإيداع الأموال فيها أي جذب رؤوس الأموال الداخلية والخارجية والعمل على استقرارها في البلاد[(4)]، فالالتزام بالسر المصرفي وتجريم إفشائه لم يتقرر فقط لحماية المصالح الخاصة لعملاء المصارف، أو لتوفير الثقة للمؤسسات المصرفية، وإنما تقرر أيضا لحماية المصلحة الاجتماعية والاقتصادية العامة العليا في حسن أداء المصارف لدورها في الاقتصاد القومي وتدعيم نظام الائتمان وتوفير المناخ المناسب للاستثمار والاستقرار الاقتصادي[(5)]، وبمفهوم المخالفة فإن انتهاك السرية المصرفية يشكل مساس بالمصلحة العامة وبالاقتصاد الوطني نتيجة لفقدان الثقة بين أصحاب رؤوس الأموال والمصارف، مما يؤدي بالضرورة إلى لجوء أصحاب هذه الأموال الوطنية إلى تهريب أموالهم واستثمارها في البنوك الأجنبية التي توفر لهم الأمان والسرية [(6)]، وأوضح مثال في هذا المجال هو نموذج الاقتصاد السويسري الذي يعتمد بشكل كبير على قطاع الخدمات والمصارف، إذ تحتل المصارف السويسرية الخاصة المكانة الأولى عالميا من حيث الأداء المتميز لخدمة العملاء، حيث ان 27% من المبالغ المستثمرة في خارج الأوطان هي البنوك السويسرية وتفوق قيمة الأموال المودعة في خزائن بنوكها 3500 مليار فرنك، وتدر سنويا أرباحا في حدود 15 مليار فرنك، فالمادة الأساسية في الاتحاد السويسري هي المال وبشكل جوهري أموال الأخرين ومرد ذلك البناء المتين من الثقة بين

([1]) - باخوية ادريس، (2011-2012)، جريمة غسل الأموال ومكافحتها في القانون الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الجنائي الخاص، كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، ص:323.

([1])- أسامة علي إبراهيم الجبوري، المرجع السابق، ص: 30.

([2])- دانا حمة عبد القادر، المرجع السابق، ص: 28.

([3])- زينة غانم عبد الجبار الصفار، المرجع السابق، ص: 86.

([4])- سنيقرة امال، المرجع السابق، ص: 34.

([5])- إياد خلف محمد جويعد، (2010)، المسؤولية الجزائية عن إفشاء السرية المصرفية، مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية، ع23 ص: 107.

([6])- دانا حمة عبد القادر، المرجع السابق، ص: 29.

المصارف وعملائها [1]، أما على المستوى العربي فنجد لبنان مثلا كان سباق في هذا الإطار، حيث كان قانون سرية المصارف لسنة 1956 خطوة جادة نحو الاتجاه الصحيح لتشجيع انتقال رؤوس الأموال، ووضعها لمصلحة الاقتصاد الوطني، مما ساهم في خلق استقرار للأموال المستثمرة لديها، وأصبحت مصارفها مركزا للادخار[2]، فكفاءة الأداء وضمان السرية المصرفية وسلامة الودائع التي يتميز بها النظام المصرفي اللبناني، كان لها أثر فعال في جذب مزيد من الودائع الأجنبية[3]، مما جعل القطاع المصرفي اللبناني مواكبا للقطاعات المصرفية العالمية، وكان ذلك نتيجة لجهد مستمر قامت به لبنان لتحديث أنظمتها المصرفية على ضوء توصيات لجنة بازل وتوجيهات صندوق النقد الدولي.[4]

المبحث الثاني : حدود التزام البنك بالسرية المصرفية

يقابل التزام البنك في الاحتفاظ بسرية أعماله والمعلومات والبيانات التي وصلت إليه بمناسبة مباشرته لنشاطه حق العميل في حفظ أسراره، إذ يوجب عليه هذا الالتزام الاحتجاج بالسر المصرفي في مواجهة المحاولات غير القانونية التي تستهدف كشفه، وذلك لتجنب المسؤولية التي يمكن أن تثار ضده، غير أن الاحتجاج بالسرية قد يتعارض مع مصالح عامة أو خاصة، فقد تنشأ من العمليات المصرفية حقوق السلطات العامة أو للأفراد ونظرا لوجود هذا التعارض بين مصلحتين، مصلحة العميل في عدم كشف أسراره والحفاظ عليها، ومصلحة الأخرين، سلطات عامة أو أفراد[5]، فقد أجازت معظم التشريعات ومنها التشريع الجزائري الكشف عن المعلومات والبيانات وإن كانت ذات طابع سري لضرورات الصالح العام لكن في حالات وحدود معينة وهذا ما سنحاول توضيحه كما يلي :

المطلب الأول: عدم الاحتجاج بالسر المصرفي اتجاه هيئات الرقابة المصرفية

" **البنك المركزي، اللجنة المصرفية** "يعتبر البنك المركزي أساس الجهاز المصرفي وقد نصت المادة 35 فقرة 04 من قانون 04/10 المعدل للأمر 11/03 المتعلق بالنقد والقرض[6]، أن مهمة بنك الجزائر تتمثل في الحرص على استقرار الأسعار وتوفير أفضل الشروط في ميادين النقد والقرض والصرف والحفاظ عليها لنمو سريع للاقتصاد مع السهر على الاستقرار النقدي والمالي، وعلى هذا الأساس يتولى تنظيم الحركة النقدية ويوجه ويراقب بكل الوسائل الملائمة توزيع القرض وتنظيم السيولة، ويسهر على حسن سير التعهدات المالية اتجاه الخارج وضبط سوق الصرف والتأكد من سلامة النظام المصرفي وصلابته[7]. كما لا يحتج بالسر المصرفي تجاه اللجنة المصرفية التي لها أحقية الاطلاع على وثائق البنوك بهدف ممارسة الرقابة وحسن سير الوظيفة المصرفية [8]وتمتد رقابة اللجنة إلى فروع مؤسسات القرض بل وحتى الأشخاص المعنوية التي تراقبها مباشرة أو بصفة غير مباشرة، ويجوز لها ان تطلب من مؤسسات القرض كل المعلومات والوثائق والتوضيحات أو التبريرات التي تراها ضرورية لممارسة مهامها، بل ولها أحقية الاطلاع على تقارير محافظي الحسابات وكل وثيقة محاسبية تحتاج إليها أو أية معلومة تراها ضرورية. [9]

([1])- المرجع نفسه، ص: 30.

([2])- زينة غانم عبد الجبار الصفار، المرجع السابق، ص: 82.

([3])- ميادة صلاح الدين تاج الدين،(2009)، السرية المصرفية، أثارها وجوانبها التشريعية، دراسة مقارنة لعدد من الدول العربية والأجنبية، تنمية الرافدين العدد 95، مجلد 31، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل،، ص: 22.

([4])- المرجع نفسه، ص: 22.

([5])- مناع سعد العجمي، (2010)، حدود التزام البنك بالسرية المصرفية والأثار القانونية المترتبة عن الكشف عنها، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل درجة الماجيستر في القانون، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط، ص: 89.

([6])- المادة 35 من الأمر 04/10 المعدل والمتمم للأمر 11/03 المتعلق بالنقد والقرض.

([7])-بوساعة ليلى، المرجع السابق، ص: 155.

([8]) -المادة 108 من الأمر 04/10 المتعلق بالنقد والقرض سالف الذكر.

([9])-بوساعة ليلى، المرجع السابق، ص: 161.

المطلب الثاني: الاستعلام المصرفي والتبليغ في إطار التعاون الدولي:

الاستعلام هو طلب معلومات عن شخص معين من مصادر مختلفة اهمها الجهات التي تتعامل معها، ومن منطلق ان المصرف يقدم الائتمان يستوجب الأمر أن يكون على علم حقيقي بمركز واموال طالب الائتمان، وقد جرت العادة بين البنوك ان تتبادل المعلومات عن عملائها وأحوالهم وأوضاعهم المالية وسمعتهم التجارية والأدبية، وذلك بالاتصال مع المصارف الأخرى التي يكون قد تعامل معها، ولضمان سرية انتقال هذه المعلومات بين المصارف يتولى العملية البنك المركزي عن طريق المصلحة المركزية للمخاطر[1]، وفي هذا الصدد نصت المادة 160 من قانون النقد والقرض على ما يلي :

" ينظم ويسير بنك الجزائر مصلحة مركزية للمخاطر تدعى مركز المخاطر تتكفل بجمع أسماء المستفيدين من القروض الممنوحة والمبالغ المسحوبة والضمانات المعطاة لكل قرض من جميع البنوك والمؤسسات المالية ".

يمتد العمل على إفشاء السر المصرفي إلى هيئات أجنبية تمارس مهام مماثلة للهيئات الوطنية في مجال مراقبة البنوك ومكافحة تبييض الأموال، وذلك لضمان فعالية أكبر في مكافحة جريمة تبيض الأموال، حيث أجازت المادة 27 من قانون 05-01 [2]لبنك الجزائر واللجنة المصرفية تبليغ المعلومات؛ التي تحوزها في إطار تبيض الأموال وتمويل الإرهاب، إلى الهيئات المكلفة بمراقبة البنوك والمؤسسات المالية في الدول الأخرى، وهذا ما تم تكريسه في المادة 117 من الأمر 11/03 سالف الذكر على أنه:

"... يمكن لبنك الجزائر واللجنة المصرفية تبليغ المعلومات إلى السلطات المكلفة بحراسة البنوك والمؤسسات المالية في بلدان أخرى مع مراعاة المعاملة بالمثل شريطة ان تكون هذه السلطات في حد ذاتها خاضعة للسر المهني بنفس الضمانات الموجودة في الجزائر"

لذلك يتم رفع السر المصرفي في هذا المجال [3]، إذ أجازت المادة 25 من قانون 01/05 المعدل والمتمم للهيئة المتخصصة إطلاع هيئات الدول الأخرى التي تمارس مهام مماثلة على المعلومات التي تتوفر لديها حول العمليات التي يبدو أنها تهدف إلى تبيض الأموال أو تمويل الإرهاب.

يمكن الإشارة في هذا السياق إلى أنه لا يمكن الاحتجاج بالسر المصرفي في مواجهة خلية معالجة الاستعلام المالين فقد نصت المادة 22 من القانون رقم 01/06 المعدل والمتمم على حق الهيئة المتخصصة في الاطلاع على المعلومات دون إمكانية الاحتجاج قبلها بالسر المصرفي[4]، ويتجسد حق هذه الهيئة في تلقي المعلومات تلقائيا بموجب التزام البنك بإخطارها بالعمليات المشبوهة، إذ يلتزم البنك عند إبلاغها بالعمليات محل الشبهة بتعلقها بتبيض الأموال وتمويل الإرهاب إرفاق كل الوثائق الجازمة المتعلقة بالعملية، إذ من حق هذه الهيئة المتخصصة ان تطلب في أي وقت أي معلومة مفيدة أو وثيقة تتعلقان بالشبهة وتساعدان في تقدم التحريات[5]، وتبعا لذلك لا يمكن للبنوك والمؤسسات المالية أن تتذرع بالسرية المصرفية اتجاه هذه الهيئة عند كل رفض متعمد وغير مبرر لتزويدها بالمعلومات والوثائق المطلوبة يشكل جريمة إعاقة السير الحسن للعدالة.[6]

([1]) -فليح كمال (2014-2013)، المسؤولية الجزائية للمصرف في ظل قانون مكافحة الفساد، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في قانون العقوبات والعلوم الجنائية، كلية الحقوق، جامعة قسنطينة 01،،ص :62.

([2])-المادة 27 من قانون 01/05 المؤرخ في 06 فيفري 2005 المتعلق بالوقاية من تبيض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتها المعدل والمتمم.

([3])- بوسالم عبلة، (2014-2015)، السر المصرفي في ظل الالتزامات الجديدة للبنك، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر، تخصص قانون أعمال، كلية الحقوق، جامعة سطيف 02، ص: 98.

([4])- المادة 22 من القانون رقم 01/05.

([5]) - بوسالم عبلة، المرجع السابق، ص: 98.

([6]) -المادة 21 من قانون 01/06 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته.

المطلب الثالث: عدم الاحتجاج بالسر المصرفي اتجاه السلطات العمومية :

منح المشرع لبعض الإدارات مثل إدارة الضرائب وإدارة الجمارك صلاحيات واسعة قصد تحصيل الجباية والتحري على اموال الأشخاص الخاضعين للضريبة في البنوك إذ خولت المادة 45 من قانون الإجراءات الجبائية حق الاطلاع على محررات البنوك، حيث تسجل بكل دقة المعلومات التي تخص العمليات المالية لأصحاب الحسابات الخاضعين للضرائب قصدت تأسيس وعاء الضريبة ومراقبتها(1)، إذ منح القانون لإدارة الضرائب حق الاطلاع وذلك بإجراء البحث والتحري لدى المصارف عن ودائع وحسابات مدينها تحت طائلة توقيع العقوبات عند رفض حق الاطلاع كما قضت بذلك المادة 62 من قانون الإجراءات الجبائية على انه يعاقب بغرامة جبائية يتراوح مبلغها من خمسة آلاف (5000) إلى خمسين ألف(50000) دج؛ كل شخص أو شركة ترفض منح حق الاطلاع على الدفاتر والمستندات والوثائق التي يتعين عليها تقديمها، كما يتأكد هذا الحق لإدارة الجمارك حسب المادة 48 من قانون الجمارك الجزائري، إذ يمكن لأعوان الجمارك الذين لهم رتبة ضابط المراقبة، القيام بتحقيقات لدى البنوك.(2)

إن إدارة الضرائب لها الحق في طلب المعلومات التي تراها ضرورية من المؤسسات المالية دون حاجة لتقديم العناصر التي بنت عليها لافتراض وجود مخالفة. 3

يشار في هذا الإطار أيضا إلى عدم الاحتجاج بالسر المصرفي تجاه السلطة القضائية، ويتحقق ذلك في حالات منها :

01- حالة الإدلاء بالشهادة :

قد يستدعى البنك لأداء الشهادة أمام المحاكم في أمور تتعلق بالعلاقات المصرفية مع العملاء، وبالتالي فهو ملزم بمساعدة السلطات القضائية في استجلاء الحقيقة.

02- إطلاع المحكمة على الدفاتر المصرفية للعميل :

قد تأمر المحكمة البنك بتقديم دفاتر التاجر للاطلاع على البيانات والقيود التي تتصل بالأعمال المصرفية لهذا التاجر " عميل البنك "، فيلتزم بالاستجابة لطلب المحكمة، فإحضار التاجر لدفاتره بناء على أمر القاضي يتم إما بتقديم البنك لمعاملات التاجر إلى المحكمة لتستخرج منها ما يؤيد ادعاءات الخصم، وإما أن تأمر المحكمة بتسليم الدفاتر للخصم للاطلاع عليها. (4)والسر المصرفي لا يمكن أن يكون عائقا لأوامر الجهات القضائية التي تلزمها بتقديم وثائق بناء على أمر مكتوب يوجه للمؤسسة البنكية التي عليها الاستجابة لها في الحال وحتى في حالة افتراض وجود طعن 5

ويمكن التنبيه في الأخير إلى أنه يمكن كشف السر المصرفي من خلال رضا العميل" الزبون " بالإفشاء، حيث أنه وإذا كانت السرية المصرفية قد وضعت في مضمونها لصالح عميل المصرف، إذ لا يجوز للأشخاص الملزمين بها إفشاء ما يعرفونه من أسماء عملائهم أو أموالهم أو معاملاتهم، وإذا كان العميل سيد سره فهو الذي له حق إفشائه بإرادته، ويجوز له أن يأذن للمصرف بإعطاء بيانات المعلومات عن رصيده أو شخصه أو أية معلومات أخرى تتعلق بوضعه المالي شرط أن يكون الإذن

---

(1)-بوساعة ليلى، المرجع السابق، ص: 202.

(2) - المرجع نفسه، ص: 209.

(3) - Antoine LEROY, (2011) Secret professionnel , secret bancaire, perquisition et droit pénal fiscal , Séminaire membre I.P.C.F. en collaboration avec l'Ordre français des avocats du barreau de Bruxelles , 19 février 2011.p.22 En ligne :http ://extranet.ipcf.be/classified/fr/syllabi/séminaires , consulté le 18/08/2017

(4)-مناع سعد العجمي، المرجع السابق، ص: 119.

(5)- Benjamin BORSODI , (2010) , Justice à tout prix et prix de la justice , quelques considérations sur l'indemnisation du tiers en procédure pénale,p.692En ligne :www.swlegal.ch/ , consulté le 02/09/2017

(5)- فليح كمال، المرجع السابق، ص: 61.

صراحة تنازله عن حقه[1]، بالتالي تعتبر موافقة العميل الخطية بإجازة الغير الاطلاع على معاملاته المصرفية، بمثابة إعفاء للبنك من التزامه بالسرية المصرفية طالما أن الرضا صادر من نفس العميل.

خاتمة :

نخلص في النهاية لأهم النتائج وما يمكن تقديمه من مقترحات حول السر المصرفي وإجراءات مكافحة الفساد المالي كالآتي:

1- النتائج :

- الالتزام بالكتمان المصرفي يقوم على واجب الحفاظ على مصلحة العميل وحماية حقه في إبقاء أسراره طي الكتمان، بالتالي يعد سر المهنة المصرفي قوام وركيزة العمل المصرفي وأساس العلاقة العقدية بين العميل والمصرف.

-إذا كانت القاعدة العامة هي التزام البنوك بحفظ أسرار زبائنها لكن هاته القاعدة ليست مطلقة بل هي نسبية تخضع لاستثناءات كما رأينا مردها مراعاة مصالح أجدر بالحماية من المصلحة التي تقرر لأجلها الكتمان، إلا أن هذه الاستثناءات ينبغي ان تكون محدودة ولا تكون دون ضوابط حتى لا يتم التوسع فيها وبالتالي المساس بقاعدة السرية التي تشكل دعامة العمل المصرفي، لان خرق هذه السرية بشكل مطلق يؤدي إلى تزعزع الثقة بين العميل والمصرف، وعزوفه عن التعامل مع البنك وتهريب أمواله الى وجهات أخرى مما يؤثر سلبا على الاقتصاد الوطني بصفة عامة وعمل البنوك بصفة خاصة، كما ينبغي أن لا يتم الاحتجاج بمبدأ السرية المصرفية كشعار لإخفاء عمليات مشبوهة على نحو تنعكس فيه هذه السرية وتحيد عن الغرض الذي وضعت لأجله، وبالتالي تصبح أداة تلحق ضرر بالمصلحة العامة.

2 – المقترحات :

- جاءت المعالجة التشريعية لأحكام هذه السرية متباينة ومختلفة من تشريع لأخر، ففي حين قامت بعض التشريعات ومنها التشريع السويسري واللبناني والمصري من تقنيين هذه السرية في نصوص خاصة، جاء التشريع الجزائري خال من ذلك إنما تم الرجوع إلى القواعد العامة وبعض النصوص المتفرقة، لذلك نقترح على المشرع الجزائري مسايرة هذه التشريعات بضبط أحكام هذه السرية في نص خاص.وعدم ترك الأمر في نصوص متناثرة.

- عصرنة الجهاز المصرفي باستحداث الوسائل المادية الإلكترونية الحديثة من شأنها إضفاء الشفافية على المعاملات المالية تيسر على الجهات المخولة قانونا للاطلاع على المستندات البنكية من فعالية في مكافحة جرائم الفساد المالي.

المصادر والمراجع :

أولا: باللغة العربية

1 - النصوص القانونية :

- قانون 01/05 المؤرخ في 06 فبراير 2005 المتعلق بالوقاية من تبيض الأموال وتمويل الإرهاب ومكافحتها، جريدة رسمية عدد 11 المؤرخة في 09 فبراير 205، والمعدل والمتمم. بالقانون 12-02 المؤرخ في 13 فبراير 2012، جريدة رسمية عدد 08، المؤرخة في 15 فبراير 2012

- قانون 06-01 المؤرخ في 20 فبراير 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته المعدل والمتمم ، جريدة رسمية عدد 14 والمؤرخة في 08 مارس 2006

- الأمر رقم 10-04 المؤرخ 26 غشت 2010 يعدل ويتمم الأمر رقم 03-11 المؤرخ في 26 غشت 2003 المتعلق بالنقد والقرض، جريدة رسمية عدد 50 المؤرخة في 2010/09/01 .

- قانون رقم 11-14 المؤرخ في 02 غشت 2011 يعدل ويتمم الأمر رقم 66-156 والمتضمن قانون العقوبات، جريدة رسمية عدد 44 المؤرخة في 10 غشت 2011.

- قانون 11-15 المؤرخ في 02 غشت 2011 يعدل ويتمم القانون رقم 06-01 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، جريدة رسمية عدد 44 المؤرخة في 10 غشت 2011

- قانون البنك المركزي والجهاز المصرفي والنقد المصري 88 لسنة 2003 المعدل والمتمم، متاح على الموقع التالي :www.mlcu.org.eg/lawNo88.pdf شوهد بتاريخ 2017/08/15

- مرسوم تنفيذي رقم 06-05 المؤرخ في 09 يناير 2006 المتضمن شكل الإخطار بالشبهة ونموذجه ومحتواه ووصل استلامه، جريدة رسمية عدد 02 المؤرخة في 15 يناير 2006

- 2 الكتب :

- أسامة علي إبراهيم الجبوري، (2016)، دور البنك في مكافحة غسيل الأموال في ضوء إلتزامه بالسرية، دراسة مقارنة، مركز الدراسات العربية، مصر.
- زينة غانم عبد الجبار الصفار، الأسرار المصرفية: دراسة قانونية مقارنة، دار الكتب القانونية، مصر.
- فضيلة ملهاق، (2013)، وقاية النظام البنكي الجزائري من تبيض الأموال، دار هومة، الجزائر.
- دانا حمة عبد القادر (2013)، السرية المصرفية في إطار تشريعات غسيل الأموال، دراسة تحليلية مقارنة، درا الكتب القانونية، مصر.

- 3- الرسائل والمذكرات:

- باخوية ادريس، (2011-2012)، جريمة غسل الأموال ومكافحتها في القانون الجزائري، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون الجنائي الخاص، كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان.
- الحاسي مريم،(2011-2012)، إلتزام البنك بالمحافظة على السر المهني، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر، تخصص مسؤولية المهنيين، كليية الحقوق، قسم العلوم القانونية، جامعة بلقايد تلمسان ،
- بوساعة ليلى، (2010 - 2011)، السرية في البنوك، مذكرة ماجيستر، كلية الحقوق، قسم العلوم القانونية، جامعة الجزائر 01،
- بوسالم عبلة،(2014-2015)، السر المصرفي في ظل الإلتزامات الجديدة للبنك، مذكرة لنيل شهادة ماجيستر، تخصص قانون أعمال، كلية الحقوق، جامعة سطيف 02.
- مناع سعد العجمي، (2010)، حدود إلتزام البنك بالسرية المصرفية والأثار القانونية المترتبة عن الكشف عنها، دراسة مقارنة، مذكرة لنيل درجة الماجيستر في القانون، كلية الحقوق، جامعة الشرق الأوسط،.
- سنيقرة أمال (2012- 2013)، السر المصرفي، مذكرة لنيل شهادة ماستر قانون عام للأعمال، كلية الحقوق، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- فليح كمال، (2013-2104)، المسؤولية الجزائية للمصرف في ظل قانون مكافحة الفساد، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في قانون العقوبات والعلوم الجنائية، كلية الحقوق، جامعة قسنطينة 01.

4 - المقالات :

- إياد خلف محمد جويعد، (2010)، المسؤولية الجزائية عن إفشاء السرية المصرفية، مجلة كلية بغداد للعلوم الإقتصادية، العدد الثالث والعشرون.
- أبو الوفاء محمد أبو الوفاء إبراهيم، إبلاغ البنوك عن العمليات المالية المشبوهة بين الالتزام والمسئولية في القانون المقارن والفقه الإسلامي، متاح على الموقع : www.qspace.qu.edu.qu/academic ، تاريخ الاطلاع: 2017/08/15
- ميادة صلاح الدين تاج الدين،(2009)، السرية المصرفية، أثارها وجوانبها التشريعية، دراسة مقارنة لعدد من الدول العربية والأجنبية، تنمية الرافدين العدد 95، مجلد 31، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل.
- نسيبة إبراهيم حمو، زينة غانم الصفار، (2007)، " النطاق الموضوعي للالتزام بالسر " الرافدين للحقوق، مجلد 09، السنة الثانية عدد 31.
- علي محمد حسنيين حماد (2004)، الحلول العملية والشرعية لمشكلة السرية المصرفية ومواجهة غسيل الاموال، ورقة علمية مقدمة إلى ندوة السرية المصرفية في مواجهة تبيض الأموال التي يقيمها اتحاد المحامين الدولي في بيروت يومي 18-19 – 06- 2004، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

- Antoine LEROY, (2011) Secret professionnel, secret bancaire, perquisition et droit pénal fiscal , Séminaire membre I.P.C.F. en collaboration avec l'Ordre français des avocats du barreau de Bruxelles , 19 février 2011.
En ligne :http ://extranet.ipcf.be/classified/fr/syllabi/séminaires , consulté le 18/08/2017

- Benjamin BORSODI , (2010) , Justice à tout prix et prix de la justice , quelques considérations sur l'indemnisation du tiers en procédure pénale.En ligne :www.swlegal.ch/ , consulté le 02/09/2017
- Jean-pierre MATOU , (2002) , Le secret bancaire dans l'ordre international , in Droit international privé : travaux du comité français de droit international privé,15é année,200-2002 , éd.Pedone , Paris , 2004 , pp.175-193 En ligne : http:// www.persee.fr/doc/tcfdi_1140-5082_2004_num_15_2000_1126 Consulté le 28/08/2017

أثر استغلال رأس المال الفكري على دعم القدرات الإبداعية في المصارف
–دراسة حالة المصارف العاملة بمدينة قسنطينة –

د.ميهوب سماح
جامعة:عبد الحميد مهري قسنطينة -2-

ملخص : نهدف من خلال هذه الورقة البحثية لتعرف على أثر استغلال رأس المال الفكري على تعزيز القدرات الإبداعية المصرفية، لذلك قمنا بإعداد استبيان تم توزيعه على عينة من عمال المصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة قدر عددها ب 260 عامل، وتوصلت الدراسة بعد تحليل إجابات العينة لوجود علاقة قوية بين رأس المال البشري والقدرات الإبداعية، متوسطة ما بين رأس المال الهيكلي والقدرات الإبداعية وكذا ضعيفة ما بين رأس المال العملاء والقدرات الإبداعية كما توصلنا لوجود أثر لبعد رأس المال البشري، الهيكلي والعملاء على القدرات الإبداعية، وخلصت الدراسة بتكميم أثر رأس المال الفكري على القدرات الإبداعية من خلال نموذج رياضي يربط بينهما.

الكلمات المفتاحية : المصارف، رأس المال البشري، رأس المال الهيكلي، رأس المال العملاء، رأس المال الفكري ، الإبداع.

Abstract: In this research paper, we seek to identify the impact of the exploitation of intellectual capital on the improvement of creative banking capacities. We therefore prepared a questionnaire which was distributed to a sample of 260 employees of Algerian and foreign banks operating in the city of Constantine. After analyzing the sample's responses, there is a strong relationship between human capital and creative capacity, also an average relationship between structural capital and creative capacity, and a weak relationship between the low capital between customers and creative ability. We noted that the dimensions of human capital as well as the structural and customer dimension have an impact on creative capacities. The study concludes that the impact of intellectual capital on creative capacity is quantified by a mathematical model that links them.

المقدمة : شهد العالم اليوم تغيرات نوعية عديدة في مجال الأعمال وتطبيقاتها نتيجة التغيرات المرتبطة بالبيئة التي تعمل بها، ما أدى لدخول إلى حقل جديد من الاهتمامات والتصورات واستغلال كل الإمكانيات سواء كانت مادية أو بشرية لمواكبة الواقع الحديث المبني على أساس المعرفة والتطور، ويعتبر التوجه لاستغلال رأس المال الفكري من بين أهم التوجهات المعاصرة التي تهدف لمواجهة المنافسة وتحقيق النجاح والتطور وذلك بالاستثمار، التكوين وإدارة هذه الموارد للوصول إلى الطاقات الفكرية والإبداعية القصوى لدى الكوادر البشرية الموجودة لدى المصارف والوصول إلى ثروات فكرية تحقق ميزة تنافسية للمصرف.

يعتبر موضوع رأس المال الفكري أحد مواضيع الساعة الذي يحظى باهتمام الكثير من طرف المصارف، وهو حديث نسبياً في الفكر الإداري والمحاسبي حيث بدأ الاهتمام به وبشكل خاص في فترة التسعينات، فقد حرصت العديد من المصارف بتناول رأس المال الفكري كآلية تسهم في تزايد استراتيجيات الميزة التنافسية في ظل الاقتصاد الرقمي المبني على المعرفة والرقمية، ويعتبر الاهتمام بالقدرات الإبداعية في المصارف المفتاح الرئيسي لضمان استمرارية القدرة على خلق القيمة المضافة وتحقيق مركز تنافسي، لذا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية معرفة ما إذا كانت المصارف العاملة بمدينة قسنطينة لها اهتمامات بذلك، مما يدفع ويساعد في تطوير طبيعة نشاطها الحالي ومعرفة أثر ذلك على القدرات الإبداعية لديها، وبالتالي فإن البحث الحالي يحاول الإجابة على مشكلة الدراسة التي تكمن في لإجابة على السؤال التالي:

كيف يؤثر الاستغلال الجيد لرأس المال الفكري على القدرات الإبداعية في المصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة ؟ ويندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات نجملها فيما يلي :

- هل يؤثر الاستخدام الأمثل لرأس المال البشري على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة ؟

-هل يؤثر الاستخدام الأمثل رأس المال الهيكلي على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة ؟

- هل يؤثر الاستخدام الأمثل رأس المال العملاء على القدرات الإبداعية للمصرف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة؟

1-فرضيات الدراسة :يضم بحثنا فرضية رئيسية محتوها كمايلي : يؤثر الاستغلال الأمثل لرأس المال الفكري على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة.

بهدف الإجابة على إشكالية البحث والتساؤلات الفرعية بصورة دقيقة تم تجزئة الفرضية الرئيسية إلى ثلاثة فرضيات فرعية هي كالآتي :

- يؤثر الاستخدام الأمثل رأس المال البشري على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة.
- يؤثر الاستخدام الأمثل رأس المال الهيكلي على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة.
- يؤثر الاستخدام الأمثل رأس المال العملاء على القدرات الإبداعية للمصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة.

2-أهداف الدراسة :غرض البحث هو تحقيق جملة من الأهداف، تتمثل أساس فيما يلي :

- تحليل الدور الذي يلعبه رأس المال الفكري في النشاط المصرفي.
-التعرف على مجهودات المصارف الجزائرية في تطوير رأس المال الفكري.
-التعرف على واقع دعم القدرات الإبداعية في المصارف الجزائرية.
- التعرف على طبيعة الأثر بين المتغيرين الرئيسيين في الدراسة وتكميمه

3-منهجية الدراسة : استخدمنا في هذا البحث المنهج الوصفي الذي يلائم العرض النظري لمتغيرات الدراسة الرئيسية، كما اعتمدنا المنهج الاستقرائي من خلال أخذنا عينة من المصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة لدراسة الظاهرة، ولقد استخدمنا في تحليل النتائج الإحصاء الوصفي والاستدلالي.

4-الدراسات السابقة : لقد تم تناول هذا الموضوع من طرف العديد من الباحثين سنعرض أحدثها فيما يلي :

4-1- دراسة الباحثان دحماني مصطفى وبوسهمين أحمد: قام الباحثان سنة 2017 بدراسة تحت عنوان: تفعيل استراتيجية الإبداع التكنولوجي لرفع تنافسية المؤسسات الاقتصادية، هدفت الدراسة إلى تحديد دور الإبداع التكنولوجي في تحقيق الميزة التنافسية حيث تمت الدراسة على عمال مؤسسة موبيليس ببشار وبلغ حجم العينة 59 عامل وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباط موجبة بين الإبداع في العملية الإنتاجية وعناصر الميزة التنافسية وكذا علاقة الارتباط المعنوية بين الإبداع التكنولوجي وأبعاد الميزة التنافسية[1].

4-2- دراسة الباحثة حدة بوتبينة :قامت الباحثة سنة 2016،بدراسة تحت عنوان أثر رأس المال الفكري على التطوير التنظيمي، يهدف من وراء البحث لتوضيح أثر رأس المال الفكري على التطوير التنظيمي لشركة الإسمنت عين توتة، وأظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط معنوية بين رأس المال الفكري والتطوير التنظيمي، كما بين وجود تفاوت في أثر مكونات رأس المال الفكري على التطوير التنظيمي لشركة الإسمنت وأوصت الباحثة بالاهتمام برأس المال العلاقاتي والهيكلي باعتبارهم أساس تحقيق التطور التنظيمي [2].

4-3-دراسة الباحث عبد القادر حسين : قام الباحث سنة 2014 بدراسة تحث عنوان : استغلال رأس المال الفكري لزيادة نسبة مساهمته في التنمية المستدامة من وجهة نظر الأكاديميين في جامعة الاستقلال، يهدف البحث من خلالها إلى

---

[1]- حماني مصطفى وبوسهمين أحمد بدراسة، تفعيل استراتيجية الإبداع التكنولوجي لرفع تنافسية المؤسسات الاقتصادية، مجلة البشائر المجلد الثالث، العدد 1، 2017

[2]- حدة بوتبينة، أثر رأس المال الفكري على التطوير التنظيمي، مجلة الاقتصاد الصناعي،العدد 11، سنة 2016، ص 376-394

الكشف عن مدى اهتمام إدارة الجامعات برأس المال الفكري لتعزيز الميزة التنافسية، حيث استخدم في ذلك عينة تعدادها 72 أكاديمي من جامعة الاستقلال، وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد علاقة معنوية بين اهتمام إدارة الجامعة برأس المال الفكري وتعزيز الميزة التنافسية، كما توصل إلى أن الجامعة لا تقدم تحفيزات وسمعتها متدنية نتيجة لعدم تقديمها لبحوث علمية[1].

4-4-دراسة الباحث محمود عبد المجيد عساف: قام الباحث سنة 2014 بدراسة تحت عنوان: استراتيجية مقترحة لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي، تهدف الدراسة لتعرف على واقع إدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي من وجهة نظر العاملين فيها، حيث أعتمد الباحث على استبانة تم توزيعها على عينة مكونة من 154 عامل بمحافظات غزة وتوصل إلى أنه توجد فروقات ذات دلالة إحصائية في الدرجة الكلية لآراء أفراد العينة حول واقع إدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية تعزى لمتغير المؤهل العلمي، وذلك لحملة الدراسات العليا وسنوات الخدمة لصالح الفئة أكثر من 10 سنوات[2].

4-5- قام سنة 2011: بعنوان **Ling 4-6-دراسة الباحث**

،"The influence of inttelectuel capital on organizational performance –knowledge management as moderator "

تهدف لدراسة الأداء التنظيمي من منظور رأس المال الفكري، حيث تم استهداف 146 مؤسسة، أكدت الدراسة على وجود علاقة الارتباط بين مكونات رأس المال الفكري والأداء التنظيمي، كما أكدت الدراسة دور إدارة المعرفة في الربط بين رأس المال الفكري والأداء التنظيمي وأن المؤسسات المدروسة نجحت في التوفيق بينهما لتحسن أدائها.

6-4-دراسة الباحث الروسان والعجلوني: قام الباحث سنة 2010 بدراسة تحت عنوان : أثر رأس المال الفكري في المصارف الأردنية، تناولت الدراسة مدى اهتمام المصارف الأردنية برأس المال الفكري من حيث عملية الصناعة والاستقطاب والتنشيط والمحافظة والاهتمام بالزبائن وعلاقة ذلك بالقدرات الإبداعية للعاملين بالمصارف وتوصلت الدراسة إلى محدودية الاهتمام برأس المال الفكري لدى المصارف الأردنية[3].

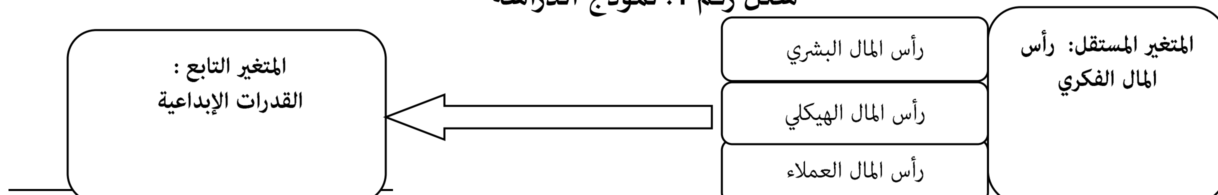
7-4-دراسة قام بها الباحث Jolanta سنة 2008 بعنوان :

،Intellectual capital measurement method, Institute of Organization and Management in Industry " ORGMASZ

ركزت الدراسة على أهمية رأس المال الفكري في ظل التطورات والتغيرات الاقتصادية لأنشطة الشركات على مستوى السوق العالمي مع التركيز على أهمية متابعة ومراقبة الموارد الفكرية للشركات وركزت على أهمية قياس رأس المال الفكري رغم تعدد الطرق [4].

5- نموذج الدراسة : تم وضع نموذج على ضوء مشكل الدراسة وأهدافها المسطرة، حيث تم تقسيم متغيرات الدراسة إلى متغير مستقل مقسم إلى أبعاد ومتغير تابع والشكل التالي يوضح ذلك

شكل رقم 1: نموذج الدراسة



[1]- عبد القادر حسين ، رأس المال الفكري في الجامعات الفلسطينية وتعزيز الميزة التنافسية ،مجلة الدراسات المالية والمحاسبية والإدارية، ع3، رقم 2 ص 9-28.

[2]- محمود عبد المجيد عساف، استراتيجية مقترحة لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي، سنة 2014، الموقع: www.moc.ps/ar/uploads/creativity_conf2014/articles/set2/3.doc

[3]-محمود الروسان، محمود العجلوني، أثر رأس المال الفكري في المصارف الأردنية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م 26، ع 2، 2010.

[4]- Jolanta Jurczak, Intellectual capital measurement method, Institute of Organization and Management in Industry " ORGMASZ", vol1, 2008.

المصدر: من إعداد الباحثة

6- خطة البحث : بهدف الإجابة على الإشكالية المطروحة واختبار فرضيات البحث وفق النموذج المقترح، قمنا باستقراء واقع المصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة بأخذ عينة من عمال هذه المصارف بهدف رصد آثار رأس المال الفكري على تدعيم القدرات الإبداعية للمصارف، وهذا وفق تقسيم الدراسة إلى محورين أساسيين، أولهما **الإطار النظري لمتغيرات الدراسة**، وثانيهما **دراسة حالة المصارف العاملة بمدينة قسنطينة.**

المحور الأول: الإطار النظري لمتغيرات الدراسة.يضم المفاهيم الأساسية للمتغيرات، فهو خطوة منهجية أساسية تساعد القارئ في فهم البحث والتعرف على أهداف الباحث العلمية والاتفاق على المحددات الخاصة لكل مفهوم.

أولا :مدخل حول رأس المال الفكري : يعتبر هذا العنصر الأساس النظري الذي ستعتمد عليه دراستنا فيما يخص رأس المال الفكري وستعرض من خلاله للعناصر التالية :

1-مفهوم رأس المال الفكري : أعطي لمصطلح رأس المال الفكري العديد من التسميات، منها رأس المال المعرفي، رأس المال اللاملموس أو الأصول غير المادية، ولقد تم تعريفه كما يلي :

-عرفت منظمة (OECD) رأس المال الفكري بأنه القيمة الاقتصادية لفئتين من الأصول غير الملموسة هي رأس المال التنظيمي (الهيكلي) ورأس المال البشري[1].

-عرف كذلك على أنه مجموعة من العاملين يمتلكون قدرات عقلية، عناصر المعرفة، المهارة، الخبرة، التي يمكن توظيفها واستثمارها في زيادة المساهمات الفكرية لتحسين أداء عمليات المنظمة بشكل يحقق لها علاقات فاعلة وع جميع الأطراف المتعاملة معها، ويجعل فرق قيمتها السوقية عن قيمتها المحاسبية كبيرا [2].

-كما تم تعريفه بأنه مجموعة المهارات والمعرفة والخبرات والتعليم المتراكمة لدى الموظفين في المؤسسة، وتطبيقهم لتكنولوجيا الحديثة في عملهم، ويتضمن التركيز على القوى الذهنية كعوامل عير ملموسة تؤثر بشكل إيجابي على تقدم وتنمية وربحية المؤسسة[3].كذلك اعتبر (Prusak, L) أن رأس المال الفكري يعتبر المادة الخام التي يتم تشكيلها وترتيبها وإعادة صياغتها بقصد الوصول إلى أصول معينة ذات قيمة عالية[4].

-كما عرف بأنه ناتج التفاعل بين كل ما تملكه المنظمات من أصول غير ملموسة متمثلة في كفاءة وخبرة ومهارة العاملين في المنظمة، وما تمتلكه من علاقات خارجية وزبائن، وما تمتلكه من هيكل تنظيمي، يساعدها في تحقيق قيمة مضافة وتدعيم قدرتها التنافسية في السوق [5].

من التعاريف السابقة **نستنتج أن رأس المال الفكري المصرفي** مبني أساسا على المهارات والخبرات المعرفية لدى الكوادر البشرية، التي يمكن استغلالها بتوفير الإمكانيات الضرورية لذلك بهدف زيادة القدرات التنافسية للمصرف في ظل التكنولوجيات الحديثة المتسارعة.

2-مكونات رأس المال الفكري :يضم رأس المال الفكري حسب أراء العديد من الاقتصاديين الأقسام الثلاثة المبينة في الشكل التالي :

---

[1]- OECD, The Organization for Economic Co-operation and Development (OECD) measuring and Reporting Intellectual Capital: Experience, Issues and Prospect Programme notes and background Tatechnical Meeting and Policy and Strategy Forum, Paris 1999,

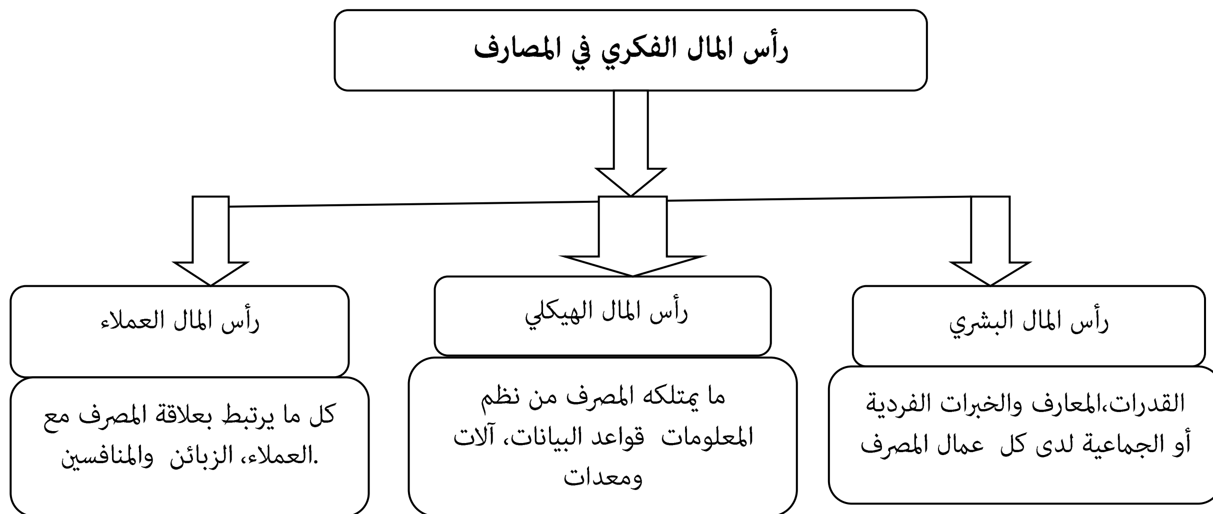
[2]- العنوي سعد علي، صالح أحمد علي، إدارة رأس المال الفكري في قطاع الأعمال، دار اليازوري، غمان، الأردن، 2009، ص 171.

2-عبد القادر حسين، إستغلال رأس المال الفكري لزيادة نسبة مساهمته في التنمية المستدامة من وجهة نظر الأكاديميين في جامعة الإستقلال، المؤتمر الرابع، 16-2014/17، جامعة الإسراء، الأردن ص 4.

[4]- Pursak, L., The knowledge advantage strategy and leadership, March-April (1996), p.(5)

[5]- قشقش خالد، إدارة راس المال الفكري وعلاقته في تعزيز الميزة التنافسية، دراسة تطبيقية بقطاع غزة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، SKMص 12.

شكل رقم (2): مكونات رأس المال الفكري



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على : عبد الستار حسين يوسف، دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإداري، جامعة الزيتونة الأردنية، عمان، 2005، ص **6** و أحمد السيد كردي، أهمية رأس المال الفكري، قسم إدارة الأعمال جامعة بنها، 2010،الموقع :http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/189386

3- خصائص رأس المال الفكري :يتميز رأس المال الفكري بعدد من الخصائص نذكر منها ما يلي[1]:

3-1-الخاصية التنظيمية : ترتبط هذه الخاصية بالبيئة الموجود فيها المصرف، حيث نجد رأس المال الفكري في كل المستويات وبنسب متفاوتة، وكذا المرونة التي تساعد على التجديد من خلال العمال في المصرف، كما نلاحظ أنه يوجد في كل العلاقات سواء كانت رسمية أو غير رسمية ويميل إلى اللامركزية في الإدارة بشكل واضح.

3-2-الخاصية المهنية: تبرز من خلال ممارسات العنصر البشري داخل التنظيم فهي مرتبطة بالمهارة العالية والمتنوعة والخبرة المتراكمة [2].

3-3-الخاصية السلوكية والشخصية: يرتبط رأس المال الفكري بالخصائص الذاتية للعنصر البشري من المخاطرة والمبادرة وحب العمل على تقديم الأفكار والمقترحات، القدرة على حسم القرارات دون تردد ولديه مستويات ذكاء عالية ومثابرة جادة في العمل وثقة عالية بالنفس[3].

3-4-الخصائص الشكلية : يتميز رأس المال الفكري بعدد من الميزات غير ملموس وغير مرئي، صعوبة وضع معايير لقياسه، حيث نجد كثير من الأصول الفكرية التي يمتلكها المصرف من معارف، خبرات، قدرات تكون في شكل معرفة أو قدرة ذهنية غير مسجلة وغير متاحة لصانعي القرار ما يجعلهم يفتقدون لمعايير واضحة لقياسها [4].

---

[1] -محمود الروسان، محمود العجلوني، مرجع سابق، ص ص 47-48.

[2] - هلالي الشربيني، إدارة رأس المال الفكري وقياسه وتنميته كجزء من أدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد 2، مصر، 2011، ص 23

[3] - هلالي، نفس المرجع، ص 23

[4] -عبد السلام بن دي، مراد علة، دور رأس المال الفكري المغرفي في خلق الميوة التنافسية في ظل أدارة المعرفة، مؤتمر دولي بعنوان رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الأقتصاديات الحديثة أ جامعة حسية بن بو علي، الشلف، 2011، ص6 ومناور حداد، دور رأس المال الفكري في إدارة المنظمات، الملتقى الدولي حول إدارة وقياس رأس المال الفكري، جامعة بليده، 2-3 ديسمبر 2008م

4- فوائد الاهتمام برأس المال الفكري: يعتبر الاستغلال الجيد لرأس المال الفكري عامل فعال في زيادة الميزة تنافسية للمصرف، خاصة وأن المنظمات تتنافس اليوم على أساس المعرفة والمعلومات والمهارات التي لديها، لذا فإن الاهتمام به يعد قضية حتمية تفرضها طبيعة التحدي العلمي والتكنولوجي المعاصر[1].

هناك العديد من الفوائد التي يمكن أن يجنيها أي مصرف من خلال الاهتمام برأس المال الفكري، وذلك لأنه يقود إلى ما يلي[2]:

- زيادة القدرة الإبداعية للعنصر البشري.
- إبهار وجذب العملاء وتعزيز ولائهم.
- التعزيز المستمر للمنافسة بعرض منتجات جديدة ومتطورة.
- التحسين المستمر لأنظمة المعلومات والتجهيزات .
- تحسين السمعة المصرف

يعتبر رأس المال الفكري أفضل استراتيجية لاستثمار الفئة المتميزة من حيث المعارف والمهارات، نتيجة لقدرته على إدخال تغيرات جوهرية في المصارف بصفة مستمر تساعده على النمو والتطور والصمود لكونه الدعامة الرئيسية لما يعرف بالإبداع داخل المصرف وسنتعرف على هذا الأخير من خلال العنصر الآتي.

ثانيا : مدخل حول الإبداع في المصارف

1- **مفهوم الإبداع المصرفي :** يعرف الإبداع على أنه " فكرة جديدة يتم تنفيذها بقصد تطوير الخدمة، ويمكن أن يتراوح أثر الإبداع في المصارف من إحداث تحسينات طفيفة على الأداء إلى إحداث تطوير جوهري وهائل، ويمكن أن تتضمن هذه التحسينات، الخدمة والطرق الهياكل التنظيمية والأنظمة الإدارية والخطط والبرامج الجديدة المتعلقة بالأفراد العاملين [3].

وفي نفس السياق عرف الإبداع بأنه ولادة شيء غير مألوف أو النظر إلى الأشياء بطرق وأساليب جديدة[4]

كذلك تم تعريفه بالقوة التنافسية اللازمة لتحقيق المنظمات لنجاحاتها ولتحقيق ذلك توجهت الدراسات الى الاهتمام بالموارد البشرية وتصنيفها الى رأس مال بشري وفكري، وصولاً الى طرق جديدة لاكتشاف مكامن المعرفة ووسائل اكتسابها، فضلاً عن إتاحة المعلومات لهم وتعزيز ثقتهم بإمكاناتهم عن طريق المشاركة الجادة في عمليات صنع القرارات واتخاذها [5].

2- عوامل تنمية الإبداع المصرفي : تعتبر استراتيجية ترشيد الموارد المتاحة عامل أساسي في اختيار أحسن البدائل قصد إحداث التغيير، ويعتبر الإبداع من المتطلبات الضرورية لذلك، لذا تسعى المصارف لاعتماد عدد من الأساليب لتطويره والاستفادة منه، ومن العوامل التي تساعدها على ذلك ما يلي :

2-1-**التطوير الداخلي** : يتم بإدماج نشاطات البحث وتطوير داخل المصرف، ما يمنحه استقلالية كبيرة لوضع وتسيير سياسية إبداعية تحقق من خلالها مكاسب معتبرة في حالة النجاح، كما يضمن لها جانبا هاما من السرية والثقة لنشاطاتها، ويحد من التطلعات المتاحة للمقلد في الحصول على الأفكار الجديدة والإبداعات قيد الإنجاز.

---

[1] -Ghen, Jin, Zhahuizhu & Yuanxie, "Measuring Intellectual Capital Anew Model and Empirical Study", Journal of Intellectual Capital, Vol 5, No 1, 2004,p5-

[2]-بشار ذنون الشكرجي، د.مصعب صالح محمود، "قياس رأس المال الفكري وأثره في ربحية المصارف"، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت، المجلد السادس، العدد العشرون، 2010، ص 8.

[3]- محمد الحراحشة وآخرون، أثر التمكين الإداري والدعم التنظيمي في السلوك الإبداعي كما يراه العاملون في شركة الاتصالات الأردنية: دراسة ميدانية، مجلة العلوم الإدارية، المجلد33، العدد 2، 2006، ص: 248، 249.

[4]- محمد القريوتي، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة، ط3، دار الشروق، عمان، 2003، ص 298

[5]- جلال سعد الملوك عبد الرحمن، (2002) اثر استراتيجية التمكين في تعزيز الإبداع المنظمي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الموصل، ص3

2-2-التعاون مع الأطراف الفعالة : يتم من خلال البحث عن عقود واتفاقيات التعاون في المجال، ويعتبر عامل النقص في القدرات والإمكانيات المتاحة لدى المصرف، والاحتياج للمعارف العلمية والتكنولوجية والارتفاع في تكاليف نشاطات البحث والتطوير العامل الرئيسي للجوء إلى البحث عن العلاقات والارتباطات في مجال البحث التطبيقي، وفعالية ذلك محدودة بجدية الأطراف المعنية.

2-3-**عمليات الاندماج المصرفي** : نعني بها دمج المصرف لمؤسسات أو مصارف أخرى مبدعة بطريقة كلية أو جزئية، وذلك بحيازة حصة من رأسمالها المخصص للإبداع والاستفادة من النتائج المحصل عليها، أو تملك كلي لذلك بشراء المصرف ككل.

2-4-المقاولة من الباطن : يعني الحصول على الإبداع عبر المقاولة من الباطن، من خلال قيام المصرف بعملية اللجوء إلى مصارف أخرى طالبة منها تنفيذ جزئي أو كلي لنشاطات البحث والتطوير، أي إبرام اتفاقيات مع منظمات خارجية مثل : مكاتب الدراسات، مراكز البحث العامة والخاصة، الجامعات المنظمات الصناعية المتخصصة والجمعيات والنوادي العلمية وغيرها، ويتم اللجوء لهذا الأسلوب بسبب نقص الإمكانيات المالية والقدرات البشرية المؤهلة لدى المصارف.

2-5-اقتناء الرخصة :تعتبر الوسيلة المباشرة للحصول على الإبداع، وهي عبارة عن شراء إبداع معين من طرف خارجي؛ كما تعتبر الأكثر فاعلية لكون المصرف على علم بما تم الحصول عليه، والأسرع من ناحية الاستغلال والنقل المباشرة للمعارف والمعلومات عن موضوع الإبداع في حالة التعاقد، والأقل تكلفة بناء على العدد الكبير من طالبي الاقتناء. ومن عيوب هذا الأسلوب التبعية ونقص الاستقلالية.

2- **أهم المداخل النظرية للإبداع:** قام عدد من علماء الإدارة بطرح أفكار أصبحت تعرف فيما بعد بالنظريات وعرفت بأسمائهم، إذ قدمت هذه النظريات معالجات مختلفة حول الإبداع، سنعرض أهمها فيمايلي [1]:

3-1-نظرية (March & Simon; 1958) فسرت هذه النظرية الإبداع من خلال معالجة المشكلات التي تعترض المنظمات إذ تواجه بعض المنظمات فجوة بين ما تقوم به وما يفترض أن تقوم به، فتحاول من خلال عملية البحث خلق بدائل، فعملية الإبداع تمر بعدة مراحل هي فجوة أداء، عدم رخاء، بحث ووعي، وبدائل، ثم إبداع حيث عزيا الفجوة الأدائية إلى عوامل خارجية (التغير في الطلب أو تغيرات في البيئة الخارجية) أو داخلية.

3-2-نظرية (Wilson; 1966) بين عملية الإبداع من خلال ثلاثة مراحل هدفت إلى إدخال تغيرات في المنظمة وهي: إدراك التغير، اقتراح التغيير، وتبني التغيير وتطبيقه، ويكون بإدراك الحاجة أو الوعي بالتغيير المطلوب ثم توليد المقترحات وتطبيقها، فافترضت نسبة الإبداع في هذه المراحل الثلاث متباينة بسبب عدة عوامل منها التعقيد في المهام (البيروقراطية) وتنوع نظام الحفظ، وكلما زاد عدد المهمات المختلفة كلما ازدادت المهمات غير الروتينية مما يسهل إدراك الإبداع، بصورة جماعية وعدم ظهور صراعات، كما أن الحوافز لها تأثير إيجابي لتوليد الاقتراحات وتزيد من مساهمة أغلب أعضاء المنظمة.

3-3-نظرية (Harvey & Mill; 1970) قد استفادا مما قدمه كلا من (March & Simon) (Burns & Stalker)، فانصب تركيزهم على فهم الإبداع من خلال مدى استخدام الأنظمة للحلول الروتينية الإبداعية لما يعرف (بالحالة والحلول)، فقد وصفوا أنواع المشكلات التي تواجهها المنظمات وأنواع الحلول التي قد تطبقها من خلال إدراك القضية (المشكلة) عن طريق ما تحتاجه من فعل لمجابهتها أو بلورتها (أي كيفية استجابة المنظمة) أو البحث بهدف تقدير أي الأفعال المحتملة التي قد تتخذها المنظمة أو اختيار الحل (انتقاء البديل الأمثل) أو إعادة التعريف بمعنى استلام معلومات ذات تغذية عكسية حول الحل الأنسب، إذ تسعى المنظمة إلى وضع حلول روتينية لمعالجة حالات أو مشكلات تم التصدي لها سابقاً (الخبرات

---

[1]- طلال نصير، نجم العزاوي، أثر الإبداع الإداري على تحسين مستوى أداء إدارة الموارد البشريّة في البنوك التجاريّة الأردنيّة الملتقى الدولي الإبداع والتغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة دراسة وتحليل تجارب وطنية ودولية جامعة سعد دحلب – البليدة كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التيسير للفترة 18-19 /5/ 2011، ص 7

السابقة) وأيضاً تسعى لاستحضار حلول إبداعية لم يتم استخدامها من قبل لمعالجة المشكلات غير الروتينية بتبني الهياكل التنظيمية والميكانيكية والعضوية.

كما تناولوا العوامل التي تؤثر في الحلول الإبداعية والروتينية مثل حجم المنظمة وعمرها، درجة المنافسة، درجة التغير التكنولوجي، درجة الرسمية في الاتصالات، فكلما زادت مثل هذه الضغوطات يتطلب الأمر أسلوب أكثر إبداعاً لمواجهتها.

بعد تعرفنا على المتغيرات الأساسية في الدراسة سنحاول من خلال ما يأتي تطبيق نموذج الدراسة للإجابة على الإشكالية المطروحة واختبار الفرضيات للوصول إلى الأهداف المرجو من البحث.

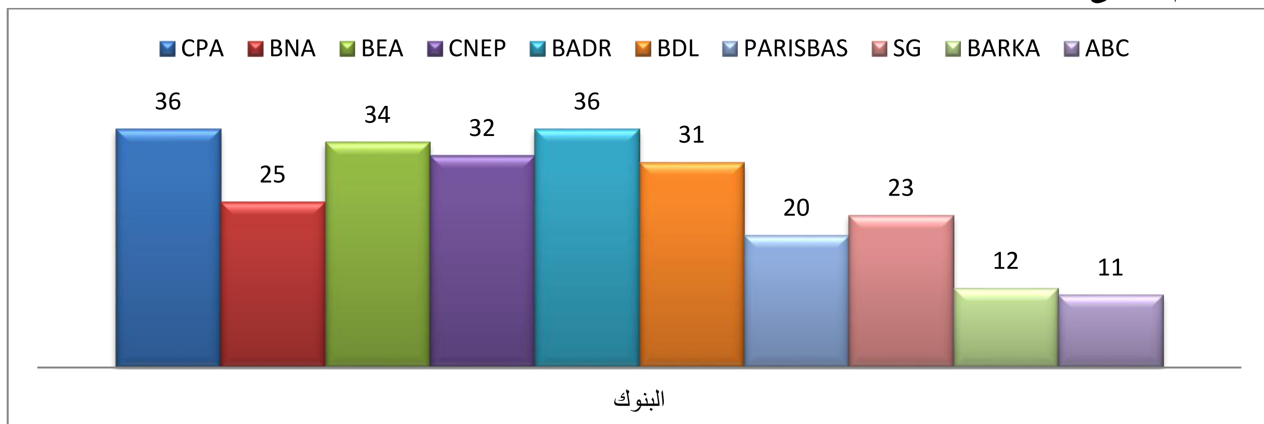
المحور الثاني: دراسة حالة المصارف العاملة بمدينة قسنطينة

تم تقسيم هذا المحور من الدراسة إلى ثلاثة أقسام تمثلت في منهجية الدراسة، المعالجة الإحصائية لنتائج الدراسة واختبار فرضيات الدراسة

أولا : منهجية البحث :

1- مجتمع وعينة الدراسة : يتكون مجتمع الدراسة من جميع عمال المصارف العاملة بمدينة قسنطينة سواء كانت جزائرية أو أجنبية، أما عينة الدراسة فتضم 260 عامل تم الحصول عليهم من عملية توزيع عشوائية للاستبانة على 10 مصارف، حيث قدر عدد الاستبيانات الموزعة ب 300 استبيان، تم استرجاع 260 وحدة ما يمثل نسبة 86.66% وهي نسبة جيدة يمكن الاعتماد عليها في التحليل، والشكل التالي يبين لنا توزع العينة حسب نوع المصرف المدروسة.

شكل رقم3: توزع العينة المدروسة حسب المصارف



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي spss

نلاحظ من خلال الشكل أعلاه أن بنك الفلاحة والتنمية الريفية وبنك القرض الشعبي الجزائري حققا أكبر عدد من الاستبيانات المسترجعة بقيمة 36 استبانة، وأقلها في المؤسسة العربية المصرفية 11 استبانة، أما المصارف الأخرى فقد كانت قيم الاستبيانات المسترجعة تنتمي قيمها إلى المجال [34-12] وهي قيم معتبرة يمكننا من الحصول على النتائج المرجوة من البحث.

2-أداة البحث : اعتمدنا على مصدرين لجمع البيانات، أولهما يتمثل في المراجع من الكتب والمجالات العلمية والدراسات ذات العلاقة بالموضوع لتغطية المفاهيم النظرية المرتبطة بمتغيرات الدراسة، أما الجانب الميداني فقد اعتمدنا على الاستبانة كأداة لجمع البيانات، والتي اشتملت على ثلاثة أجزاء رئيسية، أولهما ما تضمن البيانات الشخصية للعينة، ثانيهما مرتبط برأس المال الفكري وأبعاده الثلاثة، حيث ضم بعد رأس المال البشري 7 فقرات، ورأس المال الهيكلي 7 فقرات أيضا، أما رأس المال العملاء فقد ضم 7 فقرات، أما الجزء الأخير من الاستبانة فقد ضم فقرات تدعيم الإبداع في المصارف وعددها 11 فقرة، حيث تم استخدام مقياس ليكارت الخماسي لقياس كل فقرات الاستبانة المرتبطة بمتغيرات الدراسة

2- صدق وثبات أداة الدراسة :

2-1- **الصدق الظاهري :** حاولنا ضبط عبارات متغيرات الدراسة حسب أغراض البحث، وحرصا منا على معرفة الصدق الظاهري للاستمارة تم عرضها على مجموعة من المحكمين وتم الأخذ بملاحظاتهم.

2-2- **الصدق البنائي لأداة الدراسة :** بهدف معرفة الصدق البنائي لأداة الدراسة تم حساب مصفوفة الارتباط بين عبارات الاستبيان والدرجة الكلية للأداة، والجدول الآتي يبين ذلك :

الجدول رقم 1 : نتائج معامل الاتساق الداخلي لمحاور الاستبيان

المحاور الرئيسية وأبعادها	معامل بيرسون	مستوى الدلالة
المحور الأول: رأس المال الفكري	0.860	0.000
1- البعد الأول : رأس المال البشري	0.844	0.000
البعد الثاني : رأس المال الهيكلي	0.684	0.000
البعد الثالث: رأس المال العملاء	0.385	0.000
المحور الثاني : تدعيم الإبداع المصرفي	0.935	0.000

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات البرنامجSpss

توضح نتائج الجدول أعلاه قيم معامل الارتباط برسون بين المحاور والأبعاده والدرجة الكلية للأداة المستخدمة في الدراسة، حيث أنها كلها جاءت معنوية بمعنى أنها دالة إحصائيا بمستوى دلالتها 0.00،حيث أنه أقل من مستوى الدلالة المعتمد في الدراسة (5%)، ما يدل على وجود علاقة ارتباط بينهم، أما فيما تعلق بنوع وقوة الارتباط نلاحظ أنها كلها موجبة وكانت أقوها في محور تدعيم الإبداع بقيمة 0.934، وأدنها في بعد رأس المال الهيكلي حيث قدرت ب 0.684، وبالتالي يمكن القول أنه يوجد ارتباط بنائي للاستبانة المستخدمة في الدراسة.

2-3- **ثبات الاستبانة** :تم التعرف على درجة ثبات الاستبيان من خلال الاعتماد على اختبار ألفا كرونباخ، الذي أظهر ثباتا عاليا لكل المتغيرات، والجدول التالي بين ذلك :

جدول رقم2:قيمة معامل الثبات ألفا كرونباخ لمتغيرات الدراسة

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي spss

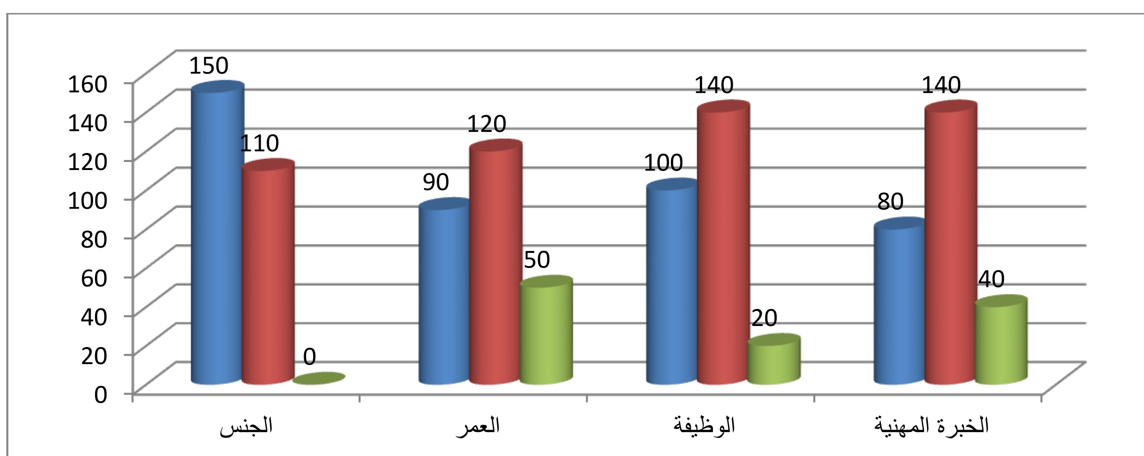
اسم المتغير	رأس المال الفكري	رأس المال البشري	رأس المال الهيكلي	رأس المال العملاء	تعزيز الإبداع	الاستبانة ككل
معامل الثبات ألفا كرونباخ	0.923	0.922	0.922	0.924	0.922	0.926

يبين الجدول أعلاه أن معامل الثبات لمتغيرات الدراسة في كافة فقرات الاستبانة قد بلغ قيم أكبر من 0.9 ما جعل محاور وأبعاد الدراسة تحقق قيم ممتازة من الثبات، كما يوضح الجدول قيمة ألفا كرونباخ الكلية قد حققت قيمة ممتازة قدرت ب 0.926 يمكن الاعتماد عليها في الدراسة الميدانية .

ثانيا : المعالجة الإحصائية لنتائج الدراسة : تم تقسيم المعالجة الإحصائية إلى وصف البيانات الشخصية ومتغيرات الدراسة من خلال استخدام أساليب الإحصاء الوصفي الملائمة لكل متغير.

1- وصف البيانات الشخصية :تميزت العينة المدروسة من حيث البيانات التعريفية بالخصائص المتمثلة في الشكل التالي :

شكل رقم (4): وصف البيانات الشخصية للعينة المدروسة



المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات البرنامج الإحصائي spss

نلاحظ من الشكل أعلاه أن جنس الأنثى قد بلغ 150 عاملة في حين الذكور قدر عددهم ب110 عامل، كما توزعت أعمار العينة على ثلاث فئات، حققت فئة 30-40 سنة أعلى نسبة بقيمة 120 عامل، تلتها بعد ذلك الفئة العمرية أكثر من 40 سنة بعدد عامل قدرهم 90 عامل، وأخيرا بلغ عدد عامل الفئة العمرية أقل من 30 سنة 50 عامل، أن حصولنا على هذه النتائج يعود لاستراتيجية المصارف في مجال التوظيف.

فيما يخص الوظيفة المهنية فقد قسمنها إلى موظف وقدر عددهم ب 140، رئيس قسم قدر عددهم ب 100 عامل وفي الأخير قدر عدد المدرين ب 20 مدير، وحصولنا على هذه النتائج يرجع إلى طبيعة الهيكل التنظيمي للمصارف.

1-وصف إجابات العينة حول بعد رأس المال البشري :يمكن إدراج الإجابات على مختلف الفقرات من خلال الجدول التالي:

جدول رقم3 : المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمؤشرات رأس المال البشري

فقرات بعد رأس المال البشري	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
يوكل المصرف الوظائف الاستراتيجية للأفراد ذو الخبرة العالية في المجال.	0,914	3,92
يقسم المصرف النشاطات الموكلة للعاملين كلا حسب قدراته وخبراته في المجال.	1,061	3,38
يشجع المصرف الأفكار الجديدة المقترحة من طرف العمال.	1,078	3,50
يشجع المصرف التعامل الجماعي لحل المشكلات المرتبطة بالمصرف.	1,113	2,70
يستقطب المصرف الأفراد المتميزون في الخدمة المصرفية.	1,196	2,75
يعتمد المصرف دورات تدريبية بصفة مباشرة لتطوير المهارات والخبرات لدى العاملين.	1,212	2,63
يشجع المصرف نقل الخبرات بين العمال وبين رؤساء الأقسام والعمال	1,168	3,57
البعد الأول : رأس المال البشري	0,973	3,86

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات البرنامج الإحصائي spss

يبين الجدول أعلاه إجابات العمال المدروسين فيما يخص بعد رأس المال البشري ، حيث نلاحظ أعلى مستوى اتفاق كان من نصيب الفقرة الأولى بمتوسط حسابي 3.92 وانحراف معياري 0.914، في حين عرفت الفقرة 6 أدنى مستوى اتفاق بمتوسط حسابي 2.63 وانحراف معياري 1.212، كما يبين الجدول رأي عينة الدراسة حول البعد ككل، حيث حقق متوسط حسابي 3.86 ما يؤكد على اتفاق العينة حول ماجاء فيه رغم التشتت النسبي للآراء، وهذا ما تأكده قيمة الانحراف المعياري البالغة 0.973.

تشير النتائج عموما إلى أنه يوجد هناك اهتمام لابأس به برأس المال البشري من قبل المصارف، ما يدل على إدراكها لدور العنصر البشري في دعم النشاط.

2- **وصف إجابات العينة حول بعد رأس المال الهيكلي:**يمكن إدراج الإجابات على مختلف الفقرات من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 4: وصف فقرات رأس المال الهيكلي

فقرات رأس المال الهيكلي	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
يمتلك المصرف نظم معلومات متميزة ودقيقة.	1,089	3,17
يحرص المصرف على دمج مختلف الأنظمة والبرامج الحديثة في مجال العمل	1,091	3,06
يملك المصرف أنظمة ربط بين الأقسام والفروع المختلفة لتسهيل العمل.	1,144	2,91
يواكب الهيكل تنظيمي للمصرف التطورات المختلفة للبيئة الخارجية	1,199	2,90
يوفر المصرف كل المعدات والأدوات لتسهيل العمل كلا حسب حاجته.	1,222	2,82
تواكب التجهيزات التي يمتلكها المصرف التطورات التكنولوجية الحديثة	1,150	2,72
يمتلك المصرف نظم وأدوات لا يمتلكها المنافسين	1,385	2,82
البعد الثاني : رأس المال الهيكلي	,93218	2,9132

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات البرنامج الإحصائي spss

نلاحظ من الجدول أعلاه إجابات العمال حول فقرات المحور، حيث عرفت الفقرة الأولى أعلى مستوى اتفاق بقيمة وسط حسابي 3.17 وانحراف معياري 1.089 ما يؤكد على تشتت أراء العينة المدروسة، كما نلاحظ بلوغ الفقرة السادسة مستوى اتفاق متدني بمتوسط حسابي 2.72، وانحراف معياري 1.150، في حين حقق البعد ككل بكل فقراته اتفاق متوسط على توفر رأس المال الهيكلي لدى الفئة المدروسة حيث بلغ المتوسط الحسابي 2.91، والانحراف المعياري 0.932، ما يؤكد على التشتت النسبي في أراء العينة المدروسة حول فقرات البعد، وبالتالي يمكن القول بأن العينة تقر بعدم وجود اهتمام كبير برأس المال الهيكلي في المصارف المدروسة.

3- **وصف إجابات العينة حول بعد رأس المال العملاء** : يمكن إدراج الإجابات على مختلف الفقرات من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 5: وصف فقرات رأس المال العملاء

فقرات رأس مال العملاء	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
يعتمد المصرف أساليب حديثة في التعرف على حاجات العملاء وتوقعاتهم	1,298	3,30
يعتمد المصرف نظام خاص لتعرف على درجة ولاء المتعاملين معه	1,185	2,98
يطور المصرف باستمرار أنظمة إدارة شكاوي العملاء	1,280	3,15
يتعامل المصرف بجدية عالية مع شكاوى المتعاملين معه	1,143	2,94
يتوفر لدى المصرف قاعدة بيانات قوية حول المتعاملين والمنافسين	1,298	3,72
توفر المصرف نظام لتلقي اقتراحات المتعاملين معه	1,173	3,04
يسعى المصرف من خلال إمكانياته المادية والبشرية لزيادة حصته السوقية باستمرار	1,014	3,40
يتبع المصرف أسلوب التميز في عرض خدماته مقارنة بالمنافسين	1,298	3,30
البعد الثالث : رأس المال العملاء	,729	3,219
المحور الأول رأس المال الفكري	,571	3,113

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

يتبين من خلال الجدول أن المتوسط الحسابي لفقرات رأس المال العملاء قد ترواحت مابين 3.72إلى 2.94،ما يؤكد على تقارب أراء العينة في كل الفقرات، حيت تحصلت الفقرة 5 على أعلى متوسط حسابي 3.72 ما يدل على مستوى عال من الموافقة، والفقرة 4 نالت أدنى متوسط حسابي بقيمة 2.94، ما يدل على وجود معرضين لها، وما يبين ذلك هو قيمة

الانحراف المعياري البالغة 1.143 والتي تدل على اختلاف وتشتت أراء عينة الدراسة، أما فيما يخص بعد رأس المال العملاء فقد حققت مستوى اتفاق متوسط بقيمة وسط حسابي 3.219 وانحراف معياري 0.729، كما يبين الجدول قيمة الوسط الحسابي للمحور كلل بمعنى رأس المال الفكري فقد بلغت قيمة المتوسط الحسابي 3.11 ما يؤكد على الاتفاق المتوسط حول فقرات المحور والانحراف المعياري 0.571 ما يؤكد على اتفاق أراء العينة على العموم حول أغلب فقرات المحور كلل.

فالنتائج السابقة تأكد على الاهتمام المتوسط برأس المال الفكري في المصارف المدروسة، وما يبين عدم إدراك أغلب المصارف لأهمية هذا العامل في التطوير والنهوض بالقطاع، والسبب وراء ذلك يرجع إلى عدم وجود قيادة داعمة تستجيب لمقترحات العمال وتشجعهم على الإبداء برأيهم، وهذا يرجع لمركزية القرارات في المصارف من جهة وضعف الرغبة في تطوير القطاع من جهة ثانية.

2-وصف فقرات متغير دعم الإبداع : يمكن إدراج فقرات متغير دعم القدرات الإبداعية في المصارف من خلال الجدول التالي :

جدول رقم 6: وصف فقرات متغير دعم القدرات الإبداعية في المصارف

فقرات دعم القدرات الإبداعية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
يتم تحفيز العمال الذين لديهم قدرات إبداعية على استغلال أفكارهم في العمل.	1,082	3,49
توفير المصارف الإمكانيات اللازمة للابداع، بهدف رفع مستوى المعارف والمهارات للعمال للاستفادة من القدرات والطاقات الموجودة لديهم.	0,902	3,47
يدعم المصرف شبكات الاتصال مع البيئة الخارجية أو الداخلية بهدف اتصال بالمتخصصين والموهوبين خارج وداخل المصرف .	1,149	3,14
تشجيع المصارف التفكير الاستراتيجي الذي يساعد على وضع الخطط المستقبلية للتطور والتغير وكذا وسائل التعامل معها.	1,189	3,10
الاهتمام بثقافة العمال من خلال إيجاد قيم وأهداف مشتركة بينهم.	1,257	3,27
يحتفظ المصرف بالأشخاص المميزين في مجال التخيل، الاستنباط والتحليل.	1,213	2,63
توفير المصرف للعمال جو يساعد على الإحساس بالثقة في النفس.	1,123	2,48
يتم تشجيع العمال على المشاركة في الندوات والمؤتمرات المتعلقة بتخصصهم في العمل.	1,469	3,24
الاهتمام بمقترحات وأراء العمال في مجال عرض الخدمة.	0,901	3,93
يوفير المصرف الشفافية التامة في المعلومات المرتبطة به، بمعنى تكون معلومة لدى كل الموظفين بدون استثناء.	,992	3,70
منح العمال درجة عالية من الاستقلالية بهدف تعزيز روح الإبداع والريادة لديهم.	1,075	3,38
المحور الثاني : دعم القدرات الإبداعية	**3.26**	**0.677**

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

يبين الجدول أعلاه أن إجابات المصارف المدروسة على محور تدعيم القدرات الإبداعية قد حققت اتفاق متوسطة، بمتوسط حسابي كلي قيمته 3.26 وانحراف معياري قد بلغ 0.677، كما نلاحظ أن أعلى نسبة موافقة حققتها الفقرة رقم 9 بمتوسط حسابي قيمته 3.93، وأدنى مستوى موافقة كان من نصيب الفقرة4 بمتوسط حسابي 3.10، أما بالنسبة للانحراف المعياري للفقرات فلقد عرف تشتت كبيرة بين أفراد عينة الدراسة مايبين أن هناك مصارف ترغب في تطوير القدرات الإبداعية وهناك من لا يرغب في ذلك، وهذا يرجع للسياسة المصرفية الجزائرية التي تمتاز بالمركزية في القرارات وفي نفس الوقت تساعد على الخمول والعمل في ظل بيئة تسودها فكرة الانتهاء مما هو مطلوب مني ولا شيء أكثر أو أقل، كما أن سياسة الجزائر في مجال الترقية في المصارف مبنية على أساس الأقدمية وليست على أساس الكفاءة في العمل

ثالثا :اختبار فرضيات الدراسة : نبدأ باختبار الفرضيات الجزئية لدراسة والمرتبطة بأثر أبعاد رأس المال الفكري الواحد تلوى الآخر على تدعيم القدرات الإبداعية في المصارف، ثم بعدها ننتقل لاختبار الفرضية الرئيسية وكتابة نموذج الانحدار الخطي البسيط الممثل لظاهرة المدروسة والتأكد من تحقق شروط جودته.

3-1-إختبار الفرضية الفرعية الأولى :يوجد أثر لرأس المال البشري على القدرات الإبداعية في المصارف حسب رأي عمال المصارف المدروسين.

يتم التأكد من صحة أو عدم صحة الفرضية الأولى من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 7: تحليل نتائج الإنحدار الخطي

العامل	R	R^2	F	SIG	الثابت α	المعامل β	قيمة T	SIG
الفرضية الأولى	0.774	0.600	386.456	0.00	0.705	0.795	19.658	0.00

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

يبين الجدول أعلاه أن هناك علاقة ارتباط معنوي قوية ما بين المتغيرين تقدر بقيمة 0.774، كما يوضح الجدول من خلال تحليل قيمة معامل التحديد البالغة 0.6، أن التغيرات التي تحدث في رأس المال البشري تفسر ما نسبته 60 % من التغيرات التي تحدث في القدرات الإبداعية في المصرف، وهذا ما تثبته قيمة الاختبار T التي بلغت 19.658 وهي دالة إحصائيا بمستوى دلالة قدره ب 0.00 وهو أقل من 0.05، مما يعنى قبول الفرض البديل الذي **يقر بوجود أثر ذو دلالة إحصائية رأس المال البشري على تدعيم القدرات الإداعية،**و ما يزيد تأكيد هذا الفرضية هو قيمة الاختبار F التي بلغت 386.456 وهي دالة إحصائيا بمستوى دلالة قدر ب 0.00 الأقل من مستوى الدلالة 0.05.

3-2-إختبار الفرضية الفرعية الثانية :يوجد أثر لرأس المال الهيكلي على القدرات الإبداعية في المصارف حسب رأي عمال المصارف المدروسين.

يتم التأكد من صحة أو عدم صحة الفرضية الأولى من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 8: تحليل نتائج الإنحدار الخطي لأثر رأس المال الهيكلي على تدعيم الإبداع

العامل	R	R^2	F	SIG	الثابت α	المعامل β	قيمة T	SIG
رأس المال الهيكلي	0.600	0.360	145.198	0.00	1.987	0.436	12.05	0.00

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

نلاحظ من خلال قراءتنا للجدول وجود علاقة ارتباط معنوي متوسطة ما بين المتغيرين بلغت قيمتها0.600، كما نلاحظ أن معامل التحديد قد حقق نسبة 0.36 ما يعنى أن التغيرات التي تحدث في المتغير المستقل ألا وهو رأس المال الفكري تؤدي إلى تغير بقيمة 36%في القدرات الإبداعية للعمال في المصارف حسب رأي العينة المدروسة ، أما قيمة إختبار ستودنت بلغت 12.05 وهي معنوية بالنظر إلى مستوى دلالتها المقدر ب 0.00 وهو أقل من 0.05، مما يعنى رفض الفرض الصفري و قبول الفرض البديل الذي **يقر بوجود أثر ذو دلالة إحصائية رأس المال الهيكلي على تدعيم القدرات الابداعية في المصارف المدروسة ،** كذلك يبين الجدول قيمة اختبار فيشر البالغة 145.198 والتي جاءت دالة إحصائيا وتأكد على معنوية الأثر بين المتغيرين المدروسين.

3-3-إختبار الفرضية الفرعية الثالثة :يوجد أثر لرأس المال العملاء على القدرات الإبداعية في المصارف حسب رأي عمال المصارف المدروسين. و يتم التأكد من صحة أو عدم صحة الفرضية الأولى من خلال الجدول التالي:

جدول رقم 9: تحليل نتائج الإنحدار الخطي لأثر رأس المال العملاء على تدعيم الإبداع

العامل	R	R^2	F	SIG	الثابت α	المعامل β	قيمة T	SIG
رأس مال العملاء	0.293	0.086	24.31	0.00	2.38	0.272	4.93	0.00

المصدر:من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

يبرز الجدول بوضوح علاقة الارتباط المعنوية والضعيفة بين المتغيرين حيث قدرت ب0.293، وهذا ما جعل معامل التحديد يبلغ قيمة 0.086، وهي قيمة متدنية تدل على أنه كلما تغير رأس المال العملاء بوحدة واحدة تغيرت القدرات الإبداعية للمصرف بنسبة 8.6%، أما فيما يخص اختبار الفرضية قد بينتها قيمة اختبار ستودنت البالغة 4.93 وهي دالة إحصائيا بمستوى دلالة 0.00، حيث أنها أقل من 0.05 ما يجعلنا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل بصحة الفرضية البديلة التي تنص على **وجود أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال العملاء على تدعيم القدرات الإبداعية غي المصارف المدروسة ،** كما تبين قيمة اختبار فيشر البالغة 21.31 والمعنوية صحة الفرضية المدروسة.

4- الفرضية الرئيسية :تنص على مايلي : **يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الفكري على تدعيم القدرات التنافسية بالمصارف عينة الدراسة.** ويمكن اختبار هذه الفرضية من خلال الجدول الآتي :

جدول رقم 10 : تحليل الانحدار لاختبار الفرضية الرئيسية :

العامل	R	R^2	F	SIG	الثابت α	المعامل β	قيمة T	SIG
الفرضية الرئيسية	0.749	0.561	330.292	0.00	0.492	0.888	18.174	0.00

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على مخرجات البرنامج الإحصائي SPSS

يبين لنا الجدول علاقة الارتباط الخطية القوية مابين رأس المال الفكري وتدعيم القدرات الإبداعية في المصارف قد بلغت قيمة 0.749، كما نلاحظ من خلال معامل التحديد البالغ0.561 الذي يعني أن التغيرات التي تحدث في رأس المال الفكري تفسر ما نسبته 56.1 % من التغيرات التي تحدث في تدعيم القدرات الإبداعية ،أما بالنسبة لقيمة الإختبار T البالغة 18.174 فقد حققت مستوى دلالة 0.00جعلها معنوية لأنه أقل من 0.05، وبالتالي يرفض الفرض الصفري و**يقبل الفرض البديل الذي يقر بوجود أثر ذو دلالة إحصائية لرأس المال الفكري على القدرات الإبداعية حسب رأي المصارف المدروسين.**

يمكن كتابة نموذج الأثر بين المتغيرين من خلال المعادلة الرياضية التالية:

تدعيم القدرات الإبداعية =0.492+0.888 *رأس المال الفكري....(1)

يعني النموذج رقم (1) أنه كلما تغير متغير رأس المال الفكري بوحدة واحدة أدى إلى تغير متغير تدعيم القدرات الإبداعية بقيمة 0.888، أما العوامل الأخر التي لم يتم التطرق إليها فإنها تغير متغير تدعيم القدرات الإبداعية ب بقيمة 0.492.

من خلال ما سبق يمكن القول أن عمال المصارف المدروسين يدركون الدور الذي يلعبه رأس المال الفكري في تدعيم القدرات الإبداعية، حيث أدى الاهتمام الضعيف للمصارف المدروسة برأس المال الفكري إلى ضعف القدرات الإبداعية لديها وهذا ما انعكس على نشاطها حيث نلاحظ أنها لازالت تفتقر لاستراتيجيات عرض الخدمة وكذا استراتيجيات جذب العملاء والحفاظ عليهم ما انعكس على حصتها السوقية وأثر على حجم مدخراتها.

5-التحقق من شروط جودة النموذج الذي يربط بين رأس المال الفكري وتدعيم الإبداع في المصارف

حتى نتمكن من الحكم على أن النموذج الموضح في المعادلة (1) يتميز بجودة عالية لابد من تحقيقه لعدد من الشروط هي كمايلي:

4-1-معنوية النموذج الرياضي: من الجدول رقم، نلاحظ أن قيمة اختبار فيشر قد بلغت 330.292 بمستوى دلالة 0.00 وهي أقل من 0.05 ما يبين معنوية الاختبار ومن ثم النموذج المدروس.

4-2- شرط التوزيع الطبيعي للبواقي:

يتم اختبار شرط التوزيع الطبيعي للبواقي باعتماد اختبارKolmogorov-Smirnov ، والجدول الآتي يوضح ذلك :

جدول رقم11 : اختبار التوزيع الطبيعي للبواقي

البيان	سمير نوف			شابيرو		
	قيمة الاختبار	درجة الحرية	Sig	قيمة الإختبار	درجة الحرية	Sig
البواقي المعيارية	0.039	260	0.2	0.982	260	0.12

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج (SPSS).

يتضح من الجدول أن مستوى الدلالة الاختبارين Kolmogorov-Smirnov وShapiro-Wilk قد بلغ على الترتيب 0.2 و0.12 وهو أكبر من مستوى الدلالة المعتمد 0.05 ما يدل على قبول الفرض الصفري الذي يقر بأن البواقي تخضع للتوزيع الطبيعي.

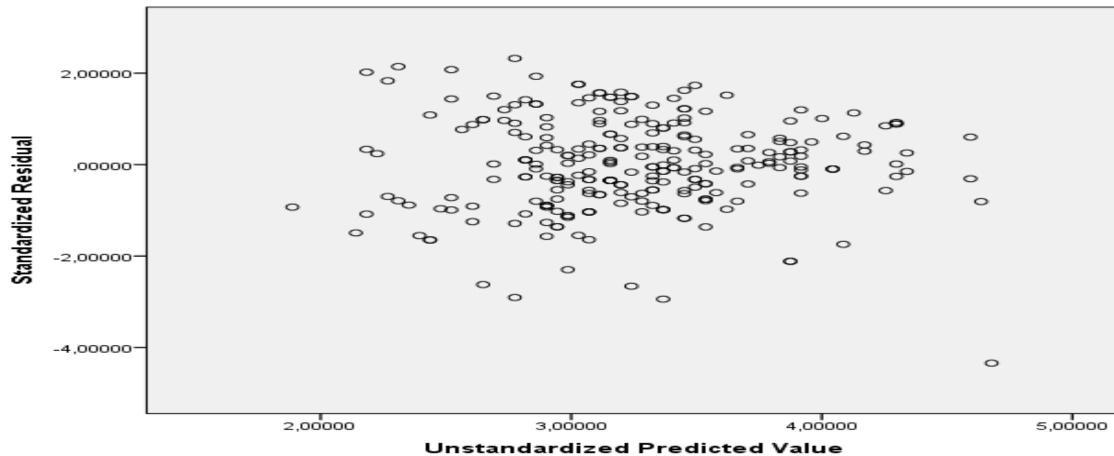
3-شرط الارتباط الذاتي للبواقي: يتم اختبار شرط الارتباط الذاتي للبواقي باستخدام اختبار Durbin-Watson، لاختبار الارتباط الذاتي للبواقي، حيث بلغت قيمته $\boldsymbol{DW = 1.800}$، وبالعودة للجدول الإحصائي لهذه الإحصائية عند k=1 وn=260 نجد القيم D_L=1.758 وD_U=1.779. عند مستوى دلالة 5%، وعليه:

$1.8<2$ و$1.779 < 1.81 < 2.201$ معناه $4 - D_U > DW > D_U$

من جدول إحصائية مجال إستقلال البواقي نلاحظ أن قيمة DW تقع في المجال، وعليه نقبل فرضية العدم التي **تقر بعدم وجود ارتباط ذاتي للبواقي.**

4-شرط تجانس التباين: يتم اختبار شرط تجانس التباين، من شكل انتشار سحابة النقاط للبواقي المعيارية على القيم المقدرة المعيارية للمتغير التابع، وهي تظهر في الشكل التالي:

الشكل رقم 4: سحابة انتشار البواقي للنموذج



المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على نتائج برنامج SPSS.

نلاحظ من الشكل أعلاه أن انتشار وتوزع البواقي يأخذ شكل عشوائي على جانبي الخط الذي يفصل البواقي السالبة والبواقي الموجبة حيث أنها لا تتبع شكل معين لتباين هذه البواقي، وهو ما يعني أن هناك تجانس أو ثبات في تباين البواقي.

من خلال ما سبق نلاحظ تحقق الشروط الرياضية للنموذج الذي يربط بين راس المال الفكري وتدعيم القدرات الإبداعية للمصارف ما يؤكد على جودة نموذج الانحدار الخطي البسيط الذي يربط بين المتغيرين.

الخاتمة :

أدركت المصارف طبيعة التحولات التي غيرت من واقع نظام الأعمال، وتفهمت شدة المنافسة، ومن أهم هذه التحولات الاهتمام المتزايد برأس المال الفكري لأنه أصبح أهم الموارد للإدارة المعاصرة كونه يتميز بخصائص لا يمكن تقليدها بسهولة من قبل الآخرين، فقد أصبح المعيار المعتمد عليه في الوقت الحالي لكونه يدعم الإبداع في المصرف، وبهدف إبراز ذلك أجرينا

دراسة على المصارف الجزائرية والأجنبية العاملة بمدينة قسنطينة، واستنادا لتحليل بيانات الدراسة الميدانية فقد توصلنا إلى النتائج التالية :

- لازالت المصارف العاملة بمدينة قسنطينة لا تعير أهمية كبيرة لمكونات رأس المال الفكري وخاصة رأس المال الهيكلي ورأس المال العملاء.

-تعتبر المصارف الجزء المهم من رأس المال الفكري هو رأس المال البشري الذي يبرز بشكل واضح في المعارف البشرية .

- المصارف الجزائرية لا تتبنى استراتيجيات واضحة في مجال الاهتمام برأس المال الفكري.

- هناك اتفاق من طرف عينة الدراسة على أن المصارف تتبنى عدد العديد من مؤشرات الاهتمام برأس المال الفكري.

- هناك اتفاق من طرف عينة الدراسة على أن الإبداع يتأتى من الاهتمام بالعنصر البشري في المرتبة الأولى ثم الهيكلي فالعملاء

-كما توصلت الدراسة لعلاقة ما بين رأس المال الفكري وتدعيم القدرات الإبداعية في المصارف.

- وجود علاقة بين قوية ما بين رأس المال البشري وقدم القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

-وجود علاقة متوسطة ما بين رأس المال الهيكلي وتدعيم القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

-وجود علاقة ضعيفة ما بين رأس المال العملاء وتدعيم القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

- وجود أثر لرأس المال البشري على القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

- وجود أثر لرأس المال الهيكلي على تدعيم القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

- وجود أثر لرأس المال العملاء على تدعيم القدرات الإبداعية في المصارف المدروسة.

قائمة المراجع :

أولا : المراجع باللغة العربية :

1- بشار ذنون الشكرجي، د.مصعب صالح محمود، قياس رأس المال الفكري وأثره في ربحية المصارف، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة تكريت، المجلد السادس، العدد 20، 2010.

2-جلال سعد الملوك عبد الرحمن، اثر استراتيجية التمكين في تعزيز الإبداع المنظمي، رسالة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة الموصل، 2002.

3-حدة بوتبينة أثر رأس المال الفكري على التطوير التنظيمي، مجلة الاقتصاد الصناعي،العدد 11، سنة 2016.

4-خالد قشقش خالد، إدارة راس المال الفكري وعلاقته في تعزيز الميزة التنافسية، دراسة تطبيقية بقطاع غزة، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة،

5-سعد علي العنوي وصالح أحمد علي، إدارة رأس المال الفكري في قطاع الأعمال، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2009

6-طلال نصير، نجم العزاوي، أثر الإبداع الإداري على تحسين مستوى أداء إدارة الموارد البشريّة في البنوك التجاريّة الأردنيّة الملتقى الدولي الإبداع والتغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة دراسة وتحليل تجارب وطنية ودولية جامعة سعد دحلب – البليدة كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التيسير، 2011

7-عبد القادر حسين ، استغلال رأس المال الفكري لزيادة نسبة مساهمته غي التنمية المستدامة من وجهة نظر الأكاديميين في جامعة الاستقلال، المؤتمر الرابع،، جامعة الإسراء، الاردن، 2014

8-عبد السلام بن دي، مراد علة، دور رأس المال الفكري المعرفي في خلق الميزة التنافسية في ظل أدارة المعرفة، مؤتمر دولي بعنوان رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة أ جامعة حسية بن بو علي، الشلف، 2011

9-عبد الستار حسين يوسف، دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية، عمان، 2005

10-عفاف السيد بدوي، رؤية استراتيجية لرأس المال الفكري ودوره في تحقيق الميزة التنافسية، جامعة الأزهر، كلية التجارة، 2012.

-11 محمد القريوتي، السلوك التنظيمي، دراسة السلوك الإنساني الفردي والجماعي في المنظمات المختلفة، ط3، دار الشروق، عمان، 2003.

12-محمد الحراحشة وآخرون، أثر التمكين الإداري والدعم التنظيمي في السلوك الإبداعي كما يراه العاملون في شركة الاتصالات الأردنية: دراسة ميدانية، مجلة العلوم الإدارية، المجلد33، العدد 2، 2006

13-مصطفى حماني وأحمد بوسهمين، تفعيل استراتيجية الإبداع التكنولوجي لرفع تنافسية المؤسسات الاقتصادية، مجلة البشائر المجلد الثالث، العدد 1، 2017.

14-محمود الروسان ومحمود العجلوني،2010، أثر رأس المال الفكري في المصارف الأردنية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد (26)، العدد 2، 2010.

15-مناور حداد، دور رأس المال الفكري في إدارة المنظمات، الملتقى الدولي حول إدارة وقياس رأس المال الفكري، جامعة البليدة، 2008.

16-محمود عبد المجيد عساف، استراتيجية مقترحة لإدارة الإبداع كمدخل لتحقيق الميزة التنافسية في مؤسسات التعليم العالي، سنة 2014، الموقع: *www.moc.ps/ar/uploads/creativity_conf2014/articles/set2/3.docx*

17-كردي أحمد السيد، أهمية رأس المال الفكري، قسم ادارة الأعمال جامعة بنها، 2010،الموقع :
http://kenanaonline.com/users/ahmedkordy/posts/189386

18-هلالي الشربيني، إدارة رأس المال الفكري وقياسه وتنميته كجزء من أدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، العدد 2، مصر، 2011.

ثانيا : المراجع باللغة الأجنبية :

1-Ghen, Jin, Zhahuizhu & Yuanxie, “Measuring Intellectual Capital Anew Model and Empirical Study”, Journal of Intellectual Capital, Vol 5, No 1, 2004

2-Jolanta Jurczak, Intellectual capital measurement method, Institute of Organization and Management in Industry " ORGMASZ", vol 1, 2008.

3-Pursak, L., The knowledge advantage strategy and leadership, March-April 1996

التسويق بالعلاقات لتغيير التسيير بالمؤسسات الاقتصادية الجزائرية

-دراسة ميدانية بالصندوق الوطني للتوفير والاحتياط – CNEP banque-

أ.طيار ليلى
جامعة باجي مختار عنابة -

الملخص: يتمحور هدف هذه الدراسة حول تبيان كيفية تعامل المؤسسات مع متغيرات محيطها الخارجي من خلال الاستراتيجيات وأنشطة التسويق بالعلاقات وكذلك الاستفادة من ديناميكية التسويق كأسلوب يتفاعل بمرونة عالية مع المحيط الخارجي . فمن هذا المنطلق نلاحظ بأن التحولات التي عرفها التسويق في القطاع الاقتصادية الجزائري منذ نشأته كان حتمية لما أفرزه المحيط من متغيرات مستجدة. تمخض عنه تحديين رئيسيين أمام المؤسسات الناشطة في هذا القطاع ، **الأول** مواجهة المنافسة، و**الثاني** مواكبة تطور سلوك الزبون، فعند هذا المستوى أدركت المؤسسة أن الحصول على مكانة جيدة، يرتكز على الزبون من خلال فهم تطور حاجاته. بالتالي بدأ التسويق يأخذ منحى البحث عن هذه القيمة من خلال بناء وتطوير علاقات مستمرة ، الغاية منها الفهم المعمق والمتواصل للزبون والاحتفاظ به كمصدر ربح المؤسسة.

Abstract : The objective of study is to show how firms act according to the rules of relational marketing regarding the dynamism of reactions, extremely flexible with the variables of external environment appearance of marketing is concomitant in the big growth recorded by the supply and demand of services in all sectors of economy. Since then firms try to give products of better quality to answer the desire of differentiation and its persistence. Also studies led by firms are based on the clients. Since since the emergence of marketing, he is admitted of the change obligations which are at the origin of two challenges to firms: or to confront competition, or to follow the behaviour development of the clients . In this stage firms received the importance of a situation not only based on offer, but also on client and understanding of its requirements in growth middle of all these events marketing began turning to the research of stocks, since the building and the valuation of uninterrupted relations. To be possible keep them as benefit source and to get one more in their monitoring**.**

المقدمة: تواجه المؤسسات اليوم مجموعة من التحديات التي تهدد وجودها قد تتمثل في عوامل البيئة الخارجية التي تحيط بها بالإضافة إلى تحديات عوامل البيئة الداخلية ، ويختلف تأثير هذه العوامل حسب حجم المؤسسة ونوع النشاط الذي تقوم به. لذلك فهي تحتاج إلى دراسة عملائها دراسة علمية . ولتحقيق ذلك لابد ان تتجه المنظمات إلى الحصول على معلومات قيمة عن احتياجات ورغبات العملاء لتطوير علاقة طويلة الأمد مع عملائها تهدف إلى خلق الولاء وذلك من خلال استراتيجيات التسويقي بالعلاقات. فإن كافة الأنشطة التي تقوم بها المؤسسة لمعرفة حاجات ورغبات وتطلعات عملائها الحاليين والمحتملين ،تقوم بترجمتها إلى سلع وخدمات وأفكار مناسبة وأسعار ملائمة وكذلك إلى طرق ترويج ، وتوزيع لإرضاء العلاقات التبادلية بين المؤسسة وجمهور عملائها [1] لذلك احتلت نتائج البحوث الاستطلاعية في المهام التسويقي بالعلاقات أهمية كبرى من حيث اتخاذ القرارات في ظل النسق العام للمؤسسة المتسم بالحركية والتغير.

مما سبق سنركز في هذا البحث على الكيفية التي يمكن من خلالها للمؤسسات أن تتبنى وتطبق مفهوم التسويق بالعلاقات من خلال طرح الأسئلة التالية:

أ .ما ذا نعني بتوجه المؤسسات إلى التسويق بالعلاقات ؟

ب .كيف يمكن للمؤسسات التعامل مع قوى التغيير من خلال التسويق بالعلاقات ؟

ج .هل تمارس المؤسسة الجزائرية هذا المفهوم أم مازالت عالقة في صعوبات تطبيق المفهوم التسويقي ؟

---

[1].صبحي جبر العتيبي ،تطور الفكر والأساليب في الإدارة،ط1 ،دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن ،2005،ص 289

لم تعد المؤسسات قادرة على التحكم في محيطها الخارجي وأصبح محتما عليها إجراء تغييرات وتعديلات لمواجهة حاجات المجتمع ومتطلباته والأزمات التي تفرضها . لذا قد تلجأ إلى **التسويق** كمجموع من النشاطات بهدف دفع البيع وتلبية حاجات المستهلكين[1] أي أنها تنطلق من الأهداف العامة للمؤسسة نفسها رجوعا إليها عبر العديد من الخطوات المحددة للمهمة التسويقية مراعية حاجات المستهلكين. وباعتبار التسويق استراتيجية تتم عبر مجموعة من النشاطات كالإعلان والتواصل مع الزبائن وبمثابة رد فعل لنفسية وحاجات الزبائن نحو سلعة أو خدمة ما [2] فلم يمكن للمنظمة إنشاء استراتيجيات بعيدة عن واقع متطلبات زبائنها بل وجب ان تكون البداية والنهاية هما خلق علاقات تبادلية.

التسويق بالعلاقات : التسويق بالعلاقات لم يأت بالصدفة؛ بل كان نتيجة للتطورات المتلاحقة في المفاهيم التسويقية نظرا لتأثير المستجدات الحاصلة في البيئة[3] ولأن العلاقات تعتبر مصدر حيوي وحقيقي للميزة التنافسية، فهي تجعل الزبائن يشعرون أنهم شركاء للمنظمة كما أن العلاقة تنظر إلى الاتصالات بالزبون كفرص وليس فقط كعملية بيعية أو ترويجية، وفي بعض الحالات قد تكون أبعد من ذلك فهي تهدف إلى بناء علاقات مع الزبائن المستهدفين لفهم حاجاتهم الحقيقية والعمل بصفة مشتركة مع جميع الأفراد في المنظمة لتسليم القيمة للزبون [4] ونشوء الثقة بين الأفراد مما ينجر عنه تخفيض في تكاليف الصفقات وبالتالي إضفاء قيمة إذن بإمكان المنظمات تحقيق ميزة تنافسية من خلال إقامة علاقات خاصة مع الأطراف المتعامل معها.[5].فيعد التسويق بالعلاقات بمثابة أداة تمتلكها المؤسسة في مواجهة التحديات حيث تبرز أهميته في حالات كتقهقر المبيعات ،و النمو البطيء للمؤسسة ، وتغير سلوكات الزبائن .[6] فتقوم المؤسسة بتحويل نظرها إلى الخارج نحو احتياجات المستهلكين وتوقعاتهم عوضا من التركيز على الداخل ، أي أن المؤسسة تنطلق من الزبائن الحاليين والمحتملين ومن احتياجاتهم ورغباتهم لتضع بعد ذلك جملة من المنتجات والبرامج لخدمتها وإشباعها .[7]

إن التغيير في الأساس من دواعي الاستمرارية والنمو للمؤسسة بتفاعل كل أطرافها وعناصرها ويأتي طابع الديناميكية وحتمية التغيير كفرض رئيسي يحكم استمرارية المؤسسة في مزاولتها لنشاطها وقد يكون منتجا وبناء فيما إذا تم بطرقه وفي وقته المناسبين ومعوقا هداما إذا تم عكس ذلك.

التغيير : ان التغيير بالمؤسسة يعبر عن سيرورة الرفع من كفاءة المؤسسة عن طريق إدماج رغبات الأفراد العاملين في النمو والتطور بشكل نسقي مع الأهداف العامة للمؤسسة وهذه الجهود في للتغيير تربط في الأساس بمهمة المؤسسة.[8] يمكن التأكيد على ان التغيير هو جزء من حقل سلوك المؤسسة فتحت جملة الأهداف التي تسعى المؤسسة من وراء التغيير الى بلوغها، توجد غايتان ذات أهمية بالغة يجب مراعاتهما، أولهما هو السعي الى تركيز الجهود على خلق القدرة لدى المؤسسة على التكيف مع محيطها. والثاني هو أن التغيير في حالات عدة يجب أن يحيط بأنماط سلوك العاملين،

1.J Mauriac et c lacour**, les mots clé de la gestion**, éditions technic plus, France, 1991, pp 120,121

2 .mokhtar lakhel**, dictionnaire d'économie contemporaine et des principeaux faits politiques et sociaux** ,2 eme édition, éditions vuibert, France, 2001, p429

3 Jean-claude Boisdevésy**, Marketing Relationnel**, 3eme tirage, les éditions d'organisation, Paris, 1998, p.103.

4 Peter Cheverton**, Key Marketing Skills**, 2nd Edition,Derby,London, 2004, p 199

5 Philip Wickham, **Strategic Entrepreneurship**, 2nd edition, prentice –hall, Cornwell, Great Britain, 2001,pp.254-270.

6.Lilengary ,**l'analyse des décisions marketing** , édition économica , France ,1987 , p 2

7.المنتدى الوطني الثاني للمؤسسات . تسيير التغيير في المؤسسات من 31 نوفمبر إلى 1 ديسمبر 2004 جامعة باجي مختار عنابة كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير , قسم علوم التسيير ، شريف حمزاوي ، **المتطلبات التنظيمية لإدماج التوجه التسويقي في المؤسسات الاقتصادية**،ص 3

8 Burke,W.Warren And Shmidt, H. Warren. **Management And Organizational Development, Personnel Administration**, 1971. P.45-51

المسيرين منهم وغير المسيرين، وهذا بهدف تهيئتهم وتطوير كفاءاتهم بما تقتضيه متطلبات المحيط الجديد. ومن ثم الرفع في مستوى الأداء بالمؤسسة.[1]

1) تفاعلات نشاطات التسويق بالعلاقات مع قوى التغيير

التغيير عبارة عن تفاعلات ظاهرة أو باطنة تحدث بشكل عشوائي أو مخطط وهو مرتبط بقوى التغيير الخارجية سياسية أو إيديولوجية ، اقتصادية ، تكنولوجية ، اجتماعية ثقافية ، أو القوى الداخلية متمثلة في الفاعلين داخل المؤسسة كرغبة المسيرين أو العاملين في الحفاظ على المؤسسة وضمان بقائها في بيئة تتغير وتتطور بشكل مستمر. تظهر قوى التغيير في العوامل المختلفة التي تؤثر على بيئة المؤسسة واستراتيجياتها حيث أن هنالك علاقات وطيدة بين المؤسسة وبيئتها. ويتجلى ذلك من خلال الاستراتيجيات المختلفة التي تتبعها المؤسسة للتعامل معها ، وهي كلها أمثلة عن إعادة تحديد علاقات المؤسسة مع بيئتها الخارجية المتغيرة.

أ. **القوى الاجتماعية الثقافية والحضارية :** وهي من اهم القوى وأكثرها تأثيرا وتتكون من مجموعة العادات والقيم التي تسود المجتمع فهي تؤثر على تفضيلات المستهلكين ، عاداتهم الشرائية ، بالإضافة إلى توقعات العاملين واتجاهاتهم كما تؤثر على مدى قبول المجتمع لنشاط الأعمال بأسره [2]

إن لثقافة المجتمع تأثيرا كبيرا في قرارات المؤسسة وأنشطتها المختلفة فهي تحدد معايير السلوك السليم سواء للأفراد أو المؤسسات والأهم هنا هو البحث عن تلك القيم والعادات التي تؤثر في أفراد المجتمع [3] لأن للبناء الاجتماعي والفروقات في البيئة الاجتماعية أثر كبير على سلوكية المؤسسة باعتبارها الإطار العام الذي يحتضنها[4] كما تؤثر على القدرة التسويقية للمؤسسة وعلى وظائفها . فتعد العادات وسلوكيات المجموعات الإنسانية والقيم الأساسية بمثابة العنصر الجوهري للمؤسسة كمعرفة اللغة ، العادات ، التظاهرات ، الحفلات، والتقاليد كلها تكتسي أهمية كبرى، خاصة ان هذه العناصر الاجتماعية والثقافية من بين العناصر التي يستعان بها في إعداد مخططات التسويق والتي تسمح بتقسيم السوق الكلي إلى أسواق متجانسة [5] لأجل تحديد الاستراتيجيات والمنتجات الملائمة حسب كل قطاع أو حصة سوقية.[6]

ب. **القوى الديمغرافية والجغرافية :** إن للخصائص السكانية ومعدل النمو السكاني توزيع الأعمار واتجاهات التوطن الجغرافي للأفراد داخل المجتمع تأثيرا كبيرا على حجم ونوع الطلب على المنتج والخدمة لما تحدثه من تفاوت في دخول الأفراد .[7] وهي من المتغيرات التي تكون وتشكل وتنمي القيم والعادات والاتجاهات لدى أفراد المجتمع وخصائص التركيبة الاجتماعية للأفراد الدين يمثلون القطاعات التي يمكن أن تتعامل معها المؤسسات [8] السكان وزيادة القدرة الشرائية لديهم تؤدي إلى زيادة الطلب على المنتجات الخاصة ، فزيادة الأعمار تؤدي إلى توسع قطاع سوقي مرتبط بكبار السن كذلك تقلص

---

[1] Ivancevich and all .**Organization Behavior And Performance** (Santa Monica, California .Goodyear Publishing Company, 1977. P 477

[2]. علي الشريف ، **الإدارة المعاصرة** ، الدار الجامعية ، ط2، مصر ،1997،ص102

[3]. محمود سلمان العميان ، **مرجع سابق**،2005،ص ص 329 330

[4]. **نفس المرجع السابق** ،ص 231

[5] .عبد الرزاق بن حبيب ، **مرجع سابق** ، ص 40

[6]. منير نوري ، **مرجع سابق** ، ص 92

[7]. **نفس المرجع السابق** ، ص ص 205 206

[8]. مصطفى محمود أبو بكر ، **مرجع سابق**، ص 212

المواليد قد يؤدي إلى تقلص القطاع السوقي الخاص بمنتجات الأطفال على المدى القصير ومنتجات الشباب على مدى أطول.[1]

ج. **القوى السياسية والقانونية والتشريعية :** ترتبط بالجهات الحكومية والنظام القانوني الذي تعمل المؤسسة في إطاره[2] تختلف درجة القرارات والتشريعات، حسب طبيعة القطاع الاقتصادي وفلسفة النظام الحاكم وأيديولوجيته السياسية لذا تكمن صعوبة التنبؤ بهذه المتغيرات لما لها من تأثير قوي على قراراتها ،فالمؤسسة تتصرف في ضوء القوانين الصادرة عن الدولة باعتبارها أحد الضوابط العامة في المجتمع[3] .فتنظم هذه القوى الرقابة على نشاطات المؤسسات وتنظم التراخيص وهذا من خلال القوانين والتعليمات فمثلا قد تتأثر نشاطات التسويق بالتراخيص المنظمة لمجال الإعلان.[4]

د. **القوى التكنولوجية :**

تعد المتغيرات التكنولوجية عنصر فعال ومؤثر بصورة مباشرة على عمليات المؤسسة ، لذا يتوجب أن تكون يقظة في إطار الثورة الإعلامية التقنية لما للتكنولوجيا من أهمية في ظل الثورات الإلكترونية ،آلية بيوتكنولوجية ، فضائية ......إلخ [5]

و عمل المؤسسات في بيئة تتصف بدرجة عالية من التغير التكنولوجي يواجه أكثر من ضغوط في التعامل مع الفرص والتهديدات ، مقارنة مع التي تعمل في بيئة ذات خصائص تكنولوجية تقليدية أي بسيطة ومستقرة نسبيا .[6] وفي التسويق يؤثر التغير التكنولوجي على الطلب وعلى العمليات الإنتاجية كما أن التغير السريع للتكنولوجيا يعد من اخطر التهديدات التي تواجه النشاطات التسويقية .[7]

ه. القوى الاقتصادية :

تملك المتغيرات الاقتصادية تأثيرا قويا على خصائص محيط المؤسسة ، فهي تعمل على تدعيم أحد الطرفين إما الفرص أو القيود والتهديدات ،لذلك أمكن لهذه المتغيرات أن تكون دافع او حاجز أمام إنجاز أهداف المؤسسة [8] وترتبط المتغيرات الاقتصادية بالسياسية والقانونية وكذلك بالعوامل الدولية ، وتتمثل في العديد من العناصر منها :

- نمو الاقتصاد الوطني وارتفاع الأسعار ونسبة التضخم.
- نسبة البطالة ونسبة الاستثمارات .
- مستوى الأجور والقدرة الشرائية للمستهلكين .
- التجارة الخارجية وعدد المنافسين كل هذه العناصر تؤثر بصورة مباشرة على المؤسسة.[9]

و إن تعمق فلسفة التسويق بالعلاقات جعل من المستهلك أو الزبون هو المدير الرئيسي للمؤسسة تتوقف عليه تخطيط السياسات واتخاذ القرارات الحاسمة لتحقيق أهداف المؤسسة وذلك بالاعتماد على ثلاثة مبادئ هي :

أ. التوجه نحو الزبون .

---

1. عبد العزيز صالح بن حبتور ، **الإدارة الاستراتيجية – إدارة جديدة في عالم متغير** ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن ،2004،ص 123

2. علي الشريف ، **الإدارة المعاصرة** ، الدار الجامعية ، ط2 ، مصر ،1997،ص97

3. محمود سلمان العميان ، **السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال** ، ط 3 ،دار وائل للنشر ،2005،ص 233

4. عبد العزيز صالح بن حبتور، **مرجع سابق** ، ص 173

5. عبد الرزاق بن حبيب , **اقتصاد وتسيير المؤسسة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط3 ، الجزائر ، 2006، ص ص 41 42

6. مصطفى محمود أبو بكر , **التفكير الاستراتيجي والإدارة الاستراتيجية** ، ص 211

7. عبد العزيز صالح بن حبتور، **مرجع سابق** ،ص 172-173

8. مصطفى محمود أبو بكر , **مرجع سابق** ،ص ص 204 205

9. عبد الرزاق بن حبيب ، **مرجع سابق** ، ص 38

ب. التكامل التنظيمي .

ج. المنافع المتبادلة بين الزبون والمؤسسة .[1]

أ. **التوجه نحو الزبون :**

إن المؤسسة المتجهة نحو الزبون لا تحاول بيع ما تصنع لكن تسعى إلى فهم ما يريده الزبون والإحاطة بحاجاته الإنسانية المستقرة فهي تبدل جهود ضخمة من أجل إنتاج هذه المعلومات وذلك يتخطى مجرد القيام باستطلاعات الرأي وليس بالضرورة ان يكون من مصادر رسمية ، بل قد يكون نتاج تراكم الاحتكاك اليومي والعمل مع الزبائن وسماعهم وحتى ملاحظتهم .[2] فإدارة العلاقة الزبون هي عبارة عن مجموعة من الوسائل التنظيمية والتقنية والبشرية لإدارة علاقة من نوع جديد مع الزبون هدفها الأساسي ربط علاقة خاصة وشخصية مع كل زبون[3].

يرى بيبررس وروجرر أن تسيير العلاقة مع الزبائن تطبيق لمفهوم التسويق بالعلاقات، بهدف إشباع حاجات كل زبون بصفة فردية، من خلال الارتكاز على ما يقوله الزبون وما تعرفه المؤسسة عنه.[4]

إن المؤسسة لا يمكن أن تلبي كل الحاجات والمطالب في عرض واحد ، لذلك تعتمد في التسويق إلى تجزئة أو تقسيم السوق إلى أقسام تتجانس من حيث مطالب ورغبات الزبائن وتقديم ما لا يلائم كل مجموعة من عروض وبرامج تسويقية. [5] لذا تسعى إلى كسب الزبون من خلال تقديم عروض ذات قيمة متميزة قد تتجلى في السعر المنخفض(مقارنة مع المنافسين) أو تقديم منافع تعويضية من الأسعار المرتفعة.[6]

لذلك كان التركيز على المستهلك من أهم مبادئ إدارة الجودة الشاملة بداية بالاهتمام بمراحل التعرف على حاجاته ورغباته، ثم ترجمتها في عمليات تصميم المنتج إلى خدمات ما بعد البيع .[7] خاصة ان نظام تقديم الخدمة يمتاز بتفاعل عال مع الزبون الذي يكون حاضرا مع هذا النظام ومع مقدمي الخدمة طوال أو معظم زمن إنتاجها أو تقديمها ، بالتالي يستطيع التأثير على مستوى جودتها طالما هو أحد مدخلاتها .[8]

ب. **التكامل التنظيمي :**

يقصد بالتكامل التنظيمي أن المؤسسة بأكملها تؤمن بفكرة خدمة الزبون وحل مشكلاته ، هذا يبرز من خلال أن نصف المؤسسات اليابانية لا تنشأ قسم خاص للتسويق لاعتقادهم أن كل من يعمل بالمؤسسة يعمل بالتسويق .[9] فوجب تطوير آليات للتنسيق بين مختلف الأقسام ذات التأثير على الزبون ،بالإضافة إلى التنسيق داخل قسم التسويق نفسه أي بين عناصر المزيج التسويقي لبناء علاقات تبادلية متينة مع الزبائن [10]

و إن النظر إلى المنظمة كمركب متفاعل الأجزاء يعمل لتحقيق هدف محدد يدل على أنها تتكون من مجموعة من العناصر تترابط وتتفاعل فيما بينها. كذلك هي عناصر المزيج التسويقي مكملة لبعضها البعض، فلا يعتبر متوازنا إذا ركزت الاهتمام على واحدة وأهملت العناصر الأخرى، كما يجب أن تلائم أذواق الزبائن باعتبارها قوى المحيط الخارجية .

---

[1].Philip kotler, **Marketing Management**, Prentice Hallm 7th edition, 1991,p 14

[2]. شريف حمزاوي ، **مرجع سابق**،ص ص 3، 4

[3] – ouvrage collectif **, e-economie scénarios pour la net économie**,édition d'organisation, 2000, p 27

[4] Peppers, D., Rogers,M. and Dorf, B. **The One to One, Fieldbook Currency Doubleday**, New York, (1999).P23

[5].توماس بيترز وروبرت وترمان، **البحث عن الإمتياز**، ترجمة السيد المتولي. مكتبة جرير. القاهرة 1999 ، ص 363

[6]. شريف حمزاوي ، **مرجع سابق**،ص 4

[7]. قاسم نايف علوان ،**إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات الإيزو 9001_2000** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ،2005، ص 94

[8]. قاسم نايف علوان، **مرجع السابق**، ص 121

[9]. هاربيكويذ، **بيع اللامرئي**، ترجمةمكتبة جرير وورنربوكس،ط1،القاهرة، 2000،ص 52

[10]. شريف حمزاوي **مرجع سابق** ،ص 5

ج. **المنافع المتبادلـة بين الزبـون والمؤسـسـة :**

يدل هذا العنصر أن أي هدف للمؤسسة يكون كنتيجة حتمية لمراعاة إحتياجات الزبائن،لذا يعتبر رضا الزبون هو نوعية العرض والربح .[1] وهذا ما يلاحظ من خلال تحول المؤسسات إلى البحث عن الربح من خلال إقامة علاقات طويلة مع الزبائن والعمل على الاحتفاظ بهم. عوضا عن الاهتمام بجلب آخرين جدد ، الذي قد يكلف خمس مرات أكثر من تلبية متطلبات زبائن موجودين . وعادة العلاقة الدائمة بحاجة إلى جهود مخططة ومشتركة ، ما يكون نوعا من التحالف الاستراتيجي بين المؤسسة والزبون يظهر في صورة العلاقة التفاعلية بينهما ، وتعمل على خلق نوع من الثقة المتبادلة، وتكوين نوع من التحالف الاستراتيجي بينهم.[2]

و على هذا الأساس فإن التسويق بالعلاقات دخل عالم البنوك بهدف تنمية صورة البنك من خلال دوره باعتباره ضروري للتقرب من الزبائن ، خاصة وأن الزبائن غير متجانسين في خصائصهم

صعب إرضائهم [3]. لذا نجد أن معظم المنظمات المالية تبنت هذا المدخل الجديد، وخاصة بفعل التحولات المهمة التي حدثت في المحيط الذي فرض على البنوك إعادة النظر في استراتيجياتها التسويقية والتركيز على العلاقات طويلة الأجل، كذلك باعتباره يسمح بخلق روابط اجتماعية بين المنظمة والزبون، الأمر الذي يؤدي إلى حصول توازن في الفوائد والأرباح، لذا وجب على البنوك أن تنتهج رؤية وثقافة موجهة بالزبون و تهيئة جو من الثقة وإيجاد ميكانيزمات توفر المعرفة الجيدة للزبون، هذا التحول في رؤية المؤسسات يتطلب ضرورة التركيز على كل زبون بدلا من التركيز على الصفقات.[4] فمقابل هذه التحولات وجب ،على البنوك أن ترقى لتصبح مبدعة؛ مبتكرة وتفاعلية وذات ردة فعل سريعة، وكذلك تحسن استعمال الإمكانيات الجديدة للمعلومات والاتصالات للتقرب من كل زبون والوصول إلى أعماقه و كسب رضاه والاستجابة لتوقعاته بطريقة تعظم من القيمة المسلمة له وذلك من خلال [5]:

- **المعلومات :**فهي تلعب دور أساسي في التسويق، إذ تعتبر مصدر للتطور من خلالها تتمكن المنظمة من خلق وابتكار منتجات كما تسمح بتحقيق التشخيص والفردية في تلبية توقعات الزبائن

مما يؤدي إلى تحقيق رضاهم، فهي إذن مصدر أساسي وجوهري لتحقيق الميزة التنافسية.

- **اللوجستية (التوزيع) :**تساعد التكنولوجيا على الوصول في أقصر وقت ممكن وبأقل جهد للزبائن، أي أن البنك يتقرب إلى الزبون عن طريق تسخير الوسائل التكنولوجية من أجل المحافظة على حصته السوقية
- **الموارد البشرية:** وهي مصدر ثروة بالنسبة للمنظمة، إذ يجب الأخذ بعين الاعتبار الكفاءة

الحالية والمستقبلية للموظفين باعتبارهم عامل مفتاحي في تحقيق النجاح3 .

ثانيا: ممارسات التسويق بالعلاقات ومعوقات تبنها في المؤسسة الجزائرية (دراسة حالة بنك التوفير والاحتياط):

---

[1].Buzzel and gale ,**the PIMS principles : linking stragtégie to performance** ,the freepress,1987

[2]. محمد فريد الصحن ،إسماعيل السيد وآخرون ،التسويق ، الدار الجامعية ، مصر، ص221

[3] Lalali Rachid,. **marketing et problematique de gouvernance de la qualité des services dans les entreprises bancaires**.colloque international sur l'administration de la qualité dans le secteur des services, Constantine, 10-11 Mai, 2011, p . 2.

[4] Soumaya Ben Letaifa & all., **Exploration de l'implantation d'une approche relationnel dans le secteur bancaire : diagnostic et évaluation des stratégies mises en place** ", 3eme colloque international organisé par L'ATM , Hammamet, Tunisie , 1er & 2eme Avril 2015 , pp.4-5.

[5] . Michel Badoc & all., **e. marketing de banque et de l'assurance**, 2eme édition, édition d'organisation, paris,2000, p.76-75

لم تحظ استراتيجيات التسويق عامة في الجزائر باهتمام سواء من طرف أصحاب القرار أو الباحثين على الرغم من المجهودات التي بذلت للنهوض بالمنظمات الاقتصادية الجزائرية والرفع من مستوى أدائها ان غياب الاهتمام بالتسويق بالمؤسسات الاقتصادية في الجزائر مرده الى ندرة الكفاءات التسييرية وغياب المؤسسات ذات الكفاءة العالية في استخدامه ، مما جعل أنشطتها لا تلبي دوما المتطلبات الضرورية وخلق نوعا من الاختلال والى بروز السوق الموازية التي يغلب فيها ويسود المنتوج الاجنبي وعلى نطاق واسع جعل المستهلك المحلي يقبل عليه ويفضله عن غيره من المنتجات الأخرى المحلية. وذلك نابع من الأنماط التسييرية العقيمة التي تعرف أن التسويق نشاط رأسمالي يوظف في احتواء الأسواق والسيطرة عليها، وهو لا يعد سوى تبذيرا اجتماعيا لا أكثر[1]. وهو ما تمخض مقاومة التغيير فيها من طرف المسيرين بالدرجة الأولى وتفضيلهم للأساليب القديمة السهلة والمتعود عليها عوض اللجوء إلى التسويق .

عرفت المنظمة البنكية كغيرها من منظمات الخدمات تأخرا في استعمال التسويق كأداة تسييرية بسبب طبيعة وخصوصية خدماتها، إن قطاع الخدمات البنكية ذو كثافة رأسمالية عالية، الأمر الذي يزيد من كلفة الإنتاج ويؤثر في سعر الخدمات، وفي الواقع أن الخدمة الشخصية مقابل مهمة في الخدمات البنكية ،على الرغم أن الخدمة الشخصية تكون عالية الكلفة إلا أنها تعتبر أساسية لتعزيز العلاقة مع الزبون .إن خصائص الخدمة فرضت على البنوك انتهاج استراتيجية علائقية لتحسين صورة البنك من وجهة نظر الزبائن، وقد مرت البنوك بالعديد من المراحل والتطورات في المفاهيم التسويقية لتصل إلى ما يعرف بالتسويق بالعلاقات وإدارة علاقات الزبون.

نتائج الدراسة الميدانية

تعتبر البنوك مؤسسات مالية ذات أهمية كبيرة في معظم الاقتصاديات، سواء كانت نامية أو متقدمة، إن المحيط الذي ينشط فيه الصندوق الوطني التوفير والاحتياط يتميز بالعديد من الفرص؛ منها الدعم المتواصل من طرف الدولة لسياسة تمويل السكن وخاصة من خلال العمل على التكفل بالفوائد المتعلقة بتخفيض نسب الفوائد على القروض الموجهة للقطاع العقاري التطور المرتبط بسوق العمل وتحسن مستوى دخول الأفراد والأسر لكن في السابق كان تمويل السكن حكرا على الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط بنك الأمر الذي جعله ينال الشهرة في هذا المجال خاصة وأن قطاع السكن في الجزائر استراتيجي وذو أهمية قصوى في تنشيط وتفعيل حركة الاقتصاد الوطني، غير أنه وبالتحرير المالي أصبح السوق العقاري في الجزائر متنوع وذلك بدخول بنوك أخرى في هذا المجال، الأمر الذي أدخل الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط في حالة من المنافسة، وفرض عليه معرفة نقاط قوته وضعفه والتعرف على الفرص التحديات نجد أن درجة الموافقة عالية، من قبل الزبائن على العبارات التي تقيس مدى رضاهم عن الخدمات المقدمة على مستوى البنك، وهذا دليل على التغييرات التي يحدثها البنك باستمرار على هياكله وكذلك البرامج التكوينية والتحسيسية إن صح التعبير والهادفة لتحسين علاقة الموظفين بالزبائن على مختلف أصنافهم حيث أن ما نسبته تفوق 99 %من الموظفين تلقوا تدريبا وشملهم برنامج التكوين والتحسيس في مجال تعاملهم مع الزبائن وأثبتت نتائج الدراسة أن الموظفين على وعي تام بأهمية الزبون ودوره في تحقيق أهداف البنك، وهم يعتبرون أن الزبون هو رأسمال البنك بالتالي العلاقات الطيبة معه ، على الرغم من ان 20 %من الموظفين أعطوا أولوية استقطاب زبائن جدد على حساب الاهتمام بالزبون الحالي وأكدت نسبة 65 %منهم أنه على المسؤولين القيام بمجهودات لإبلاغ الزبائن القدامى بالإجراءات والتعديلات الحديثة على مستوى البنك (مثلا تغيير دفاتر التوفير...إلخ) سيما ان % 91من الزبائن اكدوا أن علاقتهم بالبنك تتوقف بمجرد الحصول على الخدمة أي أنه لا توجد علاقات خارجية مع الموظفين، في حين أن ما النسبة الباقية أكدوا ان نوع العلاقة الخارجية شخصي بحكم معرفة مسبقة مع أحد الموظفين

[1] Bahamed,A. Le marketing en Algérie méconnu et méprise, **Institut des sciences économiques**, Université d'Alger, Cahier N°04.p445

.كذلك وبالرغم من الجهود المبذولة يبقى تقبل الزبائن ضعيفا للتعاملات الإلكترونية وهذا لغياب الثقافة البنكية الإلكترونية في المجتمع من ناحية الإدارة هناك محاولات جيدة لتطوير وسائل تكنولوجيا المعلومات والاتصال والتي تعتبر حاليا ضعيفة ومحدودة وهذا لما لها من اثر بالغ في تطوير الخدمة البنكية

الخاتمة : أمام كل ما سبق، فالمؤسسة الاقتصادية الجزائرية اليوم مطالبة بتوجيه أنشطتها من خلال عيون الزبائن من خلال تبني التسويق بالعلاقات وإعطائه الدور الحاسم في أعماله وذلك كمرحلة أولية .فالتوجه نحو السوق يعني التكيف مع حاجات الزبائن ورغباتهم. والتسويق هو الأداة الوحيدة التي من خلالها يمكن للمؤسسات تكييف نشاطها في ظل هذا التوجه، كما يمكن للمؤسسة من خلاله مواجهة التحديات التي تعترضها ان المؤسسة الاقتصادية الجزائرية ملزمة على تبني التسويق وإدراجه كوظيفة رائدة في هيكلها التنظيمي مدعومة بوظيفة البحث والتطوير لمواكبة تطورات سلوكات المستهلكين وتصميم المنتجات التي تسد حاجاتهم وتلبي رغباتهم. سينجر عنه لا محال تغير في نمط التسيير القديم ومن ثم مواكبة تغيرات المحيط ومستجداته على ان تقوم بتجاوز سوقها القديمة وفتح أسواق لها جديدة من خلال العمل على كسب الزبائن غير الدائمين وان تعمد الى تعويض فوارق الخسائر اذا لحقتها من سوق زبائنها الدائمين الى أن يستقر لها الأمر وتجد مكانة لها.

المراجع :

المراجع باللغة العربية

- توماس بيترز وروبرت وترمان، البحث عن الامتياز، ترجمة السيد المتولي. مكتبة جرير. القاهرة 1999
- صبحي جبر العتيبي ،تطور الفكر والأساليب في الإدارة،ط1 ،دار حامد للنشر والتوزيع،الأردن ،2005
- عبد الرزاق بن حبيب , اقتصاد وتسيير المؤسسة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط3 ، الجزائر ، 2006
- عبد العزيز صالح بن حبتور ، الإدارة الاستراتيجية – إدارة جديدة في عالم متغير ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الأردن ،2004
- علي الشريف ، الإدارة المعاصرة ، الدار الجامعية ، ط2 ، مصر ،1997
- قاسم نايف علوان ،إدارة الجودة الشاملة ومتطلبات الإيزو 9001_2000 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن ،2005
- محمد فريد الصحن ،إسماعيل السيد وآخرون ،التسويق ، الدار الجامعية ، مصر
- محمود سلمان العميان ، السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال ، ط 3 ،دار وائل للنشر ،2005
- مصطفى محمود أبو بكر , التفكير الاستراتيجي والإدارة الاستراتيجية ،
- المنتدى الوطني االثاني للمؤسسات . تسيير التغيير في المؤسسات من 31 نوفمبر إلى 1 ديسمبر 2004 جامعة باجي مختار عنابة كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير, قسم علوم التسيير ، شريف حمزاوي ، المتطلبات التنظيمية لإدماج التوجه التسويقي في المؤسسات الإقتصادية
- هاريبيكويد، بيع اللامرئي، ترجمة مكتبة جرير وورنربوكس،ط1،القاهرة، 2000،

المراجع باللغات الأجنبية

- Bahamed,A. Le marketing en Algérie méconnu et méprise, Institut des sciences économiques, Université d'Alger, Cahier N°04.
- Burke,W.Warren And Shmidt, H. Warren. Management And Organizational Development, Personnel Administration, 1971.
- Buzzel and gale ,the PIMS principles : linking stragtégie to performance ,the freepress,1987
- Ivancevich and other .Organization Behavior And Performance SantaMonica,California.Goodyear Publishing Company, 1977.
- J Mauriac et c lacour, les mots clé de la gestion, éditions technic plus, France, 1991
- Jean-claude Boisdevésy, Marketing Relationnel, 3eme tirage, les éditions d'organisation, Paris, 1998.

- Lalali Rachid,. marketing et problematique de gouvernance de la qualité des services dans les entreprises bancaires.colloque international sur l'administration de la qualité dans le secteur des services, Constantine, 10-11 Mai, 2011.
- Lilengary ,l'analyse des décisions marketing , édition économica , France ,1987
- Michel Badoc & all., e. marketing de banque et de l'assurance, 2eme édition, édition d'organisation, paris,2000
- mokhtar lakhel, dictionnaire d'économie contemporaine et des principeaux faits politiques et sociaux ,2 eme édition, éditions vuibert, France, 2001
- ouvrage collectif , e-economie scénarios pour la net économie,édition d'organisation, 2000.
- Peppers, D., Rogers,M. and Dorf, B. The One to One, Fieldbook Currency Doubleday, New York, 1999
- Peter Cheverton, Key Marketing Skills, 2nd Edition,Derby,London, 2004
- Philip kotler, Marketing Management, Prentice Hallm 7th edition, 1991
- Philip Wickham, Strategic Entrepreneurship, 2nd edition, prentice –hall, Cornwell, Great Britain, 2001
- Soumaya Ben Letaifa & all., Exploration de l'implantation d'une approche relationnel dans le secteur bancaire : diagnostic et évaluation des stratégies mises en place ", 3eme colloque international organisé par L'ATM , Hammamet, Tunisie , 1er & 2eme Avril 2015.

الإعلام السياحي ودوره في تنمية السياحة بالجزائر
- جريدة السياحي الجزائرية نموذجا-

أ. إيمان عبادي -أ. حياة ابراهيمي
كلية علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر3

ملخص: جاءت هذه الدراسة للكشف عن واقع الإعلام السياحي المكتوب في الجزائر من خلال دراسة جريدة **"السياحي"** الجزائرية ودورها في تنشيط وتحقيق التنمية السياحية في الجزائر من خلال تحليل مجموعة من المقالات التي نشرتها الجريدة.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى أن **جريدة السياحي** تعد منبرا إعلاميا ساهم في الترويج للسياحة الوطنية، وذلك من خلال تغطية الملتقيات والمهرجانات التي تعنى بالسياحة في الجزائر ومن خلال ربورتاجات حول معالم سياحية تزخر بها الجزائر.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإعلام، السياحة، الإعلام السياحي.

Abstract : This study aims to revealing the reality of written tourism media in Algeria through studying the «Algerian Tourism newspaper » and its role in achieving tourism development in Algeria through analyzing a number of articles published by the newspaper.

This study concluded that the Algerian Tourism newspaper » is an information platform that contributed to the promotion of national tourism through the coverage of forums and festivals which talks about tourism in Algeria and through the reports about touristical monuments in Algeria.

Keywords: Media, Tourism, Tourism Media.

مقدمة: تعتبر السياحة قطبا اقتصاديا واجتماعيا هاما، وتلعب دورا بارزا في تطور وتقدم البلدان التي تركز عليها كمصدر أساسي للدخل الوطني، فقد مكنت العديد من الدول من تحقيق دخل سنوي كبير على شاكلة الولايات المتحدة الأمريكية، إسبانيا، إيطاليا واليونان وغيرها من الدول.

إن الدخل السياحي له شأن كبير في اقتصاديات الدول السياحية، فهو يعزز ميزان المدفوعات ويعتبر مصدرا كبيرا لتوفير فرص العمل للمواطنين مما يدعم مستواهم المعيشي والاجتماعي، وتعد السياحة أحد العناصر الأساسية للنشاط الاقتصادي في الدول السياحية والتي اهتمت بها المنظمات العالمية كالبنك الدولي ومنظمة اليونسكو التي أصبحت تنظر إلى السياحة كعامل أساسي ومهم للتقريب بين الثقافات، وتعد الجزائر من الدول التي تتمتع بمزايا ومقومات سياحية متعددة من سواحل وأنهار ومرتفعات ما جعلت منها بلدا سياحيا ووجهة رائدة لاستقطاب السياح، هذه الميزات السياحية التي تتمتع بها الجزائر تحتاج إلى تنشيطها والترويج لها، ولعل الإعلام بأشكالها المتعددة المكتوب، المسموع والمرئي يعد عاملا أساسيا في تنشيط السياحة وتنميتها من خلال إعطاء الصورة المشرفة عن الجزائر والتعريف بها، والمساهمة في تحسين الدخل الوطني خاصة بعد تراجع المداخيل الخاصة بقطاع المحروقات.

خصصت وسائل الإعلام الجزائرية حيزا ولو كان بسيطا بالتعريف بالمقومات الطبيعية للجزائر باختلاف مناطقها من خلال تقارير وربورتاجات، إن الحديث عن الإعلام السياحي يحيلنا إلى صعوبة تجسيده على أرض الواقع، فلم تعرف الساحة الإعلامية ظهور قنوات خاصة بالسياحة ولا حتى جرائد مختصة، إلا بعض البرامج والأركان التي حاولت بعث الإعلام السياحي وإعطاء سبل جديدة لترقية السياحة في الجزائر، ومن بين هذه الوسائل نجد جريدة السياحي التي تعد منبرا سنقل مختلف المواضيع السياحية كمساهمة في التنمية وانطلاقا مما سبق اتجهنا لطرح الإشكالية التالية: **ما هو الدور الذي لعبته جريدة السياحي في تنمية السياحة بالجزائر؟**

ومن أجل أن نصل إلى تصور أكثر تكاملا عن هذه المشكلة نطرح بالإضافة إلى ذلك التساؤلات التالية:

1. ما هي أهم المواضيع التي تناولتها جريدة السياحي والتي ساهمت في إبراز المقومات السياحية للجزائر؟
2. ما هي الأنواع السياحية التي تناولتها جريدة السياحي الجزائرية؟
3. ما هي توجهات جريدة السياحي من حيث الهدف؟
4.ما هي أهم القوالب الفنية التي استعملتها جريدة السياحي الجزائرية؟

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في كونه يتناول قطاع السياحة بالجزائر، هذا الأخير يعد مصدرا من مصدر الدخل القومي للدول، وواحدا من الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاقتصاد الوطني والدولة الجزائرية، كما تعد السياحة صناعة مربحة ونظيفة ما جعلها أهم قطاع اقتصادي للدولة الجزائرية ومصدر رزق للمجتمع الجزائري.

الهدف من البحث: يسعى هذا البحث إلى التعرف على مستوى فاعلية برامج التلفزيون الجزائري في تلبية الاحتياجات السياحية وخدمة السياحة الجزائرية، إضافة إلى التعرف على مدى مواكبتها للنمو السياحي في الجزائر.

مجتمع البحث وعينته: يعرف مجتمع البحث على أنه جميع المفردات ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة، فهو جمع محدود أو غير محدود من المفردات التي تنتمي إلى الظاهرة المبحوثة[1]، و في بحثنا هذا يتمثل مجتمع البحث في المقالات التي نشرتها جريدة السياحي الجزائرية في الفترة الزمنية الممتدة من جانفي 2015 إلى غاية ماي 2016، أما عينة البحث فتمثلت في اختيار عينة قصدية تمثلت في المقالات التي تعنى بنقل صور حية عن المناظر والأماكن السياحية التي تزخر بها الجزائر على اعتبار أنها تخدم بحثنا، وذلك للتعرف على الأفكار التي طرحتها و تضمنتها و تحليلها، وتمثلت في 23 مقالا.

المقالات	تاريخ النشر
السياحة الحموية تتعزز بمركب سياحي	19 جانفي 2015
الجزائر متحف حي	07 فيفري 2015
باعتبار تلمسان	18 أفريل 2015
تغرغار بباتنة	18 أفريل 2015
الآثار الحجرية العرائس بن سرور ولاية المسيلة	18 أفريل 2015
لضاية مدية	12 ماي 2015
المركب السياحي "المنتزه" جوهرة معمارية بمستغانم	04 جوان 2015
الموقع الأثري والمعلم التاريخي القليعة بأولاد سيدي إبراهيم	04 جوان 2015
مدينة سيدي بلعباس	06 جوان 2015
رحلة لمنطقة الغيشة	07 جوان 2015
سكيكدة روسيكادا الجميلة	21 جوان 2015
السياحي في استطلاع مع القصر الملكي بالمشور	02 أوت 2015
لجدار بتيارت	05 أكتوبر 2015
حديقة النور والنسيم	07 أكتوبر 2015
الإعلام أداة مساندة للصناعة التقليدية والحرف	06 جانفي 2016
سيستثمر قريبا في مجال السياحة في الجنوب	22 مارس 2016
فعاليات أفراح البادية	04 ماي 2016
الصالون الوطني للتراث	14 ماي 2016
إجماع على دور التراث في الحياة الاقتصادية	17 ماي 2016
اختتام الصالون الوطني للتراث بتلمسان	18 ماي 2016
المنابع الحموية بولاية الجلفة	30 جويلية 2016
دار الإكرام	24 أوت 2016

[1] بن مرسلي، أحمد (2013). **الأسس العلمية لبحوث الإعلام والاتصال**، ط1، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 141.

أدرار بجنوب الجزائر	10 نوفمبر 2016

جدول رقم (1) يمثل المقالات التي نشرتها جريدة السياحي الجزائرية في الفترة الزمنية الممتدة من جانفي 2015 إلى غاية ماي 2016

تحديد مفاهيم البحث:

وسائل الإعلام:الإعلام هو نقل المعلومات والمعارف، والثقافات الفكرية والسلوكية بطريقة معينة عبر أدوات ووسائل الإعلام والنشر بقصد التأثير[1].

يقصد بوسائل الإعلام جميع التقنيات والأدوات أو الطرق التي يتم من خلالها إيصال المعلومة أو الحدث إلى الجمهور، ويطلق عليها السلطة الرابعة لعمق تأثيرها على المجتمع[2].

السياحة::تتضمن السياحة كل الأنشطة المتعلقة بتنقل الأشخاص (الأفراد) إلى أماكن غير تلك التي اعتادوا الإقامة أو العمل فيها لمدة زمنية قصيرة (لا تفوق السنة) وكذا الأنشطة التي يقومون بها خلال مكوثهم في تلك الأماكن[3].

السائح:يعرف بأنه كل شخص يقيم خارج موطنه المعتاد لفترة تزيد عن أربع وعشرين ساعة ولا تتحول هذه الإقامة إلى إقامة دائمة[4].

الإعلام السياحي:هو عبارة عن الدليل المادي للصناعة السياحية من خلال وظيفته الأساسية، وجوهرها هو التعريف بما يحتويه البلد من معالم سياحية، سواء أكانت طبيعية أم أثرية، تاريخية أم فندقية أو أي مظهر آخر أو مجال من مجالات الجذب السياحي، وذلك باستخدام كافة الوسائل الإعلامية والاتصالية المتطورة من أفلام وإعلانات قادرة على جذب السياح الأجانب ومواطني البلد، وبالتالي فالإعلام السياحي صفة لازمة ومحورية للصناعة السياحية[5].

النشاط السياحي: هو النشاط الذي يقوم به الأشخاص الذين يميلون إلى السفر وربما الإقامة في غير بيئتهم المعتادة لفترة قصيرة أو طويلة دون الإقامة الدائمة، بهدف أساسي هو التمتع بوقت فراغهم على وجه لا يمكن تحقيقه في بيئتهم المعتادة مع استعدادهم لتحمل مخاطر محددة لنشاطهم في إطار إمكاناتهم المادية أو المعنوية[6].

التنمية: هي عملية مستمرة يشارك فيها أفراد المجتمع للعمل على نقل مجتمعهم من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية عن طريق إحداث التغيرات الإيجابية في قطاعات العمل المختلفة والتي تؤدي إلى زيادة وتحسين في مستوى معيشة الأفراد[7].

التنمية السياحية: هي توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السائح ... كما تشمل جميع الجوانب المتعلقة بالأنماط المكانية للعرض والطلب السياحيين، التوزيع الجغرافي للمنتجات السياحية، التدفق والحركة السياحية، تأثيرات السياحة المختلفة[8].

---

[1] الشميمري، بن عبد الرحمان فهد (2010). **التربية الإعلامية كيف نتعامل مع الإعلام**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص 52.

[2] الشمري حاتم بديوي، جاسم رشيد ابتهال (2016). **دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد –العراق نموذجا**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 6، العدد 4، العراق، ص 273.

[3] صبطي، عبيدة (مارس 2012). **دور وسائل الإعلام والاتصال في تنمية السياحة الصحراوية في الجزائر**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، ص175.

[4] السيسي، ماهر عبد الخالق (2001). **مبادئ السياحة**، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة، ص 22.

[5] عباس تيسير بشرى (2014). **الإعلام المتخصص الحديث**، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ص 75.

[6] كافي مصطفى يوسف (2009). **صناعة السياحة والأمن السياحي، الأمن السياحي، الجرائم السياحية، الإرهاب، العولمة**، ط1، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص 296.

[7] أبو النصر مدحت محمد، ياسين مدحت محمد (2017). **التنمية المستدامة، مفهومها-أبعادها- مؤشراتها**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة، ص67.

[8] رفقي الرحبي سمر (2014). **الإدارة السياحية الحديثة**،ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ص 113.

المحور الأول: دور الإعلام في التنمية السياحية

1.1. أهمية السياحة

تحتل السياحة مكانة متميزة في السياسات التنموية للدول وتبرز أهميتها في ما يلي[1]:

1. الأهمية الاقتصادية: تعتبر أحد الأنشطة التي يتولد عنها دخول لمختلف عناصر الإنتاج العاملة في مجالات السياحة، وقد نمت الإيرادات الدولية بمعدل سنوي بلغ09% في المتوسط خلال السنوات1988-1997، كما تساهم بنسبة 1.5%من الإنتاج الإجمالي العالمي، إذ توفر200مليون منصب شغل، كما تؤدي إلى انتعاش الاستثمار في البنيات الأساسية مثل تشييد المباني والطرق والسكك الحديدية...الخ. فضلا على أنها تساهم في جذب رؤوس الأموال من خلال العملة الصعبة.

2. الأهمية الاجتماعية: وتكمن في:

- زيادة الوعي الثقافي والاجتماعي بمختلف عادات وشعوب الطرف الآخر(السياح) وزيادة اهتمام الشعوب المضيفة بعادات وقيم أجدادها.

- توفر فرص عمل في المجال السياحي وتحسين نمط حياة الأفراد، ورفع مستوى الشعور بالانتماء الوطني من خلال التبادل الثقافي والحضاري.

3. الأهمية السياسية:

تعمل السياحة على تحسين العلاقات بين الدول وتحقيق الحوار والتفاهم ونشر مبادئ السلام، كما أن إيجابيتها على القطاعين الاقتصادي والاجتماعي تساهم في حل العديد من المشكلات السياسية.

4. الأهمية البيئية: تعمل على زيادة الوعي المتزايد بأهمية البيئة وضرورة حمايتها خاصة بعد النتائج السلبية لممارسات الأفراد والشركات والمصانع.

5. الأهمية الثقافية:

تعد السياحة أداة للاتصال الفكري وتبادل الثقافة والعادات والتقاليد بين الشعوب، وأداة لإيجاد مناخ يروج للتفاهم والتسامح بينهم، كما تعتبر أداة للتبادل المعرفي وانتشار الثقافات وتوطيد العلاقات.

2.1. أنواع السياحة:

تختلف أنواع السياحة باختلاف الأهداف والدوافع فنجد من أنواعها ما يلي[2]:

1. حسب طبيعة الأشخاص المسافرين: وذلك أن تكون فردية كسفر شخص أو اثنين أو عائلة، أو أن تكون جماعية كسفر مجموعة من الأشخاص وتسمى بالسياحة الشاملة، وهي تسمية تميز حركة السياحة الدولية في الدول المتقدمة(الرحلات البحرية...).

2. طبقا لوسائل المواصلات: وتشمل السياحة البحرية، البرية، والجوية.

3. حسب السن: فنجد **سياحة الطلائع** وهي الرحلات التعليمية المخصصة للأطفال بين 9-14 سنة، وتكون على شخص مخيمات صيفية تعليمية، تثقيفية ولاستكشاف الطبيعة، وهناك **سياحة الشباب** بين 15 و21 سنة تسعى لتكوين المعارف والصداقات وخلق الروابط الاجتماعية، بالإضافة إلى **سياحة الناضجين** بين 35 -55 سنة تهدف للاسترخاء عن طريق

---

[1] عوينان، عبد القادر (2012-2013). **السياحة في الجزائر،الإمكانيات والمعوقات-2000.2025- في ظل إستراتيجية السياحة الجديدة للمخطط التوجيهي للهيئة السياحية sdat2025**، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة الجزائر 3، ص25.

[2] وزاني، محمد (2010-2011). **السياحة المستدامة واقعها وتحدياتها بالنسبة للجزائر-دراسة القطاع السياحي لولاية سعيدة-حمام ربي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير تخصص تسويق الخدمات، جامعة أبي بكر بلقايد، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، تلمسان-الجزائر.

برنامج سياحي خاص بالصحراء والجبال، فيما تعتبر **سياحة كبار السن** أكثر الأنواع انتعاشا وتمتاز بارتفاع أسعارها وتقديمها لأفضل الخدمات.

4. وفقا لدوافع السفر: فهنا نجد **الترفيهية** من خلال تغيير مقر الإقامة بهدف الصيد الغوص زيارة المناطق الجبلية بهدف الترفيه وتعتبر الأكثر انتشارا بنسبة 75%، أما **الثقافية** فتسعى إلى إشباع الرغبات المعرفية وتوسيع المعلومات الحضارية والتاريخية للسائح، فهي تمثل 10% من النشاط السياحي العالمي الأمر الذي يتطلب وضع إستراتيجية سياحية خاصة.

كما تعتبر **السياحة العلاجية** نوعا أخر يستقطب السياح ويكون الهدف العلاجي الأول فقد عرفها الاتحاد العالمي للسياحة بأنها: تقديم الخدمات الصحية باستخدام المصادر الطبيعية للبلد، وبشكل خاص المياه المعدنية والمناخ. فهي تعني بالضرورة المناطق التي تتوفر بها مياه معدنية سواء للعلاج أو الاستجمام بالإضافة إلى مياه البحر وكذا الطمي والدفن في الرمال والكهوف. بالإضافة إلى **السياحة الدينية** كزيارة الأماكن المقدسة لتأدية بعض الواجبات الدينية كزيارة مكة المكرمة لدى المسلمين.

ونجد أيضا المؤتمرات التي تستقطب عدد هائل من السياح المهتمين بحضور الندوات والمؤتمرات العلمية، السياسية ...الخ. وكذا **السياحة الاقتصادية أو سياحة الأعمال** التي تمثل نشاط رجال الأعمال لإتمام الصفقات التجارية، وتمثل 20% من حركة السياحة الدولية بالإضافة **سياحة المشتريات** النوع الأكثر انتشارا وهذا أن يكون البلد قبلة لتسويق السلع الرائجة وبأسعار منخفضة.

3.1. عناصر التنمية السياحية:

تتكون عناصر التنمية السياحية من العناصر التالية[1] :

1. عناصر الجذب السياحي: وتشمل العناصر الطبيعية مثل أشكال السطح والمناخ والحياة والغابات، وعناصر من صنع الإنسان كالمتنزهات والمتاحف والمواقع الأثرية التاريخية.

2. النقل: بأنواعه المختلفة البري، البحري والجوي.

3.أماكن النوم: سواء التجاري منها كالفنادق وأماكن النوم الخاص، مثل بيوت الضيافة وشقق الإيجار.

4. التسهيلات المساندة: بجميع أنواعها، كالإعلان السياحي والإدارة السياحية والأشغال اليدوية والبنوك.

5. خدمات البنية التحتية: كالمياه والكهرباء والاتصالات.

4.1. مقومات السياحة في الجزائر: تمتلك الجزائر ثروة حضارية وثقافية وتاريخية وطبيعية هامة وهي تشتمل على العديد من المواقع السياحية ذات القيمة العالمية العالية والأبعاد الجمالية، بالإضافة إلى موقعها الجيو إستراتيجي ومناخها المتميز وهذا ما يرشحها بأن تكون من البلدان الرائدة في ميدان السياحة[2].

تتوفر الجزائر على شريط ساحلي يمتد على طول 1200 كم من السواحل، كما تتميز بمناخ معتدل، ومن أهم شواطئها: شواطئ وهران، شواطئ الجزائر، شواطئ عنابة، شواطئ جيجل، شواطئ سكيكدة، القالة وبني صاف. وتتربع على أربعة أنواع من التضاريس المتباينة التي تتابع من الشمال إلى الجنوب، ففي الشمال تمتد سهول التل الجزائري، مثل سهول متيجة، وهران وعنابة، ويأتي بعدها حزام جبلي منها جبال "شيليا" بالأوراس بالشرق وقمة لالا خديجة بمنطقة القبائل الكبرى[3].

[1] رفقي الرحبي سمر، **مرجع سبق ذكره**، ص 114.

[2] صبطي عبيدة، **مرجع سبق ذكره**، ص177.

[3] مناجلية الهذبة (26 مارس 2017). **الإمكانيات والمقومات السياحية في الجزائر**، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 26، جامعة الجلفة بالتنسيق مع مركز ابن خلدون للدراسات بالأردن.

كما تزخر الجزائر بمواقع تاريخية وحضرية من بينها "موقع الطاسيلي" الذي يعد من أهم وأروع الأماكن والمواقع العالمية من حيث جيولوجيته الكبيرة التي تحملنا إلى فترة ما قبل التاريخ، رسومه ومنحوتاته الحجرية تسمح بمتابعة دقيقة لتغيرات الجو والحياة الإنسانية والحيوانية بالصحراء منذ سنة 6000 قبل الميلاد إلى غاية القرون الميلاد الأولى، وهو كنز حضاري وإنساني وجيولوجي بفضل غاباته الحجرية، و لا يمكن التفريط فيه.

إضافة إلى قصبة الجزائر العاصمة التي تعتبر واحدة من أجمل المعالم الحجرية المتوسطية، وتمثل هذه القصبة نوعا فريدا من المدن الإسلامية التي تختلط فيها جمالية الذكرى بشموخ التاريخ حيث تتوفر على مساجد قديمة، وقصور عثمانية مصممة تصميما محكما يراعي كل الشروط ومتطلبات الحياة الجماعية[1]، وثمة "وادي ميزاب" الذي صنف في قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو سنة 1982 الذي يضم خمسة قصور تاريخية مع واحاتها الممتدة على طول مجرى الوادي، إضافة إلى العديد من القصور المندثرة التي لم يبقى منها إلا بعض الأطلال، وكم هائل من المعالم التاريخية المنتشرة القصور والواحات وما حولها[2].

كما تزخر الجزائر بالعديد من المنابع الحموية تتمثل في 17 محطات للمياه المعدنية المهيأة و 136 منبعا ذو أهمية محلية، بالإضافة إلى 55 مصدر ذو أهمية جهوية و5 منابع ذات أهمية وطنية[3].

يعد تطور السياح المتدفقين من بين أهم المؤشرات الدالة على تطور السياحة وازدهارها في أي بلد، وفي الجزائر فإن هذا المؤشر تطور بشكل ايجابي، حيث تزايد عدد السياح المتدفقين إليها بغض النظر عن طبيعتهم، إذ يمكن الفصل بين السياح على النحو التالي:

- السياح الأجانب.
- السياح الجزائريون المقيمون في الخارج[4].

تزايد عدد السياح الوافدين إلى الجزائر خلال الفترة (2000-2013) حيث تضاعف عدد السياح بنحو 3 مرات من سنة 2000 أين بلغ 86600 سائح إلى سنة 2013 أين وصل العدد إلى 2733000 سائح، وترجع أسباب هذه الزيادة إلى:

- عودة الأمن واسترجاع الجزائر لصورتها السياحية التي كانت غائبة لعشرية من الزمن.
- الأوضاع السياسية التي تعيشها بعض الدول العربية مثل تونس ومصر، مما دفع السياح لاختيار الجزائر كوجهة بديلة، أما سنة 2014 فقد بلغ عدد السياح 2301000 سائحا مسجلا تراجعا ب 15.8% عن سنة 2013، وترجع أسباب التراجع إلى تدهور الأوضاع الأمنية في منطقة الساحل مما دفع السياح إلى اختيار وجهات بديلة[5].

5.1. الإعلام السياحي

يعتبر الإعلام مجالا متصلا بمختلف المجالات في المجتمع، بل ويعد عنصرا أساسيا لا غنى عنه، ولعل الحديث عن بناء اقتصاد قوي لا يكون بمنأى عن وسائل الإعلام، فمثلا في منطقة الخليج العربي تخصص وسائل الإعلام الحكومية والخاصة

---

[1] بازين، نور الدين. **التراث العالمي في منطقة المغرب العرب موروث حضاري غني يجب الحفاظ عليه**، تم استرجاعه من www.arabtimes.com ، يوم 2017.09.21 على الساعة 18.50.

[2] **دليل المواقع والمعالم التاريخية وادي ميزاب**، تم استرجاعه من openarchive.icomos.org ، بتاريخ 2017.09.21، على الساعة 18.02.

[3] لحول سامية، حناشي راوية (19-20 نوفمبر 2012). **السياحة الحموية كأسلوب لترقية السياحة الداخلية في الجزائر، دراسة حالة ولاية ورقلة**، مداخلة قدمت للمشاركة بها في الملتقى الوطني الثاني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير.

[4] بداش بوبكر (2014). **صناعة السياحة في الجزائر بين المؤهلات والسياسات، رؤية استكشافية وإحصائية**، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، القاهرة، العدد 22، ص 13.

[5] مولاي لخضر عبد الرزاق، بورحلي خالد (2016). **متطلبات تنمية القطاع السياحي في الاقتصاد الجزائري**، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد4، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر، ص 72.

مساحات كبيرة لمواكبة الأحداث الاقتصادية، بل تعدى الأمر لإنشاء قنوات تلفزيونية اقتصادية وإصدار ملحقات تابعة للصحف الورقية تغطي مختلف الأنشطة الاقتصادية في المجتمع.

يلعب الإعلام دورا هاما في تنمية القطاع السياحي والاقتصادي، ذلك أن وسائل الإعلام تعمل على ترابط المجتمع وتبادل المعلومات خولف مختلف القضايا ذات الصلة و التي تساعد في اتخاذ القرارات، بالإضافة لدورها كرقيب من خلال الكشف عن مختلف أشكال الفساد وكذا القيام بعملية الاتصال الصاعد والنازل، دون نسيان الدور الإعلاني خاصة في عملية إمداد المعلومات للمستهلكين حول السلع والخدمات[1].

تقوم وسائل الإعلام بدور مباشر في المساهمة بتنمية السياحة في دولة ما وتتمثل بعض هذه المساهمات في[2]:

- عرض خطط التنمية السياحية والمشروعات الاستثمارية في المناطق السياحية الجديدة على المستثمرين الأجانب تشجيعا لهم على استثمار رؤوس الأموال في هذه المشروعات بما ضيف طاقات استيعابية جديدة إلى الطاقات المتوافرة.
- إبراز عناصر الجذب المتوافرة بالمناطق السياحية الجديدة، مثل: خلو البيئة من التلوث، و كرم الضيافة، وحسن معاملة الأجانب، وانخفاض معدل الجريمة وغيره.
- فتح أسواق جديدة أمام السياحة في أسواق بديلة (مثل: مخاطبة أسواق دول شرق آسيا، والهند وأمريكا اللاتينية) لم تمارس جهود التنشيط بشكل مكثف من قبل.
- استخدام أجندة المناسبات الأثرية والموسيقية والرياضية في الجذب السياحي.
- الوصول إلى المستهلك أو إلى السائح الأجنبي باستخدام وسائل الإعلام الدولي واسعة الانتشار لإعلامه والتأثير عليه بالجهود التنشيطية المختلفة.

المحور الثاني: نموذج جريدة السياحي الجزائري في تنمية السياحة الجزائرية

1.2. التعريف بجريدة السياحي

جريدة السياحي هي جريدة أسبوعية وتعد الأولى من نوعها متخصصة في السياحة والأسفار والثقافة والتراث، تصدر عن شركة لرؤية للإعلام والصحافة، تشرف عليها الإعلامية لمياء قاسمي منذ سنة 2014، بدأت السياحي كجريدة إلكترونية وبعد الحصول على الاعتماد تمكنت من إصدار نسختها الورقية، طاقم الجريدة هو طاقم شاب يعمل من أجل إعطاء صورة مشرفة للجزائر قد تكون غائبة عن البعض.

تقع الجريدة بشارع محمد العياشي بلوزداد، الجزائر 22، تقدم 6 صفحات كاملة لربورتاجات عن مناطق الجزائر، إضافة لصفحات ثقافية تقدم الثقافة الجزائرية ومقالات لمختصين في الاقتصاد والتسويق والاستثمار عن أهمية قطاع السياحة في الاقتصاد الوطني، كما تقدم صفحات اجتماعية تعنى بالتراث والصناعة التقليدية بالجزائر، وصلت الجريدة في إصداراتها للعدد 100 على الصعيد العربي والوطني[3].

تمكنت جريدة السياحي في زمن قصير من فرض اسمها على الساحة الإعلامية الوطنية، عبر دعم ما تزخر به الجزائر من مؤهلات وإمكانيات سياحية هائلة، والتي وجدت في صفحاتها طريقا للترويج، جعلها تتوج في محافل عربية ممثلة لكل

---

[1] بن سعيد الخياط عبد العزيز (07-09 أفريل 2015). **دور الإعلام في التنمية الاقتصادية**، ورقة علمية مقدمة إلى المنتدى الإعلامي السنوي السابع للجمعية السعودية للإعلام والاتصال الموسوم بمنتدى الإعلام والاقتصاد ... تكامل الأدوار في خدمة التنمية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية kacst، السعودية.

[2] رضا أماني (2017). **الإعلام والسياحة**، ط1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، ص ص 92-93.

[3] جريدة المساء، أحلام.م، **الجزائر غنية وهناك إرادة سياسية للنهوض بالسياحة**، تم استرجاعه من www.el-massa.com، بتاريخ 2017.09.23، على الساعة 21.00

الإعلام الجزائري المتخصص، حيث توجت جريدة السياحي بلقب أفضل صحيفة تهتم بالسياحة العربية من طرف المركز العربي للإعلام السياحي.

2.2. المواضيع التي تناولتها الجريدة محل الدراسة

المواضيع	التكرار	النسبة المئوية
مواضيع ثقافية	23	%56.09
مواضيع اجتماعية	-	-
مواضيع تاريخية	13	%31.70
مواضيع اقتصادية	5	%12.19
مواضيع فنية	-	-
المجموع	**41**	**% 100**

جدول رقم (2) يمثل المواضيع التي تناولتها جريدة السياحي

تمثل البيانات المحصل عليها في الجدول أعلاه، أن الجريدة تناولت مجموعة من المواضيع فبنسبة 56.09% ركزت على المواضيع الثقافية التي تعنى أكثر بمختلف الثقافات التي تزخر بها الجزائر، فقد جاء الحديث عن الفنون الشعبية و العادات والتقاليد في مختلف ربوع الجزائر، لتأتي بعدها وبنسبة 31.70% المواضيع التاريخية خاصة ما تعلق بالآثار و المتاحف الممتدة على مختلف الولايات مذكرة بمراحل وحقب تاريخية مرت على المناطق المتواجدة بها، ويرجع التركيز على الجانب التاريخي نظرا إلى انتشار هذا النوع من السياحة خاصة لاكتشاف حضارات سبقت والتعرف على مختلف الرسومات القديمة التي تعطي قراءات على عمق تاريخ المناطق.فيما تحتل المواضيع الاقتصادية المرتبة الثالثة بنسبة 12.19% من خلال عرض مختلف الجوانب الاقتصادية المتعلقة بالقطاع السياحي، فإن تناول أخبار الاقتصاد سيشمل في أحد أجزاءه السياحة كموضوع مهم.

3.2. الأنواع السياحية التي عالجتها الجريدة

الأنواع السياحية	التكرار	النسبة المئوية
السياحة الثقافية	7	% 29.16
السياحة الطبيعية	11	% 45.83
السياحة الحموية العلاجية	3	% 12.5
السياحة الصحراوية	2	% 08.33
أنواع أخرى	1	% 04.16
المجموع	**24**	**% 100**

جدول رقم (3) يمثل الأنواع السياحية التي عالجتها جريدة السياحي

يظهر لنا من خلال الجدول رقم (3) المتعلق بتوزيع المقالات حسب المعلومات التي تبث عن الأنواع السياحية المتواجدة في الجريدة، إن اغلب الموضوعات تحدثت عن السياحة الطبيعية بنسبة 45.83% ثم تأتي السياحة الثقافية في المرتبة الثانية بنسبة 29.16% وتليها السياحة الحموية العلاجية بنسبة 12.5% ، فيما قدرت الأنواع السياحة الأخرى المتضمنة في المقالات نسبة 4.16%.

وبناء على النسب المعروضة نلاحظ أن السياحة الطبيعية احتلت المرتبة الأولى بنسبة 45.83% والتي اختصت بإظهار روعة المناطق و الجو اللطيف، بالإضافة إلى جمالية الكثبان الرملية و الواحات، الأمر الذي يسمح للشخص أن يقوم برحلات سياحية على مدار العام والاستمتاع بالبحيرات والحيوانات البرية والنباتات وهذا ما يجعل هذه المناطق أكثر جاذبية للسياح، فيما احتلت السياحة الثقافية المرتبة الثانية بنسبة 29.16% ويرجع هذا إلى الأهمية الثقافية التي تزخر بها المناطق التي شملتها المواضيع الصحفية وتساهم بطريقة مباشرة في السياحة كالمعالم الأثرية، الأحياء القديمة، العادات

والتقاليد، اللباس التقليدي والأكلات الشعبية والمتاحف، أما في المرتبة الثالثة فجاءت السياحة الحموية العلاجية بنسبة 12.5%، فأشارت الجريدة من خلال المعلومات إلى إقبال العديد من المرضى سنويا على الحمامات الطبيعية ذات المياه المعدنية الساخنة فهي تعتبر قبلة للعلاج وكذا التنزه، وتعتبر تراث علاجي متوارث في مناطق مختلفة.

4.2. المجالات التي تحدثت عنها الجريدة

المجالات التي تحدثت عنها الجريدة	التكرار	النسبة المئوية
المتاحف	2	% 05.71
الصناعات التقليدية	1	% 02.85
المعالم الأثرية	11	% 31.42
الموسيقى المحلية	2	% 05.71
المهرجانات	2	% 05.71
الفنادق	6	% 17.14
المنابع الحموية	3	% 08.57
مجالات أخرى	8	% 22.85
المجموع	**35**	**% 100**

جدول رقم (4) يمثل المجالات التي تحدثت عنها جريدة السياحي

يظهر لنا من خلال الجدول رقم (4) أن المقالات محل الدراسة التي نشرتها جريدة السياحي تطرقت بكثرة إلى المعالم الأثرية هي وذلك بنسبة 31.42%، تليها المنابع الحموية بنسبة 8.57%، فيما تليها كل من المتاحف، الموسيقى المحلية و المهرجانات بنسبة 5.71% لكل مجال مذكور، وأخيرا الصناعات التقليدية بنسبة 02.85%.

ومنه فإن المعالم الأثرية كانت أكثر المواضيع التي تم التطرق إليها وتمثلت في المتاحف كمتحف شرشال ومتحف تيمقاد، متحف تيبازة، وتساهم هذه المعالم في خلق نوع من السياحة الثقافية، كما تتخذ كدليل تعريفي للمناطق المتواجدة بها والتي تميزها عن باقي المناطق، كما أن المنابع الحموية احتلت المرتبة الثالثة ذلك لأنها تلقى رواجا شعبيا منقطع النظير تبعا لما تنطوي عليه هذه الأمكنة المتميزة من قيمة سياحية وثراء إيكولوجي وبعد ترفيهي، إضافة إلى ما توفره من منافع صحية جمة تبعا لقدرة مياهها على علاج قاصديها من عدة أمراض، على نحو صارت معه هذه السياحة الحموية رافدا اجتماعيا وقبلة مفضلة للباحثين عن العلاج والاستجمام كحمام السخنة، حمام الصالحين.

أما المواضيع التي تخص المتاحف، الموسيقى المحلية والمهرجانات احتلت المرتبة الرابعة بنسب متساوية، فتجسدت الموسيقى المحلية في المديح حيث تستعمل مختلف الآلات كالطبل و البندير، ويعتمد فيها تنوعا في الأصوات، أما المهرجانات فأشارت الجريدة إلى مهرجانات عديدة تضم مختلف الرقصات والأغاني .بالإضافة إلى المتاحف حيث أشارت الجريدة إلى متحف شرشال الذي يعود تاريخه إلى الحقبة الاستعمارية ويحوي منحوتات وتماثيل كتمثال أبو لون فينوس وهرقل، إضافة إلى متحف تيمقاد الذي يضم تماثيل ومسلات منذرة لمختلف الآلهة.

5.2. توجهات الجريدة من حيث الهدف

توجهات الجريدة من حيث الهدف التعبير بها	التكرار	النسبة المئوية
تثمين التراث	9	%33.33
الإعلام	3	%11.11
الإرشاد والتوعية	-	-
نشر ثقافة سياحية	15	%55.55
المجموع	**27**	**% 100**

جدول رقم (5) يمثل توجهات الجريدة من حيث الهدف

يوضح الجدول رقم (5) الأهداف التي ترمي إليها الجريدة من خلال المقالات التي تم تحليلها، ووفقا للجدول فإننا نجد نشر ثقافة سياحية كهدف بارز للجريدة بنسبة 55.55%، ومن ثم تثمين التراث بنسبة 33.33%، ليحتل الهدف الإعلامي المرتبة الأخيرة بنسبة 11.11%.

من خلال تحليلنا لبيانات الجدول فإن الهدف الأساسي للجريدة هو نشر ثقافة سياحية وذلك بهدف محاولة ترسيخ للجمهور ماهية السياحة في مختلف المناطق الجزائرية ومن ثم نشر الثقافة السياحية كونها عامل أساسي في تطور الاقتصاد، وتساهم في تحسين الدخل كمحاولة لجذب أكبر عدد من السياح،فهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالجزء الذي يتعلق بتثمين التراث والذي شكل هدفا ثانيا للجريدة من خلال إبراز مكونات التراث المادي وغير المادي المصنف وطنيا وغير المصنف، حيث تساهم بالتعريف به وبالتالي تساهم بشكل أساسي في السياحة الثقافية، إذ يعد التراث محفز لاستقطاب السياح المهتمين بالتراث، كما أوضحت الجريدة مختلف التظاهرات الشعرية الأدبية وغيرها والتي تسعى لترقيته، أما بالنسبة للإعلام فبرز كهدف ثانوي من خلال تزويد القراء بمختلف المعلومات حول القطاع السياحي في الجزائر.

6.2. الأشكال الفنية التي تم التعبير بها

الأشكال الفنية التي تم التعبير بها	التكرار	النسبة المئوية
الخبر	3	% 13.04
الربورتاج	17	% 73.91
الحوار	-	-
التقرير	3	% 13.04
المجموع	**23**	**% 100**

جدول رقم (6) يمثل الأشكال الفنية التي تم التعبير بها من خلال الجريدة

نلاحظ من خلال الجدول رقم (6) أن الأشكال الفنية التي قدمت بها الجريدة مضمونها هي الربورتاج حيث احتل المرتبة الأولى بنسبة بلغت 73.91% ، يليه التقرير والخبر بنسب متساوية بلغت 13.04%.

إن الاعتماد على الربورتاج كنوع صحفي يعد مهما في المواضيع السياحية، ذلك أنه يعتمد على الوصف بالدرجة الأولى وهو نوع يعتمد على مراقبة عمليات وتطورات الواقع من أصلها ومنشأها وتكوينها وتطوراتها، بحيث تحمل كاميرا التصوير إلى المشاهدين والقراء صورة الحاضر، وتخلق قوة تأثير على الجمهور، هذا التأثير الذي يعبر عن نفسه بأقصى قدر من القوة والوضوح، ولقد استعمل في نقل جاذبية المناطق السياحية في الجزائر ووصفها بشكل دقيق وجميل، وكذا الحديث عن المعالم الأثرية و الأصول التاريخية الخاصة بكل معلم بكل منطقة.

أما الاعتماد على التقرير والخبر فهما نوعان صحفيان يعنيان بتقديم المعلومات وإلحاقها بتفاصيل عن الحدث خاصة في ما تعلق بتغطية المهرجانات و الأحداث الفنية والفعاليات المنظمة التي تعنى بالسياحة والتراث في الجزائر.

نتائج البحث:

من خلال تحليلنا للمقالات المنشورة في جريدة السياحي الجزائرية توصلنا إلى عدد من النتائج أهمها ما يلي:

- تناولت جريدة السياحي مجموعة من المواضيع، حيث ركزت على المواضيع الثقافية التي تعنى بمختلف الثقافات التي تزخر بها الجزائر بنسبة 56.09% ، لتأتي بعدها وبنسبة 31.70% المواضيع التاريخية خاصة ما تعلق بالآثار و المتاحف الممتدة على مختلف الولايات، ويرجع التركيز على الجانب التاريخي نظرا إلى انتشار هذا النوع من السياحة خاصة لاكتشاف حضارات سبقت والتعرف على مختلف الرسومات القديمة التي تعطي قراءات على عمق تاريخ المناطق، فيما احتلت المواضيع الاقتصادية المرتبة الثالثة بنسبة 12.19% من خلال عرض مختلف الجوانب الاقتصادية المتعلقة بالقطاع السياحي، فإن تناول أخبار الاقتصاد سيشمل في أحد أجزاءه السياحة كموضوع مهم.

- نوعت الجريدة في المواضيع المطروحة فلم تقتصر فقط بالحديث عن جمالية الجزائر بل تعدى الأمر لتغطية المهرجانات، ومختلف التظاهرات الفنية كالرقص والمعارض التي تعمل على تبيان ما تزخر به الجزائر من تنوع ثقافي خاصة العادات والتقاليد والموسيقى المحلية.

- احتلت السياحة الطبيعية المرتبة الأولى بنسبة 45.83% من الأنواع السياحية التي تحدثت عنها الجريدة والتي اختصت بإظهار روعة المناطق وجمالية الكثبان الرملية و الواحات، وهذا ما يجعل هذه المناطق أكثر جاذبية للسياح، فيما احتلت السياحة الثقافية المرتبة الثانية بنسبة 29.16% ويرجع هذا إلى الأهمية الثقافية التي تزخر بها المناطق التي شملتها المواضيع الصحفية وتساهم بطريقة مباشرة في السياحة كالمعالم الأثرية، الأحياء القديمة، العادات والتقاليد، اللباس التقليدي والأكلات الشعبية والمتاحف، أما في المرتبة الثالثة فجاءت السياحة الحموية العلاجية بنسبة 12.5%، فأشارت الجريدة من خلال المعلومات إلى إقبال العديد من المرضى سنويا على الحمامات الطبيعية ذات المياه المعدنية الساخنة فهي تعتبر قبلة للعلاج وكذا التنزه، وتعتبر تراث علاجي متوارث في مناطق مختلفة.

- من خلال تحليلنا لمضمون المقالات المختارة من الجريدة محل الدراسة فإن الهدف الأساسي للجريدة هو نشر ثقافة سياحية وذلك بهدف محاولة ترسيخ للجمهور ماهية السياحة في مختلف المناطق الجزائرية ومن ثم نشر الثقافة السياحية كونها عامل أساسي في تطور الاقتصاد.

- عملت جريدة السياحي على نقل و وصف مميزات مختلف المناطق الجزائرية من خلال استخدام أشكال فنية تتماشى وطبيعة الموضوع تمثلت في الربورتاج الذي احتل المرتبة الأولى بنسبة بلغت 73.91% ، يليه التقرير والخبر بنسب متساوية بلغت 13.04%.

ومنه فالجريدة تساهم بشكل أو بآخر في عملية التنمية السياحية من خلال ما تخصصه من مواضيع تتناول مختلف جوانب العملية السياحية.

خاتـمة:

تكمن أهمية الإعلام السياحي في كونه عاملا فعالا في تنمية السياحة في الجزائر فباختلاف أنواعه سواء الصحف أو التلفزيون أو الإذاعة فإنه يعد عنصرا هاما في بناء استراتيجية قوية لتحسين القطاع السياحي والتعريف بمقومات السياحية لأي بلد، فأهمية السياحة تمتد لأن تكون شقا اقتصاديا هاما و مساهما فعليا في تحسين الظروف الاجتماعية.

عملت مختلف الدول على تبني الإعلام السياحي نظرا لقدرته الفائقة في التأثير كالاعتماد على الصور و جمالية التعبير والنقل الدقيق لمميزات كل منطقة، وعملت الجزائر ولو تدريجيا على تحسين الإعلام السياحي فخصصت القنوات التلفزيونية والإذاعية أركانا خاصة بالتعريف بالعادات والتقاليد وأصالتها وكذا مختلف المناطق الطبيعية في الجزائر في تبيان لأهميتها وجاذبيتها، أما الصحف فبعد أن كانت تخصص مقالات لخدمة السياحة ونشر الثقافة السياحية برزت على الساحة الإعلامية جرائد موضوعاتية تختص بفرع معين ففي المجال السياحي عملت جريدة" السياحي" على نقل صورة حسنة عن الجزائر من خلال مقالات وربورتاجات اعتمدت فيها على تنوع المواضيع كمحاولة للترويج بالسياحة الداخلية كالصحراء و المناطق الخضراء والغنى الثقافي لبلد تتعدد فيه العادات والتقاليد ومختلف الفنون.

عملت الجريدة على تحقيق أهداف متعددة كنشر الثقافة السياحية واعتباره هدف أسمى وكذا تثمين التراث وتزويد المتابعين بمختلف المعلومات، ومنه فضرورة تطوير التنمية السياحية في الجزائر يرتبط بوجود إعلام سياحي مكثف يعمل على الربط بين مختلف النشاطات التي تسعى لتنمية هذا القطاع مثل الوكالات السياحية والإعلانات والندوات.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. أبو النصر مدحت محمد، ياسين مدحت محمد (2017). **التنمية المستدامة، مفهومها-أبعادها- مؤشراتها**، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة.

2. بداش بوبكر (2014). **صناعة السياحة في الجزائر بين المؤهلات والسياسات، رؤية استكشافية وإحصائية**، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، القاهرة، العدد 22.

3. بن سعيد الخياط عبد العزيز (07-09 أفريل 2015). **دور الإعلام في التنمية الاقتصادية**، ورقة علمية مقدمة إلى المنتدى الإعلامي السنوي السابع للجمعية السعودية للإعلام والاتصال الموسوم بمنتدى الإعلام والاقتصاد تكامل الأدوار في خدمة التنمية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية kacst.

4. بن مرسلي، أحمد (2013). **الأسس العلمية لبحوث الإعلام والاتصال**، ط1، الورسم للنشر والتوزيع، الجزائر.

5. رضا أماني (2017). **الإعلام والسياحة**، ط1، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر.

6. رفقي الرحبي سمر (2014). **الإدارة السياحية الحديثة**،ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-عمان.

7. السيسي، ماهر عبد الخالق (2001). **مبادئ السياحة**، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة.

8. الشمري حاتم بديوي، جاسم رشيد ابتهال (2016). **دور وسائل الإعلام في مكافحة الفساد –العراق نموذجا**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 6، العدد 4، العراق.

9. الشميمري، بن عبد الرحمان فهد (2010). **التربية الإعلامية كيف نتعامل مع الإعلام**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

10. صبطي، عبيدة (مارس 2012). **دور وسائل الإعلام والاتصال في تنمية السياحة الصحراوية في الجزائر**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة.

11. عباس تيسير بشرى (2014). **الإعلام المتخصص الحديث**، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الأردن-عمان.

12. عوينان، عبد القادر (2012-2013). **السياحة في الجزائر، الإمكانيات والمعوقات-2000.2025- في ظل إستراتيجية السياحة الجديدة للمخطط التوجيهي للهيئة السياحية sdat 2025**، أطروحة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة الجزائر 3.

13.كافي مصطفى يوسف (2009). **صناعة السياحة والأمن السياحي، الأمن السياحي، الجرائم السياحية، الإرهاب، العولمة**، ط1، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

14. لحول سامية، حناشي راوية (19-20 نوفمبر 2012). **السياحة الحموية كأسلوب لترقية السياحة الداخلية في الجزائر، دراسة حالة ولاية ورقلة**، مداخلة قدمت للمشاركة بها في الملتقى الوطني الثاني حول فرص ومخاطر السياحة الداخلية في الجزائر، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير.

15. مناجلية الهذبة (26 مارس 2017). **الإمكانيات والمقومات السياحية في الجزائر**، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 26، جامعة الجلفة بالتنسيق مع مركز ابن خلدون للدراسات بالأردن.

16. مولاي لخضر عبد الرزاق، بورحلي خالد (2016). **متطلبات تنمية القطاع السياحي في الاقتصاد الجزائري**، المجلة الجزائرية للتنمية الاقتصادية، العدد4، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، الجزائر.

17. وزاني، محمد (2010-2011). **السياحة المستدامة واقعها وتحدياتها بالنسبة للجزائر-دراسة القطاع السياحي لولاية سعيدة- حمام ربي**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير تخصص تسويق الخدمات، جامعة أبي بكر بلقايد، معهد العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، تلمسان-الجزائر.

المواقع الإلكترونية:

1. openarchive.icomos.org consulté le 21.09.2017 à 18.02.

2. www.arabtimes.com consulté le 21.09.2017 à 18.50.

3. www.el-massa.com consulté le 23.09.2017

الذاكرة التنظيمية كمؤشر دال عن التعلم التنظيمي
دراسة ميدانية بمؤسسة" أرسيلور ميتال"

أ.زيدي إلهام
جامعة باجي مختار- عنابة-

الملخص: يهدف هذا المقال إلى محاولة إبراز معنى وأهمية التعلم التنظيمي في المؤسسة ،الذي أضحى عاملا مهما للمؤسسات خاصة مع التطورات التكنولوجية والانفجار المعلوماتي أين زاد الاهتمام بضرورة تجسيد هذا المفهوم في واقع المؤسسات، ولهذا سنحاول إيضاح مفهومه بنوع من التفصيل ولإزالة الالتباس مع بعض المفاهيم المتداخلة، إضافة إلى تحديد أهميته الاستراتيجية والتشغيلية والعامة، كما يهدف إلى تحديد معنى الذاكرة التنظيمية بدقة وإيضاح أهميتها في توفر التعلم التنظيمي في المؤسسة باعتبارها مؤشرا دالا على توفره في المؤسسة من خلال التوثيق وحفظ المعلومات.

الكلمات المفتاحية: التعلم، التعلم التنظيمي، الذاكرة التنظيمية.

abstract

This article aims at trying to highlight signification and importance of the organizational learning in the organisation, which became an important factor, especially for firms with technological developments and explosion of information where an augmented attention to the necessity to take into account this concept in the reality of institutions, and for it, we are going to try to clarify the concept of the type of detail and to eliminate confusion with some one concepts which overlap, besides defining strategical importance, operational and public.

Key words: Learning , organizational learning , organisatinnel memory.

مقدمة: نظرًا للتحولات الاقتصادية، الاجتماعية، التنظيمية التي تمس العالم ككل وفي ظل الانفجار المعلوماتي وعولمة الأسواق، واشتداد حدة المنافسة بات من الضروري في خضم هذه التغيرات إجبارية تكيف المؤسسات خاصة الاقتصادية منها مع هذا الوضع، حيث زاد الاهتمام بالمورد البشري وتنميته باعتباره أهم مورد في المؤسسة وذلك لقدرته على الإبداع والابتكار، وهذا ما أدّى بالمؤسسات إلى ضرورة الاستثمار فيه من خلال تعليمه وتدريبه على أحدث البرامج الذي تتماشى مع عصر المعرفة ذلك لأن للمعرفة الموجودة لديه دور كبير في تعزيز قدرات المؤسسة للحصول على الميزة التنافسية وكذلك لتحسين الإنتاج، مما أدّى بدوره إلى بروز أهمية ممارسة التعلم التنظيمي في المؤسسة من خلال عدّة مؤشرات تدل على توفره في المؤسسة والتي أهمها الذاكرة التنظيمية التي تعتبر المؤشر الأول الدال على توفر التعلم التنظيمي في المؤسسة، من خلال عملية حفظ المعلومات وتوثيقها لاسترجاعها عند الحاجة.

وتأسيساً على ما سبق يحاول هذا المقال توضيح مفهوم التعلم التنظيمي وإبراز أهميته في تطور المؤسسة، كما يطرح **الإشكال التالي: هل الذاكرة التنظيمية فعلا هي مؤشرا دالا على توفر التعلم التنظيمي في مؤسسة أرسيلور ميتال؟**

وللإجابة على هذا الإشكال تمّ صياغة الفرضية التالية:

- **يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية لعملية حفظ المعلومات في توفر التعلم التنظيمي في مؤسسة أرسيلور ميتال.**

و لاختبار هذه الفرضية تم اختيار عينة عشوائية بسيطة من الإطارات بمؤسسة أرسيلور ميتال قدرّت ب **120** فردا من مجتمع الدراسة الأصلي، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي، إضافة إلى بعض الأساليب الإحصائية المستخدمة : التكرارات ،النسب المئوية والمتوسطات الحسابية.

كما تمّ استخدام مقياس ليكرت الخماسي لقياس استجابة المبحوثين.

- **مفهوم التعلم التنظيمي:**

بما أنّ المؤسسة لا تتعلم وإنّما الأفراد العاملين فيها هم الذين يتعلمون لهذا لا بدّ من البدء أولاً بمفهوم التعلم الفردي ثم التعلم الجماعي وفيما بعد التعلم التنظيمي.

- **مفهوم التعلم: apprentissage**

و يقابله بالفرنسية « apprentissage » وبالإنجليزية « Learning » ويقصد به في اللغة: علّم تعليماً وعلاّماً: علّمه الشيء، جعله يتعلّمه (جبران مسعود، 2003: 623)

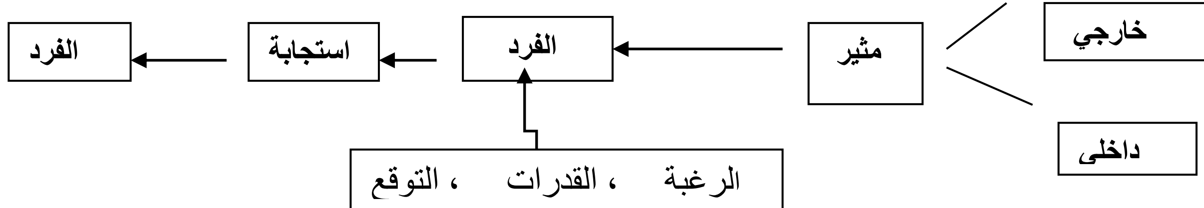
أمّا اصطلاحا فقد تناول العديد من العلماء في مختلف التخصصات هذا المصطلح الذي يُتفق فيه حول نفس النقاط تقريباً.

فنجد أن علماء التربية حدّدوا هذا المصطلح من زوايا تختلف في الشكل وتتوافق في الأسلوب والهدف والغايات، فيقول "مون" « Mun »: " التعلّم هو حدوث تغيير في السلوك، وهذا التغيير هو حصيلة نشاط أو تدريب أو ملاحظة." (جرجس ميشال جرجس، 2005: 184) .

كما يعرفه البعض على أنّه: " تطوّر دائم نسبي للمعارف والاتجاهات والسلوكات الناتجة عن التجربة وبهذا يمكن القول أنّ تعديلات السلوك هي نتيجة التعلّم." (Stephen Robbins, 2006 : 59)

يتضح من خلال هذا المفهوم أنّ التعلم يتطلب تغيير في السلوك والذي يكون مؤقتاً ونتيجة للخبرة وهذا التغيير يكون مدعماً لضمان استمراره.

و يمكن توضيح عملية التعلم من خلال الشكل التالي:



المصدر:خضير كاظم محمود الفريجات وآخرون،201:2009.

يلاحظ من خلال هذا الشكل أنه بالإمكان الاستفادة من المعلومات والآليات في منظمات الأعمال . و حتى تتكون عملية التعلم والتي ترغب الإدارة به للأفراد العاملين فإنّ الإدارة سوف تستخدم المنبهات الخارجية كالحوافز المادية والمعنوية لتحريك الحاجات والدوافع عند الأفراد، وأحياناً يتم استخدام نظريات سلوكية لمخاطبة المشاعر والاتجاهات عند الأفراد بشكل يتوافق مع حاجاتهم ورغباتهم حتى تتم عملية التعلم المرغوب بها.(خضير كاظم محمود الفريجات، وآخرون ،201:2009).

- **مفهوم التعلم الجماعي:**

يعرّف بأنّه "تطور اكتساب المعرفة والمهارة والتمثلات المشتركة الناتجة عن رد فعل قوي بين موضوع وفريق في مخطط الأفكار ،المفاهيم، و التمثلات والأفعال المنجزة جماعياً. إذن هو بالمعنى سياق التفاعلات بين مختلف المشاريع الفردية ومختلف المعارف والتأثيرات...إلخ"(Henri Mahé ,1998 :23)

ويقصد به كذلك تحويل مهارات التفكير الجماعية بحيث تتمكن مجوعة من الأفراد من اكتساب خبرات ومهارات أكثر من الأفراد الفرديين.

كما يتداخل مفهوم التعلم مع مصطلح **التعليم**« **Instruction** »والذي يقصد به "توفير المعلومات المتمثلة في الأسس والنظريات والقواعد والقوانين من خلال معلم"(محمد حافظ حجازي،309:2005).

كما يعتبر أيضا من أهم وسائط التنشئة السياسية والاجتماعية فعن طريقه يكتسب الطفل القيم والسلوكيات والولاء للوطن بالإضافة إلى المعرفة ويتم عن طريق المناهج والأنشطة ودور المعلم والنظام التعليمي ذاته.(إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي:2004،55)

أما **مفهوم التدريب** فهو: " عملية ديناميةٍ تستهدف إحداث تغييرات في معلومات وخبرات وطرائق أداء سلوك واتجاهات المتدربين بغية تمكينهم من استغلال إمكاناتهم وطاقاتهم الكامنة، بما يساعد على رفع كفاءاتهم في ممارسة أعمالهم بطريقة منتظمة وبإنتاجية عالية." (حسن أحمد الطعاني، 2002: 13- 14).

– **مفهوم التعلم التنظيمي:Apprentissage Organisationnel**

إنّ المفاهيم المقدّمة للتعلم التنظيمي تختلف حسب اختصاص كل من يقوم بعملية التعلم وكيفية التعلم .و في هذا الصدد أشار "هيجان" إلى أنّ مفهوم التعلم التنظيمي من المفاهيم المغيبة –تقريباً- في أدبيات الإدارة العربية ،وعلى الرغم من تأصيل مفهوم التعلم التنظيمي في مجال علم السياسة والاقتصاد وعلم الاجتماع والأحياء وعلم التحكم ونظرية التنظيم فإنه يمكن القول بأنّه من أولى الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع هو الوصول إلى تعريف إجرائي لهذا المفهوم يميزه عن غيره من المفاهيم التنظيمية الأخرى كالتغيّر والتكيّف ،كما يقبل في نفس الوقت الباحثون أساساً للدراسة في هذا المجال "(طارق حسن محمد الأمين،247:2006).

واستنادا إلى هذا يمكن بلورة فكرة من المفاهيم المختلفة التي بادر بوضعها عدد من الكتّاب في مقالات ودراسات مختلفة.

فنجد أرجريس وسكون -و هما رائدان في هذا المجال- عرفا عملية التعلم في المراحل الأولى لظهورها على أنها "عملية اكتشاف الأخطاء وتصحيحها" (رفعت عبد الحليم الفاعوري،107:2005). ثمّ توالت المحاولات العلمية للتعرف على هذه العملية.

وكذلك هو مفهوم مقترح من قبل أرجريس وسكون منذ 1970 وذلك من أجل الإشارة إلى تحديد سياق التعلم الذي من خلاله ممثلي المنظمة يكتسبون معارف جديدة التي هي أساس الكثير من نظريات التعلم ،و هذه المعارف الجديدة تعدّل من طريقة أو أسلوب التفكير والتصرف في المنظمة. و التعلم التنظيمي يكون ممكناً لمّا أفراد المنظمة يكونون مواجهين لموقف إشكالي ويشرعون في تحقيق باسم المنظمة. كما أنّ مشاريع الابتكار تكون بوجه خاص على توليد سياق التعلم التنظيمي. (Sandrine Fernez,Walch,2008 :10-11)

كما يعرفه كل من فايول ولايز على أنّه "عملية تحسين لإجراءات المنظمة بهدف زيادة قدرتها على استيعاب المعرفة بشكل أفضل".(رفعت عبد الحليم الفاعوري،107:2005).

ومن وجهة نظر « سينج » فإنّ عملية التعلم التنظيمي تعني :"عملية الاختبار والمراجعة المستمرة للخبرات، و تحويلها إلى معرفة تنظيمية تتمكن المنظمة بأسرها من الحصول عليها وجعلها وثيقة الصلة بأغراضها الرئيسية ". (رفعت عبد الحليم الفاعوري،108:2005).

كما يعرّف كذلك في موسوعة التسيير وإدارة الأعمال على أنّه : "الميكانيزم الذي يسمح لفريق عمل، مصنع، مؤسسة أو المجتمع بذاته للتكيف وتحويل واكتساب وتنمية واستمرارية المعارف العملية بطريقة التفكير وحل المشكلات" وبالتالي التعلم التنظيمي هو تطور تنظيمي يميز آليات التعلم الفردي حتى لو كان الأفراد هم الأشخاص الذين من خلالهم يتعلم التنظيم. (Robert le DUFF, 1999 :48)

وللتوضيح أكثر يمكن تحديد الفروقات بين التدريب والتعلم والتعليم فيما يلي: (نجم عبود نجم،244:2005-245)

- أنّ التدريب سواء الذي يتم خارج العمل في مراكز تدريبية أو داخل الشركة في موقع العمل يحمل بعداً آلياً في نقل المهارة .
- أنّ التعليم يتم بالنمط المدرسي لتلقين واكتساب المعلومات وفي كلتا الحالتين ثمة حالة ساكنة (صيغ، أساليب، أدلة عمل، مقرر دراسي) يتم انتقالها من الخبير إلى المتدرب أو الطالب بكل ما يعنيه ذلك من هرمية واتصال أحادي الاتجاه في الغالب.

- أماّ التعلم التنظيمي فإنّ انتقال المعرفة أو الخبرة أو المهارة فيه يتم بطريقة التبادل والتفاعل والتشارك بين طرفين في علاقة تتجاوز الجانب الرسمي إلى اللارسمي ومن النقل الآلي إلى التفاعل الإنساني، ومن البرنامج المحدد إلى النشاط الاجتماعي. وهذا كله يعطي للتعلم السمة الحيوية من أجل بناء القدرة.

-مفهوم الذاكرة التنظيمية:

تعرّف بأنّها: "المستودع الذي يخزن معرفة المؤسسة من أجل الاستخدام المستقبلي، أو هي التعلّم المخزون من تاريخ الشركة الذي يمكن استخدامه في صنع القرارات والأغراض الأخرى".(عبود نجم عبود،272:2005).

ويشير هذا التعريف إلى معنى الذاكرة التنظيمية في المؤسسة والغرض من استخدامه ،ذلك أنّ ليس أي تعلم يمكن أن يهم المؤسسة، فقد يتم تعلم أشياء ليست لها دلالة تنظيمية وهذا ما يؤكد أنّه لا وجود لتعلم تنظيمي دون ذاكرة تنظيمية.

2- الظروف التي أدّت إلى الاهتمام به في المؤسسة:

إنّ التطور الهائل في تكنولوجيا الإعلام والاتصال جعل المؤسسات أكثر تعقيداً وديناميكية وتشابكاً، وهذا ما يستلزم نشر عملية التعلم بين مختلف المستويات التنظيمية، يعني أصبح كحتمية مع هذا التطور الهائل، وأصبحت المؤسسات التي تسعى للتفوق في المستقبل هي التي ستكشف كيفية تحقيق التزام العاملين بالتعلم وتطوير قدراتهم على ذلك خاصة وأنّنا في مرحلة الانتقال من رأس المال المادّي إلى رأس المال الفكري القائم على المعرفة، ولهذا كانت مجموعة من العوامل حدّدها الكتّاب المهتمين بعملية التعلم التنظيمي التي أدّت إلى اهتمام المؤسسات به يمكن إيجازها باختصار فيما يلي:

1.الإقتصاد والشركات القائمة على المعرفة:

إنّ المعروف والشائع أنّ في الاقتصاد نجد أنّ المعرفة هي التي تنشئ الثروة والعائد الحدّي الأعلى مقارنة بكل عوامل الإنتاج الأخرى، وإنّ المؤسسات القائمة على المعرفة تنفق على هذه الأخيرة الجزء الأكبر من مواردها في "البحث والتطوير والتصميم، التحسينات المستمرة، بحوث التسويق والمشروعات الجديدة...الخ". وعليه تكون الوجهة نحو هذه المعرفة هي التي تحوز على الاهتمام والموارد وتلعب الدور الأساسي في صنع الميزة التنافسية. وطبعاً المعرفة الجديدة لابدّ من نشر ميزتها في كل المؤسسة وكذلك في الاقتصاد من قبل المؤسسات الأخرى .وهذا ما لا يمكن أن يتم إلاّ من خلال التعلم.(نجم عبود نجم ،255:2005). وعليه وكما هو واضح أنّ التعلم هو الوسيلة الأكثر فاعلية وكفاءة في جعل كل ممارسة أفضل وكل معرفة جديدة أو نتيجة أرقى، وكذلك الطرق الكفؤة التي يعمل بها العاملون في مختلف أقسام المؤسسة.

2.المنافسة الجديدة:

ويعتبر هذا العامل من أهم العوامل التي أدّت إلى اهتمام المؤسسات بالتعلّم التنظيمي، ذلك أنّ المنافسة في الماضي (في النصف الأول من القرن 20) كانت داخلية بمعنى بين مؤسسات متجانسة من حيث المفاهيم والخبرات والتكنولوجيا، وكذلك يعتمد على نفس القاعدة الوطنية التكنولوجية، وتتعامل بنفس اللغة، كذلك المديرين والمسيرين فيها كانوا يدرسون في نفس كليات الأعمال ويتلقون الاستشارات من نفس المؤسسات الاستشارية، ومن جرّاء هذا كان على المؤسسات أن تحافظ على معرفتها الخاصة بطريقة سرّية بحيث لا يمكن أن تتسرب إلى بقية المؤسسة ومن ثمّ إلى خارجها.

ولكن فيما بعد ظهرت ضرورة المنافسة الجديدة التي تأتي من كل مكان في العالم ومن دول مختلفة وليس من دولة واحدة ،و من بيئات وتقاليد مختلفة، كذلك طرق تفكير وممارسات وأساليب مختلفة ذات أهمية متقاربة مع بقية البيئات الأخرى.

ولهذا كان لابدّ من التعلم المتبادل والديناميكي الذي يتميز بالسرعة في التبني والإيجابية في الاستعداد العالي للعمل به سواء داخل المؤسسة من الأقسام المختلفة أو من مؤسسات أخرى في نفس الصناعة وفي نفس البلد أو من مؤسسات أخرى خارج البلد.

3.الرؤية الخلاّقة للتعلّم:

يقصد بهذا العامل أن هذه الرؤية تكون خلافاً للرؤية التقليدية للتعلم التي ترى أنّ التعلّم هو عملية من الدرجة الثانية مقارنة بالابتكار وأنّ التعلم هو حركة التابع مقارنة بصاحب الحركة. و عليه فإنّ الرؤية الخلاّقة للتعلّم ترى أنّ هذا الأخير يمكن أولاً أن يكون ابتكارياً، وهذا ما تحدث عنه(P . Drucker) فيما أسماه بالتقليد الابتكاري الذي تمارسه الشركات اليابانية وما أطلق عليه "توم بيترز"(T .peters) بالجذر الخلاّق وأيضاً الابتكار مهما كان جذرياً أو تحسيناً تدريجياً صغيراً فإنّ قاعدته القوية هي التعلم الذي يحول الابتكار من نشاط متخصص أو تجربة خلاّقة في قسم البحث والتطوير أو ممارسة فردية للمبتكر إلى طريقة سلوك أو ممارسة فردية للمبتكر إلى طريقة سلوك أو ممارسة فردية للمبتكر إلى طريقة سلوك أو ممارسة في كل المؤسسة. وأنّ هذا التعلم يعتبر مقبولاً حتى إذا كان نتاجاً لمشروعات فاشلة، والقصة التالية توضح ذلك: "بعد الفشل في أحد المشروعات المهمة التي كلّفت 10 ملايين دولار في شركة IBM استدعى رئيس الشركة مدير المشروع الشاب إلى مكتبه، وعندما وقف أمامه بادر المدير الشاب بالقول: "أظن أنك تريد استقالتي، فأجاب رئيس الشركة وهو "توماس واستون" T .Waston عليك أن تكون جدياً فنحن الآن أنفقنا على تعليمك 10 ملايين دولار فقط." (نجم عبود نجم ،257:2005).

4. عرض اكتشاف العجلة:

أمّا هذا العامل فيوضح باختصار ووضوح بأنّ التجربة الأسوأ ليست هي التجربة الفاشلة أو سيئة الإعداد وإنّما هي التجربة التي لم يتم التعلم منها، وعليه تتم إعادتها في المرّات القادمة بنفس الأخطاء السابقة، ولهذا فإنّ المؤسسات أصبح لديها وعي وأدركت جيّداً الدرس وتوصلت إلى أنّ أكبر خسارة هي عدم التعلم من الماضي.

ومن خلال هذا تعتبر تجربة الفشل الذريع في إعادة فتح الباب المفتوح أو إعادة اكتشاف العجلة، وهذا ما أشار إليه "دافيد جارفني" (D .Garvin) في مراجعة "سانتايانا" نسبة إلى الفيلسوف الأمريكي "جورج سانتايانا" الذي صاغ عبارته الشهيرة: "إنّ أولئك الذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم بإعادته". (نجم عبود نجم ،257:2005).وبهذا أصبحت مختلف المؤسسات التي عانت من عدم الابتكار تولي اهتماما خاصا لخبرات ومهارات التعلم ومن الآخرين لكل ما هو جديد من أفكار وممارسات.

5.سرعة التعلم:

ويقصد به ما كانت تعيشه المؤسسات منذ عقود ما من ما يعرف بانفجار المنتجات ثم دورات حياة المنتجات الأقصر في ظل المنافسة القائمة على الوقت، وفيما بعد المعرفة عالية السرعة والتعلم السريع، ومع ظل الزيادة الكبيرة في عدد المتنافسين من جهة وتعاظم المنافسة القائمة على المعرفة من حيث العمليات المعرفية أسرع من العمليات المادية وأن الاقتباس والاستنساخ للتجارب المعرفية أسرع من الاقتباس المادي من جهة ثانية، وحيث أن الأنترنيت تجعل التعلم عن بعد عبر القارات والأقاليم وبين الشركات يتم بسرعة التوصيل الكهربائي الأقرب إلى الضوء من جهة أخرى. فإن التعلم السريع هو المكافئ للتطور السريع في التكنولوجيا والمنتجات والمعارف والخبرات من أجل جعل المؤسسات قابلة للحياة. (نجم عبود نجم، 258-257:2005).

6.ضرورة تعرف مشروعات الأعمال على احتياجات العملاء المتزايدة والمتغيرة وتلبيتها. (ناديا حبيب أيوب،71:2004). بمعنى أصبح من الضروري على المؤسسات أن تتعرف على احتياجات العملاء والزبائن المختلفة وتلبيتها، وهذا يعني أنها تصبح تنتج منتوجات وفق المواصفات التي يحتاجها العميل أو الزبون وليس كما تراها هي مناسبة وكل هذا دفع إلى زيادة الاهتمام بالتعلم التنظيمي.

ومن خلال ما تقدّم نجد أنّ المؤسسات أصبحت أكثر تفهما وتقبلاً للتجارب الجديدة وتتقبل الفشل فيها كما تتقبل النجاح وأصبحت تهتم بالدروس المتعلمة وتقدّر التعلّم وتعمل على نشره وتوظيفه في تجاربها المستقبلية مما يجعل المرحلة القائمة هي مرحلة تحول المؤسسات بشكل متزايد إلى منظمات تعلم.

3.أهمية التعلم التنظيمي: يحظى التعلم التنظيمي بأهمية كبيرة على مستوى التشغيل والمنظور الاستراتيجي وصولا إلى الأهمية العامة له وهذا ما سيتم التركيز عليه في هذا المقال.

حسب آراء الباحثين والكتاب تتجلى الأهمية العامة للتعلم التنظيمي فيمايلي: (الساعدي مؤيد نعمة، 2013: 97-96)

- التعلم التنظيمي مهم للفرد وللمنظمات فهو يسهل في تطوير الشخصية من خلال مساعدة الفرد في ادراك ذاته وفهم الآخرين والتفاعل معهم وتحسين مهاراته في العلاقات الإنسانية خبرته في الحياة وتحقيق التوافق مع المتطلبات الثقافية والاجتماعية والبيئية.
- وسيلة فاعلة لتحقيق أهداف الأفراد في الحصول على المكافآت أو المكانة أو السلطة أو القوة.
- أصبح التعلم في بيئة التأكد والتغيير المستمرين الشرط الأساس إن لم نقل الوحيد لمواكبة التغيير ومواجهة التحديات واستكشاف المستقبل.
- كذلك بالنسبة للمنظمة يعدّ المتغير الحرج في قدرتها على التعامل الناجح مع التغير المستمر في بيئتها.
- له أهمية بالغة في صنع القرار بوصفه وسيلة المنظمة في الوصول والحصول على المعلومات والمعرفة واستيعابها ومعالجتها.
- تجاوز الأفكار القديمة واستبدالها بأخرى جديدة والاستماع إلى الآخرين والاهتمام بآرائهم.
- أن قدرة المنظمات على التعلم والتكيف والتغيير أصبحت كفاءة جوهرية للبقاء.

كما يرى بعض الباحثين أنّ أهمية التعلم التنظيمي تكمن في:

- وجد أحد الباحثين في دراسته لطول عمر المنظمات بأن سبب موت أغلبها يعود إلى عدم قدرتها على التعلم.
- كما أكدّ أحد الباحثين أن التعلم التنظيمي هو الوسيلة للتحسين المستمر للكفاءة والجودة والإبداع والاستجابة للزبون.
- أنّ التعلم التنظيمي بوصفه وسيلة المنظمة في تكوين الذاكرة التنظيمية وفي تجاوز السياقات الماضية لاستبدالها بأخرى جديدة أكثر ملائمة للتغيرات المتلاحقة.
- كما شددّ أغلب الباحثين على أهميته في الحصول على الميزة التنافسية وذلك من خلال الدور المهم الذي يؤديه في تطوير موجودات استراتيجية وربط العوامل الداخلية والخارجية ومعالجة المعلومات وتطوير المؤهلات وحفظ المعرفة والمشاركة فيها.
- كذلك يعتبر ضروري لإيجاد الطرائق الجديدة وتحسين الكفاءة والأداء والقدرة التنافسية.
- عامل أساس في تحويل الموارد والمعرفة الضمنية إلى كفاءات جوهرية، وبدونه لا تتمكن المنظمات من صقل مهاراتها وقدراتها الفريدة.
- كما يضيف عدد من الباحثين على أهمية التعلم بالنسبة لإدارة الجودة الشاملة.

فأهمية التعلم التنظيمي تستمد من التعلم الفردي الذي يحظى به العامل في المؤسسة، إضافة إلى التنمية الذاتية ومحاولة التعلم باستمرار كلها عوامل داعمة ومشجعة على انتشار التعلم التنظيمي في المؤسسة ويرجع ذلك إلى ثقافة العامل إذا كان يريد التعلم والبحث عن المستجدات باستمرار مما يؤثر حتماً على تعلم المؤسسة ككل ،بمعنى غرس ثقافة التعلم لدى كل عامل يؤدّي بالضرورة إلى ترسيخ هذه الثقافة بالمؤسسة ككل مما يؤدي حتماً إلى انتشار عملية التعلم التنظيمي في المؤسسة.

هذا بالنسبة للأهمية العامة للتعلم التنظيمي ،أماّ بالنسبة للأهمية التشغيلية فيمكن إيجازها في الآتي: (الساعدي مؤيد نعمة ،94:2013)

- يعزز رأس المال الاجتماعي التنظيمي من خلال التعاون.
- يمكن المنظمة من التكيف للظروف والمتغيرات البيئية داخلية كانت أو خارجية.
- يزيد الإبداع التنظيمي.
- يرفع المستوى المعاشي للعاملين من خلال زيادة عوائدهم.
- كذلك الاستفادة من خبرات الآخرين وتناقلها لتشكل جزءا من مخزونات المنظمة المعرفية.
- له دور كبير في تفعيل الأداء التنظيمي والفاعلية التنظيمية وعملية اتخاذ القرارات من خلال ما يسهم به في دعم مكونات الذاكرة التنظيمية وذلك من خلال نقل ونشر المعرفة في أرجاء المنظمة لتسهم في الأداء التنظيمي عامة.

و الأهمية الاستراتيجية تكمن فيمايلي :(الساعدي مؤيد نعمة ،2013:95 - 96)

ان التعلم التنظيمي يكسب أهمية كبيرة كونه يشكل موردا ضروريا للمنافسة، ولهذا فهو ضرورة استراتيجية وليس خيارا استراتيجيا.

1. يمنح المنظمة القدرة على إعادة هياكلها التنظيمية واستراتيجياتها طبقا للتغير البيئي.
2. يمكن المنظمة من مواجهة حالات اللاتأكد البيئي، اذ تزداد الحاجة للتعلم التنظيمي تبعا لذلك.
3. ان للتعلم التنظيمي أهمية وقيمة تحليلية تنطلق منها المنظمة في صياغة رؤيتها الاستراتيجية بعد التعلم التنظيمي مقدرة جوهرية لها فعل استراتيجي. وبما أن الاقتصاد الجديد هو اقتصاد مشتق من المعرفة وبذلك فهي تشكل عاملا استراتيجيا في خلق ميزة تنافسية مستدامة.

ويتضح مما سبق أهمية التعلم التنظيمي للفرد وذلك من خلال مساعدته في إدراك ذاته وفهم الآخرين وبالتالي التفاعل معهم وتحسين خبرته في الحياة، وكذلك بالنسبة للمؤسسة حيث تصبح قادرة على التعامل بنجاح مع التغير المستمر في بيئتها، إضافة إلى تجاوز الأفكار القديمة، وهذا ما يجعل تلك المؤسسة متعلمة، ما يبرز أهمية الاعتماد على المدخل المعرفي في المؤسسات وضرورة تبنيه لتحقيق النجاح المستمر.

من خلال عرض مفهوم الذاكرة التنظيمية والذي يبرز أهميتها في توفر التعلم التنظيمي، تجدر الإشارة إلى الإجابة على السؤال التالي: **أين يمكن أن تتواجد الذاكرة التنظيمية؟**

و عليه يمكن أن تتواجد الذاكرة التنظيمية في: (نجم عبود نجم ،2005:273_274)

1/الأفراد: وهم أصحاب الذاكرة الفعالة الذين يوظفون تجاربهم الماضية في الشركة مباشرة ولا يحد من ذلك إلاّ عدم الرغبة في ذلك أو تسربهم من الشركة وكذلك حدود عمل الذاكرة في حالة عدم تنظيم أو توثيق ما يعلمه الفرد.

2/ثقافة الشركة: التي تضم كل المعتقدات والقيم والطقوس والشعائر والقصص التي تمثل ذاكرة الشركة اللارسمية وخصائص شخصيتها، وهذه الثقافة مع خبرات الأفراد يشكلان المعرفة الضمنية للشركة.

3/المعرفة الصريحة المسجلة في الشركة: وهي التي توجد في وثائق وسجلات الشركة وقواعد بياناتها وبرمجياتها، كما توجد في استراتيجياتها وسياساتها وقواعد وأدلة العمل وغيرها. ويعتبر هذا الجزء هو الأكثر استخداما وتزداد قيمته كلما كانت المؤسسة تهتم بالتوثيق وتسجيل كل التجارب، إضافة إلى استخدام تكنولوجيا المعلومات التي تسهل الوصول إلى المعلومات الموثقة ومن ثمّ الوصول إليها واسترجاعها. بعد عرض تموقع الذاكرة التنظيمية في المؤسسة، تجدر الإشارة إلى كيفية تجسيدها في المؤسسة.

و عليه يمكن عرض طريقة الاستفادة منها في المؤسسة في الآتي: (نجم عبود نجم ،2005:275 - 2 76)

1/التوثيق الفعّال لتجارب وخبرات المؤسسة الذي يساعد على تطوير ذاكرتها التنظيمية.

2/المحافظة على أفرادها الأساسيين بما يجعل الخصائص الحية لهذه الذاكرة مستمرة ومتواصلة، وفي حالة اضطرارها للتخلي عن البعض منهم عليها أن توثق معرفتها حتى لو اضطرت لشرائها.

3/تحسين عملية الوصول لمعرفة الشركة، وهذا يمكن أن يتم باستخدام تكنولوجيا المعلومات التي تحسن الوصول لهذه المعرفة، كما يمكن تشجيع تقاسم المعرفة بين أفراد المؤسسة.

4/خرطنة معرفة الشركة: بمعنى العملية المنظمة التي تحدد من يعرف وماذا يعرف في الشركة لتكون مرشدة لمن يحتاج للمعرفة ليجدها في المكان الملائم وفي الوقت الملائم ولدى الشخص الملائم.

5/تحويل المعرفة الضمنية إلى معرفة صريحة أو رأس المال المعرفي إلى رأس مال هيكلي، وضرورة الاهتمام ببرامج تنمية وتحسين ولاء العاملين للشركة واستمرارهم فيها، وذلك للاستفادة من معارفهم.

فإذا توفرت هذه المؤشرات في المؤسسة فهذا يعني حتما وجود ذاكرة تنظيمية في المؤسسة، فلهذا على المؤسسات المتعلمة أخذ بعين الاعتبار هذه المؤشرات والحرص الدائم على تنفيذها.

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والأهمية النسبية لعملية حفظ المعلومات:

العبارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الممارسة	الترتيب
تقوم المؤسسة بتسجيل الدروس المقدمة أثناء التدريب.	3,39	0,94	متوسطة	3
يتم تسجيل التجارب الناجحة التي مرت بها المؤسسة.	2,74	1,20	متوسطة	4
يتم تسجيل التجارب المخفقة التي مرت بها المؤسسة.	2,50	1,11	منخفضة	6
يتم اللجوء للتجارب المسجلة في حالة محاولة إيجاد حل لمشكلة معينة.	2,68	1,16	متوسطة	5
يتم تكييف أنظمة وبرامج الحاسب الآلي لجمع وترميز وحفظ وتوصيل المعلومات بأفضل الطرق التي تلبي احتياجات العاملين.	3,57	0,90	مرتفعة	2
تحتفظ المؤسسة بسجلات ومعلومات متجددة عن العاملين والتدريب الذي حصلوا عليه.	3,84	0,44	مرتفعة	1
المتوسط العام	**3,12**	**1,30**	**متوسطة**	

تشير الشواهد الإحصائية الواردة في الجدول أعلاه بأن العبارة " **تحتفظ المؤسسة بسجلات ومعلومات متجددة عن العاملين والتدريب الذي حصلوا عليه."** احتلّت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي 3,84 وانحراف معياري 0,44 بدرجة مرتفعة، وهذا ما يعني أنّ عملية توثيق المعلومات في مؤسسة **"أرسيلور ميتال"** متوفرة وهذا ما تمّ ملاحظته فعلاً من خلال المقابلات التي أجريت مع رئيسة مصلحة التكوين والمكلف بتنظيم البرامج التكوينية ،كما تمّ الاطلاع على البعض منها من طرف الباحثة، وكانت عبارة عن ملخصات لمضامين البرامج التكوينية في شكل كتيبات، إضافةً إلى المعلومات الخاصة بالمتكونين في شكل ملفات في الحاسوب . وتليها العبارة **"يتم تكييف أنظمة وبرامج الحاسب الآلي لجمع وترميز وحفظ وتوصيل المعلومات بأفضل الطرق التي تلبي احتياجات العاملين."** في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي 3,57 وانحراف معياري 0,90 بدرجة توفر مرتفعة وهذا ما تمّ كذلك ملاحظته من خلال الحضور الشخصي للباحثة مع بعض المسؤولين أثناء ملء الاستمارات وهذا يدل على توفر وسائل التكنولوجيا واستخدامها بشكل جيّد، وهذا ما يعزز بدوره الذاكرة التنظيمية في المؤسسة.

و تليها في المرتبة الثالثة العبارة " **تقوم المؤسسة بتسجيل الدروس المقدمة أثناء التدريب.**"بمستوى حسابي 3,39 وانحراف معياري 0,94 بدرجة متوسطة، وهذا لأن أغلبية الأفراد المكونين ليسوا على دراية تامة بما تقوم به مصلحة التكوين باستثناء البعض لأنه تمّ ملاحظة بعض الدروس المقدّمة أثناء التكوين من طرف الباحثة موجودة في مصلحة التكوين، كما أنّه تمّ البدء في تنفيذ مخطط فتح مكتبة إلكترونية في المؤسسة تتضمن محتويات التكوين وتقارير البحوث وكذلك نسخ من مختلف الرسائل والمذكرات الجامعية _حسب ما أدلت به رئيسة مصلحة التكوين_.

وتليها في المرتبة الرابعة والخامسة العبارتين "**يتم تسجيل التجارب الناجحة التي مرت بها المؤسسة**"و "**يتم اللجوء للتجارب المسجلة في حالة محاولة إيجاد حل لمشكلة معينة.**" على التوالي بمتوسط حسابي 2,74 و2,68 وانحراف معياري 1.20 و1,16 على التوالي بدرجة متوسطة. وتليها في الأخير العبارة " **يتم تسجيل التجارب المخفقة التي مرت بها المؤسسة.**" بمتوسط حسابي 2.50 وانحراف معياري 1,11 وهذا يدل على درجة توفر منخفضة، ويُفسّر بأنّ الخطأ أو التجارب الفاشلة في مؤسسة "**أرسيلور ميتال**" لم يتم توثيقها، فثقافة التعلم من الخطأ فيها تعتبر شبه غائبة.

و من تحليل العبارات السابقة نجد أنّ المتوسط الحسابي العام لهذا البعد بلغ 3.13 وانجراف معياري 1,30 وهذا يعني أن عملية حفظ المعلومات في المؤسسة قد حققت توفر بدرجة متوسطة.

مناقشة الفرضية :

لاختيار الفرضية التي تمّ طرحها، قامت الباحثة بجمع البيانات وتحليلها بالاعتماد على مجموعة من الأساليب الإحصائية وذلك باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية **spss**. والجدول التالي يوضح نتائج اختبار الفرضية:

جدول يوضح نتائج اختبار الفرضية:

من إعداد الباحثة اعتمادا على مخرجات spss

البعد	معامل الارتباط	معامل التفسير	احصاءة فيشر	مستوى الدلالة	القرار
حفظ المعلومات	0,634	40,2	7,930	0,000	نقبل الفرضية

تشير نتائج الجدول إلى أنّ قيمة معامل الارتباط (R) بين عملية حفظ المعلومات وبين التعلم التنظيمي بلغت **0,634**، وتعدّ هذه العلاقة قوية موجبة وذات دلالة إحصائية عند مستوى معنوية 0,05، أمّا قيمة معامل التفسير (R^2) فقد بلغت 40,2%، وبهذا يمكن القول أنّ مانسبته 40,2 % من التغيرات التي تطرأ على التعلم التنظيمي في مؤسسة أرسيلور ميتال تفسرها عملية **حفظ المعلومات**.

و عليه يتم قبول الفرضية التي تنص على: **يوجد تأثير ذو دلالة إحصائية لعملية حفظ المعلومات في توفر التعلم التنظيمي في مؤسسة أرسيلور ميتال.**

نتائج البحث:

يتضح من خلال النتائج المتحصل عليها أنّ:

- أنّ عملية التوثيق في المؤسسة متوفرة بدرجة مرتفعة سواء في جانب المعلومات الشخصية للمتكونين أو في جانب محتوى التكوين والدروس المقدّمة، إلاّ أنّه يلاحظ غياب الإعلام لأنّ ليس كل أفراد العيّنة على علم بتوثيق الدروس، وهذا هو النقص الملاحظ في المؤسسة لأنه من المفروض تقديم نسخة من الدروس لكل متكون.
- تعتمد مؤسسة "**أرسيلور ميتال**" على أنظمة وبرامج الحاسب الآلي واستغلالها في توصيل المعلومات إلى كافة العمال الشبكة الداخلية "**الأنترانات**" مما يؤكد توفر وسائل التكنولوجيا الحديثة فيها.
- عملية تسجيل التجارب الناجحة واللجوء إليها عند الحاجة متوفرة بدرجة متوسطة، مع العلم أنّها تعتبر مؤشراً مهماً على توفر التعلم التنظيمي في المؤسسة.
- عدم الوعي الكافي بنمط التعلم من الفشل والأخطاء، ذلك أنّه يلاحظ عدم تسجيل التجارب المخفقة للاستفادة منها .

- عموماً عملية حفظ المعلومات في مؤسسة **"أرسيلور ميتال"** حققت توفراً متوسطاً.
- كما أثبتت نتائج الدراسة صحة الفرضية المطروحة وأنّه فعلاً هناك تأثيراً ذو دلالة احصائية بين حفظ المعلومات وتوفر التعلم التنظيمي .

خاتمة:

أصبحت النظرة للمؤسسات اليوم تختلف عن قبل، خاصة مع التغيرات المستمرة التي تطرأ على المحيط الخارجي ومع العولمة والتحدي التكنولوجي وعصر المعلومات، أصبح من الضروري مواكبة تلك التغيرات وضرورة التكيف معها، هذا ما أدّى بالمؤسسات إلى ضرورة تبني مفهوم التعلم التنظيمي وممارسته والحث على الاهتمام بالجانب المعرفي وتحسينه .و ذلك يبدو من خلال الأهمية البالغة للتعلم التنظيمي التي ذكرت سابقاً، فبهذا أصبحت عملية التعلم التنظيمي سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة أو على المستوى التنظيم ككل ضرورية للمؤسسة، فلم تبق المؤسسات مقتصرة على طرق تقليدية وروتينية فقط بل أدركت ضرورة الجانب المعرفي وضرورة تعلمها ،حيث أيقنت بأنه كما يتعلم الأفراد فإن المؤسسة كذلك تتعلم، إضافة إلى زيادة الوعي بعملية التوثيق لمختلف التجارب التي تمر بها المؤسسة سواء كانت ناجحة أو فاشلة، مع ضرورة توفر وسائل التكنولوجية الحديثة وحسن استغلالها وكل هذا يعزز من الذاكرة التنظيمية في المؤسسة، التي تعتبر مؤشراً دالاً على توفر التعلم التنظيمي المفهوم المهيمن حالياً في ظل عصر المعرفة والمؤسسات المتعلمة.

المراجـع :

1. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي(2004): معجم مصطلحات عصر العولمة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1.
2. الساعدي مؤيد نعمة(2013): مدخل في فلسفة التعلم التنظيمي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان.
3. جبران مسعود جبران مسعود(2003): الرائد معجم ألفبائي في اللغة والأعلام، دار العلم للملايين، بيروت.
4. جرجس ميشال جرجس(2005): معجم مصطلحات التربية والتعليم، دار النهضة العربية، بيروت، ط1.
5. حسن أحمد الطعاني (2002): التدريب مفهومه وفعاليته، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1 .
6. خضير كاظم محمود الفريجات، وآخرون(2009): السلوك التنظيمي، مفاهيم معاصرة، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 .
7. رفعت عبد الحليم الفاعوري(2005): إدارة الإبداع التنظيمي، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، المملكة الأردنية الهاشمية، مصر:.
8. طارق حسن محمد الأمين(2006): التعلم التنظيمي وتقويم الأداء في مراكز خدمة مراجعي المؤسسات العامة الخدمية (نموذج مقترح)، دورية الإدارة العامة، المجلد السادس والأربعون، العدد الثاني، الرياض.
9. محمد حافظ حجازي(2005): إدارة الموارد البشرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
10.ناديا حبيب أيوب (2004): دور ممارسة التعلم التنظيمي في مساندة التغيير الاستراتيجي في المنشآت السعودية الكبرى، دورية الإدارة العامة، المجلد الرابع والأربعون، العدد الأول، الرياض.
11.نجم عبود نجم (2005): إدارة المعرفة، المفاهيم والاستراتيجيات والعمليات، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1.

12. Stephen Robbins , Kimothy Judge (2006): comportements organisationnels , Pearson Education , 12e édition, France .

13. Robert le Duf (1999) : encyclopédie de la gestion et du management, édition Dalloz .

14 . Henri Mahé de boislandelle (2000):dictionnaire de gestion , édition economica, paris.

15. Sandrine Fenez-Walch François Romon (2008):Dictionnaire du management de l'innovation, vuibert, paris, .

أحكام المسؤولية المدنية للطبيب المختص باستخدام التقنيات الطبية المنظمة للإنجاب -وفق التشريع الطبي الجزائري –

أ.شايفة بديعة - د برايك الطاهر
جامعة الأغواط

الملخص : لاشك أن التطور الطبي وما لازمه من مخاطر أدت إلى زيادة طبيعية في عدد الأعمال الطبية الضارة رافقتها في ذات الوقت زيادة ملحوظة في عدد دعاوى المسؤولية المرفوعة أمام القضاء للمطالبة بالتعويض عما نتج عنها من أضرار، وقد ساهم في ذلك زيادة الوعي العام لدى المرضى بحيث لم يعد هؤلاء يقنعون بإلقاء ما يصيبهم نتيجة العمل الطبي على القدر وحده وإنما يرجعونه في الكثير من الحالات إلى خطأ من قبل الطبيب القائم به هذا ما يفسر لنا أن الطبيب مسؤولا اتجاه المريض الذي يرغب في تنظيم الإنجاب.

فمن هذا المنطلق تهدف هذه الورقة القانونية إلى تبيان أحكام مسؤولية الطبيب المدنية المختص باستخدام الوسائل الطبية الحديثة لتنظيم الإنجاب سواء كانت عقدية أو تقصيرية ،التي تقتضي من المريض المضرور وفقاً للقواعد العامة في المسؤولية أن يثبت عناصر هذه المسؤولية من خطأ وضرر والعلاقة السببية ، بتحديد موجبات المسؤولية الطبية كأصل عام ،الموجبة للضمان والتعويض .

الكلمات الافتتاحية :المسؤولية المدنية –الطبيب –تنظيم الإنجاب –قانون الصحة –أخلاقيات مهنة الطب

Abstract : Medical development and the resulting dangers has undoubtedly lead to a natural increase in the number of harmful medical practices, accompanied in the same time by a notable indemnifications this is due to the increase in patients awareness ,as they have become more convinced to impute this fact not to destiny alone ,but ,in a number of cases, to errors made by doctors, which explains the doctor is responsible towards the patient who desires control birth .

Key words: civil responsibility - doctor - regulation of reproduction - law health - ethics of the medical profession

المقدمة :ي عتبر موضوع وقضية منع الإنجاب أو تنظيمه من المسائل القديمة المتجددة التي تطرح على بساط البحث والتي شغلت أذهان الناس خاصة المفكرين والفقهاء منهم قديما ومعاصرا ، وقد كانت محل خلاف بينهم شأنها في هذا الشأن كل قضية يتغير الحكم فيها بما يكتنفها من اعتبارات ترجع في الأصل إلى مصلحة أو مفسدة قد يوجبها وضع أو ظرف معين ،لأن مسوغات تنظيم الإنجاب ومنع الحمل عند العلماء المبيحين له، لا تخرج عن الخوف على الأم من وقوع ضرر بها، أو نزول حرج عند تربيتها للأولاد، أو خوف على الرضيع من حمل جديد ،فلا يمكن اعتبار "تنظيم الإنجاب" قطع أصل النسل حتى يقال أنه بقطع النسل ينتفي مقصد الزواج الأصلي؛ بل إن حقيقته هي ضبط وتنظيم وتباعد بين الولادات، لا تحديد للعدد الذي يجب على الأسرة إنجابه من الأطفال، وليس تعقيما يراد به منع إيجاد النسل بالكلية، وإلاَّ كيف أباح المصطفى صلى الله عليه وسلم العزل الذي يعتبر مرجعا لفكرة تنظيم الإنجاب ، وناقش قضاياه مع الصحابة رضوان الله عليهم[1].

فالضرورات الداعية لطرح فكرة ضبط الإنجاب لم تدع لتحديد أو منع الحمل الدائم وهدم مقصد إيجاد النسل؛ بل أنها دعت لرفع الحرج على بعض الأفراد مصداقا لقوله تعالى: **((يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر))** (البقرة:185)، وقوله أيضا: **(وما جعل عليكم في الدين من حرج)** (الحج: 78)، فحقيقة "تنظيم الإنجاب " أنها مقيدة بشروط وضوابط حددّها الفقهاء، وليس لأي كان الخروج عما قيدت به.

---

[1]-فريدة صادق زوزو ،الحكم الشرعي لتنظيم النسل، موقع المختار الإسلامي ، mail@islamselect.com

لهذا إن الطبيب المختص القائم بعملية تنظيم الإنجاب ملزم بتطبيق الأحكام الشرعية والقانونية التي تحكم العمل الطبي السليم ،والعمل الذي يحضر عليه الخوض فيه ، لآن اللجوء إلى المنع المؤقت أو المنع الدائم للإنجاب فيه مفاسد كثيرة قد تنعكس على الرجل والمرأة ،ناهيك عن تفويت أسمى هدف للزواج وهو تحصيل النسل والولد الذي طلبه الشارع الحكيم في أكثر من موضع ،كما أن إستخدام الوسائل الحديثة لمنع الإنجاب قد تؤدي إلى مضاعفات كأي عمل طبي لا يخلو من مضاعفات يمكن أن تحصل ،لكن لا يعني هذا تركه لكن الحل هو استخدام العلاج المناسب للحالة المناسبة .

ولعل العلاقة القائمة بين الطبيب والمريض التي تقوم على التعاقد بين الطرفين لبذل مصلحة معينة للمريض "التشخيص أو العلاج "في مقابل أجر ،وأن الزوج أو الزوجة هما في حالة يرغبان في عدم الإنجاب بمساعدة الطبيب المناسبة لمنع الحمل ،حقيقة أن المشكلة تتعلق بحماية النسل ورعايته من الجانب القانوني

فهذا ما يدعون أن **نتساءل عن متى يكون الطبيب القائم بعملية تنظيم الإنجاب مسؤولا وضامنا ؟وإلى أي مدى تتحدد مسؤوليته وفق التشريع الطبي الجزائري ؟**

وللإجابة على إشكالية البحث بإتباع المنهج التحليلي الوصفي ارتأينا تقسيم البحث إلى مبحثين :

المبحث الأول:حكم استعمال الوسائل الحديثة لتنظيم الإنجاب في التشريع الطبي الجزائري

إن حماية النسل ورعايته ما هو إلا حقيقة أقرتها الشريعة الإسلامية منذ أربعة عشر قرنا لا نجد لها نظير في دين أخر،ولم يكن مجرد نظريات ومبادئ ، وإنما هو واقع نراه بأعيننا ونلمسه بأيدنا ، فقد حرص الإسلام على مصالح الخلق ودفع الضرر،لذا أجاز تنظيم الإنجاب بالمنع المؤقت لأسباب معينة وحرم القطع الدائم للحمل .

فما حكم ذلك من الناحية القانونية ؟ قبل التفصيل لابد أن نعرف تنظيم الإنجاب ووسائلها وتحديدها ليتضح المقال.

المطلب الأول:مفهوم عملية تنظيم الإنجاب:حتى نحدد مفهوم عملية تنظيم الإنجاب لابد من تعريف تنظيم الإنجاب وتحديد صورها والوسائل الطبية المستخدمة لتنظيم الإنجاب التي يستخدمها الطبيب المختص.

الفرع الأول:المقصود بتنظيم الإنجاب : نعني بتنظيم الإنجاب تحديد الفترة الزمنية بين كلّ حمل وحمل من خلال وسائل معيّنة، بنحو لا يُعارض إرادة الإكثار من الإنجاب والرغبة في طلب الولد،فهو قيام الزوج والزوجة بتشخيص ما هو المناسب لهما في تنظيم فترات الحمل بين الأطفال كإنجاب طفل كلّ خمس سنوات، أو تحديد الأطفال المراد إنجابهم بعدد معيّن كطفلين مثلاً، انطلاقاً من الأسباب المختلفة ،فتنظيم الأسرة هو حالة فردية متعلّقة بكلّ أسرة ، لذا تختلف من أسرة إلى أخرى في نفس المجتمع الواحد ،من هذا المنطلق قد تتخذ فكرة تنظيم الإنجاب صورتين فيما تتمثلان ؟

الفرع الثاني:صور تنظيم الإنجاب:يتخذ تنظيم الإنجاب صورتين فقد يكون تنظيم للإنجاب بصفة مؤقتة وقد يكون بقطع للحمل دائم .

أولا :التنظيم المؤقت للإنجاب :هو تنظيم لفترة زمنية معينة بين كل حمل وحمل من خلال وسائل طبية معينة، بحيث لا تتعارض رغبة الزوجين في طلب الولد مع إرادة الإكثار من الإنجاب.

تتنوع وسائل منع الإنجاب بصفة مؤقتة إلى تقنيات آلية وأخرى هرمونية [1] :

1-التقنيات الآلية لتنظيم الإنجاب

يقصد بوسائل تنظيم الإنجاب هو كل ما يتم اتخاذه مم من شانه أن يحول دون حصول الحمل [1] ،وهناك عدة وسائل واليات لمنع الإنجاب بصفة مؤقتة من أشهرها :

---

[1]-محمد بن هائل بن غيلان المد حجي ،أحكام النوازل في الإنجاب ،دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ،المجلد الأول ،ط1،(لسنة 2011)،ص 292.

أ-الواقي الذكري لمنع المؤقت للإنجاب:يعتبر من الوسائل ذات نسبة النجاح العالية إذا استخدم بطرقة صحيحة ولكنه على العكس ربما تسبب في نسبة فشل عالية تصل إلى 10-5% إذا لم يحسن استخدامه[2] ،فلهذا عند استخدام هذه الوسيلة يجب مراعاة أحكام خاصة بذلك.

ب-الواقي الأنثوي: تمتاز هذه الطريقة لكونها من أفضل الطرق لمنع الحمل لكن تعتبر العملية معقدة نوعا معا وغير شائعة لوجود موانع حمل أسهل منها في الاستعمال[3].

ج-التحاميل المهبلية :هي عبارة عن مستحضرات كيميائية قاتلة للحيوانات المنوية، وتعتبر أكثر المانعات الحمل سهولة الاستعمال[4] ،ونسبة الفشل في هذه التحاميل عالية ،ولذا يستحسن استعمال موانع أخرى .[5]

د- اللولب :هو ألة صغيرة مصنوعة من البلاستيك أو من البلاستيك مع النحاس، يوضع داخل تجويف الرحم لمدة تتراوح[6] مابين 3-5سنوات، ولها عدة أشكال، وتستدل المرأة على وجوده بواسطة خيط في طرفه بارز من عنق الرحم[7] ،ومن أهم مميزات اللولب أنه لا يسبب حدوث تغيرات هرمونية في جسم المرأة وأنه يعتبر من أكثر الوسائل الفعالة في منع الإنجاب بحيث تصل نسبة فاعليته إلى 94% وخصوصا لمن سبق لهن الإنجاب والطبيب يتدخل لإزالته متى شاءت المرأة[8].

2-**الأدوية الهرمونية المنظمة للإنجاب بصفة مؤقتة** :توجد العديد من الأدوية الهرمونية التي تمنع الإنجاب بصفة مؤقتة وأهمها حبوب منع الحمل ،والحقن الهرمونية طويلة الأجل ،وجهاز منع الحمل الذي يزرع تحت الجلد (النوروبلانت)وجهاز منع الحمل الذي يوضع في الرحم "ميرينا".كما توجد لاصق الساعد المانع للحمل وأساور وبخاخات الأنفية .

قد بحث الأطباء على أدوية تعطى للرجال بدلا من النساء،لأنهن قد تصبن ببعض الأمراض التي تمنعهن من استعمال أقراص منع الحمل،فقد ذكرت إحدى المجلات عام 1971ان التجارب قد توصلت لإنتاج حبة اسمها (مستولون)تعطى للرجل لتمنع الحمل عن زوجته لكن قد تبين أن هذه الأدوية تؤدي إلى عواقب وخيمة مثل التسمم أو الموت ،كما وجدت الحقن الهرمونية طويلة الأجل للرجال.[9]

---

[1]-أم كلثوم يحي مصطفى الخطيب، قضية تحديد النسل في الشريعة الإسلامية، الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ط2، (1982م)، ص 127

[2] وفاء منذر رضا، كيف تختارين برنامج تنظيم الأسرة، مكتبة المجتمع العربي للنشر، ط1، لسنة (2005)، ص (17-18-154-156).

[3]-أم كلثوم الخطيب، قضية تحديد النسل، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، (1982)، ص 135.

[4]-علي محمد البار، مشكلة الإجهاض، الدار السعودية للنشر و التوزيع، جدة، ط2، ص 245-250.

[5]-منى الواصف ،النوازل المختصة بالمرأة في العبادات وأحكام الآسرة، بدون سنة نشر ،ص 1134 .

[6]-محمد علي البار، المرجع السابق، ص 253-285

[7]-محي الدين ألعلبي، تطور الجنين وصحة الحامل، دار ابن كثير، دمشق / بيروت، ط3، (1990)، ص 327

[8]-ضياء الدين مطاوع ،المستجدات البيوتكنولوجي، وضوابطها الأخلاقية ،مكتبة التربية العربي لدول الخليج ،الرياض ،(2004)، ص 193

[9]- محمد خالد منصور، الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، (1999)، ص 66

ثانيا :تنظيم الإنجاب بصفة دائمة :يراد بالتنظيم الإنجاب بصفة دائمة"بالتعقيم"الذي يعرف بأنه التأثير على الجهاز التناسلي للرجل أو المرأة ليفقد صلاحية الإنجاب[1] ،أو انه معالجة احد الزوجين أو كلاهما لمنع الإنجاب بصفة دائمة[2] ، ويعتبر التعقيم من أكثر الوسائل شيوعا في العالم لمنع الإنجاب حيث تصل نسبته إلى 29% من مجموع الوسائل المستخدمة[3] .

وكما هناك علاقة بين الخصاء وتقنيات تنظيم الإنجاب بصفة دائمة لأن الخصاء بنزع خصيتي الرجل يؤدي إلى فقد القدرة على الإنجاب وفقد الكثير من صفات الرجولة والقوة ،فقد يشترك الخصاء والتعقيم في منع الإنجاب بصفة كلية ودائمة مع الاحتفاظ بكل وسيلة على أثارها الجانبية ومضاعفاتها[4].

إن مسالة الخصاء والتعقيم تختلف باختلاف مبرراتها فيما إذا كانت لدواعي مرضية أو لعدم الرغبة في الإنجاب، أو لاستجابة لأمر الدولة بتحديد النسل ،لأن اختلاف الاعتبارات تختلف معه حكمها الشرعي بالجواز أو التحريم أو الإكراه أو الجواز بشروط فهذا فيه قول كثير من الناحية الشرعية، لكن ما يهمنا هو الناحية القانونية لمسالة تنظيم الإنجاب في التشريع الجزائري الخاص ، وهذا الاستخدام للتقنيات الطبية المساعدة على تنظيم الإنجاب يعتبر من الأعمال الطبية التي يقوم بها الطبيب الذي ملزم باحترام التعاليم المهنية المنصوص عليها في القانون .

إذا ما هو الأساس القانوني لاستخدام هذه التقنيات ؟

المطلب الثاني: الأساس القانوني لتنظيم الإنجاب في القانون الجزائري

لقد أشار المشرع الجزائري صراحة في القانون رقم 05/85 المتعلق بحماية الصحة وترقيتها[5] ،على أن يكون تباعد فترات الحمل موضوع برنامج وطني يرمي إلى ضمان توازن عائلي منسجم ويحفظ حياة الأم والطفل وصحتهما[6] ،لكن لم يكن تنفيذ برنامج الذي أشارت إليه المادة 70سالفا قانونا عاما يلزم الأسرة الجزائرية بوجوب تنظيم النسل أو تحديده ،وإنما يكون تنفيذه بطريقة ضمنية ،من خلال وضع وسائل ملائمة تحت تصرف السكان لتنفيذ البرنامج الوطني في مجال تباعد فترات الحمل وذلك بتوفير الوسائل المساعدة على منع المؤقت للحمل والترويج له[7] ، فهذا ما يدل على أن القانون الجزائري يقر صراحة بتنظيم الإنجاب بصفة مؤقتة كتدابير لازمة للحماية الصحية التي تستفيد منها الأسر وذلك للحفاظ على سلامة

---

[1]- العبد خليل أبو عيد، منع الحمل بالتعقيم وبالوسائل المؤقتة في الفقه الإسلامي، مجلة الدراسات، الجامعة الأردنية، العدد 7، 187، المجلد 14، ص 188.

[2] - الاتحاد الإسلامي لتنظيم الو الدية ،تنظيم الأسرة في المجتمع الإسلامي ،ملحق بالعدد الخامس من مجلة مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي ،ص (205/1)، ضياء الدين مطاوع ،المستحدثات البيوتكنولوجي ،المرجع السابق ، ص 226.

[3]- ثم تأتي الوسائل المستخدمة داخل الرحم والسدادات المهبلية وغيرها من الوسائل المشابهة بنسبة 21%،ثم أقراص منع الحمل بنسبة 14% ثم الواقي الذكري بنسبة 9% ثم أسلوب العزل ونسبته 7% انظر تقرير عن منظمة الصحة العالمية لعام 1994نقلا عن قضايا المرأة في المؤتمرات الدولية لفؤاد العبد الكريم ص 498.

[4] - محمد هائل بن غيلان المد حجي، المرجع السابق، ص 343

[5]- القانون رقم 05/85المعدل والمتمم بالقانون رقم 90-17 مؤرخ في 31 جويلية 1990، منشور في: ج. ر.، عدد 35 لسنة 1990

[6]-انظر المادة 68من القانون رقم 05/85، المرجع السابق، ص 182.

[7]-انظر المادة 71من القانون رقم 05/85، المرجع السابق، ص 182.

أفرادها وتوازنهم النفسي والعاطفي وترقية ذلك [1] ، وهو واقع ملموس في المجتمع الجزائري فكل الوسائل المساعدة على منع الحمل المؤقت متاحة ومعروضة في الصيدليات والمستشفيات وموجودة بالعيادات الخاصة .

وقد اعتبر الإجهاض لغرض علاجي إجراء ضروري لإنقاذ حياة الأم من الخطر أو للحفاظ على توازنها الفيزيولوجي والعقلي المهدد بخطر بالغ [2] ، فالإجهاض مسالة خاصة يحددها الطبيب وبالتالي فالمشرع قد اخذ بنظام التنظيم المؤقت للإنجاب قصد تنظيم الأسر وحماية الأسرة الجزائرية وما أكده تعديله لنص المادة 36من قانون الأسرة الجزائرية في فقرتها الرابعة والتي جاء فيها "...التشاور في تسيير شؤون الأسرة وتباعد الولادات "،فأصبح تسيير شؤون الأسرة في تباعد الولادات من حقوق وواجبات كلا الزوجين فلهم الحرية التامة في ذلك ، وبهذا يكون المشرع الجزائري قد ساير مجمع الفقه الإسلامي الرامي إلى إباحة تنظيم النسل وعدم تحديده ،بإصدار قانون عام يحد من حرية الزوجين في الإنجاب لان المسالة متعلقة بمقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية .

أما بالنسبة للقطع الإرادي للحمل فقد تطرق له المشرع صراحة في قانون العقوبات في الفصل الثاني بعنوان "الجنايات والجنح ضد الأسرة والآداب العامة "،في القسم الأول تحت عنوان "الإجهاض " بالمواد من 304الى 313،كما أن المشرع الجزائري ساير قول المالكية والإمام الغزالي واعتبر أن مجال إجهاض الحمل "قطع الحمل" يكون في الفترة مابين الإخصاب وبداية الولادة ،وقبل هذه الفترة أو بعدها فلا يتحقق الإجهاض ،كما انه افرد مادة خاصة بمعاقبة المرأة الحامل التي تقدم على إجهاض نفسها أو تمكين الغير من فعل ذلك أو استعمال الوسائل التي توصف لها لذات الغرض وهذا بموجب المادة 309من ق ع ج .

ومن زاوية أخرى فقد عمل بقاعدة الضرورة الموجبة لإسقاط الحمل وقطعه المعمول به في الفقه الإسلامي وهذا بالمادة 308من قانون العقوبات الجزائري التي تنص على انه: "لا عقوبة على إجهاض إذا استوجبته ضرورة إنقاذ حياة الأم من الخطر متى أجراه طبيب أو جراح في غير خفاء وبعد إبلاغه السلطة الإدارية"

وأكد ذلك بنص الماد 72 من القانون المتعلق بحماية الصحة وترقيتها، إذا تم الإجهاض لغرض علاجي استجوبته ضرورة إنقاذ حياة الأم من الخطر ،على أن يتم في هيكل متخصص، كما جاء في نص المادة 33من المرسوم التنفيذي رقم 276/92الذي يتضمن مدونة أخلاقيات الطب الصادرة ج ر ع 52، الموافق 8 يوليو 1992: « **بأنه لا يجوز للطبيب أن يجري عملية قطع الحمل إلا حسب الشروط المنصوص عليها في هذا القانون** »، كما انه لم يشر صراحة إلى قطع الحمل الإرادي من الزوجين خاصة إذا كان لهما أسباب قوية مبررة كالخشية من أمراض وراثية تصيب أولادهما فهذا ما يستلزم النظر في حكم الشرع وفصل المشرع الجزائري فيه لأنه أصبح مطلب الأطباء وبعض العائلات التي تعاني من الأمراض الوراثية . فقد اتفق أهل العلم والقانون على عدم جواز منع الحمل بشكل نهائي باستئصال القدرة على الإنجاب سواء كان بنص قانون عام أو بوضع نظام يفرض على الزوجين تحديد النسل ،كما انه لا يجوز للرجل والمرأة اتخاذ إجراء يمنع

---

[1]-انظر المادة 67 من القانون رقم 05/58 المرجع السابق، ص 182.

[2]- تنص المادة 72على انه :"يعد الإجهاض لغرض علاجي ضروريا لإنقاذ حياة الأم من الخطر او الحفاظ على توازنها الفزيولوجي والعقلي المهدد بخطر بالغ .يتم الإجهاض في هيكل متخصص بعد فحص طبي يجري بمعية طبيب اختصاصي

الإنجاب بشكل نهائي إلا أذا دعت الضرورة إلى ذلك ،كما إذا قرر الطبيب ذلك خوفا على حياة المرأة ،وهذا ما قرره مجلس مجمع الفقه الإسلامي [1] ، وبنص القانون الجزائري مثل ما تقدمنا به سالفا .

ولان أهمية الحديث عن تنظيم الإنجاب تتعلق بمقصد شرعي وهو حفظ النسل فان المسالة تحسم بتقرير من الأطباء المسلمين الذين يوثق بهم من جهة ،ومن جهة أخرى الطبيب ملتزم بواجبه المهني اتجاه المريض بحكم العقد الطبي المبرم بين الطرفين، فان أي إخلال بأحكام العقد بينهما يوجب المتابعة والمسؤولية .

فمتى تقوم مسؤولية الطبيب المختص باستخدام الوسائل الحديثة لتنظيم الإنجاب وما مدى مسؤوليته ؟

المبحث الثاني :قيام المسؤولية المدنية للطبيب المختص بعملية تنظيم الإنجاب في التشريع الطبي الجزائري

لاشك أن التكنولوجيا الطبية الحديثة وما لازمها من مخاطر أدت إلى زيادة طبيعية في عدد التدخلات الطبية الضارة رافقتها في ذات الوقت زيادة ملحوظة في عدد دعاوى المسؤولية المرفوعة أمام القضاء للمطالبة بالتعويض عما نتج عنها من أضرار وقد ساهم في ذلك زيادة الوعي العام لدى المرضى بحيث لم يعد هؤلاء يقنعون بإلقاء ما يصيبهم نتيجة العمل الطبي على القدر وحده وإنما يرجعونه في الكثير من الحالات إلى خطأ من قبل الطبيب القائم به من ناحية أخرى.

هذا ما يفسر أن الطبيب مسؤولا اتجاه المريض الذي يرغب في تنظيم الإنجاب بقيام مسؤولية الطبيب المدنية سواء كانت عقدية أو تقصيرية ، هذا ما يقتضي من المريض المضرور وفقاً للقواعد العامة في المسؤولية أن يثبت عناصر هذه المسؤولية من خطأ وضرر وعلاقة السببية ، لكن قبل ذلك يتوجب تحديد موجبات المسؤولية الطبية كأصل عام.

المطلب الأول :موجبات المسؤولية الطبية كأصل عام

أن المسؤولية الطبية قسمان أحدهما سلوكي أدبي والآخر مهني عملي، وإن موجبات الخطأ في كل منهما متعددة ومختلفة فيمكن شرحها فيما يلي :

الفرع الأول :موجبات المسؤولية الطبية الأخلاقية

يعتبر الطبيب مسؤولاً عن الضرر الحادث للمريض من الناحية السلوكية إذا أخل بالالتزامات الأدبية التي يفرضها العقد مع المريض، ولقد أشرنا إلى هذه الالتزامات التي تشمل الصدق والوفاء بالعقد والنصيحة وحفظ السر وحفظ العورة[2] .

الفرع الثاني : موجبات المسؤولية الطبية المهنية:تتعلق موجبات المسؤولية في هذا الفرع بنفس المهنة الطبية، وتدور حول ثلاثة محاور هي الجهل والخطأ والتعدي، وتحتاج هذه الموجبات إلى كثير من الضبط والتفصيل، وهذا ما نشير إليه في هذا الصدد :

أولا :عدم إتباع الأصول وأخلاقيات مهنة الطب:وهي مجموع المبادئ والقواعد التي يتعين على الطبيب أن يستلهمها عند ممارسة مهنة الطب [3]،كما يمكن اعتبارها الأصول الثابتة والقواعد المتعارف علها نظريا وعمليا بين الأطباء ، والتي يجب أن يلم بها كل طبيب وقت قيامه بالعمل الطبي والعلوم التي يجب الإلمام بها نوعان : ثابتة ومستجدة ،ويشترط في المستجدة أن تكون صادرة من جهة معتبرة ،كالمدارس الطبية المتخصصة بالأبحاث والدراسات الطبية ،وان يشهد أهل الخبرة بكفاءتها

---

[1]-قرار مجلس المجمع الفقه الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، في دورته الثالثة سنة(1400ه) قرار هيئة كبار العلماء السعودية رقم 42بتاريخ 1496/4/13-قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، التابع للمنظمة المؤتمر الإسلامي، في دورة مؤتمره الخامس بالكويت، من 1-6جمادى الأخر 1409ه الموافق ل10-15/ديسمبر (1988م)

[2]- وسيم فتح الله،الخطأ الطبي مفهومه وأثاره ، مقال منشور بموقع إسلامي **https://saaid.net/tabeeb/65.htm**;

[3]-المادة الأولى من المرسوم التنفيذي رقم 279/92المؤرخ ب 6يوليو 1992، يتضمن مدونة أخلاقيات الطب الصادر، بج ر ع 52، الصادر ب8يوليو (1992).

وصلاحيتها للتطبيق، والأحوال التي يخرج الأطباء ومساعدوهم عن الأصول العلمية إما أن تكون من الجانب النظري أو العملي التطبيقي أو في كليهما .

ثانيا :جناية الطبيب (الخطأ):الأصل في جناية الطبيب أن تكون خطأ لكن هذا لا يعني عدم إمكانية وقوعها عمدا فإذا ثبت القصد والاعتداء إلى الأمر إلى جناية العمد ويتعامل معها القاضي من هذا المنطلق.[1]

أما إذا وقعت الجناية من خطأ الطبيب فقد اتفق فقهاء القانون انه ضامن الطبيب ومتحمل لمسؤولية خطئه .

لكن يجب التميز هنا بين ثلاثة أنواع من الأخطاء :

1-خطا أثناء ممارسة العمل الطبي:كأن تزل يد الطبيب أثناء الفحص أو الجراحة فيضر بالمريض وهذا من الجناية الخطأ ولا علاقة له بخصوص المهنة والحكم هو حكم في جناية الخطأ. [2]

2-خطأ في العمل الطبي لكنه غير جائز في العرف الطبي :إذا كان يخطئ في التشخيص أو العلاج خطأ لا يحتمل النقاش في انه يدل على جهل عظيم بأصول ومبادئ الطب فهنا يؤول الخطأ إلى الجهل بأصول وقواعد وأعراف المهنة الطبية .[3]

3-خطأ في العمل الطبي لكنه جائز في العرف الطبي :وهو يكون ضمن الحدود المعتبرة من جهة التشخيص أو العلاج التي يغلب عليها الظن في الغالب كأن يشخص الطبيب حالة التهاب البنكرياس بالتهاب المرارة فهذا النوع من الأخطاء له خصوصيته، فهناك من لا يحمل الطبيب المسؤولية، وهناك من يحمله المسؤولية في حالة ما إذا وصف دواء وتسبب بأضرار هالكة للمريض وكانت هذه المسالة اختلاف فقهي، أما من جانب القانون فيسأل الطبيب عن كل ضرر يلحق بالمريض ،فحسب نص المادة 239من القانون رقم 17/90:" انه إذا لم يتسبب الخطأ المهني في أي ضرر يكتفي بتطبيق العقوبات التأديبية ".[4]

ثالثا :عدم توفر الإذن الطبي العام والخاص :وفق نص المادة 197من قانون رقم 05/85 أن ممارسة العمل الطبي اليوم لا يمكن ممارستها إلا بعد أن يحصل على ترخيص المزاولة في هذا التخصص من الوزير المكلف بالصحة بناءا على الشروط التالية:

-أن يكون طالب هذه الرخصة حاصلا على أحد الشهادات الجزائرية :دكتوراه في الطب أو جراح أسنان أو صيدلي ،أو شهادة معترف بمعادلتها .

-أن لا يكون مصابا بعاهة أو بعلة منافية لممارسة مهنة الطب.

-أن لا يكون قد تعرض لعقوبة مخلة بالشرف.

-أن يكون يحمل الجنسية الجزائرية ،ويمكن مخالفة هذا الشرط بناءا على إتفاقيات ومعاهدات والإتفاقيات التي أبرمتها الجزائر وبناءا على مقرر يتخذه الوزير المكلف بالصحة [5] .

-زيادة على الشروط السابقة فيجب أن لا يمارس المهنة الطب إلا بالحصول على شهادة الاختصاص الطبي أو شهادة معترف بها معادلة.[6]

---

[1]-وسيم فتح الله، المرجع السابق.

[2]-محمد بن هائل بن غيلان المد حجي، المرجع السابق، ص 392

[3]- رمضان جمال كمال ،مسؤولية الأطباء والجراحين المدنية ،المركز القومي للإصدارات القانونية ،القاهرة ،ط1، (2005) .

[4]-القانون رقم 17/90 المؤرخ في 1990/07/31يعدل ويتمم القانون رقم 05/85المؤرخ في 16فبراير 1985والمتعلق بحماية الصحة وترقيتها الصادر بج ر العدد 35، ،المؤرخ ب15اوت (1990).

[5]-انظر نص المادة 197 من القانون رقم 05/85، المرجع السابق، ص 195.

[6]-انظر نص المادة 198 من القانون رقم 05/85، المرجع السابق، ص 195

فقد اعتبر المشرع الجزائري أن ممارسة الطبيب لمهنة الطب بدون توفره على الشروط المذكورة سالفا يعتبر ممارسة غير شرعية [1]، التي يعاقب عليها الطبيب بعقوبات تأديبية وجزائية ومدنية وهذا وفق نص المادة1/267من القانون رقم 17/90 ،هذا بالنسبة للإذن العام .

أما بالنسبة للإذن الخاص وهو إذن المريض أو وليه إن كان غير أهل للإذن لأنه يخضع كل عمل طبي فيه خطر جدي على المريض ،لموافقة المريض موافقة حرة ومتبصرة أو لموافقة أشخاص المخولين منه أو من القانون ،كما أنه يجب على الطبيب أن يقدم العلاج الضروري إذا كان المريض في خطر أو غير قادر على الإدلاء بموافقته .[2]

وإذا رفض المريض العلاج أن يتقدم بتصريح كتابي بذلك في هذا الشأن [3] ،حتى يخلي الطبيب مسؤوليته من أي ضرر يلحق بالمريض .

المطلب الثاني :أساس المسؤولية المدنية للطبيب المختص

الخطأ الذي يرتكبه الطبيب وهو يمارس نشاطه الطبي، يعد خطأ مهنيا من الدرجة الأولى، كما أن المسؤولية التي تترتب عن هذا الخطأ المهني، هي مسؤولية مهنية، لذلك فإن التقسيم الثنائي-مسؤولية تقصيرية، مسئولية عقدية- لا ينطبق في كثير من الحالات على المسؤولية الطبية،وضف إلى ذلك أن الخطأ المهني يختلف عن الخطأ العقدي الذي يقدر بمعيار موضوعي طبقا لنص المادة 1/172 من القانون المدني الجزائري، بتقدير سلوك المدين ومقارنته بسلوك الرجل العادي لا تكفي معيارا للخطأ المهني ذلك أن المتعامل مع الطبيب، ينتظر منه أكثر مما ينتظر من الشخص العادي ، وأمام ما نلمسه من بعض الفراغات القانونية والإجرائية المتعلقة بالطبيب والمؤسسة الإستشفائية والمريض[4]، والتي يمكن التفريق فيها بين المسئولية بدون خطأ والمسؤولية على أساس الخطأ والخطر في التشريع الجزائري ، وهو ما ذهب إليه المشرع الفرنسي بموجب القانون رقم 2002-303 المتعلق بحقوق المرضى ومستوى النظام الصحي المعدل والمتمم بمقتضى القانون رقم 2002-1577، المتعلق بالمسؤولية المدنية الطبية الذي دعم الأسس التي تضمنها قانون الصحة الفرنسي، ويكتسي هذا القانون طابعا خاصا ومستقلا بحيث لا يمكن للقاضي ؟عملا بأحكامه تطبيق قواعد المسؤولية وفقا للقواعد العامة لأنه لم يشر أبدا إلى المواد 1382و1147 وما يليها من القانون المدني الفرنسي، ولم يؤسس المسؤولية الطبية لا على أساس عقدي ولا على أساس تقصيري؛ بل بناها على أساس قانوني جديد هو **الأساس الشرعي الخاص** لتوفير أكبر حماية ممكنة للمريض أسوة بما توصل إليه القاضي الإداري الفرنسي في باب المسئولية بدون خطأ la responsabilité sans faute منذ عام 1998 والذي يعد خطوة جريئة في مجال القضاء الإداري، أين أدينت مؤسسة استشفائية حتى ولو لم يثبت أي خطأ

---

[1] -أنضر المادة 214من القانون رقم 17/90، المرجع السابق، ص 1125

[2] -المادة 44 من مدونة أخلاقيات الطب .

[3] -المادة 49من مدونة أخلاقيات الطب

[4] - أنظر، أمر وكيل الجمهورية لدى محكمة تلمسان الذي أمر بحفظ الشكوى المتعلقة بقضية الطفل الذي أصيب في عينه أثناء ولادته بالمستشفى الجامعي تلمسان، والذي فقد بصره من جراء هذا العمل ، على أساس الخطأ من جراء هذا العمل ، على أساس أن الخطأ يعد خطا مهنيا لا يجوز متابعة الطبيب عليه، مخالفا بذلك نص المادة 239 من قانون حماية الصحة وترقيتها 05 -85 المعدل .
والمتمم بالقانون رقم 17 -90 الذي يأمر بتطبيق أحكام المادتين 288 و 289 من قانون العقوبات. وقد لجا المتضرر إلى القضاء الإداري الذي ألزم المستشفى بتعويض والد المضرور بمبلغ 350000دج،انظر القرار الصادر عن الغرفة الإدارية بمجلس قضاء تلمسان بتاريخ 2004-05—29،فهرس رقم 04-423،ملف رقم 268/04،قرار غير منشور . قندلي رمضان ،الحق في الصحة في القانون الجزائري دراسة تحليلية ومقاربة ،مقال منشور بمجلة دفاتر السياسة والقانون ،بور قلة ،العدد 06/جانفي (2012)،ص 235

من جانبها،وهو ما كرس صراحة في قرار المحكمة الإدارية للاستئناف بمدينة ليون بتاريخ 1990/12/26 في قضية Gomezثم تبعه قرار مجلس الدولة الفرنسي في قضية Bianchi بتاريخ 1993/04/09[1].

وعليه يمكننا أن نقرر أن المريض المتضرر من خطأ طبيبه المختص الذي يباشر العلاج والذي تعاقد معه مسبقا في عيادته الخاصة على إجراء العمل الطبي العلاجي ليس له سواء الاستناد إلى الأساس التعاقدي دون الأساس التقصيري وعلى المحكمة الناظرة في دعوى المسؤولية الالتزام بذلك الأساس .

المطلب الثالث :حالات قيام المسؤولية المدنية للطبيب المختص باستعمال التقنيات الطبية المنظمة للإنجاب

لاشك أن استعمال التقنيات الطبية المنظمة للإنجاب لا يخلو من أخطار تختلف باختلاف الوسيلة المستعملة،وهذا كأي عمل طبي من شأنه لا يخلو من صعوبات وأخطاء وحوادث يمكن أن تحدث، فقد يفشل الطبيب في علاج المريض وتحقيق غايته وهو تنظيم الإنجاب أو يحدث مضاعفات، فيسأل الطبيب حسب نوع الخطأ أو التعدي أو التفريط الذي أدى إلى مضاعفات أو عدم نجاح العملية .

الفرع الأول:مسؤولية الطبيب عن الفشل الطبي في تنظيم الإنجاب

طبيعة العلاقة بين الطبيب والزوجين تقوم على التعاقد بين الطرفين لبذل مصلحة معينة للمريض في مقابل اجر والمريض (احد الزوجين)رغبتهما من العلاج هو تقديم الوسيلة المناسبة لمنع الحمل لتنظيم الإنجاب ،رغم ارتفاع نسبة نجاح وسائل الحمل لكنها تبقى المسألة غير يقينية الأثر ، فمعنى ذلك أنه بالرغم من استخدام وسائل منع الإنجاب ، قد يحدث إنجاب ،ففي هذه الحالة نسميها بالفشل الطبي **l’échec médical**[2]و هو إجراء طبي، يعني لم يتحقق الهدف المرجو منه، إذا لم تتحسن حالة المريض بل تكون قد أدت خطورة الفشل الطبي في حد ذاته إلى خطأ .

لان الطبيب ملزم ببذل عناية لا بتحقيق نتيجة ما لم يكن هناك تقصير من طرفه أدى إلى هذا الفشل ، لكن بالنسبة لحالة استخدام الوسائل الحديثة لتنظيم الإنجاب لا يمكن أن تترتب المسؤولية التعاقدية على الطبيب في حال فشل الوسائل المستخدمة في منع الإنجاب لأنه يعتبر امرأ غير مقبول ،استنادا لقول الله تعالى **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)**[3] ، **كما قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من كل الماء يكون الولد ،وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء)**[4] ، فمن منطلق النص الشرعي لا يمكن مساءلة الطبيب مدنيا عن مجرد حدوث الإنجاب بالرغم من استخدام الوسائل المانعة.لكن قد تترتب على الطبيب مسؤولية تقصيرية في حالة عدم تبصير الزوجين بنسب الفشل المقدرة علميا لكل وسيلة حتى يتمكن الزوجين من الاختيار ،لان التوجه التعاقدي في علاقة الطبيب بالمريض شدد في كثير من التدخلات الطبية من طبيعة التزام الطبيب[5]، حيث ارتقى التزام الطبيب من بذل عناية إلى التزام بتحقيق نتيجة إلى التزام بالسلامة في كثير من الأحيان[6]،كما انه من واجب الطبيب أن يجتهد لإفادة مريضه بمعلومات واضحة وصادقة بشان أسباب كل عمل

---

[1]-قندلي رمضان ،الحق في الصحة في القانون الجزائري دراسة تحليلية ومقاربة ،مقال منشور بمجلة دفاتر السياسة والقانون ،بور قلة ،العدد 06/جانفي (2012)،ص 235

[2]-سيدهم مختار ،المسؤولية الجزائية للطبيب في ظل التشريع الجزائري ،مداخلة في الملتقى الدولي حول الأخطاء الطبية ،الجزائر،12افريل (2010)

[3]-سورة البقرة، الآية (286)

[4]- محمد بن هائل الغيلان المد حجي، المرجع السابق، ص 413

[5]-**بن صغير مراد :التوجه التعاقدي في العلاقات الطبية**، مقال منشور في:دراسات قانونية، مجلة سداسية، تصدر عن مخبر القانون الخاص الأساسي، العدد 04، جامعة أبو بكر بلقا يد، تلمسان، الجزائر، (2007)، ص 284-287.

[6]-انظر نص المادة 45 من مدونة أخلاقيات الطب « :**يلتزم الطبيب أو جراح الأسنان بمجرد موافقته على أي طلب معالجة بضمان تقديم علاج لمرضاه يتسم بالإخلاص والتفاني والمطابقة لمعطيات العلم الحديثة، والاستعانة عند الضرورة بالزملاء المختصين والمؤهلين.** »

طبي [1]، لان حرية الطبيب مقيدة بضوابط نصت عليها المادة 09 من مدونة أخلاقيات الطب ،التي تعتبر موجبات المسؤولية الطبية التي سبق وان اشرنا إليها .

الفرع الثاني :مسؤولية الطبيب المختص عن حدوث مضاعفات نتيجة استخدام التقنيات الطبية لتنظيم الإنجاب

إن القانون رقم 90-17 المعدل لقانون ترقية الصحة وحمايتها فقد عالج المسؤولية الطبية التي تثار إذا اتضح مثلا عن إهمال ولا مبالاة، ودون إتباع الأصول والمعارف الطبية المتعارف عليها- الأخطاء الطبية- كل هذا في إطار تأسيس عقد طبي ونظام صحي فعال يسمح للمريض من تنفيذ القانون [2]،فهل يمكن مساءلة الطبيب عن المضاعفات التي تحدث عند استخدام الوسائل المنظمة للإنجاب ؟

لابد أولا أن نميز بين المضاعفات الناتجة فيما إذا كانت نتيجة خطأ أو تعد أو تفريط من جانب الطبيب ،وبين ما ليس كذلك[3]، فإذا كان خطأ الطبيب هو المتسبب في المضاعفات فيكون الطبيب مسؤولا عنها ويكون ضامنا لما يترتب عليها من التلف ،في حين إذا لم يتسبب الطبيب في أي خطأ أو إهمال أو رعونة تؤدي إلى حدوث المضاعفات فقد اجمع أهل العلم على أن الطبيب لا يتحمل مسؤوليتها .

فلو طبقنا بالتفصيل على مثال فلنأخذ حبوب منع الحمل وما يحصل عنها من مضاعفات فقد يمكن أن يحدث نزف متقطع أو متواصل قد يلبث وقت قصير ويضمحل أو لا، ناهيك عن بعض الألم في المعدة واحمرار الوجه وتورم الساقين وارتفاع ضغط الدم وقد يتسبب في سكتة قلبية وضعف النظر إلى غير ذلك من المضاعفات [4]، فقد توجد مضاعفات لا يتحمل الطبيب مسؤوليتها لأنها أعراض جانبية قد تحدث أو لا تحدث لكن هناك نوع أخر من الأعراض والمضاعفات ناشئ عن تقصير الطبيب في أخذ التاريخ المرضي للمرأة وإجراء الفحوص اللازمة ومن ذلك :فان تم وصف الطبيب لحبوب الحمل بدون فحوصات وصادف أن كانت المرأة مصابة بضغط الدم أو ارتفاع نسبة الكلسترول في الدم مما أدى إلى حدوث مضاعفات من جراء أخذ حبوب منع الحمل وتعرضت الزوجة إلى سكتة قلبية أو تسبب لها ارتفاع الضغط في أعراض أخرى .

فهذا النوع من المضاعفات يكون الطبيب مسؤولا مسؤولية تقصيرية فيكون ضامنا ، وهكذا يكون التعامل على مضاعفات استخدام التقنيات الطبية الحديثة في تنظيم الإنجاب حسب السبب المؤدي إلى حدوثها ، فان الطبيب طرفا في ذلك يتحمل المسؤولية وتبعاتها .

خاتمة

اقر التشريع الطبي الجزائري في إطار حماية الأمومة والطفولة اتخاذ جميع التدابير الطبية التي تحقق وفق برنامج وطني يهدف إلى تنظيم الإنجاب المؤقت ،وقد وضع وسائل ملائمة تحت تصرف السكان لضمان تنفيذ البرنامج الوطني في مجال تنظيم الإنجاب المؤقت ،في نفس الوقت لا يجوز للطبيب المختص بعملية تنظيم الإنجاب أن يجري عملية تنظيم الإنجاب بصفة دائمة "قطع الحمل " إلا حسب الشروط المنصوص عليها في هذا القانون ،بحيث لا يؤدي البحث إلى نتيجة لا يرضى عنها الدين الإسلامي مثل التعقيم والإجهاض لغير ضرورة إنقاذ حياة الأم والطفل ،لان التزامات الطبيب المختص باستخدام التقنيات الطبية المنظمة للإنجاب ، تجد مصدرها في أعراف المهنة وعاداتها القديمة المتواترة، التي يتم تقنينها بواسطة قواعد أخلاقيات المهنة، ولغياب نصوص قانونية واضحة لتحديد المسؤولية الطبية للطبيب المختص بتنظيم عمليات

---

[1] -المادة 43من مدونة أخلاقيات الطب

[2] - أنظر، قرار المحكمة العليا، غرفة الجنح والمخالفات، مؤرخ في 30-05-1995، ملف رقم: 118720، المجلة القضائية لسنة (1996)، العدد 02،ص 173.

[3] -محمد بن هائل الغيلان المد حجي، المرجع السابق، ص 410

[4] -وفاء المنذر، كيف تختارين برنامج تنظيم الأسرة، ص 78-83

الإنجاب ، ينبني على القول السابق أن مخالفة قاعدة من قواعد أخلاقيات الطب، تمثل إخلالا بالتزام سابق تقوم به المسؤولية المدنية للطبيب، بالإضافة إلى المسؤولية التأديبية أمام الجهات المختصة بالتأديب، مسؤولية مدنية تقتضي الجبر أمام القضاء المدني، باعتبارها تمثل الحد الأدنى من الحيطة والحذر الذي يتعين على الطبيب الالتزام بالإخلاص في مسائل تتعلق بسلامة جسد الإنسان وحياته فما بلك بمقصد شرعي يتعلق بالحفاظ على النسل .

قائمة المراجع

1/القران الكريم

2/النصوص القانونية

-القانون رقم 05/85المعدل والمتمم بالقانون رقم 90-17 مؤرخ في 31 جولية 1990، منشور في: ج. ر،عدد 35 لسنة 1990

-المرسوم التنفيذي رقم 279/92المؤرخ ب 6يوليو 1992، يتضمن مدونة أخلاقيات الطب الصادر، بج ر ع 52،الصادر ب8يوليو 1992.

-القانون رقم 17/90 المؤرخ في 1990/07/31يعدل ويتمم القانون رقم 05/85المؤرخ في 16فبراير 1985والمتعلق بحماية الصحة وترقيتها الصادر بج ر العدد 35، ،المؤرخ ب15اوت 1990

-قرار المحكمة العليا، غرفة الجنح والمخالفات، مؤرخ في 30-05-1995، ملف رقم: 118720، المجلة القضائية لسنة 1996، العدد 02.

-القرار الصادر عن الغرفة الإدارية بمجلس قضاء تلمسان بتاريخ 2004-05-29، فهرس رقم 04-423، ملف رقم 04-268، قرار غير منشور

3/الكتب

1--أم كلثوم يحي مصطفى الخطيب، قضية تحديد النسل في الشريعة الإسلامية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2، 1402ه/1982م.

2-وفاء منذر رضا، كيف تختارين برنامج تنظيم الأسرة، مكتبة المجتمع العربي للنشر، ط1، لسنة 2005.

3- محمد علي البار، مشكلة الإجهاض، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط2.

4 -منى الواصف ،النوازل المختصة بالمرأة في العبادات وأحكام الأسرة.

5- محي الدين الطالو ألعلبي ،تطور الجنين وصحة الحامل ،دار ابن كثير ،دمشق /بيروت ،ط1990،3

6-محمد بن هائل بن غيلان المد حجي ،أحكام النوازل في الإنجاب ،دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع ،المجلد الأول ،ط1،لسنة 2011 .

7- محمد خالد منصور، الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي، دار النفائس للنشر و التوزيع، ط1 الأردن، 1999.

8-رمضان جمال كمال ،مسؤولية الأطباء والجراحين المدنية ،المركز القومي للإصدارات القانونية ،القاهرة ،ط2005،1.

9 -ضياء الدين مطاوع ،المستجدات البيوتكنولوجي وضوابطها الأخلاقية ،مكتبة التربية العربي لدول الخليج ،الرياض ،2004.

-رسائل الدكتوراه والماجستير

1- محمد عبد الرحيم مهران، الأحكام الشرعية والقانونية للتدخل في عوامل الوراثة والتكاثر، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والقانون، جامعة القاهرة، مصر، 2002.

-المقالات والمداخلات

1-العبد خليل أبو عيد ، منع الحمل بالتعقيم وبالوسائل المؤقتة في الفقه الإسلامي ،مجلة الدراسات ،الجامعة الأردنية ،العدد 7،187،المجلد 14،ص 188

2-بن صغير مراد :التوجه التعاقدي في العلاقات الطبية، مقال منشور في:دراسات قانونية، مجلة سداسية، تصدر عن مخبر القانون الخاص الأساسي، العدد 04، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 2007..

3- وسيم فتح الله،الخطأ الطبي مفهومه وأثاره ، مقال منشور بموقع إسلامي **https://saaid.net/tabeeb/65.htm** ;

4-سيدهم مختار ،المسؤولية الجزائية للطبيب في ظل التشريع الجزائري ،مداخلة في الملتقى الدولي حول الأخطاء الطبية ،الجزائر ،12افريل 2010

5-فريدة صادق زوزو ،الحكم الشرعي لتنظيم النسل، موقع المختار الإسلامي ، mail@islamselect.com

6-قندلي رمضان ،الحق في الصحة في القانون الجزائري دراسة تحليلية ومقاربة ،مقال منشور بمجلة دفاتر السياسة والقانون ،بورقلة ،العدد 06/جانفي 2012.

استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية

عثمان آل عبد العزيز بوشكيوة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص: حرص المشرع الجزائري على مواءمة التشريعات المتعلقة بإبرام الصفقات العمومية مع التشريعات الدولية التي وقعتها الجزائر لا سيما في مجال مكافحة الفساد والوقاية منه، مجسدا ذلك في صورة تشريعات وطنية تهدف لضمان احترام المبادئ العامة للصفقات العمومية على غرار حرية المنافسة والمساواة بين المترشحين وشفافية الاجراءات، لأنه كثيرا ما يزيغ أعوان المصبلحة المتعاقدة ويخالفون التشريع والتنظيم المعمول به في مادة إبرام الصفقات العمومية، مما يشكل تهديدا واضحا لا سيما في مرحلة الابرام لحقوق المتعاملين الاقتصاديين المترشحين والمتعهدين على حد سواء، وهو وضع دفع المشرع الجزائري لتبني آلية قضائية ذات طابع استعجالي تمكن صاحب المصلحة في اللجوء إلى القاضي المختص لممارسة سلطات غير مألوفة جعلت من استعجال ما قبل التعاقد استعجال ذو طبيعة خاصة.

الكلمات المفتاحية: استعجال ما قبل التعاقد، الصفقات العمومية، قواعد المنافسة، سلطات القاضي

Abstract : Algerian legislator tried in the context of the necessary harmonization of deferent regulations on public procurement law with international law which are signed by Algeria, in particular against corruption, thinks to lot of national legislations aim to respect fundamental principles of procurement law which are based on free access, equality and transparency, because sometimes, the public officials do not respect regulations of public procurement, which means a major threat to benefits of economic operators. All of that encourage the Algerian legislator to adopt a new legal interlocutory proceeding which allow to claimant to ask the judge to protect his rights.

المقدمة"غني عن البيان أن حماية حقوق المتقاضين قد تعترضها مخاطر تهددها، الأمر الذي يجعل قضاء الموضوع لا يلعب دورا كافيا في حمايتها نظرا لتعقد إجراءاته وطول آجال الفصل فيه، مما برر استحداث قضاء تتسم إجراءاته بالسرعة ولا ينظر في أصل الحق وإنما يحميه بصورة مؤقتة يدعى قضاء الاستعجال.

وإذا كان الاستعجال في علاقات القانون الخاص يحوز أهمية خاصة فان الاستعجال في المادة الإدارية أهم واخطر لوجود الإدارة كطرف في النزاع، الأمر الذي يزيد من احتمالات التعسف من طرفها لأجل ذلك تبنى المشرع الجزائري في ظل قانون الإجراءات المدنية والإدارية الجديد بابا مستقلا بعنوان الاستعجال في المادة الإدارية. ولا يخفى أيضا أن الاستعجال في مجال العقود الإدارية وعلى رأسها الصفقات العمومية كان محل اهتمام تشريعي، بإفراد فصل مستقل لتنظيم أحكام الاستعجال في مجال إبرام العقود والصفقات.

من جانب آخر لا يخفى أن تأثر المشرع الجزائري بالتجربة الفرنسية والتي تستوحي بدورها أحكامها من التشريع الأوروبي، جعله يقتبس آليات قضائية ذات دون أن يسعى في ذات الوقت لضمان تأطيرها بقواعد خاصة على غرار التجارب المقارنة، لذلك فإن الإشكالية التي يمكن أن نطرحها تدور حول مدى كفاية إجراءات استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية التي تبناها المشرع الجزائري في حماية حقوق المترشحين للتعهد بتنفيذ هذه الصفقات، ونطاق سلطات القاضي في هذا النوع من القضاء.

للإجابة عن الإشكالية الواردة أعلاه سنقسم دراستنا إلى مبحثين، نتناول في الأول منهما لبيان مفهوم استعجال ما قبل التعاقد في حين سنخصص الثاني منهما للنظام القضائي لاستعجال ما قبل التعاقد.

المبحث الأول: مفهوم استعجال ما قبل التعاقد:إن بيان مفهوم استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية يقتضي تعريفه أولا، ثم التعرض لمبررات تبنيه في ظل قانون الإجراءات المدنية والإدارية ثانيا.

المطلب الأول: تعريف استعجال ما قبل التعاقد:إن استقراء أحكام قانون الإجراءات المدنية والإدارية، يؤكد أن المشرع الجزائري لم يتعرض لتعريف استعجال ما قبل التعاقد ملقيا بذلك المهمة على عاتق الفقه.

وقد عرف بعض الفقهاء القضاء المستعجل قبل التعاقد بأنه إجراء قضائي مستعجل خاص ذو أصل تشريعي أوروبي ، الهدف منه حماية قواعد العلانية والمنافسة بشكل فعال قبل إتمام إبرام العقد، وذلك عن طريق إعطاء القاضي سلطات واسعة غير مألوفة في الإجراءات القضائية العادي[1] .

وعليه فان استعجال ما قبل التعاقد لا يكاد يخرج عن مفهوم الاستعجال في المادة الإدارية بصورة عامة باعتباره قضاء يفصل في الطلبات المعروضة أمامه بأقصى سرعة ممكنة، لاسيما ما تعلق بالوضعيات التي يخشى أن تصبح غير قابلة للإصلاح وذلك باتخاذ تدابير محددة، لكنه يختلف عنه من حيث المساس بأصل الحق كقاعدة عامة.

وقد أفرد المشرع الجزائري الفصل الخامس بعنوان الاستعجال في مادة إبرام العقود والصفقات في الباب الثالث بعنوان الاستعجال؛ حيث كرس المادتين 946، 947 من القانون 08/ 09 المؤرخ في 25 فيفري 2008 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية.ولا يختلف اثنان أن هذا الإجراء الذي تبناه المشرع الجزائري تأسيا بالمشرع الفرنسي الذي كان قد نص على آلية الاستعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية بموجب المادتين 551-1، 551-2 في قانون الاجراءات الإدارية[2]، هو إجراء قضائي كان المشرع الأوروبي السباق إلى اتخاذه في إطار تعزيز قواعد المنافسة والإشهار في نطاق إبرام الصفقات العمومية، وقد سعى المشرع الأوروبي إلى ضمان توحيد الآليات التشريعية بين دول الاتحاد الأوروبي من أجل تكريس وسائل رقابية ذات فعالية أكثر، لا سيما انه لم توجد سلفا دعوى قضائية فعالة تؤمن احترام الأحكام الأوروبية في نطاق المنافسة والعلانية والإشهار من جهة ،وتمكن من متابعة المخالفات المرتكبة في هذا النطاق من ناحية أخرى[3].

ولأجل ذلك أصدر المشرع الأوروبي بتاريخ 21 ديسمبر 1989 التعليمة رقم 665/89 المتعلقة بتنسيق الأحكام التشريعية والتنظيمية بين الدول الأعضاء بشأن إيجاد دعوى قضائية خاصة تحمي مبدأ المنافسة الشريفة التي نص عليها سلفا التشريع الأوروبي الخاص بصفقات الأشغال والتوريدات، وأعقبها بالتعليمة رقم 13/92 المؤرخة في 25 فيفري 1992 المتعلقة بالصفقات التي لا تخضع لقانون الصفقات العمومية كقطاع الماء، الطاقة، النقل والاتصالات، المعدلة بالتعليمة رقم 66/07 المؤرخة 11 ديسمبر 2007 والتي فرضت علي دول الاتحاد الأوروبي تبني إجراءات لضمان حق الطعن ضد القرارات التي تتخذ في مجال إبرام العقود والتي لا تحترم قواعد النزاهة والمنافسة الشريفة[4].

المطلب الثاني: مبررات تبني الاستعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية.

إن المستقرئ لأحكام استعجال ما قبل التعاقد في مجال العقود الإدارية بصورة عامة وعقود الصفقات العمومية بصورة خاصة يقف على دوافع ومبررات لم يكن المشرع الجزائري السباق إليها بقدر ما سبقت إليها تجارب القانون المقارن.

إذ يسعى المشرع الجزائري من خلال هذه الآلية التي تكرس مبدأ المساواة والإشهار والوضع في المنافسة إلى تحقيق غايات وأهداف سنعرض لكل منها في فرع مستقل.

---

[1] انظر بخصوص تعريف الفقه لاستعجال ما قبل التعاقد :

الدكتور مهند مختار نوح، 2005، الإيجاب والقبول في العقد الإداري ، دراسة مقارنة، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية، ص 841.

[2] راجع بخصوص النصوص الفرنسية المتعلقة باستعجال ما قبل التعاقد في مادة الصفقات العمومية:

ALDO, Servino, 2007, Le mémento du référé. Précontractuel : Procédure, moyens et jurisprudence. France, Editions. Eyroues.

[3] مهند مختار نوح، المرجع السابق. ص. ص. 842، 843.

[4] انظر بخصوص النصوص القانونية التي سنها المشرع الأوربي لتكريس آلية الاستعجال ما قبل التعاقد:

Catherine BERGEAL, Frédéric LENICA, 2010, Les contentieux des marches publics, édition revue et corrigée. Paris, Edition le MONITEUR .p.p83,84

الفرع الأول: تعزيز آليات الرقابة في مجال الصفقات العمومية

نص المشرع الجزائري بموجب المادة 946 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية على أن استعجال ما قبل التعاقد يحرك كآلية قضائية في حال الإخلال بالالتزامات الملقاة على عاتق المصلحة المتعاقدة بخصوص الإشهار والمنافسة[1]. ولعله بالرجوع إلى أحكام قانون الصفقات العمومية نجد أن ذات المشرع قد كرس آليات كثيرة لتعزيز الرقابة في مجال إبرام الصفقات العمومية لتعلقها بالمال العام من جهة ودرء لشبهات الفساد فيها من جهة ثانية.

وباعتبار أن تنظيم الصفقات العمومية الصادر بموجب المرسوم الرئاسي رقم 250/02 المؤرخ في 24 جويلية 2002 كان قد صدر قبل تبني الجزائر لقوانين مكافحة الفساد وعلى رأسها القانون رقم 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المعدل والمتمم، فإن المشرع الجزائري قد أصدر لاحقا تنظيما للصفقات العمومية بموجب المرسوم الرئاسي 236/10 المؤرخ في 7 أكتوبر 2010 فأفرد قسما خاصا لمكافحة الفساد لا سيما المادتين 60، 61 منه، ما لبث أن ألغاه بموجب المرسوم الرئاسي 15/ 247 المؤرخ في 16 سبتمبر 2015 الذي تضمن هو الآخر قسما خاصا بمكافحة الفساد في مادة الصفقات العمومية محددة بموجب المواد من 88 إلى 94 منه .

وعطفا عما سبق بيانه، فإن المشرع الجزائري عندما تبنى آلية الاستعجال ما قبل التعاقد إنما تغيا وراء ذلك تكريس آلية الرقابة القضائية على أعمال الإدارة، فالإدارة باعتبارها مؤتمنة على الصالح العام يفترض أنها تحترم جميع القواعد التشريعية المنظمة لعملية إبرام العقود، إلا أنه قد يحدث فيتعسف أعوانها ويزيغون عن العدالة التي تقتضيها قواعد القانون في مجال منح العقود والصفقات، ودرء لأي ضرر قد يصعب جبره لا حقا، فقد مكن ذات المشرع القضاء بسلطة رقابة قبل تعاقدية، فضلا عن تمكين أصحاب المصلحة من اللجوء إلى القضاء ومخاصمة المصلحة المتعاقدة طالما ادعوا أنها تعسفت، بما في ذلك من تعزيز وتكريس لآليات رقابية أكثر فعالية غابت عن نصوص التشريع السالفة، وقد أحسن المشرع صنعا عندما خصص لها بل أفرد لها نصوصا قانونية في قواعد الإجراءات المدنية والإدارية.

ولعله من بين المبررات التي تترتب عن تعزيز آلية الرقابة في مجال إبرام العقود تظهر جليا مسألة تكريس مبدأ المساواة والمنافسة والإشهار الأمر الذي سنفرد له الفرع الثاني الآتي:

الفرع الثاني: دعامة لتكريس مبدأ الإشهار والمساواة والوضع في المنافسة: إن استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية يرتبط أساسا بمخالفة قواعد المنافسة والإشهار لأجل ذلك تخضع المصلحة المتعاقدة لرقابة مزدوجة أثناء مرحلة الإبرام، إذ تخضع لرقابة إدارية من جهة، ولرقابة قضائية من جهة أخرى.

حيث تنص المادة الخامسة من المرسوم الرئاسي 15/ 247 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام إنه: "لضمان نجاعة الطلبات العمومية والاستعمال الحسن للمال العام يجب أن تراعي في الصفقات العمومية مبادئ حرية الوصول للطلبات العمومية والمساواة في معاملة المترشحين وشفافية الإجراءات ضمن احترام هذا المرسوم".

ورجوعا إلى مقتضيات المادة 09 من القانون رقم 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته المعدلة والمتممة بالمادة الثانية من القانون 05/10 المؤرخ في 26 أوت 2010 نجد أن المشرع أكد على ضرورة تبني إجراءات في مجال إبرام الصفقات العمومية تقوم على قواعد الشفافية والمنافسة الشريفة وعلى معايير موضوعية.

ومن بين القواعد التي حرص المشرع الجزائري على تبنها، ضمانا لمبدأ المنافسة والمساواة بين المترشحين المتقدمين نذكر[2] :

---

[1] تنص المادة 946 الفقرة الاولى من القانون 09/08 المؤرخ في 25 نوفمبر 2008 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية (الجريدة الرسمية رقم 21 المؤرخة في 23 أفريل 2008 ، ص 86 : "يجوز إخطار المحكمة الإدارية بعريضة وذلك في حالة الإخلال بالتزامات الإشهار أو المنافسة التي تخضع لها عمليات إبرام العقود الإدارية والصفقات العمومية".

[2] راجع المادة 09 من القانون 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، الجريدة الرسمية رقم 14 المؤرخة في 8 مارس 2006 المعدلة والمتممة بالمادة 02 من القانون 10/ 05 المؤرخ في 26 أوت 2010، الجريدة الرسمية رقم 50 المؤرخة في 1 سبتمبر 2010

- علانية المعلومات المتعلقة بإجراءات إبرام الصفقات العمومية
- الإعداد المسبق لشروط المشاركة والانتقاء
- معايير موضوعية ودقيقة لاتخاذ القرارات المتعلقة بإبرام الصفقات العمومية.
- إدراج التصريح بالنزاهة عند إيرام الصفقات العمومية
- ممارسة كل طرق الطعن في حالة عدم احترام قواعد إبرام الصفقات العمومية.

كما تضيف المادة 11 من قانون الوقاية من الفساد ومكافحته الوارد أعلاه أن الإدارة ملزمة بتسبيب قراراتها عندما تصدر في غير صالح المواطن، وببيان طرق الطعن المعمول بها.

ولعله استقراء للمطة الأخيرة من المادة 09 من جهة وما أشارت إليه مقتضيات المادة 11 من ذات القانون من جهة أخرى، يتجلى لنا أن تبني آلية استعجال ما قبل التعاقد في مجال إبرام الصفقات العمومية ما هو إلا تكريس لمبادئ المنافسة والإشهار والمساواة بين كل المترشحين بوضع المصلحة المتعاقدة تحت رقابة القضاء.

وبالرجوع إلى أحكام قانون الصفقات العمومية نجد أن المشرع الجزائري وحرصا منه على ضمان مبادئ المنافسة الشريفة فقد جعل من طريقة طلب العروض القاعدة العامة في إبرام الصفقات العمومية فيما خصص بعض موضوعات الصفقات العمومية لإجراء التراضي في حالات استثنائية محددة حصرا[1].

وفضلا عن تكريس طريقة المنافسة كأصل عام في إبرام الصفقات العمومية فان المشرع الجزائري ألزم المصلحة المتعاقدة بضرورة احترام إجراءات وشكليات محددة قانونا تساهم في تجسيد مظاهر المنافسة الشريفة والمساواة بين كل المترشحين .

إذ أشارت المادة 61 من المرسوم الرئاسي 15/ 247 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام أن اللجوء إلى الإشهار الصحفي يعتبر إلزاميا في حال اللجوء إلى إجراء طلب العروض المفتوح وطلب العروض المفتوح مع اشتراط قدرات دنيا، وطلب العروض المحدود والمسابقة، وبالمقابل عند لجوء المصلحة المتعاقدة إلى ابرام الصفقة العمومية عن طريق التراضي بعد الاستشارة فإن إلزامية الإشهار الصحفي مرتبطة بمدى تطلب طبيعة الصفقة ذلك.

وأضافت المادة 62 من ذات المرسوم الرئاسي 15/ 247 الذي سلف ذكره،أنه من مظاهر إجراءات ومظاهر المساواة وتكريس الشفافية ضرورة ذكر بيانات جوهرية وإلزامية يؤدي تخلفها حتما إلى تحريك استعجال ما قبل التعاقد.

ومن بين البيانات الإلزامية التي تلتزم بها المصلحة المتعاقدة عند إعلان طلب العروض[2]:
- تسمية المصلحة المتعاقدة وعنوانها ورقم تعريفها الجبائي
- كيفية طلب العروض
- شروط التأهيل أو الانتقاء الأولي
- موضوع العملية
- قائمة منجزة بالمستندات المطلوبة مع إحالة القائمة المفصلة إلى أحكام دفتر الشروط ذات الصلة
- مدة تحضير العروض ومكان إيداع العروض
- مدة صلاحية العروض
- إلزامية كفالة التعهد اذا اقتضى الأمر
- تقديم العرض في ظرف مغلق بإحكام تكتب عليه عبارة "لا يفتح إلا من طرف لجنة فتح الأظرفة وتقييم العروض" ومراجع طلب العروض.

---

[1] تنص المادة 39 من المرسوم الرئاسي 15/ 247 السالف الذكر ، ص 12: " تبرم الصفقات العمومية وفقا لإجراء طلب العروض الذي يشكل القاعدة العامة، أو وفق إجراء التراضي".

[2] راجع البيانات الإلزامية في إعلان الصفقات العمومية: المادة 62 من المرسوم الرئاسي 15/ 247 السالف الذكر، ص 17.

- ثمن الوثائق عند الاقتضاء

كما تنص المادة 65 من المرسوم الرئاسي الوارد أعلاه أن إعلان طلب العروض يحرر باللغة العربية وبلغة أجنبية واحدة على الأقل، كما ينشر إجباريا في النشرة الرسمية لصفقات المتعامل العمومي وعلى الأقل في جريدتين يوميتين وطنيتين موزعتين على المستوى الوطني.

وزيادة على ذلك تدرج الفقرة الثانية من ذات المادة أن إعلان المنح المؤقت للصفقة في الجرائد التي تم فيها إعلان طلب العروض طالما كان ذلك ممكنا، مع تحديد السعر وآجال الانجاز وكل العناصر التي سمحت باختيار صاحب الصفقة[1].

وقد دعم المشرع الجزائري مبدأ المنافسة الشريفة والمساواة بين المترشحين بقواعد لا تقل أهمية عن تلك التي أشرنا إليها بخصوص مرحلة الإعلان؛ إذ أدرج المشرع الجزائري بموجب المادة 66 من تنظيم الصفقات العمومية المعمول به ضرورة تحديد آجال معينة معقولة تسمح لكل المترشحين الراغبين في المشاركة بتقديم عطاءاتهم مع إبقاء السلطان التقديري للإدارة في تحديد ذلك الأجل كما يمكن لها تمديد ذلك الأجل مع ضرورة إعلام كافة المترشحين وعدم التعسف في استعمال هذه السلطة إذ يتعين على الإدارة فتح المجال أمام اكبر عدد ممكن من المترشحين لتقديم عروضهم .

وغني عن البيان أن مبدأ المساواة والمنافسة النزيهة لا يتعارض إطلاقا مع مبدأ منع بعض الراغبين في الترشح من تقديم عطاءاتهم، كأن يكون طلب العروض محدودا نظرا للطابع التقني أو إقصاء بعض الفئات من الترشح على غرار ما نصت عليه مقتضيات المادة 75 من تنظيم الصفقات العمومية :

- الذين رفضوا استكمال عروضهم أو تنازلوا عن تنفيذ صفقة عمومية قبل نفاذ أجل صلاحية العروض حسب الشروط المنصوص عليها تشريعا
- الذين هم في حالة إفلاس أو تصفية أو توقف عن النشاط أو التسوية القضائية أو الصلح
- الذين هم محل إجراء عملية الإفلاس أو التصفية أو التوقف عن النشاط أو التسوية القضائية أو الصلح
- الذين كانوا محل حكم قضائي له حجية الشيء المقضي فيه بسبب مخالفة تمس بنزاهتهم المهنية
- الذين لا يستوفون واجباتهم الجبائية وشبه الجبائية
- الذين لا يستوفون الإيداع القانوني لحسابات شركائهم
- الذين قاموا بتصريح كاذب
- الذين كانوا محل قرارات الفسخ تحت مسؤوليتهم من أصحاب المشاريع بعد استنفاذ إجراءات الطعن المنصوص عليها في التشريع والتنظيم المعمول بهما
- المسجلون في قائمة المتعاملين الاقتصاديين المنوعين من تقديم عروض للصفقات العمومية
- المسجلون في البطاقات الوطنية لمرتكبي الغش وأصحاب المخالفات الخطيرة للتشريع والتنظيم في مجال الجباية والجمارك والتجارة.
- الذين كانوا محل إدانة بسبب مخالفة خطيرة لتشريع العمل والضمان الاجتماعي
- الأجانب المستفيدون من صفقة واخلوا بالتزامهم المحددة بموجب التشريعات والتنظيمات المعمول بها

كما ألزم المشرع الجزائري المصلحة المتعلقة بإجراءات جوهرية عند القيام بمرحلة فحص العروض في ظل المرسوم الرئاسي 10/ 236 عن طريق تشكيل لجنتين، اولا هما تسمى لجنة فتح الاظرفة وثانيهما تسمى لجنة تقييم العروض، إلا أن

---

[1] راجع المادة 65 من المرسوم الرئاسي 236/10 السالف الذكر

وبخصوص اعتبار إجراء استعجال ما قبل التعاقد كداعم لمبادئ المنافسة والإشهار والمساواة راجع:

ALDO, Sevino, op cit. p.47

ذات المشرع بادر إلى توحيد اللجنتين تحت مسمى لجنة فتح الأظرفة وتقييم العروض بموجب المادة 160 من المرسوم الرئاسي 15/ 247 الوارد أعلاه، حيث يعتمد في اختيار المتعامل المتعاقد على معايير تذكر بصورة إجبارية في دفتر شروط الصفقة ومن ذلك[1]:

-الضمانات التقنية والمالية
- السعر والنوعية وأجال التنفيذ
- شروط التمويل
- مقتضيات النجاعة
- القيمة التقنية
- شروط التمويل

ومن جماع ما تقدم نجد أن المشرع الجزائري قد أولى عناية بالغة لإجراءات إبرام الصفقات العمومية من خلال إجراء الإعلان مرورا بتقديم العطاءات وفحصها وصولا إلى مرحلة الإعلان عن منح الصفقة العمومية لأحد المتعهدين، والقائم أساسا على قواعد المنافسة الشريفة والمساواة فضلا عن خضوعه لرقابة القضاء وفق دعوى الاستعجال ما قبل التعاقد طالما ادعى المتضرر أن هناك إخلالا بقواعد المنافسة والإشهار المنصوص عليها في قانون الصفقات العمومية وغيرها من التشريعات ذات الصلة.

المبحث الثاني: النظام القضائي لدعوى استعجال ما قبل التعاقد:إن بيان النظام القضائي لدعوى استعجال ما قبل التعاقد في إبرام الصفقات العمومية يقتضي منا التعرض لشروط قبول دعوى استعجال ما قبل التعاقد أولا ثم دراسة سلطات قاضيها ثانيا.

المطلب الاول: شروط الدعوى الاستعجالية في مجال ابرام الصفقات العمومية: فضلا عن الشروط العامة لانعقاد قضاء الاستعجال[2]، فإن المستقرئ لأحكام المادة 946 من قانون الاجراءات المدنية والادارية يقف على شروط خاصة للدعوى الاستعجالية المتعلقة بإبرام الصفقات العمومية لأجل ذلك سنعرض بداية لشرط صفة المدعي ثم بشرط التظلم المسبق ونختم بالشرط المتعلق بالميعاد.

الفرع الأول: صفة المدعى: تكتسب صفة المدعي لتحريك دعوى استعجال ما قبل التعاقد في مادة ابرام الصفقات العمومية إما بحكم المصلحة أو بحكم القانون.

أولا: اكتساب صفة المدعي بحكم المصلحة: مكنت المادة 946 من قانون الاجراءات المدنية والإدارية كل صاحب مصلحة في إبرام الصفقة العمومية، أن يحرك هذه الدعوى أمام المحاكم الادارية، بمعنى أن كل مترشح يمكن أن يضار من جراء خرق قواعد الاشهار والمنافسة التي تخضع لها عملية إبرام الصفقات العمومية يمكن أن يكون مدعيا في هذه الدعوى[3].

ولأجل ذلك كل من يملك فرصة جدية للظفر بالصفقة العمومية المحتملة، له أن يدعي أمام قضاء استعجال ، بل اعتبر مجلس الدولة الفرنسي سابقا أن أي مترشح يتضرر من غياب بعض بيانات الإشهار والوضع في المنافسة يمكن أن يتأسس كمدع في دعوى الاستعجال ما قبل التعاقد[4].

---

[1] راجع بخصوص معايير انتقاء المترشحين المادة 78 من المرسوم 15/ 247 السالف الذكر، ص 22.

[2] ان المشرع الجزائري قد حدد ضوابط الاختصاص النوعي لانعقاد قضاء الاستعجال بضرورة وجود حالة استعجال حسب المادة 924 و المادة 925 من القانون 08/ 09، وعدم المساس بأصل الحق تطبيقا لمقتضيات المادة 918 من القانون 09/08 ، فضلا عن عدم عرقلة تنفيد قرار اداري في حالة الاستعجال القصوى باستثناء حالات التعدي ، الاستلاء ، الغلق الاداري حسب المادة 921 من نفس القانون السالف الذكر.

[3] راجع الدكتور مهند مختار نوح، المرجع السابق، ص 848.

[4] راجع قضية مجلس الدولة الفرنسي بخصوص شركة كوكسينال:Aldo Séviro. Op, cit. P, 27

وبالمقابل فإن كل شخص غريب عن الصفقة العمومية؛ بمعنى أنه لم يشارك في إجراءات إبرام العقد انطلاقا من مرحلة الإعلان مرورا بمرحلة تقديم العطاءات، لا يمكن له أن تكون له مصلحة في تحريك الدعوى، ولأجل ذلك حكم القضاء الفرنسي بعدم قبول الدعوى الاستعجالية ما قبل التعاقد المرفوعة من قبل أحد المستشارين البلديين المتعلقة بخرق بعض التزامات المنافسة والعلانية من جانب البلدية بسبب انعدام المصلحة، وعلى هذا النحو رفضت محكمة نيس الدعوى المرفوعة من جانب إحدى منظمات حماية البيئة لكون عنصر المصلحة متخلف[1].

ثانيا: اكتساب صفة المدعي بحكم القانون : إن محرك دعوى استعجال ما قبل التعاقد يمكن أن يكون خارج قائمة المترشحين المتنافسين على الظفر بتنفيذ الصفقة العمومية، إذ مكن القانون جهات رسمية تمثل الدولة بصلاحية تحريكها بسبب غياب قواعد النزاهة والشفافية في إبرام الصفقات العمومية.

حيث نصت الفقرة الثالثة من المادة 946 من قانون الاجراءات المدنية والادارية أن ممثل الدولة على مستوى الولاية يمكن أن يحرك دعوى قضاء استعجال ما قبل التعاقد طالما كانت المصلحة المتعاقدة جماعة إقليمية أو مؤسسة عمومية محلية ولعل المشرع الجزائري مكن والي الولاية بتحريك قضاء الاستعجال ما قبل التعاقد تأسيا بالمشرع الفرنسي الذي كان سباقا في ذلك بموجب قانون 29 جانفي 1993[2].

وغني عن البيان يعتبر والي الولاية ممثلا للدولة على مستوى الولاية[3]، وبالنتيجة فإن اختصاصه بتحريك استعجال ما قبل التعاقد لا يعدو أن يكون إلا امتدادا طبيعيا لجملة الاختصاصات الممنوحة له بموجب التشريع والتنظيم المعمول بهما في الجزائر، إذ بالرجوع الى قانون الولاية الصادر بموجب القانون رقم 12- 07، نجد أن الوالي بمقتضى المادة 106 منه يمثل الولاية أمام القضاء سواء كانت مدعى أو مدعى عليها[4].

وبالمقابل على مستوى البلدية باعتبارها قاعدة اللامركزية بموجب المادة 16 من القانون 16/ 01 المتضمن التعديل الدستوري من جهة، وإعمالا لأحكام المادة 82 من القانون 11/ 10 المتضمن قانون البلدية من جهة ثانية، فإن البلدية يمثلها رئيس المجلس الشعبي البلدي في مجال ابرام العقود والصفقات[5]، بل ويمثلها أمام القضاء، إلا أنه على مستوى دعوى استعجال ما قبل التعاقد فإن الوالي يبقى صاحب الصفة بموجب قانون الاجراءات المدنية والادارية لتحريك قضاء استعجال ما قبل التعاقد

ونفس القول ينسحب على تمثيل المؤسسات العمومية المحلية التي يمثلها الوالي حصرا في هذا الاجراء ، ولعلنا نعتقد أن هذا التمثيل يعزى الى كون قانون الولاية مكن مصالح الولاية بإيفاد ممثلين عنها لحضور عملية إبرام الصفقة العمومية التي تبرمها هذه المؤسسات، بمعنى أن الوالي يمكن له المتابعة والإشراف ومراقبة الصفقات العمومية والمحلية، بالرغم أنه لايمثلها أمام القضاء حسب المادة 108 من قانون الولاية[6]، فهو الساهر على احترام القوانين والتنظيمات على مستوى ولايته ، هذه القوانين والتنظيمات التي يمكن أن تخرقها المؤسسات العمومية المحلية ذاتها ، لأجل ذلك كان للوالي الصفة في تحريك هذه الدعوى.

---

1 انظر بخصوص تطبيقات القضاء الفرنسي في مجال شرط المصلحة مهند مختار نوح ،المرجع السابق . ص 84

2 راجع بخصوص دور ممثل الدولة في تحريك استعجال ما قبل التعاقد: Catherine BERGEAL. Op cit , p 110

3 للتفصيل في تمثيل الوالي للدولة على مستوى الولاية راجع: عمار بوضياف، 2012، شرح قانون الولاية، القانون 12/ 07 المؤرخ في 12 فيفري 2012، الطبعة الاولى، الجزائر، دارجسور، ص، 239 وما بعدها.

4 المادة 16 من القانون 09/90 المؤرخ في 07 افريل 1990المتعلق بقانون الولاية.

5 المادة 60 من القانون 08/90 المؤرخ في 07 افريل 1990المتعلق بقانون البلدية.

6 تنص المادة 108 من القانون 12/ 07السالف الذكر، ص : "يسهر الوالي على وضع المصالح الولائية ومؤسساتها العمومية وحسن سيرها ويتولي تنشيط ومراقبة نشاطاتها طبقا للتشريع والتنظيم المعمول بهما".

لكن السؤال المطروح هو من يمثل الدولة أمام قضاء استعجال ما قبل التعاقد، إذا كان العقد أوالصفقة العمومية ستبرم من طرف الدولة وبتمثيل من الوزارة مثلا؟ هل سيمثلها الوالي أو الوزير أمام القضاء؟

بمقتضى أحكام وقواعد الاختصاص والتمثيل القضائي نجد أن الوزير يمثل الدولة امام القضاء ، كل وزير حسب اختصاصه ،لكن مقتضيات المادة 946 من قانون الاجراءات المدنية والإدارية لم تشر إلى مسألة تمثيل الدولة في الصفقات ذات البعد الوطني ، مما يجعل الأمر محل شغور تشريعي يستدعى التدارك.

وبرجوعنا إلى القانون المقارن نجد مثلا على مستوى التشريع الفرنسي أن الوزير يمثل الدولة بناء على طلب اللجنة الاقتصادية الأوربية إذا تعلق الأمر بعقد سيبرم من جانب مؤسسة عامة وطنية ذات طابع إداري أو من جانب شخص معنوي يخضع للقانون الخاص ويعمل لحساب الدولة[1].

الفرع الثاني: قاعدة التظلم المسبق

إن المستقرئ لاحكام المادة 946 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية لا يجد أي إشارة إلى مسالة التظلم الإداري المسبق أمام المصلحة المتعاقدة قبل اللجوء لقضاء الاستعجال ما قبل التعاقد في اطار ما يسمى بالتسوية الودية للنزاع .

الا انه بالرجوع الى مقتضيات المادة 82 من المرسوم الرئاسي 15/ 247 المتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام، نجد أن المشرع مكن المتعهد أن يحتج على الاختيار الذي قامت به المصلحة المتعاقدة في إطار طلب عروض أو إجراء بالتراضي بعد الاستشارة أن يرفع طعنا أمام لجنة الصفقات المختصة في أجل 10 أيام ابتداء من تاريخ نشر إعلان المنح المؤقت للصفقة على أن تصدر لجنة الصفقات رأيها خلال 15 يوم ويبلغ هذا الرأي للمصلحة المتعاقدة والطاعن .

وإن كان ظاهر النص يحمل معنى الجواز ، إلا أن القطع بذلك سابق لأوانه حيث كثيرا ما ورد النص التشريعي على سبيل الجواز إلا أن تفسير الاجتهاد القضائي كان أحيانا يحمله على سبيل الإلزام ، بمعنى أن الوقوف على مدى الزامية التظلم المسبق أمام لجنة الصفقات المختصة من عدمه موكول الفصل فيه للاجتهاد القضائي في المادة الإدارية بالرغم من قطعنا المسبق أن النص يحمل دلالة الجواز، بمعنى إمكانية اللجوء مباشرة إلى قضاء الاستعجال ما قبل التعاقد.

الفرع الثالث: ميعاد رفع دعوى استعجال ما قبل التعاقد

إن مسمى هذه الدعوى يفترض أن تحريكها يكون قبل توقيع العقد أو الصفقة العمومية، نظرا للطابع الوقائي الذي تقوم عليه[2]، إلا أن المشرع مكن صاحب المصلحة من تحريكها قبل إبرام العقد وبعده على حد سواء إلا أننا نأخذ على المشرع الجزائري أنه جعل من القاعدة استثناءا والاستثناء قاعدة يقاس عليها.

فنص المشرع على إمكانية إخطار المحكمة الإدارية كجهة مختصة في نظر دعوى الاستعجال ما قبل التعاقد، قبل إبرام العقد، يجعل من هذه الحالة استثناءا والأصل تحريكها بعد إبرام العقد، غير أن المتفق عليه وكما تدل تسمية الدعوى أنها تحرك في الأساس قبل إبرام العقد والاستثناء بعد إبرامه حفاظا على قواعد النزاهة والمنافسة الشريفة.

المطلب الثاني: أسباب تدخل قاضي الاستعجال ما قبل التعاقد وسلطاته

سنعرض حالات تدخل قاضي الاستعجال ما قبل التعاقد في فرع أول ، ثم ندرس سلطاته من جهة أخرى في فرع ثان.

الفرع الأول: أسباب تدخل قاضي الاستعجال ما قبل التعاقد

إن قضاء الاستعجال في مادة إبرام الصفقات العمومية يرتبط أساسا بالاخلال بقواعد المنافسة والإشهار، وإذا كان المشرع الجزائري قد ذكر هذا السبب على اطلاقه، فإن الاجتهاد القضائي في المادة الإدارية عدد مظاهر جمة تكون من قبيل الإخلال بقواعد الإشهار والمنافسة التي تؤدي في جميع الحالات إلى عدم المساواة بين المترشحين وهو أمر تأباه قواعد العدالة وروح القانون، ومن ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] انظر بخصوص موقف المشرع الفرنسي بخصوص تمثيل الدولة أمام قضاء استعجال ما قبل التعاقد : مهند مختار نوح ، المرجع السابق، ص 852.

[2] راجع الدكتور مهند مختار نوح المرجع السابق ص 861.

- الاخلال بقواعد الإعلان والإشهار الصحفي، إذ أن غياب الإشهار الصحفي كليا أو جزئيا يمكن أن يجعل إرادة الإدارة مشوبة بشبهة الفساد، وهوأمر تجرمة قواعد قانون الصفقات العمومية من جهة، وقواعد قانون الفساد من جهة أخرى.

- توجيه المواصفات والخصوصيات التقنية، حيث يتعين ألا توضع مواصفات وخصوصيات تقنية تتعلق بموضوع الصفقة، بصورة تنطوي على عنصر تفضيلي لأحد المترشحين على حساب أقرانه، وقد قرر مجلس الدولة الفرنسي أن وضع مواصفات أكثر تعقيدا من المواصفات المنصوص علها للتوريدات المطلوبة من شأنه أن يؤدي إلى حصر المنافسة بين عارضين محددين تتوافر لديهم توريدات في مستوى هذه المواصفات، وهو ما يشكل في حد ذاته خرقا بينا لالتزام الإدارة بحماية شفافية المنافسة[1].

- إغفال بعض البيانات الجوهرية المنصوص علها في قانون الصفقات العمومية والمشار إلها سابقا كعدم تحديد آجل كاف لتقديم العروض أو إسقاط بعض المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع العقد يجعل عيب الإخلال بقواعد المنافسة والاشهار قائما، الأمر الذي يجعل تدخل قاضي استعجال ما قبل التعاقد في مادة إبرام الصفقات العمومية مبررا .

- إغفال أسباب رفض العروض يعد من قبيل الإخلال بقواعد النمنافسة والإشهار حسب ما ذهب إليه مجلس الدولة الفرنسي بموجب قرار له صادر بتاريخ 21 جانفي 2004 في قضية شركة أكيتان ديموليسيون[2]، وفضلا عن ذلك ألزم المشرع الجزائري الإدارات العمومية بتسبيب قراراتها إذا كانت في غير صالح المواطنين تطبيقا لاحكام المادة 11 من القانون 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 والمتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته المعدل والمتمم.

وعطفا عما تقدم، فإن أي إجراء تتخذه الإدارات العمومية بشكل يخالف قواعد المنافسة والإشهار المنصوص علها في القوانين والتنظيمات المعمول بها، يعد سببا جديا لتدخل قاضي استعجال ما قبل التعاقد .

الفرع الثاني: سلطات قاضي استعجال ما قبل التعاقد

لقد خول المشرع الجزائري قاضي استعجال ما قبل التعاقد سلطات تكاد تكون غير مألوفة في التشريع الإجرائي السابق الذي كان يحكم قضاء الاستعجال.

إذ يمكن للقاضي أن يأمر الإدارة بالامتثال لالتزاماتها تارة، كما له سلطة تأجيل إبرام العقد فضلا عن سلطاته في تقرير غرامة تهديدية في مواجهة الإدارة، لأجل ذلك سندرس هذه السلطات تباعا في ما يأتي:

أولا: سلطة الأمر

تنص الفقرة الرابعة من المادة 946 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية أنه يجوز للمحكمة الإدارية أن تأمر المتسبب في الإخلال بالامتثال لالتزاماته وتحدد الأجل الذي يجب أن يمتثل فيه.

ومن ثم يتبين أن قاضي استعجال ماقبل التعاقد له أن يوجه أوامرا بالامتثال للالتزامات التي يفرضها القانون على المصلحة المتعاقدة خلال عملية إبرام العقد، و صورة ذلك الأمر بإعادة نشر الإعلان ومطابقة عملية الإشهار الصحفي لمقتضيات تنظيم الصفقات العمومية.

كما يمكن للقاضي في إطار سلطة الأمر أن يفرض على الادارة بيان أسباب رفض عرض معين، كما درج على ذلك قضاء مجلس الدولة الفرنسي في حكم صادر له بتاريخ 02 سبتمبر 1996[3].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 869.

[2] انظر بخصوص قضية شركة Aquitaine Demolition: Catherine BERGEAL , Frédéric LENICA .op cit p 106

[3] راجع بخصوص هذه القضية: Aldo Sévino. Op cit . p125

وانظر أيضا بخصوص سلطة الامر : لحسين الشيخ آث ملويا، 2007، المنتقى في قضاء الاستعجال الاداري ، دراسة قانونية فقهية وقضائية مقارنة ، دار هومة ، الجزائر، ص 270.

ثانيا : فرض الغرامة التهديدية على المصلحة المتعاقدة

في حال عدم امتثال المصلحة المتعاقدة لأوامر قاضي استعمال ما قبل التعاقد يمكن لهذا الأخير أن يفرض غرامات تهديدية تسري من تاريخ انقضاء الأجل المحدد لها مسبقا حتى تمتثل لأوامر القاضي وتعيد النظر في اجراءاتها غير القانونية في عملية الإبرام، وذلك تطبيقا لمقتضيات الفقرة الخامسة من المادة 946 من قانون الإجراءات المدنية و الادارية، هذا ويعتبر كثير من الفقه أن الغرامات التهديدية فيها من الإلزام والضغط على المصلحة المتعاقدة قصد حثها على مراجعة بنودها وإجراءاتها وتعديلها وفق ما يقتضي القانون والتنظيم.

بل إن مجلس الدولة الفرنسي قد قرر في أحد أحكامه الشهيرة الصادرة في 10ماي 1974 من أن إضافة الغرامة التهديدية إلى الأمر يعتبر من قبيل المبادىء العامة للقانون.

ثالثا: سلطة تأجيل إمضاء عقد الصفقة العمومية .

يملك قاضي استعجال ما قبل التعاقد بناء على مقتضيات الفقرة السادسة من المادة 946 من قانون الاجراءات المدنية و الادارية أن يأمر بالتأجيل الفوري لعملية توقيع أو إبرام العقد ولمدة لا تتجاوز 20 يوما.

وتعزى هذه السلطة لتمكين القاضي من ممارسة رقابته بصورة فعالة، وتعتبر هذه السلطة مكنة يحوزها قاضي الاستعجال عندما تتوافر أسباب جدية لتقرير تأجيل إبرام العقد، لاسيما إذا تبين أن إمضاء العقد سيخلف ضررا يصعب جبره[1].

هذا ويذهب المشرع الفرنسي إلى تمكين القاضي من سلطة إلغاء بعض القرارات والبنود التي تتخذها المصلحة المتعاقدة في عملية إبرام العقد، فضلا عن سلطة الحذف كما يقرر مفوض الحكومة برجيال أن قاضي الاستعجال يمكن أن يحذف بعض البنود التعاقدية بغض النظر عن عددها وطبيعتها ومضمونها[2]. والملاحظ أن هذه السلطات تندرج تحت طائلة سلطة الأمر التي يحوزها قاضي استعجال ما قبل التعاقد فالأمر ينسحب أيضا إلى الإلغاء والحذف.

وقد ألزم المشرع الجزائري قاضي الاستعمال ما قبل التعاقد بإصدار قراراته في مدة لا تتجاوز 20 يوما من تاريخ رفع الدعوى وفق ما نصت عليه المادة 947 من قانون الإجراءات المدنية و الإدارية.

الخاتمة

من جماع ما تقدم يمكن القول أن استحداث إجرءات خاصة بالاستعجال في مادة ابرام الصفقات العمومية أمر يستحق التنويه والتثمين ، إذ لا ينكر إلا جاحد أن الطبيعة الخاصة التي تنعقد علىها الصفقات العمومية تجعل جبر الضرر الحاصل أثناء عملية إبرامها من الصعوبة بما كان الأمر الذي جعل المشرع الجزائري يتأسى بغيره من التشريعات المقارنة ويتبنى قواعد متميزة لاستعجال ذو طبيعة خاصة .

إذ مكن المشرع الجزائري قاضي استعجال ما قبل التعاقد بسلطات غيرمألوفة في ظل التشريعات الاجرائية السابقة، فهو يأمر الادارة ويحكم ضدها بغرامات تهديدية فضلا عن سلطته في تأجيل إبرام العقد طالما قدر القاضي المختص أن من شأن هذا التأجيل حماية حقوق المدعي. وهي سلطات تجعل بالنتيجة أن استعجال ماقبل التعاقد تتجاوز فيه سلطات القاضي السلطات المألوفة في قضاء الاستعجال.

غير أن تداخل حالات الاستعجال قبل الإبرام وبعده يجعل من سلطات القاضي متداخلة تبعا، فضلا على أنها ضيقة مقارنة بالتشريعات المقارنة، لأجل ذلك نقترح لتأطير نظرية الاستعجال في مادة ابرام العقود والصفقات ما يأتي :

أولا : الفصل بين استعجال ما قبل التعاقد والإستعجال التعاقدي.

---

[1] راجع الدكتور مهند مختار نوح، المرجع السابق ،ص874. Aldo Sévino. Op cit . p123

[2] Idem. Op cit . p123 ..Catherine BERGEAL, Frédéric LENICA .op cit p120.

ثانيا : توسيع سلطات قاضي استعجال ما قبل التعاقد الى سلطة الالغاء والحذف لأن سلطة الأمر فيها نوع من التعميم، يمكن أن تفسر بطريقة تخالف مقتضيات استعجال ما قبل التعاقد الذي ينعقد على طبيعة خاصة تتميز عن غيرها من قواعد الاستعجال في المادة الادارية عموما

ثالثا: تمكين الوزراء من تمثيل الدولة أمام قاضي استعجال ما قبل التعاقد في الحالات التي تكون فيها المصلحة المتعاقدة تخرج عن نطاق الجماعات الإقليمية ومؤسساتها المحلية

المراجع:

لحسين الشيخ آث ملويا ، 2007، المنتقى في قضاء الاستعجال الإداري ، دراسة قانونية فقهية وقضائية مقارنة ، الجزائر، دار هومة.

مهند مختار نوح، 2005، الإيجاب والقبول في العقد الإداري ، دراسة مقارنة، بيروت، منشورات الحلبي الحقوقية.

عمار بوضياف، 2012، شرح قانون الولاية، القانون 12/ 07 المؤرخ في 21فيفري 2012، الطبعة الأولى، الجزائر، دار جسور.

ALDO, Servino, 2007, le mémento du référé précontractuel : Procédures, moyens et jurisprudence. France, Editions Eyroues

Catherine BERGEAL, Frédéric LENICA, 2010, les contentieux des marchés publics, édition revue et corrigée. Paris, Edition le MONITEUR

لقانون 01/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 المتعلق بالوقاية من الفساد ومكافحته، الجريدة الرسمية رقم 14 المؤرخة في 8 مارس 2006 المعدل والمتمم بالقانون 10/ 05 المؤرخ في 26 أوت 2010، الجريدة الرسمية رقم 50 المؤرخة في 1 سبتمبر 2010 المعدل والمتمم بالقانون رقم 15/11 المؤرخ في 2 أوت 2015، الجريدة الرسمية رقم 44، المؤرخة في 10 أوت 2011.

القانون 09/08 المؤرخ في 25 نوفمبر 2008 المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية (الجريدة الرسمية رقم 21 المؤرخة في 23 أفريل 2008

القانون 10/11 المؤرخ في 22 جوان 2011 يتعلق بالبلدية، الجريدة الرسمية رقم 37 المؤرخة في3 جويلية 2011.

القانون 12/ 07 المؤرخ في 21 فيفري 2012 يتعلق بالولاية الجريدة الرسمية رقم 12 المؤرخة في 29 فيفري 2012.

القانون 16/ 01 المؤرخ في 6 مارس 2016 يتضمن التعديل الدستوري، الجريدة الرسمية عدد 14، المؤرخة في7 مارس 2016.

المرسوم الرئاسي 15/ 247 المؤرخ في 16 سبتمبر 2015 يتضمن تنظيم الصفقات العمومية وتفويضات المرفق العام، الجريدة الرسمية عدد 50 المؤرخة في 20 سبتمبر 2015.

د.نواصرية الزهراء
جامعة باجي مختار عنابة

ملخص: الجماعات المحلية هي مؤسسات إدارية إقليمية لا مركزية، أوكل لها المشرع مهمة التنمية المحلية على مختلف المستويات، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في إطار ما يسمح به القانون.

من أجل ذلك فقد منحها الشخصية المعنوية وخولها ميزانيتها الخاصة بها التي يتم تمويلها من موارد مالية مختلفة، حيث تشكل الموارد الضريبية الحيز الأكبر منها.

وعليه، أصبح من الضروري نقل صلاحية وسلطة تغطية الموارد الجبائية من الإدارة الضريبية إلى الإدارة المحلية، ومن ثمة تمكن الجماعات المحلية التي تتمتع بالاستقلال الذاتي أن تتولى تحديد استراتيجياتها الخاصة سواء تجاه الجماعات المحلية من نفس النوع أو حتى مقابل السلطة المركزية.

الكلمات المفتاحية: الجماعات المحلية، الموارد الجبائية، الميزانية العامة،اللامركزية الجبائية.

Abstract: In spite of the importance of the fiscal resources for the budget of the local administration which is responsible by law for the local development in the various domains, the introduction of the tax, the fixing of. its rate as well as its recovery, are decided at the level of tax administration; except for a few exceptions, for the recovery of the property tax and the sanitation tax.

The role of local authorities in tax matters remains very limited, that is what we will try to address in this article.

Key words: local authorities, fiscal autonomy, fiscal decentralization.

مقدمة: الإدارة المحلية هي قاعدة اللامركزية التي أخذت بها الجزائر على غرار الكثير من الدول، حيث أوكل لها المشرع مهمة تسير المرفق العام و التنمية المحلية وتحقيق حاجات المواطنين، هذه المهام لا يمكن تحقيقها إلا بوجود موارد مالية للإنفاق، فحاجات المواطنين هي نفقات مالية في النهاية.

وتعد الضريبة مورد مالي هام جدا بالنسبة للإدارة المحلية وهو ما ينعكس على أدائها التنموي، حيث تشكل الضريبة الجزء الأكبر من هذه الموارد، و تشير الإحصائيات أنها تحتل نسبة 90بالمئة من إيرادات البلديات وتعاني البلديات من العجز المالي الذي هو وحسب الإحصائيات في تزايد مستمر[1]، وبالرغم من الحل الذي قدمه المشرع ممثلا في الصندوق المشترك للجماعات المحلية[2] إلا أن ذلك لم يجدي نفعا كبيرا بالمقارنة مع حجم العجز المالي المسجل، وكانت في وقت سابق الجبائة البترولية المنقذ لميزانية الجماعات الإقليمية قبل أن يتراجع سعر البترول وتسقط الشجرة التي كانت تغطي الغابة مما صعب الأمر كثيرا على تلك الجماعات خاصة وأن الدولة وهي في حالة التقشف لا يمكنها الاستمرار في تغطية العجز المسجل في جل البلديات[3].

---

[1] هذا الوضع أدركته الجزائر منذ مدة ومن أجل ذلك أنشأت لجنة وزارية مشتركة بتاريخ 07جويلية2007 مكلفة بإصلاح المالية والجبائة المحلية، حيث يندرج الإصلاح على سنوات متعددة يبدأ بتشخيص النظام الحالي ومن ثمة برنامج للإصلاح بإشراك جهات مشتركة ويتم ذلك على مدى سنوات، وقد قدمت اللجنة فعلا اقتراحات تتضمن تدابير تتخذ بشكل فوري وأخرى على المدى القصير والطويل. مأخوذ من موقع وزارة الداخلية والجماعات المحلية بتاريخ2017/08/12 على الساعة13.30د /http://www.interieur.gov.dz/index.php/ar.

[2] وقد أستحدث هذا الصندوق والذي هو مؤسسة عمومية ذات طابع إداري تحت وصاية وزارة الداخلية بموجب المرسوم رقم86-266المؤرخ في 1986/11/04 والمتضمن تنظيم وسير الصندوق المشترك للجماعات المحلية وتكمن مهمته الرئيسية في تكريس التضامن المالي بين الجماعات المحلية.

هذا ويبدوا أن الدولة وبسبب حالة التقشف التي تمر بها البلاد بسبب انخفاض سعر البترول تسير نحو مردودية البلديات وتجسيد استقلالها المالي في الواقع وهذا ما يمكن فهمه من تصريحات السيد المدير العام للإدارة المحلية والتي يحث فيها الادارة المحلية على البحث عن موارد أخرى للتمويل "... إن برنامج الرئيس الخاص بـ 100 محل في كل بلدية لوحده جراء أموال الكراء التي قررت الداخلية اقتطاعها بعد نحو 10 سنوات من النشاط من شأنه تمكين البلديات من عائدات هامة، إذا تم تسيير ملفه بطرق ناجعة، و قال أن الـ 122 محلا المنجزة منذ سنة 2005 ستوفر ثروة هامة للجماعات المحلية، و هو

وبالتالي وأمام هذا الطرح كان لزاما علي الإدارة المحلية إيجاد بديلا وحلا للمشكلة باعتبارها هي المسؤولة عن تغطية مواردها.

وبالرغم من أخذ المشرع باللامركزية الإدارية ومنحه بعض من الاستقلال المالي للجماعات الإقليمية إلا أنه استبعد اللامركزية الجبائية، بالتالي فعملية تحديد الوعاء الضريبي والتحصيل وكذا مكافحة التهرب الضريبي ظلت من اختصاص الإدارة الجبائية وحدها كقاعدة، بغض النظر عن سلطة البلديات في تحصيل بعض الضرائب المخصصة لها كلية، ولها في سبيل ذلك العديد من السلطات قصد تحقيق تلك الأهداف.

ولإن للإدارة المحلية مصلحة تعود عليها من حسن أداء الإدارة الجبائية قصد التحصيل ومكافحة عمليات التهرب الضريبي، فالتساؤل الذي يطرح هو هل يمكنها المشاركة في العملية أو حتى إبداء رأيها في الكثير من القرارات التي تتخذها الإدارة الجبائية، وهذا ما سنتطرق إليه نقطتين، الأولى الى مدى مشاركة الإدارة المحلية في عملية التحصيل الجبائي، ثم دورها في المنازعة الجبائية، وقبل ذلك يجدر بنا تبيان دور الضريبة في ميزانية الإدارة المحلية كما يلي.

أولا-دور الضريبة في ميزانية الإدارة المحلية: لكل دولة وظائف تقوم بها تجاه مؤسساتها ومواطنيها فهي مكلّفة مثلا بالإنشاء والتعمير والبنية التحتية والتعليم والصحة ... وغيرها من الوظائف التي لا يمكنها تحقيقها إلى بموجب مورد مالية هائلة تحصل عليها بوسائل متعددة، وأهم هذه الموارد هي الجباية.

وتعد الجماعات المحلية[1] المتمثلة في الولاية والبلدية وفقا للمادة 16 من الدستور[2]، القاعدة التي تعتمد عليها الدولة لتسيير المرفق العام والموكل لها محليا بتنفيذ وظائفها على المستوى المحلي، وتبعا لذلك فقد جاء الباب الثاني من القسم الثاني من القانون رقم10/11 المتعلق بقانون البلدية والتي هي الجماعة الإقليمية القاعدية للدولة وفقا للمادة الأولى من القانون السابق، لينص على صلاحيات البلدية في 04 فصول أهمها التهيئة والتنمية، التعمير، نشاطات فيما يخص التربية والثقافة، والنظافة وحفظ الصحة والطرقات المواد من 103 الى124، وكذلك الفصل الرابع من الباب الثاني من قانون رقم07/12 المتضمن قانون الولاية[3]المواد 73 الى101.

وهي وفقا للمادة 50 من القانون المدني أشخاص معنوية، حيث يترتب على هذا الوصف أثار قانونية هامة أهمها أن يكون لها ذمة مالية مستقلة والتي كقاعدة تتكون من جانب إيجابي ويتضمن الأصول وجانب سلبي ويتضمن الخصوم،وتبعا لذلك يتعين على تلك الجماعات أن تعد ميزانية سنوية للقيام بمهامها.

الإجراء الذي يسمح بتحصيل ما لا يقل عن 10 ملايير دج، وهذا بعد تحويل هذه الممتلكات إلى البلدية مباشرة، و هي الخطوة التي تمت مباشرة إجراءاتها، وقال المتحدث "نطمح لبلوغ 30 مليار دج، خاصة إذا تم احتساب ما يذره 202 ألف عقارا تابعا للبلديات" وأكد المسؤول أن التدابير الجديدة تسمح للبلديات بأن تكون ثرية ولا تختلف عن باقي المؤسسات الاقتصادية بحلول سنة 2017، مشيرا إلى أنه من مجموع البلديات يتم إحصاء 400 بلدية ثرية و950 بلدية تحظى بميزانية متواضعة بفضل طابعها الفلاحي، كون الفلاحين لا يدفعون رسوما على نشاطهم، وأقرّ المتحدث بأن مردود البلديات ضئيل غير أن التدابير الجديدة التي ستدخل حيز التطبيق بداية من 2017 سترتفع مداخيلها..." مقال بجريدة المحورل2016/10/16 وأوردته المديرية العامة للضرائب في صفحتها الرسمية **أنظر**

[3]. **http://www.mfdgi.gov.dz/index.php/ar/medias-et-presse-2/articles-de-presse/1025-2016-10**

عرفت الجماعات المحلية بأنها تقسيم سياسي جغرافي موحدة بسيطة ودون مستوى الولاية أو الجمهورية أو المقاطعة في الدول الفيدرالية المركبة، وتتمتع هذه الجماعات بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وظهرت عبارة الجماعات المحلية في الجزائر بموجب قانون 1947/09/20 في المادة54 ممثلة في البلديات والولايات والتي صدر أول قانون لها بعد الاستقلال سنة 1967 بالنسبة للبلدية بقانون24/67 أما الولاية سنة1969 بموجب قانون38/69. أنظر في هذا المجال يوسفي نور الدين، الجباية المحلية ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية في الجزائر(دراسة تقييمية للفترة مابين2000،2008مع دراسة حالة ولاية البويرة)،رسالة ماجستير في العلوم الاقتصادية، جامعة بومرداس2010/2009،ص10.[1]

[2] المادة 16 من دستور28 فيفري1996 المعدل والتي نصت" الجماعات الإقليمية للدولة هي البلدية والولاية. البلدية هي الجماعة القاعدية"

[3] قانون رقم 07/12 المؤرخ في 28ربيع الأول 1433 الموافق ل24فبراير2012 المتضمن قانون الولاية.

حيث نصت المادة 170 من قانون البلدية[1] " تتكون موارد الميزانية والمالية للبلدية بصفة خاصة فيما يلي: حصيلة الجباية، مداخيل ممتلكاتها، مداخيل أملاك البلدية، الإعانات والمخصصات، ناتج الهبات والوصايا، القروض".

أي أن ميزانية البلدية تتكون من موارد جبائية وغير جبائية، وتشكل الضريبة أهم تلك الموارد حيث تبلغ نسبة 90 بالمئة من إجمالي الميزانية[2].

وعليه تقوم الجماعات المحلية بتحضير ميزانيتها السنوية أخذة بعين الاعتبار الموارد الضريبية المزمع تحصيلها وفقا لما يبلغها به المدير الولائي للضرائب م199 ق ض م، حيث يؤخذ بعين الاعتبار أخر النتائج المعروفة للتحصيلات، وتتولى الإدارة الجبائية التحويل لتلك المبالغ على دفعات لصالح إدارة المحلية خلال السنة.

وتقسم الضرائب من حيث استقلالها الى 3 انواع وهي:

1-الضرائب الخاصة، والتي تقوم فيها الحكومة بتحديدها كلية على مستوى تحديد المعدلات، تحديد الوعاء، الإعفاءات والتخفيضات والتحصيل.

2-الضرائب المترابطة: وتحدد فيها الحكومة معايير الإخضاع الوعاء، الإعفاءات والتخفيضات...أما المعدلات فيترك تحديدها الى الشأن المحلي.

3- الضرائب المقسمة: والتي تحصلها الدولة ثم يعاد تقسيمها بين مستويات الحكومة المتعددة بنسب محددة مسبقا، أو بناء على معايير للتقسيم(مفاتيح التقسيم) منها عدد السكان والوضع الاقتصادي...[3]

حيث تسفيد الجماعات المحلية في القانون الجزائري من عدة أنواع من الضرائب والرسوم[4]، تختلف القوانين الضريبية وقوانين المالية في تحديد نسب مداخيل الجبائية التي تؤول لفائدة الجماعات المحلية حسب نوع وطبيعة الضريبة أو الرسم، فتصل لنسبة المئة بالمئة في بعضها مثل الرسم العقاري ورسم التطهير، وتنخفض الى أقل من 10 بالمئة بالنسبة للبعض الأخر[5].

و يخصص المشرع بعض من هذه الموارد كلية لصالح الجماعات المحلية وأخص بذلك البلديات منها مثلا رسم الإقامة والرسم على الصفائح والإعلانات الإشهارية وكذا الرسم على رخصة البناء وكذا ما نصت عليه المادة197 من ق ض م أي الرسم العقاري ورسم التطهير، وفيما يخصص جزء من ضرائب أخرى ليذهب لصالح تلك الجماعات وجهات أخرى بنسب مختلفة ومتغيرة حسب قوانين المالية لكل سنة[6]، ونجد فيها الرسم على القيمة المضافة، الرسم على الأملاك وقسيمة

---

[1] قانون رقم11-10 مؤرخ في 20رجب 1432الموافق ل22 يونيو2011 المتضمن قانون البلدية.

[2] بن صغير عبد المومن،واقع إشكالية تطبيق الجباية المحلية في الجزائر(صعوبات الإقتطاع وأفاق التحصيل)،مجلة الندوة للدراسات القانونية، **https://revuenadwa.jimdo.com** العدد01،2013،ص95.

عباسي صابر،كردودي سهام، دراسة تقييمية لتجربة الاتحاد الأوربي في اللامركزية الجبائية، مداخلة مقدمة في ملتقى دولي اللامركزية الجبائية ودورها في تمويل الجماعات المحلية-واقع واستشراف- يومي10و11جوان 2013 جامعة سعد دحلب البليدة،

[3] **http://www.academia.edu/5822108/**

وهي عبارة عن ضرائب مباشرة وتتمثل في الدفع الجزافي، الرسم على النشاط المهني،الرسم الفرعي على البنزين والمواد الصيدلانية، الرسم العقاري، رسم السكن ورسم التطهير...،وكذا ضرائب غير مباشرة منها الرسم على الذبح، الرسم على القيمة المضافة، وضرائب أخرى منها الرسم على الإعلانات والصفائح المهنية،رسم الإقامة، قسيمة السيارات... أنظر في هذا المجال لخضر مرغاد،الإيرادات العامة للجماعات المحلية في الجزائر،مجلة العلوم الإنسانية جامعة بسكرة،عدد07،فيفري2005.

[4] **www.webreview.dz**

ومثال ذلك نص المادة222 و222مكرر ق ض م فيما يخص الرسم عن النشاط المهني، وم466 ق ض غ م فيمل يخص الرسم الصحي على اللحوم، وم 161من ق الرسم على رقم الاعمال فيما يخص الرسم على القيمة المضافة.[5]

[12]من الإيرادات الضريبية ماهو مباشر وغير مباشر، ومن ضمن الضرائب المباشرة نذكر:

-الرسم العقاري :تشير بعض الدراسات أن نسبته ضئيلة جدا وتوضح عجز التسيير العقاري والذي يعتبر مورد ضروري لميزانية البلدية.

السيارات، أما النوع الثالث فهي الضرائب المحصلة لصالح الولاية والبلديات والصندوق المشترك ونجد فيها الرسم على النشاط المهني[1] وفقا للمادة197ق ض م.

والقاعدة أن مهمة تحديد الوعاء والتحصيل موكلة للإدارة الجبائية، فهي الممثل لوزارة المالية في هذا المجال، إلا أنه وبالنظر لمعطيات معينة فقد أوكل المشرع مهمة التحصيل لجهات أخرى لتقوم بذلك.

فقد نص قانون الجماعات الإقليمية على حقها في تحصيل بعض الرسوم والضرائب مباشرة بنفسها ولفائدتها وهذا بالنسبة للرسوم التي تدفع مقابل الخدمات المؤداة مباشرة وهذا ما نصت المادة 175 من قانون البلدية"تحدد البلدية في إطار تسيير ممتلكاتها وسير مصالحها العمومية المحلية مساهمة مالية للمرتفقين تتناسب وطبيعة الخدمات المقدمة ونوعيتها...".

ونصت المادة 197 من قانون الضرائب المباشرة والرسوم المماثلة على "...وتحدد معدلات الرسوم العائدة للولايات والبلديات عند الاقتضاء في كل سنة من قبل الجماعات طبقا للقانون".

ولأنها كذلك فما هو دورها في التحصيل لتلك الضرائب والرسوم؟ وهل يمكنها المشاركة في المنازعة التي تنشأ بمناسبة فرض الضريبة أو تحصيلها أو أن الأمر حكرا على الإدارة الجبائية؟.

ثانيا- دور الجماعات المحلية في عملية التحصيل الجبائي: ونميز في هذا المجال بين الجباية التي تحصلها الجماعات المحلية(البلدية) مباشرة وبين تلك التي يتم تحصيلها من قبل الإدارة الجبائية و جهات أخرى لصالح الجماعات المحلية.

بالنسبة للرسوم والأتاوى الموكل تحصيلها للإدارة المحلية، نصت المادة 169 من قانون البلدية على أن "البلدية مسؤولة عن تسيير مواردها المالية الخاصة بها وهي مسؤولة أيضا عن تعبئة مواردها"، وعددت المادة170 من نفس القانون تلك الموارد وتصدرتها حصيلة الجباية، ومن أجل ذلك وكما سبقت الإشارة فإن المشرع قد خول للإدارة المحلية سلطة التحصيل المباشر لبعض الرسوم التي تتلقاها عند تقديمها للخدمات المختلفة م 175 ق ب، بالإضافة الى بعض الرسوم التي خولها المشرع تحصيلها مباشرة بنفسها ولنفسها فتؤول إليها كلية، و نصت المادة 196 من قانون البلدية "لا يسمح للبلدية إلا بتحصيل الضرائب والمساهمات و الرسوم والأتاوى المحددة عن طريق التشريع والتنظيم المعمول بهما".

حيث يصوت المجلس الشعبي البلدي، في حدود النطاقات المنصوص عليها قانونا علي الرسوم والأتاوى التي يرخص للبلدية بتحصيلها لتمويل ميزانيتها"، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تحصيل ضريبة أو رسم من دون الموافقة المسبقة المتداول عليها من قبل المجلس الشعبي البلدي م 197 ق ب.

وتتجلى مسؤولية البلدية في تعبئة مواردها وفقا لنص المادة 169 من قانون البلدية فيما يتعلق بالموارد الجبائية في القيام بعملية تحصيلها، ومن أجل ذلك يقوم رئيس المجلس الشعبي البلدي بإصدار سندات التحصيل والذي في حال رفضه

-الرسم على النشاط المهني : والذي يطبق على الأشخاص الذين يمارسون نشاطا صناعيا أو تجاريا أو أنشطة غير تجارية والذي يوزع بنسب معينة على الولاية والبلدية والصندوق المشترك للجماعات المحلية، وفي هذا الإطار فان التشجيع على إنشاء المهن الحرة والأنشطة الصناعية على المستوى المحلي يرفع من المداخيل . -

-الرسم على القيمة المضافة : تضمنه قانون الرسم على رقم الأعمال الصادر سنة (1991)و المعدل بقانون المالية لسنة (1994)، ويتم توزيعه بنسب مختلفة إلا أن النسبة التي تتحصل عليها البلدية تقدر بـ 6 % وهي نسبة قليلة مقارنة بحصة الدولة 85 % و 9 % المتبقية للصندوق المشترك للجماعات المحلية .

- الرسم على رفع القمامات المنزلية ورسم التطهير، رسم الذبح ، الرسم على العروض ، رسوم التعمير

- الدفع الجزافي (VF) ويوزع على البلديات (30 %) والصندوق المشترك للجماعات المحلية (70 %) هذا الأخير يوزعه كما يلي (60 % للبلديات ، 20 % للولايات ، 20 % للتضامن) .

زبرومي نعيمة،سنوسي بن عومر، الجباية المحلية في الجزائر بين الواقع والتحديات، مقال منشور على الإنترنات

[1] https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/276/3/5/7522

القيام بذلك، يتولى الوالي إصدار قرارا يحل محل سند التحصيل السابق وفقا للمادة203 من قانون البلدية، كما يتولى رئيس المجلس الشعبي البلدي إلا في الأحوال المستثناة قانونا بإعداد جداول الرسوم الواجبة التحصيل م207 ق ب.

وتوكل مهمة التحصيل[1]لتلك الإيرادات لأمين خزينة البلدية وهو وحده المكلف تحت مسؤوليته بمتابعة العملية وفقا للمادة 206 ق البلدية[2].

حيث يلاحظ ومن خلال هذا الطرح البسيط لعملية تحصيل الرسوم الموكلة مباشرة للجماعات الإقليمية ما يلي:

1- أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال لهذه الجماعات إنشاء أي ضريبة أو رسم لأن تلك المهمة خاصة بالدولة دون غيرها بموجب قوانين المالية التي يتم إعدادها والمصادقة عليها طبقا للقانون[3]، وهو المبدأ الذي يؤكده الدستور في المادة78 وجاء نص المادة195 ق ب في الفقرتين2و4 ليؤكد ذلك : "- ناتج الموارد الجبائية المرخص بتحصيلها لفائدة البلديات بموجب التشريع والتنظيم المعمول بهما...

-رسوم وحقوق ومقابل الخدمات المرخص بها بموجب القوانين والتنظيمات...".

2-أن سلطة الجماعات الإقليمية واستقلالها في بعض الرسوم تكمن في تحديد معدلاتها فقط وفقا لنص المادة 198 من ق ض م، والتي تكون موضوع تداول وموافقة من قبل المجلس الشعبي البلدي وفقا للمادة 197 ق ب، وهذا وفقا لمعايير محددة قانونا ومثال ذلك في ما يخص الرسم العقاري الذي يحدد وفقا للقيمة الإيجارية الجبائية المحدد حسب المتر المربع م256 ق ض م[4]، وكذا رسم رفع القمامة المنزلية وفقا لنص المادة263مكرر3"تحدد الرسوم المطبقة في كل بلدية بقرار من رئيس المجلس الشعبي البلدي بناءا على مداولة المجلس الشعبي البلدي وبعد استطلاع رأي السلطة الوصية.".

3-أنه ليس للجماعات الإقليمية أي سلطة في تحدد أوعية الضرائب[5] فالدولة وحدها هي القائمة بذلك وتتولى الإدارة الجبائية مسؤولية ذلك، ثم تحدد قيمة مصاريف تحديد الوعاء والتحصيل للرسوم و الضرائب المذكورة في المادة197 ق

---

[1] وتعرف عملية التحصيل بأنها مختلف العمليات والإجراءات التي يتم من خلالها نقل قيمة الضريبة من جيوب المكلفين بها الى الخزينة العمومية للدولة DUVERGER Maurice, Elément de la fiscalite, paris p34.

[2] أمرت وزارة الداخلية والجماعات المحلية البلديات بالاتجاه إلى التسيير الاقتصادي لتحصيل جبايتها بنفسها بداية من سنة 2017 ضمن قانون البلديات، الذي يمنح صلاحيات جديدة في تحصيل الجباية المحلية وخاطبت الأميار قائلة "انتهى عهد الاتكال على أموال الدولة موازاة مع صعوبة الوضع التي تمر به البلاد". وأضاف نفس المصدر بالقول " ستتحول البلديات إلى مصدر لذر الثروة بداية من سنة 2017 وتحقيق مداخيل هامة بفضل التوجه إلى الاقتصاد في التسيير وفق مخطط تحسين الجباية المحلية الذي اعتمدته الحكومة، وهو ما يضمنه قانون البلديات الجديد الذي ينص على التوجه نحو الاقتصاد كأولوية، والتأكيد على التكفل بالخدمة العمومية دون الاتكال على أموال الدولة التي أنفقت على البلديات 39 ألف مليار دج خلال الـ 15 سنة الماضية، هذا ما أكده المدير العام للإدارة المحلية بوزارة الداخلية والجماعات المحلية عز الدين كري بمنتدى يومية المجاهد ، وأضاف أن مشروع قانون المالية الجديد لسنة 2017 يتضمن توجهات جديدة في تحصيل الإرادات " مقال بجريدة المحورل2016/10/16 وأوردته المديرية العامة للضرائب في صفحتها الرسمية أنظر http://www.mfdgi.gov.dz/index.php/ar/medias-et-presse-2/articles-de-presse/1025-2016-10.

[3] ويرتبط ذلك بمبدأ قانونية الضريبة المعتمد دستوريا في الجزائر والذي يختلف تطبيقه في مختلف الأنظمة، ولقانونية الضريبة مدلولين شكلي وموضوعي، فالشكلي يعني أن يصدر تشريع يقر الضريبة أو الرسم من السلطة التشريعية المختصة داخل الدولة أما الموضوعي فيعني أن تكون تلك السلطة منتخبة من الشعب وهذا في الدول الموحدة أما الدول الفيدرالية والإتحادية فبعض الدول تميز بين بعض الضرائب والرسوم التي تخص الإتحاد ككل وتفرض من السلطة التشريعية الإتحادية أما الضريبة المحلية فتكون من إختصاص الدول الداخلة في الإتحاد ومثال ذلك الولايات المتحدة الإمريكية، كما تتطلب بعض الدول الإتحادية إقرار الضريبة من السلطة الإتحادية دون غيرها وهو ما تبنته دولة الإمارات العربية المتحدة. لمزيد من التفصيل أنظر رائد ناجي أحمد، مدى إختصاص المحافظات غير المنتظمة بإقليم بفرض الضرائب والرسوم(دراسة قانونية متخصصة في النظام القانوني في العراق)،مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، مقال منشور على أنترنات https://www.iasj.net/iasj

[4] لتحديد القيمة الإيجارية الجبائية في مجال الرسم العقاري المطبق على الملكيات المبنية وغير المبنية وتقييم الأملاك العقارية في حالة وجود نقص في التصريح. وحدد القرار الوزاري المشترك مؤرخ في 24 مايو1994 تصنيف البلديات حسب المناطق والمناطق الفرعية.

[5] زيرومي نعيمة وسنوسي بن عومر، المرجع السابق،ص226.

ض م والتي يدفعها الصندوق المشترك للجماعات المحلية و تتعلق فقط بنفقات المطبوعات والمستخدمين م 207 من ق الضرائب المباشرة.

4-أن المشرع قد سمح للبلدية بالقيام بعملية التحصيل لبعض الرسوم والأتاوى ، ونميز في هذه العملية بين:

أ- التحصيل الذي يتم من قبل البلدية والذي يتولاه أمين خزينة البلدية ويتعلق الأمر برسوم الخدمات التي تقدمها البلدية مباشرة وتحصل رسمها عند العملية وتؤول لخزينتها مثل الرسم على رخصة البناء، بالإضافة الى الضرائب والرسوم الآيلة كلية للبلدية مثل الرسم العقاري، الرسم على الإقامة، الرسم العقاري...

ب- الرسوم والضرائب التي تحصلها البلدية لصالح الإدارة الجبائية وتحت رقابتها ومثال ذلك ما نصت عليه المادة453و462 من قانون الضرائب غير المباشرة بالنسبة للرسم الصحي على اللحوم وهذا لأن الإدارة تعيد التوزيع على الجهات المستفيدة وفقا لنسب محددة قانونا.

إذن لا شك في أن المشرع خول للإدارة المحلية سلطة تحصيل الضرائب والرسوم المستحقة لها، لكن السؤال المطروح هو هل منحها سلطات عملية للتحصيل كما فعل مع الإدارة الجبائية كالحجز والغلق والبيع...؟

الإجابة هي لا، فسلطات البلدية في هذا المجال لا تختلف عن سلطاتها في تحصيل حقوقها الأخرى عموما.

2- **الضرائب والرسوم التي تحصلها الإدارات الأخرى:** بعض الرسوم تحصلها جهات أخرى تبعا لاختصاصها ليؤول الى الخزينة العامة والتي تعيد توزيعه حسب التخصيص المحدد له في القانون، ومثال ذلك رسم السكن والذي يدرج في فاتورة الكهرباء والغاز، رسم التطهير فيدرج في فاتورة المياه، الرسم الصحي على اللحوم المستوردة فتحصلة إدارة الجمارك م465 ق ض غ م.

بالإضافة الى الضرائب والرسوم تحصل من قبل الإدارة الجبائية وهي الجهة الأصلية المكلفة بهذه العملية، حيث تتولى عملية التحصيل لمختلف الضرائب والرسوم بما فيها تلك المخصصة بنسبة كبيرة لصالح الجماعات الإقليمية مثل الضريبة على الأملاك م197-2ق ض م، وفي سبيل ذلك يكلف المعنيون بالتصريح وفقا للأشكال التي يحددها القانون وفي الأجال المحددة لدى الإدارة والتي يكون لها السلطة الكاملة في الرقابة على التصريحات المقدمة وفقا لأحكام المواد18 وما بعدها من قانون الإج الجبائية، وتبعا لذلك تحدد الوعاء والضريبة الواجبة ومن ثم تصدر قرار التحصيل والذي يتولى القابض القيام بإجراءات تنفيذة، كما أنها تفرض الغرامات عن التأخير و المنازعات التي تنشأ بسبب ذلك تتولاها الإدارة وحدها.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال هل يمكن للجماعات المحلية إقرار إعفاءات أو تخفيضات بناءا على معايير معينة لهذه الرسوم التي تتكفل هي بتحصيلها؟ وهل يمكنها تطبيق عقوبات عن التأخير أو في حالات الغش والتحايل والتي تدفع لصالح خزانة البلدية؟ وماذا عن المنازعات التي تثار حول هذه الضرائب والرسوم؟.

الإجابة هي لا فالمشرع هو الذي يحدد قائمة الإعفاءات الدائمة والمؤقتة مثل حالة الرسم العقاري م252،250 و261-هـ ق ض م، وكذا رسم التطهير م265 ق ض م، وبالتالي فلا يمكن للجماعات المحلية القيام بذلك.

كما لا يجوز لها توقيع غرامات جبائية عن المخالفات المرتكبة، حيث تكون تلك السلطة حصرية للإدارة الجبائية ويفهم ذلك من نص المادة226 و3/224من ق ض م والتي أحالت في ذلك للمادة 192و 193 من ق ض م، هذا وتدخل الغرامات والزيادات عادة في الحصيلة العامة للخزينة إلا أنه قد ينص القانون على تخصيصها صراحة فتحول إلى الجهة المعنية ومثال ذلك ما نصت عليه المادة231 من ق ض م فيما يخص الرسم على النشاط المهني [1].

ونصت المادة 224من ق ض المباشرة على الإلتزام بالتصريح بالنشاط من كل شخص خاضع للرسم،حيث يكتتب لدى مفتش الضرائب المباشرة التابع لمكان فرض الضريبة، وحددت المواد226 الى228 من نفس القانون على الزيادات والجزاءات المترتبة على مخالفة الإلتزامات الجبائية الخاص بهذا الرسم، فيما

[1] نصت المادة231 على تخصيص تلك الزيادات لصالح الصندوق المشترك للجماعات المحلية.

ومنح المشرع للإدارة الجبائية سلطات كبيرة لضمان عملية تحصيل الحقوق المستحقة لفائدة الخزينة نظمها الجزء الرابع من قانون الإجراءات الجبائية منها الحجز والغلق للمحل والبيع، كما نظم طلبات المكلفين المختلفة فيما يخص تلك الغرمات والعقوبات في الباب الثاني من الجزء الثالث في قانون الإجراءات الجبائية، حيث نصت المادة92 و93 على الطعن بالإعفاء والذي يلتمس فيه المكلف بصفة ولائية الإعفاء أو التخفيف من الضرائب المباشرة المفروضة قانونا أو الزيادات والغرامات التي يتعرضون لها بسبب مخالفتهم للنصوص القانونية، حيث يتعين على المكلف الطالب تقديم شكوى الى مدير الضرائب بالولاية التي يتبع لها مكان فرض الضريبة وفقا للمادة 93 ق الإج الجبائية، وما يلاحظ هنا أن المشرع في الفقرة الثانية من المادة السابقة نص على أنه يمكن عرض الشكوى على رئيس المجلس الشعبي البلدي لإبداء رأيه فيها عندما يتعلق الأمر بشكاوى تعني الضرائب والرسوم المخصصة لميزانية البلديات.

ما يمكننا ملاحظته حول هذه النصوص:

1-أن عرض الشكوى جوازي يخضع للسلطة التقديرية للمدير الولائي للضرائب.

2-أن الأمر يتعلق بالشكوى التي تخص الرسوم والضرائب المخصصة لميزانية البلديات، ولم يوضح المشرع نسبة هذا التخصيص ونوع تلك الضرائب والرسوم المعنية.

3-أن دور رئيس المجلس الشعبي البلدي عند عرضها عليه هو تقديم رأي فيها فقط، فما طبيعة ومدى إلزامية الرأي؟ وهو ما لم يحدده المشرع لأن الأثار تختلف.

الإجابة يبدو أنها تكمن في جوازية العرض للشكوى منذ البداية فما دام غير ملزم بالعرض فهو كذلك غير ملزم بالرأي المقدم.

النتيجة أن دور الجماعات الإقليمية في مجال التحصيل يكاد يكون منعدما، وإن كان المشرع قد أوكل لها مهمة القيام بذلك في بعض الحالات إلا أنها تبقى محدودة جدا.

ثالثا- دور الجماعات الإقليمية في المنازعة الجبائية: المنازعة الجبائية قد تكون إدارية (1)، أو جزائية في الأحوال التي تكيف فيها أفعال المكلف بجريمة وفقا للقانون(2).

1- المنازعة الجبائية الإدارية: تمر عملية فرض الضريبة والرسم والأتاوى بعدة مراحل وإجراءات، حيث يعد النظام الجبائي الجزائري نظاما تصريحيا[1]، أي انه يعتمد على تصريح المكلف في تحديد الوعاء ومن ثمة معدل الضريبة الواجبة الدفع ومنه إصدار قرار التحصيل، والذي يترتب عليه نتيجتين، الأولى أن يوافق المكلف على ذلك صراحة أو ضمنيا ويقوم بالدفع إختيارا، وإما أن يرفض صراحة عن طريق قيامه بالطعن في العملية أو ضمنيا برفض الأداء.

في كل الأحوال من خلال هذا الطرح، وعند رفض المكلف يتعين عليه اللجوء إلى المنازعة والتي تتخذ أشكالا تبعا لمحلها فتكون إما منازعة في الوعاء أو منازعة في التحصيل، وتبعا للجهة التي ترفع أمامها فنجد منازعة أمام الإدارة، ومنازعة أمام القضاء، وفي كل الأحوال ومهما كان نوعها فقد ألزم المشرع المكلف باللجوء أولا ووجوبا إلى التظلم الإداري أمام الجهة نفسها مصدرة القرار وهذا ما نصت عليه المادة71 من ق الج ج" يجب أن توجه الشكاوى المتعلقة بالضرائب والرسوم والحقوق والغرامات المذكورة في المادة70أعلاه، حسب الحالة الى مدير الولائي للضرائب أو رئيس مركز الضرائب، أو رئيس المركز الجواري للضرائب التابع له مكان فرض الضريبة..."، أما التحصيل فيتم من قبل قابض الضرائب كما يلي:

ا-حالة التقدير العادي للضريبة المباشرة والرسوم المماثلة م144 ق إلج ج، فتدخل الضريبة حيز التحصيل بداية من أخر يوم من الشهر الموالي لتاريخ المصادقة على الجدول.

[1] وهذا ما يستفاد من الكثير من النصوص في القوانين الضريبية المختلفة أهمها المادة 99 من ق ض م، والمادة 11 من ق الإجراءات الجبائية.

ب-حالة إعادة التقدير بناءا على تحقيق محاسبي في الوضعية الجبائية، فيتعين إشعار المكلف وإنتظار رده ولا تسري الأجال إلا بإنقضاء مدة ال40يوما للرد وفقا للمادة 20ق إلج ج.

ج- حالة التحقيق في تصاريح المكلف ونتج عنه إعادة التقدير فلا تسري الأجال إلا بانقضاء مدة30يوما للرد م19 ق إلج ج.

وبمرور الآجال السابقة يبدأ القابض بإجراءات المتابعة بمعية أعوان المتابعة والمحضرين القضائيين145ق الج ج، حيث تتخذ تلك الإجراءات بأمر منه وتحت مسؤوليته وبمتابعة المدير الولائي للضرائب، ويمكن أن تنشأ عن إجراءات التحصيل العديد من المنازعات والتي يتعين فيها أن يكون هناك قرار للتحصيل، وأن تقدم شكوى(تظلم) وفقا للشروط القانونية السابقة يمكن تحديدها حسب موضوعها الى : منازعات متعلقة بإجراءات المتابعة والتحصيل سواء تعلق الأمر بالإعتراض على إجراءات المتابعة، أوالإعتراض على التحصيل القسري.

وكذا طلبات المكلفين بإلغاء الحجز واسترجاع المحجوزات، أوالطلبات الرامية الى وقف التسديد، أوغلق المحل التجاري[1].

ويبث في هذه الشكاوى المتعلقة بالإعتراض على المتابعة وفقا لنص المادة 153 ق الج ج أي خلال شهرين[2] من التقديم وعند طلب الإدارة أي وثائق أو توضيح للمكلف تمنحة مدة8 أيام للرد وبانقضاء المدد السابقة دون رد يعد رفضا ضمنيا يجيز للمعني اللجوء الى وسائل الطعن الأخرى وهي لجان الطعن والقضاء الإداري.

وحدد المشرع شروط تقديم الشكوى وإجراءاتها وكيفية الفصل فيها في المواد70إلى79 ق الج ج فيما يتعلق بمنازعات الوعاء، وهذا فيما يخص الضرائب التي تتكفل الإدارة الجبائية بتحديد أوعيتها وتحصيلها ولكن ماذا عن الضرائب التي أوكلت عملية تحديد قيمتها وتحصيلها للإدارة المحلية على النحو السابق؟

القاعدة أنه وإذا كانت الضريبة أو الرسم قد حدد بقرار من الإدارة المحلية وأن التحصيل قد تم بمعيتها فلا يمكن منازعة غيرها وهذا فعلا ما نص عليه المشرع صراحة في بعض النصوص منها مثلا فيما يخص رسم التطهير م263مكرر3 ق ض م وفقا للإشكال والآجال المنصوص عليها في مجال الرسم العقاري م266ق ض م، فالمنازعة في هذا النوع من الرسوم تتم إداريا أما الإدارة المحلية عن طريق التظلم في قرار ومداولة المجلس الشعبي وأمام المحاكم الإدارية وفقا لقواعد المنازعات الإدارية.

أما بالنسبة للضرائب والرسوم التي تحددها الإدارة الجبائية وتقوم بتحصيلها أو توكل لجهات أخرى عملية التحصيل والتي تكون كوكيل فقط عن الإدارة الجبائية بما فيها الإدارة المحلية نفسها ولو كانت مخصصة لميزانيتها وفقا لما جاء في نص المادة197 من ق ض م، فالمشرع لم يورد أي دور للجماعات الإقليمية في المنازعة الجبائية التي تتم أمام القضاء حتى بالنسبة للضرائب الأيلة لها كليا وبالتالي لا مجال للتطرق إليها، ونكتفي بدورها أمام اللجان الإدارية والتي ومن حيث تكوينها منح المشرع مساحة ما لفائدة الجماعات المحلية للمشاركة في المنازعة الجبائية.

حيث سمح المشرع للمكلف الذي لم يرضه قرار المدير الولائي بالضرائب بعد الشكوى التي قدمها له أن يتوجه **اختياريا** بشكواه الى لجان إدارية للطعن قبل اللجوء للقضاء، حيث ومنذ إدراجها كطريق للطعن من قبل المشرع فقد أحدث عليها الكثير من التعديلات، وفي كل الأحوال يمكننا تلخيص المنازعة أمام اللجان الإدارية في النقاط التالية:

***من حيث أنواع هذه اللجان وتشكيلتها**، فقد كان المشرع ولغاية قانون المالية 2016 يحددها في 3 لجان وهي لجنة الدائرة، الولاية، واللجنة المركزية م 81 مكررمن قانون المالية2009[3]، وهذا قبل أن يلغي لجنة الدائرة ويكتفي باللجنة الولائية و ويحدث لجنة جهوية مع الإبقاء على اللجنة المركزية[1].

---

[1] أنظر في هذا المجال أمزيان عزيز،المنازعات الجبائية في التشريع الجزائري،دار الهدى، عين مليلة 2005.

وجاء هذا التعديل بموجب القانون رقم 14/16المؤرخ في28ربيع الأول1438الموافق ل2016/12/28 المتضمن قانون المالية 2017، بعد أن كانت المدة سابق

[2] هي شهر من تاريخ تقديم الشكوى.

[3] قانون رقم 08- 21المؤرخ في 30 ديسمبر2008 المتضمن قانون المالية لسنة2009.

وكانت لجنة الدائرة متكونة من رئيس الدائرة ورئيس المجلس الشعبي البلدي أو أحد نوابه لمكان ممارسة المكلف لنشاطه، رئيس مفتشية الضرائب المختص إقليميا، أو مسؤول مصلحة المنازعات للمركز الجواري حسب الحالة، وعضوين كاملي العضوية وإثنين مستخلفين لكل بلدية تعينهم الجماعات والإتحادات المهنية، وفي حال غيابهم فقد منح لرؤساء المجالس الشعبية البلدية سلطة إختيارهم من بين المكلفين بالضريبة بالبلدية المعنية.

أما بالنسبة للجنة الولاية وبموجب تعديل 2016، فتشكل من محافظ حسابات معين من قبل رئيس الغرفة الوطنية لمحافظي الحسابات، عضوا من المجلس الشعبي الولائي، وممثل عن المديريات التالية بالولاية برتبة نائب مدير على الأقل: التجارة،الصناعة، ممثل عن مصف الخبراء المحاسبين والمحاسبين المعتمدين، الغرفة الجزائرية للتجارة والصناعة بالولاية، الغرفة الجزائرية للفلاحة، المدير الولائي للضرائب أو المركز أو المركز الجواري حسب الحالة أو ممثليهم الذين لهم رتبة نائب مدير على الأقل.

ويمكن للجنة أن تضم عند الإقتضاء خبيرا موظفا له رأي إستشاري.

أما بالنسبة للجنة الجهوية والمركزية فلا تضمان أي تمثيل للجماعات الإقليمية وهي بذلك مستبعدة.

إذن ومن خلال التشكيلة السابقة يمكننا القول بأن أحسن تمثيل للجماعات الإقليمية وكما هو واضح كان في لجنة الدائرة والتي تم إلغاءها بقانون المالية 2016، أما لجنة الولاية فالتمثيل ضعيف يتجسد في عضوا من المجلس الشعبي الولائي.

*-**من حيث دور اللجنة في الطعن**، فالمشرع سمح لها بتقديم رأي حول طلبات المكلفين بالضريبة المتعلقة بالضرائب المباشرة والرسوم المماثلة وكذا الرسوم على رقم الأعمال، والرامية إما إلى تصليح الأخطاء المرتكبة في الوعاء أو حساب الضريبة، وإما الإستفادة من حقق ناجم عن حكم تشريعي أو تنظيمي.

ونصت الفقرة04 من المادة81 السابقة" تعتبر أراء اللجان نافذة بإستثناء تلك الأراء المخالفة صراحة لأحكام القانون أو التنظيم ساري المفعول...حيث يصدر بشأنها مدير المؤسسات الكبرى أو المدير الولائي قرارا مسببا بالرفض بشأنه والذي يجب أن يبلغ للشاكي".

وكان المشرع يشترط في رأي اللجان قبل تعديل 2016، أن يكون معللا في حال عدم المصادقة على قرار الإدارة والذي تحدد فيه مبالغ التخفيض أو الإعفاء الذي يمنح للشاكي، ونصت الفقرة04 من المادة 81 قبل التعديل على أنه عندما يعتبر رأي اللجنة غير مؤسس فإن مدير كبريات المؤسسات أو المدير الولائي يعلق تنفيذ الرأي على أن يبلغ للشاكي بذلك، وفي هذه الحالة تقوم السلطات برفع طعنا ضد رأي اللجنة الى المحكمة الإدارية في غضون الشهر الموالي لتاريخ إصدار الرأي".

حيث يبدوا ومن خلال ما سبق أن رأي اللجنة وبالرغم من الحجية التي منحها إياه صراحة قانون المالية2016، إلا انه وبالمقابل فقد سمح برفضه بقرار مسبب من قبل إدارة الضرائب، في حين لا يمكنها ذلك قبل التعديل ولا تملك إلا اللجوء للقضاء لطلب الإلغاء.

2- فيما يخص المنازعة أمام القضاء الجزائي: وضع المشرع على عاتق المكلفين الكثير من الإلتزامات الجبائية أولها إيداع تصريحات متعددة بالوجود وبالمداخيل والتصريح بالتوقف عن النشاط والتي يجب أن تستوفي شروط الدقة والمصداقية وأن تكون مبررة، ويتعين على المكلفين مسك وثائق وسجلات معينة وبكيفية منتظمة والتي يجب تقديمها الى جهات الرقابة عندما تطلب ذلك، حيث يمكن وأثناء ممارستها للرقابة المختلفة التي حددها القانون اكتشاف قيام المكلف بأفعال غش ووسائل إحتيالية بغرض التهرب الضريبي.

[1] قانون رقم15-18مؤرخ في 18ربيع الأول1437الموافق ل30ديسمبر2015المتضمن قانون المالية2016.

حيث سمح المشرع للإدارة الجبائية وعندما تكتشف حالة من أحوال الغش الضريبي وفقا للمواد303ق ض م،530،532ق ض غ م،117،118 ق ت،33 ق ط، أن تقدم شكوى[1] من المدير الولائي للضرائب بعد الحصول على الرأي الموافق للجنة الجهوية المنشأة لهذا الغرض أمام القضاء الجزائي لمتابعة الجاني م 104 ق إلج ج[2]، والذي يكون مهددا بالنطق عليه بعقوبات جنحية تبدأ بالغرامة وتنتهي بعقوبة الحبس التي قد تصل لحد5 سنوات نافذة وكل ذلك تبعا لقيمة المبالغ المتملص منها والضرر الذي لحق الخزينة.

وقد سمح قانون المالية 2012 للإدارة الجبائية في نص المادة 104 مكرر المستحدثة في قانون المالية 2012 بسحب الشكوى والتي يترتب عنها إنهاء المتابعة الجزائية[3] عندما يقوم المشكو منه بتسديد50بالمئة من الحقوق الأصلية والغرامات موضوع الملاحقة الجزائية وهذا بعد إكتتاب جدول للتسديد يبدأ من 6 أشهر عندما يقل مبلغ الدين الجبائي عن 20مليون دينار، 12شهرا عندما يزيد عن 20ويقل عن 30مليون د ج، و18 شهراعندما يتجاوز 30مليونا.

المهم ومن خلال هذا الطرح وما يهمنا نحن من كل ذلك هو دور الجماعات الإقليمية في عملية المتابعة الجزائية؟ فهل يمكنها أن تعاين الجرائم الجبائية وتحرر محضرا بشأنها يكون ذو حجية أمام الإدارة الجبائية أو القضاء على غرار إدارة الجمارك أو مديرية التجارة مثلا؟ وهل يمكنها أن تحرك شكوى جزائية على المكلفين المخالفين أو حتى على الأقل تقديم طلبات للإدارة للقيام بالمتابعة؟ هل يمكنها أن تتأسس كطرف مدني في الدعوى وهو ما يمكنها من تقديم طلبات لجبر الضرر اللاحق بها؟ وأكثر من ذلك فهل يمكنها أن تقدم رأيها في سحب الشكوى وإنهاء المتابعة المقرر لصالح الإدارة الجبائية؟

وكل تلك الأسئلة مشروعة بحكم دور الجباية في ميزانية الإدارة المحلية ونص المادة169 ق ب التي يجعل من البلدية مسؤولة عن تعبئة مواردها، وأن تلك الأفعال تؤثر عليها وتسبب لها بالمقابل العجز في تنفيذ المهام الموكل لها القيام بها فيفترض في الدائن أن تكون له سلطة حماية حقه وجبر الضرر اللاحق به بسبب أفعال المدين.

الإجابة سلبية كذلك فليس للجماعات الإقليمية أي دور يذكر حتى في إبداء الرأي فالأمر للإدارة الجبائية مطلق في هذا المجال.

ما يلاحظ ومن خلال دراسة المنازعات الجبائية مجموعة من النقاط نختصرها في النقاط التالية:

1-أن المنازعة الجبائية كقاعدة سواء تلك المتعلقة بالوعاء أو بالتحصيل هي من اختصاص الإدارة الجبائية دون غيرها، وذلك بالنظر الى جملة من المعطيات وهي نتيجة للسلطات التي منحها إياها المشرع في هذا المجال، حيث يتم التصريح امامها وهي التي تتولى عملية الرقابة بمختلف أنواعها، وتحدد الوعاء والذي تحسب على أساسه الضريبة واجبة الدفع وتصدر قراراها بالتحصيل لفائدة قابض الضرائب، فمن الطبيعي أن تتولى تلقي الشكاوى والتي محلها التظلم في ذلك القرار الصادر منها حتى لو تعلق هذا القرار بضرائب ورسوم تؤول كلية لصالح الجماعات الإقليمية.

2-أن دور الجماعات الإقليمية وكما سبقت الإشارة في بعض الضرائب والرسوم هو تحديد معدلاتها وذلك بموجب مداولة للمجلس الشعبي البلدي، ومن أجل ذلك فهي تصدر قرارا بشأنها وهذا القرار ووفقا للقواعد العامة فهو يخضع للطعن وفقا لقواعد المنازعة الإدارية سواء دعوى إلغاء أو تعويض أو فحص المشروعية.

---

[1] حيث نصت المادة534 ق ض غ م"إن المخالفات المشار إليها في المادة532 سابقة الذكر تتابع أمام المحكمة بناءا على شكوى الإدارة المعنية، والمحكمة المختصة حسب الحالة واختيار الإدارة المحكمة التي يوجد في دائرة اختصاصها مكان فرض الضريبة أو مكان الحجز أو مقر المؤسسة."

[2] وجاء نص المادة 104 المستحدثة بموجب قانون المالية 2012 كما يلي:"تتم المتابعات بهدف تطبيق العقوبات الجزائية المنصوص عليها في القوانين الجبائية بناءا على شكوى من مدير الضرائب بالولاية.
ولا تتم هذه الشكاوى باستثناء تلك المتعلقة بالمخالفات المتصلة بحقوق الضمان وحق الطابع إلا بعد الحصول على الرأي الموافق من اللجنة المنشأة لهذا الغرض لدى المديرية الجهوية للضرائب المختصة التي تتبعها مديرية الضرائب بالولاية..."

[3] المادة06 من قانون الإجراءات الجزائية.

3-أن الدور الذي منحه المشرع للجماعات الإقليمية(الولاية، البلدية) على مستوى اللجان الإدارية للطعن قبل قانون المالية2016 ضعيف ولا يؤثر إيجابا أو سلبا في سير المنازعة وحتى بالنسبة للرأي الذي تبديه هذه اللجان فلا يعدو أن يكون إلا رأي استشاري غير ملزم وهذا ما عبرت عنه81 من ق إلج ج، وهذا قبل أن يعود المشرع ويسحب هذا الدور الضعيف من جديد ليصبح تمثيل الجماعات المحلية منعدما تقريبا.

ان تحسين الخدمات وتنفيذ الإدارة المحلية لمسؤولياتها يمكن أن يكون أفضل عن طريق زيادة الموارد باللجوء الى الضرائب المحلية ، وتقاس مدى استقلالية تلك الجماعات بالنسبة للدخل بتوافر شرطان: الحرية في تحديد القاعدة الضريبية، وتحديد معدل الضريبة على اعتبار أن الجباية هي النسبة الأهم في ميزانية الإدارة المحلية. فالقدرة على التحكم في هذه النسبة يعد شرطا أساسيا ومؤشرا هاما على مدى استقلالية الإدارة[1].

الخاتمة: إذن ومن خلال ما سبق ذكره يبدو جليا أهمية الضريبة بالنسبة للجماعات الإقليمية خاصة البلدية والتي جعلها المشرع الجماعة الإقليمية القاعدية بالنسبة للدولة ومن أجل ذلك فقد وضع على عاتقها مسؤولية تحقيق حاجات المواطنين في مختلف المجالات، وبالمقابل وبحكم تمتعها بالشخصية المعنوية فهي تعتمد على ذمتها المالية لتحقيق تلك الحاجات، حيث تعد ميزانية سنوية تمثل الجباية الجزء الأكبر منها.

و في سبيل ذلك فقد خصص لها المشرع مجموعة من الضرائب والرسوم والتي منها ما يؤول لها كلية بنسبة 100بالمئة ، ومنها ما يكون لها فيه نسبة محددة قانونا تصل أحيانا إلى 50بالمئة وهو ما يدل على أهمية الجباية في ميزانية الإدارة المحلية وبالتالي في أدائها في تحقيق التنمية.

وعلى الرغم من كل ذلك فمن خلال ما سبق فليس للجماعات الإقليمية دورا محسوس في عملية تحصيل الضريبة والمنازعة التي تنشأ حولها، حيث أوكل الأمر برمته للإدارة الجبائية وحدها وهي التي تتكفل فيما بعد بالتوزيع على تلك الجماعات حسب ما ينص عليه القانون، خاصة وأن عملية التحصيل تعتريها الكثير من المنازعات والتماطل وحتى الغش والتحايل من المكلفين، وغالبا ما تطول مدة العملية وميزانية البلديات تنتظر تلك الحصائل التي تجود بها الادارة الجبائية عليها وهذا ما يفسر في الواقع العجز المالي الذي تعاني منه الجماعات الإقليمية وعدم قدرتها على مواكبة وتيرة التنمية.

فالتجارب والدراسات أثبتت أنه كلما زادت درجة الاستقلالية المالية للإدارة المحلية كلما كان مستوى التنمية أفضل، فاللامركزية الإدارية يجب أن ترافقها لامركزية مالية ولامركزية جبائية باعتبارها جزء منها.

وعلية نقترح في هذا المجال:

- تحويل بعض صلاحيات الإدارة الجبائية لصالح الإدارة المحلية خاصة فيما يتعلق بالضرائب والرسوم الموجهة لميزانية البلديات والتي تتعلق بنشاطات وعمليات أنجزت فيها حيت تتمكن من تحديد معدلاتها ووعائها وتحصيلها وبالتالي تولي منازعاتها بنفسها.

-تمكينها من المشاركة وإبداء الرأي وتولي المنازعة في الضرائب والرسوم التي لها مصلحة فيها.

-تمكين الإدارة المحلية من إعداد ميزانيتها بنفسها حول مختلف الموارد خاصة الجبائية بمعزل عما تقره وتزودها به الإدارة الجبائية وفقا لنص المادة199 ق ض م، فهي الأدرى باحتياجاتها فيتعين عليها التكفل بها بنفسها.

فالعلاقة بين الإدارة المحلية ودافعي الضرائب هامة، فهم يدفعونها وينتظرون بالمقابل خدمات أفضل تتناسب مع ما دفعوه، لهذا فالضرائب المدفوعة محليا يجب أن تنفق محليا.

دليل منظمة الأغذية و الزراعة للأمم المتحدة، الامركزية والضرائب على الملكية الريفية،روما2004ص14.

[1] http://www.fao.org/docrep/007/y5444a/y5444a00.htm

ضمان المحترف لعيوب المبيع

أ.إيمان بوشارب
جامعة باجي مختار"عنابة"

الملخص:يعد ضمان المنتوج من العيوب من أبرز الآليات التي تحمي المصالح الاقتصادية للمستهلك كالتزام قانوني يقع على عاتق المحترف بموجب عقد بيع الاستهلاك، في ظل ما أفرزه نظام اقتصاد السوق من كم هائل من المنتجات التي قد تأتي مشوبة بعيوب الصانع، أو بعيوب قد تنشؤ بمناسبة عملية توزيعها، وقد قام المشرع بإصدار مجموعة من النصوص الخاصة إضافة لتلك الأحكام الواردة في القانون المدني والتي لا يمكن الاستغناء عنها أمام الطابع الجزائي للقوانين المتعلقة بحماية المستهلك .

الكلمات مفتاحية: المحترف، المستهلك، عقد بيع الاستهلاك، العيوب الخفية، الضمان.

Abstract : Products guarantee is one of the most important mechanisms that protect the economic interests of the consumer as a legal obligation of the professional under the consumer sales contract, in the light of the effects of the market economy system. an enormous amount of defective products The legislator has published a series of special texts in addition to the provisions contained in the Civil Code, which can not be dispensed with the criminal nature of laws relating to the protection of the consumer.

مقدمة:يعد البيع من أهم العقود التي تحقق وتجسد عملية المبادلات الاقتصادية. وإن كان هذا العقد هو عقد رضائي يتسم بالمساواة والتكافؤ في المراكز القانونية في ظل القانون المدني، فعلى العكس من ذلك في ظل قوانين حماية المستهلك ذلك أنه يجمع بين طائفتين من أهم ركائز الدورة الاقتصادية ألا وهما طائفة المحترفين وطائفة المستهلكين ولا يخفى على أحد حجم الهوة بين هتين الطائفتين من حيث مستوى الحرفية والعلم لدى المهني وحتى القوة الاقتصادية له أحيانا مقابل المستهلك الضعيف الذي عادة لايهمه سوى اقتناء ذلك المنتوج وإشباع رغباته.

إن القانون المدني كان سباقا في حماية المشتري من خلال فرض جملة من الالتزامات على البائع تنصب في فحواها كلها في تمكين الأول من الاستمتاع بالمبيع استمتاعا يحقق رغباته المشروعة ، بدءا بالتزام البائع بنقل الملكية وصولا إلى وجوب خلو المبيع من العيوب وضمان ذلك في الحالة العكسية[1] . وقد تبعته مختلف قوانين حماية المستهلك في هذا الإطار بعدما أدى التطور التكنولوجي والصناعي الذي شهده العالم إلى ظهور منتوجات وفيرة منها الكمالية ومنها تلك التي لا يمكن الاستغناء عنها اليوم لدى مختلف الفئات العمرية ومختلف الأجناس. وبقدر هذه الحاجة إليها بقدر ما يشوب أكثرها التعقيد والخطورة في نفس الوقت. في المقابل كذلك فان الانفتاح على الأسواق كنتيجة لانتهاج معظم دول العالم ومنهم الجزائر لنظام اقتصاد السوق، أدى إلى تدفق كم هائل من المنتوجات التي لن يخلو بعضها من عيوب الصانع وما ينجم عنه من المساس بالمصالح الاقتصادية للمستهلك.

إن فكرة حماية جيب المستهلك هو ما كان أجدر بالحماية في ظل القانون المدني من خلال فرض التزام ضمان العيب الخفي عامة وضمان تخلف الصفة وكذا ضمان صلاحية المبيع للعمل مدة معينة خاصة[2] الفكرة نفسها كرسها المشرع في قوانين الاستهلاك سواء قانون 02/98 الملغى[3] أو قانون 03/09 الجديد[4] ، وقد توسع قانون حماية المستهلك مقارنة مع أحكام

---

[1]- فالتزامات البائع 4 هي: الالتزام بنقل الملكية، الالتزام بالتسليم، الالتزام بضمان التعرض والاستحقاق ، التزامه بضمان العيوب الخفية، وقد جاء النص على هذه الالتزامات الأربعة في المواد من 361 إلى المادة 386 من الأمر رقم 58/75 المؤرخ في 26 سبتمبر1975، المتضمن القانون المدني، جريدة رسمية عدد 78، مؤرخة في 30 سبتمبر 1975، المعدل والمتمم.

[2]- تجد هذه التطبيقات أساسها القانوني في المادتين 379 و386 من القانون المدني.

[3] - القانون رقم 02/98، المؤرخ في 7 فيفري 1989، المتضمن القواعد العامة لحماية المستهلك، جريدة رسمية عدد 6 مؤرخة في 8 فيفري 1989.

[4]- القانون رقم 03/09، المؤرخ في 25 فيفري 2009، المتعلق ب حماية المستهلك وقمع الغش، جريدة رسمية عدد 15، مؤرخة في 8 فيفري 2009.

ضمان العيب في القواعد العامة في فكرة الضمان لتشمل ضمان سلامة جسد المستهلك من خلال فرض التزام ضمان أن المنتوج[1] . إلا أن الدراسة ستقتصر على ضمان العيوب التي تمس المصالح المادية للمستهلك دون الجسدية والمعنوية.

إن دراسة الزامية الضمان هي دراسة في أحكام القانون المدني وقانون حماية المستهلك في نفس الوقت، لذا فإن إشكالية البحث في محاولة دمج أحكام الضمان وإجراء مقاربة بين هذين النصين بغية الخروج بنظام مبسط يوضح إجراءات المطالبة بتنفيذ الضمان في حال توفر شروطه كالتزام على عاتق المهني البائع حماية للمستهلك.

سيتم معالجة هذه الإشكالية من خلال مبحثين، يعالج الأول، مضمون ونطاق الضمان خاصة وأن العقد المتحدث عنه هو عقد بيع الاستهلاك، ويتعلق الثاني بتنفيذ الضمان وجزاء إخلال المحترف به.

المبحث الأول: ضمان المنتوج من حيث خصوصيته ونطاق تطبيق أحكامه

مصطلح " ضمان " في القواعد العامة يعكس في الحقيقة عديد الركائز القانونية التي يقوم عليها القانون المدني[2]، وعليه ينبغي إبراز ذاتيته كالتزام يقع على عاتق المهني(المطلب الأول) في عقد بيع الاستهلاك كنطاق لتطبيق أحكامه (المطلب الثاني).

المطلب الأول: خصوصية الالتزام بضمان المنتوج

سيتم تحديد ذاتية الإلتزام بالضمان من خلال تحديد مفهومه (الفرع الأول) والتطرق لأنواعه (الفرع الثاني)، كما يلي:

الفرع الأول: الضمان من حيث تعريفه وتمييزه عن ما يلتبس به من أنظمة

أولا: تعريف الضمان

لم يقدم المشرع في ظل القانون المدني تعريفا مباشرا لضمان المنتوج، إلا أنه قد وضح المقصود بضمان العيوب من خلال استقراء فحوى **المادة 379**[3]الذي يتمثل في فكرة التزام البائع **بتعويض** المشتري إذا لم يشتمل المبيع على صفة أو جملة من الصفات التي تعهد بوجودها للمشتري وقام هذا الأخير بالتعاقد على هذا الأساس، أو إذا اكتشف المشتري وجود عيب ينقص من قيمة المبيع أو من الانتفاع به.

فيما عرف القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، الضمان تعريفا مباشرا وذلك في **المادة 3 فقرة 17** منه التي جاء فيها: " **الضمان**: التزام كل متدخل خلال فترة زمنية معينة في حالة ظهور عيب بالمنتوج، باستبدال هذا الأخير أو إرجاع ثمنه أو تصليح السلعة أو تعديل الخدمة على نفقته."

إن مفهوم الضمان في ظل القانون المدني يختلف عن ذلك الوارد في قانون حماية المستهلك على الأقل في الجزاء المترتب على قيامه ، إلا أن ذلك لا يعني إلغاء نصوص القانون المدني لصالح تلك الواردة في قانون حماية المستهلك. فالضمان في كلا النصين مناطه التعويض وهو التزام يقوم على عاتق المهني كنتيجة لوجود عيب أو خلل أو غياب لصفة مشروطة في المبيع بموجب عقد بيع الاستهلاك.

ثانيا: تمييز ضمان عيوب المنتوج عما يلتبس به من أنظمة: يتداخل مفهوم ضمان عيوب المنتوج مع بعض المفاهيم المنصوص عليها في القانون المدني أهمها ضمان التعرض والاستحقاق، فيما يتداخل بصفة كبيرة مع بعض الأنظمة المنصوص عليها في قانون حماية المستهلك وقمع الغش يتعلق الأمر بالمطابقة، بضمان الأمن والسلامة وبالخدمة ما بعد البيع.

---

[1]- راجع في الزامية أمن المنتوجات المادتين 9 و10 من قانون حماية المستهلك 03/09

[2]- فقد يشير إلى فكرة الضمان العام التي تجد أساسها القانوني في المادة 188 من القانون المدني، وقد يفهم من الضمان ضمان التعرض والاستحقاق المنصوص عليه في المواد 371 وما يليها من نفس النص، وقد يقصد بالضمان أيضا التأمينات العينية متمثلة في الحقوق العينية التبعية التي تطرق إليها المشرع الجزائري في الكتاب الرابع من القانون المدني أو الشخصية متمثلة في عقد الكفالة المشار إليها في الباب الحادي عشر من الكتاب الأول من نفس القانون.

[3]- التي تنص على ما يلي: " يكون البائع ملزما بالضمان إذا لم يشتمل المبيع على الصفات التي تعهد بوجودها وقت التسليم إلى المشتري أو إذا كان بالمبيع عيب ينقص من قيمته أو من الانتفاع به بحسب الغاية المقصودة منه حسبما هو مذكور في العقد أو حسبما يظهر من طبيعته أو استعماله...".

1- **تمييز ضمان عيوب المنتوج عن ضمان التعرض والاستحقاق:** يمثل كل من ضمان التعرض والاستحقاق وكذا ضمان المنتوج التزامين أساسيين من التزامات البائع، إلا أن فحوى كل منهما مختلف بالرغم من توحيد الجزاء في كلهما في ظل القانون المدني، وضمان التعويض والاستحقاق هو ضمان مكون من مفهومين قانونيين فضمان التعرض يقصد به ضمان حيازة هادئة بالمبيع من خلال الامتناع عن التعرض الشخصي للمشتري من قبل البائع وكذا دفع هذا الأخير لأي تعرض من قبل الغير لفائدة المشتري، فإذا وقع ذلك التعرض كنا أمام ضمان الاستحقاق أي التزام البائع بالتعويض وفقا لطبيعة ذلك الاستحقاق كليا كان أو جزئيا [1]. بينما يرمي ضمان عيوب المنتوج إلى ضمان حيازة مفيدة للمبيع من قبل المشتري من خلال الالتزام بتسليم مبيع سليم خال من العيوب ومتوفر على الصفات التي أرادها المشتري

2- **تمييز ضمان المنتوج عن المطابقة "la conformité "** :مصطلح مطابقة ليس بالدخيل عن المادة المدنية، ولعل أبرز تطبيقة مباشرة له هي البيع بالعينة وفقا للمادة 353 من القانون المدني حيث يلتزم البائع بتسليم مبيع مطابق للعينة التي على أساسها قام المشتري بابرام العقد. إلا أن مدلوله يختلف بين القانون المدني وقانون حماية المستهلك، ففي القانون المدني، يقصد بالمطابقة **مطابقة خاصة بالعقد**، يحددها عادة الاتفاق، فيجب أن يتوفر المبيع على الصفات التي اتفق عليها المتعاقدان والتي على أساسها تم العقد، سواء تلك التي أرادها المشتري أو تلك التي تعهد البائع بوجودها، كما يجد مفهوم المطابقة الخاصة بالعقد وجوب أن يؤدي المبيع الغرض الذي أنشئ من أجله والذي يغلب عليه ما أراده المشتري فمعيار المطابقة في ظل القانون المدني يميل إلى الشخصي إلى ما أراده المشتري في الغالب، وهو بذلك نظام بسيط يتناسب وطبيعة المعاملات وكذا المنتوجات التي تناسب تلك الحقبة، ويأخذ مفهوم المطابقة من الناحية الفقهية: المطابقة المادية، الوظيفية والكمية، وهذه الأخيرة مجالها الالتزام بالتسليم.

في ظل قانون حماية المستهلك المطابقة هي مفهوم يتخطى حماية المستهلك وان كان يستغرقها أكيد إلى الكشف عن نزاهة وقوة اقتصاد دولة معينة من خلال الكشف عن مدى تمكن الدولة من بسط رقابتها على كافة المنتجات الموجودة على إقليمها سواء كانت منتجات وطنية أو مستوردة من خلال فرض التزام عام على المتدخلين الاقتصاديين وهم عادة المنتجين، المصنعين والمستوردين بوجوب أن تتطابق منتجاتهم مع الأحكام الواردة في النصوص القانونية الآمرة قبل عرض منتجاتهم في السوق [2]، وقد جاء التعريف بها في **المادة 3 فقرة 18** من قانون رقم 03/09 الذي يتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، كما يلي: " **المطابقة**: استجابة كل منتوج موضوع للاستهلاك للشروط المتضمنة في اللوائح الفنية، وللمتطلبات الصحية والبيئية والسلامة والأمن الخاصة به."

فالمطابقة وفقا لقوانين الاستهلاك، هي **مطابقة عامة** تستلزم ضرورة أن يحترم المتدخل كافة المواصفات القانونية والقياسية الواجب توفرها في المنتوج بحسب الغرض الذي أنشئ من أجله أو بحسب طبيعته.

إن تصفح قانون حماية المستهلك يظهر اختلافا شكليا آخرا بين التزام المني بضمان المنتوجات وبين الزامية المطابقة حيث خصص لكل منهما فصلا مستقلا عن الآخر، فبينما تعرض للمطابقة في الفصل الثالث ، تناول أحكام الضمان في الرابع منه. كما تختلف أحكام كلا منهما في الغاية المرجوة منهما فغاية ضمان المنتوج هي حماية المصالح المادية للمستهلك بينما أوجد نظام المطابقة لحماية جميع مصالح المستهلك وتحقيق أمنه وسلامته بما في ذلك سلامة جيبه ناهيك عن الهدف العام السالف ذكره،

3- **تمييز ضمان المنتوج عن الخدمة مابعد البيع** " le service après vente ":ترتبط فكرة الخدمة ما بعد البيع " ارتباطا مباشرا بفكرة الصيانة أي صيانة المبيع، وهي التزام مستقل تماما على التزام ضمان المنتوج، وهذا واضح من خلال الفصل الرابع من قانون حماية المستهلك رقم 03/09 الذي وسم بـ " إلزامية الضمان والخدمة ما بعد البيع"، ولو كان المشرع يرمي

---

[1]- يجد ضمان التعرض والاستحقاق أساسه القانوني في المواد من 371 إلى387 من القانون المدني.

[2]- أنظر المادة 12 من قانون رقم 03/09 المتضمن حماية المستهلك وقمع الغش.

لمفهوم احد لما جزأ العنوان بهذا الشكل، ما يتأكد من **المادة 16** تحت نفس الفصل التي جاء فيها توضيح لمفهوم الخدمة لما بعد البيع واستقلاليتها عن الضمان كما يلي: " في اطار خدمة ما بعد البيع، وبعد انقضاء فترة الضمان المحددة عن طريق التنظيم، أو في كل الحالات التي لا يمكن للضمان أن يلعب دوره، يتعين على المتدخل المعني ضمان صيانة وتصليح المنتوج المعروض في السوق".

كثيرا ما يحث خلط لدى جماعة المستهلكين بين هذين المفهومين نتيجة لتعسف المهنيين في هذا الإطار، الذين وفي سبيل تسويق منتجاتهم يقومون بإيهام المستهلك بفكرة سقوط الضمان إذا لم تتم الخدمة ما بعد البيع لدى وكالاتهم أو فروعهم كما تفعله بعض وكالات السيارات في السوق الجزائرية وكذا محلات بيع الأدوات الكهرو منزلية وأجهزة الكمبيوتر.

عموما فالضمان في صورته العامة يلعب دوره في حالة وجود عيب أي خلل غير طبيعي بالنظر لمنتج مثله، أما الخدمة ما بعد البيع فتكون في سبيل المحافظة على ذلك المنتج جراء الإهتلاكات الناجمة عن الاستعمال الطبيعي ولا علاقة لها بأحكام العيب.كما تتميز الخدمة ما بعد البيع عن الضمان، في أنها خدمة مقتصرة على المنتجات الجديدة دون القديمة منها أو التي سبق تداولها في السوق، بينما أحكام ضمان العيب الخفي يعني بوجود العيب نفسه ولو كان المبيع قديما، وهو ما أكدته المحكمة العليا في قرارها الصادر بتاريخ: 1999/07/21 في القضية بين(م.ب.م) ضد (ب.ش.ع) حيث جاء فيه:" إن القرار المطعون فيه... أن البائع في **مجال بيع السيارات القديمة** غير ملزم بالضمان جاء بتعليل خاطئ لأن البائع ملزم بضمان العيوب الخفية عندما يتعذر على المشتري نفسه اكتشاف هذا العيب..." [1].

4- **تمييز ضمان المنتوج عن ضمان الأمن والسلامة:** نص قانون حماية المستهلك 03/09 عن الزامية أمن المنتوجات بصورة مستقلة في الفصل الثاني من الباب الأول، وقد أحسن الترجمة في اللغة الفرنسية حيث استعمل مصطلح " **la sécurité des produits**"، وأمن المنتوج له علاقة مباشرة بصحة المستهلك وسلامة جسده وروحه [2]، أما الزامية الضمان ففحواها حماية جيب المستهلك سواء في ظل القانون المدني أو في قانون حماية المستهلك وقمع الغش.

أما مصطلح " سلامة"، فلم يتم النص عليه كالتزام مستقل إلا أن المشرع قد عرف السلامة في اطار تعريفه لسلامة المنتوجات في **المادة 3 فقرة 17** التي يقابلها مصطلح "**innocuité**" باللغة الفرنسية. وقد درج الفقه على استعمال مصطلح سلامة، بمناسبة الحديث عن أمن المستهلك في عقود الخدمات، فنقول منتوج آمن إذا كان المنتوج سلعة، ونقول ضمان سلامة المستهلك إذا كان المنتوج خدمة كضمان سلامة المسافر وضمان سلامة المريض في عملية جراحية معينة، إلا أن المشرع قد أخلط بين هذين المصطلحين في قانون حماية المستهلك ذاته في كل مرة يريد ترجمة مصطلح "**sécurité**"، إذ استخدم مصطلح "سلامة" والأصح "أمن" مثاله المادة 3 فقرة 18 حينما عرف المطابقة.

الفرع الثاني: أنواع الضمان:نص المشرع على غرار باقي التشريعات الأخرى على نوعين من الضمان : ضمان قانوني وضمان اتفاقي.

أولا: الضمان القانوني: القاعدة العامة أن كل المنتجات المباعة من قبل المهنيين يغطيها ضمان إجباري يطلق عليه الضمان القانوني[3] ويقصد به ذلك الضمان الموضحة أحكامه في النصوص التشريعية والتنظيمية وهو في القانون المدني واجب التطبيق في كل مرة يغيب فيها الاتفاق على مسألة الضمان بين البائع والمشتري. أما في قانون حماية المستهلك فهو

---

[1]- قرار رقم 202940 بتاريخ 1999/07/21، الغرفة المدنية، مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا،قسم الوثائق والدراسات القانونية والقضائية، عدد 2 لسنة 2001، ص88.

[2]- أنظر المادة 9 من قانون رقم 03/09 المتضمن حماية المستهلك وقمع الغش.

[3] - Valérie Gionnet et Antoine Vergnaud : "Déjouer les arnaque de la consommation", Vuibert,paris, 2003, p 21.

ضمان من النظام العام ويبطل كل شرط يخالف الأحكام الواردة في المادة 13 منه، كما أن وجود ضمانات إضافية لا يسقط هذا الضمان إلا إذا منحت المستهلك ميزة أحسن [1].

إن الضمان القانوني وفقا لقانون حماية المستهلك هو ضمان مكتوب، إذ يجب أن يمنح المهني للمستهلك وثيقة تدعى "**شهادة ضمان**" [2]، ويجب أن تتضمن كافة البيانات المحددة في القانون[3] وأن تحرر وفق النموذج المحدد في القرار الذي يحدد نموذج شهادة الضمان[4] و حسن فعل المشرع بتبنيه لفكرة الضمان النموذجي المكتوب، على اعتبار أن الكتابة وسيلة ملائمة تسهل مسألة الكشف عن مدى التزام المهني بالبنود الموضحة في تلك الشهادات وفقا لما نص عليه القانون سواء بالنسبة للقاضي أو بالنسبة للمستهلك في الإثبات أو بالنسبة لأعوان الرقابة.

ثانيا: الضمان الاتفاقي: ويطلق عليه المشرع الفرنسي في قانون الاستهلاك مصطلح الضمان التجاري[5]، وهو كل ضمان وضع بالاتفاق بين البائع والمشتري، وفي القانون المدني هذا جائز، على أساس أن أحكام ضمان العيوب ليست من النظام العام ، يجوز للمتعاقدين التخفيف منها أو التشديد فيها أو حتى إعفاء البائع كليا من الضمان ما لم يثبت غشه، فيجوز مثلا الاتفاق على أن يضمن البائع كافة العيوب وحتى الظاهرة منها، وأن يضمن كل العيوب ولو كانت عيوبا متسامحا فيها. وهذا النوع من الضمان سماه المشرع الجزائري بـ "**الضمان الإضافي**" وقد قام بتعريفه عبر أحكام المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ في **المادة 3 فقرة 2** منه كما يلي: "**الضمان الإضافي**: " كل التزام تعاقدي محتمل يبرم إضافة إلى الضمان القانوني الذي يقدمه المتدخل أو ممثله لفائدة المستهلك **دون زيادة في التكلفة**". وقد ركز المشرع من خلال هذه المادة على فكرة أن يتم الضمان دون الزيادة في التكلفة، فهو التزام محتم على المهني لا مزية منه، وهذا التأكيد على عدم تحميل المستهلك أي تكلفة جاء نتيجة التجاوزات المتكررة للمهنيين في هذا الإطار وما حملته شهادات الضمان من شروط مجحفة بحق المستهلك تحمله أعباء لا أساس لوجودها من الناحية القانونية.

المطلب الثاني: : نطاق تطبيق أحكام الضمان: كي يستفيد المتضرر من أحكام الضمان خاصة تلك الواردة في قانون حماية المستهلك وقمع الغش يجب أن يكون العقد عقد استهلاك، بأن يحوز صفة مستهلك في مواجهة مهني (الفرع الأول)، كما يجب أن يكون محل الضمان منتوجا معينا عادة يكون سلعة(الفرع الثاني).

الفرع الأول: نطاق الضمان من حيث طبيعة العقد وأطرافه

أولا: نطاق الضمان من حيث طبيعة العقد: إن العقد المقصود هنا كمجال للدراسة هو بيع الاستهلاك، وهو مفهوم مركب من شقين " بيع" و" استهلاك"، فأما البيع فهو عقد يلتزم بمقتضاه البائع أن ينقل للمشتري ملكية شيء أو أي حق ماليا آخر مقابل ثمن نقدي[6]، وهو عقد مألوف في الوسطين الاجتماعي والقانوني، وليس كل بيع يرتب في ذمة البائع التزاما بالضمان فلا ضمان في البيوع القضائية والإدارية إذا تمت بمزاد[7]، وأما عقد الاستهلاك فهو دخيل على القانون، من تسمية فقهية، حيث اعتبر الفقهاء العقد الذي يكون أحد أطرافه مستهلكا عقد استهلاك، وبالتالي فالبيع يكون بيع استهلاك إذا كان عقدا نهائيا مبرما مع مستهلك نهائي ولفائدته. وعن طبيعة عقد الاستهلاك، فقد كيفه المشرع الجزائري بموجب المادة 3 من

---

[1]- راجع: المادة 18 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 مؤرخ في 26 سبتمبر 2013، يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ، جريدة رسمية عدد 49، مؤرخة في 2013/10/02.

[2]- انظر: المادة 5 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 ، المذكور سابقا.

[3]- انظر: المادة 6 من المرسوم نفسه.

[4]- قرار مؤرخ في 12 نوفمبر 2014، يحدد نموذج شهادة الضمان، جريدة رسمية عدد 16 مؤرخة في 1 أفريل 2015.

[5] - Voir : section (III) "garantie commercial", art 211-15, code de la consommation, 15[eme] édition, Dalloz, Paris, 2009, p 260.

[6]- أنظر: المادة 351 من القانون المدني.

[7]- راجع: المادة 385 من نفس القانون.

القانون رقم 02/04 الذي يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية [1] على أنه عقد إذعان، حيث جاء فيها: " **عقد**: كل اتفاق أو اتفاقية تهدف إلى بيع سلعة أو تأدية خدمة، حرر مسبقا من أحد أطراف الاتفاق مع إذعان الطرف الآخر بحيث لا يمكن لهذا الأخير إحداث تغيير حقيقي فيه،" والتحرير المسبق للعقد بصورة أحادية هو المفهوم الحديث للإذعان وهو ما أخذ به المشرع الجزائري.

ثانيا: نطاق الضمان من حيث أطراف العقد:

المستهلك المشتري " le consommateur acheteur" : عرفه المشرع من خلال **المادة 3** من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، كما يلي: " **المستهلك**: كل شخص طبيعي أو معنوي يقتني بمقابل أو مجانا سلعة أو خدمة موجهة للاستعمال النهائي من أجل تلبية حاجته الشخصية أو تلبية حاجة شخص آخر أو حيوان متكفل به". فالمستهلك هو كل شخص يشتري منتوجا معينا لا لأغراض تجارية، بل بهدف تدميره أي استهلاكه بنفسه أو تلبية احتياجات شخص آخر[2] أو احتياجات حيوان متكفل به. وعادة يكون المستهلك شخصا طبيعيا وان كان المشرع قد نص على المستهلك كشخص معنوي الذي يبقى مفهوم غامض قد يصلح للتطبيق على بعض الحالات الشاذة فالشخص المعنوي يحكمه مبدأ التخصيص، وحتى وان اعتبرنا النص الصريح على إعطاء وصف مستهلك للشخص المعنوي تبنيا للمفهوم الموسع للمستهلك الذي يقر بفكرة غير المهني وهي جملة الأعمال التي يقوم بها المهني تلبية لحاجات تجارته، فإن الأعمال المدنية التي يقوم بها الشخص معنوي كان أو طبيعي والتي تكون تابعة لنشاطه التجاري هي أعمال تجارية بالتبعية[3] يكسوها الطابع المهني.

المهني البائع " le vendeur professionnel" : البائع هو كل شخص ينقل ملكية شيء يملكه[4] للمشتري مقابل ثمن نقدي، ، إلا إذا كان البيع بالنسبة له من أعمال الإدارة.

من الناحية الفقهية، المحترف هو كل شخص اعتاد مزاولة نشاط دائم ومستقل، له شكل منظم يجعله يبدو متفوقا على جماعة المستهلكين وهو عادة يكون تاجرا.

بالنسبة للمشرع الجزائري، فإن مصطلح مهني، لم يكن مصطلحا موحدا في جميع القوانين المتعلقة بالاستهلاك، حيث تعددت الألفاظ التي استعملها المشرع، فمرة يطلق عليه اسم "المحترف" [5] ، ومرة يستخدم مصطلح " المهني"، وذلك في القرار المتضمن كيفيات تطبيق المرسوم التنفيذي 266/90 [6] ، ومرة يطلق عليه مصطلح " المتدخل" [7]

أما في القانون رقم 02/04 المتعلق بالقواعد المطبقة على الممارسات التجارية، فقد فضل المشرع الجزائري إطلاق مصطلح " العون الاقتصادي"، وهو نفس المصطلح الذي تبناه في المرسوم التنفيذي رقم 306/06 الذي يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة مابين الأعوان الاقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية [1].

---

[1]- القانون رقم 02/04 ، مؤرخ في 23 جوان 2004، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، جريدة رسمية عدد 41 مؤرخة في 27 جوان 2004، المعدل والمتمم بالقانون رقم 06/10.

[2]- ما يعرف بالمستهلك المستفيد، راجع: محمدعماد الدين عياض: " نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك وقمع الغش"، دفاتر السياسة والقانون، صادرة عن جامعة ورقلة، عدد 9 جوان 2013، ص 64.

[3]- انظر المادة 4 من الأمر رقم 59/75 ، المؤرخ في 26 سبتمبر1975، المتضمن القانون التجاري، جريدة رسمية عدد 101 مؤرخة في 19 ديسمبر 1975، المعدل والمتمم.

[4]- فان لم يكن مالكا عد بائعا لملك الغير، وبيع ملك الغير بيع قابل للإبطال من قبل المشتري وغير ناجز في حق المالك إلا إذا أقره، يجد أساسه القانوني في المواد من 397 وما يليها من القانون المدني.

[5]- مرسوم تنفيذي رقم 266/90، المتعلق بضمان المنتوجات والخدمات، مؤرخ في 15 سبتمبر 1990، جريدة رسمية عدد 40، مؤرخة في 19 سبتمبر 1990.

[6]- قرار يتضمن كيفيات تطبيق المرسوم التنفيذي رقم 266/90، مؤرخ في 10 مايو 1994، جريدة رسمية عدد 35، مؤرخة في 05 جوان 1994. وهو مرسوم ملغا بالمرسوم التنفيذي رقم 327/13 مؤرخ في 26 سبتمبر 2013، يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ السالف ذكره.

[7]- قانون رقم 03/09 يتضمن قانون حماية المستهلك وقمع الغش، السالف ذكره.

و في تعريف المتدخل باعتباره المصطلح الذي أورده المشرع بمناسبة الحديث عن الضمان سواء في قانون 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش أو في نصه التطبيقي للمادة 13 المتعلقة بالضمان، جاء في المادة 3 فقرة 7 من قانون 03/09 ما يلي: " كل شخص طبيعي أو معنوي يتدخل في عملية عرض المنتوجات للاستهلاك". وعملية عرض المنتوجات للاستهلاك، هي جميع مراحل الإنتاج والتخزين والنقل والتوزيع بالجملة وبالتجزئة[2]. ولا يهمنا في هذا الإطار إلا المهني البائع الذي يتعامل مع المستهلك بموجب عقود بيع نهائية سواء كان المنتج نفسه أو موزع نهائي.

ثالثا: نطاق الضمان من حيث الموضوع:

ويقصد بنطاق الضمان من حيث الموضوع ، محل بيع الاستهلاك. إن محل البيع وفقا لأحكام القانون المدني هو الملكية إلا أنه وفي إطار الحديث عن صحة المحل كركن فما يهمنا هو محل الملكية وهو الشيء المبيع، وفي الواقع هو مزدوج، فإلى جانب الشيء المبيع، هناك الثمن، ولا يهمنا إلا الأول باعتباره جوهر التزام البائع بالضمان.

الشيء المبيع قد يكون منقولا أو عقارا ، شيئا مثليا أو قيميا، قابلا للإستهلاك أو غير قابل للإستهلاك، وبصفة عامة يجب أن يكون شيئا قابلا للتعامل فيه [3]، كما قد يكون حقا ماليا وفقا للمادة 351 قانون مدني.

أما في قانون حماية المستهلك، فالمحل هو **المنتوج" Le produit**"، وهو مصطلح يتناسب والطبيعة الاقتصادية لبيع الاستهلاك. وقد عرفته **المادة 3 فقرة 10** من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش كما يلي: " **المنتوج:** كل سلعة أو خدمة يمكن أن يكون موضوع تنازل بمقابل أو مجانا". فالمنتوج إما أن يكون سلعة أو خدمة[4] و السلعة هي: " كل شيء مادي قابل للتنازل عنه بمقابل أو مجانا" [5]، أما الخدمة فهي: " كل عمل مقدم، غير تسليم السلعة، حتى وان كان هذا التسليم تابعا أو مدعما للخدمة المقدمة" [6].

المبحث الثاني: تنفيذ الالتزام بالضمان وجزاء الإخلال به:حتى ينفذ البائع التزامه بالضمان يجب أن تتوفر جملة من الشروط تجعل الضمان قائما قانونا (المطلب الأول) ، فإذا قام وجب توقيع الجزاء المناسب على المهني (المطلب الثاني).

المطلب الأول: قيام الضمان: لقيام الضمان يجب أن تتوفر جملة من الشروط الموضوعية وهي حالات قيام الضمان من حيث الموضوع (الفرع الأول)، بالإضافة إلى شروط إجرائية وهي واجبات يقع على المشتري تنفيذها حتى يجوز له المطالبة بالضمان(الفرع الثاني):

الفرع الأول: حالات قيام الضمان: تنص **المادة 379** من القانون المدني على: " يكون البائع ملزما بالضمان، إذا لم يشتمل المبيع على الصفات التي تعهد بوجودها وقت التسليم إلى المشتري أو إذا كان بالمبيع عيب ينقص من قيمته حسبما هو مذكور في عقد البيع أو حسبما يظهر من طبيعته أو استعماله...".

و تنص **المادة 386** منه: " إذا ضمن البائع صلاحية المبيع للعمل لمدة معلومة...". فيما نصت **المادة 13** من قانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش على: " يجب على كل متدخل خلال فترة الضمان المحددة، في حالة ظهور عيب بالمنتوج...".

---

[1]- مرسوم تنفيذي رقم 306/06، المؤرخ في 10 سبتمبر2006 يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة بين الأعوان الاقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية، جريدة رسمية عدد 56، مؤرخة في 11 سبتمبر 2006.

[2]- أنظر المادة 3 فقرة 8 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش.

[3]- راجع في تقسيمات الأشياء المواد من 682 إلى 686 من القانون المدني

[4]- وان كان هذا هو المفهوم المتبنى من قبل المشرع فإن تصفح القوانين المتعلقة بالاستهلاك على رأسها قانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش سرعان ما يكشف الأخطاء في الترجمة إلى اللغة الفرنسية لمصطلح منتوج وسلعة، إذ يطلق على السلعة " le bien" تارة و" produit" تارة أخرى. وأخطاء أخرى حيث استعمل في المادة 13 المتعلقة بالضمان مصطلح منتوج للتعبير عن السلعة في حين أن المنتوج ينقسم إلى سلع وخدمات.

[5]- المادة 3 فقرة 17 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش

[6]- المادة 3 فقرة 16 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش.

تطبيقا للنصوص السالف ذكرها، فإن الضمان في عقد الاستهلاك ، يقوم من حيث موضوعه في حالات ثلاث هي: حالة العيب الخفي، حالة فوات الصفة وحالة ضمان صلاحية المبيع للعمل مدة معينة وهذه الحالة الأخيرة التي أكدها المشرع في قانون حماية المستهلك في إطار الضمان القانوني الخاص، بعد أن سبق له تنظيمها في المادة 386 قانون مدني، وفي القانون رقم 02/98 المتعلق بحماية المستهلك الملغى وكذا في نصوصه التطبيقية. وسيتم التطرق لمضمون هذه الصور الثلاثة في مايلي:

أولا: ضمان العيوب الخفية

1- **مفهوم العيب الخفي :** العيب آفة تحد من الانتفاع بالمبيع أو تنقص من قيمته، وفي اللغة: "هو الوصمة، وعاب لازم متعد وهو معيب ومعيوب، ورجل عياب كثير العيب للناس" [1]، ويكفي القول أن العيب هو النقيصة أو الوصمة أو ما يخلو عنه أصل الفطرة السليمة للشيء[2].

و فقا **للمادة 379** قانون مدني فالعيب هو كل آفة تحد من الانتفاع بالشيء أو تنقص قيمته بحسب ما أراده المشتري، أو بحسب ما هو مذكور في العقد أو بحسب ما يظهر من طبيعة الشيء أو استعماله. فالمعيار الذي على أساسه يحدد مفهوم العيب من الناحية القانونية إما أن يكون معيارا شخصيا: فيأخذ مفهوم العيب كل عيب ينقص من قيمة المبيع أو من الانتفاع به بحسب الغاية التي أراد المشتري تحقيقها من شراءه، بحيث تكون هذه الغاية هي الباعث الدافع للتعاقد. وإما أن يأتي العيب في شكل عدم مطابقة للعقد أي لما هو مذكور في العقد، أو عدم مطابقة وظيفية، والمطابقة الوظيفية هي كل عيب يحد من الإنتفاع بالشيء أو ينقص قيمته بحسب الغرض المخصص له وهو معيار موضوعي، يدور في فكرة وجوب توفر الخصائص العامة للشيء وتطابقه مع باقي الأشياء التي تماثله وفقا لطبيعة الأمور ولما هو مألوف عند كافة الناس.

2- **شروط العيب الموجب للضمان:**

أ/ أن يكون العيب قديما: والمقصود بالعيب القديم، هو وجود العيب وقت التسليم الفعلي للمبيع من قبل البائع، لا بعد انتقاله لحيازة المشتري. إن الغاية من اشتراط القدم وقت التسليم، هي إقامة قرينة على أن البائع هو المسؤول عن العيب وفي نفس الوقت، حمايته من العيوب التي قد يتسبب فيها المشتري والتي تظهر بعد تسلم هذا الأخير للمبيع. فالعيب الذي لم يكن موجودا وقت التسليم ، لا يضمنه البائع [3]. وقد اعتبر القضاء الفرنسي العيب قديما وبالتالي يضمنه البائع، وجود جرثومته قبل التسليم ولو لم تظهر آثاره الضارة والمفسدة للمبيع إلا عند المشتري [4]. وشرط القدم، من الأمور التي يستعصي على المشتري اثباتها في بعض الكثير من الفروض، الأمر الذي يفقد معه فعالية أحكام ضمان العيوب الخفية.

ب/ أن يكون العيب خفيا: ويكون العيب خفيا إذا لم يكن ظاهرا للمشتري، ولم يستطع تبينه بالرغم من تفحصه المبيع وفقا لمعيار الرجل العادي، وهو ما أكدته المحكمة العليا في القضية بين(ت ع) ضد (ب م)، حينما أقرت على أن قضاة الموضوع قد طبقوا صحيح القانون حينما " أسسوا قرارهم على أن البائع ملزم بضمان العيوب الخفية التي لا يمكن للمشتري التعرف عليها ولو فحص المبيع بعناية الرجل العادي..." [5] . فمتى كان العيب ظاهرا وهو العيب الذي يستطيع

---

[1]- الفيروز آبادي الشيرازي، القاموس المحيط ،الجزء 1، طبعة 2 ،الحلبي، مصر، 1952، ص113

[2]- أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، الجزء 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون سنة نشر، ص 124

[3]- عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، البيع والمقايضة، جزء 4، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2000، ص 722.

[4]- محمد بودالي، حماية المستهلك في القانون المقارن، دراسة مقارنة في القانون الفرنسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2006، ص 352.

[5]- قرار بتاريخ: 1993/10/06، ملف رقم 103934، الغرفة المدنية، مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 2 لسنة 1994.

المشتري كشفه وفقا لنفس المعيار وهو معيار الرجل العادي فلا ضمان للمشتري، وهو الحكم الصريح الذي خصص له المشرع الفرنسي مادة مستقلة هي المادة 1642 التي جاء فيها:[1]

"Le vendeur n'est pas tenu des **vices apparents** et **dont l'acheteur a pu se convaincre lui-même** "

يأخذ حكم العيب الخفي، العيب الذي لم يكن معلوما للمشتري، فمتى علم به أو أعلمه البائع بوجوده ولم يطالب بحقه في الضمان، عد المشتري قابلا بالمبيع بما اشتمل عليه من عيب ويسقط حقه في الضمان[2].

ج/ أن يكون العيب مؤثرا: حددت **المادة 379** قانون مدني المقصود بالعيب المؤثر بأنه ذلك العيب الذي ينقص من قيمة المبيع أو ينقص من منفعته. إلا أن ما يؤخذ على المشرع انه لم يحدد مقدار النقص الذي إن طرأ على المبيع أثر على قيمته أو منفعته، فيما عالج المشرع الفرنسي المسألة بموجب **المادة 1641** من القانون المدني الفرنسي التي جاء فيها :

''le vendeur est tenu de la garantie à raison des défauts cachés de la chose vendu qui la rendent impropre à l'usage auquel on la destine ou qui diminuent tellement cet usage , **que l'acheteur ne l'aurait pas acquise ou n'en aurait donné qu'un moindre prix s'il les avait connus''** [3]

و عليه فمعيار الانتقاص من المنفعة أو القيمة هو **معيار الجسامة**، بحيث يكون العيب مؤثرا كل عيب جسيم والعيب الجسيم هو كل عيب موجود في المبيع لو علمه المشتري لما أبرم العقد أو لكان قد دفع فيه ثمنا أقل.

أحسن المشرع صنعا في **المادة 379** من القانون المدني، حينما استعمل أداة التخيير **"أو"** حينما نص على أن النقص قد يحد من المنفعة **أو** ينقص القيمة، ذلك أنه قد يؤثر العيب في المبيع فينقص قيمته دون أن يحد من المنفعة، كاكتشاف المشتري أن باب السيارة غير أصلي، إلا أنه سليم ويحقق المنفعة التي وجد من أجلها لكن ما ينقص هو قيمة السيارة في السوق.

ثانيا: ضمان تخلف الصفة: نص القانون المدني على إلزامية الضمان في حال فوات الصفة، وألحق أحكامها بأحكام العيب الخفي، اذ يعتبر عيبا يستوجب ضمانه من قبل البائع، كل حالة لم يشتمل فيها المبيع وقت التسليم على الصفة أو الصفات التي تعهد بها البائع للمشتري[4](41). فيعتبر من قبيل الصفة، لون السيارة، نوع الخشب المستخدم في أثاث معين، حجم ذاكرة الحاسوب...و غيرها.

بالرغم من أن المشرع قد سوى بين العيب الخفي وفوات الصفة من حيث الأثر، فإنه لم يشترط في حالة فواتها ما اشترطه في العيب الخفي من وجوب إثبات التأثير والخفاء حتى يقوم الضمان من حيث موضوعه. كما أن عدم وجود الصفة أو الصفات التي أرادها المشتري والتي على أساسها أبرم البيع تتيح لهذا الأخير مكنة رفع دعوى الإبطال للغلط الأمر الغير متوقع في حال وجود العيب.

ثالثا: ضمان صلاحية المبيع للعمل مدة زمنية معينة: يجد هذا الالتزام أساسه القانوني في **المادة 13** من قانون حماية المستهلك وقمع الغش رقم 03/09، وقد كان القانون المدني سباقا في تنظيمه عبر أحكام **المادة 386**، إلا أن طبيعة هذا الالتزام تختلف بين القواعد العامة والخاصة، فبينما هو في الأولى ضمان اتفاقي من قبيل صور تشديد الضمان على البائع فهو في الثانية، ضمان قانوني من النظام العام [5]. وهذا الأمر منطقي الهدف منه هو حماية مصالح المستهلكين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التطور التكنولوجي الحاصل وما نجم عنه من سلع معقدة التركيب لا تخلو حياة الأفراد من ضرورة اقتنائها.

---

[1] - Voir : code civil français, 108[eme] édition, Dalloz, Paris, 2009, p 1642.

[2]- انظر فقرة 2 من المادة 379 قانون مدني.

[3] - Art 1641 :.voir : code civil, 108[eme] édition, Dalloz, Paris, 2009, p 1848.

[4]- المادة 379 قانون مدني.

[5]- ما يظهر من استعمال المشرع في المادة 385 قانون مدني عبارة " **إذا** ضمن البائع..."، فيما جاء في الفقرة 3 من المادة 13 من قانون حماية المستهلك وقمع الغش رقم 03/09، بلفظ " **يجب**..." ناهيك عن ما ورد في الفقرة 5 منه على اعتبار أحكام هذه المادة من النظام العام وكل شرط يخالفها يقع باطلا.

يقصد به، التزام البائع بأن يضمن للمستهلك المشتري وخلال فترة معينة يحددها القانون في عقد بيع الاستهلاك، كل خلل يظهر في المبيع . وهذه المدة التي يبقى فيها الضمان قائما تختلف بحسب طبيعة المنتج الأمر الذي نظمه المشرع عبر أحكام القرار الوزاري المشترك لسنة 2014 [1] والتي ألغى بموجبه كل النصوص السابقة أين وضع قائمة بها أكثر المنتوجات شيوعا وحاجة بين الناس، تقابلها مدة الضمان القانوني الذي يناسبها.

الفرع الثاني: الشروط الإجرائية لقيام الضمان

أولا: فحص المبيع: إن الإجراء المباشر الذي يقع على المشتري القيام به أثناء تسلمه للمبيع هو تفحصه وقد نص المشرع على هذا الإجراء في **المادة 380** قانون مدني ، ويقصد بتفحص المبيع، التحقق بكافة الوسائل الملائمة والحواس المساعدة من خلو المبيع من العيوب، بحسب طبيعة المبيع. يتحقق الفحص كذلك بتجربة المبيع كما إذا كان سيارة أو جهاز أو آلة معينة. يكفي في الفحص أن يبذل المشتري عناية الرجل العادي، إلا أنه قد تستلزم عملية الفحص، الاستعانة بذوي الاختصاص كالاستعانة بخبير.

عن مكان الفحص، عادة يتم الفحص في مكان تابع للبائع حتى يتمكن من بسط رقابته على العملية، ويجوز أخذ المبيع لفحصه في مكان آخر كما جرى العرف في مجال السيارات اذ يستلزم الفحص أخذ السيارة إلى الميكانيكي برفقة البائع أو بدونه حسب الاتفاق. وعن زمان الفحص، فعادة تنطلق وقت التسليم وقد تمتد لمدة معقولة تحدد بالاتفاق أو بالعرف التجاري أو طبيعة الشيء المبيع نفسه.

و كان على المشرع تناول أحكام الفحص بشيء من الدقة حينما نظم كيفيات الضمان عبر أحكام المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ، إلا أنه بالمقابل قد تحدث في المادة 11 منه عن إمكانية استفادة المستهلك من تجربة المنتوج وقد ركز على أن تمكين المستهلك من التجربة يكون دون إعفاء المتدخل من إلزامية الضمان ، لما من شأنه أن يطمئن المستهلك في أن المبيع صالح مبدئيا وعلى الأقل للغرض الذي وجه إليه. وحق تجربة المبيع نصت عليه المادة 15 من القانون رقم 03/09 الي يتضمن حماية المستهلك وقمع الغش، واعتبرته من النظام العام، حيث يعاقب على مخالفتها بغرامة من 50.000 دج إلى 100.000 دج وفقا للمادة 76 من قانون رقم 03/09، بينما في المادة 11 أعلاه من المرسوم التنفيذي، هي أمر جوازي فقط للمشتري إذ فيجوز لهذا الأخير أن يطالب بتجريب المنتج ولا يقع على عاتق المهني أي جزاء جراء عدم تمكينه من التجربة. وهنا يقع على المشرع توحيد الحكمين بتعديل المادة 11 وجعلها هي الأخرى من النظام العام، حتى لا يفتح مجال تعسف وتحكم المهنيين في مواجهة جماعة المستهلكين .

ثانيا: الإخطار: هو إعلام البائع بوجود عيب. يجب أن يتم الإخطار في مدة معقولة تحت طائلة سقوط الحق في الضمان، والمدة المعقولة هي ما أشارت إليه المادة 380 من القانون المدني بـ " أجل مقبول عادة"، ولقاضي الموضوع سلطة تقديرية واسعة في تحديده استنادا لعدة معايير منها: طبيعة المبيع، ظروف التسليم والتسلم، طبيعة العيب نفسه، في ما إذا كان بسيطا يسهل الكشف عنه أو معقدا قد لا يكتشف بالاستعمال العادي وهنا يبقى الأجل قائما إلى حين اكتشاف العيب [2] و هو ما أكدته المحكمة العليا بتاريخ 05 أكتوبر2005 في القضية بين (ب ع) ضد(ن س) [3].

عن شكل الإخطار، لم يحدد القانون المدني شكلا معينا، فيجوز أن يكون الإخطار كتابة بالمناولة اليدوية أو ببرقية مضمونة الوصول أو في شكل إعذار عن طريق محضر قضائي أو شفاهة عن طريق الهاتف أو حتى عبر وسائل الاتصال

---

[1]- قرار وزاري مشترك، مؤرخ في 14 ديسمبر 2014، يحدد مدة الضمان حسب طبيعة السلعة، جريدة رسمية عدد 03، مؤرخة في 27 جانفي 2015.

[2]- أنظر المادة 380 فقرة 2 من القانون المدني الجزائري.

[3]- قرار بتاريخ: 05 أكتوبر 2005، ملف رقم 357049، الغرفة المدنية، مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 1 لسنة 2005.

الحديثة.فالعبرة ليست بشكل الإخطار بل بوجوب القيام به، ويقع عبء إثبات القيام به على المشتري. وتتقارب أحكام شكل الإخطار بين القواعد العامة وبين ما جاءت به المادة 21 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13، الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ وإن كان المشرع قد حبذ استعمال الكتابة للإخطار لما تتسم به من حجية في الإثبات [1].

المطلب الثاني: جزاء عدم تنفيذ الضمان: يختلف الجزاء المقرر لعدم تنفيذ البائع للضمان بالرغم من قيام المشتري بواجبي الفحص والإخطار بين ما هو مقرر في القواعد العامة (الفرع الأول) وتلك الأحكام الواردة في قانون حماية المستهلك (الفرع الثاني).

الفرع الأول: جزاء عدم تنفيذ الضمان في القواعد العامة: يتمثل جزاء عدم تنفيذ الضمان في القانون المدني في حق المشتري في المطالبة بالتعويض بموجب رفع دعوى الضمان (أولا)، إلا أن هذا لا يمنع من رفع دعوى الإبطال للغلط إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أجل التقادم القصير المقرر لدعوى ضمان العيوب الخفية (ثانيا)

أولا: دعوى الضمان

دعوى الضمان هي دعوى مناطها التعويض، ويجب لقبولها احترام قواعد خاصة إضافة للقواعد الإجرائية العامة.

1/ **الحق في رفع دعوى الضمان:**تجد دعوى الضمان أساسها القانوني في المادة 381 من القانون المدني، وهي دعوى تثبت للمشتري بصفته دائنا مدعيا بعدم تنفيذ البائع لالتزامه بالضمان بصفته مدينا مدعا عليه. وكأي دعوى قضائية يجب أن يتوفر فيها الشروط العامة لرفع الدعوى وهي: الصفة والمصلحة[2] ، إضافة إلى الشروط الخاصة وهي فحص المبيع وإخطار البائع في آجال معقولة وإلا سقط حق المشتري في المطالبة بالتعويض. كما يجب على هذا الأخير احترام الآجال القانونية لرفعها والتي حددتها المادة 383 من القانون المدني بسنة من يوم تسليم المبيع، وهي المدة المقررة حتى في حالة نجاح المشتري في إثبات أنه قد اكتشف العيب بعد فواتها ، تقلص إلى 6 أشهر في حالة ما إذا كان التزام البائع هو ضمان صلاحية المبيع للعمل مدة معينة وفقا للمادة 386 من القانون المدني ويمكن تمديدها في حالتين هما[3]:

- إذا ثبت أن البائع قد أخفى العيب غشا منه،
- إذا كان هناك اتفاق برفع مدة التقادم.

2/ **التعويض كثمرة لدعوى الضمان:** تنص المادة 381 من القانون المدني على ما يلي: " إذا أخبر المشتري بالعيب في الوقت الملائم، كان له الحق في الطالبة بالضمان وفقا للمادة 376".

أحال المشرع في كيفية تقدير التعويض إلى المادة 376 من القانون المدني، المتعلقة بأحكام الاستحقاق الجزئي للمبيع، إذ وحد بين أحكام العيب الخفي وأحكام ضمان الاستحقاق. وبالرجوع إلى المادة المحال عليها، نجد أن التعويض يختلف بحسب طبيعة العيب فيما إا كان جسيما أو طفيفا. وفقا للمادة 376 من القانون المدني، يكون العيب جسيما إذا كان مؤثرا، ويكون مؤثرا إذا كان من شأنه أن يلحق بالمشتري خسارة بحيث لو علمها وقت التعاقد لما أبرم العقد فاذا كان العيب جسيما كان للمشتري حق مطالبة البائع بالمبالغ التالية :

- قيمة المبيع وقت نزع اليد،
- قيمة الثمار التي ألزم بردها،
- المصاريف النافعة إن كان لها مقتضى وكذلك الكمالية إذا ثبتت سوء نية البائع،

[1]- أنظر المادة 21 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ.

[2]- أنظر المادة 13 من القانون رقم 09/08 المؤرخ في 25 فيفري 2008، المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية، جريدة رسمية عدد 21 مؤرخة في 23 أفريل 2008.

[3]- المادة 383 من القانون المدني.

- المصاريف المحتمة التي اقتضتها دعوى الضمان،
- و بوجه عام تعويضه عما فاته من كسب وما لحقته من خسارة [1].

أما إذا كان العيب طفيفا ففي هذه الحالة يجوز للمشتري أن يحتفظ بالمبيع المعيب متى أراد ذلك، ويطالب البائع بتعويض يقابل مقدار الضرر الذي لحقه من وجود العيب [2]، وللقاضي في ذلك سلطة تقرير التعويض وتقديره من عدمه تطبيقا لأحكام المسؤولية العقدية على أساس أن العيب غير الجسيم هو العيب الذي تكون الخسارة التي لحقت المشتري طفيفة يمكن معها الاحتفاظ بالمبيع.

ثانيا: حق المشتري في رفع دعوى الإبطال للغلط أو الفسخ: بالنسبة لدعوى الغلط، فقد أسالت هذه النقطة الكثير من الحبر في الوسط الفقهي في فرنسا نتيجة الموقف المتعارض بين المحكمتين التجارية والمدنية، بين مؤيد لحق المشتري في التخيير بين دعوى ضمان العيوب الخفية، ومعارض للفكرة [3]. و قد جاء هذا الجدل الفقهي كنتيجة لقصور دعوى ضمان العيوب الخفية من حيث فكرة الأجل القصير "le bref délai" المقرر للمطالبة القضائية تحت طائلة سقوط الحق في رفعها وكذا صعوبة إثبات شروط العيب الموجب للضمان في عديد المناسبات. وفي الواقع لا يوجد ما يمنع المشتري من رفع دعوى الإبطال للغلط على أساس غياب الصفة أو الصفات بعد فشله في دعوى الضمان أو حق التخيير بين الدعويين متى توفرت شروط أحدهما أو التأسيس على أحكام العلم الكافي بالمبيع وفقا للمادة 352 من القانون المدني، لأن إعطاء المشتري مثل هذه المكنة يصب لا محالة في مصلحته، حيث سيستفيد من أجل التقادم المقرر في المادة 101 من القانون المدني المتعلق بدعوى الإبطال والمقدر إما بـ 5 سنوات من تاريخ اكتشاف الغلط، أو 10 سنوات من تاريخ العقد، وهو أجل طويل وجد معقول مقارنة مع الأجلين القصيرين المقدرين بـ سنة وبـ 6 أشهر في حال ضمان صلاحية المبيع للعمل مدة معينة، واللذين يجب على المشتري رفع دعوى الضمان خلالهما بحسب الحالة كأجل مسقط لحقه في رفع الدعوى. كما يبقى طريق الفسخ طريقا مجديا أمام المستهلك تأسيسا على إخلال المنهي بالتزامه بالضمان، حيث سيتمكن المستهلك من اقتضاء التعويض وفقا لأحكام المسؤولية التقصيرية إذا نجح في إثبات أركانها.

الفرع الثاني: جزاء عدم تنفيذ الضمان في القواعد الخاصة بحماية المستهلك

عادة ما تأخذ المطالبة بتنفيذ التزام البائع المحترف بالضمان وفقا لقوانين الاستهلاك شكل مطالبة ودية (أولا)، إلا أنه ومتى لم تعطي هذه الأخيرة ثمارها جاز للمستهلك اللجوء إلى القضاء (ثانيا).

أولا: المطالبة الودية بالضمان: تنص المادة 13 فقرة 3 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش على ما يلي: " يجب على كل متدخل خلال فترة الضمان المحددة، في حالة ظهور عيب بالمنتوج، استبداله أو ارجاع ثمنه، أو تصليح المنتوج أو تعديل الخدمة على نفقته".

وفقا للمادة يقع على المتدخل تنفيذ الضمان خارج أسوار القضاء بداية ويكون عليه: تصليح المنتج أولا فإن لم يستطع فعليه استبداله فإن لم يتوفر لديه ، وجب إرجاع الثمن للمستهلك.

و ما يعاب على المشرع في هذه المادة هو عدم ترتيبه للجزاءات ترتيبا منطقيا فإرجاع الثمن عادة هو آخر حل يلجأ إليه المهني بعد محاولتي الإصلاح والاستبدال، وقد أدرك المشرع هذا الترتيب المنطقي في المادة 12 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ حيث جاء فيها: " يجب أن يتم تنفيذ وجوب الضمان ...دون تحميل المستهلك أي مصاريف إضافية إما:

---

[1]- وهذين العنصرين يكونان المبدأ العام الذي على أساسه يقدر القاضي التعويض، راجع المادة 182 من القانون المدني.

[2]- أنظر المادة 376 فقرة 2 من القانون المدني.

[3]- راجع: محمد بودالي، ص 361-364.

– بإصلاح السلعة أو إعادة مطابقة الخدمة، باستبدالها، برد ثمنها..."

جدير بالذكر كذلك أن المشرع وفي النصين لم يشر لمسألة إمكانية انقاص الثمن في الحالة التي يقبل فيها المستهلك استبقاء السلعة المعيبة، وهو الفرض الذي لم يغفل عنه المشرع الفرنسي من خلال **المادة 211-10 فقرة 1** من قانون الاستهلاك التي نصت على حالة ما إذا كان إصلاح أو استبدال المال غير ممكن، فإنه يجوز للمشتري إرجاع المبيع ورد الثمن أو استبقاء المبيع مع طلب انقاص جزء من الثمن، حيث جاء فيها مايلي:

'' Si la réparation et le remplacement du bien sont impossibles, l'acheteur peut rendre le bien et se faire restituer le prix ou garder le bien et se faire rendre une partie du prix''

يجب أن ينفذ المتدخل الضمان دون تحميل المستهلك أي مصاريف إضافية [1].

و في إطار تنفيذ الضمان وضح المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ أحكامها، حيث يقع على المتدخل أن يصلح العيب في الآجال المتعارف عليها مهنيا حسب طبيعة السلعة، فإذا لم يقم بإصلاحها جاز للمستهلك القيام بذلك عن طريق مهني مؤهل يختاره بنفسه وعلى حساب المتدخل[2]. إلا أنه ومتى تعذر الإصلاح كان على المتدخل استبدال المبيع أو رد ثمنه بحسب الحالة، وله أجل 30 يوما للقيام بذلك تبدأ من تاريخ إخطاره بالعيب[3]. وهنا يؤخذ على المشرع عدم تحديده لأجل الإصلاح وتركه مفتوحا متوقفا على الأعراف المهنية وطبيعة السلعة، مما سيفتح باب تماطل المهنيين في تنفيذ الضمان. ناهيك عن التداخل في الآجال بين الإصلاح ، الاستبدال أو رد الثمن ، فإن كانت **المادة 15** تمنح للمتدخل 30 يوما من تاريخ الإخطار بالعيب لاستبدال المنتج أو رد الثمن، فمدة الإصلاح تدخل ضمنيا في هذه الفترة، وهو أمر غير منطقي ولو كان كذلك فهو غير جدي.

و قد واصل المشرع من خلال نفس المرسوم التنفيذي عدم جديته في الآجال، حيث أضاف مدة 30 يوما أخرى بعد 30 يوم الأولى كفرصة للمهني لتدارك تقصيره في التزامه بالضمان، حيث يقع على المستهلك إعادة إعذاره مرة ثانية برسالة مضمونة الوصول أو بأي وسيلة ممكنة، وتبدأ مدة 30 يوم الثانية من تاريخ توقيع المتدخل على الإشعار باستلام الإعذار الثاني[4]. فهذا المرسوم الذي جاء تطبيقا للمادة 13 من قانون حماية المستهلك قد زاد الطين بلة، فالمفروض أن يأتي مبسطا لأحكام الضمان وأكثر جدية لتحقيق حماية فعالة للمستهلك، فنجده يأتي عكس ذلك ويختم النصوص بالمادة 23 التي تنص على إمكانية استصدار قرارات شارحة له في الوقت الذي كنا ننتظر أن يقوم هو بهذه المهمة.

أمام هذه الصعوبات التي تواجه المستهلك يمكنه الاستعانة بالجهات المختصة عادة هي مديرية التجارة، عن طريق تقديم شكوى شارحا فيها المساعي المبذولة وتعنت المتدخل في تنفيذ الضمان، حتى يستطيع الأعوان المكلفين من فرض غرامة الصلح على المهني والتي حددتها المادة 88 من قانون حماية المستهلك وقمع الغش 03/09 بمبلغ 300.000 دج، لما من شأن هذا الإجراء من أن يخوف المهني ويجبره على تنفيذ التزامه وديا، كما يعتبر اجراءا فعالا يدعم شكوى المستهلك أمام الجهات القضائية فيما بعد إذا واصل المتدخل تعنته.

ثانيا: لجوء المستهلك للقضاء الجزائي والعقوبات المقررة

قانون حماية المستهلك هو قانون جزائي، لذا فإن الجزاءات المطبقة هي عقوبات ذات طابع جزائي .

---

[1]- المادة 13 من القانون رقم 03/09 المتضمن قانون حماية المستهلك والمادة 12 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 الذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ

[2]- أنظر المادة 13 من المرسوم التنفيذي رقم 327/13 السالف ذكره.

[3]- أنظر المادة 15 من نفس المرسوم.

[4]- أنظر المادة 22 من نفس المرسوم.

إذا ما اختار المستهلك القضاء الجزائي ، فإن العقوبة المقررة على المهني حددتها المادة 75 من القانون رقم 03/09 المتضمن قانون حماية المستهلك وقمع الغش كما يلي: " يعاقب بغرامة من مائة ألف دينار (100.000 دج) إلى خمسمائة ألف دينار (500.000 دج)، كل من يخالف الزامية الضمان أو تنفيذ ضمان المنتوج المنصوص عليه في المادة 13 من هذا القانون".
الأمر الذي يأخذ على المشرع أنه لم ينص على الجزاء المدني إلا في ما يتعلق بإبطال كل شرط مخالف للضمان القانوني أما بالنسبة للجزاء المقرر للتماطل في آجال التصليح، الاستبدال ورد الثمن فلم يتم تحديدها، حيث أخذ في الإسهاب في فرض عقوبات ذات طابع جزائي متمثلة في الغرامة التي تصب في مصلحة الخزينة العمومية، والتي إن كانت تصلح للتطبيق على بعض الممارسات فإنها وفي المجال العقدي عامة وفي مجال الضمان خاصة لا تحقق المصالح الخاصة للمستهلك الذي يبقى أمامه الجزاءات المرصودة في القانون المدني والتي لا يمكن الاستغناء عنها أمام هذا الفراغ التشريعي في النصوص الخاصة.إذ يبقى القضاء المدني هو القضاء الملائم لكل ما يتعلق بالمجال العقدي عامة وقد أخذت المحكمة العليا هذا المنحى في قرارها الصادر بتاريخ 2010/10/28، في قضية النيابة العامة و(ب خ) ضد (ي ح)، حيث جاء فيه أن ما يترتب على ظهور العيوب الخفية في المبيع مسؤولية مدنية وليس جزائية، اذ لا يعد ظهور العيب الخفي نصبا[1].

خاتمة:

إن النظام القانوني لضمان عيوب المنتوج هو نظام يجد أساسه في قواعد القانون المدني وفي القواعد الخاصة بحماية المستهلك، فبخلاف دعوى إبطال الشرط المخالف للضمان القانوني المنصوص عليه في المادة 13 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش، يبقى القانون المدني هو ملاذ المستهلك الوحيد من خلال إمكانية رفع دعوى الضمان الخفية، طلب إبطال العقد للغلط في حال تخلف الصفة أو الصفات المتعهد بها في العقد أو تأسيسا على أحكام العلم الكافي بالمبيع المنصوص عليه في المادة 352 من القانون المدني، كذلك إمكانية رفع دعوى الفسخ على أساس إخلال المحترف بالتزامه بالضمان، إمكانية المطالبة بالتعويض وفقا لأحكام المسؤولية المدنية، على أساس أن القوانين المتعلقة بحماية المستهلك هي قوانين جزائية، والعقوبات الجزائية هي عقوبة مقررة للصالح العام لا تحقق المصلحة الخاصة للمستهلك، كما أن الطبيعة العقدية لمجال التزام المحترف بالضمان لا يتماشى والقضاء الجزائي ولو كان من الإمكان التأسس كطرف مدني والمطالبة بالتعويض من خلال متابعة المحترف بجريمة عدم تنفيذ الضمان المنصوص عليها في المادة 75 من القانون رقم 03/09 المتعلق بحماية المستهلك وقمع الغش. وبالرغم من عدم تمكن المشرع الجزائري من المصطلحات إلا أن الضمان، نظام أصيل قائم بذاته يعكس حقيقة هدف المشرع في حماية المصالح الاقتصادية للمستهلك، فيما نص على آليات أخرى من شأنها حماية جسد هذا الأخير ومصالحه المعنوية كالزامية الأمن والمطابقة.
بعد هذه الورقة البحثية نقترح إعادة ضبط المرسوم التنفيذي رقم 327/13 اذي يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ بأن ينص على آجال محددة يلتزم بها المهنيون تحت طائلة جزاء مدني مناسب، لكل من التصليح، الاستبدال وإرجاع الثمن حتى يغلق باب تعسف المهنيين وتماطلهم تحت طائلة جزاءات ردعية وصريحة ، كذلك النص على إمكانية الاحتفاظ بالسلعة مع انقاص الثمن كما فعل نظيره الفرنسي من خلال المادة 211-10 من قانون الاستهلاك.

قائمة المراجع:أولا: المراجع باللغة العربية::القواميس:

- أبو الفضل جمال الدين بن منظور الإفريقي، لسان العرب، الجزء 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون سنة نشر.
- الفيروز آبادي الشيرازي، القاموس المحيط ،الجزء 1، طبعة 2 ،الحلبي، مصر، 1952.

[1]- قرار بتاريخ:28 أكتوبر 2010، ملف رقم 452020، غرفة الجنح والمخالفات، مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 2 لسنة 2013.

●النصوص القانونية:

●الأمر رقم 58/75 المؤرخ في 26 سبتمبر1975، المتضمن القانون المدني، جريدة رسمية عدد 78، مؤرخة في 30 سبتمبر 1975، المعدل والمتمم.

●الأمر رقم 59/75 ، المؤرخ في 26 سبتمبر1975، المتضمن القانون التجاري، جريدة رسمية عدد 101 مؤرخة في 19 ديسمبر 1975، المعدل والمتمم.

●القانون رقم 02/98، المؤرخ في 7 فيفري 1989، المتضمن القواعد العامة لحماية المستهلك، جريدة رسمية عدد 6 مؤرخة في 8 فيفري 1989.

●القانون رقم 02/04 ، مؤرخ في 23 جوان 2004، يحدد القواعد المطبقة على الممارسات التجارية، جريدة رسمية عدد 41 مؤرخة في 27 جوان 2004، المعدل والمتمم بالقانون رقم 06/10.

●القانون رقم 09/08، مؤرخ في 25 فيفري 2008، المتضمن قانون الإجراءات المدنية والإدارية، جريدة رسمية عدد 21 مؤرخة في 23 أفريل 2008.

●القانون رقم 03/09، المؤرخ في 25 فيفري 2009، المتعلق ب حماية المستهلك وقمع الغش، جريدة رسمية عدد 15، مؤرخة في 8 فيفري 2009.

●مرسوم تنفيذي رقم 266/90، المتعلق بضمان المنتوجات والخدمات، مؤرخ في 15 سبتمبر 1990، جريدة رسمية عدد 40، مؤرخة في 19 سبتمبر 1990.

●مرسوم تنفيذي رقم 306/06، المؤرخ في 10 سبتمبر2006 يحدد العناصر الأساسية للعقود المبرمة بين الأعوان الاقتصاديين والمستهلكين والبنود التي تعتبر تعسفية، جريدة رسمية عدد 56، مؤرخة في 11 سبتمبر 2006.

●مرسوم التنفيذي رقم 327/13 مؤرخ في 26 سبتمبر 2013، يحدد شروط وكيفيات وضع ضمان السلع والخدمات حيز التنفيذ، جريدة رسمية عدد 49، مؤرخة في 2013/10/02.

●قرار يتضمن كيفيات تطبيق المرسوم التنفيذي رقم 266/90، مؤرخ في 10 مايو 1994، جريدة رسمية عدد 35، مؤرخة في 05 جوان 1994.

●قرار مؤرخ في 12 نوفمبر 2014، يحدد نموذج شهادة الضمان، جريدة رسمية عدد 16 مؤرخة في 1 أفريل 2015.

●قرار وزاري مشترك، مؤرخ في 14 ديسمبر 2014، يحدد مدة الضمان حسب طبيعة السلعة، جريدة رسمية عدد 03، مؤرخة في 27 جانفي 2015

● الكتب:

●محمد بودالي، حماية المستهلك في القانون المقارن، دراسة مقارنة في القانون الفرنسي، دار الكتاب الحديث، الجزائر، 2006.

●عبد الرزاق أحمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد، البيع والمقايضة، جزء 4، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، 2000.

●المقالات و المجلات القضائية:

- محمدعماد الدين عياض: " نطاق تطبيق قانون حماية المستهلك وقمع الغش"، دفاتر السياسة والقانون، صادرة عن جامعة ورقلة، عدد 9 جوان 2013.
- مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 2 لسنة 1994
- مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا،قسم الوثائق والدراسات القانونية والقضائية، عدد 2 لسنة 2001
- مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 1 لسنة 2005
- مجلة قضائية صادرة عن المحكمة العليا، الديوان الوطني للأشغال التربوية، عدد 2 لسنة 2013.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

1-Les lois :

- Code de la consommation, 15eme édition, Dalloz, Paris, 2009.
- Code civil français, 108eme édition, Dalloz, Paris, 2009.

2-Les livres :

• Valérie Gionnet et Antoine Vergnaud : ‘’Déjouer les arnaque de la consommation’’, Vuibert,paris, 2003.

البلاغة العربية بين منهج التّدريس، وطرق التّيسير

أ.صليحة بلخيري

جامعة الجزائر1

الملخص:يهدف هذا البحث إلى إبراز أهم النّقاط التي أدت إلى تحول مسار البلاغة العربية، بابتعادها عن الكلمة العذبة والعبارة الجميلة، والأسلوب الرّفيع، واتجاهها نحو التعقيد والجمود. بحصر البلاغة في قواعد ثابتة، وصياغتها في قوالب تُحفظ فقط، لا تنمي إدراكا ولا تهذب ذوقا. فيا ترى ما هي العوامل التي أدت إلى ابتعاد البلاغة العربية عن نهج الموهبة والفطرة الرّبانية، واتجاهها نحو الضّبط والتقعيد، والتدريس التجريدي البعيد كل البعد عن الذّوق والإحساس الفني؟.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية؛ الذوق الفني؛ التقعيد؛ التجريد؛ الجمود.

Abstract: This research aims to highlight the most important points that led to the transformation of Arab rhetoric, away from the beautiful words, and the high way, and its direction towards complexity. By restricting rhetoric to fixed rules, and formulating them only in templates that are reserved, they do not develop consciously . What are the factors that led to the alienation of Arab rhetoric from the approach of talent and the instinct, and its direction towards control and setting the rules , and teaching abstraction far from artistic sense .

Keywords: Arabic rhetoric; artistic sense; abstraction; inertia

المقدمة:وصف القرآن العرب بأنهم أصحاب بيان فقال سبحانه "**الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾**" (الرحمن: 1- 4).

ولو لم تكن لهم-العرب- ذائقة لغوية، وملكة فنية، ما استطاعوا أن يميّزوا الجيّد من الرّديء، والمحمود من المذموم، على الرّغم من أنهم لم يعرفوا قواعد الفن وأصول اللغة وعلومها.

والبلاغة -في نظر البلغاء- ليست أمرا مستقلا عن اللغة، بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التّعبير أو الإبلاغ، وهي شاملة لعنصري اللغة من المعنى واللفظ.

ولقد ظلت سهلة ميسرة تنطلق من الكلمة العذبة والعبارة الجميلة، والأسلوب الرفيع، حتى جاء القرن السّادس الهجري، فبدأت تفقد روحها الأدبية، ومعها النّزعة الفنية، وتبتعد عن الذّوق الروحاني الذي كان عمدة للبلاغيين والنّقاد، ولا سيما عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) [1]، الذي أكد أهمية الذّوق، وإحساس النّفس في إدراك البلاغة.

وإنّ جمود الدّرس البلاغي أدى إلى الوقوف عند منهج واحد لايُعنى بالذّوق والإحساس الرّوحاني، وتحليل النّصوص تحليلا أدبيا، بقدر عنايته بالقواعد وصياغتها في قوالب ثابتة تُحفظ فقط، لاتنمي إدراكا ولا تهذب ذوقا، ولا تنطلق إلى آفاق الأدب الرّحيبة.

أولا: البعد اللغوي والتاريخي للبلاغة العربية:

لا شك في أنّ الطاقة اللّغوية وما تحمله من ألفاظ ودلالات تختلف من شخص لآخر؛ وفي هذا يقول Potter:" إنّ المعرفة قدرة؛ ولكن القدرة على اختيار الكلمات التي تؤدي بها هذه المعرفة أقوى وأعظم سواء أكانت هذه الكلمات أريد بها الإمتاع أم الإخبار أم الإثارة... "[2] .

---

[1]- هو: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، فارسي الأصل جرجاني الدّار، متكلّم على مذهب الأشعري، فقيه على مذهب الشافعي، ولد بجرجانة، وطلب العلم بها، توفي رحمه الله بجرجان سنة 471هـ ، تاركا ما يخلّد اسمه من مؤلفات تشهد له بسعة علمــه ورجاحة عقله منها: المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرح الإيضاح، العوامل المائة، أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز... انظر: - الكتبي محمد بن شاكر، فوات الوفيات والذّيل عليها، تحقيق:إحسان عباس، (د ذ ط)، بيروت، دار صادر للنشر. 369/2.

[2] - انظر: خليل أحمد، 1968م، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية،(د ذ ط)، مصر، دار النهضة العربية. . ص 09.نقلا عن potter our,own language:2,3

فالمشكلة إذن تكمن في اختيار اللّفظ المناسب للمعنى المناسب، والذي يستطيع أن يكون لفظه لمعناه طبقا، ولتلك الحال وفقا، فذلك هو البليغ[1]. وهاهو العسكري[2] يعرف البلاغة بقوله:"...سُميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمه "[3].

هذا وإنّ تاريخ البلاغة العربية يبين لنا أنها كانت كسائر المواد، حاجة فنية من حاج الحياة الاجتماعية، في عصور العربية التي لم تكن للقوم فيها حياة علمية دارسة، فكان يفي بتلك الحاجة تناول فعلي تحتكم فيه طبيعة الحياة، فتلتزم بأساليب معينة في تعلّمه، فحاجة الأمة إلى القول الجيد نثرا أو شعرا، كانت تخلق فيها الخطباء والشّعراء، وكان الخالف فيهم يأخذ عن سالفه بالملازمة والتّلقي، والمحاكاة والممارسة، كالذي سمعتم من خبر الرواة والشعراء.

هذه هي المدرسة الطبيعية - وإن لم تتخذ النّظم التعليمية- قد سلكت منهجا وأسلوبا يمكن الحكم عليه عند أصحاب التربية بأنه أسلوب ناجح، ملائم لطبيعة الصّنعة الأدبية التي تقوم على الممارسة والمزاولة، أكثر مما تقوم على غيرهما من النّظر الباحث، والدّرس التجريدي، وتعتمد على الفطرة والموهبة قبل اعتمادها على أي شيء آخر، وفي هذه الملازمة والمحاكاة فرص كافية لصقل الموهبة والكشف عنها، وإفساح السّبيل أمامها للظهور والتّفوق[4].

فالبلاغة قديما قامت على الفطرة الرّبانية التي وهبها الله عز وجل للعرب، وبعد مجيء الإسلام وتغير البيئة العربية، كان لابد من ظهور أمور تحفظ الألسنة من الدّخول في اللحن اللغوي.

وقد ظهرت هذه الدّراسات الاصطلاحية بعد القرون الثلاثة الأولى، هذا ما أقره العلماء القدماء أنفسهم، فهاهو ابن تيمية يخبرنا في فصل من كتابه "الإيمان" عن ذلك فيقول:" ... فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجودا في المائة الثانية إلا أن يكون في أواخرها"[5].

فمن خلال قول ابن تيمية يحدد التّاريخ الزمني لظهور الاصطلاحات البلاغية، وهذا مؤشر واضح لظهور الدّراسات البلاغية التعليمية في المجتمع العربي.

ومن ناحية الوجود اللغوي للشّعب العربي الذي عانى من شعوبية قوية، وأحداث سياسية، وحركات اجتماعية، عجلت بقضاء كيانه العنصري،" فإننا نستطيع القول إنه قبل ذلك المصرع اللغوي، أعني نصف القرن الثاني الهجري على الأرجح، وإن كانت العامية قد جعلت تظهر ثم تفشو قبل ذلك العهد، وجعلت العربية تتخذ في الحياة غير الصّدر مكانا، فلا تكون لغة الحياة العاملة؛ إذ تزاحمها تلك العاميات التي جعلت تتميز في المواطن المختلفة، آخذة بحظ من العربية، يتفاوت بتفاوت منازل الأمم وعناصرها وماضيها، فاللغة العربية فيما بعد القرون الثلاثة الأولى الهجرية، التي يشير إليها مؤرخو البلاغة العربية، لم تعد لغة حية كاملة كتلك التي كانت في العهد الجاهلي، أو أوائل ظهور الإسلام"[6].

وبينما" كانت الحياة العربية في هذه الحالة الاجتماعية، جعلت الدّراسة البلاغية تظهر وتنال العناية بها "[7].

وقد ساعدت بيئات مختلفة في خلق بلاغة متأثرة بكل بيئة،كبيئة المتكلمين، بيئة الأصوليين، اللغويين والكتاب، الفلاسفة......يقول أحمد خليل:" فلما تطورت حياة المجتمع الإسلامي، وكانت الخلافة هي الوحدة التي تكسرت عليها وحدته؛ فانقسموا إلى فرق، اختلفت مناهج النظر عندها، فاتخذ كل لنفسه منهجا"[1].

---

[1] - انظر: الجاحظ،،البيان والتبين، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، (د ذ ط)، بيروت ،دار الجيل للنشر. 2/ 07.

[2] - هو: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران، اللغوي، العسكري،كان عالما فقيها أديبا وشاعرا، له مصنفات عديدة منها:الصناعتين، جمهرة الأمثال، ديوان المعاني...توفي سنة 395 هـ . انظر: العسكري، 1409 هـ، 1989م.كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، ط2، (بيروت- لبنان)، دار الكتب العلمية. ص 05.

[3] - العسكري، الصناعتين، ص 15.

[4] - الخولي أمين، 1996م، فن القول، (د ذ ط)، القاهرة، دار الكتب المصرية. ص 113.

[5] - ابن تيمية ،الإيمان،(د ذ ط)، مصر، مطبعة السّعادة.. ص 35.

[6] - الخولي أمين، المرجع نفسه، ص 114 .

[7] - دائرة المعارف الإسلامية، 1419هـ،1998م، ط1/ مركز الشارقة، ج 29، 30 ، 4/ 66.

بالإضافة إلى أن الفتوح الإسلامية وصلت العرب بحضارات الأمم المفتوحة، وفتحت أعينهم على مواريث في الفكر والعلم لم يكونوا يعرفون منها شيئا، ودخل في الإسلام من هذه الكثير، وكل قد ورث أثارا من هذه الثقافات.

ومن كل ذلك ندرك أن عزلة العربية عن الحياة في العصر الذي ظهرت فيه الدّراسة التّعليمية للغة العربية وبلاغتها، "جعلها لغة ميتة أو كالميتة، وهذا ما جعلها تعلّم بالطريقة الملائمة لحالها"[2].

ثانيا- التقعيد في علوم البلاغة:

إنّ الميل إلى التّقعيد في اللغة العربية وعلومها إنما ابتدأ يوم شعر الأوائل بأن اللحن بدأ يدب على ألسنة العرب والمسلمين بسبب الاختلاط بين الأجناس، وتزايد حاجة الدّاخلين في الإسلام إلى تعلّم اللغة العربية وفهم القرآن الكريم، ومن ثم بدأ التّقعيد يتبلور في اتجاه واسع يستغرق علوم العربية ويهدف إلى وضع معايير تحفظ اللسان من الخطأ، وتعين الذّوق في إدراك الأسرار العجيبة لكلام رب العزة، ثم الوقوف على ما في الإبداع البشري من بلاغة وجمال[3].

وقبل أن نتطرق إلى الأسباب والعوامل التي أدت إلى اللجوء للتّقعيد في اللغة العربية وعلومها، يجب أن نعرف معنى التّقعيد ووضع القواعد من خلال هذا التّعريف.

تعريف التّقعيد، والقاعدة:

1- **التّقعيد**[4]:من قعَّدَ يُقعِّد، تقْعيدًا، فهو مُقَعِّد، والمفعول مُقَعَّد. قَعَّدَ القَاعِدَةَ : وَضَعَ لَهَا أُصُولَهَا. قعَّد اللُّغةَ ونحوَها : وضع لها قواعدَ يعمل بموجبها.

2- **القاعدة: لغةً**: [5] القواعد جمع قاعدة، وهي في اللغة: الأساس، فقاعدة كل شيء هي أساسه، ومن ذلك قواعد البيت؛ أي: أسسه.

القاعدة اصطلاحًا: بمعنى الضابط، وهي الأمر الكلّي المنطبق على جميع جزئياته. والقاعدة النّحوية قاعدة كلية؛ كالفاعل مرفوع، والمفعول منصوب...إلخ، والقاعدة الكلية يكون معناها حكمًا كليًا ينطبق على جزئيات كثيرة[6]، أو القاعدة: هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها[7]، والذي يظهر أن القاعدة أكثرية لا كلية.

والقاعدة تعبير عن شيء لاحظه الباحث، وكان عليه أن يصفه بعبارة مختصرة بقدر الإمكان، ويرى السّيوطي أن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتى [8].وهي" وصف لسلوك معين في تركيب اللغة[9]".

ولم يكن قبل ظهور الإسلام عند العرب ما يدعو إلى تقعيد علوم اللغة العربية؛ لأن ألسنة العرب كانت تنطلق من سليقة جبلوا عليها، ولقد " كان الفكر العربي فكرا عربيا خالصا-إلا قليلا-في الجاهلية من حيث طبيعته، ومن حيث لغته؛ أما في الإسلام فنحن نسميه فكرا عربيا على نوع من التّجوز، وهو في الواقع فكر أمم مختلفة اتخذت اللغة العربية أداة لتفكيرها.. [10]".

---

[1] - خليل أحمد ، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية، ص81 .

[2] - الخولي أمين ، فن القول، ص 116.

[3] - يوسف رزقة: القاعدة والذوق الفني في بلاغة السكاكي، ص 186.

[4] - ينظر: -الجوهري، 1990م، الصّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط 4/ بيروت، دار العلم للملايين. 2/ 525.

[5] - ينظر: ابن فارس، 1399هـ/ 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ،(د ذ ط)، بيروت، دار الفكر.ص 108.

[6] -ينظر: -الفيومي، 1987م، المصباح المنير، (د ذ ط)، بيروت، مكتبة لبنان. ص263.

[7] - الجرجاني علي بن محمد بن علي، 1405هـ.التعريفات، ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي. ، ص219.

[8] - ينظر: السّيوطي،1316هـ، الأشباه والنظائر، ،(د ذ ط)، العراق، حيدر أباد للنشر. 1/ 6.

[9] - شرف الدين محمود، 1968م، التقعيد النّحوي بين السّماع والقياس، (د ذ ط)، القاهرة، رسالة دكتوراه بدار العلوم. ص19.

[10] - أمين أحمد، (د ت ن)، ضحى الإسلام، ط10/ بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 2/ 05.

وبالنّسبة لوضع علم اللغة العربية والتّأسيس لقواعده، فقد اختلفت الرّوايات بشأن ذلك فالبداية كانت بوضع علم النّحو؛ والذي دعت الضرورة للتفكير في وضعه بعد انتشار اللحن في البيئة العربية، فالعرب اختلط بشعوب أخرى نقلت ثقافتها إليه، وحاولت الاندماج في وسطه، وتعلّم لغته بحكم دخولهم في الإسلام. يقول محمد طنطاوي:" إذ تأشبوا بالفرس والروم والنبط...فحل بلغتهم ما هال الغُيُرُ عليها، وعلى الدّين حتى هرعوا لوضع النّحو"[1].

ومن مظاهر الاختلاط النّاجم عن الفتح الإسلامي، تأثُّر اللغة العربية الفصيحة، بانتشار الدّخيل من اللفظ فيها، وفي هذا يقول الرافعي:" ولما فُتِحت الأمصار على المسلمين، ودان غير العرب للإسلام، فشت في منطق المتحضّرين ألفاظ كثيرة من الدّخيل، بحكم الاختلاط والمعاملات؛ ولكن عندما أحسّ علماء اللّغة بالخطر المحدق بلغة القرآن، حاولوا جمعها وضبطها، وإهمال لفظ الدّخيل منها "[2].

إذن فجمع اللغة العربية ومحاولة ضبطها، جاء نتيجة الخطر الذي ألمّ بها من دخول الأعاجم. ووضع علم النّحو إنما كان في العراق[3]؛ لأنه على حدود البادية، وملتقى العرب بغيرهم، توطنه الجميع لرخاء الحياة فيه، " فكان أظهر بلد انتشر فيه وباء اللحن الداعي إلى وضع النّحو"[4].

وقد كثرت الرّوايات في وضع علم النّحو، والرّاجح أنها جاءت على أساس من التّفكير في استخراج القواعد؛ لداعي انتشار اللحن في كلام العرب. واختلفت الروايات أيضا في واضعه، فمنهم من يرده إلى علي ابن طالب رضي الله عنه، ومنهم من يرده إلى أبي الأسود الدؤلي[5].

فما قاله الأنباري في شأن ذلك:" اعلم أيدك الله تعالى بالتّوفيق ، وأرشدك إلى سواء الطريق، أن أول من وضع علم العربية وأسّس قواعده، وحدّ حدوده، أمير المؤمنين علي ابن طالب رضي الله عنه، وأخذ عنه أبو الأسود الدّؤلي....وسبب وضع عليّ عليه السلام لهذا العلم ماروى أبو الأسود قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فوجدت في يده رقعة، فقلت ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إني تأملت كلام العرب فوجدته فسد بمخالطة هذه الحمراء- يعني الأعاجم- فأردت أن أضع شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب: الكلام اسم وفعل وحرف؛ فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما أفاد معنى.

وقال لي: انح هذا النّحو، وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر وضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر؛ وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك المبهم.

قال: ثم وضعت بابي العطف والنّعت، ثم بابي التعجب والاستفهام، إلى أن وصلت إلى بابي إن وأخواتها ما خلا لكنّ. فلما عرضتها على عليّ عليه السلام أمرني بضم لكنّ إليها، وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النّحو عرضته عليه، إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال : ما أحسن هذا النّحو الذي قد نحوت! فلذلك سمي النّحو"[6].

هذا بالنّسبة للتّقعيد في النّحو العربي، أما فيما يخص البلاغة؛ فقديما افتقدت إلى تحديد مدلول المصطلح؛ لأن الكثير من كتب القدامى اشتملت على قضايا بلاغية؛ إلا أنها لم تنسب إليها لعدم تحديد المصطلحات البلاغية آنذاك. وأول كتاب وصل إلينا يحمل كلمة "المجاز"كان لأبي عبيدة(ت210هـ)[1] في القرن الثاني الهجري.

---

[1] - طنطاوي محمد، 1995م، نشأة النحو، وتاريخ أشهر النّحاة، ط 2،(القاهرة)، دار المعارف، ص 20.

[2] -. الرافعي مصطفى صادق ، 1394هـ،1974م، تاريخ آداب العرب ، ط4، (بيروت،لبنان)، دار الكتاب العربي، 1 / 204، بتصرف .

[3] - الحموي ياقوت ،(د ت ن)، معجم الأدباء،(د ذ ط)، بيروت- لبنان دار إحياء التراث العربي، 4/ 93، 94.

[4] - طنطاوي محمد: المرجع السابق، ص 21.

[5] - هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بن عبد المطلب، بن عبد مناف، أخباره كثيرة، وفضائله شهيرة... دامت خلافته أربع سنوات وتسعة أشهر، توفي يوم الجمعة السابع عشر من رمضان لسنة الأربعين للهجرة.انظر: الحموي ياقوت ، معجم الأدباء، 14/ 42.

[6] - الأنباري كمال الدين،(د ت ن)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، (د ذ ط)، الأردن، مكتبة المنار، ص 17.

وكان المجاز بمعناه العام، وهو الطّريق إلى فهم الأسلوب البياني، أو اللفظ، أو التركيب، أو وجوه النّحو على طريقة العرب في كلامها، وليس كما حدّده البلاغيون المتأخرون.

وسبب تأليف الكتاب كان من أجل مسألة بلاغية تتصل بالتّشبيه، وكون المشبّه معلوما أو مجهولا في قوله تعالى:﴿ **طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ** ﴿٦٥﴾ (الصّافات:65)، أي كيف يقع الوعد والوعيد بشيء لم تره العرب يوما ؟ أجاب أبا عبيدة أن الله كلّم العرب على قدر كلامهم، فها هو امرؤ القيس يقول[2]:

أيقتلني و المشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فالعرب لم تر الغول يوما، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أُوعدوا به[3].

ومفهوم البلاغة قد تطور مع تطوّر اللغة العربية واختلاف المفاهيم عبر الأزمنة والعصور، ففي العصر الأموي نجد أن معاوية ابن أبي سفيان عندما أُعجب بفصاحة صحّار بن عباس العبدي[4] ،فقال له:" ما هذه البلاغة فيكم؟ فقال: شيئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا. فقال له معاوية:ما تعدُّون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز. قال له معاوية: وما الإيجاز؟ قال صحّار: أن تجيب فلا تبطئ، وأن تقول فلا تخطئ "[5] .

والملاحظات البلاغية قد بدأت في الاتساع مع العصر العباسي الأول، وذلك لعدة أسباب منها؛ "ما يعود إلى تطور النّثر والشّعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية، ومنها ما يعود إلى نشوء طائفتين من المعلمين، عُنيت إحداهما باللغة والشّعر، وعُنيت الأخرى بالخطابة والمناظرة. أمّا ما يعود إلى تطوّر النّثر والشّعر؛ فمردّه إلى أن الكثير من الفرس و الموالي أتقنوا العربية وحذقوها واتخذوها لسانهم في التّعبير عن عقولهم ومشاعرهم، وأظهروا في ذلك براعة منقطعة النّظير. وقد أخذوا هم ومن يرجعون إلى أصول عربية خالصة يشعرون بجامعة العروبة العامّة، ويتنفسون الحضارة العباسية، ويصطبغون بأصباغها الثقافية، وينهضون من خلال ذلك بالنّثر والشّعر جميعا نهضة واسعة "[6].

ومع مرور الوقت تطورت المفاهيم البلاغية، وظهرت المصطلحات الدالة عليها في القرن الثالث للهجرة، وبلغت أوج تطورها على يد الشيخ العلامة عبد القاهر الجرجاني(ت 471ه) في القرن الخامس الهجري.

ولكن النّظرة للبلاغة العربية وطريقة التأليف فيها قد تغيرت في القرن السّادس الهجري على يد العلامة السّكاكي(ت 626ه رحمه الله) [7] ؛ حيث رأى أنه في سبيل تحقيق هدفين كبيرين من التّأليف في علوم الأدب وهما[8]:

- التّحرز من الخطأ في لغة العرب والوقوف على وجه الإعجاز في كلام رب العزة.
- ضرورة إقامة البلاغة على أصول علمية، وقوانين عقلية تضبط مسائلها وتعين الدّارس على تحصيلها وتطبيقها.

والسّكاكي إنما وضع كتابه بعد أن شاهد فساد الألسنة والطباع، وغلبة العجمة في التّعامل اللغوي بين النّاس من ناحية، ومن ناحية أخرى حاجة التراث البلاغي إلى من يخدمه ويجمع متفرقاته، ويمهد قواعده، ويرتب شواهده .

---

[1] - هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى ، العلامة البصري النحوي، ولد سنة 110 هـ، قال فيه الجاحظ :«لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه » .ومن أهم مؤلفاته: كتاب المجاز ،كتاب النقائض بين جرير والفرزدق....توفي بالبصرة سنة 210 هـ . انظر:[الحموي ياقوت ، 19/ 243].

[2] - ديوان امرئ القيس، 1394هـ،1974م، لأبي الحجاج الشنتمري، صححه ابن أبي شنب، (د ذ ط)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر،ص 110.

[3] - انظر: ابن خلكان،(د ت ن)، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د ذ ط)، بيروت، دار صادر للنشر، 5/ 235 .

[4] - هو: صحار بن عياش بن شراحيل بن منقذ العبدي، من بني عبد قيس ، كان من شيعة عثمان رضي الله عنه ،كان خطيبا مفوها ، علامة نسابة ، توفي سنة 40هـ. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين،1/ 96.

[5] - الجاحظ، المصدر نفسه، 1/ 69، 70.

[6] - ضيف شوقي، 1965، البلاغة تطور وتاريخ، ط4 / القاهرة، دار المعارف. ص 19.

[7] - هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي الخوارزمي، ولد سنة 555هـ، وتوفي سنة 626ه بخوارزم. توفي وترك لنا مؤلفا يشهد له بعظمة قيمته الأدبية والفنية، كتاب "مفتاح العلوم". انظر: البغدادي، 1413هـ، 1992م. هدية العارفين في أسماء المؤلفين، وآثار المضيفين من كشف الظنون،(د ذ ط)، بيروت(لبنان)، دار الكتب العلمية للنشر ص 553.

[8] - السّكاكي، 1407هـ، 1987م، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق،نعيم زرزور، ط2/ بيروت(لبنان)، دار الكتب العلمية ، ص 7.

ويبدو أن الحاجة التّعليمية كانت تقتضي تأليفا يجمع بين الاختصار والتقعيد والترتيب، ويجعل همه الأول مدرسيا قبل غيره، لذلك قال:" وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي، صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية"[1].

وقد تحدث الباحثون عن مسؤولية مفتاح العلوم وشروحه وتلخيصاته، في جمود البلاغة العربية وتحجرها وعزوا ذلك لأسباب كثيرة في طبيعة هذه المؤلفات، ومن بينها العناية المبالغ فيها بالقاعدة، يقول شوقي ضيف:" وكان ذلك كله إيذانا بتحجر البلاغة وجمودها جمودا شديدا، إذ ترسبت في قواعد جافة، وغدا من العسير أن تعود إليها حيويتها ونضرتها القديمة "[2].

ويخالفه الرأي الدّكتور يوسف رزقة الذي يرى بأن التّقعيد وسيلة هامة قربت علوم البلاغة للمبتدئين فقال:" لجأ إليه العلماء بغرض تقريب علوم البلاغة إلى المبتدئين، وإعانتهم في تحصيل علومها ولطائفها، بعد أن غاب التّذوق الفني عن كثير منهم؛ بسبب غياب الممارسة وضعف الفطرة، وما تبع ذلك من فساد في الملكات الأدبية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإني أرى في مفتاح العلوم وتلخيصاته وشروحهما ثروة علمية جديرة بقراءة ثانية في ضوء الدّراسات الأسلوبية الحديثة؛ فلربما كشفت هذه القراءة عن قيم بلاغية وتحليلات لغوية ذكية، وتدقيقات جديرة بالاعتبار.

ويقول إن المنهج المعياري الذي سلكه السّكاكي لم يكن بدعا بين النّاس في منهجه ولم تكن البلاغة العربية بدعا في مسلكها على يديه لا في السّاحة العربية ولا في الساحات غير العربية، فقد سبقه لذلك العسكري(ت 395ه) ، وقدامة بن جعفر(ت337ه)[3] في نقد الشّعر، وهما منسوبان إلى المدرسة الأدبية التي تعنى بالذّوق، وليس فكرنا العربي بلجوئه إلى القاعدة والتقسيمات بدعا بين آداب الدّنيا في هذا الصدد فهذا أرسطو يلجأ إلى التّقسيمات في القرن الثالث قبل الميلاد، وهو من يعزى إليه التأثير في آداب العالم أجمع بما قننه للنقد الأدبي.

ثم هل العناية بالّتقعيد والتقسيم مأخذ يعاب عليه الناقد، ما دام الناقد ينظر إلى رفع مستوى الأداء الفني، أو بيان القيمة الفنية العالية وشرحها ليحذو حذوها المتلقي. قد تقيد القاعدة المبدع وتحجم مقدرته، ولكن هذا المستوى الأدنى من الأداء الفني الذي لا ينبغي أن يهبط المستوى دونه، ومن يبدع عملا فنيا يحقق جمالا يتجاوز الحدود والأعراف والتقسيمات يلقى ترحيبا وثناء من المتلقي والناقد على السواء.

ومن ثم فإنا لا ننظر بريب إلى التّقعيد نفسه اتجاها تعليميا، ومنهجا وقائيا يحفظ الذّوق من الزلل والاستخدام من الخطأ، ويمكننا النّظر بعين الشّك لما لحق القواعد البلاغية من قضايا كلامية وأصولية وفلسفية وفقهية، لو حذفت لزداد الدرس البلاغي قربا وحسنا خاصة تلك التي ذكرت بالمناسبة، أو جعلت ميدانا للتفاخر والتباهي"[4].

وفي رأيي أنّ اتجاه السّكاكي التّعليمي أو المدرسي في البلاغة والنّقد يمثل وببساطة مرحلة من مراحل تطور الفكر البلاغي العربي، وقد تميز هذا الاتجاه بالضبط والتقعيد، وربما أهمل الذوق إلى حد ما في سبيل الغاية التعليمية؛ لوضع القوانين وبيان التقسيم في كل شيء لرؤية علمية هو يراها صحيحة تخدم علم البلاغة.

ثالثا- التلخيصات والشروح: اهتم العلمــاء من بعد الإمامين عبد القاهر الجرجاني(ت471ه، 473ه)، والزمخشري (ت583ه) [1]، بالتّلخيص والشّرح، والضّبط والتّقسيم، والتفريع ووضع الحدود....

---

[1] - السّكاكي، المصدر نفسه، ص 7.

[2] - ضيف شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، ص 313.

[3] - هو: عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ،ولد سنة 247 ه، كان أديبا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر،ألف الكثير من الكتب أشهرها:كتاب البديع، أشعار الملوك، الجامع في الغناء، طبقات الشعراء....توفي سنة 296 ه.انظر: ابن كثير، 1420 ه، 1999م. البداية والنهاية توثيق:عبد الرحمان اللادقي،محمد غازي بيضون، ط5/ بيروت(لبنان)، دارالمعرفة للنشر. ،11/ 128. وانظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 76.

[4] - يوسف رزقة ، يناير 1999. القاعدة والذوق الفني في بلاغة السكاكي، العدد الأول، المجلد السّابع. ص 187.

ولكي يتم لهم هذا التلخيص فصلوا هذه القواعد عن آي الذكر الحكيم، وعن الشواهد الأدبية الرائعة، وقد يذكرون لها شواهد يستمدونها من الإمامين عبد القاهر، والزمخشري.

ومعظم التلخيصات شابها الغموض والتعقيد في بعض الأحيان، لذلك كثرت عليها الشروح والحواشي، والتقريرات، حتى أصبحت بلاغتهم في خدمة الكتب البلاغية ، لا في خدمة البلاغة وتطورها.

وبهذا العمل أصبحت البلاغة مجرد قواعــد جافة، لا تربي الأذواق، ولا ترهف الأحـــاسيس، وأصبح همّ الدّارسين حفظ القواعد البلاغية، واستيعابها فقط.

وسأذكر أهمّ الملخّصين والشّراح –باختصار شديد- لما تركه البلاغيون في هذا المجال.

1- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للإمام الرازي (ت 606هـ) [2].

2- مفتاح العلوم، للسكاكي (ت 626هـ).

3-التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، للزملكاني (ت651هـ)[3].

4- التلخيص و"الإيضاح" للخطيب القزويني(ت739هـ) [4].

رابعا: البلاغة الميسّرة:

ترتبط حياة البلاغة بفن القول وضروبه المختلفة من شعر ونثر، وهما القسمان اللذان تندرج تحتهما الكثير من الفنون التي تتخذ من الكلمة أداة لها، لما تحمل من معنى وما تتعرض له من تطور دلالي يرتبط بحياة المجتمعات عبر العصور المتتابعة.

وقد نادى علماؤنا الأقدمون بالبلاغة الميّسرة، والابتعاد كل البعد عن الألفاظ الوعرة الدّالة على التكلّف والتّصنع. فها هو ابن المقفع يقول:" لا خير في كلام لا يدلّ على معناك، ولا يشير إلى مغزاك"[5].

وقال بشر بن المعتمر: والمعنى ليس يشرف بأن يكون من المعاني الخاصّة، وكذلك ليس يتضّع بأن يكون من المعاني العامّة، وإنما مدار الشّرف على الصّواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"[6].

وقال أيضا:" ....ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل من ذلك مقاما...." [7].

والجاحظ قد لخص كل ما قيل بقوله:" ودار اللائمة، ومستقر المذمة، حيث رأيت بلاغة يخالطها تكلّف"[8].

[1] - هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ولقبه جار الله لأنه جاور مكة زمانا، اللغوي والكاتب والشّاعر. ولد في زمخشر من إقليم خوارزم سنة 467هـ، فنسب إليها ،توفي ليلة عرفة بجرجانية للهجرة (ت 538هـ). انظر:ابن خلكان، وفيات الأعيان، 5/ 173.

[2] - هو أبو عبد الله، فخر الدين بن عمر بن الرازي، الخطيب الشافعي، ولد سنة 544هـ، وتوفي بمدينة هراة سنة 606هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 3/ 381 .

[3] هو عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف كمال أبو المكارم، السّماكي الشافعي المعروف بابن خطيب زملكان، زملكا، توفي بدمشق في السادس من محرم سنة إحدى وخمسين، وستمائة من الهجرة، ودفن بمقابر الصوفية رحمه الله. انظر: أبو شامة، 1974م، الذيل على الروضتين، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2/ بيروت،دار الجيل للنشر، ص 187.

[4] - هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزويني الشافعي، ذكيا، فصيحا، خطيبا، ولد 666هـ، وتوفي سنة 739هـ. ومن أهم مؤلفاته "تلخيص المفتاح " للسكاكي، وكتاب "إيضاح التلخيص". انظر: المراغي أحمد مصطفى، 1369هـ، 1950م، تأريخ علوم البلاغة، والتعريف برجالها، ط1/ مصر ،مطبعة البابلي، ص 134.

[5]- الجاحظ، البيان والتبيين، 116/1 .

[6] - المصدر نفسه، 1/ 136، 137.

[7] - المصدر نفسه، 1/ 136، 137.

[8] - المصدر نفسه، 2/ 18 .

فالبلاغة -في نظر البلغاء- ليست أمرا مستقلا عن اللغة، بل هي الأمر الذي يساعد اللغة على أداء وظيفتها التي هي التّعبير أو الإبلاغ، وهي شاملة لعنصري اللغة من المعنى واللفظ.

ونشير إلى أن البلغاء الذين أخذت عنهم البلاغة من كلامهم وعرفت في أساليبهم، قبل أن تعرف في حدود المؤلفين وتعريفات المصنفين، كانوا ينظرون إلى البلاغة على أنها الوسيلة إلى الإعراب عمّا يجيش في النفس بصورة تمنع سوء التّعبير، وسوء الفهم، وتصل بالمعنى إلى القلب.

ولاشك أن ذلك يعني أنهم جعلوها في منزلة مساوية للغة، إن لم تكن هي نفسها، لأنه إذا كانت اللغة هي وسيلة التّفاهم بين الناس، فإن كل ما يؤدي إلى هذه الغاية أو يعين على بلوغها فهو جزء من اللغة متمم لها، وقيمته من قيمتها.

وإنّ ما أحسّه البليغ من شروط فرعاه، وما رآه العربي في الكلام من جمال فأعجب به واستحسنه، أو قبحه فنفر منه، وما وصف به المجيدين من أصحاب البيان، أو ما أخذ عليهم من تقصير أو زلل، كل ذلك كان نواة للعلم الذي تطوّر حتى استقل وعُرف فيما بعد بعلم البلاغة العربية.

وبما أن تطور البلاغة العربية جاء نتيجة عوامل كثيرة منها قضية إعجاز القرآن، وظهور فرق كثيرة أرادت الدّفاع عن إعجازه متخذة من اللغة العربية وسيلة لذلك، وربما أدى ذلك إلى ظهور التكلف والتّصنع وبعض التعقيد في بلاغتنا العربية، بالإضافة إلى عوامل أخرى كالتأثر بثقافات الأمم، والترجمة عنها خصوصا فيما يتعلق بالفلسفة والمنطق اليوناني.....

يقول أمين الخولي:" والقول باشتراك بيئات مختلفة الطّابع، متفاوتة المنهج في دراسة البلاغة العربية، قول قديم، شعر به الأولون أنفسهم، وقضت به اعتبارات اجتماعية، وعلمية"[1].

فهناك عوامل كثيرة ساهمت في تطور المصطلح البلاغي عبر الزمن، وسأتكلم عنها باختصار.

1- بيئة المتكلمين: أجمع مؤرخو علوم البلاغة العربية على أن المتكلّمين أسهموا بقسط وافر متميز في نشأتها وتطورها ونضجها، حتى صار لهم منحاهم الخاص، ومدرستهم المتفردة تعرف بمدرسة المتكلّمين أو بمذهب المتكلمين، وقد أشار العسكري بأنّه لم يؤلف كتابه "الصّناعتين" على طريقة المتكلّمين فقال:" وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلّمين، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشّعراء والكتّاب... "[2]؛ أي إنه قصد انتهاج مذهب الأدباء، وتجنب مذهب المتكلّمين.

ويشير شوقي ضيف إلى جانب مهمّ في البحث البلاغي عند المتكلّمين، وهو أنهم نفذوا"إلى وضع أصولها الأولى بعقولهم الثاقبة "[3].

ولقد ارتبط نشاطهم في وضع قواعد البلاغة بقضايا عقدية وشرعية، يحدوهم في ذلك دفاعهم عن الدّين الإسلامي، وردّ مطاعن الخصوم، فاهتموا بدراسة القرآن وبيان إعجازه.

وسأتحدث عن بعض إسهامات المتكلّمين في وضع قواعد وأصول الدّرس البلاغيّ وتوجيهه فأذكر:

1- بفضل المتكلّمين - وعلى رأسهم طبعا المعتزلة والأشاعرة- لأنّهم هم من اهتم بدراسة القرآن وبيان أسراره البلاغية، والدّفاع عنه ضد الشّعوبيين والطّاعنين- تمّ بلورة وضبط مجموعة كبيرة من المصطلحات والمفاهيم الأساسية في الدّرس البلاغي، تعريفا وتمثيلا، كمفهوم المجاز والاستعارة وغيرهما من الفنون التي وقفوا عندها، وتناولوها تناولا جيدا،" ومن يرجع إلى تاريخ البلاغة، يلاحظ نص القدماء على أنّ المتكلمين هُم الذين وضعوا في القرن الثاني والثالث للهجرة أصول

[1] - الخولي أمين، فن القول، ص 117 .
[2] - العسكري، الصّناعتين، ص09.
[3] - ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ص 05.

البلاغة العربية" [1]، وذلك لما كان لهذه الفئة من وسائل تؤهلهم لمعالجة مثل هذه القضايا، فازدهرت وترعرعت مباحث البلاغة على أيديهم، وقد " تعهدها في أوّل الأمر المعتزلة من أمثال عمرو بن عبيد(ت144 هـ) [2]، وبشر بن المعتمر(ت210 هـ)[3]، وأبي عثمان الجاحظ(ت 255 هـ)[4]،وتعهدها في فترة التّطور والارتقاء، الرّماني والقاضي عبد الجبّار وأمثالهما" [5].

2- من أهمّ الأمور التي أُثِرت عن المتكلّمين، وقد كان لها قيمة كبيرة في تاريخ البلاغة العربية، صحيفة بشر بن المعتمر(ت210 هـ) - من المعتزلة- والتي سأذكر منها مقاطع لأهميّتها الشّديدة حيث قال:«خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إيّاك، فإن قليل تلك السّاعة أكرم جوهرا وأشرف حسبا وأحسن في الأسماع وأحلى في الصّدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب أكل عين غرة من لفظ شريف ومعنى بديع. واعلم أن ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتّكلف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللّسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه.

وإيّاك والتّوعر، فإنّ التّوعر يسلمك إلى التّعقيد، والتّعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما، فإنّ حق المعنى الشّريف اللفظ الشّريف، ومن حقهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجنهما، وعمّا تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارها وترتهن نفسك بملابستها وقضاء حقها.

فبشر في بداية كلامه نصح لكل أديب أو خطيب أو كاتب... أن لا يبدأ عمله إلاّ إذا كان مستعدا لذلك ذهنيا، ثم تكلّم عن كيفية اختيار الألفاظ وملاءمتها للمعاني، والابتعاد كل البعد عن التّوعر في اختيار الألفاظ. فكلّما كان اللفظ مألوفا، معروفا، بعيدا عن التكلّف، كان أكثر بلاغة لإيصال المعنى. بالاضافة إلى ذلك وجوب أن يكون مقال الكلام موافقا لمقامه، فلكل مقام مقال.

فصحيفة بشر تصوّر لنا منهج المعتزلة في تقعيدهم للبلاغة العربية، وفي هذا يقول عبد العزيز عتيق:" وما من شكّ في أن صحيفة بشر بن المعتمر، كان لها أثر ملموس في تاريخ البلاغة، فقد تأثّر بها بعض رجال البلاغة من أمثال الجاحظ وأبي هلال العسكري، وابن رشق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني، واستمدوا منها إشارات وإيحاءات توسّعوا فيها، وعقدوا لها أبوابا وفصولا فيما كتبوه عن البلاغة "[6].

فهذه الصحيفة إذن، إن لم تجعل بشر " أوّل مؤسس لعلم البلاغة العربية، فلا أقلّ من أن تجعله بين الرّعيل الأول من مؤسسيه "[7].

---

[1] - ضيف شوقي، (د ت ن)، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، مصادره، ط5/ القاهرة، دار المعارف. ص 55.

[2] - هو: أبو عثمان عمرو بن عبيد،المتكلم المشهور الزاهد، مولى بني عقيل،ولد سنة80هـ ،كان شيخ المعتزلة في وقته،و قد سئل الحسن البصري عنه فقال للسائل:لقد سألت عن رجل كأن الملائكة أدبته، وكأن الملائكة ربته إن قام بأمر قعد به،وإن قعد بأمر قام به...كان صاحبا للمنصور واعظا له،- ترك كتابا في التفسير عن الحسن البصري ،وآخر في الرد عن القدرية،و رسائل كثيرة وخطب في علم الكلام.توفي سنة144 هـ بمكة. انظر: ابن خلكان،وفيات الأعيان، 3/ 461.

[3] - هو: المتكلم المشهور بشر بن المعتمر الكوفي ويقال البغدادي،ويكنى بأبي سهل من كبار المعتزلة،انتهت إليه رياستهم ببغداد،كان عالما باللغة، له تصانيف عديدة منها متشابه القرآن...توفي سنة 220 هـ .انظر: الداوودي، 1417هـ،1997م،طبقات المفسرين حققه:سليمان بن صالح الخزي، ط1/ المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم. 1/ 117، وانظر: ابن النديم، الفهرست، ص186.

[4] - هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي البصري العالم المشهور المعروف بالجاحظ، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة:كان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيّار البلخي المعروف بالنّظام، المتكلم المشهور. لم يترك موضوعا من مواضيع عصره إلاّ وكتب فيه، توفي رحمه الله في محرم سنة 255 هـ بالبصرة. - انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، 25/11. وانظر: الداوودي، طبقات المفسرين،16/2، وانظر: ابن خلكان،وفيات الأعيان، 3/ 470.

[5] - قصاب وليد، 1985، التّراث النّقدي والبلاغي عند العتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، (د ذ ط)، (الدوحة)، دار الثقافة. ص05.

[6] - الجاحظ، البيان والتبين، 1/ 135،136 .

[7] - عتيق عبد العزيز، (د ت ن)، في تاريخ البلاغة العربية، (د ذ ط)، مصر، دار النهضة العربية. ص25.

3- بفضل المتكلّمين وعلى رأسهم الجاحظ تمّ تأسيس علم البيان العربي، وفي هذا يقول طه حسين:« فالعرب لم يخطئوا حين عدّوا الجاحظ مؤسس البيان العربي؛ لأنّه جمع في هذا الكتاب "البيان والتبيين" طائفة من النّصوص توضح لنا توضيحا حسنا كيف كان العرب يتصورون البيان في القرن الثاني والنّصف الأول من القرن الثالث، وتعطينا صورة مجملة لنشأة البيان العربي"[1].

ويقول شوقي ضيف بالنّسبة لمجهودات الجاحظ البلاغية:"لعلنّا لا نبالغ إذا قلنا إن الجاحظ يُعدّ- غير منازع- مؤسس البلاغة العربية، فقد أفرد لها أول مرة كتابه "البيان والتبيين"،ونثر فيه كثيرا من ملاحظاته وملاحظات معاصريه...وقد مضى ينثر في كتابه"الحيوان" تحليلات لبعض الصّور البيانية في الذكر الحكيم" [2] .

2-الأصوليون: أصحاب الصّناعة القانونية في فهمهم للشرع الإسلامي من القرآن، واستخراج أصول التشريع من عباراته، وحاجتهم في ذلك المسعفة على هذا الفهم والاستخراج، حاجة قوية.

وهم يقدمون بين يدي عملهم في أصول الفقه مقدمة واسعة الرحاب يسمونها المبادئ اللغوية، يلمون فيها بأبحاث لغوية، صرفية، اشتقاقية، نحوية، بيانية، ولايزال أصحاب كل علم من هذه العلوم يمدون الأصوليين فيه مما ينبغي الاتصال به، والوقوف عليه، وفاء بحق الدرس، وتقديرا لنزعتهم العلمية، في تناولهم لهذه المسائل.

ومن الناحية البلاغية نعرف أن هؤلاء الأصوليين قد عرضوا في مبادئهم اللغوية للبحث في الحقيقة والمجاز، والتشبيه والكناية، وما إلى ذلك من أبحاث البيان المعروفة، كما تحدثوا عن أشياء مما يتصل ببحث أجزاء الجملة في علم المعاني، وفي حديثهم عن العموم والخصوص، عرضوا للتنكير والتعريف، واستغراق المفرد واستغراق الجمع، والحصر...

كما تحدثوا عما يمت هذه المباحث اللفظية بصلة قوية من القول بالترادف، والإشتراك، والتواطؤ، بل إن تعرضهم للمسائل ابلاغية من المعاني والبيان، قد انتهى بهم إلى تناول نواح لم يستوفها أصحاب البلاغة أنفسهم، من نحو كلامهم في الجمع بين الحقيقة والمجاز، وعموم المجاز، وأن المجاز أولى من الاشتراك......[3].

وتلك الأبحاث البلاغية في المدرسة الأصولية، هي التي جعلت "السّكاكي" يشير إلى استئثار علم أصول الفقه بأبحاث علمي المعاني والبيان.فيقول:"بل تصفح معظم أبواب أصول الفقه من أي علم هي؟ وم يتولاها"[4].

وقال السبكي:" واعلم أن علمي أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل، فإن الخبر والإنشاء اللذين يتكلم فيهما المعاني هو موضوع غالب الأصول، وإن كل ما يتكلم عليه الأصولي من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم، ومسألة الإخبار والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد والإجمال والتفصيل والتراجيح، كلها ترجع إلى موضوع علم المعاني، وليس في أصول الفقه ما ينفرد به كلام الشارع الحكيم عن غيره إلا الحكم الشرعي والقياس وأشياء يسيرة"[5].

وهؤلاء الأصوليين إنما غايتهم خدمة الجانب العلمي من الاجتهاد في استخراج الأحكام، واستعمال القياس في ذلك، على أساس من التنظيم المنطقي في هذا الاستنباط، والقياس.

كما أنهم قد استعانوا بالفلسفة والمنطق حين تحدثوا عن الحاكم، ومن هو؟.ونظروا إلى القبح والحسن للأشياء والأفعال. فكان هذا الاتصال بالمعاني والأغراض الفلسفية، عملا قويا في سيطرة المنهج العقلي النظري، وتحكم الأسلوب المنطقي في تفكيرهم ودراستهم.

[1] - قدامة بن جعفر ،1351هـ،1948م، نقد النثر، تح:طه حسين- عبد الحميد البغدادي، ط15، القاهرة، دار الكتب المصرية. ص03.

[2] - ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، ص 57، 58.

[3] - الخولي أمين، فن القول، ص 118، 119 . بتصرف.

[4] - السّكاكي، مفتاح العلوم، ص 119.

[5] - السّبكي، 1423هـ، 2003م، عروس الأفراح. في شرح وتلخيص المفتاح،تعليق، عبد الحميد هنداوي، ط1/ صيدا(بيروت)، المكتبة العصرية. 1/ 53.

وكل ما ذكر تأثرت به المباحث البلاغية ومسائلها، إلى جانب ما كان عليه المجتمع ومتطلباته أنذاك، تجعل من متعلّمي البلاغة ومعلميها يأخذون بما لا بد من الأخذ به.

3- قضية الإعجاز القرآني: كان تأثير كتاب الله واضحا في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية، وكانت آياته الشاهد البلاغي الرفيع، ولذلك انتهى كثير من الباحثين القدماء إلى أن ثمرة علم البلاغة " هي فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة، وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها. وهذا هو الإعجاز الذي تقصر الأفهام عن إدراكه"[1].

إنّ قضية الإعجاز القرآني كانت سببا مباشرا في البحث عن النّظم القرآني باعتباره كتابا معجزا متحدّيا لما ألفه العرب من كلامهم، وذلك لما حمله من أساليب بلاغية تفوق خيال العرب ومحاسن كلامهم، " ولعل أوّل ما ظهر من الكلام في القرآن وإعجازه بالنّسبة للمسلمين، كان على يد الجعد بن درهم[2]، الذي صرّح بالإنكار على القرآن وجحد أشياء مما فيه، وأضاف إلى القول بخلقه أن فصاحته غير معجزة، وأنّ الناس يقدرون على مثلها وعلى أحسن منها، ولم يقل بذلك أحد من قبله "[3].

ولو لم يكن غير هذا المثال، لكفى به حافزا لعلماء المسلمين كي يتصدوا لأمثال هؤلاء الغالين، وليقفوهم عند حدودهم حتى لا يتـــجرأ منهم آثم على القرآن ويرمي بفصاحته بأنها غير معجزة[4].

هذا وإنّ الدارس لمصنفات علماء الكلام حول إعجاز القرآن، على اختلاف مذاهب أصحابها، يلاحظ بأنها قد جاءت أشبه بمباحث بلاغية، ذلك لأن مصنفيها قد اتجهوا إلى الدّرس البلاغي احتجاجا لنظمه وإثباتا لإعجازه .

4- قضية اللفظ والمعنى عند المتكلّمين: كانت هذه القضية- قضية اللفظ والمعنى- على رأس القضايا البيانية التي استأثرت اهتمام المتكلّمين، واللغويين، وعلماء أصول الفقه، في فترة من أزهى عصور الثقافة العربية، من القرن الثالث إلى الخامس الهجري، حيث كانت المفاضلة بين اللفظ والمعنى، في العملية البيانية البلاغية مناط الاهتمام آنذاك.

وقد كانت:" للمتكلمين آراء متعددة في هذه القضية، لأن المتكلّم الذي كان مشغولا ببيان وجوه إعجاز القرآن داخل الدائرة البيانية، كان عليه أن يكون على معرفة بالأساليب البلاغية العربية، متذوقا لها، لأن المتكلم البلاغي، قد اعتمد على القرآن كسلطة مرجعية، لكونه يمثل بنظمه وطرق تعبيره، أعلا مراتب البيان العربي "[5].

ومن هنا اتجهت المناقشات البلاغية في الموضوع نفسه اتجاها كلاميا، مما أدى إلى اصطباغ البحث البلاغي العربي بالصّبغة الكلامية، أو ما يسمّيه الباحثون المعاصرون بطغيان التحليل العقلي[6].

وقد أصبحت مسألة ما إذا كان القرآن معجزا بنظمه وتأليفه، أم بمعانيه فقط؟ ، أم بلفظه ومعانيه معا؟. من القضايا الفكرية التي استقطبت اهتمام المفكرين البيانيين، متكلمين كانوا أو غير متكلمين، وبالتالي أصبحت إشكالية اللفظ والمعنى هي الموضوع الرّئيسي في المناقشات التي دارت، وتدور إلى اليوم حول ظاهرة الإعجاز في القرآن الكريم[7].

---

[1] - ابن خلدون، ابن خلدون، 1426هـ،2006م، المقدمة (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ط1/ دار الفكر للطباعة .ص 552.

[2] - هو: الجعد بن درهم، أصله من خراسان، وسكن دمشق ، قيل إنّه أوّل من قال بخلق القرآن، وأظهره بدمشق فتطلبه بنو أمية وقتله خالد بن عبد الله القسري، يوم عيد الأضحى بالكوفة.وقد تأثر بأقواله الجهم بن صفوان. انظر: ابن كثير، المصدر نفسه،4/ 404.

[3] - انظر: الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 141.

[4] - عبد التواب صلاح الدين، 1423هـ، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، (د ذ ط)، (القاهرة،الكويت،الجزائر)، دار الكتاب الحديث. ص 21.

[5] - انظر: الجابري محمد عابد، 1992م، بنية العقل العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)- ط4،(بيروت)، مركز دراسات الوحدة العربية. ص 77.

[6] - انظر: الجابري، المرجع نفسه، ص 77.

[7] - الجابري، المرجع السابق، ص 76.

وبدأ الجدل يزداد حول هذه القضية- اللفظ والمعنى- منذ أن قال الجاحظ مقولته المشهورة:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحّة الطبع، وجودة السّبك..."[1].

وهذه العبارة قد نقلها الكثير من البلاغيين واختلفوا فيها؛ لكن عبد الكريم الخطيب في كتابه " الإعجاز في دراسات السّابقين"، قد أجاب عن السّبب الذي جعل من الجاحظ يقدّم اللفظ على حساب المعنى في هذه المقولة فقال:" إن مقولته- الجاحظ- جاءت كردّ على تلك الحملة القوية من اتجاه التّجديد، الذي كان قائما على تحرير المعنى، واصطياد الأفكار الفلسفية والغوص وراءها، حتى إذا وقعت في مجال الفكر لكاتب أو شاعر، أخرجها في أي ثوب من اللفظ، سواء جرى في ذلك على أوضاع اللغة، وسلك مسالك أربابها، أم تعثر بيانه واضطرب نظمه، إذا كان المعنى هو همّه وغايته، فكانت حملة الجاحظ على المعنى لإنقاذ الصّياغة العربية، لأن معناه ضياع التراث العربي من جهة، ثم طمس معالم الطريق من جهة أخرى.

ولولا هذا التّدبير البارع لما وقف المتّجهون إلى هذه الوجهة الجديدة عند حد، ولذهبوا فيه إلى أبعد مدى، ثم لأصبحت اللغة العربية أثرا بعد عين، ولأخذها الزّمن بما أخذ به كثيرا غيرها من اللغات التي درست وذهبت آثارها ومعالمها "[2].

وفي ختام هذا البحث المتواضع أقول: أن كل ما تم ذكره من عوامل قد ساهمت إلى حد كبير في تطور المصطلح البلاغي عبر الزمن؛ إلا أننا نجد بأن هناك ارتباط وثيق بين عوامل التطور للمصطلح البلاغي، بعوامل دخول التكلف والتصنع، والتعقيد، والتقعيد لعلوم البلاغة بسبب كل ما طرأ على المجتمع العربي من تغير اجتماعي.

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم.

2- الأنباري كمال الدين،(د ت ن)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، (د ذ ط)، الأردن، مكتبة المنار.

3- أمين أحمد، (د ت ن)، ضحى الإسلام، ط10/ بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

4- البغدادي، 1413هـ، 1992م. هدية العارفين في أسماء المؤلفين، وآثار المضيفين من كشف الظنون،(د ذ ط)، بيروت(لبنان)، دار الكتب العلمية للنشر.

5- ابن تيمية، ،(د ت ن)، الإيمان،،(د ذ ط)، مصر.مطبعة السّعادة.

6- الجابري محمد عابد، 1992م، بنية العقل العربي(دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية)- ط4،(بيروت)، مركز دراسات الوحدة العربية.

7- الجاحظ، (د ت ن)، البيان والتبين، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، (د ذ ط)، بيروت ،دار الجيل للنشر.

8- الجاحظ، 1416هـ،1995م، الحيوان،، تحقيق، عبد السلام هارون،(د ذ ط)، بيروت ، دار الجليل للنشر.

9- الجرجاني علي بن محمد بن علي، 1405هـ .التعريفات، ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي.

10-الجوهري، 1990م، الصّحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط 4/ بيروت، دار العلم للملايين.

11- الحموي ياقوت ،(د ت ن)، معجم الأدباء،(د ذ ط)، بيروت- لبنان دار إحياء التراث العربي.

12- الحموي ياقوت، 1397هـ، 1977م، معجم البلدان،(د ذ ط)، (بيروت)، دار صادر.

13- الخطيب عبد الكريم ، 1974م، الإعجاز في دراسات السابقين، ط1/ مصر، دار الفكر العربي.

14- خفاجي محمد عبد المنعم، (د ت ن)، الفكر النقدي والأدبي، (د ذ ط)، مصر، رابطة الأدب الحديث.

15- ابن خلدون، 1426هـ،2006م،المقدمة (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، ط1/ دار الفكر للطباعة .

---

[1] - الجاحظ، 1416هـ،1995م، الحيوان،، تحقيق، عبد السلام هارون،(د ذ ط)، بيروت ، دار الجليل للنشر. 3/ 130، 131.

[2] - الخطيب عبد الكريم ، 1974م، الإعجاز في دراسات السابقين، ط1/ مصر، دار الفكر العربي. ص 227، 228.

16- ابن خلكان،(د ت ن)، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (د ذ ط)، بيروت، دار صادر للنشر.

17- خليل أحمد ، 1968م، المدخل إلى دراسة البلاغة العربية،(د ذ ط)، مصر، دار النهضة العربية.

18- الخولي أمين، 1996م، فن القول، (د ذ ط)، القاهرة، دار الكتب المصرية.

19- الداوودي، 1417هـ، 1997م،طبقات المفسرين حققه:سليمان بن صالح الخزي،ط1/ المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم.

20- دائرة المعارف الإسلامية، 1419هـ،1998م، ط1/ مركز الشارقة، ج 29، 30 حرف (م).

21- ديوان امرئ القيس، 1394هـ،1974م، لأبي الحجاج الشنتمري، صححه ابن أبي شنب، (د ذ ط)، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر.

22- الرافعي مصطفى صادق ، 1394هـ،1974م، تاريخ آداب العرب ، ط4، (بيروت،لبنان)، دار الكتاب العربي .

23- رزقة يوسف ، يناير 1999. القاعدة والذوق الفني في بلاغة السكاكي، العدد الأول، المجلد السّابع.

24- السّبكي، 1423هـ، 2003م، عروس الأفراح، في شرح وتلخيص المفتاح،تعليق، عبد الحميد هنداوي، ط1/ صيدا(بيروت)، المكتبة العصرية.

25- السّكاكي، 1407هـ، 1987م، مفتاح العلوم ، ضبط وتعليق،نعيم زرزور، ط2/ بيروت(لبنان)، دار الكتب العلمية .

26- سلام محمد زغلول، 1961م، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى أخر القرن الرابع الهجري، ط2، (مصر)، دار المعارف.

27- سلطان منير، 1986م.إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، ط3،(الاسكندرية)، منشأة المعارف .

28 - السّيوطي،1316هـ، الأشباه والنظائر، ،(د ذ ط)، العراق، حيدر أباد للنشر.

29 - أبو شامة، 1974م، الذيل على الروضتين، صححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ط2/ بيروت،دار الجيل للنشر.

30- شرف الدّين محمود، 1968م، التقعيد النّحوي بين السّماع والقياس، (د ذ ط)، القاهرة، رسالة دكتوراه بدار العلوم.

31- ضيف شوقي، (د ت ن)، البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، مصادره، ط5/ القاهرة، دار المعارف.

32- ضيف شوقي، 1965، البلاغة تطور وتاريخ، ط4 / القاهرة، دار المعارف.

33- طنطاوي محمد، 1995م، نشأة النحو، وتاريخ أشهر النّحاة، ط 2،(القاهرة)، دار المعارف.

34- عبد التواب صلاح الدين، 1423هـ، 2003م، دراسات نقدية وأدبية حول إعجاز القرآن، (د ذ ط)، (القاهرة،الكويت،الجزائر)، دار الكتاب الحديث.

35- عتيق عبد العزيز، (د ت ن)، في تاريخ البلاغة العربية، (د ذ ط)، مصر، دار النهضة العربية.

36- العسكري أبو هلال، 1409 هـ، 1989م.كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر)، ط2، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية.

37- ابن فارس، 1399هـ/ 1979م، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام هارون، ،(د ذ ط)، بيروت، دار الفكر.

38-الفيومي، 1987م، المصباح المنير،(د ذ ط)، بيروت، مكتبة لبنان.

39- قدامة بن جعفر ،1351هـ،1948م، نقد النثر، تح:طه حسين- عبد الحميد البغدادي، ط15، القاهرة، دار الكتب المصرية.

40- قصاب وليد، 1985، التّراث النّقدي والبلاغي عند المعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، (د ذ ط)، (الدوحة)، دار الثقافة .

41- الكتبي محمد بن شاكر، (د ت ن). فوات الوفيات والذّيل عليها،تحقيق:إحسان عباس، (د ذ ط)، بيروت، دار صادر للنشر.

42- ابن كثير،1420 هـ،1999م، البداية والنهاية توثيق:عبد الرحمان اللادقي،محمد غازي بيضون، ط5 ، بيروت(لبنان)، دارالمعرفة للنشر.

43- المراغي أحمد مصطفى ، 1369هـ، 1950م، تأريخ علوم البلاغة، والتعريف برجالها، ط1/ مصر ،مطبعة البابلي.

44- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،دار الكتاب العربي،(بيروت، لبنان)، ط9/ 1973م.

45- مطلوب أحمد، (د ت ن)، دراسات بلاغية ونقدية، (د ذ ط). الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر.

46- ابن منظور، 1417هـ، 1997م، لسان العرب، (د ذ ط)، بيروت- لبنان، دار صادر للنشر.

47- أبو موسى محمد، 2005، مراجعات في أصول الدّرس البلاغي، ط1،(القاهرة)، مكتبة وهبه.

48- ابن النديم، 1416هـ، 1996م. الفهرست، شرح وتعليق:يوسف علي الطويل، وضع الفهارس: أحمد شمس الدين، ط1، بيروت،(لبنان) ،دار الكتب العلمية.

شعرية التناص في رواية "خرفان المولى" للروائي "ياسمينة خضرا"

أ. سماحي رفيقة
جامعة طاهري محمد بشار

ملخص: يتناول هذا البحث شعرية التناص ويختار رواية من الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية وهي رواية "خرفان المولى" للروائي "ياسمينة خضرا" لا سيما أن هذه الرواية بالذات حافلة بالنصوص الغائبة سواء النصوص الدينية أم التراثية الشعبية أم التاريخية فكل هاته النصوص قام الروائي باستحضارها سواء بوعي منه أم غير وعي، عن طريق الامتصاص والحوار، فأكسب النص الحاضر جمالية وغنى دلالي نتيجة حديث الرواية عن العشرية السوداء كما أن للرواية تلاقت مع أعمال الروائي نفسه وتقاطعت معها.

الكلمات المفتاحية: خرفان المولى؛ الشعرية والتناص؛ التناص الديني؛ التاريخي.

Abstract : This study has focused on poetic intertextuality and it has chosen one of the Algerian novels that is written in french which is entitled « the sheep of the lord » to the novelist Yasmina Khadra. Selecting this novel in this research was not rendomly but was for in a purpose since this nove lis rich in and full of implicating texts either relgious, historic or folklor texts that are not deliberately mentioned. The novelist has presented all these texts either in a conscious or unconscious way through dialogues and obsorptions. This in turn, give the texts aesthetic and rich mening since the novel was talking about the black decimal.

KeyWords : the sheep of the lord; Poetic and intertextuality; religious intertextualitiy; historic.

مدخل إلى مفهوم الشعرية والتناص: لا يعدو مصطلح الشعرية أكثر من مفهوم يضم قوانين لغة الأدب . شعره ونثره . وهو اسم لكل ما يتصل بخلق الأعمال الأدبية وإنشائها التي تتخذ من اللغة جوهرا وأداة لها[1]، أي هو فرع من الدراسة الأدبية يبحث عن قوانين الإبداع الأدبي أو الخصائص المجردة التي تصنع فرادة العمل الأدبي ومن ثم تصنع أدبيته[2]، وأن الهدف من ورائه هو اكتشاف الأنساق والبنيات التي تحدد أدبية النصوص، فهو الذي يجيب عن السؤال الذي يقول: ما الذي يجعل من عمل ما عملا أدبيا؟[3]، وبعبارة أدق ما الذي يجعل الخطاب الأدبي يؤدي وظيفة جمالية تأثيرية إلى جانب وظيفة التوصيل والإبلاغ[4] على أن قيمة العمل الأدبي لا تكمن فيما يقوله أو في معناه، لأن من الممكن أن يؤدى ذلك المعنى بطرائق كثيرة، ولكن تكمن قيمته في طرائق صياغة ذلك المعنى وهي في النص الأدبي طريقة القول أو شكل النص الأدبي، فهو يستمد حياته ومعناه من تأثيره بالناس واستجابتهم له[5] . الذي هو ميدان الشعرية وساحتها . سواء أكان العمل الأدبي شعرا أم نثرا.

تكمن أهمية الشعرية في ثرائها ومرونتها التي أهّلتها لاحتواء ما لا يحصر من المفاهيم اذ انسحبت من فضائها الخاص إلى فضاءات متعددة أخرى كونها الوظيفة الجمالية للغة التي تجعل من الكلام شعراً. وقد ميّز النقاد القدماء بين نوعين من المعاني هما (المعاني العقم) التي يصفها الحاتمي بأنها أبكار مبتدعة، وتوصف بأنها مخترعة لم يسبق قائلها أحد، وأن توليدها عسير على الآخرين[6]، وهي بذلك تنتمي إلى الخطاب أحادي القيمة – والنوع الثاني (المعاني المولدة) أي أن يستخرج

---

[1] جابر عصفور، نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة، مصر، ص: 219.
[2] رومان ياكوبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال المغرب، ط1، 1988: ص: 23
[3] المرجع نفسه، ص: 24.
[4] شعرية الخطاب الأدبي، ص: 72.
[5] أميرة حلمي مطر، مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن، ص: 70
[6] الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكناني، دار الرشيد، بغداد، 1979م : 43/2

مجلة دراسات لجامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر- مجلة دولية محكّمة- ISSN 1112-4652

الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة[1]– ونحن نرى مع باختين أن كل إنسان يعيش داخل مجتمع يكون نصف ما يتلفظ به على الأقل من كلام الآخرين[2]، وهذا ما تفرضه طبيعة علاقة الإنسان بمجتمعه وبالآخرين فلا مناص من تبادل التأثير والتأثر بين هذين الطرفين، وللمبدع خصوصية تميزه عن الإنسان العادي فهو يستقي مادته من فكره ومن مخزونه الثقافي الذي احتوته الذاكرة عبر مراحل زمنية متعاقبة. وإذا كان شومسكي قد قال ببنيتين: سطحية وعميقة، فإن كريستيفا تفضّل مصطلحين مقتبسين من المصطلحات الروسية هما : النص الظاهر والنص المولّد – فهو ما يتولد عن النص الظاهر، وهو خارج الزمانية والشخصية، إنه ليس بنية وإنما بنينة، وليس ملفوظاً وإنما تلفظ، وليس دالاً وإنما جمع الدوال النهائي[3]، وهي تسمي تعدد الدلالات (تدليلاً) والتدليل عندها يختلف عن الدلالة بوصفه عملية تتخلص من خلالها (ذات) النص من (الأنا) إلى منطق آخر يتم فيه تحاور المعنى وتحطيمه، فكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى[4]، وتاريخ شعرنا العربي يبين أن التجديد لا يكون بالتخلي عن العبارات التراثية والصور التقليدية ومالها من ارتباط بمصادرها الثقافية لأنها قديمة، بل يكون في إيجاد الإمكانات الجديدة في الثقافة الشعرية وإعادة صياغة المعطيات القديمة بجسارة واقتدار من غير أن يكون في ذلك عائق في طريق التطور[5]، والتراث يتغلغل في نسغ الحياة ليمدها بالقوة العاملة على النهوض النهوض والتجديد والمواجهة والتصدي في آن معاً، أما جوانب هذا التراث ومصادره فهي متعددة ومتشعبة، فهناك المعطيات الشعبية والشعائرية، وهناك المعطيات الأسطورية والتاريخية، وهناك المعطيات الدينية بما فيها من مذاهب وأفكار وطرائق سلوكية، ثم هناك المعارف العامة والخبرات التي تنسب إلى زمن مضى دون غيره[6]، ويتميز تراثنا العربي بثروته بثروته ووفرة الجوانب المضيئة فيه، ولعل هذا هو السبب في شيوع التناصات التراثية لدى الشعراء فضلاً عن تقنعهم بقناع الشخصيات التراثية البارزة والفاعلة عبر الحقب الزمنية الماضية. ويلح مرتاض على ان أشكال التناص معظمها غير مرئي ولا مباشر وهذا راجع الى مفهومه للتناص الذي لا يتجاوز التناص بطريقة المكونات غير الواعية والتي يصعب تحديدها في دقة وتثبت، فالتناص عنده تضمين بغير تنصيص[7]، إلا أن هناك قسماً من التناص يكون فيه المبدع واعياً لما يستحضر من نصوص وما يصوغ من معطيات ثقافية وما يذكر من أعلام. وهذا القسم وإن خفي أحياناً لسبب او لآخر فإنه لدى التدقيق ينبئك بأنه جزء من نص غائب أو معطى من قصة او حكاية او إشارة الى قضية او إيقاع شعري لقصيدة لها حضورها لدى الجمهور أو غير ذلك من أشكال الإظهار المقصودة. والتناص نوعان: داخلي وخارجي، فالتناص الداخلي هو حوار يتجلى في توالد النص وتناسله، وتناقش فيه الكلمات المفاتيح أو المحاور والجمل والمنطلقات والأهداف والحوارات المباشرة وغير المباشرة. أما التناص الخارجي فهو حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والوظائف والمستويات بحيث يبدو النص حواراً بين النص وكاتبه وما يحمله الكاتب من خبرات سابقة، وبين النص ومتلقيه وما يملكه المتلقي من ثقافات سابقة[8].

تقديم الرواية: نشرت رواية خرفان المولى لياسمينة خضرا عام 1998 ويبلغ عدد صفحاتها 214 صفحة هذا عن الرواية الأصل، وقد ترجمت الرواية بمختلف اللغات إلا أن ترجمتها باللغة العربية لم تصلنا إلا عام 2009 من قِبَل المترجم محمد

---

[1]القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 1972م : 263/1

[2]ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، الرباط 1987م، ص: 94

[3]محمد عزام، النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي –، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2001م : 22

[4]المرجع نفسه : 23-25

[5]أحمد محمد قدور العربية الفصحى المعاصرة،، الدار العربية للكتاب، تونس 1991م : 403

[6]أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 2001م : 113

[7]عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد (201) لسنة 1988م : 56-58

[8]النص الغائب : 30-36

ساري وبلغ عدد صفحات الرواية المترجمة 264 صفحة، وهي من الحجم المتوسط، وكان حديث رواية "خرفان المولى" عن العشرية السوداء في فترة التسعينيات، بنيت أرضية الرواية بوقائعها وأحداثها وشخوصها فعززت موقع مؤلفها وكاتبها – ياسمينة خضرا - في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية خاصة والتي لا يزال جرح الإرهاب فيها ملتهبا. ولعلّ سبب اختيارنا لهذه الرواية وفرة التناص واستحضار الروائي للنصوص الغائبة من الثقافة الدينية والتاريخية والأدبية.

شعرية التناص في رواية خرفان المولى: تنفتح الرواية على خطابات متعددة ونصوص كثيرة ترتادها وتؤمّها فتتداخل فيها وتتمازج معها مشكّلة بناء جديدا مستحدثا ولا ريب أن الكتابة الروائية الحديثة في حاجة من حيث المنطق الذي بنيت عليه إلى هذه التفاعلات والتداخلات النصية. فالنص لا يتأتى له أن يؤسس كيانه إن لم يكن متعلّقا بخطابات مغايرة وبأنماط متنوعة من الكتابة كالتاريخية والدينية والأسطورية والصوفية والتراثية. فلا يتحقق نحت الكيان في عالم الرواية إلا بالخروج عن واحدية الخطاب ونمط الكتابة المنفردة إلى جمالية التعدد والتنوع ولذة الامتزاج والتداخل في لحظة إبداعية جمالية قادرة على صهر هذا المتعدد في وحدة الرواية. وهذه النصوص متفارقة متباعدة في مستوى الزمن واللغة، ومن شأن هذه المسافات أن تنهض بوظيفة الإغراء بالنسبة إلى القارئ فتدفعه إلى أن يملأ فجواتها وأن لا يذر بينها الفروجات فينخرط بفاعلية وإيجابية في إعادة إنتاج النص الروائي. ونقف في رواية "خرفان المولى" على حدود تداخل النصوص واختلاجها وتنوع مصادرها واحتوائها على عدة عناصر ومرجعيات من شأنها أن تؤسس الدلالة وتعقد علاقات نصية وسياقية تؤمّن الوحدة المعنوية للرواية. فقد استأنست في صياغة معماريتها بأنماط متعددة من المقتبسات النصية والتضمينات المرجعية التي تمازجت مع النص الأصلي وتراشحت فنهضت بوظيفة خلق التنوع والمغايرة داخل الخطاب الروائي. وقد توزعت تلك الأنماط بين نصوص دينية وأخرى أدبية وتاريخية وأسطورية واستحضار لشخصيات تراثية وتحيين لفعلها داخل الرواية.

شعرية التناص الديني: يحتوي هذا الخطاب ويستلهم جملة من النصوص الغائبة المستوحاة من الحقل الديني المحيل على القرآن الكريم، ويشكّل استدعاؤها حيّزا واسعا في الخطاب الروائي مما يقيم الدليل على أن القرآن دفق لا متناه ومصدر ثرّ من مصادر البلاغة مليء بالدلالات مبطّن بالرمز والإيحاء، والتصريح والتلميح، علاوة على قوة المقروئية وعمق التأثير وسرعة النفاذ الذي تعكسه النصوص الدينية في وجدان القارئ وذاكرته، فالكاتب وهو يستقي الآيات القرآنية في نسيج خطابه الروائي، لا يقصد إلى استحضار آية كاملة من آي القرآن، بل يقتطع منها جزءا ثم يصهرها في نسيج خطابه الروائي محافظا على تلك النصوص في صيغتها الأصلية.

إن استحضار تلك النصوص يشي بأن وعي الأديب قد صاحبه أثناء عملية التناص كقوله على لسان إحدى شخصياته :" هو داكن أبدا، لم تتصور أن بإمكانه إظهار عناد وإصرار بهذه الشراسة على شفا حفرة من الانتحار"[1]استدعى الآية الكريمة في قوله عز وجل ﴿عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾[2]؛ حافظ الناص على حرف الجر "من" وغيّر في اسم المجرور "من النار" إلى الانتحار"، وقد زاد هذا التحوير للآية الكريمة من عمق الدلالة وإكساب النص مسحة دينية تتماشى وقصدية المؤلف، كما يستنصص بعض الآيات استنصاصا ذكيا وذلك عند حديثه عن قوم لوط قائلا :"وبدت لي مدينة قوم لوط هينة أمام مدينة الجزائر"[3]، وكأن الروائي عقد مقارنة بين المدينة التي كان يسكنها سيدنا لوط وقومه ألا وهي مدينة سدوم وبين الجزائر العاصمة ولكن. أين يكمن التشابه ؟؟ وأين تتجلى المفارقة؟؟ تميزت تلك المدينة -مدينة قوم لوط- بفجورها وعصيانها لما جاء به سيدنا لوط واقترافها أعمالا تهاجم بها الدين...في حين أن مدينة الجزائر بدت قوية لأن مثيلتها بدت هينة أمامها ؛ وقد استشف الروائي المقطع السردي من الآية الكريمة ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيكَ فَاسْرِ

[1] ياسمينة خضرا، رواية خرفان المولى، ت: محمد ساري، دار سيديا، الجزائر 2009 ص:45.
[2] سورة آل عمران الآية (103).
[3] الرواية ص:82.

بِأَهْلِكَ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمُ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَكُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُم الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ مَنْضُودٍ﴾[1]

ومن التناصات كذلك قول الروائي على لسان شخصية داكتيلو موجها كلامه لزان القزم "-لا ندخل بيوت الناس دون استئذان."[2] ؛ تداخل المناص والرواية دلاليا من خلال استنصاص الروائي للآية الكريمة في قوله عز وجل ﴿ يَأَيُّهَا الذِينَ آمَنُوْا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكِم حَتَّى تَسْتَانِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوذَنَ لَكُم﴾[3]، استعمل الناص صيغة الجمع "نحن" والغرض منها الدلالة على المفرد "زان القزم" بدل صيغة جمع المخاطب "أنتم" والذي خص الله عز وجل بخطابه جماعة المسلمين، إضافة إلى ذلك يستدعي المؤلف نصا قرآنيا آخر في قوله-في شأن رحال- "كان قاب قوسين أو أدنى من التصفية."[4] تعالق المناص والرواية دلاليا عبر استنصاصه للآية الكريمة في قوله عز وجل: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾[5] نلاحظ أن المؤلف قد اقتبس النص القرآني – الذي بينته الآية الكريمة – مضيفا إلى تركيبه السردي الجار والمجرور (من التصفية) وهذا يؤكد على تأثر الكاتب بالثقافة الدينية تأثرا بالغا ويظهر ذلك عن طريق التوظيف المتقن لها، وحسن صياغة هذه الثقافة والتعامل معها واستثمارها في العمل الروائي عبر الاقتباس والتضمين أو مجرد الإشارة والتلميح -أحيانا – ولذا يبدو أن العمل السردي لرواية خرفان المولى كان مشبعا بتلك اللمحات والإشارات الدينية من خلال ما بينته الآيات القرآنية المشهورة والكثيرة التداول على الألسنة مما حملها دلالة أساسها الشيوع والذيوع وخصها بدلالة مميزة من خلال توظيف المؤلف لها بطريقة ذكية تنمُّ عن ثقافته الدينية الواسعة.

كما عمد إلى توظيف الأحاديث النبوية الشريفة، وهي أحاديث تفيض دلالة وإيحاء توظيفا فنيا في سياقه الروائي، ففي حديثه عن الأماكن الدينية ذكر المسجد يقول على لسان إحدى الشخصيات: "لم يجد مكانا يقيء فيه خمره أفضل من باب المسجد"[6]، اتخذ أهل قرية غاشيمات وخاصة السكارى منهم عتبة المسجد لا للولوج لتأدية الصلوات بل لتفريغ نجسهم-الخمرة- وتطاولهم على بيوت الله بذلك، وقد ورد ذكر المسجد في مواضع كثيرة من الأحاديث النبوية الشريفة منها "عن كعب بن مالك كان النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ"[7]، وعليه فإن المفارقة التي أحدثها ياسمينة خضرا عبر مقطعه السردي قد أحدثت إرباكا وتشويشا لفكر القارئ.

يتبين جليا عبر ذلك المقطع السردي مدى التنافر التام الموجود بين هذين المناصين (قيء الخمر، باب المسجد) ما جعل المناص يصطبغ بأسلوبي التهكم والسخرية، ويكشف عن الحالة الفكرية والنفسية لبعض الشخصيات، ومن الأمكنة الدينية التي حفلت بها الرواية أيضا جبل عرفة، وغار حراء فجاء المناص الذي ذكر فيه المكانين على لسان "الحاج بودالي" إثر عصيان ابنه لأوامره :"وقد لمح أن حجته المقبلة ستكون بلا عودة، وأنه سيترك نفسه يموت في جبل عرفة أو في غار حراء."[8] وظّف النّاص هذين المكانين كرمز، له مكانة خاصة في التفكير الديني وهما من بين الأمكنة التي تحيل القارئ إلى أحداث عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأبرار، سواءً في جبل عرفة إثر تأديتهم لفريضة الحج أو العمرة، وعن فضل هذا المكان يقول الرسول الكريم :"نحرت ههنا. ومنى كلها منحر. فانحروا في رحالكم. ووقفت ههنا. وعرفة كلها

---

[1] سورة هود الآيتين (81-82).

[2] سورة هود الآيتين (81-82).

[3] سورة النور الآية (27-28).

[4] الرواية ص: 226

[5] سورة النجم الآية (09)

[6] الرواية ص: 38.

[7] البخاري: صحيح البخاري، ت: أبو عبد الرحمان عادل بن سعد دار الرشيد، باب الوادي،الجزائر1 2008 ص:106

[8] الرواية ص: 77.

موقف. ووقفت ههنا. وجمع كلها موقف"[1] أوفي غار حراء الذي كان شاهدا على نزول الوحي بأحداثه ومواقفه التي لاقاها الرسول الكريم.

كل الأماكن المذكورة سالفا توحي إلى التعبد، الهجرة.. وجميعها توحي بالتفكير الديني لدى المؤلف، لم يكتف المؤلف بذكر الأمكنة الدينية المقدسة فقط بل أفعم نصه السردي ببعض الأدعية والأذكار التي كان يدعو بها الرسول الكريم مثل قول إحدى الشخصيات "-أستغفر الله..."[2]؛ حيث تعالق هذا المناص والنص الروائي بنيويا باستعمال علامتي الترقيم (العارضة، وثلاثة نقاط)، أما دلاليا فإن هذا المناص جاء لطلب المغفرة من الله عز وجل، والتوبة والإنابة إليه، فجاءت أحاديث كثيرة في شأن الاستغفار منها قول رسولنا الكريم:"وَاللهِ إِنّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيه فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَةً "[3]، وقوله أيضا في حديث قدسي "عن أنس رضي الله عنه قال :"سمعت رسول الله يقول "قال تعالى:" يَابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عنَانَ السَّمَاء ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ"[4]، ومن التناصات المستنطقة للأحاديث الشريفة قول الشيخ عباس لقادة هلال :"-لا أحد معصوم من الخطأ."[5] ؛ يتعالق المناص مع الحديث النبوي الشريف في قول الرسول الكريم:"كُلُّ ابْنَ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَابُونَ" وقوله أيضا" إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأُ وَالنِسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوْا عَلَيهِ"[6] ؛ يبدو أن استحضار الروائي لهذين الحديثين قد ولدا إعجابا لدى المؤلف بالرسالة الإسلامية السمحة، فكل إنسان إلا ومعرض للخطأ، ومن المقاطع السردية أيضا التي وظف المؤلف فيها الحديث النبوي الشريف توظيفا تناصيا بطريقة اجترارية قوله على لسان عباس عيش "كل ماعدا ذلك بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار."[7] ؛ استحضر المؤلف شعرية مناصه من الحديث الشريف في قول الرسول الكريم "عَلَيكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةَ الخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي..وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الأُمُور فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَة وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ"[8]، وقد أفاد الحديث أن اتباع السنة واجب، هذا التوظيف جاء ليبرر موقف إحدى الشخصيات-الشيخ عباس-من انتفاضها للواقع ورفضها لبناء ضريح للميت "سيدي الصعيم " الذي كا ن عميدا للقرية.

يمكن القول إن حضور النص الحديثي في العمل السردي حرّك خيال المتلقي نحو الثقافة الدينية كما استطاع في الوقت عينه أن يطبع النص بطابعي الاستمرارية والانفتاح، فـ"رواية خرفان المولى" استطاعت أن تستحضر النصوص القرآنية وتستنصص الأحاديث النبوية الشريفة ما زاد من تقوية الحجة وتعزيز هذا النص الروائي وقد يبدو هذا لاعتماد المؤلف الذكي على النص المقدس ما زاد من نضج التجربة الفنية للنص الحاضر وأكسبه ديمومة وعمقا عمق تأثر الشاعر بالنص الديني الغائب.

شعرية التناص التاريخي:

من أنماط التفاعل النصي في الرواية استلهام الكاتب لبعض النصوص التاريخية ومن بين مخلفات الاستعمار وآثاره اكتشاف أهل القرية لشخصية داكتيلو، تلك الشخصية الثقافية التي تمثل مرجعا تاريخيا لأمة ما ويذكر المؤلف في مقطع سردي آخر على لسان أحد الشيوخ: "قلت لكم بأنهم سيعودون، لديغول حقد عنيد"[9]؛ استدعى الناص شخصية

---

[1] مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم دار الرشيد باب الواد الجزائر ب ط، ب ت ص:583.

[2] البخاري: صحيح البخاري ج 3 ص: 190

[3] البخاري: صحيح البخاري ج 3 ص: 190

[4] يحي النووي، الأربعون النووية، دار ابن الأثير المملكة العربية السعودية الرياض ط1 2005 ص:40.

[5] الرواية ص: 109.

[6] النووي، الأربعون النووية، ص:38.

[7] الرواية ص:66.

[8] محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ج 9 ص:29

[9] الرواية ص:60.

شارل ديغول ذلك" الرجل السياسي والجنرال الفرنسي الذي عرف بنشاطاته في المجال العسكري"[1]، وعليه فإن المقطع السردي هاهنا يستدعي استرجاع الذاكرة التاريخية والعام الذي زار فيه "الجنرال ديغول الجزائر 1958 وتوليه الحكم[2] يضيف الروائي قائلا :" فمنذ أكتوبر 88 الذي عرف انتفاضة الشعب ضد غيلان النظام خرج الإخوان المسلمون من السرية."[3] استدعى الروائي بعض التواريخ الحاسمة التي شهدتها الجزائر كسنة 1988 والتي اندلعت فيها تظاهرات شعبية عنيفة في كل أحياء الجزائر كباب الوادي وباش جراح وباب الزوار وغيرها.."[4] اشتعلت النيران في مقرات حزب جبهة التحرير الوطني ومست كل المؤسسات التابعة للسلطة الجزائرية، واستمرت هذه الانتفاضة الشعبية العارمة – التي شهدها التاريخ- بالتوسع حتى شملت كل المدن الجزائرية."ووقعت اشتباكات عنيفة بين المواطنين وقوات الجيش راح ضحيتها مئات المواطنين"[5].

نستشف- من خلال المقاطع السالفة-أن المؤلف عقد مقارنة بين سنوات ما قبل الاستقلال وسنوات ما بعد الاستقلال، بين السنوات الماضية كسنتي 1963 و1988 وبين السنوات التي قبلهما كسنة 1958 وسنوات الاستعمار، إذ أن السنوات الأخيرة جعلت الشعب الجزائري شعبا واحدا متآزرا مشكلا يدا واحدة في حين إن ذلك تلاشى بعد الاستقلال وخاصة في التسعينيات بظهور المحسوبية والاستغلال.، ما أدى إلى التشظي والتشرذم وهذا ما دل عليه قول الروائي :"إن التقاليد القبلية التي كانت تسيّر القرية والتي تمنح للبكر حقا فوق الآخرين وتضع طاعة الوالدين واحترام المسنين فوق جميع الحقوق تزعزع كل يوم أكثر من قبل المتمردين الشبان"[6]إذ تداخل هذا المناص والرواية بنائيا باستعمال علامات الترقيم (الفاصلة، النقطة) أما دلاليا فقد اكتسى ذاك المناص دلالات سبق ذكرها (التشظي، تزعزع فكر السلف...) وغيرها من الأفكار التي حركتها يد الملتحين الشباب آنذاك، ومن المناصات التاريخية قول الناص :"احتفلت غاشيمات بالنجاح مدة سبعة أيام وسبع ليال"[7] تداخل هذا المناص بنيويا مع الرواية عبر علامة الترقيم (الفاصلة)، أما دلاليا فإن للعدد سبعة حضور قوي على مستوى الذاكرة التاريخية حيث يعد مرجعا للمثقف العربي إذ يمثل بعض الهزائم والنكسات والسقوط في التاريخ العربي الإسلامي حينا، كما يمثل الأفراح والمسرات أحيانا أخرى، ومن بين أفراح التاريخ التي ارتبطت بهذا العدد، أفراح بني هلال التي دارت سبعة أيام، لما أراد الوزير "مزيد" الزواج بابنة عمه "هند" فزفها له الأمير حسن :"وفي الحال ذبحوا النوق والأغنام ودارت الأفراح سبعة أيام..."[8] ، وعليه فإن الرقم **سبعة** رقم مقدس لدى البشرية عموما ولدى المثقف العربي على وجه الخصوص، قام المؤلف بتعرية الواقع الجزائري من الداخل فكشف على لسان شخصياته عن تزوير الانتخابات وذلك في قوله :" حصدت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أغلبية الأصوات[9]، وقول تاج عصمان :" لقد فزنا بأغلبية لقد فزنا بأغلبية المقاعد في المجلس الشعبي الوطني. ولكن السلطة ركّبت قضية الاعتداء على ثكنة قمار كي تشوّه صورتنا لدى الرأي العام"[10]؛ يتعالق المناص الأخير بنيويا مع الرواية باستعمال علامات الترقيم (النقطة، الفاصلة)، أما دلاليا فمن خلال الأحداث المدماة التي شهدها تاريخ الجزائر المجيد...فالجبهة الإسلامية للإنقاذ "فازت في معظم المقاعد

---

[1] إملين نسيب، التاريخ القديم والحديث ج02 دار الجيل، بيروت ب ط، ب ت ص: 28.

[2] عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962) ،دار المعرفة، الجزائر ج1 2006 ص: 415.

[3] الرواية ص:67

[4] يحي أبو زكرياء، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر (1978-1993) ،مؤسسة المعارف ط1 1993 بيروت لبنان ص:54

[5] المرجع السابق ص، ن

[6] الرواية ص:67.

[7] الرواية ص:113

[8] ليلى قريش، تغريبة بني هلال وزارة الثقافة، الجزائر 2007 ص:41.

[9] الرواية ص: 144.

[10] الرواية ص:145.

البلدية والولائية. أثناء الانتخابات البلدية التي جرت في 12 جوان 1990، كما حصدت 188 مقعدا في الانتخابات التشريعية الملغاة في 26 كانون الأول 1991[1].

وظف الروائي بعض المصطلحات السياسية كالديمقراطية مثلا التي بقيت لها آثار لا تمّحي في ذاكرة الشعب والتاريخ مما استدعى لنا مباشرة الواقع المرير الذي شهدته الجزائر في فترة العشرية السوداء وهذا ما يؤكده قوله :"ضحكوا على الشعب المسكين. فرقوه وقالوا للبعض: "هؤلاء طغاة". وقالوا للبعض الثاني: "هؤلاء إرهابيون". وانسحبوا ليتركوهم يتقاتلون."[2]، يتداخل هذا المناص والرواية من الناحية البنائية عبر علامات الترقيم (نقطة، نقطتان ومزدوجتان) أما من الناحية الدلالية فإن هذا المناص يكشف على شريحة بشرية صوّرها الناص وأفصح عنها بشكل صريح تلك شريحة الإرهاب الطغاة آكلوا لحوم البشر، وغيرها من العبارات التي تتقزز منها النفس البشرية، وقد برزت قدرة الكاتب في توظيف الخطاب التاريخي توظيفا فنيا متناغما مع نسيجه الروائي، يقول الكاتب متحدّثا في موضع آخر موضحا موقفه من الإرهابيين على لسان إحدى شخصياته: " إسلاميو آخر الزمان.لا أخلاق لهم، إنهم قطيع ذئاب[3]؛ وقد جعل هذا الطابع الوصفي الممزوج بالإخبار الذي تتسم به هذه النصوص، الرواية ملتحمة بالواقعية والتاريخية. ووظف المورث التاريخي والذاكرة العربية الإسلامية حيث تعالق المناص والنص الروائي بنيويا عبر علامات الترقيم (العارضة، النقطة، المزدوجتان) أما دلاليا فيحيل هذا المناص إلى العشرية السوداء التي شهدتها الجزائر تحت شعارات ورايات ليست سوى كلمات حق يراد بها باطل، يمكن القول مما سبق إن الكاتب في روايته قد استحضر التاريخ من خلال تلك الأحداث المعروضة، وبالتاريخ يبدو أنه استطاع قياس مجريات أحداث الجزائر واستنصاصها بشكل فني في عمله الإبداعي.

شعرية التناص السياسي: يعدّ ياسمينة خضرا من أبرز رواد الرواية البوليسية العربية المكتوبة باللغة الفرنسية حيث يصور لنا بعض المشاهد سواء تلك التي تعلقت بالاستعمار الفرنسي قبل الاستقلال أو التي ما زالت مستمرة بعده، يقول الروائي في مقطع سردي :" لقد تعاون عيسى مع الإدارة الفرنسية أثناء الحرب."[4] ثم يستأنف قائلا :" كان حينها العربي الوحيد الذي يتردد على قاعة مطعم العساكر الفرنسيين."[5] من خلال هذين المقطعين نلفي استنطاق الروائي للفترة الاستعمارية واستحضاره للسياسة التي انتهجتها فرنسا عند مكوثها في الجزائر، وكيف كانت تستميل فئة الضعفاء وتجذبهم لخدمة مصالحها.لم يكتف الروائي بهذا فحسب بل قام بتعرية الواقع الجزائري في فترة التسعينيات بتوظيفه للشعرية، كاشفا عن تمرد فئة من الشعب على السلطة - في تلك الفترة - ومن بين المناصات الدالة على ذلك: "إن الجزائر العاصمة تشتعل نارا وتنزف دما"[6]، خصّ هذا المناص دلاليا عاصمة الجزائر، حيث وصف أحوالها، كاشفا عن الحرب التي خاضها الشعب ضد السلطة من حرق وتخريب للمحلات والبنايات الإدارية، مما انجر عنه مئات القتلى وهذا ما يؤكده قول الروائي :"-الدزاير في حرب. مئات القتلى. الشعب ينتفض ضد السلطة"[7]، حيث أفاد هذا المقطع السردي وبرّر المناص السابق وقام بخرق البنية اللغوية والدلالية من خلال ملفوظ (الدزاير) كما استطاع أن يأسر- بطريقة ذكية- المتلقي ويجذبه لتتبع أحداث النص الروائي.

---

[1] يحي أبو زكرياء ،الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر ص:55

[2] الرواية ص: 169

[3] الرواية ص:187

[4] الرواية ص: 21.

[5] الرواية ص، ن.

[6] الرواية ص: 60.

[7] الرواية ص، ن.

ونجد في الرواية إشارات لبعض الأحزاب السياسية كحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ كقول الروائي : "نجحت الجبهة الإسلامية للإنقاذ في انتخابات البلدية نجاحا ساحقا"[1] يستحضر الناص مرحلة الانتخابات السياسية التي نجح فيها حزب الفيس (FIS)، أورد الناص في متنه الروائي بعض المصطلحات السياسية كالديمقراطية قائلا على لسان زان القزم:"إننا في بلد ديمقراطي، وأتمتع بحقوقي الكاملة كمواطن"[2]؛ إن مصطلح الديمقراطية هنا يستدعي المساواة والعدل والحرية في النظام السياسي، وما حضور هذا المناص إلا ليوصل لنا الروائي الشرخ الذي يشكو منه المجتمع الجزائري فهو يناشد العدل والأمان وهذا ما أكده قول الروائي على لسان شخصية إسماعيل عيش :"الله سبحانه وتعالى هو الذي ألهم الجبهة، لقد أشفق على هذه الأمة التائهة التي يهدد جمع من الحثالة بمحوها من الخريطة بخيانة الثقة والتعسف في استخدام السلطة والمحاباة والرشوة الحقيرة."[3]؛ تداخل هذا المناص دلاليا مع الخطاب الروائي عبر التنافر الذي مثله الحزب الذي يدعو إلى الرشوة والظلم ويدعي بذلك تطبيقه للدين ليخدم أهدافه ومراميه التي مؤداها تقتيل البشرية بجميع أصنافها (الأطفال، النساء، الشباب، الشيوخ...)، يضيف الروائي متحسرا: "كنا نملك أجمل بلد في العالم، فحولوه إلى زريبة خنازير" [4]، فعبر هذا المناص يبدو أسلوب الناص الهادئ الذي يبين زيف السلطة، إن فحوى هذا المناص يؤكد على حقيقة الإرهاب وأعمالهم الشنيعة، حيث نزع الناص الستار عن فترة التسعينيات كاشفا عن كل الملابسات، وعن قضية التقتيل في تلك الفترة التي لم تفرق بين مثقف وأمي رجل وإمرأة بين شيخ وطفل "إنهم يقتلون الأطفال والرّضع، لقد قتلوا الله بداخلهم إن الحافز الوحيد الذي يحركهم هو الدم الذي يجري في عروقنا"[5].

هكذا كان التناص السياسي حاضرا بواقعيته المباشرة ليكشف لنا عن أجواء العشرية السوداء وعن الظروف العصيبة التي عاشتها الجزائر فهي لم تمس فئة معينة من الشعب بل مست الشعب ككل وقد حاول الكاتب من خلال بعض المقاطع السردية أن يعيش الجو السياسي مع القارئ ويكشف الستار عن الطغيان والتسلط والعبث بأرواح أناس أبرياء، هذا ما جسدته بعض المشاهد المأساوية مثل "إمرأتان مذبوحتان تتمددان حول قدر مقلوب. بداخل كوخ، يتعفن جسد رضيع مبقور في مهده المكسر"[6]؛ عبر هذا المناص تظهر شعرية الروائي فهو مشهد يقزز النفس ويثيرها حيث دل دلالة واضحة على ما قامت به الرواية ككل من وظيفة سياسية عبّرت بصدق عن العشرية الأخيرة، ومن المقاطع السردية أيضا "تتناثر جثث خمسة رجال وسط قطيع ماعز ضامرة مقتولة.إنها عارية وتحمل الأجساد آثار تعذيب."[7]؛ تعالق المناص والرواية بنائيا عبر علامة الترقيم (النقطة)، أما دلاليا فمن خلال المشهد المفزع الذي تتحسر عليه النفس البشرية، ويقول الروائي أيضا: "انطلق صوت رصاص متبوعا بطلقات رشاش، تلاها صراخ إنسان"[8]؛ إلا أن الظلم لا يدوم فسرعان ما يتحول السحر على الساحر، وهذا ما بينته بعض المقاطع السردية التالية:"كان إرهابي يتمدد مشرّع الذراعين، رث الثياب، لحيته تمتد إلى غاية أسفل البطن والجمجمة مهشمة بوابل من الرصاص"[9]، يتعالق المناص والنص الروائي دلاليا عبر تلك الكلمات التي أفصحت عن جرم الإرهاب إرهابي (يقتل، يخرّب يفسد..)، وكأن الروائي في هذا المقطع يعلن جهارا عن استسلام المعتدي وهوانه، ولذا شرع يصور لنا سقوطهم الواحد تلو الآخر، يقول "أما الآخر "كان يزحف على البطن

---

[1] الرواية ص:113.
[2] الرواية ص: 118.
[3] الرواية ص: 151.
[4] الرواية ص، ن
[5] الرواية ص: 230.
[6] الرواية ص:228
[7] الرواية ص، ن
[8] الرواية ص: 230.
[9] الرواية ص: 229.

ويتشبث بالصخور وجذور الأشجار. وضع رحال قدمه على رقبة الهارب وأوقف حركته."[1] ، يتضح عبر المقاطع السردية أن الروائي كشف عن حال المجتمع الجزائري بعد الاستقلال، مما جعل النص الروائي يكتسي مسحة تراجيدية، أكسبته رونقا وجمالا فنيا يتماشى وقصدية المؤلف.

نستشف مما سلف، هيمنة صوت الكاتب على تلك المشاهد، ليكشف للقارئ بشكل مباشر عن الواقع السياسي المرير الذي عاشته الجزائر في فترة من الفترات، وهذا ما أعطى لتلك المناصات شحنات دلالية وجمالا فنيا أبدعه المؤلف، من خلال هذه التداخلات النصية السياسية يظهر لنا جليا كيف استطاع المؤلف أن يعبّر عن الواقع الجزائري في فترة ما، بكل تشعباته وتناقضاته، ما تبين للقارئ معرفة أحداث الجزائر أو استرجاع الأزمة الماضية التي عبرت عنها فترة التعددية السياسية والحزبية هذه الأزمة القائمة على مشروعية السلطة مما أدى إلى اكتساب النص مسحة درامية تفوق ذلك إلى الملحمة.

شعرية التناص الشعبي: كان التراث الشعبي وما يزال مصدرا يستمد منه الروائي أدواته الفنية والإجرائية إذ هو منبع استلهامه سواء على مستوى اللغة أم على مستوى الخيال ولحضور النص الشعبي في العمل السردي أثر بليغ في عملية الاتصال والتواصل بين الكاتب والقارئ، فهو تعبير عن واقع الشعب وهمومه ومشاكله وكذا أفكاره، ومن ثمة كانت له جمالية خاصة تتميز بالغنى والثراء والتراث الشعبي لا يقصد به تلك الحكايات العامية الموروثة أو إننا نقصد به مجموعة الأمثال الشعبية المحلية العتيقة التي تتردد داخل مجتمع ما في إقليم ما في عصر زمان ما، ومن هنا فالحديث عن النمط الشعبي يوجه القارئ وبسرعة إلى هذا العالم المحلي الضيق ومعطياته الفنية المتعددة بينما الحديث عن النمط الشعبي العربي إنما يقصد أصلا إلى العالم العربي الرحب الواسع"[2]، ومن ثم فإن النص الشعبي لا يقصد به تلك الحكايات المتواترة التي تتناقلها الأجيال في أواسط المجتمعات فحسب، إنما هو فسيفساء من العطاءات القولية والفكرية والفنية والمجتمعية التي ورثتها الشعوب، وهذا ما حققته رواية "خرفان المولى" التي جاءت محمّلة بتراث غير مادي من خلال الأمثال الشعبية والحكم والعادات والطقوس والأغاني.

جاءت الرواية زاخرة بمناصات أكسبتها جوا شعبيا ينم عن ثقافة ياسمينة خضرا الواسعة في هذا المجال، وذلك من خلال اعتماده التراث وسيلة لتبليغ مبتغاه، وهذا ما أكدته المقاطع السردية التالية: "لقد كلف عيسى عصمان بنحر سبعة كباش بقرانها الملتوية كما جند أمهر طباخات المنطقة كي ترسخ عودة ابنه في أذهان الناس إلى الأبد."[3] ؛ وبذا فإن المناص تعالق والنص الروائي بنيويا عبر علامة الترقيم (النقطة) أما دلاليا فمن خلال تكليف رمضان عيش لعيسى عصمان بذبح سبعة كباش عند خروج ابنه "الشيخ عباس" من السجن ؛ حيث عبّر هذا المشهد عن فرح الأب "رمضان" وسروره لعودة ابنه، وليكون شاهدا زمنيا مرسوخا على مستوى الذاكرة الشعبية لأهل القرية.

نستحضر من خلال العدد سبعة المعلقات السبع وعدد أيام الأسبوع والقراءات السبع التي أنزلت، والسماوات السبع في القرآن الكريم، وسبعة أراضين وسبعة بحور... ويحمل العدد سبعة في النص شحنات دلالية ثرية، فهو يقترب من القداسة ومن الخرافة أيضا، وعبر هذه المفارقة العجيبة تتضح دلالته، استدعى الروائي بعض الألفاظ الشعبية المتعارف عليها كما ورد في الرواية :"يا سي عيسى، إن هذه الأعمال ليست لك"[4]، دلاليا عبر الملفوظ الشعبي "سي" الذي يقال لتقدير شخص ما، وهو اختصار مقتضب للفظ "سيدي"، وأورد الروائي انقلاب أحوال بعض شخصياته مثل "شخصية عيسى العار– الذي اتصف به لتعاونه مع فرنسا- كيف تحول إلى "سي" وعبر هذه المفارقة والتساؤلات والحمولات الدلالية التي شحنت

---

[1] الرواية ص: 230

[2] فاروق خورشيد، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق ط1(1411-1991) بيروت لبنان ص:07.

[3] الرواية ص:29.

[4] الرواية ص: 97

من قبل اللفظتين والاضطرابات التي استفزت القارئ، تبدو شعرية التناص لياسمينة خضرا الذي استطاع التلاعب بشخصياته وتطويعها تماشيا وسيرورة الأحداث، ومن العادات الاجتماعية أيضا التي تختص بالمناسبات دعوة الأقارب والأحباب لحضور الحفل - كحفل زفاف مثلا - الذي يكون مرفقا بالموسيقى والطبول، وهذا ما وضحه الناص بقوله: "هاجت الدرابيك الفخارية بمجرد جلوس صاحبات الجوق الموسيقي، فتعالى معها صراخ الأطفال."[1]؛ استدعى هذا الملفوظ الثقافة الشعبية وكشف عن عادة اجتماعية ورثها الخلف عن السلف وهي دق الطبول والأغاني والموسيقى معبرين عن فرحهم.. حيث انتقى الناص ذلك المشهد وصوره بكل واقعية، ويبين الناص في موضع آخر بعض العادات الاجتماعية التي تكشف عن تفكير فئة اجتماعية جاهلة لأمور الدين. تقول "والدة قادة هلال" الظانة بأن ابنها مسحور" إنها كتبت لك تميمة غدا في الصباح الباكر سأذهب عند الطالب ليزيح عنك هذا السحر[2]، ولم يكتف المؤلف بذكره لعادات المجتمع ووصفه لبعض الأحداث فحسب، بل قام بوصف بعض الشخصيات كشخصية الشيخ عباس حينما قال :"كان يتربع في عمق القاعة جالسا على الوسائد كشيخ زاوية، البصر بعيد، والسبحة في اليد"[3]؛ إن هذا الوصف العميق للشيخ عباس يحيلنا مباشرة إلى شيوخ الزاوية التي تقوم باستحضارهم الذاكرة الشعبية، وهذا ما وضحه لنا هذا التركيب (السبحة في اليد) وكذا جلوس عباس على الوسائد، ليرتفع عن الجميع ويحظى باحترامهم.

ومن الطقوس والعادات الشعبية التي وظفها المؤلف في عمله السردي قوله :"تعلمت النساء التفل على نهودهن لإبعاد التعاويذ"[4] وقد استوحى المؤلف هذه العادات من الذاكرة الشعبية حيث كانت تفعلها الجدات فورثتها البنات...وذلك قد يكون لطرد التعاويذ كما قد يكون نتيجة للخوف من المصائب وطردها، وقد جاء المؤلف بهذا المناص ليكشف عن الحمولة الاجتماعية والنفسية لأولئك النسوة ومن تقتفي أثرهن، كما استعمل المؤلف أيضا بعض الأمثال الشعبية مثل :" ما في القلب يطفو على اللسان"[5]، يقال هذا المثل للشخص الذي يقول كل ما في قلبه حتى كأني بقلبه لا يوجد في صدره بل بمحاذاة من لسانه، لجأ الناص إلى الطقوس الشعبية المعبرة عن عمق المجتمعات مثل التميمة التي أدارتها غالية -خالة علال- سبع مرات فوق رأسها قبل أن تدسها تحت الفراش لطرد التعاويذ ودفع الشر"أخرجت من حجرها تميمة، أدارتها سبع مرات فوق رأسها قبل أن تدسها تحت الفراش"[6].

ومن الأمثال الشعبية في الرواية قول الروائي :"من لا تبن في بطنه ،لا يخاف من النار."[7] ، استنطق الناص المثل الشعبي الذي تعالق مع نص الرواية بنيويا باستعمال علامتي الترقيم (الفاصلة والنقطة) أما دلاليا فمن خلال مماثلته للنص الشعبي (لِي مَا فِي كَرْشَهْ تْبَنْ مَا يْخَافْ مِنَ النَّارْ) وهذا المثل يقال لمن لا يخاف من الأمور المضرّة ما دام أنه لم يفعلها، إضافة إلى ما سبق، لا نعدم أن نصادف تعابيرا وأقوالا مستمدة من النمط الشعبي من حين لآخر محوّرة حسب الصيغة التي أرادها المؤلف مثل :"طر من هنا، دبر رأسك، لا تلعبها عليّ، إن أولاد الكلب لا يترددون أمام أي بشاعة[8]؛ نلاحظ توظيف توظيف اللغة العامية وبعض الطقوس المعبرة عن عادات وتقاليد مجتمع معين وهذا ما كان يصبو إليه المؤلف ليفاجئ المتلقي ويأسره لتتبع سيرورة الأحداث، يمكن القول علاوة على ما سلف إن التراث الشعبي حقل واسع وهو مجال خصب

---

[1]الرواية ص: 100

[2]الرواية ص:45.

[3]الرواية ص:31.

[4]الرواية ص:65.

[5]الرواية ص:87.

[6]الرواية ص:99.

[7]الرواية ص: 160

[8]الرواية ص:(253-257-262).

للذاكرة الشعبية بحفظ تجاربها ومواقفها في تفسير الأحداث لأنها الأقرب والأكثر رسوخا في الذاكرة الجماعية لكونها نتاجا للتجارب البشرية ولهذا فإن الروائي ياسمينة خضرا اتكأ في روايته تلك – كما رأينا سالفا- على هذا الزخم الشعبي ليثري فضاء نصه الروائي وهذه وسيلة فنية مفضلة في التعبير عن المواقف والأحداث وبعد، فإن التناص الشعبي أعطى للرواية بعدا حقيقيا وواقعيا مفعما بعطاءات ومواقف تراثية معبرا عن المجتمع بحذافيره ما زاد من تأصيل العمل السردي وبث نبض الحياة فيه.

المصادر والمراجع العربية:

1. أحمد محمد قدور، العربية الفصحى المعاصرة، الدار العربية للكتاب، تونس 1991م.
2. أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، 2001م.
3. البخاري، صحيح البخاري، ت: أبو عبد الرحمان عادل بن سعد دار الرشيد، باب الوادي،الجزائرج1 2008.
4. الحاتمي محمد بن الحسن، حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكناني، دار الرشيد، بغداد، 1979م.
5. خورشيد فاروق، عالم الأدب الشعبي العجيب، دار الشروق ط1(1411-1991) بيروت لبنان.
6. أبو زكرياء يحي، الحركة الإسلامية المسلحة في الجزائر (1978-1993) ،مؤسسة المعارف ط1 1993 بيروت لبنان.
7. الصابوني محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني، مكة المكرمة، ج 9.
8. عزام محمد، النص الغائب – تجليات التناص في الشعر العربي –، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، 2001م.
9. عصفور جابر، نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة، مصر، د،ط، د،ت.
10. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى 1962)، دار المعرفة، الجزائر ج1 2006.
11. قريش ليلى، تغريبة بني هلال، وزارة الثقافة، الجزائر 2007.
12. القيرواني ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 1972م.
13. مسلم بن الحجاج النيسابوري , صحيح مسلم دار الرشيد باب الواد الجزائر ب ط، ب ت.
14. مطر أميرة حلمي، مدخل إلى علم الجمال وفلسفة الفن، دار التنوير القاهرة، مصر، ط1، 2013.
15. إملين نسيب، التاريخ القديم والحديث ج02 دار الجيل، بيروت ب ط، ب ت.
16. النووي يحي، الأربعون النووية، دار ابن الأثير المملكة العربية السعودية الرياض ط1 2005.

المراجع المترجمة:

1. باختين ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، الرباط 1987م.
2. ياكوبسون رومان، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنوز، دار توبقال المغرب، ط1، 1988.
3. ياسمينة خضرا، رواية خرفان المولى، تر: محمد ساري، دار سيديا، الجزائر 2009.

المجلات العلمية:

1. عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد (201) السنة 1988م.

الثورة التحريرية من منظور نقاد الشعر في الجزائر

أ. بوساحة سهيلة
جامعة محمد البشير الإبراهيمي-برج بوعريريج-

ملخص:خاض نقاد الشعر في الجزائر غمار التجربة النقدية للشعر الثوري الجزائري بما يحمله من أبعاد ايديولوجية، وفي فترة تاريخية حرجة وظروف ثقافية وسياسية واجتماعية صعبة، وقد كانت الثورة الجزائرية من أهم القضايا الفكرية التي بلورت الرؤية النقدية عند نقادنا، فحاولت في هذه المقاربة أن أقف على قضية الثورة عند نقاد الشعر في الجزائر باعتبارها أهم قضية عاشها الأدب الجزائري الحديث من جهة، ولأنّ ما كتب عنها يطغى عليه الجانب التاريخي الجاف من جهة أخرى.
الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية –نقد الشعر الجزائري –الايديولوجيا –الالتزام.

Abstract:
The critics of poetry in Algeria experienced the critical experience of Algerian revolutionary poetry, with its ideological dimensions and in a critical historical period and difficult cultural, political and social conditions. The Algerian revolution was one of the most important intellectual issues that crystallized the critical vision of our critics.So in this approach, I tried to tackle the revolution in poetry critics in Algeria as the most important issue experienced by modern Algerian literature on the one hand, and because what was written about them dominated by the dry historical side on the other hand.
Keywords: Algerian Revolution - Algerian Poetry Critique - Ideology - Commitment..

مقدمة: يقف المتصفح لنقود الشعر الثوري في الجزائر على مدى وعي نقادنا لفلسفة الثورة ومختلف التطورات والتغيرات التي مسّت نظرية الشعر، الأمر الذي ينبغي معه معالجة الثورة كقضية فكرية ايديولوجية عاشتها المجتمعات المضطهدة ثم معاينتها كقضية ابداعية في الشعر الجزائري الحديث. ما قدّمه نقادنا من منجز نقدي قد أسهم بشكل كبير في تطور الشعر الجزائري وإثراء الثقافة الجزائرية، ورغم إمكانياتهم المحدودة وخصوصية خطاب الشعر الثوري الجزائري يمكن استخلاص سوسيولوجيا الثورة الجزائرية، من خلال تتبع مختلف اتجاهات نقد الشعر الثوري في الجزائر و تحليل مدى تأثر النقد الجزائري بتقاليد نظرية الشعر في الفكر الغربي، بالتركيز على الآليات والمقولات النقدية المستثمرة من قبل نقاد الشعر في معاينة قضية العلاقة بين الشعر والثورة التي ترجمها الشاعر إلى واقع ثقافي وسياسي، ومعاينة الثورة كايديولوجيا وكقضية في الشعر الجزائري الحديث باعتباره المجال الذي أتاح لها الظهور من خلال التزام الشاعر بقضية التعبير عنها.

1- **الثورة كايديولوجيا**: ربط نقاد الشعر في الجزائر مفهوم الثورة بالمجال السياسي وقصروا استخدام مصطلح ثورة للتعبير عن تحرك عنيف يقوم به شعب ما ضد سلطة حاكمة لا تمثل ذلك الشعب ولا تلبي رغباته، وذلك قصد الاطاحة بها وبنظامها واستبدالها بسلطة جديدة ونظام جديد[1] في حين يؤكد علماء الاجتماع حتمية تتبع مفهوم الثورة انطلاقا من المستوى الاجتماعي على اعتبار أنّه المستهدف لاحداث تغيير جذري، فإن تحقّق التغيير الاجتماعي نقف على ما يصطلح عليه ثورة لأنّ المجتمع الذي يخضع لقانون التغيير يعدّل معالمه من جذورها[2] ويغيّر مختلف أنظمته الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية، لكن تركيز الثورة عادة يبدأ بالنظام السياسي ولا يستثنى أي نوع من أنواع الأنظمة السياسية؛ ذلك أنّ أنماط الحكم كلها معرضة للثورة[3] سواء كانت أنماط ديمقراطية أو أرستوقراطية أو سنّها الدستور، فالمستهدف من الثورة هو المستوى الاجتماعي، لكنّها ارتبطت بالمستوى السياسي الذي إذا أُجّل إلى مرحلة تالية ولم يكن أول مرحلة يؤدي

---

[1]أنظر: يحي الشيخ صالح 1987. شعر الثورة عند مفدي زكريا–دراسة فنية تحليلية- ط1. قسنطينة الجزائر. دار البعث للطباعة والنشر. ص:55.
[2]أنظر: مالك بن نبي(دس). ميلاد مجتمع. ج1. شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة عبد الصبور شاهين. إصدار ندوة مالك بن نبي. ص:7.
[3]أنظر: عزمي بشارة 2012. في الثورة والقابلية للثورة. ط1. بيروت. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. ص:7.

إلى تفاقم وضع الثورة، وبالتالي يُقدِم الثوار على نسف الأنظمة السياسية القارة[1] لتحقيق التغيّر الجذري للمجتمع، فالميدان السياسي وكل أنواعه معرضة لخطر الثورة حتى التي أختيرت عن طريق الاستفتاء والاختيار؛ فلم يتلاءم نصيب الحكام أو الشعب من الحكم مع تصورهم المسبق عنه[2] فتكون الثورة على النظام السائد، إما تغيّره بنظام آخر وتبقي على الهيئة الحاكمة أو تكون الثورة على الحاكم وإسقاط نظامه وحكمه والثورة، أية ثورة، لا تنتهي بمجرد إطاحة نخبة سياسية حاكمة من موقع السلطة، وهي حين تتوقف عند هذه الحدود لا تكون ثورة ولا تستوفي شروط الثورة، أو ينطبق عليها معناها العميق والحقيق[3] بل تحتاج إلى ثورات أخرى موازية لها تسعى للإطاحة والتغيير والتخلص من نظام الحكم الغير متطابق مع التصور المسبق الذي كوّنه الشعب عن النظام السائد، وبهذا تتولد ثورة داخل ثورة ولا يكفي أن تسقط نخبة سياسية حاكمة بوسائل الانتفاض والضغط الشعبي وتحل محلها نخبة جديدة حتى يصدق على عملية التغيير هذه صفة الثورة، لأنّ مفهوم الثورة في وضعه الاعتباري النظري يعني التغيير الجذري للنظام الاجتماعي الاقتصادي وليس للنظام السياسي، وبالتالي فالثورة ليست هدم نظام سياسي قائم بل هدم نظام اجتماعي، وبناء نظام جديد[4] إذ تستهدف التغيير على أصعدة مختلفة تتجاوز المستوى السياسي إلى المستويين الاقتصادي والاجتماعي ويكون النظام الاجتماعي هو المستهدف، لكن عادة ما تستهدفه الثورة وتبدأ في التخطيط لإزاحته هو النظام السياسي، ويؤكد نقاد الشعر الثوري في الجزائر أنّ الثورة التحريرية تعمّقت المجتمع الجزائري في كل أبعاده الحياتية، ولم تكن مقتصرة على الجانب السياسي وحده[5] لكن ما حدث من اقصار الثورة على الجانب السياسي سببه غياب الفهم الحضاري السليم الذي قصُر نقادنا ومفكرونا على استيعابه أو مورس في شأنه الغياب، مما أدى إلى تفريق الأفكار وتناثرها حول مفهوم الثورة[6] التي لا تعني التغيير السياسي، لكن زعماء الثورة يضطروا، ومن أجل تحقيق التحوّل الجذري، إلى وضع مركز ثقل نشاطهم الثوري في الصراع السياسي، للاستيلاء على السلطة[7] ومعنى أن يتوجه جهد الشعوب لاستبدال سلطة مكان سلطة وصلت إلى مرحلة تأزم حقيقي لا يمكن لها الاستمرار أكثر من هذا، ظنا من مسؤولي الثورة أنّ الاطاحة بالنظام السياسي يؤدي لا محالة لإحداث تغيرات اجتماعية تسير إلى طريق التقدم والازدهار الاجتماعي والاقتصادي؛ إلاّ أنّ التمييز بين مستويات البنية الاجتماعية على صعيد دينامية التحول فيها، وبيان ما بينها من تفاوت في التطور، لا يعني أنّ الثورة فعل مضمون النتائج وفوريتها، على الصعيدين السياسي والاقتصادي كما قد يظنّ؛ ذلك أنّ نجاح ثورة ما في تغيير الأوضاع السياسية القائمة وعلاقات السلطة قد يأخذ من الثورة ومن قواها مدى زمني طويل قبل أن تستتب لها الأمور، وتنتهي تماما بنى النظام السياسي القديم. وفي الأثناء قد تنجح في بلوغ أهدافها كاملة، وقد لا تنجح[8] لذا فالثورة السياسية تتطلب لنجاحها وحدة جميع عناصر الأمة وترابطها وتساندها ونكرانها لذاتها في سبيل الوطن كله[9] لكن الحكومات والهيئات التي ثار الشعب ضدها من خلال قيامه بحركات انقلابية تمردية كانت ترى أن ما يقوم به هؤلاء أمور تخريبية تهدف إلى الاخلال بالاستقرار والنظام العام، وبعضها كرّس نفسه بشكل واع لاشاعة الفوضى، وبعضها أكثر خطورة من بعضها الآخر، لأنّ مهمتها كانت تتركز في

---

[1] أنظر: ايريك هوبزباوم2007. عصر الثورة: أوربا 1789-1848. ترجمة فايز الصُيّاغ. ط1. بيروت لبنان المنظمة العربية للترجمة،. ص:188.

[2] أنظر: عزمي بشارة. في الثورة والقابلية للثورة. ص:7.

[3] عبد الاله بلقزيز2012. ثورات وخيبات في التغيير الذي لم يكتمل. ط1. بيروت، منتدى المعارف. ص:130.

[4] أنظر: المرجع نفسه، ص:20.

[5] أنظر: محمد ناصر1983. الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975. بيروت-لبنان دار الغرب الإسلامي. ص:155.

[6] عمر بوقرورة 2004. دراسات في الشعر الجزائري المعاصر–الشعر وسياق المتغير الحضاري- عين مليلة ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. ص:75.

[7] أنظر: ليون تروتسكي1979. الثورة والحياة اليومية. ترجمة هـ. عبّودي. ط1. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر. ص:8.

[8] أنظر: عبد الاله بلقزيز 2012. ثورات وخيبات في التغيير. ص: 128.

[9] أنظر: جمال عبد الناصر1996. فلسفة الثورة. الناشر بيت العرب للتوثيق العصري. ص:33.

إلهاب مشاعر الجماهير المعدمة الجاهلة[1] كونها الطبقات الأكثر تضررا في المجتمع والأكثر عددا وبإمكانها ايصال الثورة إلى مبتغاها، فالطبقة الوسطى هي القوة الدافعة وراء الثورة وأنّها تعبّر بصوت عال عن سخطها بسبب قيود اقتصادية معينة[2] وهي الطبقة العاملة التي أثبتت أنّها على الدوام عامل الثورة التاريخي، بحكم موقعها المركزي في سير عملية الانتاج، بأهميتها العادية، بعبء الاستغلال الذي تتحمله[3] والجهات التي تتولى التهيئة والتعبئة للثورة لا يهمها سقوط النظام أو تزعزعه بقدر ما يهمها تثوير وتنوير الطبقات المعدمة في المجتمع والتي تَمثّل أغلبية المجتمع ومطالبتها بالحرية والاستقلال، فالثورات في الواقع تقوم لدوافع كثيرة منها شدة الضغط، ولكن الدافع إلى الحرية هو الذي يحرّك الشعوب على مر التاريخ[4] فعلى صانعي الثورات توجيه الشعوب إلى ضرورة الحصول على الاستقلال الذي يتحقق بالثورة والمطالبة بالتغيير التام والفوري والشامل، وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه ثقافة الثورة التي تعني الثقافة التي تعيش ثورة في داخلها، كثقافة تتغيّر بها قيّمها التقليدية المتأخرة: ثقافة النقد والابداع والتفكير العقلاني والاجتهاد والنجاعة العلمية وتعني المجتمع الذي يعيش ثورة في داخله تعيد إنتاج القيم الايجابية في منظومته[5] فالمجتمع الثائر يسعى إلى تجاوز العبارات الثورية التي يردّدها الشعب في مظاهراته ويتخذها كشعارات تكون مبرّرات كاشفة للقيام بالثورة، يجتاز مرحلة الإبتداء ويهيء نفسه لبداية جديدة تدخل ضمن البناءات والتحديثات التي ينشدها المجتمع؛ الأمر الذي لا يتأتى له إلاّ إذا كان واعيا ويملك ثقافة ثورية بناءة ومخالفة لقيم المجتمع القديم، وهذا ما تحتاجه مختلف الحركات الثورية للقيام بالثورة، لأنّ في كل مجتمع توجد طبقات وبينها يدور صراع طبقي، وينتج عن ذلك قيام الثورات البرجوازية[6] والصراع والتمرد يبشّر بأنّه سينفتح الأفق الطبيعي والذهني الذي يتاح فيه تكوّن مجال للحرية جديد، وبه يمسي الفرد متحررا أيضا مما يصيب الحريات في صميم نظام قائم على الاستغلال، وهذا التحرر- وهو الشرط السابق لبناء مجتمع حر- إنّما يتضمن انقطاعا تاريخيا عن الماضي والحاضر[7] يتخلص فيه المجتمع من مخلفات المرحلة السابقة للثورة التي تتطلب الهدم وإعادة البناء بأسس جديدة.

● **الثورة كقضية في النقد الجزائري**: تتجه الدراسات النقدية الجزائرية إلى الايديولوجيا المعبّر عنها في الشعر الثوري محاولة الوقوف على القضايا العامة من خلال المضامين ذات الطابع الجماعي، ويعود هذا الموقف من نقاد الجزائر إلى اعتقادهم أنّ هذه النظرة قد تتناقض مع الشعر الثوري وتتنافى مع الروح الوطنية[8] فالناقد الجزائري الحديث تحكمت فيه الشروط التاريخية وزمن التلقي؛ ففي تلك الفترة الزمنية كانت للثورة أبعاد مغايرة تماما للأبعاد التي يمتلكها الناقد الحالي عنها وعن مختلف الايديولوجيات، وقد استدرك نقاد الشعر في الجزائر الأمر وحاولوا النظر إلى الشعر الثوري الجزائري بمنظار مغاير عن نقاد جيل الثورة وانطلقوا من خطاب الشعر بدل المضمون، نظرا لأنّ التوجه النقدي للجانب الشكلي في الإبداع يسهّل الوقوف على المعنى الدلالي للنص والنتائج المتوصل إليها من خلال تحليل المستوى الشكلي تشعر القارئ بلذة القراءة وتمنحه "لذة الاكتشاف"[9] للمضمون الشعري الذي يحوي ايديولوجيا تلقفها الشاعر وقام بتحويلها من مستواها الفكري إلى المستوى الفني. وكأنّ القارئ يُحس بنوع من الانتصار لذاته القارئة التي اعتمدت على الجانب الفني للوصول إلى قضايا فكرية ايديولوجية مكنته خبراته القرائية من تولي المهمة العكسية التي قام بها الشاعر؛ عملية الابداع تتطلب من

---

[1]أنظر: ايريك هوبزباوم. عصر الثورة. ص:266.

[2]أنظر: كرين برينتن2009. تشريح الثورة. ترجمة سمير الجلبي. ط1. أبو ظبي دار الفارابي. ص:8.

[3]أنظر: هربرت ماركيوز1971. نحو ثورة جديدة. ترجمة عبد اللطيف شرارة. دار العودة، بيروت. ص:36.

[4]أنظر: عبد الله خليفة ركيبي1977. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. ط3. ليبيا، تونس الدار العربية للكتاب. ص:58.

[5]أنظر: عبد الاله بلقزيز2012. ثورات وخيبات في التغيير. ص:134.

[6]أنظر: رجاء عيد 1988. فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. الإسكندرية، الناشر منشأة المعارف، ص:123.

[7]أنظر: هربرت ماركيوز1971. نحو ثورة جديدة. ص:13.

[8]أنظر: محمد ناصر مارس-أبريل1985. شعر الثورة من جانبه الفني. مجلة الثقافة. وزارة الثقافة بالجزائر. السنة الخامسة عشرة. العدد 86. ص:135.

[9]أنظر: يحي الشيخ صالح1987. شعر الثورة. ص:10.

الشاعر أن يحوّل المستوى الفكري إلى مستوى فني وينتقل من الواقع إلى الفن، ولما يسلّم الابداع إلى القارئ الذي ينتقل من داخل العمل الابداعي ليصل إلى الواقع يُحوّل المستوى الفني إلى مستوى فكري من خلال السياق الفني دون الخروج من النص، إذ تترابط عناصر القصيدة من خلال الموقف الفكري الموحد[1] الذي يُمكّن الخطاب الشعري الوقوف عليه، وبالتالي لا داعي لتجاوز خطاب الإبداع والتوجّه إلى مضمونه للوقوف على الموقف الفكري الايديولوجي للشاعر، الأمر الذي يكشف أن الناقد الجزائري على وعي بالنظريات البنيوية ولم يستعن بالعناصر الخارج نصية لفهم مضمون العمل الشعري، ولا عناه الشاعر ومقصدية خطابه الشعري ولا حتى اعتمد على المجتمع في توضيح قضية الثورة، وإنّما اعتمد على المعاينة المحايثة وركّز على البنيات الشكلية الداخلية للنص التي بإمكانها الوصول إلى تحليلات يرتضيها الناقد القارئ. ويمكن إدخال القراءة النقدية التي قدّمها نقاد الشعر الثوري ضمن التحليل البنيوي الذي يعزل النص عن المؤثرات الخارجية ويكتفي بالنسق، كما يكشف لنا موقف الناقد الجزائري عن أهمية القراءة والقارئ في تجلية المعنى للخطاب الذي يتلقاه، وهي نظرة حداثية في النقد الجزائري تكشف عن إطلاع الناقد ووعيه بنظريات القراءة والتلقي وفاعلية القارئ واستجابته الجمالية للعمل المقروء التي تتأتى له من خلال ربط العمل الابداعي بشكله ومضمونه. أولى القضايا النقدية التي أُثيرت هي قضية الشكل والمضمون التي تبدو أن نقادنا أثاروها من منظور النقد المعاصر البنيوي والشكلاني ونظريات القراءة والتلقي وموقفها من القضية وتداخلهما وتضافرهما من إجل إعطاء الدلالة والمعنى للعمل الابداعي، إذ خصّ نقاد الشعر ممارستهم النقدية للشعر الثوري الجزائري حتى يتمكنوا من الوقوف على أهم قضية من قضايا المجتمع الجزائري التي التزم الشاعر الجزائري بها، واهتم النقاد باستخراج مضامين الثورة انطلاقا من معاينة المستوى الشكلي، ولا يمكن فصل المضمون عن الجانب الفني إلاّ نظريا، فبينهما علاقة تفاعل جدلية تجعل تقديم أرضية مضمونية لأي دراسة فنية أمرا لازما[2] مما يكشف أنّ الناقد على وعي بنظريات النص خاصة الشكلانية التي تستعين بالخطاب لتجلية المضمون، ومن ثمّ تحقيق أدبية الشعر الثوري من خلال مباشرته بآليات إجرائية هي من صميم الشعر؛ نظرا للاستعانة ببنيات الخطاب الشعري التي ستعود بالفائدة للشعر، خلافا للنظريات السياقية التي تسعى إلى تحقيق علميتها على حساب الشعر وبنيته الفنية التي تُحقق الجمالية؛ فدراسة الشعر من جانب المضمون وحده، لن يقدّم لنا التصور الكامل للعمل الشعري، كما أنّ تناوله من زاويته الفنية وحدها لن يكون معيارا صحيحا لتقييم هذا الشعر ووضعه في مكانته اللائقة، وبتناوله من هذين الجانبين المتكاملين تتصف النظرة إليه بالدقة والشمول[3] ويعتقد بعض النقاد أنّ الاهتمام بالجانب الفني الشكلي في الشعر تحقير له، يُغيّب دلالته ويحول دون الوقوف على الايديولوجيا المعبّر عنها في العمل الأدبي، ومهما يكن فالضرر الذي يُلحقه النقد الشكلاني هيّن مقارنة بضرر النقد الايديولوجي؛ فالنقد الشكلاني يستعين بآليات فنية تُشكّل بنيات النص وتتفاعل لتشكّل بنية كلية دالة، في حين أنّ النقد الايديولوجي يستعين بآليات خارج نسق النص ويقوم الناقد بإسقاطات بناءا على السياق الخارجي للنص، فضرورة دراسة الشعر الثوري من جانبي الشكل والمضمون حقيقة نقدية تكشف عن النظرة الحداثية لنقد الشعر في الجزائر والتي تُقرّ بالتكامل الكلي بين الشكل والمضمون في الدراسة النقدية، وقد يؤدي الفصل بينهما أثناء الممارسة إلى إعطاء صورة غير حقيقية وأحكام نقدية ينقصها التحديد الدقيق والشمولية، ومن ثمّ تكوّن رؤية نقدية ناقصة لا يمكن لها أن تساير النظرية النقدية المتكاملة، فالنظرة الأحادية تتنافى وطبيعة الفن، لأنّ العمل الفني من حيث هو كل، إنّما يتحقق من خلال التداخل والتجاذب بين الشكل والمضمون، فليست هناك قيمة حقيقية لعمل فني لا تتمثل فيه علاقة التأثير المتبادل بين شكله ومضمونه[4] وتكشف الرؤية النقدية لنقاد الشعر في الجزائر عن تمسّكهم بنظرية الشعر القديمة

[1] أنظر: عبد الحميد هيمة2005. الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري. ط1. الجزائر دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. ص:126.

[2] أنظر: يحي الشيخ صالح1987. شعر الثورة. ص:10.

[3] أنظر: محمد ناصر1983. الشعر الجزائري الحديث. ص:6.

[4] أنظر: محمد ناصر مارس-أبريل1985. شعر الثورة من جانبه الفني. ص:127.

التي تعلي من شأن الشكل الفني للشعر، وعن استثمارهم لمختلف النظريات الغربية التي تنادي بمبدأ الانعكاس الاجتماعي على الأدب كما نادت به الاشتراكية والنقد الايديولوجي، ونظرا لجلالة المضمون في الشعر الجزائري الذي تبنى قضية ثورة التحرير الجزائرية تمحورت رؤية نقاد الشعر في الجزائر على المضمون دون إهمال الجانب الفني لشعر القضية، وقد راعى نقد الشعر في الجزائر الخصوصية التي يتمتع بها الشعر الثوري، حيث يتحدّد المضمون الثوري بالاستعانة بالمستوى الشكلي الذي ساهم في تقييم الشعر الثوري وكان معيارا تقييميا موقَع الشعر الثوري الجزائري وكشف عن مسايرته لمسار نقد الشعر، مع مراعاة خصوصية التجربة الشعرية الجزائرية في الأدب الثوري النضالي الذي طوّعه الشاعر لخدمة المضمون الثوري وركّز جهده من أجل إعطاء تجربة شعرية متكاملة في مستواها الفني والايديولوجي تكشفه التجربة الشعرية، مضامين، وطرق معالجة، ووجوه صياغة[1] فالمتصفح للشعر الثوري الجزائري يكتشف مدى تظافر بنيات الشعر وتكاملها من أجل تحقيق الموضوع الثوري، ومع كل بنية أو آلية ينعكس المضمون ويتجلى وما على الناقد إلاّ أن يترجم الآلية إلى لغة الثورة ويضع في اعتباره أنّ الشاعر الجزائري على وعي وإدراك لفاعلية الأداة الفنية وقدرتها على التحوير والتحويل لما هو فكري وإدراجه عالم الفن باستعماله اللغة الفنية، وهذا ما يكشف عنه شعره الذي عالج من خلاله قضية فكرية تُمثلها الثورة، وقد نجح في إعطائها بعدا فنيا من خلال ربطها بالجانب النفسي والشعوري الذي تكشف عنه اللغة. يعي نقاد الشعر الثوري في الجزائر قضية عدم الفصل بين الشكل والمضمون في الدراسة النقدية التحليلية إلاّ نظريا[2] ذلك أنّ الرومانتيكيين يتجهون إلى القول بوحدة الشكل والمضمون[3] حيث يُحقّق الشاعر بعدم الفصل بينهما القيمة الفنية التي تتطلّب الاهتمام بشكل ومضمون العمل الشعري مع التمتع بكثير من الحرية والتجديد، لذلك ربط النقاد الجزائريين بين الحرية الفنية والتجديد[4] التي نادت بها الرومنسية وطالبت بها أوضاع المجتمع الجزائري، وحتمتها قضية الثورة التي تتطلّب معالجتها الفنية الكثير من الحرية في التناول وتكييف الجانب الفني للمضمون الثوري. ويؤكد نقاد الشعر الحديث في الجزائر أنّ الشعر الثوري استثمر النظرية الرومنسية ومزج بينها والثورية[5] على اعتبار أنّ الرومنسية نادت بالخيال من أجل الرجوع إلى الواقع وجاءت كرد فعل على السلبية المثالية التي نادت بالهروب منه واعتبرت الخيال تزييف للحقائق، ومن ثمّ نفت الشعر العاطفي الذي يتغنى بالذات الإنسانية في حالاتها المختلفة، ففي طبيعة الرومنسية ثورة وسخط وانطلاق[6] وتحرّر من القيود التي تُكبّل الذات وتمنعها من التعبير عن ذاتها، والتوجه الفني للشاعر هو الذي أضفى على الشعر صفة الثورية وليس المضمون الثوري، وما لجوء الشاعر الجزائري إلى الرومنسية في شعره الثوري إلاّ دليل على وعيه أنّ الرومنسية منذ ظهورها ثورة على كل ما هو ضد الذات، ومن ثمّ استطاع تكييف موقفه الفكري الثوري مع المذهب الأدبي الرومنسي. ومختلف نقاد الشعر في الجزائر على وعي بأنّ الموقف الفكري للشاعر يتحكّم في توجهه الأدبي؛ فكما استوجب الفكر الإصلاحي ظهور الفكر الثوري يمكن اعتبار التيار الرومنسي المتمرد امتداد لتيار الانبعاث الاصلاحي الذي عمل على إخراج الشعر من منابر الوعظ والارشاد إلى العاطفة وحديث النفس المسكونة بهاجس الثورة والتمرد[7] كما نادى بها الفكر الرومنسي، الأمر الذي أدى بالشاعر الجزائري إلى الخروج عن الكثير من البنيات الخطابية للشعر حيث وجد في الرومنسية آلية فنية لاستيعابه؛ لأنّ النزعة الثورية التمردية انبثقت عن الفكر الرومانسي[8] في حين الكثير يرى أنّ الرومنسية تحاول

[1] أنظر: محمد بن سمينة2003. النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر: مؤثراتها–بدايتها-مراحلها. ط1. الجزائر مطبعة الكاهنة. ص:92.

[2] أنظر: يحي الشيخ صالح1987. شعر الثورة. ص:10.

[3] أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرغاية. الجزائر. ص:86.

[4] أنظر: المرجع نفسه. ص:117.

[5] أنظر: عبد الله حمادي2000. أصوات من الأدب الجزائري الحديث. منشورات جامعة منتوري قسنطينة. ص:52.

[6] أنظر: عمر الدقاق1978. نقد الشعر القومي. دمشق منشورات اتحاد الكتاب العرب. ص:29.

[7] أنظر: عبد الله حمادي2000. أصوات من الأدب الجزائري الحديث. ص:166.

[8] أنظر: المرجع نفسه2000. ص:53.

قطع الصلة بين الذات والواقع، ووعي الشاعر الجزائري بحقيقة الشعر الرومنسي وتوظيفه لتولي مهمة ايجاد الحلول لقضية شعبه المصيرية يكشف عن انفتاح النقد الجزائري على مذاهب الأدب الغربية واستثمار آلياتها وتكييفها مع آمال وطموحات الشعب الجزائري، فرغم انحصار ثقافته ومضايقات المستعمر الفرنسي وصل للناقد الجزائري أصداء التجديد واستطاع استيعابها، ولقد تحدّث نقاد الشعر في الجزائر عن الحرية الفنية التي أعطت للشاعر الحق في تناول الموضوع الذي تنفعل له نفسه وتتجاوب معه أحاسيسه ومشاعره ولكن ليس من حقه أن ينسى أو يغمض عينيه عن أشياء عاشها الشعب ولن تمحى من ذاكرة الزمن[1] ومادام الشاعر يهتم بالموضوع الذي يُحرّك مشاعره أكيد سيخدم موضوعه الذوات الأخرى باعتباره ذاتا وباعتباره فرد داخل جماعة انسانية، وبالتالي مستحيل أن تهدأ مشاعره عن قضية مصيرية لأمته أو الجماعة التي ينتمي إليها؛ فالحرية الفنية التي نادى بها الفكر الرومنسي فجّرت عواطف الشاعر الجزائري نغما شجيا يتغنى بآمال الإنسان ويُعبّر عن آلامه وأحلامه، عن همومه وعن حاضره ومصيره[2] والحرية بهذا لا تتعلق بالحرية في الصياغة والتشكيل وفي المعالجة وطرق المواضيع الإنسانية التي تمنح الإبداع نوعا من الفرادة والصمود أمام الزمن، لتكون الحرية بهذا المعنى مطية لالتزام الشاعر لأنّه يختار موضوع فنه دون تدخل عنصر جبري الزامي في التناول؛ لأنّ النص الشعري، مهما كان موضوعه، تخلده قيمته الفنية شكلا ومضمونا[3] إذا تسنى للشاعر ذلك، أما إذا كان الخلود يتحقق على إحدى المستويين فالمستوى الشكلي أولى؛ فعنصر الخلود في الفن ليس يكمن في طبيعة الموضوع بقدر ما يكمن في طريقة تناوله وفنية التعبير عنه[4] وهذا يكشف عن توجه نقد الشعر في الجزائر الذي تبنى المذهب التجديدي متمثلا في الرومنسية التي أعلت قيمة الفن وأقرّت بأنّ جهد الأديب يتجلى في المستوى الشكلي، لأنّ المضمون باعتباره حدث واقعي موجود، لكن قوة خيال الشاعر هي التي تجعله وكأنّه موضوع يطرق لأول مرة، لأنّ التيار التجديدي أعطى للشاعر الحرية الفنية، وله الحق في معالجة موضوعه بالأداة الفنية التي يراها مناسبة، وبهذا تكون الحرية شرط أساسي من شروط الازدهار الفكري والأدبي والفني، لما توفره للإنسان من آفاق رحبة للتفكير والتعبير فهي عامل فعّال للشاعر إذا حصل عليها حقّق الصدق الفني الذي يطلبه النقد الرومنسي. تتحكم في الحرية مختلف الظروف الحاصلة في المجتمع، الأمر الذي حال دون أن يتمتع بها الشاعر الجزائري، والتي أرجعها النقاد في الجزائر للظروف الاجتماعية والسياسية الخانقة التي كان الشعب الجزائري يرزخ تحت نيرها، والتي كانت السبب المباشر في إضعاف النهضة الأدبية الجزائرية فجاءت نهضة غير كاملة وغير شاملة[5] فلو تمتّع شعراء الجزائر بنوع من الحرية الفنية لأفرزت تجاربهم إنتاج إبداعي أعطى دفعة قوية للنهضة الأدبية في الجزائر شملت مختلف الجوانب، لكنها جاءت نهضة جزئية ناقصة سببها غياب الحرية التي غيّبت معها الكثير من القضايا النقدية وأجلتها منها قضية الصدق الفني وقضية التجديد ووظيفة الابداع وقضية الالتزام التي وإن كان للنقد الجزائري وعي بها وبفاعليتها، إلاّ أنّها بقيت آراء سطحية حالت دون تناولها بجدية، مما يصعب بلورة نظرية نقدية للشعر جزائرية تساير الحركة النقدية، الأمر الذي ينشده نقاد الشعر في الجزائر إذ يُريدون شيئا من التخصص لدى شعراء الجزائر، وشيئا آخر من الشمول يبتعد به عن هذا التشابه في الموضوع والأغراض التي يدور حولها شعراؤنا، ويضربون عليها في وتيرة واحدة ونغمة واحدة[6] يريدون أن يعالج شعراء الجزائر قضية الثورة الجزائرية بآليات فنية مختلفة، فنقادنا يدركون جيدا أنّه ومع ما نادت به الرومنسية من حرية يمكن أن يتخلصوا من تكرار البنيات الفنية للموضوع الواحد عند كل الشعراء، ويحدث هذا لو يعرف النقاد

---

[1] أنظر: عبد الله الركيبي1965. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. كتب ثقافية العدد 178. الدار القومية للطباعة والنشر. ص:69-70.

[2] أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:117.

[3] أحمد دوغان1996. في الأدب الجزائري الحديث. دراسة. دمشق. مطبعة اتحاد الكتاب العرب. ص:6.

[4] أنظر: عمر الدقاق1978. نقد الشعر القومي. ص:102.

[5] أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:117.

[6] أنظر: أنظر: عبد الله الركيبي1965. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. ص:70.

كيف يستغلون ثورة التحرير الجزائرية وكيف يستفيدون من تقاليدها لاستخدامها في استمرار الدفع الثوري في الحركة الأدبية حتى يظل الإبداع الفكري والأدبي صورة صادقة لطموحات ومعاناة الشعب الجزائري[1] والدفع الثوري والتمرد على التقاليد الأدبية هو ما دعت إليه الحركة الرومنسية وأراد نقاد الشعر في الجزائر أن يُستتبع الفكر الثوري بثورة أدبية فنية حتى يتماشى المضمون الثوري مع الأداة الفنية الذاتية لكل شاعر والتي تمكّنه من معالجة موضوع الثورة بطريقته الخاصة، ويكون لكل شاعر أداة بدل إشتراكه فيها مع بقية الشعراء، وقد تمحورت معظم آراء نقاد الشعر في الجزائر حول موضوعي الحرية والتجديد، وهما موضوعان يكمل بعضهما البعض، والاهتمام بهذا المجال قد مثّل سعيا واضحا لتمكين الأدباء من تحسين أدواتهم الفنية، وارتياد آفاق جديدة للخروج من دائرة المحاكاة والتقليد"[2] مما يكشف عن توجههم النقدي ومحاولة استثمارهم لآليات النقد النفسي ومن ثمّ مسايرة الحركة النقدية الحديثة في الغرب، فقد حاول النقد الجزائري معالجة قضايا نقدية معاصرة تساير الظروف الاجتماعية والسياسية في الجزائر التي انعكست على الشعر الجزائري انعكاس واضح، تُمكّن الشاعر من إمتلاك أداوت فنية جديدة وتسهّل عليه تناول المضمون الثوري ويتخلى عن مختلف الآليات الفنية التي أدخلته في بوتقة المحاكاة والتبعية، فشعرنا الحديث من ناحية الموضوع أخذ يبحث عن قضايا جديدة، ليجرب حظه فيها، وبدت نظرته أكثر شمولا واتساعا؛ إذ بدأ يربط بين التجربة الذاتية والتجربة الشعبية ثم التجربة الإنسانية[3] فمن خلال معالجته قضية الثورة الجزائرية أعطى أبعادا لتجربته الشعرية التي نجحت في تقديم نموذجا إنسانيا بعدما كانت نموذجا للذات الجزائرية وذلك من خلال تكييف الشاعر الجزائري بنيات القصيدة التقليدية وأغراضها الشعرية بما يناسب موضوعه الثوري، مما يكشف لنا عن محاولته لارتياد آفاق بنيوية جديدة لموضوع جديد تُمثّله الثورة، لكن قصائد الشعر الثوري الجزائري تعد على الأصابع ونحن في أشد الحاجة إلى مثلها؛ لأنّها هي وحدها تبرز حقيقة ثورتنا، كثورة إنسانية تهدف إلى تحرير الإنسان في الجزائر وفي غير الجزائر، وتعطي صورة متكاملة شاملة لكل أفراد الشعب وطبقاته وتبرز ملامح مجتمعنا الجديد الذي يؤمن بالحق والخير والجمال وبالحرية[4] فناقدنا يعي أنّ تنوع الأداة الفنية يُساعد على استنطاق المضمون وتنوع طرق معالجته، كما يعي أنّ الفكرة لا تكتسب قيمتها إلاّ بعدما تدخل المستوى الفني، كما بإمكان المستوى االشعري أن يتجدّد عندما يعالج قضية إنسانية، فقد أسهمت الثورة في بلورة الشعر وساعدت على استحداث عناصر جديدة للخطاب الشعري، سواء ما تعلّق بالبنية الشكلية أو التكوينية، فقد وجد فيها الشعراء مجالا للتجديد سواء في الموضوع أو المضمون أو الشكل[5] واعتبر نقادنا تجارب الشعر الثوري الجزائري مع قلتها مساهمة في دعم الأدب العربي الثوري الحديث[6] لأنّ شعراءنا قد نجحوا في استيعابها ووُفقوا في تكييفها مع ما يمتلكوه من فنيات، وبذلك استطاعوا تحويلها من المستوى الفكري إلى مستوى فني.

اهتم نقاد الشعر في الجزائر بقضية نقدية من صميم النقد الحديث والمعاصر وهي رسالة الشاعر التي تطالبه بالاضطلاع بأعباء الرسالة الفنية، وبدا واضحا أنّ الاهتمام بالمضمون لدى الأدباء والنقاد الجزائريين كان أوضح وأكبر من الاهتمام بالشكل الفني[7] لأنّ قضية الثورة قضية مصير الشعب الجزائري، والشاعر حتّم عليه التزامه معالجتها والتعريف بها وتقديم الحلول لها، دون إعطاء أهمية كبيرة للجانب الشكلي الذي اكتفى فيه بشكل القصيدة العمودية دون بذل جهد في

---

[1] أنظر: محمد الأخضر عبد القادر السائحي. يوليو أغسطس 1982. مفهوم الثورة والتحرر عند محمد العيد. مجلة الثقافة. الجزائر تصدرها وزارة الثقافة. السنة الثانية عشرة، العدد70. ص:82.

[2] أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:118.

[3] أنظر: عبد الله الركيبي1965. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. ص:81.

[4] أنظر: المرجع نفسه، ص:71.

[5] أنظر: عبد الله الركيبي1981. الشعر الديني الجزائري الحديث. ط1. الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. ص:5.

[6] أنظر: عبد الله الركيبي1965. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. ص:81.

[7] أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص: 145-146.

استيعاب الفكر التجديدي، الأمر الذي غيّب قضايا الشعر الثوري وبنياته الفنية التي لم يعالجها النقد الجزائري المهتم بالشعر الثوري وبالتالي يتساقط كل نقد للشعر يقوم على أساس ايديولوجي صرف، كما يتساقط كل نقد جمالي صرف[1] فانحياز نقاد الشعر الحديث في الجزائر إلى المضمون الثوري على حساب الخطاب الشعري حال دون مسايرته لنظريات نقد الشعر الحديث مما صعّب موقعته ضمن نظريات الشعر، فهناك فنيات يمكن الوقوف عليها في الشعر الثوري وتكشف لنا عن الجهد الإبداعي للشاعر، لكن النقد أهملها وغيبّها اهتماما منه بالمضمون الشعري أو ربما تأثره بالواقعية الاشتراكية التي أولت اهتمامها للايديولوجيا المعبّر عنها في العمل الفني؛ الأمر الذي يكشف أن نقادنا على وعي وإدراك بمختلف النظريات النقدية الحديثة و لم يكونوا منغلقين على أنفسهم أو منقطعين عما يجري في العالم من حولهم من نشاطات أدبية ونقدية، فقد أفادوا من البيئة العربية كما أفادوا من البيئة الأوروبية، وقد انعكس ذلك بوضوح في كتاباتهم[2] إفادات متفاوتة لكنها لا تكشف عن الاستثمار الكلي لحركات تجديد الشعر، ومع ذلك استطاع الشاعر الجزائري أن يلتزم بقضية شعبه المصيرية وطوّع الأداة الفنية لأجلها وأفرز إبداع شعري جزائري يحمل آمال وطموحات الشعب. ولقد أقرت مختلف النظريات النقدية الحديثة أنّ مهمة حمل الابداع لايديولوجيا لا تُلقى على عاتق المضمون وحده؛ بل حتى الأشكال الابداعية تحمل ايديولوجيا ما، يُدرج مختلف النقاد الشعر الثوري ضمن الفنون الأدبية الغزيرة الإنتاج وذات اتقان فني وهي أكثر الفنون تأثيرا وخير معبِّر عما يختلج في النفوس، ويعتبر اللون الشعري الأكثر ملائمة والأسرع تجاوبا وانعكاسا والتصاقا بالحدث اليومي للثورة[3] ولا يمكن للناقد الوقوف على الحدود الفاصلة بين الحقيقة والخيال في الشعر الثوري الجزائري إلاّ بمعاينة الجانب الفني من هذا الشعر، ومادام يؤكد مختلف الدارسين أنّه الشعر الذي عبّر عن وجدان الشاعر الجزائري وعكس الواقع الثوري، فمعناه أنّ أدوات الشاعر الجزائري التي خلقها لشعره الثوري جديرة بالاهتمام، مثلها مثل القضية المصيرية التي تبناها الشعر والتزم بها، وأُشترط على الشعر الجزائري الثوري حتى يقدر أن يتجذر ويتأصل أن يتولاه ينبوع الواقعية الاشتراكية المتطورة باتقان وغزارة، وذلك رهين بشيوع المناخ الثقافي الثوري القائم على الموقف الوطني والرؤية التقدمية التي تسمح باستشفاف النزعة قبل أن تتحول إلى ظاهرة، وبالتعبير أيضا عن العلاقة الجدلية بين البنية التحتية والبنية الفوقية، وعن طريق هذه العملية يتم التوحيد بين المستويين الوطني والإنساني[4] وهذا الشرط تأكيد على أنّ الدراسات النقدية التي أولت اهتمامها الأول بالمضمون في الشعر الثوري قد مهدت لظهور الدراسات التي تهتم بالجانب الفني، ومهم للناقد أن يقف أولاً على الموقف الايديولوجي للشاعر ويتعرّف على الثورة كقضية ايديولوجية قبل أن يتبناها الأدب؛ ونظرا لأنّ الشعر الثوري الجزائري قد تبنى الثورة والتزم بها فقد انعكس وعيه بها على الشعر الجزائري وخرج من التقليد ولبس ثوب الواقعية واتخذ من الواقع النضالي أرضية[5] اتكأ عليها في شعره، ويمكن إدراج الشعر الثوري الجزائري ضمن الشعر الواقعي الاشتراكي مع أنّه شعر بعيد كل البعد عن الواقعية، وإن كانت الرؤية الفكرية للجانب الاجتماعي تضفي عليه مجازا صفة الاشتراكية[6] وبالتالي تصدق عليه الصفة بالإسم فقط فهو ليس شعر حزب أو جهة معينة، وإنّما لأنّه شعر التزم بقضايا الواقع الجزائري وعبِّر عن الروح الثورية الجزائرية، ولأنّ مفهوم الثورة من أهم عناصر الواقعية الجديدة[7] التي تُمثلّها الإشتراكية، ومن ثمّ أعطى الشعر الثوري بُعدا للواقعية الثورية التي تتجاوز في مفهومها أبعاد

---

[1]أنظر: محمد ناصر مارس-أبريل1985. شعر الثورة من جانبه الفني. ص:127.

[2]أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:146.

[3]أنظر: أنيسة بركات سبتمبر، أكتوبر1986. أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال. مجلة الثقافة الجزائر. تصدرها وزارة الثقافة. السنة السادسة عشرة. العدد95. ص:293.

[4]أنظر: حسن فتح الباب1987. شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق. الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب. ص:40-41.

[5]أنظر: أحمد دوغان1996. في الأدب الجزائري الحديث. ص:310.

[6]أنظر: غالي شكري1978. شعرنا الحديث إلى أين؟ ط2. بيروت منشورات دار الأفاق الجديدة. ص:27.

[7]أنظر: عماد حاتم1979. تاريخ الآداب الأوربية. –الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشرة. ليبيا –تونس الدار العربية للكتاب. ص:434.

الكلاسيكية الجديدة[1] مما يعني أنّ الواقعية اتبعت خطى الواقعية النقدية واحتفظت بما حقّقته من انجازات وطوّرتها لتولّد الواقعية الاشتراكية التي تُمثّل الثورة المعلنة والصريحة للتغيير السريع والضروري والمطلق والتام للوضع الاجتماعي، ولقد توصّل النقد البنيوي التكويني إلى أنّ شكل العمل الأدبي يحمل ايديولوجيا مثلما يحملها المضمون وتبادر القصيدة في الجزائر إلى التأثير الفعال على الخط الشعري الحديث وذلك بالارتفاع مضمونا وشكلا إلى ما تتطلبه التجربة الجزائرية؛ أي تحاول أن تغوص في أغوار الواقع الاجتماعي وتصوّر التناقض الكامن فيه في صياغة فنية تختلف من شاعر إلى آخر، وتجسّد الوعي الكلي والميزان الفكري لدى الشاعر الجزائري[2] الذي رغم معاناته وظروفه المختلفة التي ولدّها الاستعمار تمكّن من الاطلاع على مختلف التيارات والمذاهب الأدبية وتأثر بها وحاول استثمارها في كتاباته، وإن كانت استثمارات متباينة من شاعر إلى آخر لكنه أدى بها رسالته الملقاة على عاتقه وكشف شعره الثوري عن التزامه الواعي والصادق بقضية وطنه. ومختلف نقاد الشعر في الجزائر يؤكدون أنّ شعراء الثورة تفاعلوا مع محيطهم الاجتماعي والنضالي وعبّروا عن قضايا مختلفة؛ فعكس الشعر همومهم وهموم وطنهم بأشكال مختلفة، لكنها جميعها حملت الحس الوطني القومي الثوري[3] دون أن ننسى ما أحدثه الشعر الثوري من تمرد وثورة على النهج التقليدي في الأدب الجزائري[4] فرضه المضمون الثوري الذي اتخذه الشاعر كمضمون لعمله الشعري، كما يكشف عنه تأثره الواضح بالنهج الرومنسي الناهض على النهج الكلاسيكي في الإبداع؛ فالكثير من النقاد وصف التوجه الرومنسي بالثائر، لأنّه مفجّر لطاقات العاطفة وسبحات الخيال الوجداني المجنح[5] ذلك أنّ الخيال كما قال به **كولريدج** يعتمد على مدركات الواقع، وبالتالي الخيال في الشعر الثوري يقوم على وعي واقع Consience Real أساسه الفكر الثوري، والشعر الثوري اعتمادا على الوعي الواقع يُجسّد الطموحات ويُمثّل الوعي الممكنConsience Possiple الذي يطمح إليه الشعب الجزائري، لذلك يُرجع الكثير من النقاد التجديد الذي نقف عليه في الشعر الثوري إلى تأثر الشاعر الجزائري بالاتجاه الرومنسي في الأدب؛ إلاّ أنّ من النقاد في الجزائر من يرجع الرومنسية في الشعر الثوري إلى الجانب النفسي للشاعر الجزائري ومعاناته الداخلية، فرومنسيته نابعة من المأساة قبل أن تكون صدى لمذهب أدبي[6] الأمر الذي يستبعد اطلاع الشاعر الجزائري على مختلف التيارات الأوربية وتأثره بها، في حين من الباحثين من وقف على آراء النقاد الجزائريين ووجدها تنطوي على اعجاب واضح بالاتجاه الرومانتيكي وتستلهم الكثير من مبادئه[7] من بينها قضية الشكل والمضمون وعدم الفصل بينهما والحرية الفنية، وقد مهدت الرومنسية لمختلف القضايا وجاءت الاشتراكية لتتمها؛ إذ نجد مختلف المناهج والنظريات النقدية الحديثة لا تفصل الشكل عن المضمون فحتى الأشكال تحمل ايديولوجيا معينة مثلها مثل المضامين، كما يحمل مضمون العمل الابداعي فكرة ما شأنه شأن الفلسفة التي يتشابه ويتبادل معها الاستيعاب، ومن الاستحالة تفريغ الأدب من الفكر حتى وإذا كان الشكل الأدبي منعزلا عن مضمونه على قدر الامكان هو في ذاته فكر إذ حتى في الفنون التجريدية نتلقى فكرا[8] ونقف على الفكرة التي يحملها العمل الشعري عن طريق المضمون الذي له الفصل في كل شيء، في الأدب وفي سواه[9] فبإمكان المضمون أن يموقع الشعر والشاعر ضمن مذهب أدبي لتوافق المضمون باعتباره ايديولوجيا مع التيار الفكري الذي اتخذه هذا المذهب خلفية له، فالأدب الإشتراكي بالرغم من

---

[1]أنظر: أحمد دوغان1996. في الأدب الجزائري الحديث. ص:310.

[2]أنظر: حسن فتح الباب1987. شعر الشباب في الجزائر. ص:39.

[3]أنظر: عمر بن قينة1995. في الأدب الجزائري الحديث–تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما- بن عكنون الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية. ص:80.

[4]أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:91.

[5]أنظر: عبد الله حمادي2000. أصوات من الأدب الجزائري الحديث. ص:165.

[6]أنظر: صالح خرفي1983. المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث. الجزائر الشركة الوطنية للنشر. ص:110.

[7]أنظر: عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:98.

[8]أنظر: مجموعة من النقاد2001. المرآة والخارطة. ترجمة سهيل نجم. ط1. سوريا دمشق دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع. ص:6.

[9]أنظر: نبيل سليمان2005. أسئلة الواقعية والالتزام. ط4. سوريا-اللاذقية- دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع. ص:45.

اهتمامه الواضح بالايديولوجيا المعبّر عنها في العمل الأدبي إلاّ أنّه اهتم بالجانب الفني وتنبّه نقاده إلى أنّ الشكل مثله مثل المضمون يحمل ايديولوجيا، وبالتالي نجد أنّ تشكيل المضمون الايديولوجي لقي اهتمام عند شعراء الواقعية الاشتراكية على أساس أنّه يُعمّق المضمون ويزيده إضاءة، على عكس الآخرين الذي يمتص الشكل لديهم المضمون[1] إذ يهتم شعراء مدرسة الفن للفن بالجانب الفني دون أدنى عناية بالمضمون فيمتص الهيكل الفني مضمون الإبداع، ومن هنا يكون الشعر الذي يحمل ايديولوجيا أعظم الآداب لأنّه يحمل نزعة إنسانية، لكنه يحتاج للصياغة الفنية، وبهذا تجعل الرؤية الفكرية من الشعر شعرا اشتراكيا، ولكن هذه الرؤية نفسها في مستوى الفن تجعل منه شعرا رومانسيا، مع اختلاف مظهري؛ هو أنّ الرومنسية تلّح على ذات الفرد، بينما هذا التيار يلّح على وجدان المجتمع[2] والرومنسية بإلحاحها على ذات الفرد فتحت الآفاق أمام المجتمع، لأنّه مشكّل من مجموعة أفراد، فما الأدب الواقعي إلاّ امتدادا للأدب الرومنسي وما بدأته الرومنسية أتمته الواقعية. والسؤال الذي يطرح نفسه ما مدى مصداقية فكرة الشكل يمتص المضمون[3] على الشعر الثوري الجزائري وهل ضعف المضمون أدى إلى سلطة الشكل؟ الكل يدرك أنّ الثورة كفكرة وكمضمون لعمل إبداعي تحمل في طياتها كل معاني القوة والتحدي والسلطنة، أو لأنّ الشاعر الجزائري الحديث عبّر عن ايديولوجية الثورة الجزائرية الحديثة بالاستعانة بالشكل العمودي على اعتبار أنّه بنية تقليدية؟ لقد استطاع الشاعر الجزائري الحديث أن يُعبّر عن طموحات الشعب الجزائري ويساير شعره القضية المصيرية لهذا الشعب دون أن يحتاج إلى استحداث بنية فنية لخطابه الشعري، مما يعني أنّ شاعر الثورة على وعي بأنّ وظيفة الشكل تنحصر في الاعلان عن مضمون العمل الفني بطريقة تشرح وتساعد على إبراز الاحساس الجمالي للقطعة الأدبية أو الفنية، بغية توضيح حقائق الحياة وحقيقة الأحاسيس والمشاعر[4] تجاه الحدث الواقعي، فالشاعر يستمد موضوعاته من واقعه الإجتماعي من أجل ايجاد الحلول لقضية الشعب، وبالتالي فالواقعية في الشعر الثوري الجزائري هي أكثر إنصافا لشعر تفانى في قضية شعبه[5] الأمر الذي يكشف عن وعي الشاعر وحسن اختياره لنهج الواقعية الاشتراكية في معالجة شعره الثوري، فاكتسب بذلك التناول صفة الشاعر الواقعي بسبب ميله إلى القضايا الجماهيرية، التي تهم الإنسان العربي بصورة عامة، والعربي الجزائري خاصة[6] وهي قضية الثورة المصيرية التي تناولها الأدب الروسي وحقّق النجاح والنهضة في جميع المستويات وغدت التجارب الابداعية التي تناولت الثورة خالدة لقيمتها الإنسانية التي يحملها المضمون، وكذلك للصياغة الفنية لهذه النزعة. ويدرك الناقد الجزائري أن أولية التناول في التحليل والنقد تكون للمضمون لإستخراج الايديولوجيا المعبّر عنها في العمل الإبداعي ثم يأتي التناول للجانب الشكلي الجمالي في المرحلة التالية بعد الوصول إلى المعنى الايديولوجي، لأنّ كل دراسة أدبية رائدة تتجه عادة إلى الأفكار والمضامين، ثم يكون دور الدراسات اللاحقة النظر إلى القيم الجمالية والفنية[7] وتقديم المضمون على الشكل في التناول النقدي يعتبر مرحلة أولية يتبعها التناول الجمالي الذي يُعرف بالنقد الايديولوجي الجمالي الذي قالت به نظرية الانعكاس ذات الخلفية الماركسية والنقد الجدلي، ويلجأ الناقد بمجرد فهم واستخراج الايديولوجيا المعبّر عنها إلى ترجمة اللغة الفنية إلى لغة تقترب أو تساوي الايديولوجيا المعكوسة في العمل المراد تحليله وتقييمه، لأنّ المضمون هو التعبير عن مشاعر الناس وأفكارهم وعواطفهم بالصور[8] وليست الصورة وحدها الحامل لأفكار الجماعة التي ينتمي إليها الشاعر ويعبّر عن آلامها وآمالها وطموحاتها،

[1]أنظر: حسن فتح الباب1987. شعر الشباب في الجزائر. ص:39.

[2]أنظر: غالي شكري1978. شعرنا الحديث إلى أين؟ ص:27.

[3]أنظر: حسن فتح الباب1987. شعر الشباب في الجزائر. ص:39.

[4]أنظر: كمال عيد. فلسفة الأدب والفن. ص:178 نقله عمار بن زايد1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. ص:86.

[5]أنظر: صالح خرفي1983. المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث. ص:110.

[6]أنظر: أحمد دوغان1996. في الأدب الجزائري الحديث. ص:74.

[7]أنظر: محمد ناصر1983. الشعر الجزائري الحديث. ص:5.

[8]أنظر: نبيل سليمان2005. أسئلة الواقعية والالتزام. ص:45.

فمختلف بنيات الخطاب الشعري تضطلع بهذه المهمة، فللجانب الفني في الممارسة النقدية أهمية لا تقل عن أهمية المضمون[1] فالكثير من نقاد الشعر في الجزائر اهتموا بالشعر الحديث لالتزامه بقضية الثورة وبذلوا جهد نقدي معتبر من أجل إعلاء قيمة الشعر الثوري واعتبروه أعظم إبداع فني للايديولوجيا التي يحملها، لكن شرف القضية لا ينتج دائما الشعر الجيّد[2] معذور ناقد الشعر الثوري الجزائري الذي عظّم الشعر الجزائري بالاعتماد على رؤية أحادية الجانب إذ يتحكم فيه موقف فكري ايديولوجي وموقفه له ما يبرّره، فالقارئ يخضع لزمن تاريخي وتتحكم فيه ايديولوجيا الجماعة التي ينتمي إليها فيقرأ بمنظورها، وفي ذلك الزمن ايديولوجيا الثورة شكّلت نوع من التسلّط على الذات الجزائرية، صحيح أنّ الحكم على الشعر بالنظر إليه من زاوية الموضوع وحده مخالف لمفاهيم الشعر البديهية، فكل موضوع يصلح للشعر، الأهم منه هو دراسة أسلوب الشاعر في معالجة الموضوع[3] لكن لا بدّ من وضع اعتبار للموقف الفكري والشرط التاريخي الذي تحكّم في الشاعر، أكيد أنّ شعراء الثورة على وعي تام بأنّ ما يجعل الأدب أدبا هو بنياته الفنية والشاعر حتى يقوم بصهر مدركاته حول الثورة ويجعل منها بنية متماسكة يحتاج لهدأة فنية، وأحداث الثورة متتالية والشاعر باعتباره ملتزم بها مطالب أن يتابعها، لذلك استعمل تقريبا أداة فنية واحدة للتعبير عن فكر ثوري هادف إلى الهدم وإعادة البناء، فنقاد الشعر الحديث أعابوا على الشاعر تقصيره في الجانب الفني من شعره الثوري واعتبروه قد فوّت عليه فرصة التجديد والثورة على التقاليد الأدبية وحملّوه مسؤولية تأخر تطور الشعر الجزائري، خلافا للأقطار العربية التي استحدثت خطابا شعريا جديدا يتماشى مع التطورات الحاصلة في مجتمعاتها ولم تفوّت الفرصة. ويعتقد الكثير من نقاد الشعر أنّ استحداث خطاب شعري أمر سهل مادام المضمون الايديولوجي موجود، وما على الشاعر إلاّ أن يسعى إلى إحداث التطابق بين الشكل والفكرة لأنّه شرط أولي للفن؛ لا فن دون وحدة الفكرة، ودون وحدة الشكل، ودون وحدة هاتين الوحدتين. والفكرة الناقصة تولد صورة ناقصة[4] اللوم لا يقع على الشاعر لوحده حتى الناقد يشترك مع الشاعر في هذا التقصير، فلماذا لم يفترض نقاد الشعر في الجزائر خطاب شعري جديد يساير الثورة، وانتظروا الشعر الثوري ليستنبطوا منه جملة القواعد والقوانين التي تضبط الشعر الثوري الجزائري؟ الناقد الكلاسيكي سلبي نوعا ما لأنّه لا يشتغل إلاّ في حضور الخطاب الشعري، ونقاد الشعر في الجزائر تُسيطر عليهم فكرة أنّ السلطة بيد النص وأنّ كل عمل شعري ثمرة لفكرة جبارة تستولي على الشاعر[5] لكن لا يفهم من عملية الاستيلاء أنّها ايديولوجيا خاصة بالشاعر، وإنّما قد تكون الايديولوجيا التي تتبناها الجماعة التي ينتمي إليها الشاعر والذي يحاول من خلال شعره أن يعكس طموحات وآمال هذه الجماعة، كما قد تكون الايديولوجيا المعبّر عنها في العمل الابداعي ليس ايديولوجية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المبدع، قد تكون الايديولوجيا المناقضة لها، وحتى الناقد لديه موقف فكري وايديولوجيا تستولي عليه، فلو كان هو ناقد متسلّح بخبرات قرائية لتمكّن من بلورة نظرية للشعر الثوري الجزائري بناءا على افتراضاته وفي غياب الخطاب الثوري، وبالتالي الشرط التاريخي وانحصار الثقافة الأدبية في الجزائر تحكّمت في الشاعر كما الناقد باعتباره قارئ.

خاتمة: يعي نقادنا فلسفة الثورة ومختلف التطورات والتغيرات التي مسّت نظرية الشعر، وقد عالج الشاعر الجزائري قضية الثورة التحريرية وحوّلها إلى قضيته لما نقلها من قضية فكرية اجتماعية إلى قضية فنية انعكست في المستوى الشكلي. ومفهوم الثورة في وضعه الاعتباري النظري يعني التغيير الجذري للنظام الاجتماعي الاقتصادي وليس للنظام

[1] أنظر: يحي الشيخ صالح1987. شعر الثورة. ص9-10.

[2] أنظر: جعفر ماجد1984. الثورة الجزائرية في الشعر التونسي. مجلة الثقافة. السنة الرابعة عشرة، العدد 83. الجزائر تصدرها وزارة الثقافة. ص:181.

[3] أنظر: محمد ناصر مارس-أبريل1985. شعر الثورة من جانبه الفني. ص:127.

[4] أنظر: نبيل سليمان2005. أسئلة الواقعية والالتزام. ص:34.

[5] أنظر: غريغو ريفيتش بيلنسكي1982. الممارسة النقدية. سلسلة النقد الأدبي. ترجمة فؤاد المرعي ومالك صفور. ط1. لبنان بيروت دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع. ص:23.

السياسي، وبالتالي فالثورة ليست هدم نظام سياسي قائم بل هدم نظام اجتماعي، وبناء نظام جديدن وقد ربط نقاد الشعر في الجزائر مفهوم الثورة بالمجال السياسي وقصروا استخدام مصطلح ثورة للتعبير عن تحرك عنيف يقوم به شعب ما ضد السلطة الحاكمة له، في حين يؤكد علماء الاجتماع حتمية تتبع مفهوم الثورة انطلاقا من المستوى الاجتماعي على اعتبار أنّه المستهدف لاحداث تغيير جذري. وقد أسهم ما قدّمه نقاد الشعر في الجزائر من منجز نقدي في تطور الشعر الجزائري وإثراء الثقافة الجزائرية رغم إمكانياتهم المحدودة وخصوصية خطاب الشعر الثوري الجزائري. اتجهت الدراسات النقدية الجزائرية إلى الايديولوجيا المعبّر عنها في الشعر الثوري محاولة الوقوف على القضايا العامة من خلال المضامين ذات الطابع الجماعي، فالناقد الجزائري الحديث تحكمت فيه الشروط التاريخية وزمن التلقي؛ ففي تلك الفترة الزمنية كانت للثورة أبعاد مغايرة تماما للأبعاد التي يمتلكها الناقد الحالي عنها وعن مختلف الايديولوجيات، وقد استدرك نقاد الشعر في الجزائر الأمر وحاولوا النظر إلى الشعر الثوري الجزائري بمنظار مغاير عن نقاد جيل الثورة؛ لأنّ الشعر الثوري الجزائري كان تعبيرا عن الواقع الجزائري عكس فيه الشاعر مفاهيم الثورة وتتبع أحداثها وكان على وعي بايديولوجية الثورة الجزائرية، فكيّف بنيات القصيدة التقليدية وأغراضها الشعرية بما يناسب موضوعه الثوري، مما يكشف لنا عن محاولته لارتياد آفاق بنيوية جديدة لموضوع جديد تُمثّله الثورة.

المراجع المعتمدة:

أولا: المراجع العربية:

- بشارة عزمي 2012. في الثورة والقابلية للثورة. ط1. بيروت. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- بلقزيز عبد الإله 2012. ثورات وخيبات في التغيير الذي لم يكتمل. ط1. بيروت، منتدى المعارف.
- بن زايد عمار 1990. النقد الأدبي الجزائري الحديث. المؤسسة الوطنية للكتاب، وحدة الرغاية. الجزائر.
- بن قينة عمر 1995. في الأدب الجزائري الحديث–تأريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما- بن عكنون الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية.
- بن نبي مالك (دس). ميلاد مجتمع. ج1. شبكة العلاقات الاجتماعية. ترجمة عبد الصبور شاهين. إصدار ندوة مالك بن نبي.
- بوقرورة عمر 2004. دراسات في الشعر الجزائري المعاصر–الشعر وسياق المتغير الحضاري- عين مليلة الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- حاتم عماد 1979. تاريخ الآداب الأوربية. –الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشرة. ليبيا –تونس الدار العربية للكتاب.
- حمادي عبد الله 2000. أصوات من الأدب الجزائري الحديث. منشورات جامعة منتوري قسنطينة.
- خرفي صالح 1983. المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث. الجزائر الشركة الوطنية للنشر.
- خليفة ركيبي عبد الله 1977. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. ط3. ليبيا، تونس الدار العربية للكتاب.
- الدقاق عمر 1978. نقد الشعر القومي. دمشق منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- دوغان أحمد 1996. في الأدب الجزائري الحديث. دراسة. دمشق. مطبعة اتحاد الكتاب العرب.
- الركيبي عبد الله 1965. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. كتب ثقافية العدد 178. الدار القومية للطباعة والنشر.
- الركيبي عبد الله 1981. الشعر الديني الجزائري الحديث. ط1. الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سليمان نبيل 2005. أسئلة الواقعية والالتزام. ط4. سوريا-اللاذقية- دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع.
- شكري غالي 1978. شعرنا الحديث إلى أين؟ ط2. بيروت منشورات دار الأفاق الجديدة.
- الشيخ صالح يحي 1987. شعر الثورة عند مفدي زكريا–دراسة فنية تحليلية- ط1. قسنطينة الجزائر. دار البعث للطباعة والنشر.
- عبد الناصر جمال 1996. فلسفة الثورة. الناشر بيت العرب للتوثيق العصري.
- عيد رجاء 1988. فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق. الإسكندرية، الناشر منشأة المعارف.

- فتح الباب حسن 1987. شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق. الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب.
- ناصر محمد 1983. الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975. بيروت-لبنان دار الغرب الإسلامي.
- هيمة عبد الحميد2005. الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري. ط1. الجزائر دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

ثانيا: المراجع المترجمة:

- برينتن كرين 2009. تشريح الثورة. ترجمة سمير الجلبي. ط1. أبو ظبي دار الفارابي.
- بيلنسكي غريغو ريفيتش 1982. الممارسة النقدية. سلسلة النقد الأدبي. ترجمة فؤاد المرعي ومالك صفور. ط1. لبنان بيروت دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- تروتسكي ليون 1979. الثورة والحياة اليومية. ترجمة هـ. عبّودي. ط1. بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- ماركيوز هربرت1971. نحو ثورة جديدة. ترجمة عبد اللطيف شرارة. دار العودة، بيروت.
- مجموعة من النقاد2001. المرآة والخارطة. ترجمة سهيل نجم. ط1. سوريا دمشق دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
- هوبزباوم ايريك2007. عصر الثورة: أوربا 1789-1848. ترجمة فايز الصُيّاغ. ط1. بيروت لبنان المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية.

ثالثا: المجلات:

- مجلة الثقافة. الجزائر تصدرها وزارة الثقافة. السنة الثانية عشرة، العدد70. يوليو أغسطس 1982.
- مجلة الثقافة. السنة الرابعة عشرة، العدد 83. الجزائر تصدرها وزارة الثقافة. 1984.
- مجلة الثقافة. الجزائر تصدرها وزارة الثقافة. السنة الخامسة عشرة. العدد 86. مارس-أبريل1985.
- مجلة الثقافة. الجزائر. تصدرها وزارة الثقافة. السنة السادسة عشرة. العدد95. سبتمبر، أكتوبر1986.

بنية "ثورات الخصوصية" في براديغم العولمة
انهيارات النمذجة وتأسيسات "التنوعية"

د. فرقاني فتيحة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل

الملخص أعطى "البراديغم" المنافي للعولمة مفارقة في توظيف آلية استمرار وتقويض لمفهوم (المتغلب)، وتوسيع لمجالات المواجهة والدفع للفعل العولمي، من خلال التركيز على "تنوعية" إنسانية ورفض لكل معطيات النمذجة الملزمة إجبارا. وهو ما يحقق فهما مغايرا للعولمة واستبدالا "لتنميطها" الرائج والمسوق بصور استهلاكية ومعرفية. وبالتالي السعي إلى تفكيك النموذج المعرفي للعولمة وفق بينة ثورية مرتكزها (الخصوصية) والتي لا تعني المحتوى الثقافي لوحده، بل تتعداه إلى المجال الإنساني ككل.

الكلمات الدالة: النموذج المعرفي، العولمة، التنوعية، العالمية، الإنسانية.

abstract: The Globalization - explaining paradigm shifts as a continued mechanism of eroding a given subject, and expanding fields of rejection, confrontation and pushing for Globalization act, through emphasizing the human diversity, which shall abnegate all modeling facts.
Having gone back to the understanding of Globalization, and replacing its shape as a norm - widespread and traded in terms of consumption and knowledge, the research takes up the issue of incorporating the paradigm of Globalization motivated by revolutionary considerations, which doesn't include cultural content solely, it rather involves human features.

Key words: Paradigme , Globalization, Diversity, Universality, Humanity.

مقدمة أعطت المواضيع التي تناقش العولمة وتمدداتها زخما معرفيا كبيرا، هدفها فهم الوضع الناتج عن هذا التشكل الجديد للعالم، ومن جهة ثانية محاولة فهم آليات المواجهة أو الرؤى البديلة لهذا التحول الإنساني، وعلى قدر ما جاءت به التقارير والبحوث، والتي أعطت ملامح الإيجابية والتفاؤل في منظومة العولمة، وسيطرة هذا النوع على الكثير من التنظير والتطبيق، فإن كل هذا لم يمنع من وجود "حالة" الرفض التي تسعى إلى إبراز إمكانية الخروج والانفكاك عن هذا التحول الإنساني، وبذلك برزت مداخل متعددة لتثبيت الرؤية البديلة وترسم أدوات المواجهة الفعالة والممكنة لهذا الغالب الدولي المؤقت.

ويأتي في هذا السعي والتحول مجموعة من المشاريع المناهضة أو التي تسعى إلى تجاوز حالة الاستقطاب الإلزامية لمكونات وأدبيات وفواعل هذه العولمة، ما يعرف بالعودة إلى فهم العولمة واستبدال "تنميطها" الرائج والمسوق بصور استهلاكية ومعرفية، إلى البحث في تضمين النموذج المعرفي للعولمة بمكونته المادية، استهلاكية والنافية للتنوع.

هنا تقفز إشكالية البحث لتبحث في أسس الرفض والمواجهة التي مثلتها كثير من التيارات الفكرية والاقتصادية والمجتمعية التي تسعى إلى إعادة الوضع القابل للتحاور والتشارك، وبالتالي الخروج عن طوعية ووصاية النموذج الغالب برؤى تبحث في مكوناتها بما يعزز تميزه ويحفظ لها هويتها.

وللبحث في هذه الإشكالية نضع محورين رئيسين للبحث هما:

- **انفكاك النمطية الغالبة: مسارات الرفض والاستبدال**
- **التنوعية ضمن العالمية: بنية ثورية**

1. انفكاك النمطية الغالبة: مسارات الرفض والاستبدال

تُجمِع المراجع والمعاجم على أن مفاهيم **العولمة Mondialisation والكوكبية Globalisation** حديثة الظهور جدا[1]، في جميع اللغات، ولا ترجع بداية استعمالها إلى أبعد من سبعينيات من القرن الماضي وحسب **ناعوم تشومسكي**([*]) فإن (عدوى العولمة قد انتشرت في كل ما يتصل من تفسير في العلاقات الدولية منذ نهاية حرب الخليج الثانية التي أعلنت ولادة النظام العالمي الجديد)[2]،

كما اختلف في معناها فقيل بأنها تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، ومال فريق إلى بعض الباحثين إلى اختيار لفظ الكوكبية كمقابل لها، ومال فريق ثالث إلى رأي يرجع أصل التسمية إلى العالمية، وأثار باحث رابع مصطلح الكونية كمقابل للفظ العولمة. فعلى الرغم من اختلافهم في التسمية – التي لا تخلو من خلفياتٍ نظرية- اتفقوا إلى حد كبير في التفاعل مع هذه الظاهرة.[3]

ومن المعلوم لكل من يتابع قضايا العولمة وافرازتها يرى أن هذه النظرية[*] عرفت تجاذبات عديدة من قبل مؤيديها ورافضيها، فنظرية العولمة جاءت بداياتها على أساس مادي كغيرها من الظواهر التي أفرزها النموذج الغربي[*]، وخصوصا في القطاع الاقتصادي حيث برزت بحدة وبصورة أولى لها، (**فبرترون باديBertrand Badie**)عرفها: (إقامة نظام دولي يتجه نحو التوحد في القواعد والقيم والأهداف، مع إدعاء إدماج مجموع الإنسانية ضمن إطاره)، فالتحليل المنفك عن تأثيرات الأنموذج يجد أن الهدف الأساسي من تمكين البراديغم الغربي هو توحيد المجتمع الإنساني في إطار قالب جاهز تقوده قوة معينة، تتلخص في الغالب الوقتي (النموذج الأمريكي)، ويؤكد الحكم نفسه تعريف (**نيل فليغشتاي/Niel Flegstien**) القائل بأن العولمة ترتكز على المبادلات الدولية... التي تتجاوز حدود الوطن الواحد ليصبح الكون كله موطن الصراع بين المؤسسات.[4]

ويكون هذا البراديغم الغالب في مثل هذه الحالة متنقلا بصورة سلسلة بين الاداء الاقتصادي والإعلامي، لينتقل إلى البعد السياسي **فيعرفها** –العولمة- (**روبيرت كوهن – Roberte Kuhn**) معتبرا إياها (مشروعا سياسيا أمريكيا ضروري لتحقيق الاستقرار العالمي، لأن الهيمنة تخلق الاستقرار بواسطة احترام مجموعة من قواعد اللعب، إنه المنحنى الذي يضفي على المشروع مشروعيته، وتجاهله للقواعد التي استقر عليها العالم بعد الحرب العالمية بداهة)[5]

وبتفصيل هذا التعريف نجد:

- تبرير منطق هذه الهيمنة العالمية لكونها تضمن الاستقرار، هذا الذي يعني احترام الآخرين لقواعد اللعب التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية.
- مما يعني حسب التعريف دائما تجاهل كل ما سبق من قواعد ومبادئ سياسية أو حضارية عرفتها الدول قبل هذا المشروع.

1- Pierre Salles, **Problèmes Economiques Généraux**, Tome2. Paris :edition Dunod, 1977, p 470

*- ناعوم تشومسكي مفكر وعالم لغوي أمريكي ، معارض للسياسة الأمريكية التي يقودها المحافظين الجدد، له كتابات عديدة منها الفوضى

2- قاسم حجاج، **العالمية و العولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية**، ط1. غرداية:المطبعة العربية،2003 ، ص 252

3- عمارجيدل،"سؤال الهوية الثقافية في زمن العولمة". **ملتقى العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية**، المجلس الإسلامي الأعلى. الجزائر، مايو 2004، ص 3

*- وصفت بالنظرية من قبل مفكر إيطالي حيث عبر عن ذلك بقوله : **(هي نظرية من دون منظر)**

*- النموذج المعرفي الغربي هو أكثر النماذج المعرفية شيوعا وسطوة، لأن الاستعمار الغربي قام بهزيمة العالم واقتسامه، وبتدويل نموذجه الحضاري وفرضه على الكثير من المجتمعات، إما من خلال القمع أو الإغواء، أو حتى أحيانا من خلال خاصية الإنتشار، حتى أصبح الكثيرون يظنون ان هذا النموذج عالمي. عبد الوهاب المسيري، **إشكالية التحيز**،الجزء الأولّ، ط1. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995، ص35

4- عمار جيدل وآخرون، **العولمة من منظور شرعي**،ط1.عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، 2002، ص10-11

5- قاسم حجاج ، **المرجع السابق الذكر**، ص 207

▪ وما تخفيه مضامين هذا التعريف هو تحقيق فكرة (عالم بمشروع واحد)، والتي لها خطورة كبيرة على فكرة التنوع التي قد يؤدي إلى القضاء عليها.

وبمثل هذا التحليل ندرك جزئيا سبب تضاعف عدد المناوئين لهذا المشروع الغربي المبني على أحادية النظرة وأحادية الفكرة والمشروع، والذي عبر عنه عبد الإله بلقزيز بأنها (اسم حركي للأمركة، وهي في حقيقة أمرها ليست إلا أسطورة من أساطيرنا السياسية...)[(1)] ويتناغم مع هذا المفهوم ما أوضحه الدكتور عمار جيدل في تفكيكه للبنى الفكرية لعولمة في إظهار من خلال إبراز أدوات "الفعل العولمي" من خلال قوله أنها مشروع يهدف بالدرجة الأولى إلى إنزال بديل كامل على شكل سيناريوهات جاهزة، مكان الثقافات المحلية، ولهذا فالعولمة تقوم على ثقافة تلغي المعايير، وبالتالي إلغاء معايير الشعوب أو تنوعات هذه المعايير سيؤدي إلى إفناء المجتمعات.[(2)]

بعد العرض المفصل لآراء تعددت حول مناهضة العولمة من خلال مناقشة المفهوم وإظهار كوامنه وبواطنه، تصل بنا القراءة إلى أن البحث في حتى في الأصول اللغوية(قراءة نقدية لغوية) لمصطلح (عولمة) لا نجد له استخدام قديم في اللغة العربية، والموجود أصلا هو لفظ "العالم" و"العالمي"، غير أن الاشتقاق اللغوي يسمح بمثل هذا اللفظ المشتق "عولم "[(3)]، لأن هذا المصطلح حمل في طياته كوامن جغرافية لفظية، تدل على السطوة و على الهيمنة وعلى رفض الآخر وعلى أحادية النظرة والمشروع، فالعولمة هي انفراد جهة بالعالم ككل دون سواها من القوى أو النماذج، وهو ما يرجع بنا إلى المرتكز الأول في الحضارة الغربية (المركزية العالمية) أي رؤية العالم من الزاوية الغربية الوحيدة، كما أنه يذكرنا بالأصل العنصري في هذا النموذج الغربي أين يرى أن كل ما دونه هوامش، وهذا الانتقاد تسنده مجموعة من الرؤى التي ترى أن الرفض الذي تأسس على نطاق عالمي أو محوري (ما يتصل بمفهوم المحاور المناهضة أو الرافضة) واسع ذلك أن إفرازات هذا النموذج أصبحت خطيرة في المرحلة الأخيرة أخطرها (الحضارة المادية العالمية الجديدة)، وهي حضارة تكون أصولها (غربية/ أمريكية) ذلك أن خطورتها تتجه إلى شيء كامن في الإنسان، وهي رغبته في فقدان الحدود والهوية، والتحرك خارج جميع المنظومات إلا المنظومة الطبيعية المادية، وهذه الحضارة العولمية ليست معادية للحضارات الشرقية وحسب، وإنما معادية للحضارة الغربية ذاتها، ولأي أشكال حضارية إنسانية تتجاوز سطح المادة وتعالى على الطبيعة وتفلت من قبضة الصيرورة.[(4)]

فخطاب العولمة لولا مساندة القوة المادية لما استطاع أن يمتد في أي زاوية من العالم، فما هو إلا محاولة ارتدادية من أجل استعادة الهيمنة الغربية وقوة الفكرة التي كان يتحدث بها من كانوا يبشرون العالم بالغلبة الحضارية الغربية في بدايات القرن السابع عشر والثامن عشر، أما اليوم فإنما هيمنتهم ظاهرية قد تستمر عقودا ولكنها لا تزيد شيئا للقيم الحضارية الإنسانية مثلما كان يطمح الأوروبي في الثلاثة قرون الماضية.

وتحتل مكانة الإنسان في تشكيل مشاريع الرفض الحجر الأم والزاوية الأكثر بحثا وتحكيما، ذاك أن هذا النموذج الغربي يريد أن يكون الإنسان عبارة عن منظومة من الوقائع والوسائل، ومعلوم أن منظومة من هذا النوع تكون مردودة إلى جملة من الحركات الطبيعية المحكومة في كلياتها بنسق من القوانين الثابتة، أي تكون منظومة آلية، فإذن يكون الإنسان في نهاية المطاف عبارة عن آلة وكفى.[5]

---

[1]- عبد الإله بلقزيز، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، **المستقبل العربي**، العدد 231 .بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، ص99

[2]- عمار جيدل وآخرون، ص 21

[3]- سعيد فكرة، "العولمة وانعكاساتها على الثقافة الإسلامية"، **ملتقى العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية**، المجلس الإسلامي الأعلى. الجزائر،مايو 2004، ص 4

[4]- إبراهيم محمود عبد الباقي، **الخطاب العربي المعاصر: عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية**، ط1. فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008، ص 321

[5]- طه عبد الرحمن ، **حوارات من أجل المستقبل**، ط1.بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2011، ص 165

وبالتالي فحالة الرفض التي تأسست داخل هذا البراديغم وخارجه، انطلقت من أن الاختلاف والتمايز والمشترك الإنساني لا يصنعه التفرد والنمذجة بقدر ما تصنعه التبادلات والانهيارات الفكرية والفكروية من داخل العولمة، وبذلك تشتد فكرة أن العولمة لا تصلح لنا في إطار تحاورنا مع ثقافات أخرى وحضارات أخرى، وبهذا فالنقاش عن المفاهيم التي تعالج مضامين مبدأ الحوار والتثاقف وغيرها من المفاهيم التي تظهر الشراكة الإنسانية في هذا العالم، تدفع للبحث عن الإطار النظري والواقعي المعبر عن المشروع المناسب لمثل هذه الشراكة الإنسانية يكون بعيدا عن النظرة الواحدية وعن المشروع الفريد، وهو ما يجعل من استعمال المصطلح أو المفهوم أو المشروع البديل الذي يحمل في طياته مثل هذه المدلولات ونعني بذلك **"العالمية"** هو الذي يضع مسارات الاستبدال لهذا النموذج المعرفي وضوابطه الحضارية المنقولة من فضائها إلى المجال الإنساني بصفتها الأنموذج الأكثر اتصالا بالمدنية والديمقراطية والتنمية، وهو ما يجعل فهم "البراديغم البديل" أمرا هاما وملزما لدعاة الرفض للنمذجة الغربية المعولمة.

فالعالمية بمضمونها اللغوي نجد أنها تأثرت بما تعيشه المجالات الحضارية الهامشية-النظرة الغربية المهيمنة- فهي بقت من غير تطوير نقدي ومجالي ومفاهيمي، إلا أن ذلك لم ينزع عنها بناءها اللغوي الدال على تنوع حتى في مرادفات الكلمة سواء في حال استعمالها لفظا أو مفهوما أو حتى منطلقا فكريا فهي قابلة للتنوع والاشتراك، ولذلك نجد من هذه المرادفات الأممي والإنساني والناس، والتي تفيد معاني عدة منها: الشمول والوحدة والانتشار والعموم والكلية والجماعة والاطراد والاشتراك وغيرها من المعاني.[(1)]

أما عن المعنى الاصطلاحي لها فنجده مختصرا وعميقا لدى **محمد أبو القاسم حاج حمد**[(*)] (1942- 2004 /1336-1425هـ) و الذي يعرفها تحت عنوان **[مقدمات قيام العالمية الإسلامية الثانية]** بقوله : (مشروعنا يشكل بديلا عن القراءات الأخرى ولكنه يكشف جانبا لم تستطع القراءات الأخرى الوصول إليه بحكم التزامها بمناهج وضعية جزئية تهمل البعد الكوني في وجود الإنسان وحركته، وما يتضمنه هذا البعد الكوني من تفاعل جدلي بالغيب)[(2)]، فالأستاذ من خلال تعريفه أورد مجموعة من المفاهيم والمبادئ كما أوضح الخلاف الفلسفي بين المشروعين العالمي الغربي و العالمي من جهة أخرى، فالمبادئ التي بنى عليها **أبو القاسم حاج حمد** عالميته هي :

- اعتبار أن العالمية الإسلامية هي قراءة مغايرة على غيرها من القراءات الوضعية الحديثة منها والقديمة.
- اقتصار مشروع عالميته على جوانب ينفرد بها عن سواها من مشاريع العولمة أو العالمية الغربية.
- حضور البعد الغيبي في صلب المشروع العالمي الإسلامي، وما يحويه هذا البعد من جدالات فكرية وإنسانية ودينية واسعة.
- قصور المشاريع العولمية والعالمية الغربية على فهم الإنسان وحركته وذلك بسبب إغفالها للبعد الغيبي المتحكم في كوامن الكون، والذي لا يمكن إدراكه – التحكم- إلا من خلال إعمالٍ لأبعادٍ دينية تكون مدركة لحقيقة وجود الكون واثر الغيب فيه.

وبتوضيح أكثر لقول **الفيلسوف أبو القاسم** نورد ما قاله في موضع آخر من كتابه الموسوم (العالمية الإسلامية الثانية) بقوله: (إن عالمية اليوم تتداخل فيها تجارب كل الشعوب وليس لمعظمها فقط)[(3)]، وبكل تبسيط فالعالمية هي التي تعني

1- قاسم حجاج ، **المرجع السابق الذكر**، ص 66

*- أبو القاسم حاج حمد مفكر إسلامي سوداني، صاحب مدرسة فكرية تدعو إلى وجوب الجمع بين القراءتين قراءة الكون وقراءة الوحي، له العديد من المؤلفات التي تعنى بالدراسات القرآنية والفلسفية الإسلامية ، منها الكتاب المذكور، والمنهجية القرآن المعرفية، الأزمة الفكرية الحضارية في الواقع العربي الراهن، وله كتابات ومداخلات عديدة في ملتقيات ومؤتمرات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

2- محمد أبو القاسم حاج حمد، **العالمية الإسلامية الثانية** ، ج1 ، ط2. بيروت: دار ابن حزم، 1996، ص 162.

3- محمد أبو القاسم حاج حمد، **المرجع السابق الذكر**، ص 23

الاعتراف بالتنوع بصفة عامة، لأن المراد من الأول –العولمة- تغليب رأي على سائر الآراء أما الثاني -العالمية- فيعني التفتح على العالم بكل مكوناته.[1] أي أنها توجّه نحو اللاّمركزية الكونية وأنها تمثل حالة من التفاوض الإنساني التي ستقود إلى تعددية اجتماعية وسياسية وفكرية وحتى منهجية.

فالعالمية نزعة إنسانية توجه التفاعل بين الحضارات، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين مختلف الأمم والشعوب، والحضارة العالمية نزوع عالمي يرى التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون، فهي تعني الاعتراف المتبادل, والاعتراف بالأدوار, بحيث يكون العالم منفتحاً على بعضه مع الاحتفاظ بتنوعاته, فالعالمية لا تعني الهيمنة الاقتصادية، كما لا تعني في الوقت نفسه أيضاً الهيمنة الثقافية, وإنما تعني التنوع، وانفتاح الثقافة الخاصة على الثقافات الأخرى. فحمولة مفهوم أو مشروع العالمية هي المشترك الإنساني من دون رفض أو فرض، هي التقاء لمسارات متعددة ومشارب متنوعة، تتجه نحو توسيع قبول الاختلاف ورفض النمذجة والقولبة، هي استيعاب العالم كله رغم اختلافاته وحفاظه على خصوصياته، وبذلك يكون للعالمية موقع متقدم في إزاحة التمركز الغربي على الأنماط الثقافية المختلفة، وفتح المجال أمام تشكلات سياسية واقتصادية متنوعة، وصناعة خطوط انبعاث جديدة لفكرة التثاقف. من كل هذا يكون مشروع الاستبدال قائما على الرفض للأنماط الجاهزة وللفكرة الأوحدية لا المتنوعة، وهو ما يعطي للعالمية مشروعية وزخما في الحركة الإنسانية داخل المجتمعات وداخل النواة الاجتماعية الأولى. هذا الاستبدال الذي عالجته فكرة العالمية، يجعل من احترام الخصوصية الثقافية مرتكزا أساسيا ومهما في تحويل رغبة التشكيل الموحد في العولمة إلى رغبة في التشارك الإنساني في مشروع العالمية.

2. التنوعية ضمن العالمية: بنية ثورية

تعتمد التنوعية[*] على جذر فلسفي عميق قائم على أن الله تعالى قد خلق الكون متنوعا، وكذلك الإنسان المقابل له، وبالتالي اعتبار أن التنوع أمرا واقعا في البناء الكوني بحكم السنن الإلهية في الطبيعة وفي البناء التعبدي[2]، وبالتالي ففهم هذا الوضع الكوني وإدراكه تأثيراته على المجتمعات كما الأفراد، يجعل من تنامي مساحات التلاقي والانسجام الإنساني ممكنة وواقعة، ذلك أن التنوع الإنساني موجه التعارف وهو ما يؤدي إلى التآلف وهو ما يؤدي التآخي وبدوره يؤدي إلى التعاون على الفعل الحضاري.[3]

وبتحقيق فعلي في فهم مشروع الرفض القائم إنسانيا، نجد أن من مقامات التنوعية ما يمكن أن يؤكده قول (المهماتا غاندي) " إنني أقبل أن تغمرني جميع الثقافات الموجودة، لكنني لا أقبل أن تدهسني واحدة منها"، "فهذا تأكيد على أن الوعي باستقلالية التجربة المجتمعية والمحلية والإقليمية، وموروثها وأنماط التوافقات الاجتماعية المعلنة أو المضمرة، والقيم الناظمة للسلوك ومعايير الاستحسان والرفض"[4] هو مدخل فهم بنية الخصوصية لكل مجتمع وحضارة، وهي أيضا كل أشكال التعبير الفني والمعايير الجمالية والمتمثلات السيكولوجية والمعتقدات الروحية والطقوس الدينية والمنظومات القيمية وأنماط العيش الخاصة. فهل العولمة اغتصاب لتلك العناصر مجتمعة وإفراغ لها من كل محتوى قصد تفتيتها وتشتيتها بربط الأفراد بعالم اللاوطن واللاأمة واللادولة واللاخصوصية؟[5] وهو ما نجد الخصوصية كبينة ثورية تتعمد على

1- عمار جيدل وآخرون، **المرجع السابق الذكر**، ص 4

*- تم اختيار المصطلح لما فيه من حمولة حضارية إسلامية متحيزة، بدلا عن مصطلح (التعددية).

2- طه جابر العلواني، **الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط1. بيروت: دار الهادي، 2003، ص 27-28

3- **نفس المرجع** ، ص 29

4- خالد الحروب، "العالم العربي: العولمة وجدل الهوية: من الخصوصية إلى الإعاقة التاريخية؟" أنظر: http://ar.qantara.de/content/llm-lrby-lwlm-wjdl-lhwy-mn-lkhswsy-l-lq-ltrykhy

5- سالم يفوت، "هويتنا الثقافية والعولمة: نحو تناول نقدي"، أنظر: http://www.aljabriabed.net/n11_3fikryafut.htm

فواعل هامة تكسر حواجز الإنعتاق من هذه الميكانيزمات المفككة والمفرغة للتنوع الإنساني ورافضة له من منطلق مبناها المعرفي الذي لا يقبل إلا بالصورة الأحادية و النمط الفريد.

وبذلك فإننا نجمع أو نجمل "ثورة الخصوصية" الواجب الانطلاق منها في تعبئة الجهد الإنساني تقوم على 05 أسئلة رئيسية هي:

سؤال الإنية(الهوية): حيث يسعى المواطن إلى تعريف ذاته وانتماءاته على أساس القطر واللغة والديانة، ، كون هذا السؤال يشكل أصلا معرفيا يمنعنا من الانهار.

سؤال التراث: ويتضمن التساؤل عن أبرز الرموز التاريخية التي يستعيدها الأفراد ويعتزون بها، و يكون هذا من دون تخلص منه أو رفضه والتخلي عنه، لكون أحد مكونات سؤال الهوية.

سؤال الواقع: وهو تساؤل الأمم عن واقعها المعيش وعن مدى تخلفها أو تقدمها عن بقية الأمم ومعيار ذلك التقدم والتخلف. ويظهر هذا السؤال في المصطلح السياسي في التعميم الذي يفرضه النموذج المعرفي الغربي، فهو معيار اجتمع عليه الغرب لفرض أمر واقع على المجتمعات والثقافات الأخرى المختلف عنه على أساس أن التقدم والتخلف هو من يحدد معاييره وبالتالي وجب على المتخلف لإتباع المتقدم .

سؤال الفرصة البديلة: ويتعلق بالخيارات المطروحة، مدى التعارض بينها، وهو يطرح قضية البدائل المتنافسة. ولكن من غير المعقول أن يكون البديل في حالة هو بديل من متسلط على آخر أكثر تسلطا.

سؤال المستقبل: ويتعلق بتأثير هذا الاسترداد الثقافي من الآخر إلى هويتنا على اعتبار أن الضفة الأخرى التي يجب أن تعبر عن كيانها وتحميه، وهذا السؤال لا يطرحه العالم العربي بقدر ما تطرحه كل الثقافات المختلفة في هذا العالم.(1)

وحتى تكون "ثورات الخصوصية" مفهوما تحليليا ومتغيرا ميدانيا وليس قيمة معيارية، وتستطيع أن تحقق مناهضة التنميط المعولم، يتوجب أن نضعها في الإطار التشغيلي الذي يضمن للمجتمع الإنساني تنوعه الحضاري والثقافي، ويتجاوز الرؤية المادية والاقتصادية والسياسية إلى مضامينها الفكرية والفكروية، لأن الأثر المرتبط بأداءات المنتظمات السياسية والاقتصادية، يسهل رصده وفهمه، وقد يكون من القدرة التجاوب معه أو حتى تجاوزه والتأثير فيه بصور واقعية وممكنة.

إلا أن الأثر الذي يغلب التخوف منه كما أسلفنا سابقا يتشكل في القوة الناعمة والقذيفة السحرية التي تصنعها العولمة في الفكر والثقافة والإنسان، وبالتالي فالآلية التفعيلية التشغيلية لبنى ثورة الخصوصية لا نربطه فقط بالمجال الإسلامي والعربي، بل المقصود منه تفعيل المحاور الخمسة للخصوصية على مستوى كل الثقافات و الحضارات، وفرض مبادئ التحاور والتفاوض والتشكيل المتناسب والمتكافئ للعالم من دون إكراه أو إرغام، وهو ما قد يدفع "الفكر" إلى أخذ موقعه في هذا التشغيل، وهو ما يشير له طه عبد الرحمن بقوله: (تراني أسلم من غير تردد أن الفكر سيكون له شأن لا يقل عن شأن الاقتصاد في التعولم الجديد...لأن الإنسان قادر على أن ينتزع هذه المكانة منها بفضل قدرته على أن يبدع قيما أقوى من القيم التي تفرزها، وأنه لا يضعف حيث تضعف، إذ قد تتعثر حيث لا يتعثر).(2)

الخاتمة

أخيرا، فإن مفتاح التشغيل ومسببات بعث هذه الخصوصية داخل براديغم العولمة لا يليق به أن يعجز في كل ساحات الصراع التي تفرض فيها قوى العولمة ومشاريعها نفسها كمرجعية نهائية، بل إن مجال ومنطقة (الفكر) أو لنقل منطقة (الصراع الفكري) يليق أن تكون ممكنة لمن يسعى إلى مواجهة هذا الغالب الوقتي، وأن يسعى غلى البحث و الابتكار لقيم وأخلاقيات ومنهجيات تسهم في توطين هذه الخصوصية داخل هذا العالم المعولم، والتمسك في كل هذا يكون بأن (سنن

1- معتز بالله عبد الفتاح، "قراءات في مؤشرات الخصوصية الثقافية"، **مؤتمر الخصوصية الثقافية : نحو تفعيل التغيير السياسي والاجتماعي**، القاهرة، سبتمبر 2006، ص 02

2- طه عبد الرحمن، ص 166

التدافع) هي من سيجعل من مسارات الرفض والمناهضة قادرة على التحرك والثبات داخل منظومة الكوكبة التي وضعت أيقونات وتنميطات كان لزاما تجاوزها والخروج عن طوعها.

قائمة المراجع

الكتب

- أبو القاسم حاج حمد، محمد ، **العالمية الإسلامية الثانية** ، ج1 ، ط2. (بيروت: دار ابن حزم، 1996)
- المسيري ، عبد الوهاب ، **إشكالية التحيز**،ج1، ط1. (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995)
- جيدل، عمار وآخرون، **العولمة من منظور شرعي**،ط1.(عمان: دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، 2002)
- حجاج، قاسم، **العالمية والعولمة: نحو عالمية تعددية وعولمة إنسانية**، ط1.(غرداية:المطبعة العربية،2003)
- طه جابر العلواني، **الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر**، ط1. (بيروت:دار الهادي، 2003)
- محمود عبد الباقي، إبراهيم ، **الخطاب العربي المعاصر: عوامل البناء الحضاري في الكتابات العربية**، ط1. (فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2008)
- عبد الرحمن، طه ، **حوارات من أجل المستقبل**، ط1.(بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2011)
- Pierre Salles, **Problèmes Economiques Généraux**, Tome2. Paris :edition Dunod, 1977

المقالات

- بلقزيز،عبد الإله ، "عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة؟"، **المستقبل العربي**، 231، (1998)، ص 99
- **ملتقيات**
- جيدل، عمار ،"سؤال الهوية الثقافية في زمن العولمة". **ملتقى العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية**،المجلس الإسلامي الأعلى. الجزائر،مايو 2004
- فكرة، سعيد ، "العولمة وانعكاساتها على الثقافة الإسلامية"، **ملتقى العولمة وأثرها على الثقافة الإسلامية**، المجلس الإسلامي الأعلى. الجزائر،مايو 2004
- عبد الفتاح، معتز بالله ، "قراءات في مؤشرات الخصوصية الثقافية"، **مؤتمر الخصوصية الثقافية: نحو تفعيل التغيير السياسي والاجتماعي**، القاهرة، سبتمبر 2006

التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي
دراسة ميدانية مقارنة في التعليم المتوسط

د. خلفان رشيد –أ.مباركي محند أورابح
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة مولود معمري تيزي وزو

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الفروق الموجودة في التوافق الدراسي، و في أبعاده الثلاثة الجدّ والاجتهاد، الإذعان والعلاقة بالمدرس لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي، ولبلوغ هذه الدراسة هدفها فقد تم اختيار عينة قوامها (147) تلميذا من كلا الجنسين يدرسون في السنة الثالثة متوسط، ولجمع المعطيات اعتمدنا على مقياس التوافق الدراسي ومقياس العنف المدرسي.

أظهرت نتائج هذه الدراسة أنّ هناك فروق في التوافق الدراسي و في أبعاده الثلاثة الجدّ والاجتهاد، الإذعان والعلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.

Summary :
This study aims to identify the differences between violent and nonviolent students in school adjustment, including its three dimensions, seriousness in work, compliance, and the relationship with the teacher. To achieve this objective we chose a sample of (147) students from two middle third year of equality from a rural environment. For data collection we used two tests, one for school adjustment, and another for school violence.
The results of the study show that there are differences in school adjustment and its three dimensions between violent and non-violent pupils schooled in rural areas.

- **مقدمة :** شغل موضوع التوافق حيزا كبيرا في البحوث و الدراسات لأهميته في حياة الإنسان بصفة عامة، وحياة المتعلم بصفة خاصة كونه من أهم المعايير الذي يلعب دورا لا يستهان به في نجاح الفرد أو فشله كما أنّ الإنسان يعيش في بيئة مادية واجتماعية متغيّرة لا تسير دائما وفق ما يشتهي ، وكثيرا ما تواجهه مشكلات تتحدّاه فتنبّه سلوكه، محاولا أن يجد لمشكلته حلا يرضي عنه ، ويحقق رغباته ، ويصلح من أمره ولا يضر غيره ، وكثيرا ما يكون إدراك جل هذه المطالب أمرا عسيرا أو بعيد المنال ، فإن لم يوفق الفرد لجأ إلى حل وسط ينطوي على أفضل ترضية وأنسب تسوية فإن أخفق أصابته أعراض سوء التوافق وهي كثيرة(دويدار ،1994)، حيث أنّ معظم سلوك الإنسان هو محاولات من جانبه لتحقيق توافقه مع البيئة إمّا على المستوى الشخصي أو على المستوى الاجتماعي ، كما أنّ مظاهر عدم السواء في معظمها ليست إلاّ تعبيرا عن سوء التوافق أو الفشل في تحقيقه. والتوافق السليم يقاس بمدى قدرة الفرد على مواجهة هذه المشكلات وحلّها والحياة معها، فالمشاكل والعقبات أمر عادي في حياة الفرد والأمر غير العادي هو فشل الفرد في حل هذه المشكلات أو عجزه أن يتعلم كيف يعيش معها مستقبلا لها أو جنوحه إلى أساليب شاذة من السلوك إذا تعذّر عليه حلّها .

فالتوافق بهذا المعنى ضروري لكل فرد في كل مرحلة من مراحل النموّ ، ولكنّه في مرحلة المراهقة أكثر ضرورة وذلك نتيجة لمّا يمر به المراهق من صراعات وتغيرات كبيرة ، ولهذا يرى العلماء أمثال (ستانلي هل) أنّ المراهقة مرحلة تأزم وضغوط ، تولد فيها شخصية الإنسان من جديد (الزغبي،2001).

1 – الإشكالية: يعتبر التوافق الجيّد في البيئة المدرسة مؤشرا إيجابيا ودافعا قويا يدفع التلاميذ إلى التحصيل ، بل ويجعل العملية التعليمية خبرة ممتعة وجذابة ، فالعكس بالنسبة للتلاميذ سيئي التوافق فهم يعانون دائما من توتر نفسي ويعبرون عن تلك التوترات بطرق متعددة كالحيل الدفاعية التي تزيد من آلامهم وينعكس ذلك على تحصيلهم وتوافقهم(الزغبي،2001) حيث أنّ الذين يعانون من مشكلات في التوافق الدراسي يزداد لديهم خطر انخفاض التوافق الاجتماعي والاضطرابات النفسية ، وهذا ما أشارت إليه دراسة (جميعان ،1983) إلى أنّ الطلبة المتفوقين هم أكثر تكيفا و

توافقا من الطلبة المتأخرين دراسيا ، كما يرى (شحيمي،1994) أنّ ترك الدراسة غالبا ما يكون مسبوقا بفشل في التوافق الدراسي ، وكذلك أشارت دراسة (أماني محمد ناصر،2006) إلى أنّ أكثر مشاكل الطلبة التي تثير قلق المدرسين وإدارة المدرسة وتؤثر سلبا على الطالب هي اضطراب العلاقة بين الطلبة والمدرسين (أورد في: صاحب أسعد ويس ،2010). و مشكلات التوافق الدراسي هي التي تولّد في الأخير مشكلة العنف في الوسط المدرسي التي تطوّرت وازدادت أشكاله في الآونة الأخيرة وفي كافة الأطوار التعليمية والمتمثل في السّب والشتم والضرب والتهديد والتخريب.

ولقد زاد الاهتمام بدراسة العنف في الوسط المدرسي لما له من تأثيرات سلبية على النمّو النفسي والتربوي للتلاميذ فقد أصبحت هذه المشكلة من الموضوعات الأكثر أهمية على الصعيد الدولي ومحور اهتمام القائمين على العملية التربوية وكذلك الأولياء وعلماء التربية(أورد في: معتز،1997).

ومن هنا فإنّ الاهتمام بدراسة التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين تمليه علينا الظروف الصعبة التي أصبحت تمر بها مؤسساتنا التعليمية من جراء السلوكات العنيفة التي يبديها معظم التلاميذ ، وعدم توافقهم الدراسي الذي يؤدي في غالب الأحيان إلى ضياع الحصص الدراسية وتعطيل سير الأداء ممّا ينجم من جل هذه المظاهر من تسرب وفشل دراسي، و لهدف تحقيق هذه الدراسة أهدافها فقد تم طرح الأسئلة التالية:

- هل هناك فروق في التوافق الدراسي بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي ؟
- هل هناك فروق في الجدّ والاجتهاد بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي ؟
- هل هناك فروق في الإذعان بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي ؟
- هل هناك فروق في العلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي ؟

2- فرضيات البحث:

- توجد فروق في التوافق الدراسي بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.
- توجد فروق في الجدّ والاجتهاد بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.
- توجد فروق في الإذعان بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.
- توجد فروق في العلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.

3- أهداف البحث: إنّ من بين الأهداف التي تسعى إليها هذه الدراسة هو معرفة الفروق الموجودة في التوافق الدراسي وفي أبعاده الثلاثة الجدّ والاجتهاد، الإذعان والعلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي.

4- تحديد المفاهيم إجرائيا:

4-1- التوافق الدراسي: نتبنى في هذه الدراسة التعريف الذي قدّمه (يونجمان) للتوافق الدراسي والذي يشمل على الأبعاد الثلاثة الجدّ والاجتهاد، الإذعان، العلاقة بالمدرس، ومن خلال الدرجة الكلية والمتفقة مع مفتاح التصحيح التي يتحصل عليها التلاميذ في هذا المقياس.

4-2- التلميذ العنيف:هي مجموع الدرجات العليا التي يتحصل عليها التلميذ في مقياس العنف المدرسي لـ (أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة ،2007) والتي تتراوح بين { 29 – 58{ والذي يتضمن العنف الموجّه نحو الذات ، العنف الموجّه نحو الآخرين والعنف الموجّه نحو الممتلكات المدرسية.

4-3- التلميذ غير العنيف:هي مجموع الدرجات الدنيا التي يتحصل عليها التلميذ في مقياس العنف المدرسي لـ (أحمد رشيد عبد الرحيم زيادة ،2007) والتي تتراوح بين { 0 – 28{ والذي يتضمن العنف الموجّه نحو الذات ، العنف الموجّه نحو الآخرين والعنف الموجّه نحو الممتلكات المدرسية.

- **الاطار النظري للدراسة:**

1- مفهوم التوافق الدراسي: يشير كل من (Crow & Crow) إلى أنّ التوافق الدراسي هو في الأساس توافق نفسي ، وإنّما يكون بالرجوع إلى البيئة المدرسية ومحاولة الوصول إلى حالة الاتزان مع عناصرها الطبيعية والاجتماعية وتحقيق درجة عالية من الكفاءة فيها ، وأنّه لا يمكن اعتبار توافق الطالب مع الخبرات المدرسية جزءا منفصلا عن توافقه مع الحياة خارج المدرسة على الرغم من أن نجاح الفرد في المدرسة يتأثر بمدى ملائمة المنهج المدرسي والاتجاه نحو المعلمين ونوعية وحجم الإرشاد التربوي الذي تتيحه المدرسة (أورد في: علي الضو، 2013).

أمّا (طارق رؤوف ،1974) فيعرف التوافق الدراسي على أنّه : " قدرة الطالب على تحقيق حاجاته الاجتماعية من خلال علاقاته مع زملائه ومع مدرسيه ومع المدرسة وإدارتها ، ومن خلال مساهمته في ألوان النشاط الاجتماعي المدرسي بشكل يؤثر في صحته النفسية وفي تكامله الاجتماعي " (أورد في: مصطفى الصفطى، نبيلة ميخائيل مكارى، بدون سنة).

2- أبعاد التوافق الدراسي: أشار(عبد الرحيم شقورة ،2002) إلى أبعاد التوافق الدراسي والمتمثلة في:

- الاتجاه الإيجابي نحو الدراسة:

فالطالب المتوافق هو الذي ينكب على الدراسة بشكل جدّي ، ويرى فيها المتعة كما أنّه يؤمن بأهمية المواد الدراسية المقررة.

- العلاقة بالمدرسين:

الطالب المتوافق كذلك هو الذي يحترم مدرسيه ويقدرهم ويقدر الدور الذي يقومون به كما أنّه يتبع تعليماتهم وينفذها ويسأل مدرسيه ويتحدث معهم ، ويعتبرهم قدوة يجب الاقتداء بهم.

- العلاقة بالزملاء:

قيام الطالب علاقة زمالة أساسها الودّ والاحترام المتبادل مع زملائه داخل وخارج المدرسة كما أنّه يبدي اهتماما بهم ويساعدهم في حل مشاكلهم الدراسية والشخصية.

- تنظيم الوقت:

حيث نجد الطالب المتوافق هو ذلك التلميذ الذي ينظم وقته بشكل متزن ويقسمه إلى أوقات للمذاكرة وأوقات للأنشطة الاجتماعية والترفيهية ، وهو الذي يسيطر على وقته ولا يجعل الوقت يسيطر عليه، كما أنّه يقدر أهمية الوقت وقيمته.

- طريقة الدراسة:

اتباعه لطرق مختلفة في الدراسة تتلاءم مع المادة الدراسية التي يدرسها ، ويقوم بعمل ملخصات واستنتاجات ،كما أنّه قادر على تحديد النقاط الهامة والتركيز عليها أثناء المراجعة.

- ارتياد المكتبة:

فالطالب المتوافق نجده يرتاد المكتبة باستمرار ويمضي فيها أوقات فراغه ويستعير الكتب والمجلات والمراجع العلمية ويبحث فيها عن المعلومات اللاّزمة للدراسة وكتابة الأبحاث والتقارير والواجبات.

- التميز الدراسي:

ومن صفات المتوافق دراسيا كذلك أنّه متميّز دراسيا ، وهو الذي يتحصل على درجات عالية في الاختبارات المختلفة ويظهر ذلك من خلال سجلات وكشوف الدرجات الفصلية.

3 - مفهوم العنف المدرسي: فيعرف (Dubet ,1998) العنف المدرسي على أنّه :" مجموعة السلوكات غير المقبولة في المدرسة بحيث يؤثر على النظام العام للمدرسة ويعيق العملية التعليمية داخل الفصل ، ويؤدي إلى نتائج سلبية بخصوص التحصيل الدراسي ، ويتمثل في العنف المادي كالضرب والمشاجرة والسطو أو تخريب الممتلكات المدرسية ، الكتابة على

الجدران والطاولات الدراسية، والاعتداء الجنسي والقتل والانتحار وحمل السلاح ، والعنف المعنوي كالسب والشتم والسخرية والاستهزاء والعصيات، بالإضافة إلى إثارة الفوضى بشتى طرقها " (أورد في: Dubet, 1998).

أمّا (Debarbieu,1996) فيرى أنّ العنف المدرسي هو المساس بالنظام ومكونات المنظومة التربوية التي تتميّز بقيم ومعايير اجتماعية وكذا المساس بالكيان الشخصي للفرد.

4- أشكال العنف المدرسي: بالنسبة لـ (Dubet, 1998).فإنّه يميّز بين ثلاثة أنماط من العنف المدرسي وهي:

- **العنف الخارجي داخل المدرسة:** يشمل كل أنماط العنف المشاهدة في المدرسة ، فهي ليست بالضرورة عنفا مدرسيا فبالإمكان أن تكون امتداد للتصرفات العنيفة الخارجية داخل المدرسة.

- **العنف داخل المدرسة:** فهو ينتج عن ديمقراطية وتوسيع قاعدة التعليم على اعتبار أنّ طبائع متعددة ستلتقي داخل المدرسة وبالتالي فإنّ عناصر حياتهم ، شخصياتهم وخلفياتهم النفسية والاجتماعية ستؤثر في علاقاتهم مع بعضهم البعض من جهة ومع أفراد الجماعة التربوية من جهة أخرى ، وهكذا فتصرفاتهم الحياتية ستؤثر في أنماط سلوكهم المدرسي.

- **العنف ضد المدرسة:** حيث تبرز فيه سلوكات مشكلة ضد المدرسة ، بحيث توجّه مباشرة ضد النسق المدرسي (المدرسة ، الأساتذة ، التلاميذ المندمجون في قيم المدرسة) (فوزي أحمد بن دريدي ،2007،ص.38).

- **الدراسة الميدانية :**

1- ميدان البحث :

تمثل ميدان البحث لهذه الدراسة في ثلاثة متوسطات ريفية من ولاية تيزي وزو اختيرت بطريقة قصدية، وقد تمثلت هذه المتوسطات في متوسطة الأخوين أيت أعمر مزيان ببوعبد الرحمان، متوسطة أوسماعيل قاسي، متوسطة أيت تودرت.

2- منهج الدراسة :

تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي يصف الحقائق الراهنة والمتعلقة بطبيعة الظاهرة وتفسيرها، كما يعتبر كذلك المنهج الأنسب في البحوث الإنسانية والاجتماعية.

3- عينة الدراسة :

تكونت عينة البحث من تلاميذ السنة الثالثة متوسط يدرسون في ثلاث متوسطات، وقد شملت على (147) تلميذا وتلميذة من مجتمع أصلي قدر بـ(269) تلميذ من كلا الجنسين، فمن حيث اختيار العينة في المتوسطات الثلاث فقد كانت كالآتي بالنسبة لمتوسطة بوعبد الرحمان من مجتمع أصلي قدّر بـ(95) تلميذ تم اختيار عينة متكوّنة من (63) تلميذ ،وفي متوسطة أوسماعيل قاسي من مجتمع أصلي قدّر بـ (73) تم اختيار عيّنة من (31) تلميذ ،أمّا في متوسطة أيت تودرت فمن مجتمع أصلي قدّر بـ (101) تم اختيار عيّنة من (53)، وقد تم اختيارهم بالطريقة العشوائية حيث من كل متوسطة تم اختيار قسمين كانوا في فترة استراحة، ولعدم عرقلة سير الحصص البيداغوجية بالنسبة للأقسام الأخرى ،كما يعود اختيارنا لتلاميذ السنة الثالثة متوسط كون هؤلاء التلاميذ قد تأقلموا مع محيط المتوسطة ، كما أنّهم غير معنيين بامتحان شهادة التعليم المتوسط والذي يسبب للتلاميذ القلق ولتجنب الاجابات العشوائية من طرف المبحوثين.

جدول رقم (1) يمثل توزيع العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	63	%43
إناث	84	%57
المجموع	147	%100

4- أدوات جمع البيانات :

4-1- مقياس التوافق الدراسي لـ (يونجمان):

يتكون المقياس الذي ألفه (يونجمان) وترجمه (حسن عبد العزيز الدريني) من أربعين وحدة طبق على عينتي من الطلبة في المدرسة الثانوية بدولة قطر ،تكونت الأولى من (374) والثانية من (288) تلميذ وقد راعى عند وضعه للوحدات أن تقيس الأبعاد الثلاث الآتية: الجد والاجتهاد، الإذعان، العلاقة بالمدرس.

وبتحليل الوحدات التي تقيس الأبعاد الثلاثة ، وباستخدام العينة الثانية تمكن المؤلف من التوصل إلى (34) عبارة التي يتضمن المقياس الحالي.

- **كيفية تطبيق المقياس:**يصحح المقياس بإعطاء درجة واحدة(01) في حالة الإجابة على الدرجة المتفقة مع مفتاح التصحيح ، ودرجة الصفر(0) أمام الإجابة التي تخالف المفتاح مع العلم أن أدنى الدرجات هي الصفر وأعلاها (34)،

وللحصول على العلامة الكلية للمقياس نجمع علامات المقاييس الفرعية.العلامة الكلية = علامة(أ) + علامة(ب) +علامة(ج) ، أمّا في الدراسة الحالية فقد تم حساب ثبات المقياس على العينة الاستطلاعية المتكونة من (40) تلميذ وتلميذة يدرسون في السنة الثالثة من التعليم المتوسط ، وبحساب معامل الارتباط بيرسون فقد بلغ معامل الارتباط بـ (0.77). أمّا صدق المقياس فقد حسبناه بطريقة الصدق الذاتي الذي يعتمد على الجذر التربيعي لمعامل الثبات الذي حسبناه بطريقة التجزئة النصفية الذي قدر بـ (0.87) وهو مؤشر قوي بالنسبة لصدق هذا المقياس.

4-2- مقياس العنف المدرسي لأحمد رشيد عبد الرحيم زيادة (2007) : قام الباحث بتطوير مقياس العنف المدرسي ، وقد استعان بالعديد من الدراسات السابقة والمقاييس التي تناولت سلوك العنف وأطلع عليها منها :

- مقياس الاتجاه نحو العنف (محمد خضر 1992). - مقياس الاستهداف للعنف (سميحة نصر 1995). - مقياس سلوك العنف (أحمد السحيمي 1998). - مقياس سلوك العنف (محمد خضر 1999). وقد تضمن هذا المقياس ثلاثة أبعاد (العنف الموجه نحو الذات ، العنف الموجه نحو الآخرين ، العنف الموجه نحو الممتلكات) وبهذا فقد تم تثبيت المقياس بشكله النهائي على (30) عبارة ، حيث احتوى كل بعد على (10) عبارات ، كما أنّ طريقة التصحيح فتكون الاستجابة لكلّ عبارة بإحدى الإجابات التالية (نعم ، أحيانا ، لا) بحيث تأخذ العبارة (نعم درجتين ، أحيانا درجة واحدة ، لا صفر) ، وفي هذه الدراسة فقد تم حساب ثبات المقياس على العينة الاستطلاعية المتكونة من (40) تلميذ وتلميذة يدرسون في السنة الثالثة من التعليم المتوسط ، وبحساب معامل الارتباط بيرسون فقد بلغ معامل الارتباط بـ (0.79) ثم صحح بمعادلة سبيرمان براون فبلغ معامل التصحيح بـ (0.88) وهو مؤشر قوي كذلك بالنسبة لثبات هذا المقياس.

5- أدوات تحليل البيانات :بعد جمع البيانات المتعلقة بموضوع الدراسة من الميدان، اعتمد الباحث في تحليله لهذه البيانات على البرنامج الإحصائي (SPSS). وقد استعان بالأدوات الإحصائية التالية:

- التكرارات و النسب المئوية، المتوسط الحسابي، اختبار (T) للفروق، معامل الارتباط بيرسون.

6- عرض ومناقشة النتائج : فيما يلي سنقوم بعرض النتائج المتحصل عليها من خلال اختبار الفرضيات التي انطلقنا منها كمرحلة أولى، ثم كمرحلة ثانية سنحاول التعليق عليها ومناقشتها.

- جدول رقم (2) يمثل الفروق في التوافق الدراسي بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي:

المتغير	العينة				قيمة – ت-	الدلالة الاحصائية(P)	مستوى الدلالة	الدلالة
	متغير العنف	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
التوافق الدراسي	التلاميذ العنيفين	63	20.23	6.51	6.05	0.00	0.05	دالة
	التلاميذ غير العنيفين	84	25.64	3.22				

يتضح من خلال الجدول رقم (2) والمتعلق بالفروق الموجودة في التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي، أنّ التلاميذ العنيفين يقدر عددهم بـ(63) تلميذ والمتوسط الحسابي لإجاباتهم على مقياس التوافق الدراسي يقدر بـ(20.23) بانحراف معياري (6.51)، أمّا التلاميذ غير العنيفين فيقدر عددهم ب (84) وبمتوسط حسابي (25.64) وبانحراف معياري (3.22). ومن خلال النتائج الأولية تم حساب اختبار (T) للفروق ، حيث تم التوصل إلى أنّ قيمة (T) تقدر بـ (6.05) وعند مقارنة قيمة(P) والتي قدرت بـ (0.00) بمستوى الدلالة (0.05) تبيّن لنا أنّ قيمة (P) أصغر من مستوى الدلالة (0.05) وبالتالي يمكننا القول بأنّه توجد فروق ذات دلالة احصائية في التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي لصالح التلاميذ غير العنيفين.

إنّ النتيجة التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة تتفق مع نتائج دراسة (أحمد عواد وأشرف شريت، 2004) حول الكفاءة الاجتماعية والتوافق الدراسي لدى التلاميذ المتفوّقين وذوي صعوبات التعلّم، فقد أسفرت نتائج هذه الدراسة على وجود فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات التعلّم في أبعاد مقياس الكفاءة الاجتماعية والتوافق المدرسي والدرجة الكلية للمقياس لصالح العاديين. كما تتفق كذلك مع النتيجة التي توصلت إليها الباحثة (مباركة ميدون،2013) حول الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتوافق الدراسي ، فقد بيّنت نتائج هذه الدراسة وجود فروق بين التلاميذ المعيدين وغير المعيدين في التوافق الدراسي. ويمكن تفسير هذه النتيجة أنّ وجود هذه الفروق يمكن أن تعود إلى العوامل الأسرية منها المستوى الثقافي للأسرة ، المشاكل الأسرية وكثرة الخلافات بداخلها كما يمكن أن ترجع كذلك إلى التلميذ نفسه منها ضعف الذكاء العام ووجود عاهات ممّا يؤدي بالتلميذ شعوره بالنقص، و إلى أسباب مدرسية منها ازدحام الأقسام بأعداد كبيرة من التلاميذ وفشل التلميذ في حياته المدرسية وخاصة تكرار الرسوب وكذلك عدم الدقة في توزيع التلاميذ على الأقسام حسب الفروق الفردية وحسب سلوكياتهم بحيث يمكن أن يجتمع أكثر من تلميذ عنيف في قسم واحد، ممّا يخلق اضطراب في العملية التعليمية وعدم توافقهم دراسيا.

- جدول رقم (3) يمثل الفروق في الجدّ والاجتهاد بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي:

المتغير	العينة				قيمة – ت-	الدلالة الاحصائية	مستوى الدلالة	الدلالة
	متغير العنف	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
بعد الجدّ والاجتهاد	التلاميذ العنيفين	63	6.52	2.90	4.60	0.00	0.05	دالة
	التلاميذ غير العنيفين	84	8.47	1.96				

يتضح من خلال الجدول رقم (3) أنّ عدد التلاميذ العنيفين يقدر تكرارهم بـ (63) والمتوسط الحسابي لإجاباتهم على بعد الجدّ والاجتهاد يقدر بـ (6.52) وبانحراف معياري (2.90)، أمّا فيما يخص التلاميذ غير العنيفين فيقدر تكرارهم بـ (84) والمتوسط الحسابي لإجاباتهم كذلك على بعد الجدّ والاجتهاد يقدر بـ (8.47) وانحرافهم المعياري (1.96). ومن خلال النتائج المتوصل إليها تم حساب اختبار(T) للفروق فتبيّنا لنا أنّ قيمة (T) تقدر بـ (4.60) وعند مقارنة قيمة(P) والتي تقدر بـ (0.00) بمستوى الدلالة (0.05) تبيّن لنا أنّ قيمة (P) أصغر من (0.05) وبالتالي يمكننا القول أنّه توجد فروق في الجدّ والاجتهاد بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي لصالح التلاميذ غير العنيفين.

إنّ النتيجة التي تم التوصل إليها من خلال هذه الدراسة تتفق مع دراسة (Chaney & Lilian ,1980) التي بيّنت أنّ الطلبة المتوافقين دراسيا يكون تحصيلهم الدراسي أفضل ويمتلكون قدرات عقلية أفضل وهم أكثر نضجا ويقدرون أنفسهم

ويكونون ذوي سلوك محافظ ومتزن مقارنة بزملائهم ذوي التوافق الدراسي المتدني (أورد في: عبد الرحيم شقورة ،2002). ويمكن تفسير هذه النتيجة أنّ التلميذ غير العنيف ينظم أوقات دراسته كما أنّه يتبع طرقا مختلفة في الدراسة تتلاءم مع المادة الدراسية ويقوم بعمل ملخصات واستنتاجات، كما أنّه قادرا على تحديد النقاط الهامة والتركيز عليها أثناء المراجعة وهذا ما يجعله متوافق ومتفوّق دراسيا على غرار التلميذ العنيف.

- جدول رقم (4) يمثل الفروق في الإذعان بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي:

المتغير	العينة				قيمة – ت-	الدلالة الإحصائية (P)	مستوى الدلالة	الدلالة
	متغير العنف	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
بعد الاذعان	التلاميذ العنيفين	63	12.23	1.74	-10.17	0.00	0.05	دالة
	التلاميذ غير العنيفين	84	8.94	2.07				

يتضح من خلال الجدول رقم (4) أنّ عدد التلاميذ العنيفين يقدر تكرارهم بـ (63) ومتوسطهم الحسابي في بعد الإذعان يقدر بـ (12.23) بانحراف معياري (1.74) ، أمّا فيما يخص التلاميذ غير العنيفين فيقدر تكرارهم بـ (84) ومتوسطهم الحسابي في بعد الإذعان يقدر بـ (8.94) بانحراف معياري (2.07). ومن خلال النتائج المتوصل إليها وبحساب قيمة (T) للفروق تبيّنا لنا أنّ قيمة (T) تقدر بـ (10.17-) وعند مقارنة قيمة(P) والتي تقدر بـ(0.00) بمستوى الدلالة (0.05) تبيّن لنا أنّ قيمة (P) أصغر من (0.05) وبالتالي يمكننا القول أنّه توجد فروق في الاذعان بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي. يمكن تفسير هذه النتيجة بأنّ التلاميذ غير العنيفين هم أكثر توافقا من العنيفين وهم في غالب الأحيان أكثر امتثالا للقوانين المدرسية، وهم أيضا أكثر انضباطا في احترام المواعيد والنمط السائد في المؤسسات التربوية، ولهذا فالنظام التربوي يعتبر امتداد للنظام السائد في الأسرة والتي تفرض نوعا من القيود فيما يخص تحركات أبنائها. وهذا ما أشار إليه (حامد زهران) أنّ التوافق الاجتماعي هو السعادة مع الآخرين والالتزام بأخلاقيات المجتمع ومسايرة المعايير الاجتماعية والامتثال لقواعد الضبط الاجتماعي وتقبل التغيير والتفاعل الاجتماعي السليم والعمل لغير الجماعة ممّا يؤدي إلى الصحة الاجتماعية (أورد في: أحمد حشمت و آخرون،2006).

- جدول رقم (5) يمثل الفروق في العلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي:

المتغير	العينة				قيمة– ت-	الدلالة الإحصائية (P)	مستوى الدلالة	الدلالة
	متغير العنف	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري				
بعد العلاقة بالمدرس	التلاميذ العنيفين	63	3.93	1.28	4.88	0.00	0.05	دالة
	التلاميذ غير العنيفين	84	4.92	1.16				

يتضح من خلال الجدول رقم (5) أنّ عدد التلاميذ العنيفين يقدر تكرارهم بـ(63) والمتوسط الحسابي لإجاباتهم على بعد العلاقة بالمدرس يقدر بـ (3.93) وبانحراف معياري (1.28)، أمّا فيما يخص التلاميذ غير العنيفين فيقدر تكرارهم بـ(84) والمتوسط الحسابي لإجاباتهم كذلك على بعد العلاقة بالمدرس يقدر بـ (4.92) وانحرافهم المعياري (1.16).

ومن خلال النتائج المتوصل إليها تم حساب اختبار (T) للفروق فتبيّنا لنا أنّ قيمة (T) تقدر بـ (4.88) وعند مقارنة قيمة(P) والتي تقدر بـ(0.00) بمستوى الدلالة (0.05) تبيّن لنا أنّ قيمة (P) أصغر من (0.05) وبالتالي يمكننا

القول أنّه توجد فروق في العلاقة بالمدرس بين التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي. يمكن تفسير هذه النتيجة المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة أنّ التلاميذ المتوافقين وغير العنيفين يسعون دائما إلى إقامة علاقات جيدة ومرضية مع الآخرين على عكس التلاميذ غير المتوافقين والعنيفين، وهذا ما أشار إليه (أبو الدلو، 2009) أنّ التوافق الاجتماعي يشمل العلاقات بالآخرين في اطار التعامل الانساني والألفة بينهم والتبادل الفكري واحترام المعايير الاجتماعية وغيرها. فهذه المتغيرات الفردية والاجتماعية تضطرب تماما عند الشخص العدواني الذي يؤمن بالعنف والقسوة والخشونة كأسلوب للتعامل وحل النزاعات الفردية والجماعية ،ونقيضه التام الذي يتمثل في سلوك التسامح والمسالمة وهو الذي يؤمن بمبدأ اللاعنف كسبيل لإقامة أسمى العلاقات مع النفس أولا ومع الآخرين ثانيا ، وعليه فالشخص العنيف هو الذي فقد التوافق الذاتي الداخلي واختلت لديه بنفس الوقت العلاقة مع الآخرين. كما أشار كذلك (عبد الرحيم شقورة،2002) أنّ الطالب المتوافق هو الذي يحترم مدرّسيه ويقدّرهم ويقدّر الدور الذي يقومون به ، كما أنّه يتبع تعليماتهم وينفذها ويسألهم ويتحدث معهم ، ويعتبرهم قدوة يجب الاقتداء بها. فالعلاقة بين الأساتذة والتلاميذ تعتبر من العلاقات الهّامة فيما يخص التوافق الدراسي، وعلى أساس هذه العلاقة تنجح العملية التعليمية. كما يمكن كذلك أن ترجع إلى العلاقات السائدة في الأسرة ، حيث أنّ هذه العلاقات هي التي تجعل من التلميذ يتّبعها في علاقاته مع الآخرين وهذا ما أكّدته (عبد الرحيم ليندة ،2005) في دراستها حول الأنماط التربوية الأسرية (النمط المرن ، المتشدد ، المتسيب) وعلاقتها بالحياة المدرسية للتلميذ في مختلف محاورها (العلاقة بالمدرس ، العلاقة بالمؤسسة التربوية ، العلاقة بالزملاء ، والعلاقة بالمنهج) حيث توصّلت إلى وجود علاقة ارتباطية بين النمط التربوي الذي تتبعه الأسرة وحياة التلميذ المدرسية(أورد في: فاطمة حولي، 2011).

خاتمة:

تبيّن من خلال نتائج هذه الدراسة أنه توجد فروق في التوافق الدراسي لدى التلاميذ العنيفين وغير العنيفين المتمدرسين في الوسط الريفي، وكذلك في أبعاده الثلاثة الجد والاجتهاد، الإذعان والعلاقة بالمدرس، ويمكن أن ترجع هذه الفروق إلى مجموعة من الأسباب منها ما يتعلّق بالأسرة كالمشاكل الأسرية وانخفاض المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي لها، كما يمكن كذلك أن تعود إلى التلميذ نفسه منها ضعف الذكاء العام أو اصابته بتشوهات والتي تجعل منه يشعر بالنقص، وهناك ما يتعلق بالأسباب المدرسية منها عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وازدحام الأقسام، وفشل التلميذ في حياته المدرسية وخاصة تكرار الرسوب.

- قائمة المراجع باللغة العربية :

1- أبو الدلو جمال (2009)، الصحة النفسية ، الأردن : دار أسامة للنشر.

2- أحمد حشمت ،مصطفى باهي (2006) ، التوافق النفسي والتوازن الوظيفي ، الدار العالمية للنشر.

3- أحمد عواد ، أشرف شريت (2004) ، الكفاءة الاجتماعية والتوافق المدرسي لدى التلاميذ المتفوقين وذوي صعوبات التعلم – مجلة دراسات الطفولة – جامعة عين شمس ، المجلد 7 ، العدد 23.

4- أحمد محمد الزغبي(2001)، علم نفس النمو الطفولة والمراهقة، الأسس النظرية للمشكلات وسبل معالجتها ، الأردن : دار زهران للنشر.

5- سيد عبد الله معتز(2005)، العنف في الحياة الجامعية، أسبابه ومظاهره والحلول المقترحة لمعالجته ، القاهرة : مركز البحوث والدراسات النفسية.

6- صاحب أسعد ويس(2010)، التوافق الدراسي لدى طلبة الجامعة، - مجلة سمراء، المجلد 6 / العدد 20 / السنة السادسة.

7- عبد الرحيم شقورة(2002)، الدافع المعرفي واتجاهات طلبة كليات التمريض نحو مهنة التمريض وعلاقة كل منهما بالتوافق الدراسي ، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في التربية ، علم نفس النمو.

8- عبد الفتاح محمد دويدار(1994)، في الطب النفسي وعلم النفس المرضي الإكلينيكي، دار النهضة العربية.

9- فاطمة حولي(2011)، التوافق النفسي للوالدين وانعكاسه على تكيف الأبناء في المدرسة مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الأسري.

10- فوزي أحمد بن دريدي(2007)، العنف لدى التلاميذ في المدارس الثانوية الجزائرية ، الرياض : جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

11- مباركة ميدون(2013)، الكفاءة الذاتية وعلاقتها بالتوافق الدراسي لدى تلاميذ مرحلة التعليم المتوسط ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الصحة النفسي والتكيف المدرسي.

12- محمد علي محمد علي الضو(2013)، *التوافق الدراسي لدى طلاب كليات التربية جامعة بخت الرضا*. مجلة جامعة بخت الرضا العلمية ، العدد السادس ، مايو.

- قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

13- Debarbieux ,E (1996), La violence en milieu scolaire – Etats des lieux.ESF éditeur Paris.

14- Dubet ,F(1998), Les figures de violence à l’école , revue Française de pédagogie : La violence à l’école approche européenne n° 123.

le Deuil suite à la disparition d'un proche.

Kaour Fatma Imene
Université Constantine 2

Résumé:
Depuis la décennie noire, l'algérie à connu une recrudescence considérable des disparition, ou les proches se trouvant devant une mort incertaine à cause de l'absence de dépouille du défunt qui engendre des complications dans le déroulement du travail de deuil et ce qui nous tentons d'expliquer dans cette recherche.
Ainsi, notre recherche a porté sur le cas d'Assia dont son frère à disparu depuis 3 ans.
Nous nous sommes basés sur la méthode clinique avec l'analyse de contenu et l'échelle d'évaluation quantitative du deuil ICG.
Le travail de deuil commence par voir la dépouille du défunt de le toucher, l'embrasser ….etc. par contre l'absence du dépouille laisse les proches dans une incertitude et des questions sans réponses sur la mort, dans ce cas le deuil ne pourra pas débuter car l'endeuillé reste dans la première étape le déni et développe un deuil compliqué.
Mots clés: Deuil – disparition – deuil compliqué

الملخص:
منذ العشرية السوداء عرفت الجزائر ارتفاعا مفاجئا في فقدان الأشخاص، أين يجد أقرباء المفقودين أنفسهم أمام موت غير مؤكد بسبب غياب الجثة مما يؤدي الى تعقيدات في عملية الحداد. و هذا ما سنحاول فهمه في هذا البحث، حيث تناولنا الحالة أسيا التي اختفى أخوها منذ 3 سنوات حيث قمنا باعتماد المنهج الإكلينيكي باستخدام تحليل المضمون و مقياس التصنيف الكمي للحداد المعقد.
علما أن عملية الحداد تبدأ بالوفاة إلا أن رؤية الميت في حد ذاته، لمسه، تقبيله، توديعه، لآخر مرة حيث أن غيابه يترك شكوك و أسئلة دون إجابات مايعطل عملية الحداد و يبقيها في المرحلة الآوى: مرحلة الإنكار.
الكلمات المفتاحية: حداد – فقدان – حداد معقد.

Summury:
Since the black decade Algeria has experienced an upsurge in disappearance, or relatives facing an uncertain death. because of the remains absence which leads to complication in the course of bereavement work. Which we attempted to explain in this research.
So, our study focused on the case of Assia whose has a brother disappeared for 3 years.
We used clinical method, analyzing an inventory of a complicated grief.
Breavement work stars by seeing the remain, touch it, kiss it...etc.
On the other hand, remains absence leaves relatives in uncertainly and unanswered questions about death. in this case the bereavement will not begin because the breaved one stays in the first stage denial.
Keywords: Grief – Missing person – Complicated grief.

1- Problématique:

Le président bouteflika affirmait en juin 1999 que le nombre de victimes de la violence entre 1992 – 1999 était de 100.000 mort[1]. dans un combat féroce opposant l'état Algérien et les islamistes armés entre 1992- 1998 un combat qui à fait de la vie de tous les Algériens un cauchemar ou l'insécurité, l'angoisse, la peur et les pleurs avaient régné.

Nous nous sommes intéressés au séquelles psychologiques induites par les terribles situation menaçantes, violentes et destructives qui ont mis en danger l'intégrité physique et mentale de l'être humain, tel que les assassinats, corps égorgés, étranglés ….etc.

Les personnes enlevées de leurs maisons, faux barrage, assassinées, sans oublier les disparus dont le nombre s'élève à 6000 ou 8000 personnes[2].

Malgré ces longues années passé, la douleur demeure encore et le souvenir très vivace. Ou les proches des disparus souffrent de l'incertitude, ils restent figés ou ils ne savent pas quoi faire. Ces proches passent une période pénible entre la dépression, l'angoisse, la culpabilité et des souffrances psychologiques. Cet état qu'on qualifie de Deuil processus qui se déclenche après perte d'une personne proche.

Ce travail de deuil qui est la réaction normale à la mort d'un proche, ce long et douloureux processus se fait en plusieurs étapes, allant de la phase initiale caractérisée par un état de choc, ou le sujet n'accepte pas la perte ou la durée est varié de quelques heures à quelques semaines, on passant par la phase dépressive caractérisée par un vécu douloureux qui s'installe immédiatement et enfin la phase de réorganisation ; le retour à la vie.

Cependant, ce processus risque d'être entravé dans son travail du fait de l'absence du corps du disparu. Ce qui va être une source de complication du travail de deuil.

En effet, chez l'endeuillé de la disparition d'un proche, l'incertitude qui pèse lourd « en l'absence de vision du corps », l'au revoir ne peut s'exprimer sans cérémonie particulière »[3].

Selon De Broca (2001), l'absence du corps, l'absence des funérailles rend le travail de deuil très difficile a démarrer car l'endeuillé reste sur la première étape du déni lorsqu'on ne voit pas et qu'on ne touche pas le corps du défunt.

Nous avons juger utile de nous interroger sur les gens qui ont perdu un proche suite à une disparition ne peuvent –ils élaborer leur travail de deuil ?

2- L'hypothèse de travail:

L'absence du corps disparu développe chez l'endeuillé un deuil compliqué.

3- Les concepts de l'étude:

3-1- le deuil:

---

[1] http:www.ceri-sciences-po.org (2004)

[2] Belhaddad (2005), Algérie, le prix de l'oubli. Paris, édition Flammarion. P12

3 De Broca.A (2001), Deuils et endeuillés, Paris, 2éme édition, Masson, P.121.

Alain De Broca à écrit « le mot deuil sous entend de nombreux sens, puisqu'il désigne l'événement aigu que représente le décès d'un proche ainsi que les signes extérieurs du deuil consacrés par la coutume. Il évoque la période après le décès, appelée travail de deuil, mais il fait aussi référence à des sentiments ou à des notions de psychologie, de psychanalyse, voir même à des notions médicales »[1].

Comme nous le voyons, le sens du deuil est beaucoup plus centré actuellement sur le travail intérieur que doit établir la personne suite à une perte, que sur les aspects socioculturels.

3-2- la disparition:

Action de disparaitre, fait de cesser momentanément d'être visible, de s'éloigner ou de s'absenter d'un lien ou d'une manière brusque ou inexplicable.

3-3- le Deuil compliqué:

Lors du processus du deuil et ses mécanismes, le recours aux mécanisme primititifs tels que le déni, l'identification primaire…etc. permet de protéger le moi contre la violence et l'intensité des réactions affectives qui pourraient le submerger. Cependant, il arrive que ces moyens défensifs ne puissent pas être dépassés. ils vont donc conduire à des complications importantes dans le déroulement du deuil et vont rendre de ce fait son dépassement difficile, si ce n'est impossible. ces complications peuvent prendre plusieurs formes tels que le deuil différé, le deuil post traumatique, le deuil chronique…. Selon les mécanismes ou les processus mis en jeu.

4- La Méthodologie:

4-1- la population:

	Sexe	Age	Type de lien avec le disparu	Age du disparu	Cause de la perte	Chronologie de la disparition
Assia	Féminin	37 ans	sœur	29 ans	Immigration clandestine	3ans

4-2- les outils d'investigation:

4-2-1- l'entretien de recherche:

Nous avons évoqué l'entretien de recherche ou ce que certains auteurs appellent « l'entretien exploratoire » qui est une méthode d'investigation dont le but est « de mettre en lumière les aspects du phénomène auquel le chercheur ne peut penser spontanément et de compléter les pistes de travail suggérées par ses lectures »[2]

Dans cette étude le choix de l'entretien est justifié par les points suivants:

- l'entretien nous permet de suivre l'individu du durant une circonstance de sa vie (qui est la disparition d'un proche)
- Récolter le maximum d'informations.
- les changements dans la vie du sujet après la disparition.

4-2-2-l'analyse de contenu:

1 De Broca.A (OP.CIT.P.5)

2 www.reposeen paix.com. Sans auteur

Tout entretien fourni des informations qui ne peuvent être décodés automatiquement et qui ne peuvent être lues qu'à travers une analyse approfondie.

Nous procéderons l'analyse catégorielle qui consiste à calculer et à comparer les fréquences de certains éléments (le plus souvent les thèmes évoqués). et à les regrouper en catégories significatives:

Cette méthode comporte les opérations suivantes:

1- La définition des catégories
2- Découpage, reformulation et distribution des unités d'information.
3- Quantification.

4-2-3- échelle de deuil compliqué ICG:

C'est l'échelle qui semble la plus utilisée dans le cas d'une réaction pathologique et traumatique est l'ICG (Inventory of Complicated Grief) de Prigerson et al, 1995.

C'est une échelle en 19 items, cotés de 0 à 4 destiner à dépister les deuils compliqués. le deuil est considéré comme compliqué lorsque le score total est strictement supérieur à 25. (voir l'annexe)

5-présentation du cas:

Date de l'entretien: 23- 03- 2016

Assia âgée de 37 ans, elle est célibataire et en chômage, elle a perdu son frère à cause d'une immigration clandestine. Il avait 29 ans, licencier en anglais. Date de disparition 27 décembre 2010.

Assia originaire d'Annaba cette femme a perdu son frère depuis trois ans. Elle se présente comme une femme ayant dépassé son âge, des yeux cernés, une mimique triste.

Au début, elle à été difficile à approcher.

Le contexte familial:

Assia est une femme au foyer, célibataire. elle se présente comme une sœur très protectrice. elle ne supporte pas que quelque chose de mal puisse arriver à ses enfants. sa relation avec son frère avant sa disparition était très harmonieuse.

Histoire personnelle:

Assia est l'ainée d'une fratrie de deux frères. Elle a eu une enfance heureuse auprès de ses parents.

Les relations avec l'entourage:

Assia a beaucoup d'affection pour son frère. avec les voisins, Assia est plutôt du genre distante, elle n'a pas de relation en dehors de sa petite famille.

La perte de son frère:

Le frère d'Assia, était en bonne santé, Assia ne savait pas qu'elle n'allait plus le revoir, d'ailleurs, elle a repris les recherches une semaine pour chercher après lui, puis elle a repris les recherches une semaine plus tard.

Elle le cherche encore aujourd'hui. Assia à l'espoir de le trouver un jour même sue facebook.

Après la perte:

La disparition du frère de Assia s'est répercutée négativement sur son comportement. en effet, Assia nous rapporta qu'elle est devenue méfiante.
L'analyse des entretiens que nous avons eu avec Assia nous a permet d'avoir une meilleure compréhension des répercussions de la disparition de son frères.

Inventaire et décompte des catégories:

Catégories:	Fréquences:	Pourcentages:
Catégorie A: Les conséquences symptomatiques liées à un deuil compliqué	88	51.16%
Catégorie B: Les conséquences symptomatiques liées à un état dépressif	41	23.83%
Catégorie C: Les conséquences symptomatiques liées à une détresse traumatique	43	25%
Total:	172	100%

Un aperçu globale de la disposition de la fréquence et du pourcentage du discours dans ce tableau, nous permet de noter, la dominance de la catégorie A, qui présente les conséquences symptomatiques liées à un deuil compliqué avec une fréquence de 88 et un pourcentage de 51.16% , suivi de la sous catégorie C, qui présente les conséquences symptomatiques liées à un état dépressif, avec une fréquence de 41 et un pourcentage de 23.83%.

Interprétations des résultats:

Deuil Compliqué:

Le frère d'Assia a disparu il y'a de cela 3 ans, et pourtant elle est constamment à la recherche de son frère. pour elle la disparition de son frère représente la fin du monde. Il ya un véritable désintérêt pour la vie, plus rien n'a de l'importance, étant donner le vécu difficile de la perte. tout au long de son discours Assia évoquait le souvenir de son frère avec plein d'émotion, des yeux pleins de larmes.
Des recherches faite stroebe, schut et stroebe (2006), un certain nombre de chercheurs ont attiré l'attention sur l'association entre les styles d'attachement et les réactions face au deuil[1]
Cette perte représente probablement l'expérience la plus dévastatrice que nous puissions connaitre et c'est ce qui explique le refus d'Assia à croire en la perte de son frère. Il faut noter que la perte d'un proche a été évaluée en moyenne comme l'événement générateur du plus grand stress de l'individu[2]. cette perte représente probablement l'expérience la plus dévastrice que nous puissions connaitre et c'est ce qui explique le refus de Assia à croire en la perte de son frère « je n'arriverai pas accepter qu'il est mort » elle garde toujours l'espoir du moment qu'elle n'a pas vu son cadavre cette forme de déni peut s'observer quand elle a dit « temps que je n'ai pas vue sa tombe, son corps ….etc. « si un jour il reviendra il verra que je l'aime », ceux-ci expliqué la haute fréquences de phrases allant dans ce sens la, notamment 6 en ce qui concerne la sous catégorie

1 Parkes, 2001.www.aqpc.qc.ca.sans auteur.
2 Bacqué. M.F.(1992), le deuil à vivre, Paris, édition Odile Jacob ,p.97

«refus d'accepter la mort »,«en ce qui concerne la sous catégorie « comportements de recherche active du disparu » et 8 en ce qui concerne celle liée aux «épisodes soudains et intenses de détresse émotionnelle s'accompagnant d'ennui et de manque ».
Assia est toujours dans la phase de déni, d'après M.F.Bacqué[1]. Le déni est un mécanisme qui était au début du deuil un moyen normal de défense, s'est plonge dans le temps et s'est maintenu, comme si l'endeuillé prolonge la présence de son disparu pendant un certain temps et ce de manière hallucinatoire.
Assia décrit sa souffrance, je sens la même douleur que j'ai senti le jour ou, mon frère est parti.
Les souvenirs du jour de l'immigration clandestine de son frère sont toujours fraiche, il revienne toujours dans sa tête, elle se souvient de chaque détaille et cette reviviscence qui la fait encore plus souffrir, ceux-ci se confirme par la haute fréquence des phrases allant dans ce sens la voir 11 concernant la sous catégorie « reviviscence de la perte » et 23 concernant « épisodes intenses de détresse émotionnelle ». il faut noter que ces réactions sont de la phase dépressive, mais elles deviennent propres à un deuil compliqué. Ici Assia ne parvient alors pas à se trouver vers l'acceptation de la perte, ne peut procéder à un réinvestissement affectif.
Comme l'ont souligné Bacqué et Hanus (2000). « une forte ambivalence est souvent à l'origine de ces deuils chroniques », le processus de deuil souffre. en effet d'incertitude quant à la réalité de la disparition, on relève une disparition d'investissements antérieurs ; une incapacité à envisager l'avenir et à concevoir toute espèce de projet[2]. « toute ma vie est détruite ». elle n'arrive pas à être heureuse, chaque bon événement lui fait pensé son frère.
Assia présente des troubles de sommeil, cauchemars, des troubles somatiques, problème cardiaque, manque de confiance, désintérêt générale.
Les hallucinations et le sentiment que son frère est toujours vivant sont autant d'indices classiques d'un deuil qui ne peut pas s'accomplir, à ce propos Zech en 2006 souligne que « les réactions associés à un deuil compliqué sont le besoin de rechercher la personne disparue, la dépression, la colère, la culpabilité, l'insomnie, l'anxiété » [3]
L'idée que le disparu peut revenir et c'est l'absence de dépouille de son frère qui à influencé de façon négative sur le bon déroulement du travail de deuil chez Assia.
M.F.Bacqué considère cette situation l'une des circonstances extrêmes de la perte, qui peut entraver le travail de deuil. Comme nous l'avons vu précédemment, le travail de deuil commence par la reconnaissance effective de

---

[1] M.F.Bacqué. (OP.CIT.P.78).
2 Bacqué et Hanus, 2009, le deuil, édition P.U.F « que sais-je »
3 Zech.E (2006), psychologie du deuil, Paris, édition Mardaga

la mort, d'où l'importance de voir la dépouille du défunt, de toucher, d'embrasse.

D'après Fauré « voir le corps aide à sortir de l'incrédulité et le déni. Son absence par contre, laisse chez les proches une grande incertitude et beaucoup de questions sur la réalité de la mort.

Etat dépressif:

La perte du frère de Assia, l'a plongée dans un tourbillon de douleur et de tourment, il s'agit d'un véritable état dépressif, sur le plan clinique que psychologique, ou l'on observe l'humeur dépressive avec une douleur intérieure intense, elle à perdu toute intérêt pour les activités, selon elle plus

rien ne l'intéresse par leur fréquence voir 9 en ce qui concerne la sous « diminution de l'intérêt », elle présente aussi un véritable sentiment de culpabilité envers elle-même. Elle se sent épuisée ,fatiguée, elle attend l'appel de son frère jusqu'à maintenant, elle n'arrive pas a reprendre sa vie normalement. et c'est ce qu'il se répercute sur sa santé tant psychologique que physique, voir des manifestations psychosomatiques tel que l'absence d'appétit….etc.

tenant compte les critères diagnostics de l'état dépressif de la cim 10. Nous pouvant dire qu'Assia présente un état dépressif.

Détresse traumatique:

Assia refuse la mort de son frère, elle reste figée pendant 3 ans. Dans la première phase de déni, le sentiment de vide pour elle ne s'intéresse à rien ,les symptômes sont propres à une détresse traumatique selon Prigerson et al.

Synthèse des résultats:

Dans cette étude nous voulons étudiez le deuil suite à la disparition d'un proche et l'influence de l'absence du corps du défunt sur le déroulement du travail de deuil chez l'endeuillé. est ce que nous avons pu confirmer étant donné que Assia présente la symptomatologie d'un deuil compliqué dont la symptomatologie a été mise en évidence par Zech en 2006 et qui peut se manifester par une cohorte de signes parmi lesquels tristesse, culpabilité, l'idée que le défunt pourrait revenir, détresse prolongée, agressivité …etc. et ses signes sont causés par l'absence su corps du frère, ou cette dernière n'ayant pas pu avoir la certitude de la mort de son frère, elle n'arrive pas à faire son deuil. ce deuil s'est compliqué par un état dépressif.

L'apparition d'un deuil dans ce cas la a été souligné notamment par Hanus et Bacqué pour qui « au cours d'un deuil compliqué voir un deuil chronique, c'est les symptômes de la phase dépressive qui se chronicisent »

On a pu également détecter l'existence de l'événement traumatique et ce du fait que la disparition d'un proche est l'un des événements ayant un fort potentiel traumatique.

Le score obtenu dans cette l'échelle de deuil compliqué est de 46. étant donné que « le deuil est considéré comme compliqué lorsque le score total est

strictement supérieur à 25, nous pouvons dire que Assia présente un deuil compliqué selon ICG « Inventory of complicated Grief ».

Discussion des résultats:

A partir des résultats obtenus, par l'analyse de contenu ainsi que l'échelle de deuil compliqué ICG, nous pouvons dire que Assia présente un deuil compliqué. Et d'après les critères diagnostics CIM 10 qui sont:

Persistance des symptômes au delà de 6 mois, notamment l'incapacité à croire la disparition, le comportement de la recherche du disparu, la culpabilité, les reviviscences de la perte, les comportements d'évitement (souvenirs, activité) associés avec son frère, hallucinations, fatigue, perte d'intérêt, crainte somatiques dont Assia souffre depuis 3 ans.

C'est l'absence du corps de son frère et par la suite l'incertitude quand a sa mort qui a entravé le déroulement du processus du deuil.

Le dernier regard qu'on jette sur le proche disparu sont parfois dans l'incapacité de faire leur deuil et peuvent installer dans un interminable processus de deuil pathologique.

Conclusion:

Pour conclure notre recherche, il nous a apparu nécessaire de souligner le fait que le deuil est une réaction normale après la perte d'un proche.

En effet, le deuil est avant tous la réaction face à la perte d'un proche, ceci à été souligner par Hanus[1] qui à écrit: « le deuil est la situation dans la quelle nous met la perte d'un proche, le deuil est la situation de perte ». il est l'ensemble des comportements et conduites sociales, individuelles et collectives et enfin, il est le long processus mentale qui permet la cicatrisation et l'acceptation de la perte.

Or, ce long travail peut se compliquer en se heurtant à certains facteur, tel que L'incertitude de la mort en l'absence de dépouille du défunt. Qui va rendre difficile le travail de deuil ou le rendre impossible.

Assia nous a permis de confirmer notre objectif de départ qui porte sur l'influence de l'absence du corps du défunt sur l'élaboration du travail de deuil.

D'après Fauré,voir le corps aide à sortir de l'incertitude et du déni. son absence parcontre, laisse les proches une grande incertitude et beaucoup de questions sur la réalité de la mort.

Inventory of complicated grief ICG:

Items	Jamais 0	Rarement 1	Quelque fois 2	Souvent 3	Toujours 4
1-Je pense tellement à cette personne qu'il est difficile pour moi de faire les choses que je fais d'habitude			×		
2-les souvenirs de cette personne disparue me					

1 Hanus.M (1995).les deuils dans la vie, Paris, édition Maloine.P.25

perturbent …					
3-je sens que je ne peux accepter la perte de cette personne…					
4-je sens un désir intense (de la présence) de cette personne, qui me manque beaucoup…					
5-je me sens attiré vers les endroits et les objets ayant un rapport avec cette personne…					
6-je ne peux m'empêcher d'être en colère à propos de sa disparition …					
7-je n'arrive pas à croire à ce qui est arrivé…					
8-je suis stupéfait et abasourdi par ce qui est arrivé…					
9-depuis qu'elle a disparu, il est difficile pour moi de faire confiance aux gens…			×		
10-depuis qu'elle a disparu, c'est comme si j'avais perdu la possibilité de me soucier des autres personnes…					
11-je me sens très seul la plupart du temps depuis sa disparition …					
12-j'éprouve des douleurs dans les mêmes parties du corps que la personne qui a disparu …			×		
13-je fais des détours pour éviter ce qui rappelle cette personne…					
14-je trouve la vie est vide sans cette personne…					
15-j'entends la voix de cette personne qui me parle…				×	
16-je vois cette personne se sentir devant moi …				×	
17-je sens qu'il est injuste que je doive vivre quand cette personne est partie…			×		
18-j'éprouve une amertume à propos de la disparition de cette personnes…					
19-je me sens envieux envers les					

autres qui n'ont pas perdu quelqu'un de proche…					
Score	00	00	08	6	32
Total:					46

Bibliographie:

1- http:www.ceri-sciences-po.org (2004)
2- Belhaddad (2005), Algérie, le prix de l'oubli. Paris, édition Flammarion.
3-De Broca.A (2001), Deuils et endeuillés, Paris, 2éme édition, Masson, P.121.
4-www.reposeen paix.com. Sans auteur.
5- Bacqué. M.F.(1992), le deuil à vivre, Paris, édition Odile Jacob ,p.97.
6- Bacqué et Hanus, 2009, le deuil, édition P.U.F « que sais-je »
7- Zech.E (2006), psychologie du deuil, Paris, édition Mardaga.
8- Hanus.M (1995).les deuils dans la vie, Paris, édition Maloine.P.25



Université Amar Telidji -Laghouat-

DIRASSAT Revue internationale

N° 61

DECEMBRE 2017

-

-le Deuil suite à la disparition d'un proche.

Kaour Fatma Imene

Université Constantine 2 …01

ISSN 1112-4652